

تفسير القرآن الكريم

الجزء السابع والعشرون من القرآن الكريم

الدكتور

عبد الله شحاته



إبراهيم والملائكة

﴿ قَالَ فَاحَظْبُكُو أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۞ قَالُوٓ إِنَّا أَرْسِلْنَا إِنَّا قُوْمِ تَجْرِمِينَ ۞ الْرُسِلَ عَلَيْهِم حِجَارَةُ مِن طِينِ ۞ تُسَوَّمَةُ عِندَ رَكِّكَ الْمُسْرِفِينَ ۞ فَأَخْرِجْنَا مَن كَانَ فِهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ فَاوَحَدْنَا فِهَا غَيْرَبَيْتِ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ۞ وَتَرَكَّا فِهَا ءَايَةُ لِلَّذِينَ يَضَافُونَ ٱلْعَدَابَ ٱلأَلِيمَ ۞﴾

المضردات :

الـــخـــعاب، الشآن الخطير الذي جئتم من أجله ، سوى البشارة .

قوم مجرمين، هم قوم لوط.

مسن طبيب ن ، من طين متحجر وهو السجّيل .

مسيقمية ، معلَّمة ، من السُّومة وهي العلامة .

المسمسر فيسن، المجاوزين الحدُّ في الفجور.

من المؤمشين، ممن أمن بلوط.

غسيسر بسيت، غير أهل بيت، والمراد بهم لوط وابنتاه، وقيل: كانوا ثلاثة عشر.

أيسسسسة ؛ علامة دالة على ما أصابهم من العذاب.

تمهید:

هذه الآيات بقية قصة إبراهيم عليه السلام ، والذين قسمرا القرآن إلى ثلاثين جزءًا راعرا الكمّ ولم يراعرا المعنى ، ولذلك نجد أن قصة ابراهيم الخليل عليه السلام بدايتها فى نهاية الجزء السادس والعشرين، ونهايتها فى بداية الجزء السابع والعشرين .

وهنا يسأل إبراهيم الملائكة عن الأمر الخطير الذي أرسلوا من أجله ، فأخبروه أن الله أرسلهم ليهلكوا قوم لوط بحجارة من سجيل ، بها علامة تدل على أنها أعدت الإهلاكهم جزاء شذوذهم ، ونكاح الذكور دون الإناث ، حيث يستغنى الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، وهذا أمر مخالف للفطرة ، لذلك أهلكهم الله، تحذيراً وتخويفا لكل من يفعل ذلك العمل الأثيم .

التفسيره

٣١ - قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ .

أي: قال إبراهيم للملائكة: ما هو الأمر الجلل الذي أرسلتم بشأنه ، غير البشارة بالغلام؟

وجاء هي سورة هود : فَلَمُهَا فَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَاءَتُهُ ٱللَّشْرَىٰ يُجْدُلُنا فِي قَوْمُ لُوطِ ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَخَلِيمٌ أَوَّاهُ تُبِيَّ ، يَنَاإِبْرَاهِيمُ أَعْرِضَ عَنْ هَمْلُمَا إِنَّهُ لِقَدْ جَانَةُ أَشْرُ رَبُك وَالْهُمْ عَالِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرٌ مُرْفُود . (مود. ٧٤ – ٧٧) .

٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ – قَالُوْ ا إِنَّا أَرْسِلْنَا إِلَىٰ قَارِمٍ شَجْرِينَ ، لِنُوسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ، مُسْوَمَةً عِند رَبّك لِلْمُسْرِفِينَ .

قالت الملائكة : إن الله أرسلنا لعذاب قوم بالغوا في الإجرام ، وهم قوم لوط ، لتحصيهم بعذاب من السماء في صورة حجارة من طين مطيرخ كالأجرّ ، وهي في الصلابة كالحجارة ، معلمة بعلامة ومجهّزة لمن أسرف في المعاصي وانشغل بالشهوات واستلدّ المخالفة ، كما قال لهم لوط :

> . ٱللَّتُونَ ٱلذُّكُورَانَ مِنَ ٱلْتَصْلَمِينَ a وَتَلَدُّرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَ جِكُم بَل أَلتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ .

(الشعراء : ١٦٥ ، ١٦٦)

٣٥ ، ٣٦ - فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتِ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ .

ذهبت الملائكة إلى قوم لوط فى صورة شبّان فى ريعان الشباب ، ولما علم لوط بأن عنده ضيوفًا من الشباب المعتدل قامة وصحة ، وكانوا يقعلون الفعلة الشنعاء ، وهى اشتهاء الرجال دون النساء ، وقضاء الوطر فى جماع الرجال ، لقد انتكسوا بالفطرة وخرجوا على سنن الله ، فقد خلق الله الزوجين الذكر والأنثى، وزرَّد صدر الرجل وصدر المرأة بما يكمل المتعة بين سالب وموجب ، وذكر وأنثى ، وتكامل وتعاطف ومودة ورحمة ، وذرية من الذكور والإناث ، واستمرار إعمار الأرض وتتابع الأجيال .

لكن هؤلاء المحرفوا بالفطرة كما قال لهم لوط : إِلَّكُمْ آتَاتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْزَةٌ مِّن دُونَ ٱلنَّسَاءِ ... (الأعراف: ٨١).

ورغبوا في جماع ضيوف لوط، فتمنى لوط لو أن لديه قوة من الرجال ، ليمنعهم بالقوة عن ضيوفه ، أو يجد مجموعة من الناس يستنْجِدُ بهم لينقذوه ، وقد بذل جهده في نصحهم وردعهم ، حيث قال لهم :

هَـُلُوَلَاءِ بَنَايِي هُنَ أَطْهِرُ لَكُمْ فَاتَقُواْ اللَّهَ وَلَا لَخَوْرُونِ فِي صَيْفِي آلِيْسَ مِنكُمْ رَجُلُ رُشِيدٌ . قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاقِكَ مِنْ حَقُ وَإِلَّكَ تَعْلَمُ مَا نُويدُ . قَالَ لَوْ أَنْ لِي بِكُمْ قُوْةً أَوْ مَاوِنَ إِلَى رُكُنْ شَدِيدٍ . قَالُواْ يَنْلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبَّكَ نَن يَصِلُوّا إِلَيْكَ فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعِ مَنَ ٱلْلِرِ وَلَا يَلَقِتْ مِنكُمْ أَحَدُ إِلَّا آمْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبَهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصَّبُحُ أَلْسَ ٱلصَّبُحُ بِقَرِيبٍ هَ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرُنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مِسْطُودٍ ه مُسُومَةً عِند رَبّك وَمَا هِيَ مِنَ ٱلطَّلَلِينَ بَعِيدٍ . (هو به ٧٠ – ٨٢) .

وقد اكتفى القرآن بعرض هذا النقاش بين لوط وقومه ، وبين لوط والملائكة ، في مواضع أُخرى من القرآن الكريم .

وقد أفادت الآيتان (٣٥ ، ٣٦) من سورة الناريات أن عناية الله بالمؤمنين وإرادته في سلامتهم ، قضت بأن يخرجوا من ببوتهم في ظلام الليل ، ولا يلتفتوا خلفهم ، غير زوجة لوط التي كانت تنضم إلى قومها وتعاونهم في أعمالهم الشاذة، ، وتفشى لهم أسرار لوط ، فقضى الله أن يصبيبها ما يصبيب قومها .

فَأَخْرَجْنَا مِن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَفَمَا وَجَدَّنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْت مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ.

أى: فأخرجنا من كان فى قرى قوم لوط ، ممن آمن بلوط عليه السلام ، فما وجدنا فى هذه القرى غير أهل بيت من المسلمين ، والمراد بهم لوط وابنتاه .

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن سعيد بن جبير أنه قال : كانوا ثلاثة عشر .

أي : لم نجد أحداً من المسلمين غير ما يوازي تعداد أهل بيت واحد .

فى أعقاب التفسير

دهب المعتزلة ويعض أهل السنّة إلى عدم التقريق بين الإسلام والإيمان ، لأن القرآن في الآيتين السابقتين أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين.

فالمعنى:

أخرجنا من كان في قرى قوم لوط من المؤمنين لنحفظهم من الهلاك ، فلم نجد في هذه القرى إلا أهل بيت واحد من المسلمين ، فيكرن الإيمان مرادفًا للإسلام ، ويهنا قال الإمام البخاري من أهل السنّة .

والمتأمّل في القرآن الكريم يجد أن مدلول اللفظ الواحد يتغير بحسب السياق ، وقد ألف مقاتل بن سليمان البلخي كتابا سماه (الأشباه والنظائر في القرآن الكريم) ، وقد بدأ الكتاب بمادة الهدى في القرآن الكريم ، فقال: الهدى في القرآن يأتى على ستة عشر وجها ، واستمر في عرض الألفاظ التي جاءت في القرآن الكريم على أكثر من وجه ومعنى . فكلمة العين تطلق على العين التي تبصر، وتطلق على عين الماء، وتطلق على الجاسوس . .. وهكذا.
وعلماء الكلام يذكرون أن الإسلام هو الانقباد الظاهري والامتثال لأوامر الله . أما الإيمان فهو

وعلماء الكلام يذكرون أن الإسلام هو الانقياد الظاهرى والامتثال لأوامر الله . أما الإيمان فهو التصديق الباطي، ويستشهدون بقوله تعالى :

فَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ عَامَنًا قُل لَّمْ تُوْمِنُواْ وَلَلْكِن تُولُوا أَشْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْحُل ٱلْإِيمَانُ فِي قُلُوبكُمْ ... (المجدات: ١٤).

ويما رواه البخارى في صحيحه ، أن النبي ﷺ سئل عن الإسلام ، فقال : «أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحجّ البيت إن استطعت إليه سبيلاً».

وسئل عن الإيمان فقال : «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر . وتؤمن بالقضاء والقدر ، خيره وشرّه ، حلوه ومرّه» (١٠).

وبلاحظ أن الإسلام والإيمان قد يجتمعان وقد يفترقان ، فأكثر الناس يظهرون الإسلام ويبطنون الإيمان ، فهؤلاء مسلمون لإسلامهم واستسلامهم لأمر الله ، وانقيادهم لحكمه ، ومعظمهم يبطن الإيمان والتصديق واليقين بالله تعالى وباليوم الأبعر ، ومن هذا الصنف من أمن بلوط حيث كانوا مؤمنين، وأيضًا كانوا مسلمين ، وقد يفترق الإيمان والإسلام ، مثل إسلام المنافقين ، فهو إسلام ظاهرى لم يطاوعه ولم يتابعه إيمان الباطن .

قال تعالى : إِنَّا جَاءَكُ ٱلْمُتَنْفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَفَلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ, وٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُتَنْفِقِينَ لَكَنْلِبُونَ . (السناففون ١٠).

وقريب من ذلك بعض العصاة من الأعراب ، الذين أعلنوا إسلامهم ولم تتجاوب قلويهم بالالتزام الكامل ، والطاعة والتضحية والفداه .

فقال بعض العلماء: هم منافقون ، وقال أخرون: هم مسلمون عصاة لم يصلوا للدرجة المطلوبة الزَّافية من المؤمن الحق، ويأمل القرآن تويتهم وتصحيح إيمانهم .

قال تعالى : قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ عَامَنًا قُل لَّمْ تَؤُمْنُواْ وَلَلْكِن قُولُواْ أَسْلَمْنَا ولِمَّا يَدْخُل ٱلْإِيمَدُنُ فِي قُلُوبِكُمْ ... (السجرات: ١٤)

٣٧ - وَتَرَكْنَا فِيهَا ءَايَةً لَّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ .

تركنا في هذه القرية المهلكة دلالة واضحة ، وعبرة ظاهرة . وعظة وتذكيرًا لأصحاب العقول الراجحة والقلوب المؤمنة ، حيث يرون عاقبة الشذوذ والخروج على أمر الله . وبهذه الآية الكريمة نستطيع أن نستنبط أن الحضارة الغربية حضارة عرجاء ، حيث تستبيع الشدرذ، واستغناء الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، وتدافع عن حق المراهقات في الحمل والولادة والرعاية ، ولو كان ذلك من سفاح حرام ، وليس من نكاح حلال .

إن هذا وغيره سيعصف بمستقبل هذه الحضارة ، وكما اهتز الاتحاد السوفيتى وتمايل للسقوط ، ستتبعه دول أخرى ، لا تزال في عنفوان قوة أثمة ، شأنها شأن الشاب المنحرف ، لا يظهر عليه الأثر الكامل للمعصية ، فإذا انتقل الشاب إلى مرحلة الكهولة والشيخوخة ظهر عليه أثر ذلك الانحراف .

قال الشهاب : كأنَّ هذه الآية تشير إلى بحيرة طبرية .

الاعتبار يما أصاب المكذبين

﴿ وَفِي مُوسَى إِذَ أَرْسَلَنَهُ إِلَى فَرَعَوْنَ بِسُلَطَلَنِ شُينِ ﴿ فَتَوَلَّى بِرَكْمِيمَ قَالَ سَيحُرُأَ وَبَحَنُونُ ﴾ فَاخَذْتَهُ وَحُومُهُ إِلَى مَعْرَفَهُ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ الللللل

المف دات :

بسيليطان مبين، بدليل واضح له سلطان على القلوب، يتمثل في معجزاته الظاهرة كاليد والعصا.

الســــــركـــــــن، ما يركن إليه الشيء ويتقوى به، والمراد هذا : جنوده وأعوانه ووزراؤه ، كما جاء في سورة هود : أو غاويّ إليّ رُكُن شُعِيدٍ . (هود : ٨٠) .

فياخ تناوه أخذ غضب وانتقام.

<u>نب ثناهم</u>؛ طرحناهم في البحر.

مسمنيسم ، واقع في اللوم لكفره وتكبّره .

الريح العقيم، التي لا خير فيها لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم.

المسرمسيسم : الهالك البالي المتفتت من عظم ونبات وغير ذلك .

فاختتهم الصاعقة ، فأهلكتهم الصيحة ، أو نار تنزل بالاحتكاكات الكهربية .

منت تصيرين ، ممتنعين من عذاب الله بغيرهم ممن أهلكهم .

فساسية ين ، خارجين على طاعة الله ، متجاوزين حدوده .

تمهيد،

ذكر القرآن قصة لوط وشنوذهم وهلاكهم ، ثم أتبع ذلك بذكر العظة والعبرة من قصص أقوام من . الهالكين هم :

فرعون الذي أغرقه الله في البحر.

وعاد الذين أهلكهم الله بالريح الصرصر العاتية .

وثمود الذين أهلكهم الله بالصاعقة المهلكة.

وقوم نوح الذين أهلكهم الله بالطوفان.

وفي هذا القصص تسلية وتسرية للرسول الأمين ، وتهديد للمشركين .

التفسيره

٣٩ ، ٣٩ – وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْتُناهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَلْنَ مِّينِ ۥ فَقَوْلًىٰ بِرُكْتِهِ وَقَالَ سَلحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ .

وفى قصة موسى عظة وعبرة ، حين أرسلناه رسولا إلى فرعون ، وزؤدنا موسى بالمهابة والجلال ، وأعطيناه المعجزات الواضحة ، مثل الهدوالعصا ، فى مجموع تسع آيات ظاهرات تؤكد رسالته وصدقه ، لكن فرعون اغتر بجنوده وقوته ، وغره ما يملك من القوة والأثياع ، وألصق التهم بموسى حتى يصرف قومه عن الاستماع إليه .

فقال: هذه المعجزات التي جاء بها موسى ، تدل على أن أمره لا يخلو من أن يكون ساحرًا أو مجنونًا ، فإذا كانت هذه المعجزات حدثت باختيار موسى فتكون سحرًا ، وإذا كانت بغير اختياره فيكون ذلك نوعًا من الجنون أو كأن الجن تساعده .

ويجود أن تكون (أو) بمعنى الواق ، كما قال ابو عبيدة ، لأن القرآن حكى عن فرعون أنه اتهم موسى بالسحر تارة ، وبالجنون أخرى .

فقال عن موسى مرة : إنَّ هَلْدَا لَسَلْجِرٌ عَلِيمٌ . (الشعراء : ٣٤).

وقال مرة أخرى: إنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيَّ أَرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَحْنُونٌ . (الشداء: ٧٧).

ونلحظ أن هذه التهم دبرُها كفار كل أمة ، كأنما وصِّى السابق منهم اللاحق ، أن أن السبب هو الطفيان وكراهة الحق ، والفلو في الظلم والعناد .

قال تعالى : كَلَالِكَ مَا أَلَى ٱلَّذِينَ مَن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولِ إِلَّا قَانُواْ سَاحِوْ أَوْ مَجْنُونٌ . أَنُواصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاهُونَ . (الذاريات: ٥٣، ٥٥) .

وهكذا نجد ملة الكفر واحدة ، وطريقة الكافرين واحدة ، حيث جعلوا المعجزات سحرًا ، وجعلوا ما أتى به الرسل من تشريع وترحيد وأخبار وتذكير ، جنونًا وترهات لا تخضع لعقل بشر ، لأنها فوق طاقته أو فوق قدرته ، ولو أنصفوا لقالوا : إن هذا وحى من السماء ، لا يستطيع البشر أن يأتى بمثله .

قال تعالى : قُل لِّين ٓ آجْتَمَعَت ٓ آلْإِسُ وَٱلْحِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَنْلَا ٱلْقُرْءَانِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَقَوْ كَانَ يَفَشُهُمْ لِتُعْضِ ظَهِيرًا - (الإساء ٨٨) .

• ٤ - فَأَخَذُنَهُ وَجُنُودَهُ, فَتَنَذُنَنْهُمْ فِي ٱلْيَمْ وَهُوَ مُلِيمٌ.

أخذه الله ومعه جنوده وأتباعه وأعوانه ، فقنف بهم جميعًا فى البحر فهلكوا غير مأسوف عليهم ، مع وقوع فرعون فى اللوم والنُّكر والملامة جزاء عناده وعدم استجابته للحق ، والآية مع إيجازها برهان للقدرة الغالبة التى أذلَت الجبابرة ، وأغرقت هذا الطاغية مع قومه ، وسجَّل له التاريخ ظلمه وعناده ، وتقتيل الأطفال الأبرياء من بنى إسرائيل ، واستحياء الإناث للخدمة والمذلة .

قال تعالى : وَلُوِيدُ أَنْ لَمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُطْبِعُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَجَعَلَهُمُ أَلِيَّةٌ وَلَجَعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ ، وَلُمَكُنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَوْضِ وَلُوىَ لِإِرْعُونَ وَهُلَمْنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مُّا كَالُواْ يَخلُونَ . (القمس : ٥٠) .

٤١ ، ٢٤ - وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ مِ مَا تَذَرُ مِن شَيْءِ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ.

وفى عاد آية حين استكبروا فى الأرض بغير الحق ، وقالوا : من أشدَ منا قوة ؟ فأرسل الله عليهم ريحًا عقيمًا ، وهى الدُّبور تعصف بكل شىء أراد الله إهلاكه ، وتتركه رميمًا باليًا مفتتًا هالكًا ، لا يستطاع ترميمه .

روى أن الرّيح كانت تمرّ بالناس فيهم الرجل من عاد ، فتنتزعه من بينهم وتهلكه .

وقد رُدى عن ابن عباس، وصححه الحاكم: أن الربح العقيم ربح لا بركة فيها ولا منفعة، ولا ينزل منها غيث، ولا يلقح بها شهر وهذه كانت الدُّبور لما صح من قوله ﷺ: «نُصرت بالصُّبا ، وأهلكت عاد بالدبور» " .

وفى سورة الحاقة نجد لوحة مصورة تستعرض هلاك عاد بريح عاتية مهلكة ، وكانوا يحفرون الحفرة فى الأرض فينزلون فيها ، ويتركون رؤوسهم على السطح لاستنشاق الهراء ، فتأتى الريح فتقطع رؤوسهم ، وتتركهم هلكى كالنخلة التى قطع رأسها ، وتُرك عجزها ولم يبق فيها منفعة أو ثمرة .

قال تعالى : وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرَّصَ عَائِنَةٍ ه سَخُّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَبَالِهِ وَفَسَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْفَوْمُ لِيهَا صَرْعَىٰ كَالْهُمْ أَعْجَازُ نُعِلْ مَاوِيَةٍ ه فَهَلْ تَرَعَىٰ لَهُمْ مَنْ بَالِيَّةِ . (العاقة : ٣ - ٨).

٤٤ ، ٤٤ - وَفِي نَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتُّمُواْ حَتْى حِين ، فَعَتْواْ عَنْ أَمْر رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّدِعَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ .

وفي قصة ثمور آية ، وكانت عاد تسكن في جنوب الجزيرة العربية ، وثمود تسكن في شمالها ، وكانوا يمرّين على مساكن ثمود في طريق تجارتهم إلى الشام ، وقد مرّ الذبي ﷺ بمساكن ثمود في طريقه إلى تبوك ، فلما رآما نظر إليها واستحث راحلته ، وانحنى على ظهرها ، وقال لأصحابه : «لا تمرّوا على قري القرم القري القري القري النبية أن يصيبكم ما أصابهم» "".

وقد تكررت قصة ثمود في عدد من سور القرآن الكريم ، وعادة تذكر بعد قصة عاد ، وقد ذكرت مستقلة في سورة الشمس ، حيث أرسل الله إليهم نبيه مىالماً ، ومعه معجزة هي الناقة ، تُشرب الماء في يوم ، وتحاب لهم لبنا يكنيهم أجمعين في يوم ثان ، لكنهم عثوًا عن أمر ريهم ، وأنذرهم صالح بأن العذاب سيأتيهم بعد ثلاثة أيام ، وقال لهم : يُعَثِّواً في دَاركُمْ فَلَنَةٌ أَبَّام ذَلِكَ وَعَدْ غَيْرُ مُكُلُوبٍ . (مرد: ٢٥) .

وهذا معنى قوله : وَفِي لَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَكُّواْ حَتَّىٰ حِينٍ .

أى: قال لهم نبيهم: هناك مهلة ثلاثة أيام ثم يأتى عذاب مدمر ، لكنُّهم كذبوا نبيهم واستكبروا.

فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّاحِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ .

عتوا : تكبروا ، أيّ تعالوا عن الاستجابة لما دعاهم إليه نبيهم صالح فأرسل الله عليهم صاعقة من السماء أملكتهم جميعًا ، وهم ينظرون إليها .

وقال مجاهد :

وَهُمْ يَنظُرُونَ . بمعنى : ينتظرون ، أي وهم ينتظرون الأخذ والعذاب ، وانتظار العذاب أشد من العذاب .

٥٤ - فَمَا ٱسْتَطَاعُواْ مِن قِيَام وَمَا كَانُواْ مُتَعَصِرينَ .

نزلت الصناعقة ماحقة مهلكة ، لم يستطيعوا هريًا منها ، ولا قرارًا من إهلاكها ، ولم يجدوا تصيرًا ينصرهم بعد أن عجزوا بأنفسهم .

وهَى سورة الشمس يقول الله تعالى : كُلُبَّتْ تُمُودُ بِعُلُوْ لِهَا ۚ وَإِذْ آلَبَتَثَ أَشْقَلُهَا هَ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهَ نَافَةَ اللَّهِ رَسُفَيْنَهَا هَ فَكَذَّارِهُ فَعَقْرُوهَا فَنَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِلَدْنِهِمْ فَسَرِّانِهُم ال

٤٦ - وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَلْسِقِينَ .

وأهلكنا قوم نوح من قبل هزلاء بالطوفان ، لأنهم كانوا خارجين على أمر الله ، حيث أرسل الله إليهم نوحًا فمكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا ، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ، وقد فصًّل الله قصتهم مع نوح في سورة هود وغيرها ، وذكرت قصة نوح في سورة نوح في جزء تيارك ، كما ذكر القرآن هؤلاء الهالكين بعد نوح ، بسبب عدوانهم وكذرهم وتكذيبهم لرسلهم ، مع إحاطة الله بأعمالهم ، وقدرته سبحانه على عقوبتهم في الدنيا ، ومحاسبتهم في الآخرة .

قال تعالى: وَكُمْ أَهْلَكُنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَهَىٰ بِرَبِّكَ بِلُنُوبِ عِبَادِهِ عَبِيرًا بَصِيرًا . (الإسراء: ١٧).

أدثلة القدرة

﴿ وَاسْمَآءَ بَنَيْنَهَا بِأَيْدِ وَإِنَّالَمُوسِعُونَ ۞ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَهَا فَيْفُمُ ٱلْمَنْهِدُونَ۞ وَمِن كُلِّ مَنْءٍ خَلْفَنَا نَوْجَيْنِ لَمَلَكُو لَذَكُرُونَ ۞ فَفِرُّوَا إِلَى اللَّهِ ۚ إِنِي لَكُو مِنْهُ لَئِيرُّ مُبِّينٌۗ وَلَا تَقِعَلُواْ مَعَ اللّهِ إِلَنْهَاءَاخَرَ ۗ إِنِي لَكُومِنَهُ لَئِيرٌ مُبِينٌ ۞ ﴾

المفردات:

ىـــانىـــد، بقوة .

المسوسيمون ؛ لذو سعة بخلقها وخلق غيرها ، من الوسع بمعنى الطاقة والقدرة ، أي : لقادرون .

فرشت اها و بسطناها ومهدناها ، من مهدت الفراش : إذا يسطنه ووطأته .

تمهيد الأمور ، تسويتها وإصلاحها .

رُوچ منفين مزدوجين ، ونوعين مختلفين .

ففروا إلى اثله ، الجأوا إلى الله ، وسارعوا إلى طاعته ، واعتصموا بحبله .

<u>ئے۔۔۔۔۔۔۔۔۔۔۔ ر</u> ۽ منڌر مخرَف .

تمهید :

يرشد القرآن الكريم إلى آثار القدرة الإلهية في خلق هذا الكرن البديع ، فقد رفع الله السماء بلا عمد ، والأرض بسطها ويسر إعمارها وطرقها ، وأرسى جبالها ، وخلق من كل شىء زوجين ذكرًا وأنثى ، ليتم التناسل وإعمار الأرضى ، تجد ذلك في الإنسان والحيوان والنبات ، بل والسحاب والجماد ، كل ذلك يتطلب الإيمان بالله ، واليقين بقدرته وفضله .

التفسيره

٤٧ - وَٱلسَّمَاءَ بَنَيْنَكُهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ .

لقد وسعت قدرة الله كلّ شيء ، فأبدح الكرن على غير مثال سابق ، ويهذه القوّة القادرة المبدعة ، رفع السماء سقفًا مرفوعًا ء ممثدًا بلايين السنين ، دون أن يصيبه خلل أو تشقق .

«والآية الكريمة تشير إلى أن التوسعة مستمرة على الزمن ، وهو ما أثبته العلم الحديث ، وعرف بنظرية التمام الحديث ، وعرف بنظرية التمام التم

٤٨ - وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَيَعْمَ ٱلْمَلْهِدُونَ .

جعل الله السماء سقدًا مرفوعًا ، وجعل الأرض فراشًا ممهدًا للإنسان ، يحيا عليها الإنسان والحيوان والنهات ، والطهور والزواحف والحشرات وغيرها ، وفي هذه الأرض أرزاق وأقوات ومنافع متعددة ، فعن طينة الأرض يتخذ الإنسان المساكن والحصون ، ومن معادن الأرض الظاهرة والباطنة يصنع الحليً والسلاح ، وآلات الحرب والسفن والطائرات .

وفي القرآن الكريم ما يفيد أنَّ الأرض خلقت أولًا ، ثم خلقت السماء ثانيًا كما نجد ذلك في سورة فصلت .

قال تعالى: قُلْ أَلِثَكُمْ لَتَنْكُفُرُونَ بِالَّذِي حَلَقَ ٱلْأَرْصَ فِي يُؤَمِّنَ وَتَجْتَلُونَ لَهُ أَلْمَادَا ذَالِكَ رَبُّ ٱلْحَالَمِينَ • وَجَعَلَ لِيهَا وَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَمَثَرُكُ فِيهَا وَقَلْرَ فِيهَا أَلُونَهُا فِي أَزْمَةِ أَيَّامَ إِلَّامِ مَرَاءً لِلسَّالِينِينَ • فُعَ ٱسْتَوَعَ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَهِي حَجَانُ فَقَالَ لَهَا رَلِكُوْ مِن آتَتِهَا طَوْعًا أَوْ كُوهًا قَالَنَا آتَهَا طَالِعِينَ ؞ فَقَصَلُهُنَّ صَبْعَ سَمَلُوَاتِ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْ حَيْ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَرُيَّنَا ٱلسَّمَاءُ ٱلذَّيِّا بِمُصَلِيعِ وَجِفْظًا ذَالِكَ فَقَدِيلُ ٱلقَوِيرُ ٱلْعَلِيمِ . (مسلت: ٩ – ١٢) .

وفي سورة النازعات نجد ما يفيد أن السماء خلقت أولا ، ثم دحيت الأرض .

قال تعالى : وَأَفَهُمْ أَشَدُ عَلْقًا أَمُو السَّمَاءُ يَنْنَهَا ه رَفَعَ سَمَكُهَا فَسَوْسُهَا ه وَأَغْطَشُ لِلَهُمَّا وَأَخْرَجَ صُحْلَهَا ه وَٱلْأَرْضَ يَعَدُ ذَلِكَ دَحُنَهَا هَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَمًا وَمَرْطَنَهَا ه وَآلَجِهَالُ أَوْسُنَهُا هُمَّا وَكُلُّهُمْ

ويمكن الجمع بين الآيات على النحو التالي :

- (أ) خلق الله الأرض أولاً غير مدحوّة.
- (ب) خلق السماء ثانيًا بعد خلق الأرض .
- (ج) دحا الأرض بعد خلق السماء ، أي خلق فيها البحار والأنهار والجبال ، وجعلها أقرب إلى شكل البيضة،
 فهى منبعجة ومتسعة عند خط الاستواء ، وهي مفرطحة عند القطبين ، أي غير كاملة الاستدارة .

قال تعالى: أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ... (الدعد: ٤١).

هذا ما ذكره المفسرون القدامي في الجمع بين الآيات المختلفة.

أما المفسرون المحدثون، والعلماء المعاصرون فيرون الآتي:

١ - الكون كلُّه كان كرة ملتهبة غير صالحة لحياة الإنسان عليها.

- ٢ مرّت سنة بلايين سنة ، هدأت فيها هذه الكرة ، وانفصلت السماء وارتفعت ، وانفصلت الأرض والبسطت
 ورست عليها الجبال والبحار والأنهار .
- ٣ مرَّ خلق الكون بست مراحل ، كانت السماء رخوة هلامية أشبه بالدخان ، ثم تماسكت وهدأت قشرتها وتفتقت بالمطر ، وهدأت قشرة الأرض وتماسكت ، وتفتقت بالنيات ، ووجد خلق وسيط بين السماء والأرض هو الهواء ، ووجد الحجاب الحاجز بين الأرض والسماء ، الذي يحمى الأرض من ملايين الشهب والنيازك ، ويحفظ الأرض في درجة معينة من العرارة والرطوية .
 - ٤ تمُّ إعمار الكون وتنسيقه بحيث تكون الأرض مائدة عامرة بالأرزاق والماء والخيرات.

- ٥ تدخلت يد القدرة الإلهية في كل مرحلة من مراحل تكامل الخلق وتوازنه ، ومن أمثلة ذلك ما يأتي :
- (أ) الإنسان يستنشق الأكسجين ، ويخرج ثاني أكسيد الكربون ، والنبات يستنشق ثاني أكسيد الكربون ويخرج الأكسچين ، ولو وجد النبات وحده لذبل ، ولو وجد الإنسان وحده لاضمحل ومات .
- (ب) نسبة الأكسچين فى الهواء ٢١٪ ولو زاد عن هذه النسبة لكثرت الحرائق، بحيث تكون شرارة واحدة فى الغابة كافية لإحراق الغابة كلها ، ولو نقصت هذه النسبة فى الهواء لاقترب الإنسان من الاختناق، ولضعف التمدّن الإنسانى والاعتراع والإبتكار .
- (ج) لو اقتربت الشمس منا أكثر مما هي عليه لذاب الجليد في المحيطات ، وغرقت الأرض بمياه البحار، ولو ابتعدت الشمس عنا أكثر مما هي عليه لتجدّدت مياه المحيطات ، وتعطلت الملاحة ، واشتد البرد ، وفقدت الحياة توازنها ، كل ذلك يدل على أن وراء الكون يد القدرة الإلهية التي تحفظ توازنه، وتمسكه من الانهيار والهلاك ، إلى الوقت المحلوم الذي ينتهي فيه عمر هذا الكون ، فتنشق السماء، وتزلزل الأرض ، وتنكدر النجوم ، وتصبح الشمس من النجوم القزمة التي فقدت توهجها ، وينتهي عمر الدنيا وتبدأ مراحل الأخرة .
- " أشار القرآن الكريم إلى أن السماء كانت رتقاء صماء لا تمطر، وأن الأرض كانت رتقاء صماء لا تنبت النبات، ففتق الله السماء بالمطر، وفتق الأرض بالنبات، وجعل الماء من أسباب الحياة، ويدونه يكون التمسكر.
- قال تعالى : أُولَمْ يَرْ اللَّهِينَ كَفَرُواْ أَنْ السَّمَنُواتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَفَّا فَفَتَطْنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلْ طَيْءُ حَيَّ الْعَلَيْفِوْنَ ، وَجَعَلْنَا فِي الْوَامِنِ وَوَاسِيَّ أَنْ تَعِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا شَيْلاً لِتَشْهُمْ فَهَنْدُونَ ، وَجَعَلْنَا السَّمَاءُ سَقَفًا مُحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ عَالِيْهَا مُعْرِطُونَ ، وهُوَ اللَّهِي خَلْقَ آلَيْل وَالشَّمْسَ وَالشَّمْسَ وَالْفَمْمَرُ كُلُّ فِي فَلْكِ يَسْبَحُونَ. (الأنبياء: ٢٠ - ١٣٢)
 - ٧- الكرن كله مرّنى خلقه بست مراحل ، عبر عنها القرآن بستة أيام ، وفى حوالى شهر أبريل سنة ١٩٩٤م،
 انعقد مؤتمر علمى فى الولايات المتحدة الأمريكية للبحث فى عمر الكون ، وذكر أن عمر الكون ١٩٠
 بليون سنة ، وأن عمر الإنسان على هذه الأرض ٧ بلايين سنة ، وأن الكون مكث ٦ بلايين سنة كرة
 ملتهبة غير صالحة لحياة الإنسان ، ثم وجد الإنسان فى هذا الكون من ٧ بلايين سنة .
- هذا مجرد اجتهاد بشرى ، والمجتهد إن أخطأ له آجر واحد هو أجر الاجتهاد ، وإن أصاب فله أجران ، أجر الاجتهاد وأجر موافقة الصواب ، أما كتاب الله تعالى فقد تكفل الله بحفظه ، وهو معجز للبشر ، وإعجازه أنه لم يصطدم بأيّ حقيقة علمية ، بل كأن العلم ينزع إلى تأبيد القرآن وإثبات أنه من عند الله .

ونحن نذكر هذه المعلومات بجوار تفسير الآيات للاستثناس بها ، لا لتكون حكمًا على الآية ، فكتاب الله إمام للبشرية كلها ، والله ولى التوفيق .

4 \$ -- وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ .

إثراء الحياة مترتب على العلاقة بين الذكر والأنثى، نجد ذلك في الإنسان والحيران والنبات وغيرها، وقد امتن الله على عباده بهذه القدرة التي تثرى الحياة، فالمطر يترتب على علاقة بين سحابة موجبة، وأخرى سالهة.

قال تعالى: وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَاحَ لَوْ اقِحَ فَأَنوَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَسْفَيْسُكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ, بحَارِينَ. (الحجر: ٢٢).

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الرياح تلقح النبات ، لكنّ إذا تأملنا في الآية وجدنا أن الرياح تلقّح السحاب لهنزل المطر ، والرياح فعلاً تلقّع النبات ، ولها أثار أخرى ، وقد امتن الله على عباده بأنه خلق الذكر والأنثى .

قال تعالى : وَمَا خَلَقَ ٱللَّكَرُ وَٱلْأَنْفَى ۚ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ . (الليل : ٣ . ٤) .

وقال عز شأنه : وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزُوْ جًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزُوْ جِكُم بَينَ وَحَفَدَةً ... (النحل: ٧٧).

وحين كان نوح عليه السلام يصنع سفينته للنجاة من الطوفان ، أمره الله أن يحمل فيها من كلُّ زوجين اثنين ، لتبدأ الحياة مرة أخرى بين الذكر والأنشى .

قال تعالى : حَتَّى إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَقَارَ ٱلتَّتُورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ آتَنَيْنِ ... (هود ٢٠٠) .

ويالنسبة للإنسان نجد أن الله خلق الرجل والعرأة ، وحين خلق أدم خلق من ضلعه حواء ، ومن نسلهما كانت البشرية .

قال تعالى : يَكَالَيْهَا آلنَّاسُ ٱلْقُواْ رَبُكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَفْسِ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا وَوَجَهَا وَيَثْ مِنْهُمَا وِجَالاً كَيْرًا وَنِسَلَةً ... (النساء : ١) .

ونجد مثل ذلك في الحيوان والطهور والزواحف والحشرات، وأنواع النباتات والأزهار وغيرها.

قال الأستاذ أحمد مصطفى المراغي في تفسير قوله تعالى :

وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكُّرُونَ .

أي: إنا خلقنا لكل ما خلقنا من الأرض ثانيًا له ، مخالفًا له في مبناه والمراد منه ، وكل منهما زوج للأخر ، فخلقنا السعادة والشقارة ، والهدى والضلال ، والليل والنهار ، والسماء والأض ، والسواد والبياض! لتتذكروا وتعتبروا فتعلموا أن ربكم الذي ينبغى لكم أن تعبدوه وحده لا شريك له هو الذي يقدر على خلق الشهر و خلافه ، وابتداع زوجين من كل شهره ، لا ما لا يقدر على ذلك () .

، ٥ - فَفِرُوٓ ا إِلَى ٱللَّهِ إِنَّى لَكُم مِّنْهُ نَلِيرٌ مُّبِينٌ .

أى: الجآوا إلى الله الخالق المهدع ، الذى رفع السماء ويسط الأرض ، وأثمّ إعّمَال الكون ، هذا الإله الخالق العظيم الرازق الكريم ينبغى أن تعبده وحده لا شريك له ، وألا تعبد معه صنمًا ولا وثنًا ولا جنًّا ، ولا ملائكة ولا أيّ شريك .

إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَلِيرٌ مُّبِينٌ .

إنى مخوّف لكم بآيات الله وبالمحجزات ، ومبيّن وموضح لكم بالابتعاد عن المعاصى ، والاقتراب من الله وطاعته ، والبعد عن معصيته .

١ ٥ -- وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَيْهَا ءَاخَرَ إِلِّي لَكُم مَّنْهُ تَلِيرٌ مُّبِينٌ .

ولا تعبدوا مع الله معبودًا آخر ، لأن العبادة لا تكون إلا للخالق ، والله وحده خالق كُلُّ شيء ، فالله هو الذي خلق كلُّ شيء ، فالله ومسخّر الشمس والقمر ، والليل والنهار ، والخلام والثّور ، ويبده الهدى والضلال ، والجنة والذار ، والخير والشمر ، فهو يُخلُق ولا يُخلُق ، وهو يُجير ولا يُجَار عليه ، فينهغي ألا تكون العبادة إلا لله ، ومن أشرك بالله وعبد إلها آهر ، فإنه عستحق العذاب خالدًا مغلدًا في النار أبدًا .

فالآية ٥٠ : دعوة إلى الإيمان بالله ، والالتجاء إليه ، ومحبته وعبادته ، والتبتل إليه والفرار إلى ماعته ، والاستفناء به عن كل ما عداه ، فمن وجد الله وجد كل شيء ، ومن فقد الله فقد كل شيء .

أما الآية ٥١ : فهى للنهى عن عبادة غيره معه ، وعن السجود للصنم أو الوثن ، أو الجن أو الملائكة ، أو الشمس أ لقمر ، أو المال أو الجنس أو الهوى أو نحو ذلك ، وقد كان التعقيب واحدًا على الأيتين ، أي إنى لكم نذير مبين أخوفكم من البعد عن الله ، وإنى لكم نذير مبين أخوفكم من الشرك بالله ، ونحو الآية قوله تعالى : فَمَن كَانَ يُرْجُوا لِقَنْاءَ رَبِّهِ فُلْيَعْمَلُ مَنْ لِمَا لَوْلاً يُشِرِكُ بِعِلَاقَ رَبِّهِ أَحْدًا ، (النَّهِمَ : ١٠١) .

* * *

ختام سورة الذاريات

﴿ كَذَلِكَ مَا أَنَى الَّذِينَ مِن قَلِهِم مِن رَسُولِ إِلَا قَالُواسَلِمُ أَوْ مَثُونًا ۞ أَتَوَاصَوْلِهِ عَلَهُمْ فَوَمُّ طَاعُونَ ۞ فَوَلَ عَهُمُ فَمَا أَنتَ مِعَلُومِ ۞ وَذَكِرَ فَإِنَّ الذِّكَرَى انفَعُ المُوْمِنِينَ ۞ وَمَا عَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيعْبُدُونِ ۞ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِن زَنْقِ وَمَا أَرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۞ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْفَوْقِ الْمَتِينُ ۞ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِثْلَى ذُنُوبِ أَصَحَيهِمْ فَلا يَسْتَعْجِلُونِ ۞ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ حَكَمُ وَلُونِ مِهِمُ اللَّذِينَ طَلَمُواْ ذَنُوبًا مِثْلَى ذُنُوبً

المفردات :

هتول عنهم؛ أعرض عن جدالهم.

يصمصلصوم ؛ بقاعل ما يلام عليه .

ولاكتير والموعظة .

المرابع عليمون والبخضعوا إلى ويتذلُّوا ، أو ليعرفوني .

السمية بين ، الشديد القوة .

تُذُسورِس ، نصبيبًا من العذاب ، وأصل الذُنوب : الدلو العظيمة الممتلثة مام ، فاستعيرت للنصيب مطلقًا. أصبحانيهم ، نظرائهم .

همايسهم د مطرادهم .

تمهید :

تأتى هذه الأيات فى ختام سورة الذاريات ، وفيها تسلية للرسول ﷺ بأن أهل مكة لم يكونوا بدعًا من الأمم ، فقد كذبت الرّسل وأوذيت ، واستمر التكذيب من عهد نوح إلى محمد ﷺ ، فهل ومنًى السابق منهم الله مقد كلاً .. إنهم لم يتقابلوا ، وإنما جمعهم الطغيان والعبناد ، والخروج على أمر الله ، وقد خلق الله الجنّ والإنس لمعرفته وطاعته ، وهو سبحانه غير محتاج إليهم ، لأنه سبحد في الرزاق القوى المقتدر ، وغذا سبجد مُولاء الكفار العذاب الذي ينتظرهم ، وقد تقدمت الجن في الذكر على الإنس لأنها خلقت أولاً ، والإنس ثانيًا .

التفسيره

٧٥ - كَذَا لِكَ مَا أَتَى ٱللَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولِ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْتُونٌ .

إذا كان أمل مكة في تكذيب لك يا محمد ، وعداء للإسلام ، فإن جميع المرسلين قبلك قد لقوا من أقوام من أمامه العناد والتكذيب ، وكان الاتهام يترجّه من الكافرين للرسل ، بقولهم : إن معجزاتهم سحر وذكاء ، وليست خارقة من الله ، أو يقولون عن الرسول : هو مجنون مختلً ، وربصا جمعوا للرسول الصفتين فقالوا: هو ساحر ومجنون ، والمراد جموع المكتبين ، أمّا القليل منهم فقد آمنوا .

قال تعالى عن نوح عليه السلام: وَمَا ءَامُنَ مَعَهُ ۚ إِلَّا قَلِيلٌ . (مود: ٤٠) .

وقريب من ذلك ما ورد في سورة إبراهيم من ألوان تكذيب المكذبين للرسل مثل: وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفُرُواْ يُرْسُلِهِمْ لَنَحْرِجُنَّكُم مَنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتُمُودُنَّ فِي مِلْتِنَا فَاوْخَىٓ إِنَّهِمْ رَبُّهُمْ لَنَهِلَكُنَّ ٱلطَّلْهِمِنَ . (ابراهيم ١٣٠).

٣٥ - أَتَوَاصَوا إِهِ إِلْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ .

هل وصُّى السابق منهم اللاحق بتكذيب الرسل ، وهم لم يلتقوا في زمن من الأزمان ، وإنسا الذي جمع بينهم هو الطغيان والعناد ، وعدم الاستجابة لدعوة رسل الله .

والطُّغيان : هو تجاوز حدود الدين والعقل ، فقال متأخرهم مثل مقالة متقدّمهم في تكذيب الرسل .

\$ ٥ - أَتَوَلُّ عَنْهُمْ فَمَا أَلتَ بِمَلُومٍ.

لقد أدّيت الرسالة ، ويلُغت الأمانة ، فلا لوم عليك ، ولا جناح في إعراضك عنهم ، ولا لوم عليك في عدم استجابتهم لك ، فإنما عليك البلاغ ، وإنما أنت منذر ، وقد فعلت .

٥ ٥ - وَذَكَّرْ فَإِنَّ ٱلذُّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ .

ودُمْ على العظة والنُّمس والدعوة إلى الهداية والرشاد . فإن التذكرة تنفع من كانت في قلبه رغبة في الإيمان ، وهداية من الرحمان .

أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهةي، وجماعة، من طريق مجاهد، عن على رضى الله عنه قال: لما نزلت: فَقُولُ عَنْهُمْ فَلَمَّ أَنتُ بِمَلُوم، لم يبق منا أحد إلا أيقن بالهلكة، إذ أمر النبي ﷺ أن يتولى عنًا، فنزلت: وَذَكّرُ فِإِنَّ اللَّكُرُى تَفَعُ الْمُؤْمِينَ، فطابت أنفسنا.

٣ ٥ - وَمَا خَلَقْتُ ٱلْحِنْ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ .

لم أخلق الناس الأستكثر بهم من قلة ، ولا لأستأنس بهم من وحشة ، وإنما خلقتهم لينكروني كثيرًا ، ويعبدوني طويلًا ، ويعبدوني طويلًا ، ويعبدوني طويلًا ، ويعبدوني طويلًا ، وكن العباد في حاجة إلى مرضاة إلى طاعتهم لتهذأ نفوسهم ، وتطمئن قلويهم ، وتقوي ثقتهم بأنفسهم ، فالعبادة والطاعة وسيلة إلى مرضاة الله ، واستجلاب فضله ومعونته ويركته ، والعبادة حق لله على عباده ، والعبادة تحمى الإنسان من الإحباط والتردد والخوف ، وتمنحه زادًا من الثقوى والهدوء ، والأمان ونقاء الروح ، وسلامة السريرة

وفى الحديث الشريف: «إن النور إذا دخل القلب اتسع له الصدر وانشرح» ، قبل: يا رسول الله ، هل لذلك من علامة ؟ قال: «نعم ، التجافى عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزول الموت» ، ثم تلا النبي ﷺ قوله تعالى: أَفَمَن شَرَحُ ٱللّهُ صَدَّرَةً، لِلإِسْلَسْمِ هُهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن (أَهِ اسَ.. (الزمر- ٧٢).

ويقول الله سبحانه وتعالى : يَنَآتُهَا آتَاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْفَنيُّ ٱلْحَمِيدُ . (فاطر : ١٥) .

وقال ابن جريج ومجاهد : إِلَّا لِيُعْبُدُونِ . إلا ليعرفوني . ا هـ .

فإن المؤمن إذا داوم على عبادة ربه ، والتذلل إليه ، وتلاوة القرآن ، وذكر الرحمان والتهجد ، والاستغفار بالأسحار ، والمواجد ، فإن والاستغفار بالأسحار ، والمواجدة على مسلاة الفجر ، وتلاوة دعاء الرسول ﷺ في الصباح والمساء ، فإن ذلك يزيده توفيقاً وفضلاً وقرياً من الله ، ومعرفة به وحبًا له ، وهذا إشارة إلى ما صحّحوه عن رسول الله ينهده توما عن ربه : «كنت كنزاً مخفيًا فأحيبت أن أعرف خطفت الخلق لأعرف» ".

٧ ٥ – مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رَّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ .

ما أريد أن أستعين بالجن والإنس لجلب منفعة ، ولا لدفع مضرّة ، فلا أصرّفهم **في** تحصيل الأرزاق والمطاعم ، كما يفعل الموالي مع عبيدهم .

أى: إنه سبحانه لا يطلب من العباد تحصيل أرزاق يستعين بها أو يملاً بها خزائنه ، وهو سبحانه غنيًّ عن أن يقدّم العباد له طعامًا أو خدمة ، كما يحتاج مُلاك العبيد إلى خدماتهم ، أو تقديم الطعام لهم ، فالله سبحانه غنيًّ غِنْي مطلقًا ، وخزائنه ملأي ، وهو يُطبع ولا يُطغَم ، وهو يجير ولا يُجار عليه .

٨٥ -- إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرِّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ .

وكيف يحتاج سبحانه وهو الغني القوى ، وهو المعطى والمانع ، وهو الرزاق ذو القوة التي لا حدود . لها ، وهو القاهر فوق عباده ، الثالب على أمره . وهذه الآية كانتُها تعليل للآية السابقة عليها ، فكأنه قيل : لا أريد منهم من رزق لأنى أنا الزُراق ، وما أريد منهم من عمل كالإطعام لأني قوى متين .

روى أحمد ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «يقول الله تعالى : يا ابن آدم ، تغرغ لعبادتى أملاً صدرك غنى، وأشدُ فقركِ ، وإلا تفعل ملاّت صدرك شغلاً ، ولم أسد فقرك» (⁽⁶⁾

ويقول النبي ﷺ: هيقول الله تعالى: يا ابن آدم أُنْفق أَنْفق عليك، يمين الله ملأى لا تغيض بها نفقة، سحاه الليل والنهار، أرأيتم ماذا أنفق منذ أن خلق السماوات والأرض، فإن ذلك لم يغض ما في يمينه، ٩٠٠.

٩ ٥ - فَإِنْ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مُّثْلَ ذَنُوبٍ أَصْحَلِيهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ .

قال قصادة :

سَجُلاً من العداب مثل سَجُل أصحابهم ، فلا يطلبوا مثّى أن أعجُل في الإتيان بالعداب قبل أوانه ، فهو لاحق يهم لا محالة . ا هـ .

والسُّجل: الدُّلو المليئة ، فاستعيرت للنصيب مطلقًا ، شرًّا كان النصيب أو خيرًا .

وقال الزمخشري في تفسير الكشاف:

هذا تمثيل ، أصله : السقاة يقتسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب . ا هـ .

والخلاصة:

سيقتسم كفار مكة نصيبهم من العذاب.مثل أصحابهم المكذبين ، فلا يقمجلون هذا العذاب ، فإنه قادم لا محالة ، وإن الله لا يعجل لعجلة العباد ، ولا يعركه العجز عن تتفيذ ما أراد .

وهذا جواب عن قولهم: فَأَتِنَا بِمَا تُعِدُنَّا إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّلَاقِينَ , (هود: ٣٧) .

ونحو الآية قوله تعالى : أَتَى أَمْرُ ٱللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ ... (النمل: ١) .

٩ - فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ .

تختم السورة بذكر الهول والويل الذي ينتظر هؤلاء الذين كغروا بربهم ، وكذّبوا نبيهم ، والويل وان في جهنم ، بعيد غوره ، شديد عذابه ، وسيدركهم العذاب في اليوم الموعود ، وهو يوم القيامة ، وقال بعضهم : اليوم الموعود يوم بدر ، حيث قتل رؤوس الكغر ، وأسر صناديد مكة ، وهرّ الباقون ، وأصناب الذلّ والعار أهل مكة ، وانتصر الإسلام انتصارًا عظيمًا ، وأرى أنه لا مانم أن يراد بالآية عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، والله أعلم .



خلاصة ما تضمئته سورة الداريات

١ - دلائل البعث من العجائب الطبيعية والعلوم النفسية .

٢ - جزاء المتقين بما يلقونه من النعيم يوم القيامة .

٣ - أغيار الأمم السابقة التي كذبت رسلها.

أ - تسلية الرسول ﷺ على ما يلقاه من أذى قومه .

٥ -- القرار إلى الله من هذه الدنيا المحقوقة بالمخاطر.

٦ - النهي عن الإشراك بالله.

٧ - إخبار الرسول الأمين بأن قومه ليسوا ببدع في الكفر والتكذيب ، فقد كُذبت الرسل من قبله .

٨ - أمره على بالإعراض عن الكافرين ، وتذكير من تنفعه الذكري من المؤمنين

٩ - ما خلق الله الجن والإنس إلا لعبادته ومعرفته.

١٠ ~ وعيد الكافرين بأن العذاب سيحلّ بهم يوم بدر ، أو يوم القيامة ، أو فيهما ممّا .

١١ -- إن المشركين سينالهم نصيب من العذاب مثل نصيب نظرائهم المكذبين ٢٠٠١.

* * *

وكان القراغ من تفسير سورة (اللهاريات) ظهر يوم الإثنين ٦ من جمادى الأولى سنة ١٤٢١ هـ ، الموافق ٤/٩/٠٠٢ م ، والحمد لله الذي ينعمته تتم الصالحات .



أهداف سورة الطور

سورة الطور مكية، وإيانها 14 آية، نزلت بعد سورة السجدة، وهي سورة ترج القلب البشري رجًا، بإيتاعها الغري وهواصلها القصيرة، وتأثيرها هي النفس والحس، واستشلالها مشاهد التاريخ ومظاهر الكون للتدليل على الوهية الخالق، وعظيم قدرته.

القسم في صدر السورة

وَالطَّوْرِ: الجبل فيه شجر، والأرجع أن المقصود به هو الطور المعروف هن القرآن، وهو الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى عليه السلام، وتلقى عند، تماليم السماء، قال تمالى: وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنْهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَمُولًا نُبِّا هِ وَلَاذِينَاهُ مِن جَالِبِ الطُّورِ الْأَيْسَ وَقَرْبَاهُ نَجِها . (مريم:١٥، ٥٦).

وكتاب مسطور : الأقرب أن يكون كتاب موسى الذي كتب له هي الألواح للمناسبة بينه وبين الطور.

وقيل: هو اللوح المحفوظ تمثيها مع ما بعده، وهو البيت المعمور والسقف المرفوع، ولا يمتنع أن يكون هذا هو القصود.

وَٱلْبَيْتِ الْمُعْمُورِ : قد يكون هو الكعبة فهي عامرة بالطواف حولها في جميع الأوقات.

وقيل: هو بيت في السماء حيال الكمية يدخله كل يوم سيمون الفا لا يمودون إليه، بل يدخل غيرهم في اليوم الثاني (١١).

وذلك يرمز إلى كثرة الملائكة وهم خلق مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وَالسُّقْفِ الْمَرْقُوعِ : هو السماء.

وهَد نسب ذلك إلى سفيان الثوري، عن الإمام علىّ رضى الله عنه، وهال تمالى: وَجَمَلُنَا السُّمَاءَ سَقُفًا مُعَوُّظٌ وَمُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ . (الانبياء: ٣٣).

وَٱلْبَحْرِ الْمَسْجُورِ : المملوء، وهو أنسب شيء يذكر مع السماء في مشهد، في انفساحه واعتلاله وامتداده.

وقد يكون معنى، الْمَسْجُورِ: المُتقد، كما قال تعالى هي سورة اخرى: وَإِذَا البِّحَارُ سُجِّرَتُ . (التكوير: ١)، أي: توقدت نيرانا عند نهاية الحياة، وذلك يمهد لجواب القسم، وهو: إِنَّ عَلَابَ رَبِكَ لَوَاقِعٌ هَا لَهُ مِن دَافِعٍ (العاور: ٨.٧)

وقد سمع عمر رضى الله عنه هذه الآية ذات ليلة هتاثر بها واشتد خوفه، وعاد إلى بيته مريضا، ومكث شهرا يعوده الناس لا يدرون مرضه.

وعمر رضى الله عنه سمع السورة قبل ذلك وقرأها وصلى بها، هقد كان رسول الله ﷺ يصلى بها المغرب، ولكنها في تلك الليلة صادفت من عمر قلبا مكثرونا، وحسا مفتوحا، فنفذت إليه.

يَوْمَ تُمُورُ السُّمَاءُ مَوْرًا ﴿ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا . (الطور: ١٠٠٩).

ومشهد السماء الثابتة المبنية بقوة وهى تضطرب وتتقلب كما يضطرب الموج فى البحر من هنا إلى هناك بلا قوام، ومشهد الجبال الراسية الصلبة تسير خفيفة رقيقة لا ثبات لها ولا استقرار أمر مذهل مزلزل، من شانه أن يذهل الإنسان.

وهي آيات أخرى ذكر القرآن أن السماء تتشق على غلظها، وتتعلق الملائكة بأطرافها، كما ذكر اضطراب الكن وسائر الموجودات هي يوم القيامة.

إن ظلوب أهل مكة التي جعدت الآخرة، وانكرت البعث والجزاء تحتاج إلى حملة عنيفة يُضّمه الله فيها بمقدسات في الأرض والسماء - بعضها مكشوف معلوم، ويمضها مغيب مجهول - على وقوع العذاب يوم القيامة وسمل مشهد هائل ترتج له الأرض والسماء: يُرْمُ تُبدُّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضُ وَالسَّمَّوَاتُ وَبَرْزُوا لِلَّه الْوَاحِد الْقَهَارِ.

وهي وسط هذا المشهد المفرع نرى ونسمع ما يزلزل ويرعب من ويل وهول وتقريع وتفزيع.

إن المجرمين يساقون سوقا إلى جهنم، ويدفعون في ظهورهم دفعا حتى إذا وصل بهم الدفع إلى حافة النار قبل لهم: هذه هى النار، فهل هى سحر كما زممتم إن القرآن سجر وأن محمدًا سلحر، أم أنها الحق الهاكل الرفيب؟ أم أنكم لا تبصرون النار كما كنتم لا تبصرون الحق هى القرآن؟

نعيم الجنة

من شان القرآن أن يقابل بين عداب الكافرين ونميم المتقين، وفي الآيات (٧١ – ٢٨) نجد حديثا عن الوان التكريم التي يتمتع بها المتقون، فهم هي للجنات يتمتمون بألوان اللذائد الحصية والمعنوية، وقد آلحق الله المذرية بالآباً، إذّ اشتركوا ممهم في الإيمان وقصرواً عنهم في العبادة والطاعة.

أدلة القدرة

وهي الجزء الأخير من المدررة نجد الآيات لها وقع خاص، ورنين بأخذ على النفس البشرية كل انحاثها، ويجبه المذكرين بالمديد من الحجج، ويستقهم منهم بطريقة لاذعة مناخرة لا يملك أى منصف ممها غير التسليم.

والآيات تبدأ بترجيه الخطاب لرسول الله ﷺ أن يبلغ الدعوة، فهو أمين على وحى السماء، بعيد عن الاتهام بالكذب والجنون، وتسرد الآيات اتهام الكفار له بأنه شاعر أو متقول، ادعى القرآن من عند نفسه ونسبه إلى الله، فتطلب منهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن إن كانوا صادقين في دعواهم.

وتمرض امامهم آدلة القدرة، شهل خُلقوا من غير خالق، أم خُلَقوا أنفسهم؟ وإذا انتضى ذلك لم بيق إلا احتمال ثالث وهو أنهم خُلِّق الله.

ويتوالى هذا الاستفهام الإنكارى يقرعهم بالحجة بمد الحجة، وبالدليل تأو الدليل:

فهذه السماء المالية من خلقها؟ هل هم خلقوها ؟

وهل تطلب منهم يا محمد أجرًا على تبليغ الرسالة ؟

وهل يملكون أمر الفيب، وأمر الفيب لا يطلع عليه إلا الله؟

وهل لهم إله آخر غير الله يتولاهم؟ تنزه الله عن شركهم.

وعندما وصل جعودهم وعنادهم إلى هذا الحمد من الفلو في الباطل أمر الله رسوله أن يعرض عنهم ويتركهم حتى يلاقوا مصيرهم، وفي هذا اليوم لا ينفعهم كيدهم، ولا تنجيهم مؤامراتهم التي بيتوها بليل، إن لهم عذابا شديدا في الدنيا فضلا عن عذاب الآخرة.

وفي ختام السورة إيناس رخيّ رضيّ للنبي الكريم ﷺ، فهو في عناية الله، وتحت عينه ورعايته، ومن وجد الله وجد كل شيء.

وإذا العناية لاحظتك عيمونها تسمر فالخاوف كلهن إمان

قال تمالى: وأصبر لحكم رَبَكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيِنِنَا . . (الطور ٤٨٤).

أى: في رعايتنا وجميل عنايتنا.

ملامح السورة

- من الملامح الرئيسية لسورة الطور ما يأتى:
- ١ أقسم الله بمخاوفات لبيان شرفها وفضلها، وأكد بهذا القسم مجيء القيامة ووقوع المذاب.
 - ٢ وصفت السورة حال المتقين وما ينالهم من نعيم حسى ومعنوى.
 - ٣ ساقت حشدا من الأدلة على وجود الله وعظيم قدرته.
- هندت حجج المشركين، ودحضت مزاعمهم باقوى الأدلام حيث إن الكون العظيم لابد له من خالق عظيم، أما
 هم وآلهتهم العاجزة عن نفعهم وضرهم فلم يخلقوا شيئا.
 - ٥ في ختام السورة أمرت الرسول ﷺ بالصبر، وبينت أنه في رعاية الله وعنايته.

القسم في صدر السورة، والتحدي



﴿ وَالْتُلُورِ ۞ وَكُنْبِ مَسْطُورِ ۞ فِي رَفِّ مَنْشُورِ ۞ وَالْبَنْتِ الْمَعْمُورِ ۞ وَالسَّقْفِ
الْمَرْفُعِ۞ وَالْبَحْرِ الْمَسْعُورِ ۞ فِي رَفِّ مَنْشُورُ ۞ مَالَدُ مِن دَافِعِ ۞ بَوْمَ مَثُورُ
السَّمَلَةُ مَوْرًا ۞ وَتَسِيرُ الْمِجَالُ مَنْزَلُ ۞ فَوَقَلُ يَوْمَ لِللَّهُ كَذِينِ فَصَالِينَ هُمْ فِي
السَّمَلَةُ مَوْرًا ۞ وَتَسِيرُ الْمِجَالُ مَنْزَلُ ۞ فَوَقَلُ يَوْمَ لِللَّكَذِينِ وَ ۞ اللَّينَ هُمْ فِي
خَوْضِ يَلْعَبُونَ ۞ أَفَسِحُ هُلَا أَمْ الشَّدُ لا نُبْصِرُونَ ۞ أَصْلَوْمَا فَأَصْبُرُوا أَوْلاَتَسْبُوا
سَوَاهُ عَلَيْكُمْ إِلَى الْمُرْوَدُ ۞ ﴾
سَوَاهُ عَلَيْكُمْ إِلَيْكُ الْمُرْوَدُ ۞ ﴾

المفردات،

المستط موسى عليه المالام.

كتساب مسطور ما كُتب من الكتب السماوية على وجه الانتظام، كالتوراة والإنجيل والقرآن.

المسسسسة، جلد رقيق يكتب فيه، أو كل ما يكتب فيه.

منشمون ميسوط ظاهر.

والبيت العمون هو بيت في السماء السابعة حيال الكعبة اسمه الضُّراح، وقيل: الكعبة.

والمستقف السماء.

والبحرالمسجود البحر الماوه، وقيل في البحر المعجور: الموقد المحمى، من سجر التار، أي: أوقدها، وعنى به باطن الأرض، فالأرض كرة كالبطيخة، قضرتها هادئة محكمة الإغلاق على ما تحتها، وتحت القضرة نار عظيمة، ومن حين إلى آخر تظهر الزلازل والبراكين التى تبتلع البلاد، أو تمطرها بالحمم والنيران، وقيل؛ هو الملوء نارًا يوم القيامة.

المسواة مسع، لنازل وكاثن على شدّة.

تمسسبب ون تضطرب، أو تدور كالرَّحى،

لهى خسسوف، في اندفاع عجيب في الأباطيل والأكانيب، وإصل الخوص: المشى في الماء، ثم استعمل في الشورع في كل شيء، وغلب على الخوص في الباطل، قال تعالى: و وَخُفتُم كَاللَّذِي ﴿ الْحُولِ... (التربية: ١٩).

اصطعماء ادخلوها وقاسوا حرها وشدائدها.

تمهيد،

أقسم الله تعالى في بداية سورة الطور بثلاثة أشياء، كل وأحد منها أشارة إلى رسول من رسل ثلاثة، هم: موسى، ومحمد، ويونس.

فالطور هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى، وأعطاه التوراة.

والبيت الممور إشارة إلى الكمية، أو إلى بيت في السماء السابعة حيال الكمية، يدخله كل يوم سبعون الف ملك للطواف والصلاة، لا يمودون إليه إلى يوم القيامة، ويجوار البيت الحرام ولد محمد ﷺ، وقد أهمم الله بالبيت الممور، وبالسقف المرفوع وهو السماء تعظيما لقدر محمد ﷺ.

كما أقسم بالبحر المنجور، المحبور، المحبوس عن إغراق الأرض، أو البحر الذي هو قضرة باردة، وتحته نار مستمرة، والبحر إشارة إلى يونس عليه السلام الذي هرب من قومه وركب سفيفة، ثم أوشكت على الفرق فعمدوا إلى قرعة لياقوا هي البحر رجادً من آهل السفينة، فخرجت القرعة على يونس، وهي ظلام البحر، وظلام النفس، وظلام الحوت، نادي هي الظلمات أن لا إله إلاً أنت سبحانك، إنى كنت من الظللين.

وقد أقسم الله على أن القيامة قادمة، وأن المذاب للكافرين واقع ما له من دافع.

وهى ذلك اليوم يغطُّ نظام الكون، فتمور السماء وتدور كما تدور الرحى، وتسير الجبال وتصبح رمادًا مبحرًا، وهى ذلك اليوم يشتد المذاب بالكافرين، ويقرَّعون باللوم والمتاب.

التفسير

١ - وَالطُّورِ .

أقسم الله في صدر السورة بعدة أشياء، وجواب القسم: إنْ عَذَابَ رِبُكُ أُوافَعٌ ﴿ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ . (الطور: ١٨). والطور هو الجبل الذي كلّم الله عليه موسى ، مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقَعَةِ الْجَارِكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ...
والطور هو الجبل الذي كلّم الله عليه موسى ، مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقَعَةِ الْجَارِكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ...

وقال عز شانه: وَمَا كُنتَ بِجَانبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ... (التمسى: ٤١)

٢ - وكتاب مسطور.

أقسم بجنس الكتاب السماري الذي انزله من السماء، وأمر بكتابته بالقلم هي سطور متتابعة منتظمة. تتكون دستورا للمياد، ونظامًا ينفعهم هي حياتهم وأخرتهم، ويشمل ذلك النوراة والإنجيل والقرآن.

٣ - في رَقَ مُنشُورٍ .

الرُّق ما يكتب هيه، جلدًا أو غيره، ونشره بسطه وظهوره للنامر، يرجعون إليه ويهتدون بهديه، ويقرأونه بسهولة ويسر، ويطلمون على ما شهه من حكم وأحكام، وآداب وأخلاق.

٤ - وَٱلْبَيْتِ الْمَعْمُورِ .

هو الكنبة المُشرِّقة، يقد إليها الحجاح والممّار، للطواف والصلاة والاعتكاف، كما يعموها المجاورون لها، تبركًا بالمبادة فيها، وطلبا للقبول عند الله.

واختار بمض المفسرين أن البيت المعمور هو بيت في السماء حيال الكعبة، عامر بطواف الملائكة.

قال ابن كثين

ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ، قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته للسماء السابعة: دثم رُفع بي إلى الهيت للمعور، وإذا هو يدخله كلّ يوم سيمون الشّا لا يعودون إليه، (١٦).

فهو في السماء يتعبد فيه الملائكة ويطوفون به، كما يطوف أهل الأرض بكميتهم.

٥ - وَالسُّقْفِ الْمَرْقُوعِ .

وهو السماء، رفعها الله ممتدة عالية زرقاء، مزينة بالنجوم، ليس فيها خلل أو اضطراب.

قال تمالى: وَجَعَلْنَا السُّمَاءَ سَقَفًا مُعْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرضُونَ . (الانبياء: ٢٢)

٣ - وَٱلْبَحْرِ الْمَسْجُورِ .

والبحر المحبوس من أن يفيض، فيفرق جميع ما على الأرض، ولا يبقى ولا يذر، من حيوان ونبات فيفسد. نظام المالم.

ويجوز أن يكون المعنى: والبحر الذي هو كالقشرة الظاهرة، وتحته نار تتأجج.

وهي يوم القيامة تسجُّر البحار، فتصبح نار الله الكبرى، قال تعالى: وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ. (التكوير: ١)

٧ ، ٨ - إِنَّ عُذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِن دَافِعٍ .

هذا هو جواب القعم، فقد اقسم الله بالطور وما بعده على أن عذاب الله يوم القيامـة واقع ونازل بالكذبين، ولا يجدون وسيلة لدفع هذا المذاب، ولا يجدون منه مهريا، وفي ذلك اليوم يختل نظام الكون، فتنشق السماء على غلظها، وتتعلق الملائكة بأطرافها.

قال تعالى: وَيَوْمَ تَشَقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُوِلَ الْمَلاَكَةُ تَوْبِلاً ﴿ الْمُلْكُ يُومُّئِذُ الْحَقُ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا. (الفوقان: ٢٥، ١٦)

٩ ، ١٠ - يَوْمُ تَمُورُ السَّمَاءُ مَرْزًا ﴿ وَتَسِيرُ الْحِبَالُ مَيْرًا .

عند نهاية الحياة يختل نظام الكون، ويفقد تماميكه، فتنشق المساء، وتضطرب اضطرابا شديدا، وتدور كالرجي، ويموج بعضها في بعش.

وَتُسيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا .

تسير الجبال من أماكنها كسير السحاب، وتُفتت كالرمل، ثم تصير كالمهن (الصوف المندوف)، ثم تطيرها الرياخ فتكون هباء منفوراً.

قال تمالى: وَسُيْرَت الْجَبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا. (التها: ٢٠)

وقال عز نسانه: و وَرَى الْجِيَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِي تَمُو مَرْ السَّحَابِ صَنْعَ اللهِ الذي اتْقُن كُلُّ شَيءٍ إِنَّهُ خَيِّرٌ بِما تَفْعُلُونَ . (النمل: ٨٨)

١١ ، ١٢ - فَوَيْلٌ يَوْمَعَد لِلْمُكَدِّبِينَ * اللَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضِ يَلْفَبُونَ .

فى ذلك اليوم الذى تضطرب فيه المساء، وتُسيَّر الجبال، هلاك وعذاب شديد يومثد للمكتبين بالرسل، والمكذبين بالكتب السماوية، الذين يخوضون فى الباطل، ويتشاغلون بكفرهم عن الحساب والجزاء.

١٤ ، ١٢ - يَوْمَ يُدَعُونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَّا * هَذه النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تَكَذَّبُونَ .

يوم يدفعون إلى جهتم دهما عنيضا، بأن تغلّ أيديهم إلى أعناقهم، وتُجمع نواصيهم إلى أقدامهم، فيدهعون إلى النار دفعا على وجوههم.

هَده النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذَّبُونَ .

أي: تقول لهم خزنة جهام تقريما وتوبيخا لهم على كشرهم وإنكارهم عذاب جهام، هذه النار التي تشامدونها هي التي كنتم تكذبون بها هي الدنيا، 'وتكذيبكم بها تكذيب للرسول وللوحي الناطق بها،

١٥ - أَفْسحرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ .

استفهام قصد به التقريع والتوبيخ والتوكّم، وذلك لأن الكفار كانوا يقولون من الرسول 籌: إنه ساحر مبين، فقيل لهم أمام جهنم: هل هذه النار سحر وخيال لا حقيقة لها كما كنتم تقولون عن محمد إنه ساحر؟ أم عميت عورتكم عن مشاهدة جهنم، كما عميت قلوبكم في الننيا عن مشاهدة الوحي والإيمان به ؟

والخلاصة: هل في المرئي شك، أم في أبصاركم علل ؟ لا واحد منهما بموجود، فالذي ترونه حق.

١٦ - اصْلُوهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .

ادخلوا جهنم واصطلوا بنارها، وتعذّبوا بمنابها، والصير وعدمه سواء، كما قال سبحانه حكاية عنهم: سُواهُ عَلَيْنًا أَجْرُ عَنَا أَمْ صَبَرُ نَا مُلَّا مِن مُّعِصِ . (إبراهيم: ٢١)

فلا مهرب لكم من النار، ولا مخرج لكم من العذاب، وهذا العذاب جزاء أعمالكم في الدنيا، إن خيرا فغير، وإن شرا فشر، ولا يَقْلُم رَبُّكَ أَحَدًا . (الكيف: ٤٩)، بل يجازي كلّ أحد بعمله.

ونلاحظ أن الصبر في الدنيا له ثواب في الآخرة، وهو محمود عند الناس، فيقال للصابر: ما أشجعه، أو ما أقرى إيمانه، أو ما أثبت يقيّله، ويقال لن أصابه الجزع والهلع: إنه يجزع كالنسوان والصبيان.

وقد ذكر الصدير في القرآن في أكثر من سبمين موضعا، وحث عليه القرآن، وبيّن فضله وأوابه، أما في الآخرة، فإن صبير الكافر على عذاب جهنم، أو عدم صبره لن ينقده من المذاب.

قال الزمخشرى:

وقوله: إنَّمَا تَجْزَرُنْ مَا كَتُمْ تَعَمَّلُونَ . تعليل للإستواء، لأن الصبر يكون مزية على الجزع، لنفعه في الماقبة، بإن يجازى عليه الصابر جزاء الخير، فأما الصبر على العذاب – الذي هو الجزاء – ولا عاقبة له، ولا منفعة فيه، فلا مزية له على الجزع- آ ، ه..

والخلاصة

إن الجزاء محتم الوقوع، لِمِنبَق الوعيد به في الدنيا على السنة الرسل، ولقضاء الله به بمقتضى عدله، فالصير وعدمه سيَّان حينتُذ.

نعيم أهل الجنة

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَّقِينَ فَي جَنَّتِ وَنَعِيدٍ ۞ فَكِهِينَ بِمَاءَ النَّهُمْ رَثَّهُمْ وَوَقَنَهُمْ رَثُهُمْ عَذَابَ الجَنِيدِ ۞ كُلُوا وَاشْرِيُوا هَنِيتَنَا بِمَا كُنتُرَ تَعْمَلُونَ ۞ مُتَكِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَقِيَّسُنَهُم بِحُورِعِينِ۞﴾

المفردات

فيساكس هزن طبية نقوسهم، متلذَّذين ناعمين،

ووقـــاهم، وحفظهم.

هني الطمام الهنيه: ما لا يلحق المرء فيه مشقة، ولا يعقبه تخمة ولا منقم.

رُوج تساهم، قربّاهم.

اله الم المرابع واحدثهن حُوّراء، من الحَوّر، وهو شدة بياض المين، في شدة سوادها.

المعان واسعة المين.

تمهيده

يصف القرآن الجنة ونميمها للمنوى والحسن، هالتقون هي جنات ونميم ملحوظ يتمتمون بالنبيم الحسن، وبالرضاء والبمد عن الثار، ويقال لهم: كلوا واشربوا هنينًا مربشًا، بلا تمب ولا أنم، مستربيعين على الأسريًّة المنظمة، متزوجين من الحور المين الجميلات واسمات الميون، السميدات بأزواجهنً، لا ينظرن إلى غير أزواجهن.

التفسين

١٧ – إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَتَعِيمٍ .

من شأن القرآن إن يتحدث عن عذاب الكافرين، ثم يعتّب بنعيم المؤمنين، وفي هذا شدة مذاب للكافرين وشدة نميم للمتقين، حيث يشاهد الكافرين أن المتقين في نميم متمدد الأنواع والأجناس، وحيث يشاهد المتقون أن الله قد عافاهم من عذاب الجعيم، ويضدّها تتميز الأشياء.

ومعنى: إِنَّ الْمُثَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ .

إن الذين اتقوا الله وراقبوه، وأطاعوا أمره، واجتبوا معاصيه، يدخلهم الله جنات عظيمة، هيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر٬ يتمتمون فيها بنميم عظيم دائم، وراحة بال، ويجدون فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلدَّ الأعين، وهم فيها خالدون. ١٨ - قَاكُهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ .

فَّاكِهِينَ . أي: حال كونهم مسرورين راضين، متمتدين بما أعطاهم الله من فضله، فهم يتمتعون بالجنَّات والتمهم، ويَمتمون بالسعادة الداخلية، والرضا بعطاء ربهم، كما قال سبحانه وتعالى:

رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لَمَنْ خَشْيَ رَبُّهُ . (البينة: ٨)

وتعمة أخرى تضاف إلى التعيم وإلى الرضاء تلك هى تعمة حفظ الله لهم من التار وعذابها وجحيمها، وغضب الجبار على أهلها.

كما قال سبحاته: فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَنَابِ السُّمُومِ . (الطور: ٢٧)

ومن دعاء عباد الرحمان: والذين يَقُولُونَ رَبّنا اصْرِفْ عَنَا عَذَابَ جَهِيْمَ إِنْ عَدَابَهَا كَانْ هَرَامًا ﴿ إِنَّهَا سَاعَتُ صُسَقَراً ومُقَامًا . (الدوقان:١٥٠)

١٩ – كُلُوا وَاشْرُبُوا هَنيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .

اى: يقال لأهل الجنة تكريما وتعظيما وتعميمًا نهم: كلوا أكلا هنيئا، واشريوا شريا هنيمًا، تكون فيهما هناءة وسعادة هناءة الجميم، وسعادة النصر، بلا مرض ولا تدب ولا وخم، ولا عاقبة سيئة، ولا خوف ولا حزن، بل هناءة وسعادة وطرح وجبور، ونضارة وأمن جزاء ما قدمتم هى الدنيا من المبادة والصلاح، والاستقامة على الجادة، والبعد عن الشيفات، واحتلف المحرمات.

قال الشيخ احمد مصطفى الراغي في تفسير الراغي:

وهى قوله: «فينًا . إشارة إلى خلو الماكل والشارب مما ينفُصهما، فإن الأكل قد يخلف المرض هلا يهنا له الطمام، أو يخلف النشاد فيحرص علهه، أو يتعب هى تحصيله وتهيئته بالطبخ والإنضاج، ولا يكون شىء من هذا هى الأخرة. 1 . هـ .

٧٠ - مُتَكِتِينَ عَلَىٰ سُرْرٍ مُصْفُوفَة وَزَوْجْنَاهُم بِحُورِ عِينٍ .

هى حالة استرخاه وخلو بال، وتمتع بنعهم الجنة، ويزوجات جميلات واسمات العيون، كل واحدة منهن سوداء المقلة، ممتعة لزوجها، عاشقة له، قاصرة الطرف عليه.

قال الفسرون:

قالاً سرّة التي يجلسون عليها قد اصطفت بجوار بعضها، وهم يجلسون عليها جلسة المتكن الذي لا كلفة عليه، ولا تكلفُ لديه، فأن من يكون عنده من يتكلَّف له يجلس ولا يتكنُّ، ومن يكون في مهم لا يتضرع للاتكاء، فحال أهل الجنة حال اطمئنان، ورفع كلفة وخلوً بال، ونحو الآية قوله تمالى: عَلَىْ سُرُرُ مُقَّالِهِانُّ . (الساخات، 11)

إكرام الذرية وجمعهم مع آبائهم

﴿ وَالَّذِينَ عَامَنُواْ وَاَنْتَعَلَّمُ ذُرِيَتُهُم بِإِيعَنِ ٱلْحَقْنَا بِمِ ذُرِيَتُهُمْ وَمَاۤ اَلْنَنَهُم مِنْ عَلَيهِ مِيْنَ عَيْهِ كُلُّ اَمْرِي عِاكَسَبَ رَهِينٌ ۞ وَأَمَدُ ذَنَهُم بِفَكِمَهِ وَوَلَحْمِ مِمَّا يَشْنَهُونَ ۞ يَنْتَرَعُونَ فِهَا كَأْمَا لَا لَغُرُّ فِيْهَا وَلا تَأْلِيدٌ ۞ ﴾

المفردات

ومصا التناهم، وما انقصنا الآباء بسبب إلحاق الأبناء بهم.

وأمسسددناهم، زدناهم.

ممايش تهون من صنوف النعماء، وضروب الآلاء.

يتنازه وسرور

كسسساسسا؛ إذاء به خمر، والكأس مؤنث سماعي كالخمر،

لا تفسو فيسهدا، أي في شرابها، فلا يتكلمون في أثناء الشراب بلغو الحديث ومنقَط الكلام.

ولا تسائسيسم؛ ولا يُفحشون في القول، كما هو ديدن النَّدامي في الدنيا، فإنهم كثيرو اللغو، فمَّالون للآثام.

تمهيده

هذه ألوان من نعيم الجنَّة، ومنها نعيم الأنس بالنزية الصالحة، إذا اشتركت مع الآباء في الإيمان، فإن الله يلحق الأبناء بالآباء في الجنة، لقرّرًا أعينهم بهم، ويانسوا باولادهم، ولا يُقص الآباء عن درجتهم.

ويمدُّ الله أهل الجنة بالفاكهة واللحم مما يشتهون، ويتجاذبون كثوس الخمر تَجَاذُبِنَ طُرُّفة ومحبة، بلا ساقمه من الكلام، ولا ارتكاب إللم، كشأن ندامي الخمر هي النئيا .

التفسير

٢١ - وَاللَّذِينَ آمنُوا وَاتَّبَعْتُهُمْ ذُرِّيتُهُم إِيمَانَ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرْبَتُهُم وَمَا ٱلنَّناهُم مِنْ عَمَلِهِم مِن شَيْءٌ كُلُّ أَمْرِئ بِمَا
 كَسَبَ رَهِينٌ

نوع من أنواع الفسطل الإلهى على أهل الجنة، فإذا كنان الآباء في الدرجنات العليا من الجنة، والابناء اشتركوا معهم في الإيمان، وقصروا عن الآباء في الأعمال المسالحة، فإن الله تعالى يتفضل على الآباء بان يرفع درجات الأبناء في الجنة، ويلعقهم بآبائهم، لتقر عيونهم بهذا الاجتماع الأسرى، وجَمع الشمل بين الإنسان وآبائه وأبنائه، ولا ينقص الآباء من درجائهم شيئا، لأن الآباء قد عملوا أعمالا أهلتهم للدرجات العليا.

كُلُّ امْرِئِ بِمَا كُسَبَ رَهِينٌ .

أى: كل إنسان مرتبط بعمله، فهو الذي يرفعه وهو الذي يخفضه، وليس من العدل أن ينقص الأب درجة من أجل ابنه .

فائله تمالى عامل الأبناء بالفضل ورفع درجتهم، وعامل الآباء بالعدل وأبقاهم هى المنزلة العليا في الجنة. حكمة منه ، عدلا ، فضلا وأحساناً .

قال ابن عباس:

إن الله نيرفع ذرية المؤمن في درجته، وإن كانوا دونه في المنزلة، لتقرُّ بهم عينه، وقرأ الآية.

(رواء الحاكم، والبيهقي هي سننه)

وهى رواية الطبراني، وابن صردويه، عن ابن عباس أنه شال: إن النبي ﷺ قال: اإذا دخل الرجل الجنة، سأل عن أبريه وزوجته وولده، فيقال له: إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك، فيقول: يا رب، قد عملت لى ولهم، فيؤمر بإلحاقهم به، وهزا ابن عباس الآية: وَالَّذِينَ آشُوا وَأَبْعَتُهُمْ ذُرِيّتُهُمْ بِإِيَّانِ أَلْحَقَّنَا بِهِمْ ذُرِيَّتُهُمْ وَمَّ أَلْعَالُمُمْ مِّنَ عَمْهُمٍ مَنْ شَيِّمٌ كُلُّ أَمْرِيْ بِمَا كَسَبَ وَهِيْنٌ.

والآية على ما ذهب إليه كثير من المسرين في الكبار من الذريّة دون الصفار.

وروى عن ابن عبـاس والضحـاك وغيـرهم أنهم قالوا: إن الله يلحق الأبناء المسغار، وإن لم يبلغـوا زمن الإيمان بآبائهم المؤمنين، كما يلحق الكيار المُكلِّدين المؤمنين الذين لم يبلغوا درجة آبائهم هي العمل المسالح والبعد عن الماصى، يلحقهم بآبائهم هي درجتهم هي الجنة، إكرامًا لهم ولتكمل يهم مسرتهم. آ . هـ .

ورحمة الله واسعة، وفضله كبير، وكان بالمؤمنين رحيما.

٢٢ – وَأَمْدُدُنَّاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمًّا يَشْتَهُونَ .

زودناهم بفاكعة كثيرة، ولحم كثير مما يشتهونه، ويستطيبونه ويستحسنونه، وإن لم يقترحوا ولم يطلبوا، وبكّر الفاكهة واللحم دون أنواع الطعام الأخرى، لأنهما طعام المترفين هي الدنيا.

٢٣ – يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لاَ لَفُوٌّ فِيهَا وَلا تَأْلِيمٌ .

يتجاذبون في الجنة كأس الحمر تَجَاذُبُ ملاطفة وفرح وحُبور، فيما بينهم لشدَّة سرورهم.

كما قال الأخطل:

صاح الدجاج وحانت وقعة الساري

نازعته طيب الراح الشعول وقد

. وليس في شـراب الجنة ما في العنيا من اللغو والباطل والإثم، عند زوال العقل بعبه، الخمـر؛ وإنّما ينطقون بالحكم وأحاسن الكلام، ويضطون ما يضمل الكرام، وقد مدح الله خمـر الجنة بأنها لذة، وأنها لا تغتال عقول شاريبها، وأنها لا تقد، وأن شكلها أبيض جميل، وأنها لذيذة الطمم.

هَالِ تمالى: بينضاء للذَّة لِلشَّارِبِينَ * لا فيها غُولٌ ولا هُمْ عَنْهَا يُنزِفُونَ . (الصافات: ٤٦,٤٦)

وقال تمالى: لا يُصَدُّعُونَ عَنهَا وَلاَ يُنْزِقُونَ . (الواضة: ١٩)

* * *

ألوان أخرى من نعيم أهل البعنة

﴿ وَيَهُوفَ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ أَوْلُوْ مَكُونٌ ۞ وَأَفْلَ بَعْضُهُمْ طَلْبَعْضِ يَسَاءَلُونَ ۞ وَلَقْلَ اللهُ عَلَيْنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۞ قَالْوَ إِنَّا كَنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۞ قَالْوَ إِنَّا اللهُ عَلَيْنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۞ إِنَّا كَنَا عِنْ قَبْلُ نَدَّعُوهُ إِنَّهُ مُواللهِ ٱلرَّيْدِ فَ۞ ﴾

المفردات:

خلم ان مماليك مختصون بهم.

مسكسلسون، مصون في أصدافه، ثم تتله الأيدى، فهو يكون أبيض صافى اللون،

م .. ش .. ش .. قاد القادب من خشية الله،.

فسمنُ الله علينا: فتفضل عاينًا كرمًا منه.

الســـمــوم، الثار الشديدة الحرارة، وسميت سموما لأنها تخترق مسام الجلد.

البيسيسين الواسع الإحسان،

تمهيده

هذه ألوان أخرى من نعيم الجنة، وتفصيلُ ألوان هذا النعيم، ومن ذلك ما يأتى:

 (1) يقوم على خدمتهم غلمان دون البلوغ، هى صفاء اللؤلؤ المحفوظ الذى لم تلمسه الأيدى، وإذا كان هذا جمال الخادم، فما بالك بجمال المخدوم.

(ب) التفكُّه والتلذذ بالحديث مع بعضهم البعض، عما كان منهم في الدنيا.

(ج) كانوا بين أعليهم سعداء باجتماع الشمل، لكنهم كانوا مشفقين من عذاب الله، فلم يقترفوا المعاصى، ولم
 يتجاسروا على اقتراف الكبائر، خوفا من الله.

- (د) تمضل الله عليهم بمنّه، وأدخلهم الجنة برحمته وفضله، فإنه هو الذى وفقهم لـلاستقامة والممل الصالح. وهو الذى يضاعف لهم الجزاء فى الجنة.
 - (هـ) حفظهم الله من عذاب النار، الذي يدخل في مسام الجسم؛ لذلك سمى بالسموم،
 - (و) لقد كانوا محافظين على دعاء الله، والتبتل إليه وعبادته، إنَّه رحيم متفضل على عباده.

التفسير

٢٤ - ويَطُوفُ عَلَيْهِمْ غَلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُوا مُكْتُونٌ .

ومن نميم إهل الجنة أن يقوم على خدمتهم غلمان دون البلوغ، مختصون بخدمتهم، هؤلاء الفلمان هي صفاء اللؤلؤ الحفوظ المسون هي صدفه، صفاءً وبياضًا وتقاء ونفاسة.

وإذا كان الخادم هي هذه الدرجة العالية من الجمال والتقاء، هما بالك بالخدوم، والدرجة العليا التي متمه الله بها.

أخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنزر، عن فتادة، قال: بلننى أنَّه قيل: يا رسول الله، هذا الخادم مثل . اللؤلق فكيف بالمجدوم؟ فقال ﷺ: دوائدى نفسى بيده إن هضل ما بينهم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب،.

ونحو الآية قوله تعالى: يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانَ مُخَلِّدُونَ * بِأَكُوابُ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسِ مَن مُعين . (الواهمة: ١٨.١٧)

٢٥ – وَٱقْبُلَ بِمُصْهُمْ عَلَىٰ بَمْضِ يَتَسَاءَلُونَ .

يشتاق أهل الجنة إلى الإخوان، والحديث ممهم، هيتحرك المدرير بأحدهم ليكون في مواجهة أخيه، فيتذاكرون ما كان في الدنيا، ويتساءلون عن أحوائهم السابقة في دنياهم، تساؤل تلذذ وسرور بترهيق الله لهم، وفجاههم في رحلة الأخرة.

٢٦ - قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ .

قالوا: لقد كنّا في حالة ميهجة باجتماع الشمل، ووجودنا بين أهلينا وعشيرتنا، لكنّا لم نجترئ على معصية الله، ولم نجروً على اقتراف الكبائر، خوفا من مقام الله، وإشفاقا من غضيه.

٢٧ - فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوْقَانَا عَذَابَ السُّمُومِ .

فتقضل الله علينا بمنّه ورحمته، لقد وفقنا للطاعات في الدنيا، ثم تقضّل علينا بدخول الجنة، وحفظنا من عذاب السعوم، وهو عذاب النار الذي يتصلل إلى مصام الجسم. وهذا اعتراف لله بالفضل والمئة، حيث وفقهم للعمل الصالح في الدنيا، وتفضل عليهم بدخول الجنة، وإيداهم عن عذاب السعوم.

روى البخارى فى مسحيحه أن رسول الله ﷺ قال: دان يدخل الجنة أحدٌ منكم بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: دولا أنا، إلا أن يتغمدنى الله بفضل رحمته، فمسدوا وقاريوا، ولا يتمنينَّ أحدكم الموت، إما محسنا ظامله أن يزداد فى إحسانه، وإما مسيئا ظامله أن يستمتب، (٢٣). أى: يتوب إلى الله تمالى، ويطلب المتبى

وقد ورد أن عبادة الإنسان كلها هي حياته لا تكافئ نممة واحدة، كتممة الهمسر، فضلا عن سائر النعم، وهذا يجعل المسلم يشكر ربه، ويمترف لله تعالى بفضله ومنته، وواسع رحمته، وعميم إحسانه ونممائه.

إذا كنا من قبل في الدنيا ثميده سبحانه، وتتبتل إليه، ونتلذذ بالتقرب إليه، وطاعته ودعائه وعبادته، وهو سبحانه (بر) عظهم الفضل والملة والنممة، (رحيم) واسم الرحمة.

وهى الحديث الشريف: «قسم الله الرحمة مائة جزء، أنزل جزءا واحدًا هى الدنيـا يتراحم به الثاس. واذخر تسمة وتسمين جزءا يرحم الله بها عباده يوم القيامة، ⁽¹⁾.

هما أعظم رحمته وهضله، قال تمالى: كُنُبُ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسه الرَّحْمَةُ . . . (الأنعام: ٥٤)

وهي الحديث القدسي: «... إنَّ رحمتي سبقت غضبيء،

* * *

محاجة المشركين

﴿ فَذَكِرْ فَمَا آَنَتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنِ وَلَاجَمْنُونِ ۞ أَمَيْقُولُونَ شَاعِرٌ تُغَرِّيَكُمْ بِهِ رَبِّ آلَمَنُونِ۞ قُلْ تَرَهَمُواْ فَإِنِي مَعَكُمْ مِنَ ۖ ٱلْمُثَرِّيْمِينَ ۞ أَمَّ تَأْمُرُهُ ٱلْمَانُمُ عُرِيَانَ قَوْمٌ طَاغُونَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ نَقَوَلَهُۥ بَلَ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثِ مِنْلِمِ اِن كَانُواْ صَدِيقِتِ ۞ ﴾

المقردات:

في دي من التذكير،

السكساهسن، من يخبر بالأخبار الناضية الخفية بضرب من الظنّ.

والعسم والعسم والعاد من يخبر بالأخبار المنتقبلة.

نتــــرينس، ننتظر،

ريسب المستسوق حوادث الدهر ومصائبه، والمنون هو الدهر، وقيل: هو ألموت،

قال أبو ذؤيب: وقال آخر:

واللغر ليس محسنب من يجزع

أمن المنون وربيسها تتسوجع

تطلق بوسا أو يموت حليلها تربع بها ريب المنون لعلها

الأحسسلام: العقول.

طباهسيسون، معاوزون الحدّ في الكابرة والمناد،

تقييم وأله: اختلقه من تلقاء نفسه، إذ التقوّل لا يستعمل غالبا إلا في الكذب.

تمهيده

هنا يناقش القرآن الشركان، ويشبُّ أزر الرسول الأمان ﷺ فيقول:

- ﴿ أَ ﴾ استمر في أداء رسالتك ودعوتك، فلست بكاهن يخبر عن الأمور الخفية الماضية، ولست بفاقد للعقل، فأنت عُرفت برجاحة المقل، وبالحكمة شابًا وناشئًا، ومن باب أولى بمد بلوغ الأربمين.
- (ب) إن الكفار مضطربون في تهمهم، ولا يثبتون على حال، فقد اجتمعوا في دار الندوة، وقال أحدهم: إن محمدًا شاعر، فانتظروا أن يموت كما مات من سبقه من الشمراء، والموت كأس على رؤوس الجميم، فإن انتظروا موتك، فإنك أيضا تتنظر موتهم، أو ما يصيبهم من الموت المُنْنُويُّ يوم بدر وغيره.
- (ج) هل عقولهم تأمرهم برفض الإسلام دون مناقشة فكرته، أم هو الطفيان والعدوان ومجاوزة الحدُّ في العناد،
- (د) وقالوا: محمد افتري هذا القرآن من عند نفسه، والحقيقة أنهم رفضوا الإيمان بالله ورسوله، فإن كانوا صادقين في هذه التهمة بأن محمدًا اختلق القرآن ونسبه إلى الله فليأتوا بقرآن مثله، فهم أهل الشمر والخطب والقصاحة.

التفسير

٢٩ - فَلْدَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنعْمَت رَبِّكَ بِكَاهِن وَلا مُجْتُون .

كان كفار مكة يختلقون التهم الإلصافها بالرسول على رغبة في الحطُّ من شأنه، وصرف الناس عنه، والقرآن هنا يقول له: دُّمْ على تُبليع الرسالة، وسرّ في طريقك، ولا تكترث بالتُّهم التي يحاولون أن يلصقوها بك.

وكان ﷺ قد عُرف بالصدق والأمانة، ورجاحة العقل في نشأته وشيابه، وقد كانوا يحكمونه في المهمَّات، ظما نزلت عليه الرسالة، قال شيبة بن ربيعة: إنه كاهن يدَّعي معرفة الأخبار الخفية، والقرآن أشبه بسجع الكهان. وقد غلب على الكهان السنج مثل قراهم: والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، لقد سبق هاشمٌ أمية إلى الماثر، والكهانة اجتهاد إنسان، وهو أحيانًا يصيب، وأحيانًا كثيرة يخملُّ، أما القرآن فقد اهتم باللفظ والمنى، والقهم والآداب، والتشريع والتاريخ وإحياء الضمير.

وقال عُقبة بن أبى مُعيَّطه: إن محمدًا مجنون، والقرآن نتيجة إصابته بنوبة الجنون.

وعند التأمل نجد الاضطراب واضبعا في كلام المشركين، فالكاهن يجب أن يكون في ضاية الذكاء، واستتباط المجهول من المعلوم، والمجنون هو فاقد المقل، ولا يجتمعان في شخص واحد، مما يدل على شدة اضطرابهم وتعنتهم، وما زال القرآن الزّا خالداً من أصدق الكتب وأعدلها في الإخبار عن الماضى، والتضريع للعاضر، والإرشاد للمستقبل.

وخلاصة معنى الآية:

دُمْ على تدكير المشركين، ولا ترجع عن تبليغهم بسبب قولهم إنك كاهن مجنون، لأن الله أنعم عليك بأجلَّ النعم، وهي الرسالة الخاتمة.

بل هم يقولون: هو شاعر، نتريص به أحداث الدُّهر، من موت أو حادثة متلفة، وكان كفار قريش قد اجتمعوا هي دار الندوة وكثرت آراؤهم هيما يقولونه فيه ﷺ. حتى قال قائل من بنى عبد الدار: تريمنوا به ريب المنون فإنه شاعر وسيهلك كما هلك زهير والنابغة والأعشى، ثم اهترقوا على هذه المقالة هنزلت الأية.

والخلاصة: اجتنبوا مقابلته حتى لا يغلبنا بشمره، وانتظروا موته كما مات الشعراء من قبله.

قل لهم يا محمد: انتظروا موتى كما شنتم، فإنى أيضا انتظر موتكم وهلاككم، أو هزيمتكم عند اللقاء، وهو نوع من الموت المعنوى، والآية تتضمن وعد الله له بالنصر، ووعيده لأعداثه بالهزيمة.

هل عقولهم الراجحة تامرهم بالوقوع في هذا الاضطراب، فيقولون: هو شاعر أو كاهن، ثم يقولون: هو مجنون، ومعنى شاعر: له عبقرية متميزة، تقرض الشعر المتميز، ومعنى كاهن: له ذكاء خارق يستطيع التتبؤ بالحكم الخفى فى الأحداث السُّابقة، أما المجنون فهو من ذهب عقله واختفى، فكيف يوصف محمد بغاية الذكاء مرة، وبغيبة المقل مرة أخرى؟!

أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ .

بل إن السبب الحقيقى هو الطغيان، ومجاوزة الحدّ فى الخروج عن الجادة والعناد، ويذلك انصرفوا عن الاستماع للقرآن، إذ ما هائدة المقول الراجعة، التى كان لها هضل على العرب فى إنشاء أسواق عكامًا ومجلّة وذى الجاز، لعرض الرائع من القول، والمتهيز من الشمر، والفائق من الخُطب، ثم يأتى القرآن عربيًا مبينًا، بُلنتهم وعلى طريق حوارهم، فهمتهم الطفهان والعناد من النظرة المنصفة للقرآن الكريم.

قيل نممرو بن الماص: ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله تعالى بالمقل؟ فقال: تلك عقول كادها الله عـز وجل، اى ثم يصحبها التوفيق، فلذلك لم يؤمنوا وكفروا، وإذا تأملنا هى الموضوع وجدنا أن قريشا كانت لها الصدارة هى الجزيرة المربية، وتتمتع بمنزلة سامية هى المجتمع المجاور لها، وقد خالطت أهل الشام هى رحلة الصيف، وأهل الهمن هى رحلة الشناء، وكان الأوّلى بها أن تعتبر بما شاهدته.

وعقول أهل مكة كانت أسمى من أن تمتقد الألوهية للأصنام والتماثيل، وخصوصا بعد نزول القرآن، وتوضيح الرسول الأمين، لكنها المسالح الدنيوية، والأثرة والحرص على النفني والجاه، والحرص على ممارسة الريا والزنا وشرب الخمر، وعدم إقامة الصلاة وعدم إيتاء الزكاة، كل هذا هو الذي حملهم على اتخاذ موقف الطفيان والمناد من الإسلام ورسوله معمد ﷺ.

قال تمالى: أَوْ لَمْ نُمُكُن لَهُمْ حَرَمًا آمَنا يَعِنَى إِلَهُ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رَزَقًا مِن لَدُنًا وَلَكِنَ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ. (القصس: ٥٠)

وقال عد شانه: لإيلاف قُريَش * إيلاقهم وحَلَّة الشَّنَاء وَالصَيَّف * فَلَيْصُدُوا رَبُّ هَذَا الَّبِيْت * الذي أَطْعَمُهُم مَن جُوع وَاسْتَهُم مَنْ خَوْف . (هريش: ١ - ٤)

وقال سبحانه وتعالى: فَإِنَّهُمْ لا يُكَذَّبُونَكَ وَلَكنُّ الظَّالمِينَ بَآيَات الله يَجْحَدُونَ . (الانمام: ٢٢)

وقال سبحانه وتعالى: وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْفَتَهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُواً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسَدِين . (النمل: ١٤)

٣٣ - أَمْ يَقُرلُونَ تَقُولُهُ بَلِ لا يُؤْمِنُونَ .

والقرآن هنا يكيل لهم المناقشة والتحدثي، ويصدد تقولانهم، ويدرض كلَّ ما قالوه، ويوضح الأسباب الخفيَّة وراء عنادهم وافتراثهم، فما قالوه إن محمدًا حاد الذكاء، قوى التخيَّل، فالقرآن نَثَّحُ التَّخيل النفسي، والاستيصار الذكي، والقدرة الفائقة التي تتخيل بالليل أفضل ما يقال للناس، ثم يصوغ ذلك للنامي بالنَّهار.

بَلُ لاَ يُؤْمِنُونَ .

بل عدم الإيمان، وعدم الهدى، وعدم التوفيق، هو الذي جعلهم يتهمون محمدًا بتهم هو منها برى.

٢٤ - فَلْيَأْتُوا بحديث مثله إن كَانُوا صَادقينَ.

والقرآن منطقى معهم، فخلاصة معنى الآية السابقة: إن محمدًا عبقريٌّ، قد تقوّل القرآن من عند نقسه، ونسبه إلى الله تمانى كذبا وزورًا .

وهنا يمسك القرآن بتلابيبهم فيقول: محمد نشأ بينكم، وما قرآ كتابا، ولا اشترك في مناهشة شاعر أو كاهن، أو خطيب أو فصبح من فصحائكم، فإذا ادعيتم أنه تقول القرآن، أي نسبه كذبا إلى الله تمالي، كان المتى: إن هي استطاعة الأدكياء منكم أن يأتوا بمثله هافعلوا، واثتوا بقرآن مثل هذا إن كنتم صادفين، أو اثتوا بعشر سور مثله مضتريات، أو اثتوا بسورة مما نزلنا على عبدنا، ثم تحداهم وتحدي أمثالهم من الملحدين المحدثين، الذين ينّعون أن القرآن نتاج عبقرية محمد، وقوة تخيّله أو هو نوع من أحلام اليقتلة، أو منظومة إصلاحية عائية.

هذه التهم التي يذكرها بعض المستشرقين، ويعض من يسيرون خلفهم، فتُدها القرآن سابقا بهذا التحدُّي: فَلْأَلُوا بِحَدِيث مُثْلُهِ إِنْ كَانُوا صَادَقِينَ.

هؤلاء هم الفيلاسفية، وعلماء النفس والاجتماع، والأدباء والشمراء، والكتّباب والقيمياص، هل في استطاعتهم أهرادًا أو مجتمعين، أن يأتوا بمثل هذا الكتاب؟

إن كان الملحدون صادقين، فَلْيَاتُوا بِحَدِيثٍ مَثْلِهِ ...

قال تعالى: قُل لَّعِنِ اجَنَّمَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرَّانِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِمُعْسِ ظَهْراً. (الإسراء ۸۸)

إن [عجاز القرآن تقوع في عصور تاريخية، فكان كتاب كل المصور، فعند نزوله كان العرب أرياب الفصاحة والبيان، فتحدّى القرآن العرب، وطالت مدة التحدّى، وقد حارب العرب محمدًا، وقاتلوه وقاتلهم، وهزموه في معارك قليلة، وهزمهم في ممارك كثيرة.

وكان الباعث لهم على اختراع مثل القرآن موجودًا، ومحاولة انتصاف المشركين لانفسهم موجودة، ولقد حاول المشركون الإنيان بمثل القرآن، وجاءوا بكالم دون القرآن بكثير، وكانت محاولاتهم أدل على إعجاز القرآن وتقوقه عن المائلة،

قال بعضهم: إنا أعطيناك الجماهر، فصل لريك وجاهر...

وقال مسيلمة الكذاب: والزارعات زرعا، فالحاصدات حصدًا، فالماجنات عجنا، فالخابزات خيزا، فالأكلات لقما... ، فقال له أحد السلمين: وماذا بعد ذلك ؟ وعندما تقدمت العلوم والفنون، ظنَّ المتحدون أن أهمية الأديان سنقل أمام التقدم العلمي، والإحصاءات العلمية الإحساءات العلمية في الدينة المتحددة الأمريكية وغيرها تؤيد حاجة الأفراد والمجتمعات إلى الدين، فهو شغاء النفس، وسعادة الإنسان الحقيقية، وقد أشار إحصاء لطبيب أمريكي أجراء على آلاف المرضى المترددين على عيادات الأطباء هي المراحل، وظهر من الإحصاء أن ٥٠ ٪ (خمسين هي المأثة) من المترددين على عيادات الأطباء، ليست بهم أمراض إكلينيكية أو عضوية، وإنما هو الإحباط والخوف والحيرة والتردد، وأن الدين هو أفضل علاج الله هذه الأمراض، التي يجز الطب البشرى عن علاجها.

إن القرآن شفاء مادّى ومعنوى للمجتمعات والأفراد.

قال تماثى: وَنَنْزِلُ مِنَ الْقُرْانِ مَا هُوَ شَفَاءً وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الطَّالمين إلا خَسَاراً . (الإسراه: ٨٧)

* * *

استفهامات متتابعة للمشركين

المضردات:

من غسيسرشيء من غير خالق.

خسسترائن ريك خزائن رزقه ونعماثه

المس ... يعطرون؛ القاهرون والمسلطون عليها، من قولهم: سيطر على كذا، إذا راقبه وأقام عليه.

م مرتقى ومصمد إلى السماء.

بسلطان مسبين: بحجة واضحة تصدق استماعه.

مستقسسوم: التزام غرامة تطلبها منهم.

مست علون، محمكون ما يثقلهم ويجهدهم.

الشمين علم النيب،

ي ي المكرّا وشرّا.

والكي الذين يحيق بهم الشرّ، ويعود إليهم وباله.

تمسده

هى هذه الآيات يتابع القرآن حملته على المشركين، ليسفة آراءهم، ويؤكد وحدانية الخالق، ويتابع التحدّى السبابق بأنَّهم لا يستطيعون أن ياتوا بمثل القرآن، وهذا دليل على أنه من عند الله، والآيات (٣٥ – ٤٢) هي استفهامات متلاحقة تأخذ بتلابيب المشركين وتسائهم: هل خُلقوا من غير خالق؟ هل خلقوا أنفسهم؟ وكل ذلك محال، فلم يبق إلا أن يكون الله هو الذي خلقهم.

ثم تقول: هل خلقوا السماوات والأرض؟ إن هذا الخلق العظيم لا يقدر عليه إلا الله.

هل عندهم خزائن رزق الله؟ أم هل هم السيطرون على أفضاله ونعمائه؟

وهل عندهم علم الغيب؛ وهل يملكون دليلا على ذلك؛ وهل يليق بهم أن يجعلوا الملاككة بنات الله، هيكون لله البنات ولهم البنون؟

وهل تسالهم يا محمد أجرًا على تبليغ الرسالة، فهم في دين عظيم لا يستطيعون سداده؟

وهل عندهم علم النيب؟ حاشا وكلا، فكل ذلك من خصائص الألوهية.

وهل يريدون إيقاع المكر والشر بالسلمين؟ لا، لن يستطيعوا، وسيقعون هم هي هزيمة بدر وما بعدها، حتى تفتح مكة، ويهزم الشرك وينصر الحق.

وهل لهم إله غير الله ؟ تنزه الله عن الشريك والمثيل.

بهذه الاستفهامات المتلاحقة التي تشهه السياط التي تُلهب ظهور المُشركين، يفنّد القرآن آراءهم، ويوضع حقائق القدرة الإنهية التي يبدها الخلق والأمر، نتزه الله عن كل شريك ومثيل.

التفسين

٣٥ ~ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءِ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ .

إنهم مُوَّجُودُون في صورة بديمة جميلة، بها حواس متعددة: بصر، وسمع، وقوام، وعقل، وأبد، وأرجل.

فهل هذا الخلق البديم المتكامل وجد من غير مُوجد ؟ هذا باطل.

هل هم الذين خلقوا أنفسهم؟ هذا مستحيل، فلم يبق إلا أن يكون الله تعالى هو الذي خلقهم.

روى البخارى، عن جبير بن معلم، أنه لما قدم على رسول الله ﷺ بعد وقعة بدر هي شأن هداء الأسرى، سمع النبي ﷺ يقرأ هي صلاة المغرب بسورة الطور، قال: ظما بلغ هي القراءة هذه الآية : أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرٍ شَيءُ أُمْ مُمُ الْخَالَةُ فَى . كاد قلس مطير (١٥).

لقد اهتز قلب الكافر من أجل آية، ولو فتح القوم قلوبهم للقرآن لآمنوا، لكنَّهم أعرضوا وكفروا-

٣٦ - أَمْ خَلَقُوا السُّمُوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلِ لاَّ يُوقُّونَ .

هل خلقوا السماوات ؟ هذا الخلق العظيم البديع، هذه القبّة الزرقاء المعتدة، بما فيها من أفلاك وأملاك، ومُجرَّات، وشموس وكواكب، هل خلقوا هذا الخلق البديع؟

هل خلقوا الأرض، وما فيها من بسار وأنهار، وطرق وجبال، وزروع وثمار، وإنس وجن، وطير ووحش، وليل نهار ؟

إن هذا الخلق الشائم أمامهم، من خلقه؟ لا يستطيع عاقل أن يدَّعن أنَّه خلق السماوات والأرض، ولا يستطيع أن يقول إنهما خلقتا انفسهما، ولا أنهما خلقتا من غير خالق، فلم يبق إلا أن يكون الله هو الذي خلقهما.

وكان القرم إذا متُثلوا عمن خلق السماوات والأرض، قالوا: الله .. ولكن هذه الحقيقة لم تكن تتضع في إدراكهم إلى درجة اليقين الكامل، والاعتقاد الواضع الدقيق.

بَلِ لاَ يُوقتُونَ .

ظليمن إيمانهم بنان الله هو الذي خلق السماوات والأرض إيمانًا كاملاً، أو يقينًا جازمًا، ولو كان كذلك لما عبدوا الأصنام والأوثان، ولما كتُبُوا برسالة معمد ﷺ، فهم في تريد وحيرة، ليس فيها يقنن جازم.

٣٧ - أَمْ عِندَهُمْ خَزَائنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيَّطرُونَ .

هل يملكون خزائن رحمة الله وفضله، واختيار الأنبياء والأغنياء، والأرزاق والألطاف؟ كلا، فذلك كلُّه فضل الله.

وهل لهم سيطرة على هذه الأرزاق والألطاف ليتحكموا فيها، فيطلبوا أن تكون الرسالة الخاتمة لرجل من القريتين عظيم ؟

وفريب من ذلك قوله تعالى: وَقَالُوا أُولًا تُولِّى هَلْمًا الْقُرْانُ عَلَىٰ رِجُلِّرٍ مِنَ الْفَرَيْتِينِ عَقيمٍ ﴿ أَهُمْ يَقْسَمُونَ رَحَمْت رَبُكَ نَحْنُ فُسَمًا بَيْنَهُم مُعْرِشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ النَّنِيا ... (الزغرف: ٢٠، ٢٦) ٣٨ - أَمْ لَهُمْ سُلَمٌ يَسْتَمعُونَ فيه فَلْيَأْت مُسْتَمعُهُم بسُلْطَان مُرين .

إن محمدًا ﷺ يتلقى وحى السماء، وينزل جبريل عليه بالوحى غضًا طريًا، والقرآن له سلطان على النفوس وهيمنة وإعجاز، وسرِّ يشعر به صاحب القطرة السليمة.

ههل هؤلاء الكضّار يملكون مثل ذلك؟ هل لهم سنَّمٌ منصوب إلى السماء، أو مرقباة يطلّعون بهـا إلى الملأ الأعلى، ويستمعون إلى كلام الملاتكة وما يوحى إليهم، ويطلعون على علم النبيب ؟

إن كانوا يملكون ذلك ظليأتوا يدليل واضح، وحجة بينة، كما أتى محمد ﷺ بالوحى الذي عجزوا عن محاكاته، ولزمتهم الحجة.

٣٩ - أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ .

كانوا يزعمون أن الملائكة بنات الله، وأن الله أصهر إلى سراة الجن فأنجب منهم الملائكة،

قال تمالى: وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةُ الَّذِينَ هُمْ عَبَادُ الرَّحْمَنُ إِنَانًا أَشْهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسَالُونَ. (الرخوف: ١٩)

وهنا يوبخهم على زعمهم، ههم ينسبون الإناث إلى الله، وهي القرآن الكريم: أو أَوَادَ اللهُ أَنْ يَتُخِذُ وَلَذاً الأُمطَّقَيْ مِناً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبِّحَانَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَيَّالِ . (الزمر: ٤٤)

وقد هاجمهم القرآن، وويخهم على هذه الفرية الساذجة في مثل قوله تمالى: أَلَكُمُ الذُكُرُ ولَهُ الْأَنفَىٰ * تَلْكُ إذا قَسَمةٌ صَبَرَكُ ، (التعمد ٢٢، ٢٧).

أي: جائرة، حيث تجملون له الأقل، ولكم الأعلى في زعمكم.

وقال سبحانه: وَإِذَا بُشَرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ للرَّحْمَن مَثَلاً ظُلُّ وَجُهُهُ مُسْوَدًّا وَهُو كَظَيمٌ. (الزخرف: ١٧)

وهنا يستفهم هذا الاستفهام الإنكاري، فيقول: أتجعلون ثله الأقل في زعمكم ولكم الأعلى، لقد كان أحدهم يسودُ وجهه إذا بُشر بالأنثى، ومع هذا لا يستحيون من نسبة البنات إلى الله، فهو هنا يأخذهم بعرفهم وتقاليدهم ليُخجلهم من هذا الادعاء المتهاشت : أمْ لُهُ الْبَناتُ وَلَكُمُ الْبُونَ .

أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِن مَغْرَم مَثْقُلُون .

لقد أدًّى جميع الرُّسل رسالات السماء تطوعًا دون أجر، أو تقاضى أموال من المرسل إليهم.

وكان محمد ﷺ مشهورًا بأنه الصادق الأمين، وكان حريصا على هدايتهم، ومع هذا أعرضوا عن الهداية إنتر, قدّمها الرسول ﷺ لهم.

وهنا يتسامل القرآن: هل أنت يا محمد تطلب منهم أجرًا وأموالاً كثيرة على تبليغ الرسالة، أو دخولهم هي الإسلام، فهم مشفقون من التزام غرامة لقيلة تطلبها منهم على الهداية؟

الواقع أنك لا تطلب منهم أجرًا كبيرًا ولا قليالًا، فلماذا يفرّون من الهدى، وفيه صلاحهم وهو بين أيديهم؟

وقديب من هذه الآية قوله تمالى على لسان نوح عليه المسلام: وَيَا قُوْمٌ لا أَسَأَلُكُمْ عَلَيْه مَالاً إِنْ أَجْرِي إِلاً عَلَى اللّه . . . (همد: ٢٩)

١١ - أمْ عندهُمُ الْفَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ .

هم عبيد مريويون، لا يعلمون من أمر القيب شيئًا، والله وحده هو علاَّم الفيوب، وهنا يتساءل:

أَمْ عندُهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكُتُّبُونَ .

اعندهم علم الغيب إلا الله ، ولا ينزل المنافقة والجواب معلوم، وهو: لا يعلم الغيب إلا الله ، ولا ينزل الوجود إلى الله ، ولا ينزل الوجى الرسول الله رقط اللوجى الا الله ، ولا تكتبونه في اللوج المحفوظة ها اللوجى المنافقة الله المنافقة الله المنافقة الله المنافقة المنا

قال تمالى: قُلِ اللَّهُمْ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأُوضِ عَالِمُ الْعَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَعكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يُعْطَلُونَ . (الزُّمر ١٦)

٤٢ - أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ .

هل يريدون تدبير أذَّى للرسول ﷺ 9 لا يستطيعون ذلك، فالله يعصمه من النَّاس، وسيقع جزاء كيدهم وشرّهم بهم.

وهذه الآية من إعجاز القرآن وإخباره بالغيب، فقد نزلت قبل الهجرة، حيث اجتمع الكفار في دار الندوة، يدبّرون الكيد لرسول الله ﷺ.

قمفهم من يري حبسه، ومفهم من يرى نقيه خارج مكة، ومفهم من يرى أن يُعتار من كل قبيلة شابًّ. ويعطى كل شاب سيفا صارمًا بتارًا، ويضرب الجميع محمدًا ضرية رجل واحد، ويذلك يتفرَّق دمه فى القبائل، فلا يقدر بنو عبد مناف على قتالهم، فيقبلون الديَّة فى دمه، ثم استقرُّوا واتفقوا على هذا الرأى، لكن الله تعالى أبطل كيدهم، وحفظ رصوله ﷺ، وأخرجه من بينهم، وقد أعمى الله أيصارهم عنه، ويسرّ طريق الهجرة لرسوله ﷺ ، ثم هزمهم الله هي بدر، وظل شأنهم هي أنحدار، وشأن الرسول ﷺ هي ارتفاع، حتى فتحت مكة، ودخل الناس هي دين الله أفواجا .

من حاشية الجَمَل

أريد أن أنقل لك نبدة وصورة من حاشية الجمل على تفسير الجلالين، لتحيط بأسلوب التأليف للشيخ سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل المتوفي سنة ١٢٠٤ هـ، حيث يقول (٤ / ٢٢٠):

أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا . . .

أي: مكرًا وتحيلا في ملاكك.

وفي المسياح: كاده كيدا، من باب باع، خدعه ومكر به، والاسم: الكيدة، أ . هـ.

والاستفهام إنكارى، على معنى نفى اللياقة والانهفاء، أى: لا ينيفى ولا يليق منهم هذه الإرادة، أى التشاور والاجتماع على كهدك، كما ذكر هى قوله تمالى: وإذْ يَمْكُرُ بِكُ الّذِينَ كَفُرُوا لِينْبِوُكُ أَوْ يُفْتُلُوكُ أَوْ يُعْتُرِجُوكُ وَيَمْكُوُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرٌ الْمَاكِدِينَ . (الانتدال: ٣٠)

وكان هذا المكر في دار الندوة، وهي دار من دور أهل مكة.

والظاهر أنه من الإخبار بالغيب، فإن السورة مكية، وذلك الكيد كان وقوعه ليلة الهجرة.

فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمُكِيدُونَ .

هذا من وقوع الظاهر موقع الضعير، تتبيها على اتصافهم بهذه الصفة القبيحة، والأصل: أم يريدون كيدًا فهم للكيدون. أو حكم على جنس هم نوع منه، فيندرجون فيه اندراجًا أوليا، لتوغلهم في هذه الصَّفّة.

ثم أهلك الله الكافرين في غزوة بدر وما بعدها من غزوات (١٦).

٤٣ - أَمَّ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّه سُبْحَانَ اللَّه عَمَّا يُشْرِكُونَ .

والاستفهام في هذه الجمل كلها للتوبيخ والتقريع والإنكار.

والمعنى د

هل لهؤلاء الكفار إله آخر غير الله خلقهم وسوّاهم، وأحياهم ويميتهم، فهم لذلك يعبدونه، ويشركون عبادته مم عبادة الله؟ تتره الله عن أن يكون له شريك أو مثيل أو ند أو نظير.

قال تعالى: لَيْسَ كَمَثْلُه شَيَّ وَهُو السَّمِيعُ الْبَصِيرُ . (الشورى: ١١)

هو وحده الذي يملك خلق السماء، وخلق الأرض، وخلق الإنسان متدرجاً هي مراحل حياته، من نطقة إلى علقة إلى مضفة، إلى أن تتفغ فيه الروح، ويضرع للحياة وليدًا، فيجمل له للنظر عينين، وللسمم أذنين، وللبطش يدين، وللمشي رجلين، ثم يمرّ هذا الوليد بمراحل الطفولة ثم الشباب ثم الشيخوخة، ثم الموت، ثم البعث والحشر والحساب، والثواب أو المقاب، فالله وحده هو الذي يخلقهم ثم يرزقهم.

قال تمانى: قُلِ اللَّهُ يُعْمِيكُمْ ثُمَّ يُمِينَكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمَ الْفَيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنْ أَكُثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ . (الجادية: ٢٦)

ختام سورة الطور

﴿ وَإِن بَرَوَا كِسْفَا بِنَ السَّمَاءِ سَافِطَا يَقُولُوا سَحَابُ مَرَّوُمٌ ۞ فَذَرْهُمْ حَتَى يُلَاقُوا بَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ وَإِنْ بِكَالِينَ طَلَمُوا عَذَابًا فِيهِ يُصْمَعُون ۞ وَإِنَّ لِلَّذِينَ طَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَاكُمْ الْكَرَبُ وَلَكُمْ الْاَيْفَ مِنَ الْمُعْرِدُ وَلِي اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَالُهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَى اللَّهُ عَلَا اللَّهُ عَلَى الْمُعْمَلِكُمْ عَلَى اللْمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْمُ اللَّهُ عَلَى اللْمُعْمِلُولُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَ

المضردات

كرست سيما فطعة من السماء تسقط عليهم،

سنحساب مسركسوم، هذا سحاب تراكم بعضه على بعض، ترتوى به، ثم لا يؤمنون،

فيستستدرهم اتركهم وأعرض عنهم.

يم ع ق ون، يموتون أو بُقتلون.

لايمقتى هقهم؛ لا يفيد شيئًا في ردُّ العذاب عنهم.

ولا هم يتصب ون: يمنعون من عداب الله تعالى في الأخرة.

ولكنُ أكثرهم لا يعلمون، أن العداب نازل بهم في الدنيا قبل الآخرة.

واصب راحكم ريك بإمهالهم، ولا يضق صدرك بكفرهم وعنادهم، وعدم تعجيل العداب لهم.

اعبينا، بحفظنا ورعايتنا.

وسبح بحمد ديك، واستمن على الصبر بالتسبيح والتحميد، أي قل: سبحان الله وبحمده.

تمهيد:

ناقشت آيات سابقة للشركين، وتكررت فيها لقطة: (آم) للاستفهام الإنكاري، خمس عشرة مرة، حتى قال بعض المستورة بدر وقعت في السنة الخامسة عشرة بعد البعثة المحمدية. فقد مكث النبي ﷺ للالة عشر عاما في مكة بعد الرسالة، ثم مكث عامين في المدينة قبل غزوة بعر، وراوا أن الآية (12) من سورة الطور تشير إلى وقوع العذاب بأهل مكة في غزوة بعر، وأن هذا من الإعجاز النبي للقرآن الكريم.

وعموما فإن السورة الكريمة – وقد ناقشت المشركين طويلا– فإنها هن نهايتها تصف عنادهم، وتتوعدهم بعذاب يوم القهامة، وبعذاب قبل يوم القيامة، مثل عذاب يوم بدر، وما تبع ذلك من ارتضاع شأن المسلمين، وانحدار شأن المشركين.

ثم توصى الرسول 秦 الصبر والاحتمال، والاطمئنان إلى أنه هن محلُّ عناية الله ورعايته ولطفه، وتحثه على ذكر الله وتسبيحه وتحميده عند القيام من النوم، أو هي الجلس، وعند غياب النجوم.

التفسين

22 - وَإِنْ يَرَوْا كَسْفًا مَنَ السُّمَاء سَاقطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مُّرَّكُومٌ .

إنهم أهل كبّر وعناد، مديق أن قالوا للنبي ﷺ مثل ما قاله قوم شعيب: فَأَسْقُطُ عَلَيْنَا كَسَمًّا مِنَ السَّمَاءِ إن كُنتُ مِنْ السَّادَقِينَ . (الضعراء: ١٨٧).

وقد حكى القرآن عن أهل مكة: وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ النَّحَقُّ مِنْ عدكَ فَأَطَرْ عَلَيّا حِبَارَةً مَن السُّمّاء ... (الانتفار، ٢٢)

وهنا يقول القرآن: إن أنزلنا عليهم قطعة من النيران لتقتلهم أو تهددهم لما اعتبروا، وظنوا أنَّها سحاب تراكم بعضه فوق بعض، ثم نزل بهم ليتحول إلى مياه، تسقى زورعهم وثمارهم.

وقد حدث مثل ذلك لقبيلة عاد، قوم نبى الله هود، حينما راوا سحابة فى السماء تتجه إليهم، فغرحوا وتوقعوا المطر، ثم اكتشفوا أنها ربح الدبور، سلطها الله عليهم لإهلاكهم، وتدمير منازلهم، وإنزال العذاب بهم.

قال تعالى: فَلَمَّا رَآوَهُ عَارِضًا مُّسَتَقْبِلَ أَوْدِيَهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّعْطِرُنَا بَلْ هُو مَا استَعْجَلْتُم بِهِ رِيعٌ فِيهَا عَلَابً اليمُ هِ تُدَمَّرُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِهَا فَأَصِبُحُوا لا يُرِئ إِلاَّ مَسَاكِتُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمُ الْمُجُومِينَ . (الاحتاف: ٢٥، ٢٥). 2 - فَدَرْهُمْ حَتَىٰ يُلاقُوا يُومَهُمُ الَّذِي فيه يُصْعَقُونَ .

اتركهم وأخل بالك منهم، ولا تكترث بإعراضهم وتكنيهم، ولا يضنق صعدك بمنادهم، وأهملهم فإن لهم هي الأخرة حسابا وجزاءً، حين ينفخ إسرافيل في الصور النفخة الأولى، فيصمق من في السماوات ومن في الأرض.

أى: إن جزاءهم سيأتي يوم القيامة، أو يوم بدر أو غير ذلك، فقد ترك الأمر مبهما لتذهب النفس فيه كل مذهب،

٤٦ ~ يُومُ لا يُعْنى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ولا هُمْ يُنصَرُونَ .

وهى ذلك اليوم لا ينفعهم مكر، ولا تدبير أمر، ولا الانحياز إلى قوة أخرى ينتصرون بها، هإنه يوم الدين، والملك هيه كلّه لله رب الملذين، أي إذا كانوا هى الدنيا يكيدون للنبى ﷺ وللمسلمين، فإنهم هى يوم القيامة لا ينفعهم كيد ولا مكر، ولا يجدون من دون الله ولها ولا نصيرا.

٤٧ - وَإِنَّ لَلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلكُ وَلَكنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ .

وإن لكل الطالمين عدايا قبل يوم القيامة، ومنهم كفار مكة، ظهم عداب هى القبر أو عداب يوم بدر، أو ما أنزل الله يهم من مجاعة وحاجة، أو ما أصابهم من هزائم وخزى وهوان، حتى ذل الشرك وأهله، وانتصر الإسلام وأهله، فشُتعت مكة والطائف، وعمّ الإسلام بلاد العرب، وأخذ طريقه إلى الشرق والغرب والشمال والجنوب.

وهكذا تجد أن المذاب ينتظرهم يوم القيامة، وقبل يوم القيامة، ولكنهم لاهون غاظون، لا يعلمون هول ما ينتظرهم، ويعضهم يعلم غير أنه يُصر على الكفر والضلال عناذا وجعودًا.

والمراد بالأكثر الكلِّ، على عادة المرب حيث تعبّر عن الكل بالأكثر، أو هم في أكثر أحوالهم لم يعلموا.

ونظير الآية قوله تعالى: وَلَنُدِيقَتُهُم مِّنَ الْعَدَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَلَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَهُمْ يَرْجعُونَ . (السجدة: ٢١).

والمراد أن الكفار لا يعتبرون ولا يتعظون، ولو كشف عنهم البلاء لعادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه.

قال تعالى: وَلُوْ رُدُوا لَعَادُوا لِمَا نَهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . (الانعام: ٢٨)

٤٨ - وَاصْبِرْ لَتَحُمْ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِعَمْد رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ .

تأتى آخر المدورة بردًا وسلامًا على قلب الرمدول ﷺ، بعد مناقشة طويلة للمشركين، وتهديد شعيد لهم. يتجه القرآن في آخر سورة الطور لمواسلة الرمبول ﷺ، على ما لاقاء من قومه في مكة، وفي الهجرة، وفي المدينة. هيقول: وأصبر لمُحُمّ رَبُكَ فَإِنْكَ بَأَعْيِننَا . . . اصبر على قضاء الله، وعلى ما كلفك به من أمر الرسالة، وتبعاتها من التبليغ والصبر والاحتمال.

فَإِنُّكَ بِأُعْيِنِنَا ...

هانك هي رعايتنا ومعينتا وتوفيقنا، والطافنا وحناننا، وفضلنا ورؤيتنا، لما أصدابك من أذى المُسركين، وتدبيرنا لحفظك ورعايتك، وإعلاء شانك، وحفظ الكتاب الخالد، والدعوة الإسلامية، والأمة الإسلامية لتكون خير أمة أخرجت للناس.

جاء في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب:

وَاصْبُرُ لَحُكُمْ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ...

ويا له من تمبير، ويا له من تصوير، ويا له من تقدير، إنها مرتبة لم بيلغها قط إتسان، هذه المرتبة التي يصرّبها هذا التمبير الفريد هى القرآن كلُّه، حتى بين التمبيرات الشابهة.

لقد قال الله تعالى لموسى عليه السلام: وأَنَّا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لَمَا يُوحَىٰ. (طه: ١٢)

وقال له: وَٱلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مَنِّي وَلِتُصَنَّعَ عَلَىٰ عَيْبِي . (طه: ٢٩)

وقال له: وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي . (طه: ١١)

وكلها تعبيرات تدل على مقامات رفيعة، ولكنه قال لمحمد ﷺ : فَإِنُّكَ بِأُعْيِّبُناً . . .

وهو تعبير فيه إعزاز خاص، وأنس خاص، وهو يلقي ظُّلا فريدًا ارق وأشفَّ من كل ظلَّ، ولا يملك التعبير البشرى أن يترجم هذا التعبير الخاص، فحسبنا أن نشير إلى ظلاله، وأن نميش هي هذه الظلال، أ. ه.

وقد عقد الإمام الآلوسي في تقسيره مقارنة بين قول الله تعالى لموسى: وَنُفَسَعَ عَلَىْ عَبْعِي ، بالإهراد، وقوله تعالى لمحمد ﷺ: قُالُكُ بِأَعْنِسًا . بصيغة الجمع للدلالة على المبالغة في الحفظ، كان معه من الله تعالى حَفَّاهًا يكلُونه باعينهم، أي: انت بمرأى منا، وتحت رعايتنا وحمايتنا وحفظنا.

وَسَبَحْ بِحَمْدُ رَبَكَ حِينَ تَقُومُ .

أي: عندما تقوم من مجلسك، أو عندما تقوم من نومك في ظلام الليل، أو عند الفجر.

وقد ورد ما يؤيد ذلك في السنّة الملهرة، فقد اخرج ابو داود، والنسائي، والحاكم، وابن مردويه، وابن ابي شيبة. عن ابي برزة الأسلمي، قال: كان رسول الله ﷺ بآخر عمره إذا قام من المجلدي يقول: مسبحانك اللهم ويحمدك. أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغضرك وأتوب إليك، فقال رجل: يا رسول الله، إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فهما مضى، قال: «كفارة لما يكون في للجلس» (١٧).

وروى أن جبريل علّم النبى ﷺ إذا قام من مجلسه أن يقول: «سيحانك اللهم وبحمدك» أشهد أن لا إله إلا أنت، أستنفرك وأثوب إليك».

وقيل: المراد سبح بحمد ريك إذا قمت من منامك، نتكون متفتحا لعملك بذكر الله.

روى البخارى، ومسلم، عن ابن عباس رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا قام إلى العسلاة هن جوف الليل: «اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض وما فيهن، ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ربَّ السماوات والأرض ومن فيهن، وأنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك حق، والجنّة حق، والثار حق، والساعة حق، والنبيّون حق، ومحمد حق، اللهم لك اسلمت، وعليك توكلت، ويك أمنت، واليك أنبت، ويك خاصمت، وإليك حاكمت، فأغفرني ما فدّمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت القدّم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت، ولا إله غيرك، (١٨).

وعن ابن عباس، أن النبي ﷺ كان إذا استيقظ من الليل مصح النوم عن وجهه، ثم قرأ المشر آيات الأواخر من سورة آل عمران (۱۰).

٤٩ ~ وَمَنَ اللَّيْلِ فَسَبَحْهُ وَإِدَّبَارَ النُّجُومِ .

أي: اذكره أثناء الليل، وخصَّ الليل بالذات لأن القيام فيه أشق على النفس.

وقبل: المواد بقوله تعالى: وَمِنَ اللَّيلِ فَسَبَحَهُ ... أي: صل لله صلاة الليل، وكان قيام الليل هريضة على النبي ﷺ: قال تعالى: يا أيُّها المُوثِمَلُ ﴾ قُم اللَّيلَ إِلاَّ قُلِيلًا. (الذول: ٢١١)

وقال سبحانه وتعالى: وَمنَ اللَّيلَ فَتَهَجُّدْ به نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَن يَنْعَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مُحْمُودًا . (الإسراء: ٧٩)

وقد مدح الله المؤمنين والمنتقين بقيام الليل، فقال سبحانه وتعالى: تَتَجافَىٰ جُنْوبَهُمْ عَنِ الْمُضَاجِعِ يَدُعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَّا وَمَنَّا رَزْقَامُمْ عِنْفُونَ » فَلا تَطْهَرُ نَشِي مَّا أَخْلِي لَهُم مَن قُرَّةً أَغْيِن جَزَاءُ بِمَا كَالْوَا يَمْطُونَ . (السجدة: ١٦، ١٧)

وقال عنر شانه: إنَّ المُعَقِّين فِي جَنَّات وَعُيُونِ ﴿ آخَذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبلَ ذَلكَ مُحْسِينَ ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّهِلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ وَبالأسحَارِ هُمْ يَستَقْبُرُونَ ﴾ وفِي أَمُوالِهِمْ حَقَّ لِلسَّائِلُ وَالْمَحْرُومِ . (الداريات: ١٥- ١٥) وقيل: المراد بتسبيح الله بالليل صلاتا المفرب والعشاء.

والمراد بقوله تمانى: وَإِشْهَا النَّجُوم . أى: سبح الله وصلاً له عند غياب انتجوم، وذهاب صَرَتُها، إذا طلع الفجر الثاني، وهو البياض المنشق من سواد الليل، والمراد به صلاة ركمتين قبل الفجر.

وهذا مروى عن كثير من الصحابة، كما أنه مأثور عن كثير من التابعين.

وعن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال له: ديا بن عباس، ركمتان قبل الفجر، إدبار النجوم، وركمتان بمد الغرب، أدبار السجود، (۲۰).

وفي صحيح مسلم، عن مائشة رضى الله عنها، قالت: لم يكن رسول الله ﷺ على شيء من النواقل، أشد معاهدة منه على ركمتين قبل الصبح. (^(۱)).

وعن عائشة أيضًا أن النبي ﷺ قال: دركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها، (٢٢).

* * *

تم يحمد الله تفسير سورة (الطور) ظهر يوم الخميس ٢٠ من جمادي الآخرة ١٤٢١هـ، الموافق ٢٨ / ٩ / ٢٠٠٠ .

* * *



أهسداف سيورة النجيم

سورة النجم مكية ، وآياتها ٦٢ آية ، نزلت بعد سورة الإخلاص

وتتميز سورة النجم بقصر الغواصل ، والتنفيم الموسيقى بين فقراتها وكلماتها ، فهى منظومة علوية إلهية ، وتشتمل سورة النجم على الأتى :

١ - تكريم الرسول : :

فى مطلع السورة نعيش لحظات مع قلب النبى محمد ﷺ ، مكشوفة عنه الحجب مزاحة عنه الأستار، يتلقى من الملأ الأعلى ، يسمع ويرى ويحفظ ما وعى، وهى لحظات خص بها ذلك القلب المصفى ، حين عرج به فى رحاب الملأ الأعلى .

أقسم الله بالثريا إذا سقطت عند القجر أن محمدا رائد غير ضال ، مهتر غير غاو ، مخلص غير مغرض، مُبلُغٌ عن الحق بالحق غير واهم ولا مفتر ولا مبتدع ، ولا ناطق عن الهوى فيما يبلغكم من الرسالة ، إن هو إلا وهي يوحى ، وهو يبلغكم ما يوحى إليه صادقاً أميناً .

وقد رأى النبي ﷺ جبريل مرتين على صورته التي خُلق عليها:

الأولى: عند غار حراء ، وكان ذلك في مبدأ الوحى حين رآه النبى يسد الأفق بخلقه الهائل ، ثم دنا منه فتدلى نازلا مقتريا إليه ، فكان أقرب ما يكرن منه على بعد ما بين القوسين أو أدنى ، وهو تعبير عن منتهى القرب ، فأوحى إلى عبد الله ما أوحى ، بهذا الإجمال والتفخيم والتهويل .

والثانية : كانت ليلة الإسراء والمعراج ، فقد دنا منه جبريل وهو على هيئته التى خلقه الله بها مرة أخرى ، عِندُ سِدْرُوٓ آلْمُنتَهُىٰ . أى : شجرة ينتهى إليها علم الخلائق ، أو انتهت إليها صحبة جبريل لرسول الله ﷺ حيث وقف جبريل وصعد محمد ﷺ درجة أخرى أثرب إلى عرش ربه .

٢ - أوهام المشركين:

تتحدث الآيات (۲۸ – ۲۸) عن آلهة المشركين المدعاة ، اللات والعزى ومناة ، وعن أوهامهم عن الملاتكة وأساطيرهم حول بنوتها لله ، واعتمادهم فى هذا كله على الثلن الذى لا يغنى من الحق شيئاً، بينما الرسول ﷺ يدعوهم إلى ما دعاهم عن تثبت وروية ويقين .

٣ - الإعراض عن الملحدين :

أما المقطع الثالث من السورة فيشمل الآيات (٢٩ - ٣٧) ، ويوجه الخطاب إلى الرسول ﷺ أن يعرض عنهم ، وأن يهمل شأنهم ، وأن يدع أمرهم لله الذي يَكُم المسىء والمحسن ويجزى المهدى والخسال ، ويملك أمر السماوات والأرض ، وأمر الدنيا والآخرة ، ويحاسب بالعدل لا يظلم أحدا ، ويتجاوز عن الذنوب التي لا يصرً عليها فاعلوها ، وهو الخبير بالنّوايا والطوايا لأنه خالق البشر ، المعللم على حقيقة أطوار حياتهم جميعا .

الصفائر من الذنوب

والصغائر هي ما دون الفاحشة ، وهي التّبلة واللمسة والمباشرة والنظرة وغيرها ، فإذا التقى الختانان وتوارث الحشفة فقد وجب الغسل ، وهذه هي الفناحشة .

روى الهضارى ، ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : وإن الله تعالى إذا كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، والنفس تتمنى وتشتهى ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه.. ٣٠٠.

وروى ابن جرير أن ابن مسعود قال : زنا العين النظر ، رزنا الشقتين التقبيل ، وزنا اليدين البطش ، وزنا الرجلين المشى ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه ، فإن تقدم بفرجه كان زابيا وإلا فهو اللمم . وكذا قال مسروق والشعبى .

ويرى فريق من العلماء أن اللمم هو الإلمام بالذنوب ثم التوية منها ، فصاحب اللمم يقع في الكبائر أو يرتكب الآثام غير مُصرُّ عليها ثم يندم ويتوب من قريب .

قال ابن جرير: عن أبى هريرة رضى الله عنه – أراه رفعه – فى: اَلَّذِينَ يَعْتَبُونَ كَبُــُورَ ٱلْإِلْمِ وَٱلْقَوْحِشَ إِلَّا اللَّمَ ... (النجم: ٣٧). قال: اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود ، واللمة من السرقة ثم يتوب ولا يعود ، واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود ، قال: فذلك الإلمام .

وروي ذلك موقوفا على الحسن.

وهذا التفسير يفتح باب التوية أما الجميع حتى مرتكب الكبيرة لا ييأس ، فإذا صدق فى تويته وأخلص فى نيته ، وأكد عزمه على التوية النصوح فإن أمامه رحمة الله الواسعة التى يشمل بها التائبين ، ويستأنس لذلك بما فى الآية من المفقرة :

ٱلْدِينَ يَمِيَّشِونَ كَيْتِيرَ ٱلْإِنْمِ وَٱلْفَوْ حِمْنَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ زَلْكَ وَاسْعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَشَمُّ أَحِنَّةً فِي يُطُونِ أَمْهُ عِكُمْ فَلا تُرَكِّرُا ٱلْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ٱلْفَيِّ . (النجم . ٣٧) . والآية كما نرى تفتح باب الرجاء، وتدل الناس على عظيم فضل الله، فهو خلقهم وهو أعلم بهم، وحين يذنبون لا يغلق باب الرحمة في وجوههم بل يفتح أبواب القبول للتائبين ، ويغفر للمستغفرين ، قال تعالى

قُلْ يَلْجَادِىَ ٱلَّذِينَ ٱلسَّرُقُواْ عَلَىٰٓ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْتَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَشْرُ اللَّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّه, هُوَ ٱلْغَفُورُ الرَّجِيمُ ، (الدَمِد: ٥٣).

وفى المصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل رينا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فينادى: يا عبادى، هل من داع فأستجيب له ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من تائب فأتوب عليه، هل من طالب حاجة فأقضيها له ، حتى يطلم الفجى، (°°.

٤ - حقائق العقيدة :

وفى الآيات الأخيرة من السورة (٣٧ – ٢٧) تعود الفواصل القصيرة والتنغيم الكامل فى أسلوب بسيط، وإيقاع يسير، وتقرر الآيات الحقائق الأساسية للعقيدة كما هى ثابتة منذ إبراهيم صاحب الحنيفية الأولى، وتُعرف البشر بخالقهم ، قائاره واضحة أمام الناس فهو الخالق الزازق صاحب الطول والإنعام ، ومنه المبدأ وإليه المنتهى ، وهو الذي أهلك المكذبين من عاد وثمود وقوم نوح ، ولكنكم يا أهل مكة تضحكون وتسخرون ، وتسترسلون فى غيكم وعنادكم ، وأولى بكم أن تسجدوا لله وأن تعبدوه ، وأن تقبلوا على دينة مقرين لله بالعبودية ، ولمحمد بالرسالة .

في فضل سورة النجم

آخرج البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، عن ابن مسعود قال : أول سورة أنزلت فيها سجدة: وَآثَجُم ، فسجد رسول الله ﷺ ، وسجد الناس كلّهم ، إلا رجلاً رأيته آخذ كفًّا من تراب فسجد عليه ، فرأيته بعد ذلك قتل كافرا ، وهر أمهًا بن خلف . (°°).

إثبات النبؤة وظاهرة الوحى

﴿وَالنَجْمِ إِذَاهُوَىٰ ۞ مَاصَلَ صَاحِبُكُو وَمَاغُوىٰ ۞ وَمَا يَطِقُ عَنِ الْمُوَىٰ ۞ إِنْ هُو إِلَا وَمُّنُ يُوحَىٰ ۞ عَلَمُهُ شَلَي يُدَالْفُونَ ۞ ذُو مِرَ وَفَاسْتَوَىٰ ۞ وَهُو إِلَّا فُقِ الْأَغُونَ الْأَغُونَ الْ ۞ فَكَانَ قَابَ قُوسَتِنِ أَوَأَدْنَ ۞ فَأَوْحَىٰ إِلَى عَبْيهِ مِا أَوْحَى ۞ مَاكَذَبَ الْفُوَادُ مَا رَأَىٰ ۞ أَخَمُنُ وَيُهُ عَلَىٰ مَا رَكِي ۞ وَلَقَدْرَواهُ مُزَلَقَالُخُونَ ۞ عِندَ سِدْرَ وَالْمُنْعَىٰ ۞ عِندَ هَاجَنَةُ الْمُأْوَىٰ ۞ إِذْ يَقْشَى السِّدُرَوَ مَا يَعْشَىٰ ۞ مَا زَاعَ الْمَمْرُ وَمَا طَفَىٰ ۞ لَقَدَّرَكُىٰ مِنْ المِنتِ رَبِهِ الْكُرُّونَ ۞ ﴾

المطردات:

هــــــهی، سقط وغرب ، أو نزل ،

مسيا ضييلًا، ما حاد عن الطريق المستقيم .

مساحب كها محمد ﷺ .

ومساغسوي ، ما اعتقد باطلا ، والخطاب في هذا لقريش ،

وما ينطق عن الهوى ، ما يتكلم بالباطل .

شديد القوى : جبريل عليه السلام .

دُومِورة ، دُو حصافة عقل وقوة عارضة ، من قولهم : أمرزتُ الحبل ، أي : أحكمت فتله .

فساست مداء في مبدأ النبوة .

وهو بالأفق الأعلى؛ بالجهة العليا من السماء المقابلة للناظر.

دئــــا، قرب،

قاب قاوسين ، القاب : ما بين المقيض وطرف القوس ، والقوس آلة على هيئة الهلال ترمى بها السهام ، أى : مقدار قوسين عربيتين ، والعرب تقدر الأطوال بالقوس والرمح وبالذراع والباع ، وبالخطوة والشير والإصبع .

أو أورب من ذلك .

المسلم الد و فؤاد محمد على .

م_____ رای و ما رآه بیصره .

نيزاية الحيرى، مرة أخرى من النزول.

سعارة المستنهى، شجرة نبق في السماء، إليها ينتهي علم الملائكة.

جندة المسأوى ، الجنة التي يأوى إليها المتقون .

ومساطسة عن ما جاوز ما أمر به .

المات ريد الكبرى، عجائبه الملكية والملكوتية في ليلة المعراج.

تمهيده

هذه آیات بینات یقسم فیها الحق سبحانه وتعالی بالنجم عندما یهوی وینزل مسرعا ، من جهة السماء إلى جهة الأرض ، والغالب أنه هو نجم الشعری الذی قال القرآن عنه : وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَیُ . (النجم : ۴) . وقیل : هو نجم الشعرا ، وقیل : هو أَی نجم یهوی ، کما یهوی جبریل من السماء علی محمد به بالوحی ، وجواب القسم : مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَرَیْ . فمحمد به راشت غیر ضال ، عاقل ویعید عن الغوایة ، وهو ینطق بالوحی والصدق ، ولا ینطق بالشعر ولا بالهوی ، والذی ینطق به هو الوحی الإلهی تلقاء عن ملکو شدید القُوی حسًا ومعنّی ، وهو جبریل علیه السلام صاحب العقل الذکیّ ، والروح القویة، والبدیهة الحاضرة .

ولقد رآه النبي صلى على صورته الحقيقية مرتين:

الأولى: في بدء الرسالة عند غار حراء ، والثانية: في ليلة الإسراء والمعراج .

التفسيره

٤٠ ٣٠ ٢ ، ٤ - وَآلَنجُم إِذَا هَزَىٰ هَ مَا صَلْ صَاحِكُمْ وَمَا عَوَىٰ هِ وَمَا يَعَلِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ هِ إِنْ هُوَ إِنَّا وَهُى يُوحَىٰ. يقسم الله تعالى بالنَّجم الذي يُهندي به في ظلمات البر والبحر.

و للنجوم فوائد ثلاث :

- (أ) زينة للسماء .
- (ب) رجوم للشياطين.
- (ج) هداية للسائرين.

والنجوم عالم كبير متحرك ، له مسارات منتظمة لا تصطدم ببعضها ، بل تسير بحكمة الله وقدرته الذي يمسك بنظام هذا الكون .

قال تعالى : فَاذَ أَقْسِمُ بِمُوَاقِع ٱلنَّجُومِ ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ أَنْ تَعَلَّمُونَ عَظِيمٌ ، إِنَّهُ رَقَوْءَانُ كَرِيمٌ ، فِي كِنْدِبِ مُكُونِهِ لا يَمَسُّتُ إِلَّا ٱلْمُظَهِّرُونَ ، فَوَيْلٌ مِّنْ رَبِّ ٱلْصَلْجِينَ . (الراقعة : ٢٥ - ٨٠) .

يقسم الله بالنجوم عند إدبارها آخر الليل ، أن بالنجم الـذي يهـوى شهابا ثاقبا فيقتل الشياطين أن يخبلها .

وكانت الشياطين ترصّ بعضها فوق بعض ، حتى يكون آخر شيطان يستطيع أن يتسمّع إلى كلام الملائكة ، فيسترق السمع ، ويضبر به الكهًان ، فيكذب الكاهن مع هذا الأمر مائة كذبة ، فلما أرسل الله محمداً
أله مُثانت الحراسة على السماء ، فمن حاول استماع الغيّب أصابه شهاب ثاقب (نجم يهوى) فيقتله أو يخبله،
فلما أخبرت الجنّ رئيسها بذلك ، قال لهم : انطلقوا في الأرض فانظروا ما حدث فيها ، فانطلقت طائفةً إلى
مكة ، فسمحت رسول الله من قائما ببطن نخلة يقرأ القرآن ، وقد وردت هذه المعانى في صدر سورة الجن،
وفي حديث نبوى شريف بالجامع المحجيع للإمام البخارى .

وهي أول سورة الجن يقول تعالى : قُلْ أُوحِيَ إِلَى آلَهُ آسَمَعَ لَقَرْ مَنْ ٱلْجِنَّ لَقَالُواْ إِلَّا سَمِعْنَا فُرْءَاناً عَجَيًّا ﴿ يُهْدِى إِلَى الرَّ شَدِ فَعَامَتًا بِهِ وَكُن تُشْرِكُ بِرَبَّتَا أَحَمَّا . (البن: ٢٠١١) .

وهي الآيتين (٨ ، ٩) من سورة الجن يقول الله تعالى : وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَاءَ فَوَجَنَفَهَا مُلِثَتَا وَشُهُهًا ء وَأَنَّا كُنَّا لَقُمْلُهُ مِنْهَا مَقْدِهِ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتُعِع ٱلْأَنْ يَجِدُ لَهُر شِهَاهًا وَصِنَّا . (الجن ١٨ . ١) .

عود إلى التفسير

أقسم الله تعالى بالنجم الذى يهوى شهابا ثاقبا ، وسهما مصيبا يقتل الجنّى أو يخبله ، أو أقسم بالنجوم عند إدبارها في آخر الليل ، أو أقسم بنجم الشعرى ، وكان بعض العرب يعبده ، وكان قدماه المصريين يوقّعون فيضان النيل ، بعبور الشّعرى بالفئك الأعلى ، ويرصدونه من أجل ذلك ، ويرقبون حركاته، وللشّعرى شأن في أساطير الفرس وأساطير العرب على السواء .

وقيل: أقسم الله بالتَّرِيا ، وقيل: أقسم بجنس النَّجم الذي له هذه الصفات الجليلة ، والحركة المنتظمة. مَا ضَلُّ صَاحِبُكُمْ وَمَا خُوَى ما بعُد محمد ﷺ عن الحقّ ، وما غاب عن الهدى .

وَمَا غَوَىٰ . وما خاب ولا انخرط في سلك الجهال الضالين، بل هو راشد مهتد ، يحمل الذُّور والهدى ، كما يحمل النجم الضوء للسُّارين ، وإن جبريل لينزل عليه في سرعة النجم إذا هوى.

وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ . إن كالامه وحديثه وأقواله لا تصدر عن هوي وغرض .

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ .

إن ما ينطق به محمد ﷺ هو وحى السماء ، هو القرآن الكريم الذي ينقله جبريل عن الله عز وجل ، ثم يتلقاه النبي ﷺ عن جبريل بواسطة الرحى .

وقد قال ﷺ : «أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منّى إلا الحق. .

ه ، ٧ ، ٧ – عَلَّمَهُ, شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَآسْتَوَىٰ ﴿ وَهُوَ بِٱلْأَفْقِ ٱلْأَعْلَىٰ .

جبريل أمين السماء يأتي إلى النبي ﷺ في مثل صلصلة الجرس ، وأحيانا يأتيه الوحي مثل دويً النحل، وهي حالة غيبية علوية ، يغيب فيها النبي ﷺ عمنٌ حوله ، ويتحوّل بكل حواسه وثقله الروحي إلى تلقى الوحى من جبريل، وجبريل ملاك أمين ، فيفصم جبريل عن النبي ﷺ وقد وعي ما يقوله من أمر الوحي.

قالت عانشة: ولقد رأيت النبي ﷺ ينزل عليه الوحى في اليوم الشديد البرد، وإن جبينه ليتفصُّد عرقا. ١٠٠٠. ومعنى الآيات:

علُّم محمداً مَلُكُ شديد القوى هو جبريل عليه السلام ، شديد القوى العلمية والعملية ، وهو تو قوة وشدّة في الخلق . ومعنى ذر مرة : دو حصافة في العقل ، ومتانة في الرأى ، وهو أمين أيّ أمين ، دو جدارة وهمة بالغة، في تنفيذ المهامّ المكلّف بها .

وقد رأه النبي ﷺ على صورته الحقيقية ، في الأفق الأعلى ، أي في الجهة الحليا مز. السماء ، وهي أفق الشمس ، فسدًّ الأفق عندما جاء بالوجي إلى النبي ﷺ أوّل ما جاء .

قال الله تعالى: إِنَّهُ, لَقَوْلُ رَسُولِمِ كَوِيمِ ه فِي قُوْةٍ عِندَ ذِي ٱلْفَرْهِمِ مَكِينٍ ه مُطَاعٍ فَمْ أَمِينٍ ه وَمَا صَاحِبُكُم بِمَخْمُونِهِ هَ لَقَدْ رَمَانُهُ بِٱلْأَفْقِ ٱلْمُنْهِينِ . (التكوير : ١٩ – ٣٣) .

وقال تعالى : وَإِنَّهُ لَتَنوِيلُ رَبِّ ٱلْعَلَمُونَ ، نَوْلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَبِينُ ، عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَلَّوِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَىيًا مُّسِنَ ، (الشعراء : ١٩٧ – ١٩٥) .

٨ ، ٩ ~ ثُمَّ دَنَا فَتَنَلَّىٰ ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ .

ثم اقترب جبريل من النبي ﷺ ، وجعل يدنو منه ويتدلّى ، أي : يزيد في القرب والنزول ، حتى كان مقدار ما بين جبريل ومحمد ﷺ من المسافة مقدار قوسين ، أو أقل من قوسين وأقرب من ذلك ، على تقديركم ومعاييركم ، وهذا كناية عن القرب .

ويصبح أن يكون المعنى: بل هو أدنى .

وكل ذلك يعبّر عن القرب الحسيّ والمعنوى، والشوق والتقارب بين جبريل عليه السلام ومحمد ﷺ،

١ - قَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ .

فأرحى جبريل عليه السلام إلى عبد الله ورسوله محمد ﷺ الذي أوحاه إليه من عند الله سبحاته وتعالى ، ولم يبيّن سبحانه وتعالى الموحَى به وذلك لتفخيمه وتعظيمه ، أي أوحى إليه أمرًا عظيما.

وقيل: المعنى: فأوحى الله تعالى إلى جبريل ما أوحى إلى نبيه محمد ﷺ.

١١ - مَا كُذَبَ ٱلْقُوادُ مَا رَأَيْ .

أى: ما كذب قلب محمد ﷺ وفؤاده ويقينه ما رآه بعينيه ، من رؤية جبريل على صورته الحقيقية ، لقد تثبُّت واستيقن فؤاده أنه الملك ، حامل الوحي ، ورسول ربّه إليه ليعلّمه ويكلّف تبليم ما يعلم.

١٧ - أَفَتُمَارُونَهُ عَلَيْ مَا يَوَى .

أفتجادلونه وتكدّبونه وتتهمونه مرة بالسحر ومرة بالشعر ومرة بالكهانة ، ومرة بكتابة أساطير الأولين ، ومرة بالتّشيّل والجنون .

وهو قد رأى جبريل واقترب منه ، وتبقن أنه جبريل حامل الوحى إلى محمد ﷺ رسول الله ، فما كان ينبغى لكم تكذيبه ولا مجادلته ، إنه نبى الله حقًّا ، أرحى إليه مَلَك حقيقى ، وأنزل الله عليه الوحى حقًّا .

قال تعالى : كَوْلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ه عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَلِدِينَ ه بِلِسَانِ عَرَبَى تُجِينٍ ه وَإِلَّهُۥ لَقِي زُمُوِ ٱلأُولِينَ . (الشعراء: ١٩٣ – ١٩٦) .

١٣ - وَلَقَدْ رَعَاهُ نَزْلَةُ أَخْرَى .

ولقد رأى النبي ﷺ جبريل على صورته الحقيقية مرة أخرى ليلة الإسراء والمعراج.

١٤ - عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ.

وسدرة المنتهى : شجرة نبق عن يمين العوش ، في السماء السابعة ، ينتهى إليها علم كل عالم ، وما وراءها لا يعلمه إلا الله .

أو أنُّ رحلة جبريل قد انتهت عندها ، ثم تقدم النبي ﷺ خطوات أخرى خاصة به .

أو أن رحلة الإسراء والمعراج قد انتهت عندها.

وكل نلك غَيْبُ لا يعلمه إلا عالم الغيب ، ونحن نكتفى بما ورد فى القرآن الكريم والسنّة المطهرة الصحيحة ، ونفرُهن حقيقة المرك إلى الله عز وجل .

وقد ورد في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد ، ومسلم ، والترمذي ، عن ابن مسعود قال. لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى ، وهى في السماء السابعة، إليها ينتهى ما يعرج بها من الأرض فيقبض منها ، وإليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض ..نها ... ""

ودوی مسلم ، عن أنس أن النبي ﷺ قال : «لما رُفعتُ إلى سدرة المنتهى في السماء السابعة ، نبقها مثل قلال هجر ، وورقها مثل آذان الفيلة» (^(۱))

١٥ - عِندُها جَنَّةُ ٱلْمَأْوَى .

أى: الجنة التي تأوى إليها الملائكة ، وأرواح الشهداء والمتقين والمؤمنين .

١٩ - إِذْ يَغْشَى ٱلسَّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ .

أى: تلك السدرة التى يحيط بها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله ما يحيط، مما لا يحصره وصف ولا عدّ، وهذا في رأى الأكثرين يشعر بالتعظيم والتكثير.

وقيل : غشيتها الملائكة لتنظر إلى النبى محمد ﷺ ليلة الإسراء والمحراج ، وقيل : تفشاها أنوار الله، فما تستطيع العين أن تنظر إليها، أو تتمتها من حسنها .

١٧ – مَا زَاغَ ٱلْيُصَرُّ وَمَا طُفَىٰ .

زَاغُ: نظر يمينا وشمالاً، وطُغَىٰ: جاوز الحدّ، أى: ما مال بصر النبى على يسينا ولا شمالا، وما تجاوز الحدّ، وما تطلع إلى رؤية شيء لم يؤذن له برؤيته، بل كان في سعت المتقين، وأدب المرسلين، ويقين الصديقين، ورضا المحبين، فانطلق في طريقه قانعا بما أذن له به ربّه من التكريم والتعظيم والفضل العميم.

حيث رأى جبريل على صورته الحقيقية، وسائر عجانب الملكوت، وهذا كقوله تعالى: لِلْرِيَّهُ, مِنْ عَلَيْضًا ... (الإسراء: ١).

وقد رأى ما تتحيّر العقول في إدراكه ، كما قال القائل :

رأى جنة المأوى وما فوقها ولو رأى غيرة ما قدر آلا لمعاها

١٨ - لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَلتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ .

رأى من آيات الله تعالى الكبرى ما يجل عنه الحصر والاستقصاء ، كان الإسراء رحلة أرضية من المسجد الحرام إلى المسحد الأقصى ، حدث أرام الله آمات ببنات .

وقد روى البخارى أن النبى ﷺ صلى فى بيت المقدس إماما بالأنبياء ، وأخذت له البيعة ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تمالى :

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِثَلَىَّ آثِيْسَنَ لَمَا عَائِينَّكُم مِّن كِتَنْسِ وَحِكْمَةٍ فُمْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ تُصَدَّقًا لَمَّا مَعَكُمْ فَوَيْسَنَّ بِهِ وَتَسَمُّرُكُمْ. قَالَ عَافَرَرُهُمْ وَأَخَذَتُمْ عَلَىٰ ذَٰزِكُمْ إِصْرِى قَالُومَ الْفَرْآ فَالَ قَاضَهُواْ وَأَنْا مَتَكُم مِّنَ الشَّنْهِلِينَ. (ال عمول: ٨١).

كما أثبت البخارى أن النبى ﷺ صعد به إلى السماوات العلى ، واستقبله من كل سماء مقرَّيوها : في السماء الأولى : آنم . وفي السماء الثانية : يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة .

وفي السماء الثالثة: يوسف، وقد أعطى شطر الحسن.

وفي السماء الرابعة : إدريس ، وقد رفعه الله مكانا عليًا .

وفي السماء الخامسة : هارون .

وفي السماء السادسة : موسى .

وفى السماء السابعة : إبراهيم أبو الأنبياء ، على كرسى من نور ، مستداً ظهوه إلى البيت المعمور ، فقال : يا محمد ، بلغ أمتك منى السلام ، وأخيرهم أن الجنة قيمان ، وأنها طبية التربة ، وغراسها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وكان كل رسول يقول للنبى ﷺ مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح ، وعند السماء السابعة تطلُّف جبريل وقال : وما مثا إلا له مقام معلوم .

ثم رأى النبى ﷺ من آيات ربه الكبرى ، رأى سدرة المنتهى، ورأى الجنة عند سدرة المنتهى ، ورأى جبريل على صورته الحقيقية ، ورأى ما لا يحيط به الوصف أو الحصر ، حيث أراد الله تكريمه ، فأراه الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ، كلهم يؤمنون به ويصدقونه ، وكان الإسراء والمعراج في أعقاب رحلة النبى ﷺ إلى الطائف ، حيث قابلة أهلها مقابلة سيئة، وآنوه ورصوه بالحجارة ، واشتكى النبي ﷺ إلى ربّه تكنيب أهل مكة ، ثم تكنيب أهل الطائف ، ورفع يديه إلى السماء قائلاً: «اللهم أشكر إليك ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس يارب العالمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربّى ، إلى من تكني ؟ إلى عدر يتجهمنى ، أو بعيد ملكته أمرى ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن ينزل بى سخطك ، أو يحل على غضبك ، لك العتبى حتى ترضى ، عافيتك هى أوسع لى، ولا حول ولا قوة إلا بالله الطي المظهم» . (١٠)

وفي أعقاب رحلة الطائف عاد النبي ﷺ إلى مكة، ولم يستطع دخولها إلا في جوار المطعم بن عدي، وبينما هو نائم في الحجر أو في بيت أم هافئ تمّ الإسراء والمعراج ، عجيبتان ريانيتان .

قال تعالى : سُبَحَننَ ٱلَّذِينَ أَشَرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيُلا مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَاءِ إِلَى ٱلْمُسْجِدِ ٱلْأَفَسَجِدِ ٱلْخَرَاءِ إِلَى الْمُسْجِدِ الْأَفْصَا ٱلَّذِي بَشَرَكُنَا حَوْلَهُ, لِلْوَبِمُهُ, بِنْ عَائِلْتِنَا إِنَّهُ هُوْ ٱلسَّمِيعُ ٱلْمُصِدُّ (الإساء : ١) .

أى أن الله تعالى أسرى برسوله ﷺ ليلا من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالشام، وحوله الثمار والأشجار، والحرم ومقابر المرسلين، وآذار الأنبياء، ليطلع النبي ﷺ على هذه الآيات، تكريما له ومؤازرة له ، بعد وفاة عمه أبى طالب ، ووفاة زوجه خديجة بنت خويلد ، وتكالب الكافرين على حربه وإيذاك، ثم تمّ له المعراج إلى السماوات العلى ، حيث رأى من آيات ربّه الكبرى .

ويرى جمهور العلماء:

أن الإسراء كان بالروح والجسد، يقظة لا مناما.

والراجح أيضا أن المعراج كان بالروح والجسد معاء لأن الرؤيا المنامية تكون لكثير من الناس ، أما الإسراء فقد ذكره الله مشيرا إلى قدرته تعالى وتنزيهه عن مشابهة المحوادث ، حيث جعل رسوله محمدًا ﷺ ساريا بالليل مخترقا الحجب ، كما ذكر القرآن المعراج في صدر سورة النجم ، والراجح أن المعراج كان بالروح والجسد معا .

ويرى بعض المفسرين أن الإسراء كان بالروح والجسد، وأن المعراج كان بالروح فقط.

وقد رجح الإسام الطبرى شيخ المقسرين ، وغيره من المقسرين أن الإسراء والمعراج كانا بااروح والجسد ، يقتلة لا مناما .

فلو كان بالروح ما كذبته قريش ، ولا تعجُّبوا من أمره ، ولما ارتد بعض ضعاف الإيمان .

ولأن قوله تعالى: سُبْحُنْنُ ٱللَّذِيَّ أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ... يفيد أن العبد مجموع الجسد والدوح .

وكذلك قوله تعالى في المعراج: لُقَدْ رَأَىٰ مِنْ عَايَلْتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَيِّ .

يفيد أنه رأى رؤية حقيقية عالم الملكوت ، عالم السماء والأنبياء والمرسلين والملائكة ، والتكريم الإلهي ، وسدرة المنتهي ، وجنة المأوى ، وآيات ربّه الكبرى .

قال شوقي:

یا أیها الهُسری به شرقًا إلی پنساءلون وأت أطهر هیکل بهما سموت مظهرین کلاهما فضل علیك لذى الجلال ومنهً تغشى الغیوب من العوالم كلما یا من له الأخلاقُ ما تهوى العلا والحسن من كرم الوجوة وخيرة

ما لا تعنالُ الشمس والجوزاة بالروح أم بالهبكل الإسراء نسور وروحسانية وبها والله يضعل ما يرى ويشاء طويت سماء قلدتك سماء منها وما يتعشق الكبراء منها أوتى المقرّاد والرعساء وفعلت ما لا تضعل الأنواء لا يستهين بعفوك الجهلاء هذان في الدنيا هما الرحماء تعوو الندى وللقلوب بكاء فجميع عهدك نُمة ووفاء فإذا جريت فإنك المستكباء في العلم أن دانت لك العلماء وهو المبتزلاما له شضعاء والحوض أنت حيالة السقاء والحوض أنت حيالة السقاء والحوض أنت حيالة السقاء والحوض أنت حيالة السقاء

وإذا سخوت بلغت بالجود المدى وإذا عضوت بلغت بالجود المدى وإذا رحسمت فسأنت أم أو أب وإذا تحطبت فللمناسر هزة وإذا أحدت العهد أو أعطيته وإذا أحدت العهد أو أعطيته يأ أيسها الأمن حسبك ريسة يا من له عز الشفاغة وحده عرض القيامة أنت تحت لوائه مروى وتمقى الصالحين دواهم

آراء للى الموضوع

رأى بعض المفسرين : أن الآيات التى وردت فى صدر سورة النجم ، تشير إلى رؤية محمد ﷺ لله سبحانه وتمالى .

وقال بعضهم: الضمائر في (دنا) و (تدلُّي) و (كان) و (أوحى) وكذا في (رآه) لله عز وجل.

ويشهد لهذا ما أخرجه البخاري ، عن أنس قال : ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله ، حتى جاء سدرة المنتهى ، ودنا الجبّار رب العزة ، فتدلّى ، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إليه فيما أوحى خمسين صلاة . ٣٠ .

والزاجع أن النبى 義 رأى جبريل على صورته الحقيقية مرتين ، الأولى عند البعثة ، والثانية ليلة الإسراء والمعراج .

بدليل ما تُخرجه مسلم ، عن أبى در أنّه سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، هل رأيت ربك ؟ فقال: «رأيت نورًا» ("". وانظر تفسير الآلوسي والطبري لصدر سورة النجم .

المُلكُ لله وحده

﴿ أَنْزَءَيْمُ اللَّن وَالْفُرَّى ١٠ وَمَنْوَ النَّالِيَةَ ٱلأُخْرَىٰ ٥ ٱلكُمُ الذَّكُرُولَةُ ٱلْأَنْنَ ١٠ إِلّ
إِذَاقِسَمَةُ ضِيزَى ١٠٠ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَأَهُ مُنَيَّتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَآ وَكُوْمَآ أَنزَلَ اللهُ يَهَا وِنسُلُعَلَيُّ إِن
يَتِّيعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْجَاءَهُم مِّن زَّيِّهِمُ ٱلْمُدَىٰ ١٩٣٠ أَمْ لِلإنسكينِ مَا تَسَنَّى
۞ فَلِلَّهِ ٱلْأَخِرَةُ وَٱلْأُولَى ۞۞ وَكَرَيِّن مَّلَكِ فِى ٱلسَّمَوَتِ لَاتَّغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيًّا إِلَّامِنُ
بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمِن يَشَلَأُ وَيُرْضَى ١٠٠٠

2	دات	مفر	ژ
---	-----	-----	---

- ال معنى مشجرة عليها بناء وأستار بنخلة ، وهي بين مكة والطائف ، وكانت قريش تعظمها،
 كما قال أبو سفيان يوم أُحُد : (لنا العزي ولا عزّي لكم) ، فقال رسول الله ﷺ :
 والله مولانا ولا مولي لكم» ، ويظنَ أن العزّي مؤنث العزيز .
- - الأخ رى: المتأخرة الوضيعة القدر.
 - ن ي زي ؛ جائرة غير عادلة ، ناقصة غير تامة .
 - إن هـ إلا أسماء؛ ما اللات والعزى ومناة إلا أسماء لا حقيقة لها ، وليست آلهة .
 - ماأنزل الله بهامن سلطان، لم ينزل الله تعالى وحياً يأذن في عبادتها.
 - إن يستب عون إلا النظن، ما يتبع المشركون في عبادة أصنامهم إلا الظن والخرص والكذب.
 - وما تهدوى الأنسفس ، وما تهواه أنفسهم ، وتعيل إليه شهواتهم .
 - اليري ، هو هداية القرآن ، ورسالة محمد ﷺ .

وكسم مسئ مساك، وكثير من الملائكة.

لاتفنى شفامتهم الاتنفع شفاعتهم شيئا .

الممن يشاء ويسرضى، لمن يشاء الله أن يشقع له الملائكة، ويراه أهلاً للشفاعة ، فالشفاعة تحتاج إلى أمرين: الإذن من الله ، والرضاعن المسقوع له .

تمهيده

في بداية السورة حديث عن رسالة محمد ﷺ ، ويبان صدقه وصدق جبريل الروح الأمين ، وهنا يناقش القرآنُ المشركين في عبارتهم أصنامًا لا تضرّ ولا تنفع ، ولا تشفع لمن عبدها ، ولعل هذه الألهة المدعاة كانت رموزا للملائكة ، أو لعباد صالحين ، وبعد فقرة عبدوا هذه الرموز ، ونسى أصل الأسطورة ، فلم بعد يذكرها إلا المثقفون .

لقد جملوا الملائكة إناثا ، وزعموا أن لها شفاعة ، وقد فئد القرآن زعمهم الباطل ، فكيف يجملون لأنفسهم الذكور ، ويجملون لله ما يكرهون من الإناث ، إنها لقسمة جائرة ، ضِيرَكا . غير عادلة ، ولم ينزل وهى من السماء أو شريعة تثبت أن اللات أو العزى أو مناة ، أو غيرها من الأصنام ، لها قدرة الآلهة أو أنها تستحق العبادة ، لكنهم يعتمدون في ذلك على الظنّ وهوى النفس ، والعقيدة الصادقة تعتمد على اليقين الجازم ، وقد جاءهم محمد ﷺ بهذه العقيدة وفيها الهدى .

إن الشفاعة بيد الله ، وكثير من الملائكة في السماوات لا يملكون الشفاعة إلا لمن أَذن الله له بالشفاعة ، ورضي له بها ، والمراد أن عبادتهم للأصنام أو للملائكة بائرة ضائعة.

التفسيره

٢٠،١٩ - أَلَوَءَيْتُهُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْقُورُىٰ ﴿ وَمَنَوْلَهُ ٱلنَّالِئَةِ ٱلْأَخْرَىٰ ﴿

هذه أصنام كانت تعظمها العرب فى الجاهلية ، وهنا يقرعهم القرآن ويوبخهم على عبادتهم لها ، وهى لا تملك أن تخلق مثل هذا الكون ، ولا تملك أن تختار رسولا مثل محمد ، ولا أن تختار ملاكا مثل جبريل ينزل بالرحى ، فلماذا يتركون الله العظيم القادر الخالق الرازق ، ويتجهون بعبادتهم إلى هذه الأصنام ، ومن هذه الأصنام :

(أ) آللَّتُ : وكانت صغرة بيضاء منقوشًا عليها نقوش ، وهى داخل بيت بالطائف ، له أستار وسدنة، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف ، وقيل : إن اللات رمز لرجل كان يلت السويق للحاج على حجر ، فلما مات عبدوا ذلك الحجر إجلالا له ، وسموه بذلك ، ويقيت اللات إلى أن أسلمت ثقيف ، فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار. (ب) آلَّمُوَّىٰ: وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة ، بين مكة والطائف لفطفان ، وكانت قريش تعظمها ، كما قال أبو سفيان يوم أحد : لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال رسول الله ﷺ «قولوا : الله مولانا ولا مولى لكمه ٣٠١.

وقد ذهب خالد بن الوليد إلى العزِّي فهدمها ، وهو يقول :

يا عز كفرانك لا سبحانك إلى رأيت الله قد أهانك

(ج) مَنَوَةً : ركانت بالمثلل عند قديد بين مكة والمدينة ، وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ، ويهلُون منها للحج إلى الكعبة ، وتذبح عندها القرابين ، وسميت (مناة) لأن الدماء كانت تمني عندها ، أي : قراق .

وقد بعث رسول ﷺ على بن أبي طالب فهدمها عام الفتح.

«وكانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخرى ، تعظمها العرب كتعظيم الكعبة ، غير هذه الثلاثة التى نصّت عليها الآية ، وإنما أفردت هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرهاء. "".

قال ابن اسحاق:

كانت العرب قد اتفذت مع الكعبة طراغيت ، وهي بيرت تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها سدنة وحُجّاب. تطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها .

وخلاصة المعنى :

أخبروني يا معشر الكفار عن هذه الآلهة التى تعبدونها – اللات والعزّى ومناة – هل لها من القدرة والعظمة والخلق والإبداع مثل الله حتى عبدتموها ، وطفتم حولها ، ورغمتم أنها آلهة ؟

٢١ - أَلَكُمُ ٱلدُّكُرُ وَلَهُ ٱلْأَلْفِيلِ.

أى : أتجملون لله ولذًا وهو منزه عن الصاحبة والوك؟ وتختارون أن يكون ولده أنثى وأنتم تكرهون الأنشى ؟

٢٢ - بِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿

إنها قسمة جائرة ظالمة ، أن يكرن لكم معشر المشركين النوع المحبوب من الأولاد وهو الذكر ، وله تمالى النوع المذموم يزعمكم وهو الأنثى .

قال الإمام فخر الدين الرازي :

إنهم ما قالوا: لنا البنون وله البنات ، وإنما نسبوا إلى الله البنات ، وكانوا يكرهونهنَّ ، كما قال تمالي : وَيُجْتُلُو ثَالِّم هَا يُكُرِّمُونَ ... (النجل: ٣٧) .

فلما نسبوا إلى الله البنات حصل من تلك النسبة قسمة جنائرة.

٣٣ – إِنْ هِيَ إِلاَّ أَشْمَاءٌ سَمْيَتُمُوهَا أَشْمُ وَوَابَارُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَدْنِ إِن يَتْجُعُونَ إِلَّا الطَّنْ وَما تَهْوَى الْأَنْ فِهَا مِن سُلْطَدْنِ إِن يَتْجُعُونَ إِلَّا الطَّنْ وَما تَهْوَى الْأَنْ فَسُر وَلَقَدَ جَاءَهُم مَّن رَبِّهِم ٱلْهُدَىٰ؟.

ما هذه الأوقان والأصنام إلا أسماء مجردة عن المعانى ، ليس فيها من الألوهية إلا الاسم المجرد، فهى لا تخلق ولا تنفع ، ولا تسمع ولا تجبب ، ولكن آباءكم عبدوها فسرتم خلفهم بدون عقل أو فكر أو تأمل، ولم ينزل وحى أو دليل من السماء يؤيد صحة عبادتكم لها ، وإنما أنتم تسيرون خلف الظنون والأوهام وهوى نفوسكم فى عبادة هذه الجمادات الصماء ، مع أن الهدى والرشاد قد جاء إليكم من الله تعالى على لسان رسوئه محمد ﷺ.

قال ابن الجوزى: وفيه تعجيب من حالهم إد لم يتركوا عبادتها بعد وضوح البيان.

وقال ابن كثير : ليس لهم مستند إلاً حسن ظنّهم بآباتهم الذين سلكوا هذا المسك الباطل قبلهم ، وإلا حظ نفوسهم وتعظيم آباتهم الأقدمين ، ولقد أرسل إليهم الرسول بالحق المنير والحجة القاطعة ، ومع هذا ما اتبعوا ما جامهم به رسولهم ولا انقادوا له .

٢٤ - أَمْ لِأَلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ .

أى: ليس للإنسان كل ما يشتهى ، حتى يطمع فى شفاعة الأوقان والأصنام ، فهناك حقائق ثابتة ، ركّزها الله فى هذا الكون توضع أن لهذا الكرن البديع المنظم إلهًا واحدًا خالفًا ، بيده الخلق والأمر ، وهو على كل شىء قدير ، هذا الإله هو الذى يستحق العبادة، وهذا معنى (لا إله إلا الله) أى ليس هناك معبود بحق إلا الله ، أما عبادة الأصنام فهى خضوع للهوى والباطل والأمانى الكاذبة ، وليس للإنسان ما تمناه بالباطل .

قال تعالى : لُيسَ بِأَمَالِيكُمْ وَلَا أَمَانِيُ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ مَن يَعْمَلُ مُوَّنَا يُجْوَّ بِه وَلَا يَجد لَمُه مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيَّا وَلَا تعبيرًا • وَمَن يَعْمَلُ مِنَ ٱلصَّدْلِيحَاتِ مِن ذَكْرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوْ مُؤْمِنٌ فَأَوْ لَذَلِكِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَثَّةُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَقِيرًا .

(النسام: ۱۲۳، ۱۲۴)

لقد كان الكفار يتمنون أن ينزل القرآن على رجل من القريتين عظيم ، والنبوة منحة إلهية ، يشتار الله لها أمل للكفاءة والسمو الريحي ، والنفسي .

وفي سورة الكهف قصة رجلين ، كان أحدهما مؤمنا منصفا ، وكان الآخر كافراً شقيًا ومع هذا تمنى أن تكرن الجنة له في الآخرة ، وقال : وَيُن زُّودِتُ إِنِّي زَيِّي لاَجِدَنُ خَبِّرًا مُنْهَا مُشْلِّاً . (الكيف ٢٦٠) .

وقد أرسل الله على بستانه صاعقة أهلكته ، فأخذ يتحسر على ما أصابه ويقول :

يَلْلَيْنِي لَمْ أُشْرِلُنْ بِرَبِّيَّ أَخَذًا . (الكهف: ٤٢) .

٥٧ - فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ .

له سهمانه وحده ملك الآخرة ، حين ينادى جل جلاله : لَّمَنِ آلمُلْكُ ٱلَّذِمُ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ . (غاهر: ١٦).

وله ملك الدنيا، فهو خالق الأكران، ومسخر الليل والنهار، وهو المعز المذل، الراقع الخافض الباسط، المعطى المانع.

إِنَّمَا أَمْرُهُۥ إِذَا آزَادَ هَيْتُ أَن يَقُولَ لَهُ, كُن يَتَكُونُ ۚ فَسُبْحَنْنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلَّ هَيْءٍ وَإِلَّكِهِ فُرْجَعُونَ (س: ٨٠٠٨٢)

٧٦ - وَكُم مِّن مُلَكِ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ لِا تَفْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَبُّ إِلَّا مِنْ يَغْدِ أَن يَأَذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى ٓ .

كثير من الملائكة المقربين لا تنفع شفاعتهم شيئًا من النفع لأحد من عباده المدنبين ، إلا من بعد أن يأذن الله تعالى في الشفاعة لمن يشاء من أهل التوحيد والإيمان ويرضى عنه ، كما قال سبحانه : مَن ذَا آلْذِي يُشْفُعُ عِندَهُمْ إِلاَّ بِإِفْلِيْ ... (البقرة : ٢٠٥).

وقال عز شأنه : وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَاعَةُ عِندَهُ ۚ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ, ... (سبا: ٢٣) .

فإذا كان ذلك في حق الملائكة المقربين ، فكيف ترجون أيها المشركون شفاعة هذه الأصنام والأثناد عند الله ، وهو سبحانه وتحالى لم يشرع عبادتها ، ولا أذن فيها ؟

لقد حاكمهم القرآن إلى العقل ، ودخل عليهم من كل باب ، وقدم إليهم الحجج والأدلة على أن هذه الأصنام لا تسمع ولا تجيب ولا تعقل ، ولا تنفع ولا تضر ، ولا يوجد دليل نقلى ولا عقلى على ألوهيتها ولا شفاعتها ، فالشفاعة لله وحده ، ولا يستطيع ملك مقرب أن يشفع في أحد من المذنبين إلا بإذن الله ، ويعد أن يرضى عن المشفوع له .

وأجار بعض المفسرين أن يكون معنى الآية ما يأتى:

وكثير من الملائكة لا تنفع شفاعتهم إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاؤه منهم بالشفاعة ، ويراه أهلاً لها.

* * *

توبيخ المشركين لتسميتهم الملائكة بنات الله

﴿ إِنَّ اَلَّذِينَ لَا يُوْمِنُونَ إِلْآخِرَةِ لِيُسَمَّوْنَ الْلَهُ حَمَّةَ مَسْمِيةَ الْأَثْنَى ﴿ وَمَا لَحُم بِهِ مِنْ عِلْمَ إِن يَلَيْعُونَ إِلَّا الظَّنِّ وَإِنَّ اَلظَنَّ لَا يُمْنِي مِنَ الْحَيِّ شَيَّا ۞ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِ الأَلْوَيْرُ إِلَّا الْحَيْوَةَ الدُّنَا ۞ ذَلِكَ مَسْلَفَهُم مِّنَ الْعِلِمُّ إِنَّ رَبَّكَ هُو أَعْلَمُ بِمَن صَلَّحَن سَيِيلِهِ وَهُو أَعَلَّ بِمَن الْمَتَدَى ۞﴾

المفردات

تستمسيسة الأنشفي، بأن يقولوا: إنَّها بنات الله، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

إن يتبعون إلا النظن، ما يتبعون إلا مجرد الترهم الباطل.

لا يفشى من الحق شيئا ، إن الظن لا يغيد في مجال الحقّ ، الذي هو حقيقة الشيء ، فإن الحق لا يدرك إلا بالعلم ، أي البقينيات ، والظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية أو اليقينيات .

شأصرض صمَّن تولى: اترك ، ولا تهتم بمن أعرض عن القرآن وعن تذكيرنا .

ذلك مهلغهم من العلم ، طلب الدنيا وأمرها نهاية علمهم ، فلا يتجاوزه علمهم لأنهم آثروا الدنيا على الآخرة. قمهيك :

بعد أن وبدُخ الله المشركين على عبادة الأوثان فيما سبق ، وَيُشهم هذا على تسمية الملائكة تسمية الإذات ، ولعل هذا سرّ تسمية الأصنام التي ترمز للملائكة بالمؤنث ، مثل : اللات والعزي ومذاة .

ثم بينً أنهم في توهم باطل ، لا حقيقة له ، وأُمَّرَ رسوله ﷺ بالإعراض عنهم ، وعدم الاهتمام بهم ، ولا ضير عليه في ذلك بعد أن بلغ رسالة ربَّه .

التفسيره

٧٧ - إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنشَىٰ .

إن هؤلاء المشركين الذين لا يصدّقون بالقيامة ، والبعث والحشر والجزاء ، يزعمون أن الملائكة إنات. وأنهم بنات الله ، تمالى الله عما يقولون علوا كبيرا . والمراد أنهم يسمّون كل واحد من الملائكة أنثى ، لأنهم إذا جعلوا الكلّ بنات فقد جعلوا كل واحد بنتا، كما جاء فى قوله تعالى : وَجَعَلُوا الْمَلَنْئِكَةُ اللَّذِينَ هُمْ عِبَنْكُ ٱلرَّحْمَنْنِ إِنَّنَا أَشْهِلُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكُتُبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْتَلُونَ . (الزعرف: ١٩) .

٢٨ - وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمِ إِن يَتْبِعُونَ إِلَّا ٱلطَّنْ وَإِنَّ ٱلطَّنَّ لاَ يُغْنِى مِنَ ٱلْمَحَقَّ شَيْمًا .

ليس لديهم خبر صحيح أو علم يقيني بذلك ، فهذه من أمور الغيب ، وهي لا تُعلَم إلا بنقل صحيح ، أو يقين صادق ، وهؤلاء لا يملكون دليلاً نقليا ، ولا دليلا عقليا على ذلك ، وإنما هو التوهم الباطل ، بما ورثوه عن آبائهم بدون بحث أو فكر أو يقين ، ومثل هذا الظن الباطل والتوهّم الخاطيء لا يفني شيئا عن المق ، فإن الحق لا يدرك إلا بالعلم الصحيح .

وهؤلاء لم يشهدوا خلق الملائكة ليعرفوا أنهم إناث ، وليس لديهم وحى منزل بذلك ، ولا علم يقيني په ، والنان لا يغني عن الحق ، ولا يقوم مقامه .

وقد جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : «إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ».

٢٩ - فَأَعْرِضْ عَن مِّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُردَّ إِلاَّ ٱلْحَيَاوَةَ ٱللَّذُّيَّا .

لا تأس على كفرهم وعنادهم ، وحسبك أنك بلغت رسالة الله إليهم ، ثم اتركهم وشأنهم ، لأنهم أعرضوا عن القرآن ، وصنارت الدنيا أكبر همهم .

٣٠ - ذَالِكَ مَتْلَقُهُم مِّنَ ٱلْمِلْم إِنَّ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن صَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن آهَقَدَىٰ .

أى : طلب الدنيا والسمى لها هو غاية ما وصلوا إليه من الإدراك والقهم ، والحرص على الدنيا الفائية والنعيم الزائل .

قال أبو السعود:

والمراد: النهي عن دعوة المُعْرِض عن كلام الله ، وعدم الاعتناء بشأنه ، فإن من أعرض عما ذكر وانهمك في الدنيا ، بحيث صارت منتهى همته ، وقصارى سعيه ، لا تزيده الدعوة إلا عنادًا أو إصرارًا على الباطل .

روى الشيخان ، والإمام أحمد ، عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له» . وفي الدعاء المأثور: «اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا».

إِنَّ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن ٱهْتَدَىٰ .

إن الله تعالى عالم بالمسالّين ، الذين آفروا الدنيا على الآخرة ، وأهملوا وحى السماء ، وأعرضوا عن القرأن الحكيم ورسالة النبى الأمين ، وهو سبحانه عالم بالمهتدين الذين اختاروا الإسلام دينا، ومحمدًا ﷺ فيئيًّا ورسلاً ، والقرآن هاديا وإماما ، وسوف يجازي كل فريق منهما بالجزاء الذي يستحقه ، فالمراد بالعلم هنا المعرفة والإحاملة ، والجزاء العادل معن أحاط بكل شيء علما .

* * *

سعة رحمته تعالى

﴿ وَلِنَهِ مَانِ ٱلسَّمَوَتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِي ٱلَّذِينَ أَسْتُوابِمَا عَمِلُوا وَيَعْزِي ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِالْمُسْنَى اللَّهِ اللَّهِ مَنْ يَعْمَنْ الْمُرْفِقِ وَلِهُ الْفَرِحِسَ لِلْاَ اللَّمَ إِنَّ رَبِّكَ وَسِعُ ٱلْمَعْفِرَةَ هُوَأَمْلَةُ مِكُولِهُ ٱلشَّاكُمُ عَلَى الْأَرْضِ وَلِذَا أَنْدُ الْجِنَّةُ فِي الطُّونِ أُمَّهُ يَكُمُ فَلا تُرَكُّوا الفُسكَمُ هُواَعْلَةُ مِنْ الْفَيْنَ اللَّهِ ﴾

المطردات ،

اللذين يجتنبون ، (اللغن) خبر لمبتدأ محذوف ، أي : هم الذين يجتنبون ... ، والجملة بيان لمن اهتدى. كسباف والإشهر ، ما عظم من الذنوب ، وما كبر عقابه .

الــــفــــواحش؛ جمع فاحشة ، وهي ما فحش من الكبائر ، يقال : فحش يفحش فحيشا ، أي : قبح أشد القبح، مثل: الزنا والسرقة والقتل .

إلا السلسمسم ؛ إلا ما قلُّ وصغر من الذنوب ، وأصله : ما قل قدره ، ومنه : لمة الشعر ، لأنها دون الوفرة. فلا تزكوا انفسكم ، فلا تصفوها بالطهارة .

أج ت ما دام في بطن أمّه

تمهيد

الله تعالى له ملك السماوات والأرض، وهو عادل في حكمه وجزائه، وسيجازي المسيء بمثل إساءته، وسيجازي المحسنين بالحسني .

والمحسنون هم الذين يجتنبون كهائر الذنوب والغواحش، ويبتعدون عن الكبائر، مثل: السحر، والغمين الغموس، وعقوق الوالدين، والتولّي يوم الزحف، والزناء والرباء وشرب الغمر، وقذف المحمسنات الغافلات المؤمنات.

أما من ارتكب الصغائر ، مثل: النظرة والقبلة واللمسة ، ثم تاب منها ، أو ارتكب الكبيرة ثم تاب منها ` تربة حقيقية ، فإن الله يغفر له ، وهو أعلم بالإنسان وضعفه .

التفسيره

٣١ - وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِي ٱلَّذِينَ أَسَنَوُا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِي ٱلَّذِينَ أَحْسَني.

لله وحده ملك هذا الكون ، وله سبحانه كل ما في السماوات والأرض ، خلقا وملكا وتصرفا ، ليس لأحد من ذلك شيء ، والمالك المتصرف العزيز المقتدر سيجازي المسيء بإساءته وعمله ، وسيجازي الذين أحسنوا بالجنة جزاء إحسانهم ، ثم ذكر سبحانه وتعالى صفات المتقين المحسنين :

٣٧ – ٱلَّذِينَ يَجْتَئِيونَ كَيْنَتِوْ ٱلْإِلْمِ وَٱلْفَرَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَئِكَ وَاسِعُ ٱلْمَفْيَرَةِ هُوَ أَهُلُمْ بِكُمْ إِذَّ الشَّأَكُم مِّنَ آلاَّ رَسْ وَإِذَّ أَمْثُمُ أَجِنَّةً فِي يُطُونِ أَمْمُنِكُمْ قَلَا تُوَكِّراً ٱلْفُسَكُمْ مُونَ أَهْلَمُ بَعَن آلفَيْنَ

من سعة رحمة الله وفضله أن يمدح عباده الفتقين، وأن يصفهم باجتناب كبائر الذنوب، مثل: السحر واليمين الغموس ، والتوكّى يوم الزحف ، وأكل الربا ، وعقوق الوالدين ، وهم يبتحدون عن الغواحش – جمع فاحشة ~ وهي ما تناهى قبحها عقلا وشرعاً ، كالزنا والسرقة والقتل .

إلا ما قل وصفر من الذنوب.

قال القرطبي:

وهي الصغائر التي لا يسلم من الوقوع فيها إلا من عصمه الله ، كالقبلة والغمزة والنظرة .

وقال ابن كثير: اللمم: صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال.

وعن ابن عباس قال : ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة ، عن النبي ﷺ : ﴿إِن الله تمالي كتب على ابن آدم حظه من الزنا ، أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، والنفس تتمنّى وتشتهى ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » "[©]. رواه الشيضان ، وأحمد . وقال عبد الرحمن بن نافع : سألت أبا هريرة عن قول الله : إِلَّا ٱللَّمَمُ . فقال : القبلة والغمزة والنظرة والمباشرة ، فإذا مس الختان الختان ، فقد وجب الغسل ، وهو الزنا .

ودرى ابن جرير ، عن مجاهد أنه قال في هذه الآية : إِلَّا ٱللَّهُمَ . قال : الذي يلم بالذنب ثم يدعه . قال الشاعر :

إن معفر اللهم معفرجمًا وأي عبد لك ما الباع

وعن الحسن في قول الله تعالى: ٱلَّذِينَ يَجْتَبُونَ كَبُكِّرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَاحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمِّ ...

قال: اللمم من الزنا أو السرقة أو شرب الخمر ثم لا يعود (١٠٠). ا هـ.

لقد فتح الله تعالى أبواب التوية أمام التانبين ، وحث عباده على ذلك ، ودعاهم إلى التوية في كل وقت ، ويذلك يتخلص الإنسان من الإحباط والإثم ، والشعور بالدُّونية ، حين يتطهر ويصلى ركعتين بنية التوية ، ويسأل الله تعالى أن يغفر له ، وأن يتوب عليه ، فيجيبه الغفور الرحيم .

قال تعالى : قُلُ يُسْجِادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَقُواْ عَلَى ٓ أَنْفُسِهِمْ ۚ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّذِينَ جَمِيهَا إِلَّه, هُوَ الْعَفُورُ الرَّجِيمُ . (لدَّير: ٥٣) .

وقال سبحانه وتعالى : وَإِلَّى لَفَقَّارٌ لَّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَلْلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ . (مه : ٨٧) .

وهذه الآية الكريمة تتحدث عن فضل الله ورحمته ، فتقول : إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ ٱلْمُفْوَرَةِ ... فرحمته سبحانه وتعالى وسعت كل شيء ، ومغفرته تسع الذنوب كلّها لمن تاب منها .

قال البيضاوى: ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين ، لثلا بيأس صاحب الكبيرة من رحمته ، ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى .

هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ...

حيث خلق أبانا آدم من الأرض ، فقد خلقه من التراب ، واختلط التراب بالماء فصار طينا ، وترك . الطين فترة حتى تغير فأصبح حماً مسنونا ، ويعد فترة أصبح كالفضّار ، فهي مراحل مر بها الإنسان .

وقال بعض المفسرين:

الإنسان مكون من النطفة ، وهي خلاصة الدم ، والدم خلاصة الغذاء ، والغذاء يأتي من الأرض .

وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ...

أى: وهو أعلم بكم وقت كونكم في بطون أمهاتكم على أطوار مختلفة بعضها يلى بعضها ، وهو سبحانه عليم بما في الأرحام ، وما ينتظر الجنين من رزق ، وسعادة أو طقاوة .

والإله العليم ينبغى أن نعتمد عليه، وأن نتذكر نعماءه ، وأنه سبحانه يرى ويطَّلِع ، ويحاسب ويجازى. فَمَا تُورُّعُواْ الفُسُكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بَعَنِ ٱلْفَيْ

لا تمدحوا أنفسكم على سبيل الإعجاب ، ولا تشهدوا لها بالكمال والققى ، فإن النفس خسيسة ، إذا يُدحَن اغترَت ، وتكبرُت .

أو الزموا الإخلاص وصدق المراقبة لله ، والخوف من غضب الجبار ، ومن سوم الخاتمة ، فإن الله مطلع على عبيده ، وهو عليم بمن أخلص العمل واتقى ربّه فى السر والعلن .

والآية دعوة إلى التربة، والمسارعة إلى رحمة الله وفضله ، وفيها دعوة إلى الإخلاص ، مع الخوف من الله ، والرجاء في رحمته، واليقين بسعة علمه ومراقبته ، واطلاعه على الظاهر والباطن سبحانه وتعالى... قال المفسرون :

نهى القرآن عن تزكية المره نفسه وعن مدحها واللناء عليها ، أو ادعاء العصمة من الصعائر ، أو الطهارة من المعاصى ، لأن العاقبة مجهولة ، وعلينا أن نحمد الله على الطاعة ، وأن نحذر المعصية ، فالله هو العليم بمن اتقى المعاصى ، وعلينا ألا نمدح الأخرين في وجوههم .

روى الإسام أحمد ، عن عبد الرحمن بن أبي يكرة ، عن أبيه ، قال: مدح رجل رجلاً عند النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : «ويلك ، قطعت عنق صاحبك – مرارا – إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة ، فليقل: أحسب فلانا والله حسيبه ، ولا أزكّى على الله أحدا ، أحسبه كذا وكذا ، إن كان يعلم ذلك ». ٣٥.

توبيخ من اعترف بالحق ثم أعرض عنه

﴿ أَفَرَةَ سِنَ الَّذِى تَوَلَىٰ ﴿ وَأَعَلَىٰ قَلِيلًا وَأَكَمَٰ ﴾ أَعِندُهُ وَالْمَالَغَيْبِ فَهُوَرَىٰ ۞ وَالْمَالِينَ وَفَ ۞ أَعِندُهُ وَالْمَالِغَيْبِ فَهُوَرَىٰ ۞ وَاللّهُ عَلَيْهِ وَفَى ۞ أَلَا نَزُو وَازِدَ أُوْرَى ۞ وَاللّهُ وَلَهُ ﴾ وَاللّهُ عَلَيْهِ مَا لَلْهِ وَفَى ۞ أَلَا سَعَيهُ وَسَوْفَ يُرَى ۞ ثُمَّ يُجْرَئُهُ الْمُحَرَّلُهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَأَنْ سَعَيهُ وَاللّهُ وَلَيْكُ ۞ وَاللّهُ مُواللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ وَلَيْكُ ۞ وَاللّهُ وَلَهُ وَاللّهُ وَلَهُ وَاللّهُ وَلَهُ وَاللّهُ وَلَهُ وَلَمْ وَاللّهُ وَلَهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَهُ وَاللّهُ وَلَهُ وَاللّهُ وَلَهُ وَلَا اللّهُ وَلَى ۞ وَتُمُومُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَى ۞ وَتُمُومُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَى اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَا

المطردات :

يُستَسها، يُعلم ويخبر.

صححت مسوسسي ، التوراة .

صحمة إيسراهسيم؛ ما نزل عليه من الحكم والشرائع.

وه ... وقد ما أمر به على أبلغ وجه في الوفاء.

ألا تزر وازرة وزر أخرى؛ لا تحمل نفس حمل نفس أخرى

يُسسن ، وتوييخًا للمسيء .

يسمسه مسادة ، يجزى سعيه، يقال: جزاه الله بعمله ، وجزاه على عمله ، وجزاه عمله ، لا فرق بيشهم . السمسلستسهسيء ، انتهاء الخلق ، رحوعهم إلى الله تعالى .

تُسمِّس تُسمِين ، تدفع في الرّحم ، من قولهم : أمني الرجل ومَني ، أي : صبّ المنيّ .

١١ ـ نشاة الأخسري، إعادة الأرواح إلى الأجساد حين البعث.

زم ين من واقت من من شاء ، وأفقر من شاء ، وأعطاه القنية ، وهي ما يبقي من المال .

الشير على المن الله النجم الوضاء ، الذي يقال له : مرَّزم الجوزاء ، وقد عبدته طائفة من العرب .

عسدادا الأولسين، أولَى القوم هلاكًا بعد قوم نوح ، وعادًا الأخرى من ولد عاد الأولى .

السمية الله على الله على قرى قوم لوط ، سميت يذلك لأنها انتفكت بأهلها ، أي : انقلبت بهم ، ومنه : الافك، لأن فنه قلبًا للحق .

اموي: أسقط في الأرض.

غشياها.

هباي آلاء ريك تتمارى : فبأي نعم ربك تمتري وتشك ، والخطاب للإنسان .

سبب النزول :

روى أن الوليد بن المفيرة جلس عند النبي ﷺ ، وسمع وعظه ، فتأثر قلبه بما سمع وكاد يسلم ، وذهب الى قومه فقال عن القرآن كلامًا جميلاً ، حيث قال : لقد سمعت من محمد آنفاً كلامًا ما هو بالسحر ، ولا بالكهائة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإن فرعه لجناه ، وما يقول هذا يشر ، فعيره رجل من المشركين ، وقال : تركت دين آبائك ، فقال الوليد : إنى خشيتُ عذاب الله ، فَضَمِنَ له الرجل إن هو أعطاه شيئًا من ماله ورجع إلى شركه ، أن يتحمل عنه عذاب الله عز وجل ، فأعطاه بعض الذي ضمن له ، ثم بشل ومنعه الباقى ، فأنزل الله الآيات .

وقال مقاتل : كان للوليد قد مدح القرآن ، ثم أمسك ، فنزل : وَأَعْظَىٰ قَلِيلاً . أي : من الخير بلسانه ، ثم قطم ذلك وأمسك عنه ، وقيل غير ذلك .

تمهيد :

تناقش الآيات أفكار المشركين ، وتدخل عليهم من كل باب ، وتعرض ما ورد في التوراة على السان موسى ، وما ورد في صحف إبراهيم الذي وفّى ، من هذه القاعدة التي تقول : (لا تحمل نفس مذنية ذنب نفس أخرى) .

فالإنسان يحاسب عن عمله ، ويكافأ عليه أو يجازى ، فالمسئولية فردية ، وكل فرد سيحاسب على عمله ، وسيحضر العمل يوم القيامة ، ويراه أهل المحشر ، ليزداد المؤمن سرورًا وفرحًا ، ويزداد الفاجر ذلا ومهانة .

التفسيره

٣٣، ٣٤، ٣٥ - أَفَرَ عَيْتَ ٱللَّهِي تَوَلَّىٰ * وَأَغْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ * أَعِندَهُ عِلْمُ ٱلْفَيْبِ فَهُو يَرَىٰ .

هل شاهدت هذا النموذج من الناس ، الذي رق قلبه للإسلام ، وعظم القرآن ومدحه ، ثم تولى عن الإسلام وأعرض عنه ، وأعطى بلسانه مدحًا للقرآن ، ثم منع ذلك المدح لكتاب الله ورفض الإسلام ، استجابة لتحريض صديق له من المشركين ، حرَّضه على الكفر ، ووعده بأن يتحمل عنه العذاب يوم القيامة ، وأمر القيامة وشئونها غيب لا يعلمه إلا الله ، ولا يُعرف إلا بطريق الوحى ، فهل نزل عليه رحى يؤيد أن صاحبه سيتحمل عنه العذاب ؟ وهل عنده غيب من عند الله يؤيد أن الله سيقبل أن يتحمل إنسان العذاب عن إنسان آهر ؟

٣٦، ٣٧ - أَمْ لَمْ يُنْتَأْ بِمَا فِي صُحُف مُوسَىٰ ، وَإِبْرَاهِيمَ ٱلَّذِي وَفَيْ ، أَلَّا تَوْدُ وَازرَةٌ وزْرَ أَخْرَىٰ .

أى: ألم يخبر بما نصت عليه التوراة ، وما ذكر في شرائع إبراهيم الذي وفّي بما عاهد الله عليه ، وأتمّ ما أمر به .

أَلَّا تَوْدُ وَالِرَةَ وِزْرَ أُخْرَىٰ .

أى: لا تممل نفس ننوب نفس أخرى ، فكل نفس اكتسبت إثمًا بكفر أو معصية فعليها وزرها ، لا يعمله عنها أحد ، كما قال تعالى : وَإِنْ تَلَاغُ مُشَلِّقًا إِلَى مِمْلِهَا لا يُعْمَلُ مِنْهُ شَيِّةٌ وَلُوْ كَانَ ذَا قُرْبَيْ ؟ ... (فاخر: ١٨) .

قال ابن عياس:

كانوا قبل إبراهيم عليه السلام يأخذون الرجل بذنب غيره ، يأخذون الولى بالولى ، أى القريب بالقريب ، فى القتل والجراحة ، فيُقْتَل الرجل بذنب أبيه وابنه ، وأخيه وعمّه ، وخاله وابن عمه ، والزوجة بزوجها ، وزوجها بها ، ومعده ، فيلُغهم إبراهيم عن الله تعالى : ألا تزر نفس وزر أخرى .

أى: لا تحمل نفس ذنب نفس أخرى .

قال تعالى : كُلُّ ٱمْرِي بِمَا كَسُبَ رَهِينٌ . (الطور : ٢١) .

أى : الإنسان مرتهن بعمله ، إن كان شرًّا عوقب عليه ، وإن كان خيرًا كوفئ عليه .

وطاء إبراهيم علية السلام

ظهر ذلك جليًا في التزامه بتنفيذ جميع ما أمره به الله ، وترك ما نهاه الله عنه ، قال تعالى : وَإِذْ إَتَنَكَى إِنْرَاهِمِ رَبُّهُ وِيَكَلِمُنْتُ فَأَنَّهُمُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكُ لِلنَّاسِ إِمَامًا ... (البقرة : ١٢٤) .. وإبراهيم عليه السلام قد وفّى عندما أمره الله بذبح ولده إسماعيل ، وقد مدحه الله بقوله : فَلَمّا أَسْلَمَا وَعُلَمُ لِلْحَيِّنِ وَ وَلَلْقِنَاتُهُ أَنْ يَلْإِنْرْهِيمُ وَ قَدْ صَدَّفَتَ ٱلرُّعْيَا إِنَّا كَذَلِكَ تَعْزِي ٱلْمُحْدِينِنَ هِ إِنَّ هَـٰلَمَا نَهُوَ ٱلْبَلَـّوُا ٱلْمُينِنُه وَفَلَيْنَامُ بُلِنُعِ عَظِيمٍ هِ وَلَوَكُنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ه سَلَمْ عَلَيْ إِبْرُكِيمَ . (المماذات: ١٠٨ - ١٠٩) .

وروى ابن أبى حاتم ، وابن جرير ، عن سهل بن معاد بن أنس ، عن أبيه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم لم سمّى الله تعالى إبراهيم خليله الذي وفّى ؟ إنه كان يقول كلما أصبح وأمسى : قَسُهْحُننَ ٱللّهِ حِنَ تُعُسُونَ وَحِينَ تُعْمِحُونَ ، وَقَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَنُواتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَثِياً وَحِنْ تَطْهِرُونَ ، يُطْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنْ ٱلْمَهْتِ وَيُعْرِجُ ٱلْمُنْتَ مِنْ ٱلْحَيِّ وَيُعْمِ الْأَوْضَ يَعْدَ مُوْلِهَا وَكُذَالِكَ تُعْرَجُونَ ، (الروع ، ١٧ – ١٩) .

وقال تعالى : ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ آتَهِ مِلَّة إِبْرُ هِيمَ حَيِفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ . (النمل: ١٢٣) .

وإنما خص القرآن ما جاء في صحف إبراهيم وموسى ، لأن المشركين كانوا يدَّ عرن أنهم على شريعة أبيهم إبراهيم ، وكانت لا تزال بقية مما جاء به إبراهيم معروفة بينهم ، كما أن أهل الكتاب كانوا يدَّعرن أنهم متيمين ما في القرراة ، وسحفها قريبة المهد منهم .

٣٩ ، ٥ ، ١ ، ٤ - وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿ فُمْ يُجْزَلُهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْلَىٰ .

أى : وجاء فى صحف إبراهيم وموسى ، عليهما السلام ، أن الإنسان لا يجنى إلا ثمرة ما عمل ، فهو لا يعاقب على ذنب ارتكبه غيره ، ولا يكافأ إلا على عمل قد قام به ، وسعى قد سعاه .

وَأَنَّ سَعْيَهُ, سَوْفَ يُرَىٰ .

أى: سيشاهد عمله يوم القيامة في المحشر أمام الشلائق ، وفي ذلك سعادة للمؤمن ويشارة له ، وتعاسة للكافر وحزن بأعماله الفاسدة .

كقوله تعالى : وَقُلِ آعَمُلُواْ فَسَيَوَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ, وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُوتُونَ إِلَى عَلَامِ الْغَيْبِ وَالشَّهَامَةِ فَيُسِّلُكُم بِمَا كُتُمُو تَعَمَلُونَ . (العمد: ١٠٠٥) .

أى : فيجزيكم عليه أتم الجزاء .

ثُمُّ يُجْزَلُهُ ٱلْجَزَاءَ ٱلْأَرْفَىٰ .

جاء في هذه الصحف أيضًا: أن عمل الإنسان سيراه حاضرًا أمام عينيه يوم القيامة ، وسيجازي عليه الجزاء الأوفى ، أي يجزى على عمله الجزاء الأثم الأكمل ، فيلقى أَوفَى الجزاء وأكمله ، حيث يضاعف الله له الحسنة ، ويبلُغها سبعمائة ضعف ، ويجازي بالسيئة مثلها أو يعقق عنها .

٢ ٤ - وَأُنَّ إِلَىٰ رَبُّكَ ٱلْمُنعَهَىٰ .

إليه سبحانه بنهاية كل مخلوق ، حيث يكون حسابه مع عالم الغيب والشهادة ، وبتلك فكرة الإسلام : إن الإنسان من أول حياته إلى آخرها يعلم أن النهاية والحساب والجزاء والثواب والعقاب سيكون أمام الله ، الحكم العدل ، سريم الحساب ، الذي لا يظلم مثقال ذرة .

قال تعالى : وَوَجَدُواْ مَا خَمِلُواْ خَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا . (الكهف: ٤٩) .

وقيل : معنى : وَأَنَّ إِلَىٰ رَبُّكَ ٱلْمُنَّهَىٰ .

أى: إننا نتفكر في خلق الله ، ولا تتفكّر في ذات الله ، فالله منزه عن الكم والكيف والطول والعرض، لا يحدّه مكان ، ولا يحويه زمان ، بل هي فوق المكان والزمان ، هر أول بلا ابتداء ، حيث كان الله ولا شيء معه ، وهو آخر بلا انتهاء ، فالشلائق تففى كلها ، والله باق لا يموت .

قال تعالى : كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ * وَيَنْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ. (الرحمن: ٢٦، ٢٧).

وقال سبحانه وتعالى : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيَّةً وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ . (الشورى: ١١) .

فالله تعالى ليس جسما ولا حالا في جسم ، ولا يشبه الحوادث ، وهو متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص ، وهو علة العلل ، يخلق ولا يُخلُق ، يجير ولا يجار عليه ، لا معقب لأمره ، ولا رادٌ لقضائه .

قال تعالى : هُوَ ٱلْأَوِّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلطَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . (الحديد : ٣) .

وفي الحديث الذي رواه أصحاب السنن: «تفكروا في مخلوقات الله ، ولا تتفكروا في ذات الله ...» (٣٠٠).

وفى الصحيح : «يأتى الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغ أحدكم ذلك فليستعد بالله وليثته، «"».

٣٤ - وَأَنَّهُمْ هُوَ أَصْحَكَ وَأَبْكُىٰ .

أى: خلق سبب الضحك والبكاء ، وهما مختلفان ، فهو سبحانه أضحك بعض عباده بما يبعث على فرحهم وسرورهم ، وأبكى بعض عباده بما يبعث على حزنهم ويكانهم .

أو المعنى:

أنه سبحانه أضحك وأيكي من الأمر الراحد ، صاحبه نفسه يضحك اليوم من الأمر ، قم تواجهه عاقبته غنًا أو جرائره فإذا هو باك ، يتمنى أن لم يكن فعل ، وأن لم يكن ضحك ، وكم من ضاحك في الدنيا بالله في الأخرة ، حيث لا ينفع البكاء ، وكم من فقير أعطاه الله الفرح والسرور والفبطة والحبور ، وكم من غنى مثى بالخوف والحسرة ، والتردد والأحزان والبكاء ، فالسعادة والشقاء ، أو الضحك والبكاء ، وغيرها من المشاعر، ميثم موزعة لا تخضع لمقاييس البشر ، فكم من عاقل رزقه قليل ، وكم من جاهل رزقه كلير ، كما يقول الشاعر :

ومن الدليل على القضاء وحكمه ، ومن اللبيب وطيب عيش الأحمق

\$ \$ -- وَأَلَّهُ, هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا .

هو سبحانه خالق الموت والحياة ، هو باعث الروح في الأحياء ، وهو سبحانه قابض الأرواح ، وهو سبحانه خالق الكفر الذي يشبه الموت ، وخالق الإيمان الذي يشبه الحياة ، وهو باعث الحياة في الأمم بإيقاظ الهمم والعزائم ، وهو مميت الأمم بكفرها وعنادها وترفها وفسوقها ، الذي يجرها إلى الهلاك والموت ، ثلك سنة الله ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

قال تعالى : آللُهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَوَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُخِيكُمْ مَلْ مِن شَرَكَاتِكُم مِّن يَفَعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَوْج ... (ادره: ٠٤) .

وقـال عز شأنه : ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيْرَةَ لِيَنْلُوَكُمْ ٱلِّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ... (الملك : ٢).

ه \$ ، ٢ \$ - وَأَلَّهُ خَلَقَ ٱلزُّوجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأَنفَىٰ ٥ مِن نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ .

إنه لأمر عجيب يتكرر كل يوم ، حين تنقل النطقة من المفى الذى يمنى ، وتنقل ملايين الحيوانات المنوية ، ويسبق أحدها لإخصاب البويضة ، ويتم الخلق لجنين الإنسان أو الحيوان ، ويعضه يصبح ذكرًا ويعضه يصبح أنثى ، ليتم إعمار الكون وتكامله . قال تعالى : أَلَمْ يَكُ نُطْفَة مِّن نَبِيٍّ يُمْنَىٰ ه ثُمُّ كَانَ عَلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ه فَجَعَلَ مِنْه ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأَلْفَىٰ * قَالُمُ وَالْأَلْفَىٰ * وَالْمُوامِة * ٢٧ - ٤٠). أَلْيُسَ فَالِكَ بِفُلْلِمِ عَلَىٰ أَنْ يُعِنِّى ٱلْمُونِّىٰ . (القيامة ٣٧ - ٤٠).

وقال عن شأنه : يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَّنَا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ ٱللَّكُورَ » أَوْ يُؤَوَّجُهُمْ ذُكُوانًا وَإِنْنَا وَيَجَعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِلَّهُ عَلِيمٌ قَلِيمٌ لَذِن (الشديء: ١٠٥٥).

وإذا تأملت في عالم الإنسان والحيوان ، والنبات والسحاب وغير ذلك ، وجدت العجب العجاب الذي يدير الرؤوس من أثر القدرة الإلهية ، التي عنيت بحفظ هذا الكون ورعايته ، ومن ذلك خلق الذكر والأنثى من المنيّ الذي يمنى من الذكر ، ويصبّ في الأرحام ، ويتكوّن الجنين في بطن الأمّ في مراحل متعددة ، ثم يولد للجنين وله حواس متعددة ، ويعضه ذكر ويعضه أنثى .

قال تعالى : وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُم أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَا حِكُم يَنِينَ وَحَفَدَةً ... (النحل: ٧٧).

٧٤ - وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأَخْرَىٰ .

هو سبحانه الذي خلق ، وهو الذي رزق ، وهو الذي يميت ، وهو الذي يحين العباد في الميعاد ، ليكافأ ا المطبعون ، ويُعاقب الكافرون ، والنشأة الأخرى حق عليه ، تكريمًا للإنسان ، حتى يتحقق الجزاء العادل في الدار الآخرة .

قال تعالى : أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمًا خَلَقْتُلكُمْ عَبُّا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ، فَتَعَلَى آللهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ...

(المؤمنون : ١٩٦، ١٩٥)

٨٤ – وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَلْتَىٰ .

هو سبحانه يغنى من يشاء من عباده ، ويفقر من يشاء ، بحسب ما يراه سبحانه بحكمته .

قال تعالى : وَقُوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرَّوْقَ لِمِبَادِهِ لَبَغُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَنكِن يُنزَّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُ, بِعِبَادِهِ حَبِيرًا بَعِبِيرٌ . (الشرين : ۲۷)

٤٩ – وَأَنَّهُ, هُوَ رَبُّ ٱلشُّعْرَىٰ .

والشَّعرى: هذا الكركب الرهاج الذي يطلع خلف الجوزاء في شدة الحرَّ، وإنما خصمها بالذكر من بين الأجرام السمارية ، وفيها ما هو أكبر منها جرمًا ، وأكثر ضوءًا ، لأنها عُبدت من دون الله في الجاهلية ، فقد عبدتها حمير رخزاعة .

• • - وَأَنَّهُ ﴿ أُهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ .

وعاد هم قرم مود ، وهم أوّل قبيلة أُهلكت بعد طوفان نوح عليه السلام ، وكانوا أقوياء أشدّاء ، نصحهم نبىّ الله هود ودعاهم للإيمان فامتنعوا ، وظنّوا أن قرّتهم تقف في وجه من يعذبهم ، فأرسل الله عليهم ريحًا عاتية قضت عليهم ، وأهلكهم الله جزاء عدوانهم .

قال ابن كثير: وهم قوم هود، ويقال لهم: عاد بن إرم.

كما قال تعالى: أَلَمْ تَرَ كُلُهَ قَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ هِ إِرْمَ ذَاتِ ٱلْمِعَادِهِ آلَى لَمُ يُخْلُقُ طِفْهَا فِي ٱلْمِلْدِ. (الفجو: ٦- ٨). فكانوا من أشد الناس وأقواهم ، وأعتاهم على الله تعالى ، وعلى رسوله ، فأهلكهم الله : بِرِيح صَرْصَرٍ عَالِيّةٍ . (العاقة: ٦)

١ ٥ - وَتُمُودُاْ فَمَا أَيْقَىٰ .

وأهلك ثمود قوم مسالح ، حين عقروا الناقة وعنوا عن أمر ربهم ، فأخذهم الله يذنوبهم ، فما أبقى منهم أحدا ، كما قال تعالى : فَهُل تَرَى لُهُم مِّنْ بَالِيَّةِ . (الماقة : ٨) .

٧ ٥ - وَقَوْمَ نُوحٍ مِن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَىٰ .

وأهلك الله بقدرته قوم نوح بالطوفان الذي أتى عليهم أجمعين ، وقد كانوا أشد ظلمًا ، وأعظم طفيانًا ممن جاء بعدهم ، فقد مكث نوح فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا ، وما آمن معه إلا قليل منهم ، وهم الذين ركبوا السفينة مع نوح عليه السلام .

٥٣ - وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ .

ً وأسقط الله مدائن قرم لربط ، فجعل عاليها سافلها ، حيث رفعها جبريل إلى البساء ، ثم جعلها تهوى إلى الأرض ، ثم أمطر الله عليها الحجارة .

٤٥ - فَفَشَّلْهَا مَا غُشَّىٰ.

حيث أنزل الله بها صورًا مرعبة من الدمار والهلاك ، والخسف والتنكيل الذي يشمل كل شيء ، ويغشاه فلا يبين .

قال تمالى : فَلَمَّا جُنَّا أَمُنَّا جَمَّلْنَا عَلِيْهَا سَافِلْهَا وَأَمْطُرُنَا عَلَيْهَا حِجَازَةً مِّن سِجْيل_{ٍ م}ُنطُورٍ ، مُّسَوِّمَةً عِندَ رَبَّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الطَّلْكِينَ يَعْفِل . (مود ، ١٨ - ١٨) .

ه ٥ - فَبِأَىُّ ءَالَّاءِ زَبُّكَ لَتَمَازَىٰ .

بأى نعم الله أيها الإنسان تجادل أو تكابر ؟ ألم يهلك الشرّ ؟ ألم يقذف بالحق على الباطل ، فيدمغه فإذا هر زاهق؟ ألم يترك فيها آيات لمن يتدبر ويمي ؟

إن هذا الكون فى قبضة الله ، وإن للظالمين والباغين يومًا عاجلاً أو آجلاً ، فالله يملى للظالم حتى إذا أهذه لم يفلته ، لقد تمتع الظالمون بنحم الله ، ثم كذّبوا وسله وأرخى الله لهم العنان وأمدّهم بالغيرات ، وناقشتهم الرسل وحدَّرتهم من عذاب الله ، فاستهذوا بوعيد الله ، وكان فى هلاكهم إنصاف للحق والعدل ، وبيان لسنة الله التي لا تتبدل .

قال تعالى : ٱللَّذِن طَغَوْا فِي ٱللِّلَدِهِ فَأَكْثُرُواْ فِيهَا ٱلْمَسَادَ هَ فَصَبُّ عَلَيْهِمْ رُكُكَ سَوْطَ عَدَابٍ هِ إِنْ رَبُّكَ لَبْالْمَرْصَادِ (اللَّمِر: ١١ – ١٤) .

* * *

السجود في آخر سورة النجم

﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّدُوا لأُولَىٰ ۞ أَنِفَتِ الْآَنِفَةُ ۞ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّوَكَ هُا أَنِنَ هَذَا الْمَدِيثِ مُعْجَبُونَ ۞ وَتَشْعَكُونَ وَلَانَتِكُونَ ۞ وَأَنتُمْ سَمِيدُونَ ۞ مَأْتَجُدُوالِلَهِ وَاعْبُدُوا ۗ ۞﴾

المطردات ا

هذا ثناير من النشر الأولى ؛ إن محمدًا ﷺ بعض من أننر من المنذرين الأولين ، فهو كالرسل قبله أرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم ، أو هذا القرآن منذر لكم ، من نوع الكتب الأولى التي أننر بها الأنبياء .

أزفى أزفى أريت .

الأراف القرآن بقريها.

مست دون السياسية ، من غيره .

ت م ج بون ، إنكارًا وتكذيبًا .

تم ح ک ون ، استهزاء .

ولات بي كرون عزنًا على ما فرطتم ، وعند سماع وعد الله ووعيده .

وأنستسم سسامسدون، لاهون وغافلون، ومعرضون عما يطلب منكم.

فاستجمعوا السامه ؛ الذي خلقكم .

تمهيد:

بعد هذا العرض الرائع لمظاهر القدرة الإلهية ، وبعد أن بين أن بيد الله الإحياء والإماتة ، وأنه أهلك

السابقين من المكذبين ، وأن نعمًا واضحة للعيان لا يتشكك فيها منصف تحدث لجميع الناس ، مبيئاً أن
محدًا رسول مثل الرسل قبله الذين سبقوه ، كإبراهيم وموسى وعيسى وذرح عليهم السلام ، والقرآن مثل
المصحف السابقة عليه ، كالتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وموسى ، وأن القيامة قد اقتريت ، ومن الواجب
العمل لها ، لقد قابلتم القرآن الكريم بالإعراض والاستهزاء ، ولم تقابلوه بالخشية والبكاء من خشية الله ،
وخوف عذاب الآخرة ، حال كونكم معرضين عن رسالة الإسلام ، فتداركوا الموقف ، واسجدوا لله ، عابدين
له حق العبادة ، ولا تعدوا الأصنام والأوثان .

التفسيره

٥٦ - هَلْمُا نَلِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَٰيُّ .

هذا الرسول الذي تتمارون في رسالته وتتشككون ، نذير ضمن المنذرين الأولين الذين حدروا أقوامهم. من الكفر والتكذيب ، ثم نزل الهلاك بالمكذبين ، فقد غرق قوم نوح ، وأهلك الله عادًا وشعود .

أو أن القرآن رسالة السماء ، تنذر المكذّبين ، مثل التوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وموسى .

٧٥ ، ٨٥ - أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ وَلَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ .

اقترب العذاب الذي يأخذ برَمام الكافرين ، ولا يستطيع أحد أن يدفع هوله ورعبه ، ولا يقدر على ذلك إلا الله .

وقال كثير من المفسرين:

المراد: اقتريت القيامة ، كما قال سبحانه وتعالى: ٱقْتَرَبُتُو ٱلسَّاعَةُ ... (القمر: ١) .

وقال تعالى : وَمَا يُدُرِيكَ لَعَلِّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ . (الشورى: ١٧).

وقد روى الشيخان ، وأحمد أن رسول الله ﷺ قال : «بعثت أنا والساعة هكذا» ، وأشار بأصبعيه : السبابة والوسطى (٣٠).

لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ .

ليس هناك على الإطلاق نفس قادرة على كشفها وإظهارها ، والإعلام بها إلا الله تعالى ، فهي من _ أخفى المغيبات ، فاستدوا لها قبل مجيئها بغتة وأنتم لا تشعرون .

. قال تعالى : إِنَّ ٱللَّهُ عِبلَهُ, عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ... (لقمان : ٣٤) .

وقال عن شأنه : لاَ يُحَلِّهُ الوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ لَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَانَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَعْتَهُ ... (الأعراف: ١٨٧).

٩٠، ، ٦، ، ٦، ، ٦٢ - ٱلهينَ هَـٰلَـا ٱلحَدِيثِ تَعْجُونَ . وَتَصْحَكُونَ وَلاَ تَبْكُونَ . وَأَثْمُ سَلْمِلُونَ . فَآسْجُلُواْ لِلْهِ وَآعُهُدُواْ .

أتعجبون من هذا القرآن وتميزُه وعظمته ، ثم لا تضمون له ولا تژمنون به ، ولا تستجيبون للمنزّل عليه ، بل تسخرون من آياته ، وتضمكون منه مع كونه غير محل للضحك ، ولا تبكون على تفريطكم في أمر الله ، أو لا تبكون هوفًا من القيامة وأهرائها .

وَأَنْتُمْ سَلْمِدُونَ .

وأنتم لاهون غافلون ، أو متكبرون متغطرسون ، رافعون رؤوسكم كبرًا وتيها وعجباً .

فَآسْجُدُواْ لِلَّهِ وَآغَبُدُواْ .

إنها لصيحة مدوية مزارلة ، لكل مُعْرِض لاهٍ متكبر ، أي اسجدوا لله وحده ، واعبدوه مخلصين له الدين ، فهو سبحانه أهل للعبادة والطاعة ، والسجود والخضوع لأمره ، ولا تسجدوا للأصنام ولا للأوثان ، فالكرن كلُّه خاضع لأمره .

وقد ورد في الصحيح: أن النبي ﷺ سجد عند تلاوة هذه الآية ، وسجد معه المسلمون ، والمشركون والجن والإنس ، لقد سجد المسلمون امتثالاً لأمر الله واقتداء برسول الله ، وسجد الباقون تعظيمًا لهذا الكتاب، وتأثرا به ، وخضوعًا لعظمته ، وامتزازاً لعاطفة حركها القرآن في هذه الآيات المتلاحقة ، القصيرة المتوالية ، التى لا يملك قلب حى ، أو عاطفة سليمة ، أو وجدان يقط إلا أن ينصني ويسجد ، مأخرذًا مبهورًا ، بكتاب الله تعالى .

في أعقاب تفسير سورة النجم

ضميمتان

الضميمة الأولى : قصة الغرانيق .

الضميمة الثانية: في معنى قوله تعالى: وَأَن تُيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ . (النجم: ٣٩) .

الضميمة الأولى: قصة الفرانيق

ذكر بعض المفسرين قصة الغرانيق، وملخصها: أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم ، فلما بلغ قوله تعالى: أَلْزَ عَيْثُمُ ٱللَّلْتَ وَالْفُوْكَ وَ وَمَنَوْهَ النَّالِفَةَ ٱلْأُخْرَكَ لَ (النجم: ٢٠،١٩١). ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى .

وقد قال الإمام ابن كثير عند حديث عن هذه القصة : إنّها من روايات وطرق كلها مرسلة ، ولم أرها مسئدة من وجه صحيح .

تأمسل

القرآن من عند الله ، وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه ، وقال سبحانه : إِنَّا نَحْنُ تَرْثُنَا اللَّكُرُ وَإِنَّا لَقُرُ لُحَنْفِهُونَ . (المجر: ٩)

كما تكفل الله بحفظ رسوله ﷺ ، فقال تعالى : وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ ٱلنَّاسِ ... (المائدة : ٦٧) .

وقال عن الوحى : وَمَا تَنزَّلْتُ بِهِ ٱلشَّيْطِينُ ، وَمَا يَنْكَفِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ . (الشعراء: ٢١٠ ، ٢١٠).

وقال سبحانه في مطلع سورة النجم: وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَى ۚ وإِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . (النجم: ٣٠).

والسورة كلها في تأكيد معنى الألوهية ، ووحدانية الخالق الواحد ، قال تعالى : وَأَنَّ وَأَنْ رَاِّكَ آلْمَتَهَىٰ وَٱلَّذُرُ هُوَ أَصْحَكُ وَٱلْكَمْ وَ رَاللَّهُ هُوَ آمَاتَ وَأَحَيًا ، وَأَنْدُر خَلْقَ الوَّوْجَيْنِ الدَّكَرَ وَالْأَفَعْ ، مِن لَّطُفَة إِذَا تُعْتَىٰ ، وَأَنْ عَلَيْهِ آلشَاةً الْأَخْرَىٰ . (الذج : ٢٢ – ٤٧) .

كل ذلك يؤكد أن روح القرآن دعوة إلى التوحيد، والتنديد بالأصنام، وسورة النجم كلها في تأكيد الوحدانية، ونفى الشفاعة : إلا مِنْ يَقَدُ أَنْ يَأْذُنَ ٱللَّهُ لِمَن يُثَاءً وَيَرْضَى ﴿ (النجر ٢٦). والقرآن كله ليس فيه أي تعظيم للأصنام ، بل هو حملة شعواء على عبادة الأصنام ، وييان أنها لا تنفع ولا تضرّ ، ولا تسمع ولا تجيب ، وقد استحث القرآن العقل والفكر واللّب والفؤاد ، على التأمل في أن الكون البديع لابدً له من خالق ، وأن هذه الأصنام لم تخلق شيئًا فلا يصمح أن تُعيد .

رواية ابن أبي حاتم

ورواية ابن أبى حاتم أكثر الروايات في الموضوع تفصيلاً ، وأقلها إغراقًا في الخزافة والافتراء على رسيل الله ﷺ ، وموضع الشاهد فيها أن الكفار قد اشتدت عليهم حملة القرآن على أصنامهم ، ورغبوا في ررغبوا في أن يذكر القرآن الهتهم بخير ، فلما أنزل الله سورة النجم قال : أَلْوَعْتُهُمُّ ٱللَّمْتَ وَٱلْقَوْعُ وَمَعَوْقَ ٱلنَّالِيّةَ ٱلْأَحْرُيُّ مِنْ القرآن الفيان عندها كلمات فقال : (وإنهن لهن الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لهى التي ترتجي) ، وكان ذلك من سجع الشيطان وفئنته ، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة ، وزلت بها السنتهم ، وتباشروا بها ، فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر سورة النجم سجد ، وسجد معه كل من حضره ، من مسلم أو مشرك ، العسلمون سجدوا طاعة لربهم ، والمشركون سجدوا للهائية . الشيطان في أمنية رسول الله ﷺ ، وحدثهم به المسلمون سجدوا طاعة لربهم ، والمشركون سجدوا لما ألقى الشيطان في أمنية رسول الله ﷺ ، وحدثهم به الشيطان ، وأحكم الله آياته ، وحفظها من الفرية .

قال تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَلِلْكَ مِن رَّسُولِ وَلَا نَبِي إِلَّا إِنَّا تَمُثَى الْقَبِي الشَيْطَانُ فِيَ أَمْنِيَهِ فَيَسَجُ اللَّهُ مَا يُلْقِي - اَلشَّنْطَانُ ثُمَّ يُحْجُمُ اللَّهُ عَلِيْهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . (السج : ٢٠) .

من المنتخب في تفسير القرآن

ومعنى هذه الآية: لا تحزن أيها النبى من محاولات هؤلاء الكفار، فقد جرت الحوادث من قبلك ، مع كل رسول من رسلنا ، وبنى من أنبيائنا ، أنه كلما قرأ عليهم شيئًا يدعوهم به إلى الحق ، تصدّى له شياطين الإنس المتمردون الإبطال دعوته ، وتشكيك الناس فيما يتلوه عليهم ، لكى يحولوا بين النبى وبين أمنيته في إجابة دعوته ، فيزيل الله ما يدبرون ، ثم تكون القلبة في النهاية للحق ، حيث يثبُت الله شريعته وينصر . رسوله ، وهو عليم بأحوال الناس ومكاندهم ، حكيم في أفعاله ، يضع كل شىء في موضعه .

وقال تعالى : كَيْجَعُلُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ وَتِنَهُ لَلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضُ وَٱلْقَامِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلطَّـٰلِمِينَ لَفِي هِفَاقِي يَعِيدِ ، (الحج : ٥٣)

وجاء في المنتخب في تفسيرها ما يأتي :

وإنما مكن الله المتمردين على الحق من إلقاء الشّبه والعراقيل في سبيل الدعوة ، ليكون في ذلك امتحان واهتبار للناس ، فالكفار الذين تحجرت قلويهم ، والمنافقون ومرضى القلوب يزدادون ضلالاً يترويج هذه الشّبه ومناصرتها ، ولا عجب في أن يقف هؤلاء الظالمون هذا الموقف ، فإنهم لجّرا في الضلال ، وأوغلوا في العناد والشقاق .

وقال سبحانه : وَلِيُعْلَمُ ٱلَّذِينَ أُرتُواْ ٱلْمِلْمُ أَلَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبُكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِ فَتَخْمِتَ لَهُۥ فَلُوبُهُمْ وَإِنْ ٱللَّهُ لَهَادِ ٱلَّذِينَ وَامَنْسَوَا إِنِّيْ صَرَاطٍ مُّسَتَقِيمٍ . (السع: ٤٥) .

وجاء في المنتخب في تفسير القرآن ما يأتي :

وليزداد الذين أوتوا علم الشرع والإيمان به إيمانًا ، وعلمًا بأنَّ ما يقوله الرَّسل والأنبياء إنما هو الحق المنزل من عند الله ، وأن الله ليتولى المؤمنين دائمًا بعنايته في المشاكل التي تمرَّ بهم ، فيهديهم إلى معرفة . الطريق المستقيم فيتبعونه ، ا ه. .

وقد مرَّ تفسير هذه الآيات تفصيلًا في سورة الحج ، ورغبتُ أن أضع موجزًا لمعناها هنا لما يأتي :

- ١ الآيات التي استشهدرا بها في سورة الحج لا تريد ما ذهبت إليه هذه الروايات العليلة ، التي لم ترد
 مسندة من وجه صحيح .
 - ٢ أنْ من شرط قبول الحديث أو الأثر، ألا يعارض ما ورد في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة.
- ب أن دين الله الحق يوفض أي رواية فيها مدح للأصنام أو الأوثان ، فهذا يعارض ما علم من الدين
 بالضرورة ، وهو أن الكون كله لله ، والكمال كله لله ، وأن الأصنام عبادتها ضلال ، وشفاعتها مرفوضة
 لا ترتجى أبداً .
- اكل هذا نرفض جميع الروايات التي تفيد أن المشركين سجدوا عندما مدح القرآن آلهتهم ، أو عندما سمعوا مدحها على لسان الشيطان .
- ٥ السورة كلها سورة النجم نسيج واحد، رائع في التوحيد الخالص، لا يحتمل التضارب أو مدح الأصنام.
- ٣ سجود المشركين تمُّ للروعة الفائقة والقوة الباهرة للآيات الكريمة ، وللرهبة التى تشمل كل القلوب ،
 فسجد المؤمنون ، وسجد المشركين ، وسجد الإنس والجنّ ، كما ورد فى صحيح الهخارى .
- أخرج البغاري ، عن ابن عباس قال : سجد النبي ﷺ بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والحنّ والأنس ("")

معثى الغرانيق

لم يرد مدح آلهة المشركين بهذا الاسم في نظمهم ولا في خطبهم ، ولم يكن هذا الوصف جاريًا على ألسنتهم ، وإنما ورد الغرنوق والغرانيق على أنه اسم لطائر مائي أسود أو أبيض ، والشاب الأبيض الجميل ، ولا شيء من ذلك يلائم معنى الآلهة أو وصفها عند العرب ، كما ذكر ذلك الأستاذ الشيخ محمد عبده في ردّه على موضوع الغرانيق .

كتاب (حياة محمد ﷺ) لمحمد حسين هيكل

ذكر الأستاذ محمد حسين هيكل قصة الغرانيق في كتابه (حياة محمد)، وبيّن أنها قصة مكذرية , لا أصل لها على الإطلاق، لما يأتي :

(أ) النبي ﷺ منذ طفولته وشبابه لم يُحرَّب عليه الكذب، حتى سَمِّى الأمين ولما يبلغ خمسة وعشرين عامًا من عمره، وهذا الصادق الأمين مستحيل أن يقول على الله ما لم يقله «فما كان ليترك الكذب على الناس ويكذب على الله».

(ب) تصة الغرانيق وردت بروايات متعددة في بعض كتب الحديث ، ويعض كتب التفسير ، وهذا التعدد في الروايات يدل على أن الحديث موضوع ، وأنّه من وضع الزنادقة كما قال ابن إسحاق ، وأن الغرض منه التشكيك في صدق تبليغ مصد ﷺ رسالات ربه .

(جـ) استند بعض المستشرقين -- ومنهم سير وليم موير -- إلى الروايات العليلة التى وردت فى بعض كتب السيرة ، وكتب التفسير ، وجعلها حجة يراها قاطعة بصحة حديث الغرائيق ، وقد قال ابن إسحاق حين سئل عنه : إنه من وضع الزنادقة ، وهو حديث ظاهر التهافت ينقضه قليل من التمحيص ، لأنه ينقض ما لكل نبى من العصمة فى تبليخ رسالات ربه . ا هـ .

وقد قال تعالى : يَـٰ اَلَهُمُ الرَّسُولُ بُلَخْ مَا أُنزِلَ إِلَكَ مِن رَّبُكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلُ فَمَا بَلَفْتَ رِسَاتَتُمْ وَاللَّهُ يَفْصِمُكَ مِنَ الثّام إِنْ اللّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمُ الْكَنْفِرِينَ . (المائدة : ١٧) .

الضميمة الثانية

في معنى قوله تعالى: وَأَن لَّيْسَ لِأَلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ . (النجم: ٣٩).

قال ابن كثير في تفسيرها ما يأتي :

أى: كما لا يحمل عليه وزر غيره ، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه ، ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله ، أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى ، لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم ، ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ولا حتّهم عليه ، ولم ينقل ذلك عن أحد من المسحابة رضى الله عنهم ، ولو كان خيرًا لسبقوتا إليه ، فأما الدعاء والصدقة فمجمع على وصولهما ومنصوص من الشارع عليهما .

وأما الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: وإذا مات ابن أنم انقطع عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له ، أو صدقة جارية من بعده ، أو علم ينتقع بهه^(۱۱) ، فهذه الثلاثة في الحقيقة هي من سعيه وكدّه وعمله ، كما جاء في الحديث وإن أطيب ما أكل الرجل من كسبه ، وإن ولده من كسبه».

والمدقة الجارية كالوقف ونحوه ، هي من آثار عمله ووقفه ، وقد قال تعالى : إِنَّا تَحْنُ لَحْيَ [الْحَيْقُ لَحْيَ وَكَكُّبُ مَا قَلْمُواْ وَوَالْنَرَهُمْ ... (يس: ١٧) . والعلم الذي نشره في الناس فاقتدى به الناس بعده ، هو أيضًا من سعيه وعمله ، وثبت في الصحيح : «من دعا إلى هدّى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء» "".

من التفسير المنير

والمعتمد في المذاهب الأربعة أن ثواب القراءة يصل إلى الأموات ، لأنه هية ودعاء بالقرآن الذي تتنزل الرحمات عند تلاوته ، وقد ثبت في السنة النبوية وصول الدعاء والصدفة للميت ، وذلك مجمع عليه ⁶⁹¹.

من تفسير ابن جرير الطبرى

وَأَنْ لُيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ . (النجم: ٢٩).

يقول جل ثناؤه : أو لم ينبأ أنه لا يجازى عامل إلا بعمله ، خيرًا كان ذلك أو شرًّا .

قال ابن زيد في قوله تعالى : وَأَن لُّيسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ . وقرأ : إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ . (الليل: ٤) .

قال: أعمالكم.

وذكر عن ابن عباس أنه قال : هذه الآية منسوخة ، نسخها قوله تعالى : وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعُتُهُمْ ذُرِّيتُهُمْ بِإِيمَانَ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ ... (الطور: ۲۷) .

فأدخل الله الأبناء الجنة بصلاح الآباء (11) . ا هـ.

خلاصة الأراء

نى قوله تعالى : وَأَن لَّهُسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ .

استنبط الشافعي رحمه الله أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى ، لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم .

ونهبت طائفة من الأثمة إلى انتفاع الإنسان بعمله ، وبحا سعى له به غيره ، تفضلاً من الله ورحمة . ، بهذه الأمة ، وأن الآية الكريمة : وَأَن تُبْسُ الْإِلسَّسْنِ إِلَّا مَا سَمَىٰ . قد تكون من قبيل العام الذى قد خُصص بأمور كليرة ، وقد تكون مخصوصة بقوم إبراهيم وقوم موسى لأنها حكاية عما فى صحفهما .

من تفسير القرطبي

رُوى عن عائشة رضى الله عنها ، أنها اعتكفت عن أخيها عبد الرحمن ، وأعتقت عنه .

ورُرى أن سعد بن عبادة قال للنبى ﷺ: إن أمّى ترفيت أفأتصدق عنها ؟ قال : «نعم» ، قال : فأى المدقة أفضل ؟ قال : «سقى المام» .

وقيل: إن الله عز وجل إنما قال: وَأَنْ لِنَّسَ لِلْإِسْسُنِ إِلَّا مَا سَمَىٰ . ولام الخفض معناها في العربية الملك والإيجاب ، فلم يجب للإنسان إلا ما سعى ، فإذا تصدق عنه غيره فليس يجب له شيء ، إلا أن الله يتفضل عليه بما لا يجب له ، كما يتفضل على الأطفال بإينالهم الجنة بفير عمل .

وقال الربيع بن أنس:

وَأَن لَّيْسَ لِأَلْإِنسُنْ إِلًّا مَا سَعَىٰ . يعنى : الكافر ، وأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له غيره .

قُلتُ : وكثير من الأحاديث يدل على هذا القول ، وأن المؤمن يصل إليه ثواب العمل الصالح من غيره (١٠٠٠)

من تفسير الفتوحات الإلهية

قال الشيخ سليمان بن عمر العجيلي الشافعي، الشهير بالجمل، المتوفى سنة ١٢٠٤ هـ(١١):

من تأمل النصوص وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله ، ما لا يكاد يحصى ، فلا يجوز أن تؤول الآية على خلاف الكتاب والسنّة وإجماع الأمة ، فالظاهر أن الآية عامة قد خُصصت بأمور كثيرة . انتهى نقلا عن الكرخى .

وقيل: إن قوله تعالى: وَأَنْ لُبِسَ لِلْإِنسَسْنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ. هو من باب العدل ، وأما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله ما يشاء من فضله وكرمه . ا هـ .

وقال حكومة: إن ذلك لقومى موسى وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام ، وأمّا هذه الأمة ظهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم ، لما روى أن امرأة وفعت صبيعاً لها ، وقالت : يا رسول الله ، ألهذا حجّ ؟ فقال : «نعم، ولك أجرى .

وقال رجل للنبي ﷺ: «إن أمي افتلتت نفسها ، فهل لها أجر إن تصدقت عنها ؟ قال : «نعم» (١٠٠٠ م

٢١ دليلا لابن تيمية

نقل صاحب الفترحات الإلهية ، الشهير بالجمل ، عن ابن تيمية ٢١ دليلا مؤيدا ، حيث قال :

قال الشيخ تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية : من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع . وذلك باطل من وجوه كثيرة :

أحدها: أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره ، وهو انتفاع بعمل الغير.

ثانيها : أن النبي ﷺ يشفع لأهل الموقف في الحساب ، ثم لأهل الجنة في دخولها .

ثالثها: أنه ﷺ يشفع لأهل الكبائر في الخروج من النار، وهذا انتفاع بسعى الغير.

رابعها: أن الملائكة يستغفرون ويدعون لمن في الأرض ، وذلك منفعة بعمل الغير.

خامسها : أن الله تمالى يُخرج من النار من لم يعمل خيرًا قط — أي من المؤمنين — بمحض رحمته ، وهذا انتفاع بغير عملهم .

سادسها: أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم، وذلك انتفاع بمحض عمل الغير.

سابعها : قال الله تعالى فى قصة الفلامين اليتيمين : وَكَانَ أَبُوهُمَا صَلِبُحًا ... (الكهف: AY) . فانتفعا بصلاح أبيهما ، وليس ذلك من سعيهما .

ثامنها: أن الميت ينتفع بالصدقة عنه ، وبالعتق ، بنص السنة والإجماع ، وهو من عمل الغير .

تاسعها : أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وَليَّه ، بنص السنة ، وهو انتفاع بعمل الغير.

عاشرها: أن الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره، وهو انتفاع بعمل الغير.

حادى عشرها : المدين قد امتنج ﷺ من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة ، وقضى دين الأخر على بن أبى طالب ، وانتقع بصلاة النبي ﷺ ، وهو من عمل الغير .

ثاني عشرها : أن الذبي 養 قال لمن صلى وحده : «ألا رجل يتصدق على هذا فيصلى معه» ، فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الفير .

ثالث عشرها : أن الإنسان تبرأ ذمته من ديون الغير إذا قضاها عنه قاض ، وذلك انتفاع بعمل الغير. رابع عشرها : أن من عليه تبعات ومظالم ، إذا حال منها سقطت عنه ، وهذا انتفاع بعمل الغير.

خامس عشرها: أن الجار الصالح ينفع في المحيا وفي الممات، كما جاء في الأثر، وهذا انتفاع بعمل الغير.

سادس عشرها : أن جليس أهل الذكر يرحم بهم ، وهو لم يكن معهم ، ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له ، والأعمال بالنهات ، فقد انتفع بعمل غيره .

سابع عشرها: الصلاة على الميت والدعاء له في الصلاة ، انتفاع للميت بصلاة التي عليه ، وهو عمل غيره. ثامن عشرها: أن الجمعة تحصل باجتماع العدد ، وكذا الجماعة بكثرة العدد ، وهو انتفاع للبعض بالبعض .

تاسع عشرها : أن الله تعالى قال لنبيه : وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَلَّبُهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ... (الأندال: ٣٣) . وقال تعالى: وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَلِسَاءٌ مُؤْمِنَتَ مِّ ... (الفتح : ٣٥) . فقد رفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض، وذلك انتفاع بعمل الفير .

العشرون: أن صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره ممن يمونه الرجل ، فإنه ينتفع بذلك من يخرج عنه ، ولا سعى له فيها .

الحادي والعشرون: أن الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون، ويثاب على ذلك ولا سعى له.

ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى ، فكيف يجوز أن نتأول الآية الكريمة على خلاف صريح الكتاب والسنّة وإجماع الأمة ١٩٠٠.

كلمة ختامية

هناك أمور تتعلق بفضل الله تعالى وسعة رحمته ، وعظيم تفضُّك على عباده ، ومنها شفاعة الرسول ﷺ لأمته ، ومنها مضاعفة الحسنة إلى ألفى ضعف ، ومنها الثوية النصوح ، ومنها التوفيق وحسن الختام، ومنها أن الله تعالى يُصلح بين العبيد يوم القيامة ، ويرضّى الخصماء مع بعض خصمائهم .

وهي القرآن الكريم · مَّثُلُ الَّذِينَ يَبْقِقُونَ أَمَّوْ لَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةِ أَنْبَتَتْ سَمَّعَ سَنَابِلَ فِي كُلُّ مُسْئِلَةٍ مَّالَّةً حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُصِّدُهِكُ لِمِن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعً عَلِيمٌ ، (البقرة ، ٢٩١) .

قلا يجرز أن نحكُم عقلنا القاصر في شئون الأكرة ، أو في نص صحيح مقبول شرعًا ونقلاً بل نَحْني رؤوسنا ونفوَض الأمور إلى الله ، فهو يرزق من يشاء بغير حساب ، وليست هناك آلة حاسبة آلية لتوزيع الناس وحساباتهم بوم القيامة ، فلله أنضال على من يشاء ، وللرسول ﷺ شفاعة يوم القيامة ، بحساب ونظام كما ذكر في الصحيح ، لكن ذلك لا ينفي أن الجزاء من جنس العمل ، وهذا هو العدل ، وفوق ذلك هناك فضل يستحقه من يشاء الله له ذلك ، بمقياس ربنا الحكيم ، العليم بذات الصدور ، ومن ذلك زيادة الأضعاف ، وزيادة الوسنة ٩٠٠.

قال القرطبي في تفسيره:

ويحتمل أن يكون قوله تعالى: وَأَنْ لِيُسِ لِلْإِلسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ. خامنًا في السيئة ، بدليل ما في صحيح مسلم ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ قال : «قال الله عز وجل : إذا هم عبدى بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة ، فإن عملها كتبتها له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه، فإن عملها كتبتها سيئة واحدة» (*).

والله أعلم ، وهو سبحانه ولى التوفيق.

خلاصة ما تضمئته سورة النجم

١ - إنزال الوحى من الله على رسوله ﷺ.

٢ -- إن الذي علمه إياه هو جبريل شديد القوى .

٣ - قرب الرسول ﷺ من ربّه.

٤ – إن النبي ﷺ رأى جبريل على صورته الحقيقية مرتين.

ه - تقريع المشركين على عبادتهم الأصنام.

٢ - توييخهم على جعل الملائكة إناثًا ، وتسميتهم إياهم بنات الله .

٧ - مجازاة كل من المحسن والمسيء بعمله.

٨ - إحاطة علمه تعالى بما في السماوات والأرض.

٩ -- النهي عن تزكية المرء نفسه .

١٠ - الرصايا التي جاءت في صحف إبراهيم وموسى .

١١ - التعجيب من استهزاء المشركين بالقرآن حين سماعه ، وغفلتهم عن مواعظه .

١٢ - أمر الناس بالخضوع لله ، والإخلامي له في العمل (١١)

* * *

وكان الفراغ من تفسير سورة (النجم) مساء الثلاثاء، ١٩ من رجب ١٤٠٠ هـ، الموافق ٢٠/ / ٢٠٠٠م، ٢٠٠٠م، والحمد لله رب العالمين .



أهسداف سيورة القمسر

00.7

سورة القمر مكية ، وآياتها (٥٥) آية ، نزلت بعد سورة الطارق

وهي سورة تمثل سياطا لاذعة للمكذبين المنكرين ، وتعرض مشاهد خاطفة لما أصباب المكذبين السابقين ، وتستعرض مواقف القيامة وأهوال الحشر ، وأحوال المجرمين ، وما يصيبهم من العذاب والنكال في الأخرة .

انشقاق القمر

يصف مطلع السورة حادثًا فذا ، هو انشقاق القمر بقدرة الله تعالى معجزة لرسول الله ﷺ .

وقد وردت روايات متواترة من طرق شتى عن وقوع انشقاق القمر فى مكة قبل الهجرة ، حيث جاءت هذه الروايات فى البشارى ، ومسلم ، ومسئد الإمام أحمد ، وغيرها من كتب السنة .

فقد روى الشيخان ، عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم القمر شقين عتى رأوا حراء بينهما .

وروى البخارى عن عبد الله بن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقالت قويش: هذا سحر ابن أبى كبشة (**) ، قال: فقالوا: لنظروا ما يأتيكم من الشَّقار (**) فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم ، قال: فجاء الشَّقار فقالوا ذلك .

وهذه الروايات مع غيرها تتفق على انشقاق القمر بمكة .

كما ثبت أن أهل مكة قابلوا هذه الآية بالعناد ، وادعوا أن محمدا سحر أهل مكة حتى يشاهدوا القمر منشقا ، ثم اتفقوا على أن يسألوا عن الحادث المسافرين القادمين إلى مكة، وقد شهد المسافرين بأنهم شاهدوا القمر نصفين في ذلك اليوم ، فادعى أهل مكة أن محمداً سحر الناس جميعا .

قال تعالى : ٱقْقَرَبَتِ ٱلسَّاحَةُ وَٱلشَقَّ ٱلْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا ءَلَيَة يُعْرضوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَعِرٌ . (الغس ٢٠١٠) .

ويرى بعض المفسرين أن الآية تخبر عن الأحداث الكونية المستقبلة ، فعند قيام الساعة ستنشق الأرض والسماوك ، كما قال سبحانه : إِذَا السُّمَاءُ النَّقَّتُ . (الانتقاق :) . كما ينشق القمر وينفصل بعضه عن بعض ، وتتناثر النجوم ، وتبدل الأرض غير الأرض و السماءات غير السماءات

سياق السورة وأفكارها

في الآيات (١-٨) وصف لجحود الكافرين ، وعدم إيمانهم بالقرآن، وانصرافهم عنه إلى الهوى والبهتان.

وفى الأبات تهديد روعيد لهولاء المشركين بيوم الجزاء، فهم يخرجون من قبورهم خاشعين من الذل. فى حالة سيئة من الرعب والهول ، فيسرعون الخطى ليوم الحشر كأنهم جراد منتشر ، وقد أسقط فى أيديهم فيقول الكافرون : هذا يوم صعب عسر .

حُمس حلقات من مصارع المكذبين

الآيات من (٩ – ٤٢) تشتمل على عرض سريع لمصارع قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط ، وفرعون وملثه ، وكلها موضوعات سيقت في سور مكية ، واكنها تعرض في هذه السورة عرضا خاصا، يحيلها جديدة كل الجدة ، فهي تعرض عنيفة عاصفة ، وحاسمة قاصمة يفيض منها الهول ، ويتتأثر حولها الرعب ويظلها الدمار والفزع .

وأخص ما يميزها في سياق السورة ، أن كلا منها يمثل حلقة عناب رهيبة سريعة لاهثة مكروية ، يشهدها المكذبون وكأنما يشهدون أنفسهم فيها ، ويحسون إيقاعات سياطها ، فإذا انتهت الحلقة وبدأوا يستردون أنفاسهم اللاهثة المكروية عاجلتهم حلقة جديدة أشد هولا ورعبا ، حتى تنتهى الحلقات الخمس في هذا الجو العفزع الخانق.

١ – قوم نوح (الآيات ٩ –١١) :

وتلمح فى الآيات مشهد المكذبين يتهمون نوحا بالجنون ، ونوح يظهر لله ضعفه ويدعوه أن ينتصر له ، وتستجيب السماء فينهمر المطر وتنفجر عيون الأرض ، ويلتقى ماء السماء بماء الأرض ، ثم يغرق الكفرون ، وينجى الله نوحا ومن آمن معه ، ويسأل القرآن سرالا لإيقاظ القلوب إلى هول العذاب وصدق اللذير ، فيقول: فَكَيْفَ كُانُ مُذَابِي وَلُلُو . (القدر: ١٦) .

والقرآن كتاب إلهى سهل التناول ميسر الإدراك ، فيه جاذبية الصدق والبساطة وموافقة الفطرة ، لا تغنى عجائبه ، ولا يُخْلق على كثرة الرد ، وكلما تدبره القلب عاد منه بزاد جديد ، وكلما صحبته النفس زادت له ألفة وبه أنسا: وَلَقَدْ يُسُرِّنَا الْقُرُّءَانُ لِلذَّكُر فَهُلُ مِن مُتُكْرِد (القمر: ١٧).

هذا هو التعقيب الذي يتكرر بعد كل مصرع من مصارع السابقين.

٢ -- عاد قوم هود (الآيات ١٨ - ٢٢):

أرسل الله عليهم ريحا عاتبة تعمر كل شيء بإذن ربها ، وقد سلسلوا أنفسهم بالسلاسل حتى لا تعصف يهم الريح ، وشقوا لأجسامهم شقوقا داخل الأرض ، وتركوا رؤوسهم خارجها ، فكانت الريح تكسر رؤوسهم وتتركهم كالنخيل التي قُطعت رؤوسها وتُركت أعجازها وجذورها .

٣ - ثمود قوم صالح (الآيات ٢٣ - ٣٧) :

وقد أرسل الله إليهم نبيه مسالحًا ومعه الناقة ، فأخبرهم بأن الماء قسمة بينهم ويينها، فللناقة يوم ولهم يوم ، لها شِرب ولهم شِرب يوم مطوم .

وكان الهوم الذى ترد فيه ثمود البغر لا تأتى البناقة إليه ولا تشرب منه ، ولكنها تسقيهم لبنا ، وفى الهوم الذى بدنا ، وفى الهوم الذى المنافقة إلى الهوم الذى المنافقة ، وحرُضوا شقها من الهوم التاليقة على المنافقة على المنافقة على المنافقة على الأشهاء على قتل النافة ، فلما قتلها استحقوا عقاب الله ، وأرسل الله عليهم صبيحة واحدة فكانوا كفتات المنشوش الهابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لفنمه .

٤ - قوم لوط (الآيات ٣٣ - ١٠) :

اشتهر قوم لوط بالشدود الجنسى ، حيث استغنى الرجال بالرجال ، وهو انتكاس للفطرة وشرود في الرئيلة ، ولقد حذرهم لوط مغية فعلتهم ، فكذبوه وجادئوا بالباطل ، وجاءت الملاتكة إلى نبى الله لوط في مورة رجال عليهم مسحة الجمال والجلال ، فرغب قوم لوط في أن يفعلوا فعلتهم الشنعاء في الملائكة ، ورودوه عن ضيفه ليفعلوا بهم اللواط ، فاستحقوا عقوبة السماء ، وأرسل الله عليهم حاصبا ، أي ريحا تجمل المجارة ليذوقوا العذاب .

٥ - ثم تعرض السورة حلقة قصيرة عن فرعون وجحوده ، وعقاب الله له حيث أخذه أخذ عزيز مقتدن

وفى الآيات الأخيرة من السورة (٣٠ – ٥٥) تعقيب على هلاك السابقين ، وترجيه لأهل مكة بأنهم لن يكرنوا أحسن حالا ممن سبقهم ، ثم إن الساعة تنتظرهم وهى أدهى وأمر من كل عناب شاهدوه فيما سبق، أو سمعوا وصفه فيما مرَّ ، من الطوفان الذي أصاب قوم نوح ، إلى الصرصر مع عاد ، إلى الصاعقة مع ثمود، إلى الحاصب مع قوم لوط ، إلى إغراق فرعون .

حكمة الخالق

وتشير الآيات إلى حكمة الله العالية ، فتقول : إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُكُ بِغَدَرٍ . (القدر: ٤٩) .

وهذه الحكمة تظهر في خلق الكون، وفي خلق السماء والأرض، وفي خلق الإنسان، وفي خلق الطيور والحيوانات، وفي سائر خلق الله: يُعْعُلُنُ اللهُ مَا يَشَاهُ إِنَّ اللَّهُ عَلَى كُلُّ شَيْءٍ فَلِيشٍ . (النور: ٤٥).

إن قدرة الله وراء طرف الخيط الهميد لكل حادث ، ولكل نشأة ، ولكل مصير ، ووراء كل نقطة وكل خطوة وكل تبديل أو تغيير ، إنه قُدر الله النافذ الشامل الدقيق العميق .

و حيانا تخفى الحكمة على العباد فيستعجلون أمرا، والله لا يعجل لعجلة العباد، فالواجب أن يرضى المؤمن بالقضاء والقدر، وأن يحنى رأسه أمام حكمة الله ومشيئته.

ثم يعرض الختام مشهد المجرمين يسحبون في النار على وجوههم ليذوقوا العذاب ، كما يعوض مشهد المتقون في نميم الجنة ورضوان الله العلى القدير .

انشقاق القمر وعناد المشركين من المُشَرَّالُوْمَ الْحَمَرُ الْحَمَرِ

المفردات :

اقستسريت ، دنت وقريت .

السامية : القيامة .

الشيق اليقيمير؛ انفصل بعضه عن بعض وصار فرقتين،

آسمستة ، دليلا على نبوتك .

سحر مستمر : مُطَّرد دائم .

أهسبواءهسم : ما زيَّته لهم الشيطان من الوساوس والأوهام .

وكل أمر مستقر ، وكل أمر لابد وأن يستقر إلى غاية ، وينتهى إلى نهاية يستقر عليها .

مستردجسر، ازدجار وانتهار وردع عما هم فيه من الكفر والضلال.

تسمقستسى ، تفيد وتنفع .

السينسيدر: الرُّسل أو الأمور المخوّفة لهم.

شيء تكسره منكر فظيم ، والمراد : هول القيامة .

خشما أيصارهم ، ذليلة خاضعة من شدة الهول.

الأجــــداث: القبور.

مهمط مسين ، مسرعين منقادين .

يسوم عُسسِس، صعب شديد لعظم أهواله .

سيب الترول :

روى البخارى ، عن أنس بن مالك قال : سأل أمل مكة النبى ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم القمر شقين ، حتى رأوا حراء بينهما . (")

وروى مسلم ، والترمذي ، عن عبد الله بن عمر في قوله تعالى : ٱلْتَرَبَّتِ ٱلسَّاعَةُ وُٱنشِّقُ ٱلْقَمَرُ .

قال: وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ، انشق القمر فلقتين ، فلقة من دون الجبل ، وفلقة خلف الجبل ، فقال النبي ﷺ: «اللهم اشهد» الله .

وقد وردت روايات متواترة من طرق شتَّى عن وقوع حادث انشقاق القمر بمكة في عهد النبي ﷺ، قبل الهجرة ، إكراما من الله لرسوله وتصديقا له .

التفسيره

١ - ٱلْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنطَقُ ٱلْقَمَرُ .

اقتريت القيامة، فالباقى من عمر الدنيا أقل بكثير مما سبق منها ، وقد قال ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» (١٠٠ . وقرن بين أصبعيه الوسطى والسبابة ، (متفق عليه)

وقد من بعد الرسالة المحمدية أكثر من أربعة عشر قربنا ، لكنها قليلة بالنسبة إلى عمر الدنيا وهو - قرابة ١٣ بليون سنة .

وفي عام ١٩٩٤ م انعقد مؤتمر علمي في الولايات المتحدة الأمريكية بشأن معرفة عمر الكون وعمر الإنسان على هذه الأرض ، وانتهى المؤتمر إلى أن عمر الكون ١٣ بليون سنة ، وأن عمر الإنسان على هذه الأرض ٧ بلايين سنة .

وقد انشق القمر معجزة الرسول الله ﷺ ، حتى رُثى جبل حراء بين الشقين ، فقال أهل مكة : انتظروا حتى يأتى السفار ، أى المسافرون خارج مكة ، فلما قدم المسافرون قالوا : شاهدنا القمر قد انشق نصفين، فقال الكفار : إن محمداً سحر الناس جميعًا .

وذهب بعض المفسرين إلى أن المعنى :

سينشق القمر عند قيام الساعة ، حيث يكرن من علامات الساعة تكوير الشمس وذهاب ضوئها، وانكدار الذجوم ، وانشقاق القمر .

ونحن أمام الأحاديث الممحيحة الواردة في الموضوع ، وإشارة القرآن الكريم إلى ذلك ، نصدق ونؤيد وقوع انشقاق القمر ، معجزة لرسول الله ﷺ وتصديقا له .

قال ابن كثير:

وهذا أمر متفق عليه بين العلماء ، أنَّ انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ ، وأنه كان إحدى المعجزات الهاهرات .

وقد أيد هذا المعنى الألوسى في تفسيره ، فقال : والأحاديث المسعيحة في الانشقاق كثيرة ، واهتلف في تواترها ، فقيل : في تواترها ، فقيل : هي غير متواترة ، وفي شرح المواقف أنها متواترة ، وهو الذي اختاره العلامة السبكي، فقد قال : المسعيح عندي أنَّ انشقاق القمر متواتر ، منصوص عليه في القرآن ، مروى في الصحيحين وغيرهما من طرق شتَّى ، لا يمتري في تواتره .

وقد جاءت أحاديثه في روايات صحيحة ، عن جماعة من الصحابة، منهم : على بن أبى طالب ، وأنس، وابن مسعود . ا هـ .

والساعة لا يعلم وقت مجيئها إلا الله ، واقتراب الساعة يمكن أن يراد به أن الهاقي من عمر الدنيا قليل، بالنسبة لما مضي منها.

روى الحافظ أبو بكر البزار، عن أنس ، أن رسول الله ﷺ خطب أصحابه ذات يوم ، وقد كادت الشمس أن تغرب ، فلم يبق منها إلا سف يسير ، فقال : «والذى نفسى بيده ، ما يقى من الدنيا فيما مضى منها ، إلا كماً بقى من يومكم هذا فهما مضى منه» ، وما نرى من الشمس إلا يسيرا . والمقصود حثّ الناس على الثوية والإنباة والإيمان قبل فوات الأوان .

وقريب من ذلك قوله تعالى: أَتَى أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ... (النحل: ١).

وقوله سبحانه : ٱلْتُرَبِّ لِلنَّاس حِسَائِهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرضُونَ . (الأنبياء : ١) .

وقوله تعالى: يَسْفَلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلْ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا .

(الأحزاب: ٦٣)

و الخلاصة :

إن جمهور المحدّثين والمفسرين على أن الانشقاق حقيقة ، فقد قال القرطبى : ثبت ذلك فى صحيح البخارى وغيره ، وقيل : معناه : وضع الأمر وظهر ، والعرب تضرب بالقمر مثلاً فيما وضع ، ثم علّق القرطبى قائلاً : قد ثبت بنقل الآحاد العدول أن القمر انشق بمكة ، وهو ظاهر التنزيل ، ولا يلزم أن يستوى الناس في رئيته ، لأنها كانت آية لبلية ، وأنها كانت باستدعاء الذبي ﷺ من الله عند القحدي

٢ - وَإِن يَرُواْ ءَايَةً يُعْرِطُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُسْتَعِرٌ .

إذا رأى كفار مكة آية معجزة تؤيد النبي ﷺ وصدقه ، مثل انشقاق القمر ، أعرضوا عن الإيمان ، وأحموا عن الإيمان ، وأحموا عن الإيمان ، وأحموا عن الدهول في الإسلام ، وقالوا : هذا سحر متتابع ، أن مُسْتَوِدٌّ ، يُمعنى : باطل مضمحل زائل ، لا يوام له ، أن مُسْتَوِدٌّ ، يمعنى : مرير على ألسنتنا لا تطيقه لهواتنا ، أن مُسْتَوِدٌّ ، يمعنى : محكم قوى ، من المرة يمعنى القوة .

٣ - وَكُذَّاهُواْ وَٱلْبَعُواْ أَهْوَآءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرُّ .

قال قتادة:

إنَّ الخير يستقرَّ بأهل الخير ، والشر يستقرَّ بأهل الشرّ ، وكل أمر مستقر بأهله .

وقبال مجاهد:

وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ .أي يوم القيامة . ا هـ .

حيث يستقر الأغيار في الجنة ، والأشرار في النار.

﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ ٱلْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ .

ولقد جاه هوّلاء الكفّار من أخيار الأمم السابقة، وما نزل بها من الهلاك والنَّمار، عندما كذبت رسلها، أو جاءهم من أخبار القرآن وتشريعاته وهداياته ، ما فيه زجر لهم عن اتباع الهوى والكفر والضلال.

٥ - حِكْمَةُ بَلْلِغَةً فَمَا تُغْنِ ٱلثُّلُرُ .

إن هذا القرآن حكمة بالغة ، بلنت الغاية والنهاية في الهداية والبيان ، حيث تكلّم عن بدء الخليقة ، ولمنت الأنظار إلى الكون وجمائه وإبداع خلقه ، لكن الكفار أصمُّوا أذانهم وأُغلقوا عقولهم ، وساروا وراء أهواتهم ، فلم ينتفعوا بهدى القرآن .

قال تعالى : وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَاتُ وَٱلتُلُو عَن قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ . (يونس : ١٠١).

أى: ماذا تنفع الآيات الواضحة ، والنَّذر جمع نذير ، بمعنى منذر، أى: ماذا تغيد وسائل الهدى لقوم سدوا منافذ الهداية ، ورفضوا وسائل الإيمان؟

قال تعالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنلَزْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنلِزْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . (البقرة : ١) .

وقال تعالى: لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيَنَّ لاَّ يُشْمِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لّا يَسْمَعُونَ بِهَا ... (الأعراف: ١٧٩).

وقال سبحانه وتعالى : أَفَعَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَدْسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِجْرٍ اللَّهِ أَوْ لَكِيْكَ فِي صَدَّلُ مُّسِنِ . (الرَّم: ۲۲) .

٣ - لَتُوَلُّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ تُكُرٍ .

أى: عليك البلاغ ، وليس عليك الهداية ، فإذا أذّيت واجبك فلا تهتمَ بهم ، وأعرض عنهم ، وانتظرهم حين ينفخ إسرافيل فى الصور ، فيقومون من قبورهم فى شدة الهول ، حيث يُدعون إلى الحساب والجزاء وما فى ذلك اليوم من الأهوال ، التى لم تألفها النفوس ، ولم تر لها مثيلا فى الشدّة .

وليس المراد أن يترك الرسول ﷺ البلاغ والدعوة للمشركين ، بل المراد : بنّع ما أنزل إليك من ربك ، في تؤدة وحكمه ، ثم اتركهم ، فإن جزاءهم سيأتي حين ينفخ إسرافيل في الصُّور ، وينادي المنادي من قبل الله عزوجل : أيتها الأرواح الباقية ، والأجساد البالية ، والعظام النخرة ، قومي لفصل القضاء ، وحينئذ يقوم الناس لرب العالمين، حيث يشاهدون أهوال القبامة .

٧ - تُشْعًا أَيْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ .

هم يخرجون من القبور في حالة من الذلة والخشوع والخوف ، لأنَّ أثر العزَّ والذل يتبين في نظر الإنسان .

قال ثمالي: أَبْصَارُهَا خَلْشِعَةٌ . (النازعات: ٩) .

وقال سبحانه وتعالى: وَتَرَبِعُهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَلْشِعِينَ مِنْ اللُّالِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفَرِ خَفِيٌّ ... (الشورى: ٥٠). قال القرطبي :

ريقال: خشع واختشع ، إذا ذلّ ، وخشع ببصره ، إذا غضّه ، وقرأ حمزة والكسائي : خاشعا أبصـُرهم . يَعُوْ جُونُ مَن ٱلْأُجْلَاتُ كَاللَّهُمْ جَالَةُ مُنششٌ .

يخرجون من القبور مسرعين مطيعين ، كأنّهم جراد منتشر منبثُ في الآفاق ، وإذا نظرنا إلى الجراد في كثرته وتتابعه كأنه حملة قوية ، وكثيرا ما يكون ويالاً على الزراعة ، أو ناشرًا للأفات ، أدركنا عمق التعبير في الآبة .

وقد قال تعالى في آية أخرى : يُوْمَ يَكُونُ آلنَّاسُ كَالْفَرَاشِ ٱلْمَبُّوثِ . (القارعة : ٤) .

قال القرطبي :

فهما صفتان في وقتين مختلفين:

إحماهما : عند الخروج من القبور يخرجون فزعين ، لا يهتدون أين يتوجهون ، فيدخل بعضهم في بعض ، فهم حينتذ كالغراش الميثوث بعضه في بعض ، لاجهة يقصدها .

النسانية: فإذا سمعوا المنادي قصدوه ، فصاروا كالجراد المنتشر ، لأن الجراد له جهة يقصدها .

قال ابن كثير:

كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب جراد منتشر في الآفاق.

٨ - مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَذْفِرُونَ هَذْذَا يَوْمٌ عَسِرٌ .

مسرعين مجيبين إلى الداعى ، وهو إسرافيل عليه السلام ، لا يخالغون ولا يتأخرون ، ويقولون : هذا يوم شديد الهول سيئ المنقلب .

قال تعالى: فَلَالِكَ يَوْمَئِلِ يَوْمٌ عَسِيرٌ ، عَلَى ٱلْكَلْفِرِينَ غَيْرُ يَسِير ، (المدثر: ١٠،٩).

أى: هو عبوس قمطرير، شديد الهول على الكافرين، وفي هذا إيماء إلى أنه هين على المؤمن لا عسر فيه ولا مشقة ، بل فيه نضرة وسرور ونعيم للمتقين.

خلاصة تقصص بعض الأنبياء مع أممهم

١ - قصة قوم نوح

﴿ كَنَّبَتَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحِ هَكَنَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُواْ جَنُونٌ وَازْدُحِرَ ۞ هَدَعَا رَقِهُ أَنِي مَغْلُوبٌ فَانَعِيرٌ ۞ فَفَنَحْنَا أَقِرَبُ السَّمَا فَهِمَا فَنَهُمِ ۞ فَهُرًا ٱلأَرْضَ عُبُونَا فَالْفَى ٱلْمَاهُ عَلَ أَمْرِ فَلْدُونَ ۞ وَحَلْنَهُ ظَلَ ذَاتِ أَلْوَجِ وَدُسُرٍ ۞ تَجْوِي إَعْيُونَا جَزَا وَلِمَن كَانَ كُفِرَ ۞ وَلَقَدْ يَشَرَا ٱلْفُرْمَانَ وَلَقَدُونَ أَنْ مَنَابِي وَنُدُرٍ ۞ وَلَقَدْ يَشَرَا ٱلْفُرْمَانَ لَلْلِي وَلَيْدُونَ أَنْ مَنَابِي وَنُدُرٍ ۞ وَلَقَدْ يَشَرَا ٱلْفُرْمَانَ اللهِ فَيَالَ مِن مُذَكِرٍ ۞ ﴾

المف دات ،

مقلوب فانتصر ، مغلوب فانتقم لي منهم .

بماء منهمر ، منصبُّ بشدة وغزارة .

فجرنا الأرض ، شقتناها .

أسرقه قبيس وترياه أزلاء وهو ملاكهم بالطوفان

تجرى باعيننا ، بحفظنا أن بمرأى منّا أن بأمرنا .

كُـــــــر؛ أي : جحد به ، وهو دوح عليه السلام .

تركشاها آية ، أبقينا ذكرها عبرة وعظة .

مسدعي ومتعظ

يســـرنـــا : سهلنا .

اسطستكسر العظة والاعتبار.

تمهيد

تذكر سورة القمر موجزا لقصص بعض الأنبياء ، فتذكر قصة أريعة من الرسل مع أقوامهم : قصة نوح مع قومه ، وهود مع قومه عاد ، وصالح مع قومه ثمود ، وقصة لوط مع قومه ؛ ليشاهد القارئ ما أصاب المكذبين للرسل من الهلاك ، وما حظى به الرسل من النصر والمعينة الإلهية .

التفسيره

٩ - كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحِ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُحِرَ.

كذب قبل قومك قريش ، قوم نوح عليه السلام ، وهو أوَّل رسول أرسل إلى قومه .

فكذبوا عبدنا نوحا ، حيث مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، وما آمن معه إلا تليل ، وزادوا على تكذيب نوح اتهامه بالجنون ، وزجروه ونهوه عن تبليغ الرسالة ، قائلين له: لَيْن لَّمْ تَسَرِّ يَنْشُوحُ تَسَكُونَ مَنْ مِنَ آلْمُرْجُورِينَ . (الشعراء ١٩٦٠).

١ - فَدَعَا رَبُّهُ رَأَنِّي مَغْلُوبٌ فَآلتَمِيرٌ

بعد عناد طويل ، وتكنيب وإصرار من قوم نوح ، وبعد أن صبر هذا الرسول صبراً طويلا ، واشتكى إلى الله ما حكاء القرآن ، حيث قال تمالى :

قَالَ تُوحْ رَّبِ إِلَّهُمْ عَصَوْلِي رَآتُنَمُواْ مَن لَمْ يَوْهُ مَالَهُ وَوَلَلُهُۥ إِلَّا حَسَارًا ، وَمَكُورُواْ مَكُوا كُبُارًا ، وَقَالُواْ لَا تَلَدُنُ بَالِهَنَكُمْ وَلَا تَلَوُنَّ وَقَا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَمُوتَ وَيَشُوقَ وَنَسُرًا ، وَقَلاَ أَصَلُواْ كَيوا درج: ٢١-٢١

دعا نوح ربه قائلاً: إنى مغلوب مقهور فانتصر لي يا الله ، وقد استجاب الله دعاء نوح عليه السلام.

١١ - فَفَتَحْنَا أَبُوابَ ٱلسَّمَاءِ بِمَاءِ مُنْهَمِر.

لقد انصب عليهم ماء السحاب صباً وإبلا منهمرًا ، بشدَّة وغزارة ، وقد كانوا في شوق إلى المطر لمدة طويلة ، فكان المطر الشديد الوابل المتتابع ، سببا في عذابهم فقد نزل بكثرة فائقة من السماء ، كما يقال في المطر الوابل : جرت ميازيب السماء ، وفتحت أبواب القرب ، كناية عن كثرة انصباب الماء من السماء .

١٧ - وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرِ قَدْ لُدرَ.

وجعلنا الأرض كلها عيونا متفجرة ، وينابيع متدفقة ، فالتقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قد تُضى عليهم ، وقد قدّره الله في الأزل ، أن يهلكهم بالطوفان جزاء كفرهم وطفيانهم .

قال قتادة :

قضى عليهم في أمُّ الكتاب إذا كفروا أن يُفرقوا.

١٣ - وَحَمَلْنَكُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلُوْاحِ وَدُسُر.

حملنا نوحا ومن آمن معه على سفينة ذات ألواح من خشب ومسامير تشد الخشب بعضه إلى بعض ، وهذا من جميل الكلام ويديمه ، أن تحذف الموصوف وتعبّر عنه بصفة مبينة له.

وقال الليث:

الدُسار: خيط من ليف تشدُ به ألواح السفينة ، ولحله بعض الحشو الذي يوضع بين الألواح ، ثم يطلى بالقار ليمتم دهول الماء .

٤ ١ - تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لَّمَن كَانَ كُفِرَ .

تجرى السفينة فوق مياه الطوفان ، بحكمتنا وقدرتنا ، وحفظنا وعنايتنا ، وتحت رعايتنا.

لقد استجبنا لعبدنا نوح ، الذي قدّم دعوته دائباً مستمرا ، خلال ألف سنة إلا خمسين عاما ، فقويل بالكفران والنكران ، والإيذاء والجحود ، فأنقذناه بالسفينة تجرى برعايتنا ، جزاء وإكراما لنبي كُنُب وجُحد فضله ، لقد كان نعمة على قومه فكفروها ، وكل نبى نعمة من الله على أمته ،

١٥ - وَالْقَدْ تُرَكَّنَاهَا ءَايَةً فَهَلُ مِن مُّذَّكِرِ .

لقد تركنا تلك الحادثة – وهى الطوفان – عبرة وبيانا للقدرة الإلهية التى تمحق المكذبين ، وتنصر المؤمنين ، فهل من معتبر ومتعظ .

وقيل: المعنى: تركنا السفينة مدَّة طويلة ليعتبر بها من يعتبر، وأمثالها صار رماداً ونخر فيه السوس.

١٩ – فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُلُرٍ .

استفهام تهويل وتعظيم وتعجيب ، بمعنى . الم يكن العذاب شديدا ، والغرق مهلكا ؟

وإنذارى لهم على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف، وذلك لتكذيبهم رسلى وإنكارهم آياتي.

١٧ - وَلَقَدْ يَسْرُنَا ٱلْقُرْءَانَ لِللَّكْمِ فَهَلْ مِن مَّذَّكِر .

أنزلناه كتابا عربيا مبينا ، مشتملا على ألوان المعارف والقصص ، والأمثال والحكم والتشريع ، وييان عجائب الكون ، وأخبار القيامة والبحث والحشر والنشر ، ويسُّرنا تلاوته وقراءته ، وحفظه وفهمه والاتعاظ به .

فهل من معتبر بهذا الكتاب متأمل فيه ، متعظ بما فيه من المواعظ والأخبار ، مسارع إلى التأمل في فهمه ، والاستعانة بالله على حفظه .

قال الخازن في تفسيره:

وفيه الحث على تحليم القرآن والاشتغال به ، لأنّه قد يسره الله ، وسهله على من يشاء من عباده ، بحيث يسهل حفظه للصغير والكبير ، والعربي والعجمي .

قال سعيد بن جبير:

يسرناه للحفظ والقراءة ، وليس شيء من كتب الله تعالى يقرأ كله ظامراً إلا القرآن . انتهى من تفسير الخازن .

أمسلٌ ورجساء

ألا ليت أمتنا تتواصى بتعليم أبنائها ويناتها ورجالها ونسائها ، وشبابها وفنياتها هذا الكتاب ، دراسة وحفظا ، وتجويدًا وتلاوة ، لمعرفة أحكامه وأدابه ، والاهتداء بهديه ومواعظه ، وتنفيذ أوامره ونواهيه ، ليكون حياة لأزواحنا ، وقوة لأفئدتنا ، ونورًا لنفوسنا ، ويعثا لأمتنا ، حتى نعتصم به ونعمل به كما عمل السابقون ، فعزّوا وسادوا ، وقد أمناب أمتنا التدهور والاضمحلال بسبب بعدها عن كتاب الله ، وهو مصدر عزّها ، بل هو الروح والحياة الكريمة لها .

قال تعالى : وَكَذَا لِكَ أَوْضِنَا إِلْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُست تَدْرِى مَا ٱلْكِتَسْبُ وَلَا ٱلْإِيشْنُ وَلَسْكِن جَعَلَتُنهُ مُوزًا لَهُذِي بِهِ مَن نُشَاءً مِن عِبَادِنَا وَإِلْكَ تَفْهِدِيَ إِلَىٰ مِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥ مِرَاطِ ٱللَّهِ ٱلذِي لَهُ, مَا فِي ٱلشَّمَنُوْتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ الْإَلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأَمُورُ . (الشورى: ٢٥ . ٥٥) .

٢ - قصة عاد قوم هود

﴿ كَذَّبَتْ عَادُّفُكَيْفَكَانَ عَدَاهِ وَنُذُرِ ۞ إِنَّا أَصَلَاعَلَيْمٍ فِيحَاصَّرْصَكَا فِيقَوْمِ خَسِ مُسْتَمْرٍ ۞ تَنْ عُالنَّاسَكَا نَهُمُ أَعْجَادُ تَعْلِ مُنْقَعِرِ۞ فَكَيْفَكَانَ عَذَاهِ وَنُذُو ۞ وَلَفَدَيَسَّ فَالْفُرَانَ لِلذِكْرِ فَهَلَ مِن مُذَكِرِ۞﴾

المفردات ،

مسيق من الله من الله من الله من الله من أهلكهم .

تر و المناس ، تقلعهم من أماكنهم ، وتصرعهم على رؤوسهم ، فتدق رقابهم .

مسئية ما تا عام من أصوله ، يقال ؛ قعرت النخلة ، أي : قلعتها من أصلها ، فانقعرت .

هكيف كان عدايي ونشر ، كرزه للتهويل .

تمهيد:

تلك قصة قرم آخرين بعد قرم ذرح ، كانوا أهداء أقوياء ، أرسل الله إليهم هودًا ، فدعا قومه عادًا إلى الإيمان فكذبوا واستكبرها ؛ فأملكهم الله يريم صرصر عاتية .

التفسير،

١٨ - كَلَّهَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُلُر .

هذه قصة أخرى ، أو خلاصة لقصة لم تذكر تفاصيلها هنا رغبة في الإيجاز، فالسورة كلُّها آياتها قصار ، وتعرض موجزًا للمكذبين .

ومعنى الآية :

كذبت قبيلة عاد نبيَّهم هودًا ، فهل شاهدتم أن سمعتم أن عرفتم كيف كان عذابي لهم ، وإنذاري لهم بالعذاب ؟ ثم شرح في تقميل ذلك وييانه . ١٩ - إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْم نَحْس مُّسْتَعِرُّ.

أرسلنا عليهم ريحا بارية شديدة الصوت.

قال ابن كثير:

قيل : باردة ، وقيل : شديدة الصوت ، والحق أنها متصفة بجميع ذلك ، فقد كانت ريحًا شديدة قوية ، وكانت باردة شديدة البرد ، وكانت ذات صوت مزعج ، ا هـ .

أى . جمعت الهلاك والإبادة والقدمير، في يوم شرّم على مؤلاء المعقدين مستمرّ، حيث اتصل عذابهم في الدنيا بحذابهم في الآخرة ، وقد نهينا في السنّة المطهرة عن التشارّم من أمر بعينه ، أو يوم بعينه ، وإنسا الأيام والليالي كلها سواء ، لذا كان التشارّم بالعدد (١٣) غير صحيح شرعا ودينا .

روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صغر ، وفرَّ من المجدوم فرارك من الأسد» (١٠٠٠).

أى أن العدوى لا تقع إلا بإنن الله ، ولا يجوز التطوّر أو التشاوّم من شيء ، فإذا رأى الإنسان شيئًا يتشاوّم منه ، يقول : «اللهم لا يأتى بالخير إلا أنت ، ولايُدَهب السرء إلا أنت ، اللهم اكفنى السوء بما شئت وكيف شئت ، إنك على ما تشاه قديري (١٠٠٠ . ثم يمضى فى عمله ولا يتراجع عنه .

(ولا هامة) كانت العرب تعتقد أن روح القتيل تتقمّص طائرا يسمى الصَّدى، وتصبح بالليل تقول: (اسقونى من دم قاتلي) ، فإذا أخذ بثأره هذأ القتيل واستقرّت روحه ، وهذه خُرافةٌ لا أصل لها ، وكانت تدفعهم للأخذ بالثأر، فقال ﷺ: «لا هامة».

(ولا صفر) قد حرّم الله القتال في شهر المحرم ، وكان العرب إذا احتاجوا إلى الحرب في المحرم ، قام كبيرهم ، فقال . إني أحللت لكم القتال في المحرم ، ونقلتُ تحريمه إلى شهر صفر ، فقال ﷺ : «ولا صفره ، أي: لا يجوز تحريم القتال في شهر صفر ، بل يجب الإبقاء على جعل المحرم هو الشهر الحرام بنفسه ، دون غيره .

وفي آخر الحديث نجد الرسول ﷺ يدعونا إلى الابتعاد عن الاختلاط بأصحاب الأمراض المعدية ، فكما تَقُر من الأسد المفترس، ينبغي أن تقرَّ من المريض بالجدَّام ، ويقاس عليه كل مرض مُعْر.

٢ - تَعْزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَحْلٍ مُّنقَعِرٍ.

تقتلع الناس من الأرض اقتلاع النخلة من أصلها ، وترسى بهم على رؤوسهم فندقَ أعداقهم ، وتفصل رؤوسهم عن أعداقهم . لقد كانوا طوال الأجسام ، أشداء أقوياء ، فاستكبروا في الأرض بغير الحق ، وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا أَقُوهُ أَوَلَمْ , يَرَوْا أَنَّ اللَّهُ اللَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ أَوْقَ وَكَالُواْ وَإِلَيْهِا يَجْحَدُونَ . (وملت: ١٥) .

وقد استحقُّوا عقوية السماء ، فأرسل الله عليهم ريحًا عاتية اقتلعتهم من الأرض ، وكسَّرت رؤوسهم وأعناقهم ، وتركتهم أجساداً بلا رؤوس ، كالنخلة الساقطة على الأرض ، جذعا خاليا من الرأس أو الثمر .

وهى ذلك المعنى يقول القرآن الكريم : وَأَمَّا عَادُّ فَلَهْلِكُواْ بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ هِ سَخْرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالِر وَفَسَنِيَةَ أَيَامَ حُسُومًا قَدَرَى ٱلْقُوْمَ فِيهَا صَرْحَىٰ كُلَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلِ خَارِيَةٍ ه فَهَلْ تَزَعَلْ لَهُم مِّنَ بَالِيَّةٍ . (المانة: ٦ – ٨) .

ومعنى : مُقَهّر . أى : كأنهم أصول نخل قد انقلعت من مفارسها وسقطت على الأرض ، وقد شبُهوا بالنفل لطولهم وضخامة أجسامهم .

قال ابن كثير:

وذلك أن الريح كانت تأتى أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبصار ، ثم تنكسه على أم رأسه ، فيسقط إلى الأرض ، فتثلغ رأسه فيبقى جثة بلا رأس .

٢١ - فَكَيْفَ كَانَ عَلَابِي وَنُلُر .

فانظروا كيفية بطشى وعقابى وإنذارى .

٢٢ - وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ .

سهلناه للتذكر والاتعاظ ، أو يسرناه للتلاوة والقراءة والتجويد والحفظ ، وأعنًا عليه من أراد حفظه ، فهل من طالب لحفظه ليُّمان عليه ؟

٣ - قصة ثمود قوم صالح

﴿ كَذَبَتْ تَمُودُ وَالنَّذُرِ ۞ فَقَالُواْ أَشَرَا مِنَا وَحِدَا نَيْعَهُ وِإِنَّا إِذَا لَغِي صَلَا وَسُعُ ۞ أَوْلِقَى اللَّهِ مُوكِنَا اللَّهُ مُؤْكِنَا اللَّهُ مُؤْكِنَا اللَّهُ مُؤَكِنَا اللَّهُ مَؤْكِنَا اللَّهُ مُؤَكِنَا اللَّهُ مُؤَكِنَا اللَّهُ مُؤَكِنَا اللَّهُ مُؤَلِّنَا اللَّهُ مُؤَكِنَا اللَّهُ مُؤَكِنَا اللَّهُ مُؤَلِّنَا اللَّهُ مُؤْكِنَا اللَّهُ مُؤَلِّنَا اللَّهُ مُؤَلِّنَا اللَّهُ مُؤَلِّنَا اللَّهُ مُؤْكِنَا اللَّهُ مُؤْكُونَا اللَّهُ مُؤْكِنَا اللْمُؤْكِنَا اللْمُؤْكِنَا اللَّهُ مُؤْكِنَا اللَّهُو

المفردات :

كثبت ثمود بالنشر ، بما سمعوه من نبيهم من الإنذارات والمواعظ.

واحسدا تستبيعه ، واحدًا من آجادهم لا من أشرافهم .

الشي ضلال وسَعَر ؛ في بُعد بيّن عن الحق . وَسُعُر : جمع سعير ، وهي النار المشتعلة أو الجنون .

مَّنَ السَّنَابِ الأشهر ، هو أم هم ، أي : مَنَ الذي حمله أَشَره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل؟ إشامرسلو الناقلة ، مخرجوها وباعثوها .

فت بنية ليهيم والختباراً وامتدانا لهم

<u>المرت قب هم</u>، فانتظرهم يا صالح ، وتبصّر ما يصنعون ، وما يؤول إليه أمرهم .

واستطاعت والمبين على أذاهم

كل شرب محتضر، كل نصيب من الماء يحضره صاحبه في نويته.

فشادوا صاحبهم ، هو عاقر الناقة ، واسمه : قُدار بن سالف.

هشماطي هم شرء فتناول السيف فعقر الناقة ، حيث ضرب قوائمها بالسيف ، فقتلها موافقة لهم

صيسحة واحدة ، هي صيحة جبريل بهم .

كهشيم المعتظر ، الهشيم : الشجر اليابس المتكس ، أو الحشيش اليابس ، الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء .

تمهيد،

هذه قصة ثمود ، آرسل الله إليهم رسوله صالحًا فكنبوه واتهموه بالكنب والبطر ، وأرسل إليهم الناقة أية ، تحلب يوما فيشريون لبناً في ذلك اليوم ، ثم يشريون ماء النهر في اليوم التالي ، وتشرب هي ماء النهر في اليوم الذي يليه ، بينما هم يشريون لبنها ، فلهم في كل يوم شرب ، إنًا ماء النهر وإمّا لبن الناقة ، فكفروا بالنمة وقتلوا الناقة ، فأرسل الله عليهم صبيحة أهلكتهم ، وأصبحوا عبرة وعظة لكل مكذب .

التفسيره

٣٣ - كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلثَّذُرِ.

كذبت ثمود بالمواعظ والذُّدر التي سمعها من صالح ، أو كذبوا رسالات السماء ونذرها ، لأنهم إذا كذبوا رسولهم فقد كذبوا برسالات السماء جميعها .

٤ ٢ - فَقَالُواْ أَيَشَرًا مِّنَّا وَ'حِدًا لُتَبِعُهُ ۚ إِنَّا إِذًا لَّفِي صَلَالٍ وَسُعُرٍ .

أنتبح فردًا واحدًا مثًا لا يتميز علينا بشيء؟ إذا فعلنا هذا ، وهو فرد واحد ، ونحن أمة مجتمعة ، نكون في بعد واضع عن الصواب ، وجنون بيُن لأن ذلك بعد عن المعواب ، وروى أن ممالحا كان يقول لهم : إذا لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق ، وعرُّضتم أنفسكم لعذاب النار ، فعكسوا عليه قوله ، وقالوا : إن اتبعناك كنا كما تقول في بُعد عن الحق وجنون دائم .

٧٥ – أَءُلْقِيَ ٱلذُّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ يَبْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشْهِرٌ .

كيف خُصَّ بالوجي من بيننا ، وفينا من هي أفضل منه وأحق منه بالنبوة ، بل هو متجاوز في حدً الكنب ، فيما يدَّعيه من نزول الوجي عليه ، ومتكبر بطر يريد الملوّ علينا .

٢٦ - سَيَعْلَمُونَ غَلَّا مَن ٱلْكَلَّابُ ٱلْأَهِـرُ .

سيطمون غدًا -- يوم القيامة -- من هو الكذَّاب المتعالى عن الحق ، صالح أم هم المكذبون المجرمون. قال الآلوسي :

المراد : سيعلمون أنهم هم الكذَّابون الأشرون ، لكنَّ اللَّه أورد ذلك مورد الإيهام للإشارة إلى أنه مما لايكاد يخفى . ٧٧ - إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِئْنَةٌ لُّهُمْ فَآرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ .

يفيد القرطبى وغيره من كتب التفسير أنهم طلبوا آية من صالح عليه السلام ، وفى بعض الروايات أنهم طلبوا آية بعينها ، وهى أن تخرج ناقة عشراء من صمغرة الجبل ، فقام صالح يصلّى ويدعر ، وما زال يصلّى ويدعو حتى انصدعت الصخرة التى عينوها عن سنامها ، فخرجت ناقة عشراء جعلها الله استحانا واختباراً، ليشاهدوا بأم أعينهم المعجزة الواضحة ، وطلب الله من صالح أن يراقبهم عن بعد ، وأن يصبر على أذاهم .

٢٨ - وَلَيْنُهُمْ أَنْ ٱلْمَاءَ قِسْمَةُ يَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ .

أخبرهم يا صالح أن ماء قريتهم من البشر، أو من النَّهير الذي يشريون منه ، قسمة بينهم وبين الناقة. كُلُّ هُرْب مُحْتَشِرٌ .

كل نصيب خاص بصناحيه يحضره دون غيره ، وما تشريه الناقة من الماء تُحيله إلى لبن خالص ، وتقف عند كل باب من أبواب المدينة ليطبوا من لبنها ، وطالت المدّة ، وملّوا اللبن والسعادة ، فنادوا صاحبهم قدار بن سالف عاقر الناقة .

٧٩ ، ٣٠ - فَتَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَفَرَ ؞ فَكَيْفَ كَانَ عَلَابِي وَنُلُّدٍ .

اجتمعوا وغرَّتهم النعمة التي ينعمون بها ، وهي شُرب اللبن خالصا بدون مشقّة ، ويطروا النعمة ، وكُلُّهوا شقيا مع رهط من الأشقياء ، فبيتوا أمرهم على ذبح هذه الناقة ، واختباً قدار بن سالف في شجرة في طريق الناقة ، فضرب رجلهها بالسيف ثم ذبحها .

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُلُرٍ .

وهذا استفهام للتهويل والتعجيب والتفخيم ، أي : كيف كان العذاب الشديد ، والإنذار الواقعي لهم ؟

٣١ - إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ.

لقد صاح بهم جبريل صيحة واحدة ، كانت صاعقة مهلكة لهم أجمعين ، حيث صاروا فتاتا متهشما أشبه شىء بالشجر اليابس ، أو القمح الناشف الذى تحوّل إلى تبن ، يقدّمه صاحب الحظيرة (الزريبة) إلى ماشيته .

ٱلْمُحْتَظِر .

قال ابن عباس:

هو الرجل الذي يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك ، فما سقط من ذلك وداسته الغنم فهو الهشيم .

والحظيرة (الزريبة) التي يقيمها العرب وأهل اللبوادي للسكني، ولعنم البرد والسباع عن الغنم والإبل، من الحظر وهو العنم .

وجاء في التفسير المنير:

والهشيم: الشجر اليابس المتهشم، أي: المتكسر،

والمحتفل: الذي يعمل الحظيرة ليحفظ الغنم من الذئاب.

ووجه النثيه أن ما يحتظر به ييبس بطول الزمان ، وتطرُّه البهائم فيتكسَّر ، وأنهم صاروا موتى جاثمين ، ملقى بعضهم فوق بعض ، كالحطب الذي يكسر في الطرق والشارع (١٠).

٣٧ - وَلَقَدْ يَسُوْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَّكِرِ .

لقد يسرنا القرآن للتذكر والاتعاظ والاعتبار بالأحداث والوقائع ، فهل من متعظ ومعتبر ؟

«وهذا العذاب الذي أصاب ثمود ، عُبر عنه في سورة هود بالصبحة ، قال تعالى :

وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَادِهِمْ جَائِمِينَ . (مود: ٦٧) .

وعبر عبله في سورة الأعراف بالرجفة ، قال تعالى :

فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَلْهِمِينَ . (الأعراف: ٧٨) .

وعبر عنه في سورة فصلت بالصاعقة ، قال تعالى :

وَأَمَّا لَمُودُ فَهَدَيْنَتُهُمْ قَاسْمَتُواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهَدَىٰ فَأَخْلَتُهُمْ صَنْعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَالُواْ يَكُسِبُونَ . وَأَمَّا لَمُودُ فَهَدَيْنَتُهُمْ قَاسْمَحُواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهَدَىٰ فَأَخْلَتُهُمْ صَنْعِقَةُ ٱلْعَدَابِ

وعبر عنه في سورة الحاقة بالطاغية ، قال تعالى:

فَأَمَّا لَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ . (الصاقة : ٥) .

ولا تعارض بين هذه التعبيرات ، لأنها متقارية في معناها ، ويكمّل بعضها بعضا ، وهي تدل على شدة ما أصابهم من عذاب "^(۱). وعند التأمل نجد أن القرآن الكريم سمّى عذابهم بالصيحة والرجفة والصاعقة والطاغية ، وكلها أمور تلازم حادثة الهلاك العدمر التي نزلت بهم ، عندما يصيح الملاك بهم صيحة شديدة ترتجف الأرض بهم ، ثم تأخذهم صاعقة مهلكة ، وقد تكون الصيحة صاعقة ، أن تكون الصاعقة أثرا من آثار الصيحة ، ونسمى طاغية لأنها تعبّر عن التدمير المهلك ، الذي طفى على الهدره والنعمة والرخاه الذي كانوا يتمتعون به .

إن مناك ناموسًا إليهيا أوجده الله ، نراه في هدوء الكون وامتثاله ، ومع هذا فإن هناك ناموس الانتقام العادل من الطفاة البشاة ، يصيحة صاعقة راجفة طاغية ، وكلها تعبّر عن الهلاك المُدمّر الذي أصاب هولاء الباغين .

ة - قصة قوم لوط

﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ لُولِ إِلنَّذُرِ ﴿ إِنَّا أَوْسَلَنَا مَلَيْمٌ حَامِبًا إِلَّا اَلَ لُولِّ بَغَيْنَهُم بِسَحَرِ ﴿ يَعْمَةُ مِنَ عِندِنَا كَذَلِكَ بَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿ وَلَقَدَ أَنَدُرُهُم بَطْسَنَنَا مَنْ اَرُولُ إِنَّالَٰ فَرَقَا الْفَرْ رَوَدُوهُ عَن صَيْفِهِ مِفْلَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوفُواْ عَلَا وَنُلُو ﴿ وَلَقَدْ صَبَحَهُم بَكُرَةً عَذَاتُ مُسْتَعِرُ ﴾ وَلَهُ وَقُواُ مَذَابِ وَنُدُرِ ۞ وَلَقَدْ يَسَرَا اللَّهُ وَاللَّهِ فِي اللَّهِ فَعَلَى اللَّهُ

المفردات :

ح<u>امب</u>، ريحا ترميهم بالحصباء وهى الحصمى ، قال فى الصحاح : الحامب : الريح الشديدة التى تثير الحصباء .

شجيئاهم بسحر و السدس الأخير من الليل وحيث يختلط سواد الليل ببياض النهار .

انترهم بطشتناء أخذتنا الشيدة بالعذاب.

<u>ه تسماروا بالششر</u> ، شكُّوا في الإنذارات ولم يصدَّقوها .

راودوه عن شيفه : طلبوا منه تمكينهم منهم ليفجروا بهم .

فطمستا أعيشهم، حجبناها عن الإبصار، فلم تر شيئاً.

ب كرة ، أوَّل النهار .

مستقرر دائب بهم إلى أن يهلكوا .

تمهيده

هذه قصة رابعة ، سبقتها قصص قوم نوح ثم عادثم ثمود ، وهنا قصة قوم لوط ، وقد كانوا يرتكبون فاحشة اللواط بالذكور ، وهي المثلية الجنسية ، حيث يستغنى الرجال بالرجال ، والنساء يساحقن النساء ، وهو شذوذ مذموم ، وخروج على القطرة الإلهية ، فقد خلق الله الذكر والأنثى ليكونا سكنا ، وليكوّنا أسرة وذرية ، ولتعمر الحياة بهما .

وقد أنذر لوط قومه بالعذاب ، فكذبوه وتشككوا في صدقه ، فأنزل الله بهم العذاب ، وأمطرتهم السماء بحجارة مهلكة ، حتى أهلك المكذبين عن آخرهم .

التفسيره

٣٣ - كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطِ إِلَّالنَّالُو .

أى: هذا حال قوم أخرين ، وهم قوم لوط الذين كذبوا رسولهم وخالفوه ، وكذبوا بالآيات التي أنذرهم الله بها ، واقترفوا الفاحشة .

٣٤ - إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا عَالَ لُوطٍ تُجَّيْنَنْهُم بِسَحَوٍ.

أرسلنا على قوم لوط حجارة ترميهم بالحصباء ، وهى الحصى والحجارة ، فأهلكتهم ودخُرتهم ، إلا آل لوط وهم ابنتاه ، أو ابنتاه ومن آمن معه ، نجيناهم فى الهزيع الأخير من الليل ، حيث يختلط سواد الليل ببياض النهار .

٣٥ - لَّعْمَةٌ مِّنْ عِندِينَا كَلَالِكَ نَجْزِى مَن شَكَّرَ .

كانت نجاتنا للوط ومن آمن معه نعمة وفضلا منا ، حيث حفظناهم من العذاب المهلك العدمّ ، ونحن دائماً نجزى الشاكرين بالحفظ والنجاة والفوز ، ونماقب الكافرين بالهلاك .

٣٦ - وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا لَعَمَازُوْاْ بِٱلنُّذُرِ .

ولقد خوفهم لوط من عقاب الله المدمر، فتشككوا في قوله ولم يصدقوه بل أعرضوا عنه وكذَّبوه.

٣٧ - وَلَقَدْ رَ'وَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَآ أَغْيُنَهُمْ فَلُولُواْ عَذَابِي وَلُدُرِ.

جاءت الملائكة إلى لوط في صورة شبان مرد حسان ، ويعثت امرأته العجوز الخائنة لأمانة زوجها إلى قومها تخبرهم بوجود شباب حسان عند لوط ، فأفيلوا مسرعين راغبين في الفجور واللواط بهؤلاء الشباب ، ولم يفتح لهم لوط الباب ، وعرض عليهم الزواج من ابنتيّه فرفضوا ، وقالوا : ليست لنا رغبة في النساب ، وهذا نزل النساب ، وهذا نزل النساب ، وهذا نزل يريدون كسر الباب ، وهذا نزل جبريان من السماء فمسح عيونهم فلم يروا شيئا ، فرجعوا على أدبارهم يتحسسون بالحيطان ، ويتوعدون لوطا بالانتقام منه في الصباح .

ثم حكى القرآن ما قيل لهم على ألسنة الملائكة : فَلُوقُوا عَلَابِي وَنُلُو .

أي : ذوقوا ألم عذاب الله ، وعاقبة تكذيب إنذاراته .

٣٨ - وَلَقَدْ صَبْحَهُم بُكْرَةً عَلَابٌ مُسْتَغِرٌّ .

ولقد أشاهم صباحاً عذاب لازم مهلك مدمر ، والعذاب المستقر : الثابت الذي لا محيد عنه ، أو الذي استقر عليهم إلى الاستئممال الكلي .

٣٩ - فَلُوقُواْ عَلَابِي وَلُلْرٍ .

أى : ذوقوا جزاء أفعالكم ، وارتكاب اللواط فى ناديكم ، وذوقوا ما لزم من إنذاركم السابق يعذاب عاجل فى الدنيا ، وإنذار بعذاب آجل فى الأخرة .

* ﴿ وَلَقَدْ يَسُّونَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذَّكْرِ لَهَلْ مِن مُّدِّكِرِ .

ولقد سهلنا القرآن للتذكّر والاعتبار والتأمّل ، كما يسرنا حفظه وتلاوته وترديده للراغبين فيه ، فهل من راغب في فضل القرآن وتلاوته ؟

وقد تكررت هذه الجملة وما سبقها عقب القصص الأربع للتأكيد والتنبيه ، والاتعاظ والرجر.

قال الزمخشري في تفسير الكشاف:

فإن قلت ما غائدة تكرير قوله تعالى : فَذُوقُواْ عَلَالِي وَنُذُرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذَّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَّكِرِ ؟

قلت: فائدة ذلك أن يجدُدوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأُولين ادكارًا واتّماظا، وأن يستأنفوا ننبُها واستيقاظًا، إذا سمعوا الحد على ذلك، والبعث عليه، وأن يقرع لهم العصاء مرّات، ويقعقع لهم الشرّ تارات، لئلا يغلبهم السهو، ولا تستولى عليهم الغقلة، وهذا حكم التكرير، كقوله تعالى: فَإِكَ وَالّاحِ رَبَّكُمَا تُكُلّبُانِهِ. (الرحمن ١٤٠٠). عند كل نعمة عدَّما في سورة الرحمن .

وكقوله تعالى: وَيُلْ يُؤْمَنِهُ لِلمُحَكَّلِينَ . (المرسلات: ١٩). عند كل آية أوردها في سورة المرسلات ، وكذلك تكرير الأثباء والقصص في أنفسها، لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب ، مصورة للأذهان، مذكورة غير منسية في كل أوان . ا هـ .

بيان جزاء المجرمين والمتقين

المفردات،

----ق----ت---در؛ لا يعجزه شيء.

خير من أولست كم من الكفار السابقين ، مثل قوم نوح ، وعاد وثمود ، وقوم لوط ، وآل فرعون .

واءة عد مكتوب بالنجاة من العذاب .

السمسيرية والحدها زبور

و ول ويرجعون . ينصرفون ويرجعون .

السياهية أدهين القيامة أعظم داهية وأفظع.

أمّ الله من عذاب الدنيا .

ان المسجر مست ، إن الكفار والمشركين .

الله المعادلة المعادلة المعادلة عند المعادلة الم

وسيح ون ايجرُون .

ذوقب وا مس سيقب و ذوقوا حرّ النار وألمها ، فإن مسَّها - أي إصابتها - سبب التألم بها .

خيا قيام مقدرًا محكماً.

إلا واحسسفة، كلمة واحدة، هي كن.

اشيامكم في الكفر.

فيها من من منتكر ، متعظ ، والاستفهام بمعنى الأمر ، أي : اذكروا واتعظوا . ·

المنطقة . المنطة .

مسيست مسطور مكتوب في اللوح المحفوظ ،

مسميس بياليك؛ صيغة مبالغة ، أي : عزيز الملك واسم السلطان .

م<u>ة بين بين ،</u> قادر لا يعجزه شيء وهو الله تمالي ، والمندية ليست عندية مكان ، وإنما إشارة إلى الرتبة والقرب من فضل الله تعالى .

تمهيد ،

يختم هنا أربع قصص متتابعة هى خلاصة قصص نوح وهود وصالح ولوط مع أقوامهم ، بقصة فرعون وهلاكه بالغرق ، ثم يخاطب الله أهل مكة مويخًا لهم ، مبينا أنهم معرّضون لمثل هذا الهلاك ، وسيهزمون يوم بدر ويولون الأدبار ، ثم يلقون عذابا أشدٌ فى الآخرة ، ثم يعرض مظاهر العذاب للمجرمين والمشركين ، ومظاهر النعيم للمتقين .

وتختم السورة هذا الختام القوى الآسر ، ولذلك كان النبى ﷺ يقرأ بسورة «ق» وسورة «القمر» ، في المحافل الكبار كالجُمع والعيد ، لاشتمالهما على التوحيد ، ويدء الخلق وإعادته ، وإثبات النبوات ، وغير ذلك من المقاصد العظيمة .

وفى فضل سورتى القمر وقَ يروى الإمام أحمد ، ومسلم ، وأصحاب السنن الأربعة : أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بـ قَ . و ٱقْتَرَبُتِ ٱلسَّاعَةُ وُٱلشَّقُّ ٱلقَّمُرُ . في الأضحى والفطر . "".

التفسد :

1 ٤ - وَلَقَدْ جَاءَ عَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنَّلُورُ .

والله لقد أرسلنا موسى رسولا إلى فرعون وآله من القبط ، وأخبره موسى أنه رسول من الله ، وقدّم له طائفة من الأدلة على الألوهية الكاملة لله ، وأن القدرة الكاملة له وحده ، وأطلعه على الآيات المتعددة وجاءتهم الآية تلو الآية ، وتوالت عليهم الإنذارات فكنّبوا بها .

٢ ٤ - كَذَّبُواْ بِقَايَاتِنَا كُلُّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَادِرٍ .

لقد كذّبرا بمعجزات موسى عليه السلام ، وهى الآيات التسع البينات الواضحات ، وهى: العصاء واليد، والسنون، والطمسة، والطوفان، والجراد، والقمّل، والضفادع، والدم، وكان جزاؤهم على التكذيب والعناد أننا عاقبناهم عقابا أليما بالغرق، وأخذناهم أخذ عُزِيزٍ . لا يُغالب ولا يُدافع ، مُقْتَدرٍ . على الانتقام منهم ، فعّال لما يريد.

٣٤ - أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَلْكِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُوِ.

أى: تلك مصارح الكفار من أقوام نوح وهود وصالح ولوطء وغرق فرعون وقومه في الماء ، فما يعتمكم أيها الكفار والمشركون من مثل هذا المصير ؟ وهل معكم وثيقة وكتاب منزل ويراءة من العناب ، تمنحكم صكا مولّقا بأنكم لا تعذيرن ؟ والاستفهام إنكاري ، معناه التقرير والإثبات ، أي لستم أفضل من هؤلاء الكفار الهالكين ، وليست سعكم براءة من العذاب .

\$ \$ - أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ .

أى: بل أيقول هؤلاء الكفار : نحن أولو حزم وعزم ، وأمرنا مجتمع متحد ، لا يضام ولا يرام ، وسينتصر جمعنا على محمد وأصحابه .

رُوى أن أبا جهل ضرب فرسه يوم بدر فتقدم الصفّ، وقال: نحن ننتصر اليوم من محمد، أى نظيه وننتقم منه ، وهكذا سدّ القرآن عليهم كل منفذ ، ووضّع إفلاسهم ، فهم ليسرا أفضل ممن سبقهم من الكمّار الهائكين ، وليس معهم صك أو وثيقة أو براءة تثبت نجاتهم فى الدنيا من العذاب ، وسلامتهم فى الأخرة من الذّار ، ثم واجه غرورهم بقرّتهم وطمعهم فى النصر على جند الله وقدره ، ثم أجابهم بقوله تعالى :

٥٤ - سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُولُونَ ٱللَّهُرَ .

سيغلبون ويهزمون في بدر ، ويولون منهزمين أمام جيش المسلمين .

وهذه الآية مكيّة ، نزلت قبل معركة بدر بسبع سنين ، وهي من دلائل النبوة ، وقد تحققت يوم بدر ، حيث قُتل سبعون كافرا ، وأسر سبعون كافرا ، وفرّ الباقون .

أهرج البضارى ، والنسائى ، عن ابن عباس أن النبى الله قال وهو فى قبةٍ له يوم بدر : «أنشك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم فى الأرض أبدأه . فأخذ أبو بكر رضى الله عنه بيده ، وقال : حسيك بنا رسول الله ، ألححت على ربك ، فخرج وهو يثب فى الدّرع ، وهو يقول : «سيهزم الجمع ويولُون الدّبر، بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وآمري . ٣٥

قال ابن عباس:

كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين ، فالآية مكية .

وقال ابن الجوزي : وهذا مما أخبر الله به نبيَّه من علم الغيب ، فكانت الهزيمة يوم بدر .

٢٦ - بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَــرُ .

ليس هذا تمام عقابهم ، بل هذاك عقاب أشدُ وهن عقابهم يرم القيامة ، والقيامة أعظم داهية ، رأشد مرارة من القتل والأسر . و أَفْهَىٰ. مبالغة من الدَّاهية ، وهي الأمر الفظيع الذي لا يُهْتَدَى إلى الخلاص منه .

وَأُمَسُّ . مبالغة في شدة المرارة عند الذوق ، على سبيل الاستعارة ، لصعوبتها على النفس.

٧٤ - إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي صَلَالِ وَسُعُرِ .

إن المجرمين في حيرة وضلال ويُعُد عن الحق في الدنيا ، وفي نيران مسعرة في الآخرة ، أو المراد بالسُمُر الجنون

قال ابن عباس : هم في خسران وجنون . ا ه..

لقد انطمست بصائرهم في الدنيا ، فعميت عن الحق ، وآثرت الضلال على الرشد ، واشتد تعلقهم بالدنيا وترفها وملذاتها ، كأنما أصابهم مَسَن من الجنون فأصبحوا كالحيوانات المسعورة .

44 - يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُولُواْ مَسَّ سَقَرَ .

يوم يُجِزُون في النار على وجوههم نكاية لهم وإذلالا لتجبُرهم ، والوجه أكرم شيء في الإنسان ، فإذا رأى الإنسان أذى يتجه إلى وجهه حاول إبعاده عن وجهه بيديه ، لكنه يوم القيامة يُرغم على لقاء العذاب بوجهه ، كما قال سيمانه وتعالى :

أَهْمَن يَتْقِي بِوَجْهِهِ سُوَّةَ ٱلْعَلَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ... (الزمر: ٢٤) .

قال ابن كثير:

أي : كما كانوا في سُعُر وشك وتردد ، أورثهم ذلك النار ، ويقال لهم تقريعا وتوبيخا : ذُولُوا مُسُّ سُقُوّ ، إ هـ

أى: يقال لهم أ دوقوا مس جهنم التي كنتم تكذبون بها ، وقاسُوا آلامها وعذابها .

قال أبو السعود : وسقر علم لجهتم ، ولذلك لم يُصرف ، ا هـ.

أي : هو ممنوع من الصرف للعلمية والتأثيث .

٩ ٤ - إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَكُ بِقَدَرٍ .

كل شيء في هذا الكون أبدع الله صنعه، وأحكم تقديره على مقتضى الحكمة الهالغة، والنظام الشامل ويحسب السنن التي وضعها في الخليقة .

قال تعالى : وَخَلَقَ كُلُّ شَيَّءِ فَقَدَّرَهُ لَقُايِرًا . (الفرتنان : ٢) .

وقال عز شأنه : سَبِّح أسم رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى * ٱللِّي خَلَقَ فَسَرِّئ * وَٱلَّذِي قَلْرَ فَهَدَئ. (الأعلى : ١-٣).

وقد استدل أهل السنّة بهذه الآية الكريمة على إثبات قدر الله السابق لخلقه ، وهو علمه الأشياء قبل كرنها ، وكتابته ~ أي تسجيله – لها قبل حدوثها .

أخرج الإمام أحمد ، ومسلم ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «كل شىء يقدَر ، حتى العجز والكسل» ^^1

وفى الحديث الصحيح الذى أخرجه أحمد ومسلم أيضًا ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «استعن بالله ولا تعجز ، فإن أصابك أمر فقل : قدر الله وما شاء فعل ، ولا تقل : لو أنى فعلت كذا لكان كذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان: (١٠٠).

وأخرج أحمد ، والترمذى ، والحاكم ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال له: «يا غلام ، إنى أعلَمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، أحفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، وامام أن الأمة الو واعلم أن الأمة الو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء ، لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، واعلم أن الأمة الو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء د كتبه الله عليك ، جفت الأقلام وطويت الصحف» (٢٠٠٠).

إذا تأملنا في هذا الكون البديع المنظم أدركنا أن يد القدرة البالغة وراء التناسق والتكامل بين أجزاء الكون وما فيه .

فالسماء والنجوم والكواكب والمجرات ، والشمس والقمر والليل والنهار ، والأرض والبحار والأنهار ، والأرض والبحار والأنهار ، والجمار والمخاوفات على آية من الإبداع والتناسق والتكامل ، بحيث تصبح وهي مسامته : إن يد القدرة هي التي أبدعت كلُّ شيء ، وخلقت النجوم بقدر في مجراتها ومسيراتها، إلى حدّ أن المتزاض أي احتلال في أية نسبة من نسبها يودي بهذه الحياة كلها ، أو لا يسمح أصلاً بقيامها ، فحجم الأرض وكتلتها وبعدها عن الشمس ، وكتلة هذه الشمس ، ودبحة حرارتها ، وميل الأرض على محورها بهذا القدر ، وسرعتها في دوراتها حول نفسها وحول الشمس ، وبُعْد القمر عن الأرض ، وحجمه وكتلته ، وتوزيع الماء واليابس في هذه الأرض سال إلى آلاف من هذه النسب المقدرة تقديرا ، لو وقع الاختلال في أيّ منها لتبدّل كلّ شيء، ولكانت هي النهاية المقدّرة لعمر الحياة على هذه الأرض ، و وقع الاختلال في أيّ منها

قال تعالى : إِنَّ اللَّهُ يُمْسِكُ السَّمَدُواتِ وَالْأَرْضَ أَن تَوُولاً وَلَين زَافَتَا إِنْ أَمْسَكُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ يَعْدِهِ إِنْمُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا . (هاط: ٤١) .

سبحان من بيده ملكوت السماوات والأرض ، وسبحان من بيده الخلق والأمر ، وهو على كل شيء قدير.

قال تعالى : وَجَعَلْنَا ٱلْبَلِ وَٱلْقِهَارَ ءَايَتِيْنِ فَصَحَوْنَا عَايَةَ ٱلْبِلِ وَجَعَلْنَا عَايَةَ ٱلْقِهارِ مُبْصِرَةً لَتَبْتَعُوا فَضَالًا مِّن رُبِّكُمْ وَ لَتَعْلَمُوا عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلِّ هَـٰنِهِ فَصِّلْتُنَهُ تَفْصِيلًا . (الإسراء: ١٧) .

وستجد في أعقاب تفسير سورة (القمر) إن شاء الله ضميمة في بيان النظام البديع في هذا الكون. قال تعالى: ذَالِكَ عَلِهُ ٱلْفَيْهِ وَاللَّهَهَدَةِ ٱلْعَزِيرُ ٱلرَّحِيمُ و ٱلَّذِيّ أَحْسَنَ كُلُّ شَيْءٍ حَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلَقَ ٱلْإِسْسُنِ مِن طِينٍ. (السجد: ٢٠ ٧)

٥ - وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كُلَمْح بِٱلْبَصَرِ.

إنه سبحانه فعَّال لما يريد ، وإذا أراد تحقيق أمنٍ أمريه مرة وإحدة ، لا تكرير فيها ، ولا تأخير لتحقيق ما يريد ، بل يتحقق كل مراده في سرعة مطلقة كلمم البصر، ولله در القائل :

ولمح البصر : إغماض البصر ثم فتحه ، وهذا تمثيل وتقريب لسرعة نفاذ المشيئة في إيجاد الأشهاء، فهو كلمح البصر أو أقرب ، كما قال تعالى : إِنَّمَا أَفْرُهُمْ إِذَا أَزَادَ شَيَّا أَنْ يُقُولُ لَهُ, كُن فَيْكُونُ . (يس: ٨٦) .

قالكون في قيضته سبحانه ، وُحِدَةً . تنشئ هذا الوجود الهائل ، و وُاحِدَةً . تبدّل فيه وتغير ، و وُحِدَةً تذهب به كما يشاء الله ، وكل ذلك يبعث في نفوس المؤمنين الأمل والرجاء ، والثقة بوعد الله ونصره للمتقين ، فمن وجد الله وجد كلّ شيء ، ومن فقد الله فقد كل شيء .

١ ٥ - وَلَقَدْ أَهْلَكُنَّا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ .

تالله لقد أملكنا أمثالكم في الكفر ، كماد وثمود ، وفرعون وملثه ، وقوم لوط ، فهل من متعظ يتذكّر أن وعد الله حقَّ، فيسارع إلى الثوية والإيمان قبل فوات الأوان .

٥٢ ، ٣٥ – وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ، وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَلَّ .

كل صغيرة وكبيرة ، كل ننب أو معصية ارتكبها المجرمون سُجِلت في الكتب التي بأيدى الملائكة عليهم السلام ، وكل صغير من الأمور أو كبير منها ، قد سُطر تسطيراً وسُجِل تسجِيلا ، ودُوَن في صحائف الأعمال .

قال سبحانه وتعالى : وَيَقُولُونَ يَلْوَيُلُنَنَا عَالَ ِهَلْنَا ٱلْكِتَلْبِ لَا يُقَادِرُ صَغِيرَةُ وَلاَ كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَلَهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ خَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ زَلِكَ أَحَمًا . (الكهف: ٤٩). وقال سبحانه وتعالى: مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلِر إِلَّا لَذَيْهِ رَفِيبٌ عَتِيدٌ . (قَ: ١٨) .

وقيل:

لا تحقرن من الذنوب صغيرا إن الصغير غداً يعود كبيرا إن الصغير وإن تقادم عهدة عند الإله مسطّر تسطيراً فاسأ. هدايتك الآلة فتتقد فكفي يربّك هاديا ونصيرا

وهَى معنى الآيتين الكريمتين قوله تعالى : وَمَا يَعُرُّبُ عَن رُبُّكَ مِن مُثَقَالِ ذَرُوْ فِي الْأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْهَرَ مِن ذَالِكَ وَلاَ أَكُبُرُ إِلَّا فِي كِيَسْبِ شِين . (يونس : ١١) .

\$ ٥،٥٥ – إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ لِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿ فِي مَفْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ .

فى ختام سورة (القعر) التى حفلت بحديث متواصل عن هلاك المكنبين ، يأتى فى نهايته حديث هادئ ، فيه تكريم المتقين تكريما حسيا ومعنويا ، أما التكريم الحسَّى فهو التمتع بالجنات وما فيها من أشجار وشمار ، وحور عين ، وأنهار واسعة متعددة الأشكال والآلوان .

قال تعالى : مُثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلْتِي وُجِدَ ٱلْمُنْتُونَ لِيهَا ٱلْهَنْرُ مَن مَّآءٍ خَيْرِ وَاسِنِ وَٱلْهَنْرٌ مَن أَنْنِ لَمْ يَتَخَيَّرُ طَعْمُهُ. وَٱلْهَنْرُ مَنْ حَنْوٍ لَلْهَ إِللَّهِ لِللَّذِينِ وَٱلْهَنِرَ مَنْ عَسَلٍ مُُصَنَّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلْفَكَرَت وَمُغْفِرَةً مَن رَّاجِمَ ... (محد: ١٠) .

أما التكريم المعنوى: فهم فى مقعد كريم ، ومجلس فاضل رائق ، لا يتكلم فيه إلا بالصدق والفضل والخير ، مع البعد عن الإثم والكذب ، والزور والخطيئة ، وهذا المقعد الذي يحظى به الصادقون ، عبد مُلِيكٍ مُقْتَدِر . عند رب عظيم الملك ، واسع القدرة ، يكرم عباده المتقين الذين جاهدوا فى الدنيا ، وحرصوا على مرضاة الله فى دنياهم ، فالله تعالى يقربهم منه ، ويكرمهم عنده ، وهى عِنْدينَّة منزلة وقربى وزلفى ، ومكانة رفيعة .

أخرج أحمد، ومسلم، والنسائي، عن عبد الله بن عمرو يبلغ به النبي ﷺ قال: «المقسطون عند الله على منابر من نور ، عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُول، ٢٠٠٪

في أعقاب تفسير سورة القمر

ضميمة عن الإبداع والنظام في الكون ، وعن التوازن في علاقة بعض الأحياء ببعض ، بمناسبة تفسير قوله تعالى : إِنَّا كُلُّ شُيِّ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ . (القمر: ٤٩) . من كتاب (في ظلال القرآن) للأستاذ سيد قطب رحمه الله وطيب ثراه .

وإن الجوارح التى تتغذى بصغار الطيور قليلة العدد ، لأنها قليلة البيض ، قليلة التغريخ ، فضلا على أنها لا تعيش إلا فى مواطن خاصة محدودة ، وهى فى مقابل هذا طويلة الأعمار ، ولو كانت مع عمرها الطويل ، كثيرة الفراخ مستطيعة الحياة فى كل موطن ، لقضت على صغار الطيور وأفنتها على كثرتها وكثرة تفريخها ، أو قللت من أعدادها الكبيرة اللازمة بدورها لطعام هذه الجوارح وسواها من بنى الإنسان ، وللقيام بأدوارها الأخرى ، ووظائفها الكثيرة فى هذه الأرض .

بغاث الطير أكثرها فراخا وأم الصقر مسقلات أسزور

وذلك للحكمة التى قدرها الله كما رأينا ، كى تتعادل عوامل البقاء وعوامل الفناء بين الجوارح والبغاث .

والذبابة تبيض ملايين البويضات ، ولكنها لا تعيش إلا أسبرعين ، ولو كانت تعيش بضعة أعوام ، تبيض فيها بهذه النسبة لفطى الذباب وجه الأرض بنتاجه ، ولفدت حياة كثير من الأجناس – وأولها الإنسان – مستحيلة على وجه الأرض . ولكن عجلة الثوازن التى لا تختل فى يد القدرة التى تدبر هذا الكون، وأزنت بين كثرة النسل وقصر العمر فكان هذا الذى نراه .

والميكروبات – وهي أكثر الأحياء عددا، وأسرعها تكاثراً ، وأشدها فتكا – هي كذلك أضعف الأحياء مقاومة وأقصرها عمرا، تموت بملايين الملايين من البرد ومن الحر، ومن الضوء ، ومن أحماض المعدات، ومن أمصال الدم ، ومن عوامل أخرى كثيرة ، ولا تتغلب إلا على عدد محدود من الحيوان والإنسان ، ولو كانت قوية المقاومة أو طويلة العمر لدمرت الحياة والأحياء ؛.

وكل حيى من الأحياء مزود بسلاح يتقى به هجمات أعدائه ويغالب به خطر الفناء ، وتختلف هذه الأسلمة وتتنوع ، فكثرة العدد سلاح ، وقوة البطش سلاح ، ويينهما ألوان وأنواع ..

الحيات الصغيرة مزودة بالسم أن بالسرعة للهرب من أعدائها ، والثعابين الكبيرة مزودة بقوة العضل ، ومن ثم يندر فيها السام ! والخنفساء – وهى قليلة الحيلة – مزودة بمادة كاوية ذات رائحة كريهة ، تصبها على كل من يلمسها ، وقاية من الأعداء!

والظباء مزودة بسرعة الجرى والقفز، والأسود مزودة بقوة البأس والافتراس!

وهكذا كل حي من الأحياء الصغار والكبار على السواء.

وكل حى مزود كذلك بالخصائص والوسائل التى يحصل بها على طعامه ، والتى ينتفع معها بهذا اللون من الطعام .. الإنسان والحيوان والطير وأننأ أنواع الأحياء سواء .

البويضة بعد تلقيمها بالحيوان المنزى تلصق بالرحم ، وهى مزودة بخاصية أكالة ، تعزق جدار الريضة بعدار المنافقة بدار المنافقة بالرحم حولها وتحوله إلى بركة من الدم المناسب لامتصاصها ونموها ؛ والحبل السرى الذى يربط الجنين بأمه ليتغذى منها حتى يتم وضعه ، روعى فى تكويته الغرض الذى تكون من أجله ، دون إطالة قد تسبب تضمر الغذاء فيه ، أو قصر قد يؤدى إلى لندفاع الغذاء إليه بما قد يؤذيه». "" .

«والثدى يفرز فى نهاية الحمل ويده الوضع سائلا أبيض مائلا إلى الاصغرار، ومن عجيب صنع الله أن هذا السائل عبارة عن مواد كيماوية ذائبة تقى الطفل من عدوى الأمراض، وفى اليوم التالى للميلاد يبدأ اللبن فى التكوين، ومن تدبير المدبر الأعظم أن يزداد مقدار اللبن الذى يفرزه الثدى يوما بعد يوم، حتى يصل إلى حوالى لتر ونصف فى اليوم بعد سنة ، بينما لا تزيد كميته فى الأيام الأولى على بضم أوقيات. ولا يقف الإعجاز عند كمهة اللبن التى تزيد على حسب زيادة الطفل، بل إن تركيب اللبن كذلك تتغير مكوناته، وتتركز مواده، فهو يكاد يكرن ماه به القليل من النشويات والسكريات فى أول الأمر، ثم تتركز مكوناته فن أول الأمر، ثم تتركز مكوناته فنترة بعد أخرى، بل يومًا بعد يوم، بما يوافق أنسجة وأجهزة الطفل المستمر النموي 40.

وتتبع الأجهزة المختلفة في تكوين الإنسان ، ووظائفها ، وطريقة عملها ، ودور كل منها في المحافظة على حياته وصحته .. يكشف عن العجب العجاب في دقة التقدير وكمال التدبير ، ويرينا يد الله وهي تدبر أمر كل فرد ، بل كل عضو، بل كل خلية من خلاياه ، وعين الله عليه تكلؤه وترعاه ، ولن نستطيع منا أن نفصل هذه العجائب فنكتفي بإشارة سريعة إلى التقدير الدقيق في جهاز واحد من هذه الأجهزة ، جهاز الغدد المحم متلك المعمامل الكيماوية الصغيرة التي تمد الجسم بالتركيبات الكيماوية الفريرية ، والتي يبلغ من قوتها أن جزءا من ألف بليون جزء منها تحدث آفارا خطيرة في جسم الإنسان ، وهي مرتبة بحيث إن إفراز كل غدة يكمل إفراز الغدة الأخرى ، وكل ما كان يعرف عن هذه الإفرازات أنها معقدة التركيب تعقيدًا مدهشا ، وأن أي اختلال في إفرازها يسبب تلفا عاما في الجسم ، يبلغ حد الخطورة إذا نام هذا الاختلال وقتا قصيراه .

أما الحيوان فتختلف أجهزته باختلاف أنواعه وبيئاته وملابسات حياته ,,

«زورت أقواه الآساد والثمور والذئاب والضباع ، وكل الحيوانات الكاسرة التي تعيش في الفلاة ، ولا غذاء لها إلا ما تفترسه من كائنات لابد من مهاجمتها والتغلب عليها ، بأنياب قاطعة ، وأسنان حادة ، وأضراس صلبة . ولما كانت في هجومها لابد أن تستعمل عضلاتها ، فلأرجلها عضلات قوية ، سلحت بأظافر ومخالب حادة ، وجوبت معتنها الأحماض والأنزيمات الهاضمة للحوم والعظام » . (١٠٠٠).

أما الحيوانات المجترة المستأنسة التي تعيش على المراعي ، فهي تختلف فيما زودت به ..

«وقد صممت أجهزتها الهاضمة بما يتناسب مع البيئة ، فأفواهها واسعة نسبيا ، وقد تجردت من الأنياب القوية والأضراس الصلبة ، ويدلا منها توجد الأسنان التى تتميز بأنها قاضمة قاطعة ، فهى تأكل الحشائش والنباتات بسرعة ، وتبتلعها كذلك دفعة واحدة ، حتى يمكنها أن تؤدى للإنسان ما خلقت لأجله من خدمات ، وقد أوجدت العناية المناقة لهذا المسنف أعجب أجهزة للهضم ، فالطعام الذى تأكله ينزل إلى الكرش ، وهو مخزن له ، فإذا ما انتهى عمل الحيوان اليومى وجلس للراحة ، يذهب الطعام إلى تجويف يسمى «أم اللغنسوة» ، ثم يرجع إلى الغم ، فيمضغ ثانية مضغا جيدا ، حيث يذهب إلى تجويف ثالث يسمى «أم التلافيف» ، ثم إلى رابع يسمى «الإنفحة» وكل هذه العملية الطويلة أعدت لحماية الحيوان ، إذ كثيرا ما يكون هدفا لهجوم حيوانات كاسرة في العراعي ، فوجب عليه أن يحصل على غذائه بسرعة ويختفي .

ويقول العلم إن عملية الاجترار ضرورية بل وحيوية ، إذ إن العشب من النباتات العسرة الهضم ، لما يحتويه من السليلوز الذي يفلف جميع الخلايا النباتية ، ولهضمه بحتاج الحيوان إلى وقت طريل جدا ، فلو لم يكن مجترا ، وبمعدته مخزن خاص ، لضاع وقت طويل في الرعى ، يكاد يكرن يوما بأكمله ، دون أن يحمل الحيوان على كفايته من الغذاء ، ولأجهد العضلات في عمليات التناول والمضنع ، إنما سرعة الأكل، ثم تخزينه وإعادته بعد أن يصيب شيئا من التضر ، ليبدأ المضغ والطحن والبلع ، تحقق كافة أغراض الحيوان من عمل وغذاء وحسن هضم . فسيحان المدير «٣٠».

«والطيور الجارحة كالبوم والحدأة ذات منقار مقوس حاد على شكل خطاف لتمزيق اللحوم.

بينما للإوز والبط مناقير عريضة منبسطة مفلطحة كالمغرفة ، تواثم البحث عن الغذاء في الطين والماء ، وعلى جانب المنقار زوائد صغيرة كالأسنان لتساعد على قطم الحشائش .

أما الدجاج والحمام وباقى الطور والتي تلتقط الحب من الأرض فمناقيرها قصيرة مدببة لتؤدى هذا الغرض ، بينما منقار البجعة مثلا طويل طولا ملحوظا ، ويمتد من أسقله كيس يشبه الجراب ليكرن كشبكة الصباد ، إذ إن السمك هو غذاه البجعة الأساسى . ومنقال الهدهد وأبر قردان طويل مديب، أعد بإنقان للبحث عن الحشرات والديدان ، التى غالبا ما تكون تحت سطح الأرض . ويقول العلم : إنه يمكن للإنسان أن يعرف غذاء أي طير من النظرة إلمابرة إلى منقاره .

أما باقى الجهاز الهضمى للطير فهو غريب عجيب ، فَلَمَّا لَمْ يعط أسنانا فقد خلقت له حوصلة وقانصة تهضم الطعام ، ويلتقط الطير مواد صلبة وحصى لتساعد القانصة على هضم الطعام» . ""،

ويطول بنا الاستعراض ، ونخرج على منهج هذه الطلال ، لو رحنا نتتبع الأنواع والأجناس الحية على هذا النحر ، فنسرع الخطى إلى «الإميبا» وهى ذات الخلية الواحدة ، لنرى يد الله معها ، وعينه عليها ، وهو يقدر لها أمرها تقديراً .

«والإمبيها كائن حى دقيق الحجم ، يعيش فى البرك والمستنقعات ، أو على الأحجار الراسبة فى القاع. ولا تُرى بالعين إطلاقا وهى تُرى بالمجاهر كتلة هلامية ، يتغير شكلها بتغير الغاروف والحاجات ، فعندما تتحرك تدفع بأجزاء من جسمها تكون به زوائد ، تستعملها كالأقدام ، للسير بها إلى المكان العرغوب ، ولذا تسمى هذه الزوائد بالأقدام الكاذبة ، وإذا وجدت غذاء لها أمسكت به بزائدة أن زائدتين ، وتفرز عليه عصارة هاضمة ، فتتغذى بالمفيد منه ، أما الباقى فتطرده من جسمها ! وهى تتنفس من كل جسمها بأخذ الأكاثن الذى لا يرى إطلاقا بالعين ، يعيش ويتحرك ، ويتغذى ويتنفس ، ويخرح فضلاته ! فإذا ما تم نموه انقسم إلى قسمين ، ليكون كل قسم حيوانا جديداً .

وعجائب الحياة في النبات لا تقل في إثارة العجب والدهنة عن عجائبها في الإنسان والحيوان والطير، والتقدير فيها لا يقل ظهورا ويروزا عنه في تلك الأحياء "" . وَحَلْقَ كُلُّ شَيْءٍ فَقَدْرَهُ, ثَقَابِيرًا . (الفرقان : ٢) .

على أن الأمر أعظم من هذا كله وأشمل فى التقدير والتدبير ، إن حركة هذا الكون كله بأحداثها ووقائعها وتياراتها مقدرة مدبرة ، صغيرها وكبيرها ، كل حركة فى التاريخ ككل انفعال فى نفس فرد ، ككل نفّس يخرج من صدر ! إن هذا النَّفُس مقدر فى وقته ، مقدر فى مكانه ، مقدر فى ظروفه كلها ، مرتبط بنظام الوجود وحركة الكون ، محسوب حسابه فى التناسق الكونى ، كالأحداث العظام الشمشام !

وهذا العود البرى النابت وحده هناك فى المسحراء .. إنه هو الآخر قائم هناك بقدر، وهو يؤدى وظيفة ترتبط بالرجود كله منذ كان ؛ وهذه النملة السارية ، وهذه الهباءة الطائرة ، وهذه الخلية السابحة فى الماء، كالأفلاك والأجرام الهائلة سواء ؛

تقدير في الزمان ، وتقدير في المكان ، وتقدير في المقدار ، وتقدير في الصورة ، وتناسق مطلق بين جميع الملابسات والأحوال . من ذا الذي يذكر مثلا أن زواج يعقوب من امرأة أخرى هي أم يوسف وينيامين أخيه ، لم يكن حادثا شخصيا فرديا .. إنما كان قدرًا مقدررًا ليحقد إخرة يوسف من غير أمه عليه ، فيأخذوه فيلقوه في الجب — ولا يقتلوه حرائلتقطه السيارة ، لتبيعه في مصر لينشأ في قصر العزيز ، لتراوده امرأة العزيز عن نفسه ، ليستعلى على الإغراء ، ليلقى في السجن .. لماذا؟ ليتلاقى في السجن مع خادمي الملك ، ليفسر لهما الرؤيا.. لماذا؟ إلى تلك اللحظة لا يوجد جواب ! ويقف ناس من الناس يسألون : لماذا؟ لماذا ياب يتعذب يوسف؟ لماذا يراب يتعذب يعقوب ؟ لماذا يفقد هذا الذي بصره من الحزن ؟ ولماذا يسام يوسف الطيب الزكى كل مذا الألم المنوع الأشكال ؟ لماذا؟ .. ولأول مرة تجيء أول إجابة بعد أكثر من ربح قرن في العذاب ، لأن القدر يعدّه ليتولي أمر مصر وشعبها والشعوب المجاورة في سنى القحط السبع ! ثم ماذا ؟ ثم ليستقدم أبويه وإخوته ليكرن من نسلهم شعب بني إسرائيل ، ليضطهدهم فرعون ، لينشأ من بهنهم موسى — وما صاحب حياته من تقدير وتدبير – لتنشأ من وراء ذلك كله قضايا وأحداث وتيارات يعيش العالم فيها اليوم بكليته!

ومن ذا الذي يذكر مثلاً أن زواج إبراهيم جد يعقوب من هاجر المصرية لم يكن حادثا شخصيا فرديا، إنما كان وما سبقه في حياة إبراهيم من أحداث أدت إلى مفادرته موطنه في العراق ومروره بمصر، المأخذ منها هاجر، لتلد له إسماعيل، ليسكن إسماعيل وأمه عند البيت المحرم، لينشأ مصد ﷺ من نسل إبراهيم − عليه السلام − في هذه الجزيرة، أصلح مكان على وجه الأرض لرسالة الإسلام .. ليكون من ذلك كله ذلك الحدث الأكبر في تاريخ البخرية العام!

إنه قدر الله وراء طرف الخيط البعيد .. لكل حادث ، ولكل نشأة ، ولكل مصير ، ووراء كل نقطة ، وكل خطوة ، وكل تبديل أو تغيير .

إنه قدر الله النافذ ، الشامل ، الدقيق ، العميق .

وأحيانا يرى البشر طرف الثميط القريب ولا يرون طرفه البعيد ، وأحيانا يتطاول الزمن بين المبدأ والمصبير في عمرهم القصير ، فتخفى عليهم حكمة التدبير ، فيستعجلون ويقترحون ، وقد يسخطون أو يتطاولون !

والله يعلمهم فى هذا القرآن أن كل شىء بقدر ليسلموا الأمر لصاحب الأمر ، وتطمئن قلويهم وتستريح ويسيروا مع قدر الله فى توافق وفى تناسق ، وفى أنس بصحبة القدر فى خطوة المطمئن الثابت الوفيق . (١١٥

خلاصة موضوعات سورة القمر

- ١ -- الإخبار بقرب مجيء القيامة .
- ٢ تكذيب المشركين للرسول ﷺ، وقولهم في معجزاته إنها سحر.
 - ٣ غفلتهم عما في القرآن من الزواجر.
- ٤ أمر الرسول ﷺ بالإعراض عنهم ، حتى يأتي قضاء الله فيهم .
- ه إنذارهم بأنهم سيحشرون أذلاء ناكسي الرؤوس ، مسرعين كأنهم جراد منتشر.
- ٢ طرف من قصص المكذبين قبل أهل مكة ، كقوم نوح ، وعاد ، وثمود ، وقوم لوط ، وفرعون وقومه ، وما
 لاقوم من الجزاء على تكذيبهم .
 - ٧ توبيخ المشركين على ما هم فيه من الغفلة عن الاعتبار بهذه النذر.
 - ٨ جزاء المجرمين في جهنم ، وألوان العذاب ، والحريق بالنار التي يتعرضون لها .
 - ٩ كل ما في الوجود خاضع للقدرة الإلهية الحكيمة ، وكل شيء قد قدّر ونظم بإحكام وتقدير حكيم .
 - ١٠ -- جزاء المتقين الجنة ، في قرب الإله الحكيم المقتدر.
- ١١ الدعاء مستجاب عند قراءة آخر سورة القمر، ثم يقول المؤمن: اللهم يا مليك يا مقتدر، أسألك خير
 الدنيا والأخرة.

* * *

انتهى بحمد الله تفسير سورة (القمر) ظهر الإثنين ٣ من شعبان ١٤٢١ هـ، الموافق ٣٠ من أكتوبر ٢٠٠٠ م .



أهسداف سيورة الرجميان

سورة الرحمن مدنية ، وآياتها ٧٨ آية ، نزلت بعد سورة الرعد

وتتميز سورة الرحمن بجرسها وقصر آياتها وتعاقب الآيات: ألَّرْ حَمْثُنُ وَعُلُمَ الْقُرْوَانَ وَ حُلَقَ الْإِنسَانَ و عُلَّمُهُ الْبَيْانَ . فنسمع هذا الرنين الأخاذ ، والإيقاع الصاعد الذاهب إلى بعيد ، والنعم المتعددة بتعليم القرآن ، وخلق الإنسان ، وتعليم البيان .. وكل هذه النعم مصدرها رحمة الرحيم الرحمن ، صاحب الفضل والإنعام ، فإذا استرسلنا في قراءة السورة رأينا حشدًا من مظاهر النعم ، وآلاء الله الباهرة الظاهرة في جميل صنعه ، وإيداع خلقه ، وفي فيض نعمائه ، وفي تدبيره للوجود وما فيه ، وتوجيه الخلائق كلها إلى وجهه الكريم .

وسورة الرحمن إشهاد عام للوجود كله على الثقلين: الإنس والجن ، إشهاد في ساحة الوجود ، على مشهد المرحود على مشهد من مشهد من كل موجود ، مع تحدِّ للجن والإنس إن كانا يملكان التكذيب بآلاء الله ، تحديًا يتكرر عقب بيان كل نعمة من نعمه التي يعددها ويقمِّلها ، ويجعل الكون كله معرضًا لها ، وساحة الآخرة كذلك .

فبأى آلاء ربكما تكذبان

تكررت هذه الآية في السورة إحدى وثلاثين مرة ، لتذكر الإنس والجن بنعم الله الجزيلة عليهم ، بأسلوب معجز يتحدى بلغاء العرب ، ولاشك أن هذه النعم الضافية التي أسبغها ريهم عليهم ، تستحق من العباد الشكر والإيمان ، لا الكفر والطفيان .

والآلاء جمع إلى وهى النعمة ، أى نعم الله عليكم وافرة ، ترونها أمامكم رخلفكم وفوقكم وتحتكم ، فبأى هذه النعم تكتبان ؟ والخطاب هنا للجن والإنس لتذكيرهما بالأفضال المتلاحقة من الله ، ولا يستطيمان أن يكذبا أو يجحداً أى نعمة من هذه النعم .

روى أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه فقراً عليهم سورة ألرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا ، فقال الذبي ﷺ: «لقد قرأتها على الجن فكانوا أحسن ردًّا منكم ، كنت كلما أتيت على قوله : فَإِلَىٌ ۖ وَالْآمِ رَبُّكُمَا كُلُبُّانْ . قالها : لا بشرع من نعمك ربنا نكثب فلك الحمد» . كما روى أن قيس بن عاصم المنقرى جاء إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا محمد، اثل على ُ شِيئًا مما أنزل عليك ، فتلا عليه سورة الرحمن ، فقال : أعدها ، فأعادها ﷺ ، فقال : والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وأسفله مخدق ، وأعلاه مثمر ، وما يقول هذا بشر ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .

المعنى الإجمالي للسورة

المنة على الخاق بتعليم القرآن وتلقين البيان ، ولفت أنظارهم إلى صحائف الرجود الناطقة بآلام. الله. الشمس والقمر ، والنجم والشجر ، والسماء المرفوعة ، والميزان الموضوع ، والأرض وما فيها من فاكهة ونخل وحب وريحان ، والجن والإنس ، والمشرقين والمغربين ، والبحرين بينهما برزخ لا يبغيان وما يخرج منهما وما يحرى فيهما .

فإذا تم عرض هذه الصحائف الكبار ، عرض مشهد فنائها جميعًا ، مشهد الفناء المعلق للخلائق ، في ظل الوجود المعلق لوجه الله الكريم الباقى ، الذي إليه تتوجه الخلائق جميعا ليتصرف في أمرها بما يشاء، قال تعالى : كُنُّ مَنْ غَلَيْهَا فَانِ هَ وَيُهَمَّى وَجُهُ رُبِّكَ ذُو آلْجَلُسُ وَٱلْإِكْرُام . (الرحمن : ٢٧ ، ٢٧) .

وفي ظل الفناء المطلق للإنسان ، والبقاء المطلق للرحمن ، يجىء التهديد المروح والتحدى الكونى للجن والإنس ، ومن ثم يعرض مشهد النهاية ، مشهد القيامة يعرض في صورة كرنية ، يرتسم فيها مشهد السماء حمراء سائلة ، ومشهد العذاب للمجرمين ، ثم يعرض ألوان الثواب للمتقين ، ويصف الجنة وما فيها من نعيم مقيم أعده الله للمتقين ، ويبين أن منازل الجنات مختلفة ، ونعيمها متفاوت ، والجزاء على قدر العمل .

کل یوم هو هی شأن

قال المفسرون: شئون يبديها لا شئون يبتديها (٥٠٠ فهو سبحانه صاحب التدبير الذي لا يشغله شأن عن شأن ، ولا يند عن علمه ظاهر ولا خَافر، والخلق كلهم يسألونه ، فهو مناط السؤال ، وغيره لا يسأل ، وهو معقد الرجاء ومظنة الجراب .

وهذا الوجود الذي لا نعرف له حدودًا كله منوط بقدره ، متعلق بمشيئته ، وهو سبحانه قائم بتدبيره.

هذا التدبير الذي يتبع ما ينبت ، وما يسقط من ورقة ، وما يكمن من حبة في ظلمات الأرض ، وكل رطب وكل يابس ، يتبع الأسماك في بحارها ، والديدان في مساريها ، والوحوش في أوكارها ، والطيور في أعشاشها ، وكل بيضة وكل فرخ ، وكل خلية في جسم هي .

تفسير النسفى للآية:

فى تفسير قوله تعالى : يَسْتَلُهُ مَن فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأَثْدٍ . (الرحمن : ٢٩) ، قال النسفى : يُسْتَلُهُ مَن فِي ٱلسَّمَاوُاتِ وَٱلْأَرْضِ ... كل من في السماوات والأرض مفتقرون إليه ، فيسأله أهل السماوات ما يتعلق بدينهم ، وأهل الأرض ما يتعلق بدينهم وبنياهم .

كُلَّ يَوْمُ هُوَ فِي ظُنُو: كلَّ وقت وحين يُحدث أمورًا ويُجدد أحوالاً ، كما روى أنه ﷺ تلاها ، فقيل له : وما ذلك الشأن؟ فقال: «من شأنه أن يغفر ذنبًا ويغرّج كربًا ، ويرفع قومًا ويضع آخرين».

وعن ابن عبينة ، الدهر عند الله يومان ، أحدهما اليوم الذي هر مدة الدنيا فشأته فيه الأمر والنهي، والإحيام والإماثة، والإعطاء والمنم ، واليوم الآخر هر يرم القيامة فشأته فيه الجزاء والحساب .

وقيل : نزلِتُ في اليهود حين قالوا : إن الله لا يقضى يوم السبت شأنًا .

وسأل بعض الملوك وزيره عن الآية ، فاستمهاه إلى الغد ، وذهب كثيبًا يفكر فيها ، فقال غلام له أسود: يا مولاى ، أخبرنى ما أصابك ، فأخبره ، فقال الغلام : أنا أفسرها للملك فأعلمه ، فقال : أيها الملك ، شأن الله أنه يولج اللهل من الميل ، ويخرج الميت من الأيل ان يوخرج الحيت من المهت ، ويخرج الميت من الحي ، ويخر في الميل ، ويخر ذليلاً ويذل عزيزًا ، ويغنى فقيرًا . فقال : يا مولاى ، هذا من شأن الله .

وقيل: سوق المقادير إلى المواقيت.

وقيل: إن عبد الله بن طاهر دعا الحسين بن الفضل وقال له: أشكلت على آيات دعوتك لتكشفها لى ، قوله تعالى: كُلُّ يُرْمِ هُوَ فِي شَأْنٍ . وقد صح أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة ، فقال الحسين : كل يوم هو في شأن ، فإنها شئون يبديها لا شئون يبتدبها ١٨٠ أي يظهرها لعباده في واقع الناس على وفق ما قدره في الأزل من إحياء وإماتة ، وإعزاز وإذلال ، وإغناء وإعدام ، وإجابة داع وإعطاء سائل ، وغير ذلك ٢٠٠٠

فالناس يسألونه سبحانه بصفة مستمرة ، وهو سبحانه مجيب الدعاء ، بيده الخلق والأمر ، يغير ولا يتغير ، يجبر ولا يجار عليه ، يقبض ويبسط ، يخفض ويرفم ، وهو بكل شيء عليم .

قُلِ ٱللَّهُمُ مَـٰئِكِ ٱلْمُلْكِ كُلِّى ٱلْمُلْكِ مَن تَحَاءُ وَصَرِعُ ٱلْمُلْكَ مِمْن تَطَاءُ وَقَوْرٌ مَن تَطَاءُ وَتَلِكُ أَلْخَيْرُ إِنْكَ عَلَىٰ كُلِّ عَنْ وَقَلِيرٌ . (ال عمران ٢٦٠) .

أنعم الله المتعددة



﴿ اَلرَّحْمَنُ ۞ عَلَمَ الْقُرْمَانَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ ۞ عَلَمَهُ الْبَيَانَ ۞ الشَّمْسُ
وَالْقَمْرُ عِصْسَبَانِ ۞ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۞ وَالسَّمَاةَ رَفَهَ هَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ
۞ الْاَتَظْمَوْ إِن الْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُ الْوَزْتَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَغْيِرُوا الْمِيزَانَ ۞ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْسَادِ ۞ فِهَا فَكِهَةً وَالنَّمْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَادِ ۞ وَالْمَتُ
وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْسَادِ ۞ فِهَا فَكِهَةً وَالنَّمْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَادِ ۞ وَالْمَتُ
ذُو الْمَصْدِ وَالرَّيْمَانُ ۞ فَإِلَى ءَالاَءِ رَبَكُهَا أَكُذَبَانِ ۞ ﴾

المقردات:

السرحسمسن، هو الله تعالى ، المنعم بجلائل النعم الدنيوية والأخروية ، وهو اسم من أسماء الله الحسني . عنم السقسران ، قدم ذلك ، لأن أصل النعم الدينية وأجلّها هو إنعامه بالقرآن ، وتنزيله وتعليمه ، فإنه أساس الدين .

علمة البيان، علمه النطق المعرب عما في الضمير.

بحسبان، بحساب وتدبير.

يســـجــــدان : يخضعان لتدبيره تعالى .

ووضع الميزان، ووضع العدل.

ألا تصطيفوا ، لئلا تتجاوزوا فيه الحق .

بالسقسط، بالعدل.

والأتُحْسروا الميزان؛ ولا تنقصوه.

والأرض وضعها ، خلقها موضوعة مخفوضة

السلائسام ، للخلق .

الأكسمام؛ أوعية الثمر.

المصيف، ورق النبات اليابس كالتبن.

السريسسان؛ المشموم ، أو الرزق .

الاه عجمع إلى ، وهي النعمة ، مثل: معى وأمعاء.

تمهيد،

تبدأ السورة باسم الله : ٱلرَّحْمُثُنُ ، تم تعدد نعم الله تعالى التي لا تعد ولا تحصى ، ومن هذه النعم ما يأتي :

١ - تعليم القرآن للبشر، وهو كلِّي الشريعة وأصل أصولها.

٢ - خلق الإنسان ليكون خليفة لله في الأرض.

٣ - تعليمه البيان والنُّطق، والإعراب عما في نفسه.

إيداع نظام الكون ، وتسخير النفس والقمر بحساب دقيق ، يترتب عليه نظام الحياة ، والزراعة وسائر
 الأعمال .

٥ - النجم المرتفع في السماء، والشجر النابت في الأرض يَسْجدان للَّه ويخضعان لأمره.

٦ وقد رفع الله السماء ، وأنزل الميزان ، وهو الحق والعدل .

٧ - أمرنا الله أن تحافظ على الحق والعدل.

٨ -- وضع الله الأرض مبسوطة لمصلحة الأنام ، حيث أرساها وثبَّتها بالجبال .

- جمل الله في الأرض العديد من النعم ، مثل الفاكهة وأشجار النخل التي تحمل البلح ، كما جعل من
 الثمار ما يرّكل ، مثل حبّ الذرة والشعير والقمح ، ومنه ما يشمّ مثل الريحان .

١٠- بأيّ نعمة من أنعم الله العديدة ، يا معشر الجن والإنسان تكذبان ؟

التفسيره

١ ، ٢ - ٱلرُّحْمَانُ ، عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ .

اسم الله آلرَّ حُمَّنُ ، معناه أَن الرحمة صفة وجودية قديمة ، قائمة بذاته سبحانه وتعالى ، فهو الرحمن ، ورحمته تنتقل إلى عياده فهو رحيم بهم ، وفي سورة الفاتحة : ٱلرَّحَمْنِ ٱلرَّسِمِم . (الفاتحة : ٣) . فما أكثر رحمته بعباده ، ومن آجلَ هذه النعم إنزال القرآن على محمدﷺ ، بواسطة جبريل الروح الأمين .

قال تعالى : عَلَّمَهُر شَلْبِيدُ ٱلْقُوَىٰ . (النجم : ٥) .

وقال سبحانه : نَوْلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ = عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنابِرِينَ . (الشعراء: ١٩٣، ١٩٣).

ومن أجلُ النعم إنزال هذا الكتاب على الرسول الأمين محمد ﷺ، وقد علَّمه الله إياه ، وتكفُّل بحفظه في قلبه ، وقراوته على لسانه .

قال تعالى : لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَالَكَ ثِسْمَلَ بِهِ وإنَّ عَلَيْتَا جَمْعَكُر وَفُرْ وَالدُّرِ وَ فَإِذَا قَرَأَتُكُ فَأَتَّبِحُ قُرْ وَالدُّر وَ فَإِذَا قَرَأَتُكُ فَأَتَّبِحُ قُرْ وَالدُّر وَ فَهُمْ إِنَّ عَلَيْتَا يُهَاتُهُر وَالقِهامَةِ: ١٧ - ١٩) .

وقد ادَّعت قريش أن النبي يتعلم القرآن من حداد رومي كان يجلس عنده ، فرد الله عليهم ، وببيَّن أن الله هو الذي علم محمدًا هذا الكتاب ، حيث قال سبحانه : آلرَّحْمُثُنُ وعُلَمُ ٱلْقُرْءُاكَ .

وقال عز شأنه : وَإِنَّكَ تَتَلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّذُنَّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ. (النمل: ٦).

وقال عن شأنه : وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . (النجم: ٣ ، ٤) .

غضىل القرآن

جعل الله الثواب العظيم في تلاوة القرآن وحفظه ، وتعليمه وتعلّمه ، وقد اشتما القرآن الكريم على التشريع والعبادات والمعاملات ، والآداب ، وأخبار السابقين ، وقصص المرسلين ، وأخبار القيامة ، وكل ما ينفع الناس في دينهم ودنياهم ، ولذلك كان أعظم المنن : عُلَّم ٱلْقُرْءُانَ .

و للمفسرين هنا رأيات:

الأول : أن الله علم القرآن للبشر وللناس حتى يهتدوا بهدى الله ، ومكّن الإنسان من استيعاب هذا الكتاب ، وتلاوته وحفظه وفهم معانيه .

قَالَ تَعَالَى : وَلَقَدْ يَسُّونًا ٱلْقُوْءَانَ لِللَّكْوِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ . (القمر: ١٧) .

أي سهَّلنا تلاوة القرآن وقراءته وفهمه لمن رغب في ذلك ، فهل من متعظ راغب في هذا الخير؟ الطابي : أن الله علم القرآن لمحمد ﷺ في ثم تعلم منه الصحابة، وتناقل الناس تعليم القرآن عن الصحابة.

٣ ، ٤ - خَلَقُ ٱلْإِنسَانَ . عَلَّمَهُ ٱلْيَانَ .

علق الله آدم ، ومنحه القدرة على التعليم والتعلّم ، واستنباط المجهول من المعلوم ، ويهذه القوى الظاهرة والباطنة التى منحها الله للإنسان ، استطاع أن يبين عما فى نفسه ، وأن يفهم كلام غيره ، وأن يستفيد من تجارب غيره ، وبذلك وصل الإنسان إلى القمر ، بينما لا تزال القرود على الشجر .

وقيل: المراد بتعليمه البيان تعليمه التكلم بلغات مختلفة.

٥ - ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ .

تتابُّم سير الشمس في منازلها ، وسير القمر في منازله ، يترتب عليه مجيء الليل والنهار ، وتتابع الفصول الأربعة ، وحساب أوقات الزراعة ، وطلوع الأملّة ، ومعرفة الشهور ، وأوقات المميام والحج ، وقضاء الذّين ، وانقضاء العرة ، وغير ذلك من المصالح المتعددة .

قال تحالى : وَجَمَلُنَا ٱلَّذِلَ وَٱللَّهَارَ مَانِئِينَ فَمَحَوْنَا عَايَة ٱللَّهِلِ وَجَمَلُنَا عَايَة ٱللّهَارِ مُبْصِرَةٌ لَتَبْتُعُواْ فَصْلاً مَن رُابَّكُمْ وَلِمُطْلِمُواْ عَدَدُ ٱلسِّينِ رَالْحِينَابَ وَكُلُّ شَيْعٍ فَصَلْنَنْكُ تَفْصِيلاً . (الإسراء ١٧٠) .

وقال تعالى: فَالِنُ ٱلْوِصْاحِ وَجَعَلَ ٱلْإِنَّ سَكَنَا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَٰ لِكَ تَفْدِيرُ ٱلْعَزِيرِ ٱلْعَلِيمِ. (الانعام: ٩٦.). ٣ - وَٱلشَّجُورُ ٱلشَّيِعُ مُسَجِدُان .

النجم المرتفع في السماء يدور في مداره ، ويخضع لنظام القدرة الإلهية التي تمسك بزمام السماء ، والشجر خاضع عند والشمس والقمر ، والليل والنهار ، أي أن الشجر خاضع والسمو والتمار ، والنبل والنهار ، أي أن السماء العالية ونجرمها الزاهرة ، والأرض المنبسطة وأشجارها الخضراء ، يسجدان لله خاضعين لقدرته .

هال تعالى : أَلَمْ تَنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجَلُ لَهُ مَن فِي ٱلسَّمَلُواتِ وَمَن فِي ٱلْأَوْصِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْفَعُرُ وَٱلْجُومُ وَٱلْحِبَالُ وَٱلشَّجُرُ وَٱللُوْآلِ وَكَبِيرٌ مَنَ آلنَاسٍ وَكَبِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَلَابُ ... (العدِ : ١٨) .

وقيل: العراد بالنجم: النبات الذي لا ساق له ، والشجر: الذي له ساق ، ينقادان لقدرة الله ، فإنَّ ظهورهما بشكل معين لوقت معين ولأجل معين ، وجعلهما غذاء للإنسان ، ومتعة له شكلاً ولونًا ، ومقدارًا وطعمًا ورائحة ، انقبادً لقدرة الله تعالى .

٧ - وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ .

جعل الله السماء سقدًا مرفوعًا ، ورَيْنَها بالنجوم ، وجعل فيها الملائكة واللُّوح المحفوظ ، وفيها أبراجٌ وأفلاك ونجوم ، وملائكة ويجى ، وأنزل الميزان في الأرض ليقوم النَّاس بالعدل والقسط ، قال ﷺ : «بالعدل قامت السماوات والأرض» أي : بقيتا على أتقن نظام وأحسنه .

وفي الحديث القدسي: «يا عبادي، إني حرَّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا» (١٧٠).

ويقول سبحانه وتعالى: إِنَّ ٱللَّهُ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ... (النساء: ٤٠).

ويقول تعالى : إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيًّا وَلَكِنَّ ٱلنَّاسَ ٱلفُّسَهُمْ يَظْلِمُونَ . (يونس : 23) .

فائله تعالى عادل ، ويهذا العدل قامت السماوات والأرض ، وأنزل الله الميزان بمعنى أنَّه أمر بالعدل والقسط في شريعته وفي أحكامه ، وفي تعامل الناس بعضهم مع بعض .

قال تمالى : إِنَّ اللَّهُ يَأْمُرُكُمُ أَنْ تُؤَكِّراً ٱلْأَسْتَابِ إِلَىّٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَثُمُ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحَكُّمُوا بِٱلْقَدَالِ... (النساء: ٥٥)

٨ ، ٩ - أَلَّا تَطْعَوْا فِي ٱلْمِيزَانِ ، وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بَٱلْقِسْطِ وَلَا تُحْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ .

أى: أنزل الله الميزان إلى الأرض ، وقال ابن عباس : المراد بالميزان ما تعرف به مقادير الأشياء ، وهو الآلة المسماة بهذا الاسم ، أى أوجده فى الأرض ليضبط الناس معاملاتهم فى أغذهم وعطائهم .

أَلَّا تَطْغَوُّا فِي ٱلَّمِيزَانِ .

الطفيان: تجاوز الحد والنُّصفة، وهذه الآية كالتعليل لما سبقها.

أى: أنزل الميزان حتى لا يطفى إنسان على أخيه ، فيظلمه ولا ينصفه ، كما يجب الوزن بالعدل ، والبيع والشراء بالقسط، وعدم تجاوز الحدود ، وعدم تطفيف الكيل والميزان .

وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُحْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ .

أى: قُوموا وزنكم بالعدل ، ولا تنقصوه ولا تبخسوه شيئًا ، بل زِنُوا بالحق والقسط ، كما قال تعالى : رَزُنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ، (الشعراء : ١٨٢) . وقد تكرر الأمر بالعدل والترصية به والحث عليه لأهميته ، وللتنبيه على شدة عناية الله تمالى بإقامة العدل بين الناس في معاملاتهم وفي سائر شئونهم ، إذ بدونه لا يستقيم لهم حال ، ولا يستقر لهم قرار ، فقد أمر سبحانه بالتسوية والعدل ، ثم نهى عن الطفيان الذى هو مجاوزة الحدّ ، ثم نهى عن الخسران الذى هو النقص والبخس .

وقال أتنادة في الآية : اعدل ينا ابن آدم كما تحب أن يُعدل لك ، وأَوْفِر كما تحب أن يوفّي لك ، فإن في العدل صلاح الناس .

ويقول الحق سبحانه وتعالى : لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلْنَا بِٱلْبَيَّنَاتِ وَأَنْرَتْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَلْبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلهِسْطِ ... (الحديد: ٢٠).

١ - وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَلَامِ .

يسط الله الأرض ، وذلل طرقها ، وأرسى جبائها ، وسكّر بها الماء والبحار والأنهار والأشجار ، ليستقيد بها الأنام ، أي الناس جمهنًا ، أو المخلوقات من الإنس والجن ، والحيوان والأسماك ، والطيور وسائر المخلوقات ، وكل ما على وجه الأرض .

١١ - فِيهَا فَلَكِهَةٌ وَٱلنَّحْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ.

فى الأرض ما يتفكه الناس بأكله ، من صنوف الفواكه التى تؤكل على سبيل التفكّه والتلذد ، لا على سبيل القوت الدائم ، وفيها النخيل ذات الأوعية التى يكون فيها الثمر ، وأفرد النخيل بالذكر لكثرتها فى بلاد العرب ، وكثرة فوائدها ، لأنه ينتفع بثمارها وطبة ويابسة ، وينتفع بجميع أجزائها ، فيتخذ من خوصمها السّلال والزنابيل ، ومن ليفها الحبال ، ومن جريدها سقف البيوت ، ويؤكل جمّارها وبلحها ، ومن ثمّ ذكرها باسمها ، وذكر الفاكهة دون أشجارها .

١٢ -- وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ .

وضع الله الأرض للأنام ، ويسر بها إنبات الفاكهة والنخيل ، والحبوب المتعددة كالذرة والشعير والقمح ، الذي له أوراق تتحول إلى تبن تستفيد به الحيوانات ، وفي الأرض الريحان الذي نستفيد بِحُسن منظره ، وطيب ريحه ، وكذلك الورود وكل مشموم من النبات ذي الورق الذي تطيب رائحته .

قال المفسرون :

الريحان : كل مشعوم طهب الربح من النبات ، منعش للنفس ، كالورد والياسمين والريحان ، كل ذلك وغيره أعده الله لمنفعة الأنام ، فما أعظم نعم الله على خلقه .

١٣ - لَبِأَى عَالَاءِ رَبَّكُمَا تُكَلِّبَانِ .

أي: بأي نعمة من هذه النُّعم المذكورة سابقًا ، يا معشر الجن والإنس تكذبان ؟

لقد ذكر الله في بداية السورة عددًا من النعم ، منها ما يأتى : تعليم القرآن ، وخلق الإنسان ، وتعليمه المبيان ، وتنسيق الشمس والقمر يحسبان ، ورفع السماء ووضع الميزان ، ووضع الأرض للآنام ، وما فيها من هاكهة ونخل وحبِّ وريحان ، عند هذا المقطع يهتف بالجن والإنسان في مواجهة الكون وأهل الكون : فياً يُمَّ وَرَبُّكُ وَكُنُّهُان .

أخرج ابن جرير بسند صحيح ، عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ تراً سورة الرحمن على أصحابه فسكتوا ، فقال : هما لى أسمع الجنّ أحسن جوابًا لربها منكم ؟ ما أتيت على قوله تعالى : فَإِكَّ وَالَاّهِ * رُبِّكُمًا لُكُمُّالًا فِي اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَل وَيُرْكُمُ اللهُ عَلَى الل

قال المفسرون : يستحب أن نقول : لا يشىء من آلاتك رينا نكذَب طلك الحمد ، عند سماح هذه الآية : فَيَانَ ءَالِّذَ وَيَكُمُا كُكُلُهَان .

وقد تكررت: لَبْأِنَّ مَالَآءِ رُبُّكُما تُكَلَّبَاتِ . في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرّة بعد كل خصلة من النعم، وجعلها فاصلة بين كل تعمتين لتأكيد التذكير بالنَّمم ، ولتقريرهم بها ، وللتنبيه على أهميتها ، والنعم محصورة في دفع المكروه وتحصيل المقصود .

* * *

توضيح أحوال بعض الثعم

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِن صَالَصَلِ كَٱلْمَخَارِ ۞ وَخَلَقَ ٱلْحَانَ مِن مَّارِج مِّن خَارٍ ۞ فِياَيْ ءَالاَهِ رَيِّكُمَا تُكَدِّبَانِ ۞ رَبُّ ٱلْمَثْرِقِينِ وَرَبُّ ٱلْمَثْنِينِ ۞ فَيَأَي ءَالاَهِ رَيْكُمَا تُكُذِّبَانِ ۞ مَرَّ ٱلْبَحْرِينَ يَلْنَفِيانِ۞ يَنْهُمَا بَرْزَجُّ لاَ يَغِيانِ۞ فَيَأَيْءَ الْاَهِ رَيْكُما تُكَذِّبَانِ ۞ يَعْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُورَ ٱلْمَرْجَاتُ۞ فَيَأْتِي ءَالاَهِ رَيْكُما تُكَذِّبَانِ۞ وَلَهُ ٱلْمُورِ ٱلْمُشْتَاتُ فِالْبَعْرِ كَالْاَمْنِ اللَّهِ الْمَوْرِكُمَا تُكَذِيبُنِ۞﴾

نمفر دات :

السف خسار ، الخرَّف ، وهو ما أُحرق من الطين حتى تحجَّر.

وخلق الجال: أصل الجنُّ وهو إبليس.

المسميسارج: اللهب الخالص الذي لا دخان فيه.

رب المشرقين، مشرقى الشتاء والصيف للشمس، والمغربين: مغربى الشمس شتاء وصيفا، وقيل: المشرقان: مشرق الشمس والقمر، والمغربان: مغرب الشمس والقمر.

مرج اليحرين، أرسل البحرين العذب والملح.

يساست من يتجاوران وتتماس سطوعهما ، لا فصل بينهما في رأى العين .

بــــرزخ ، حاجن

لا يسيسفسيسان ، لا يبقى أحدهما على الآخر ، بالممازجة وإبطال خاصته .

السلسؤلسو، الدرّ المخلوق في الأصداف.

السمسرجسان، الخرز الأحمر.

السج وارى؛ السفن الكبار.

المختشات الممينوعات

. الأعسس الجبال ، ولحدها علم ، وهو الجبل العالى.

تمهيده

هذه الآيات استمر ار لتعداد نعم الله تعالى فيما يأتى:

١ - خلق الإنسان من طين تحوَّل إلى صلصال كالفخار.

٢ - خلق الجان من مارج من نار ، وقد أخبر الرسول ﷺ أن الملائكة خلقت من نور ، كما ورد في صحيح مسلم.

٣ -- لله تعالى مشرق الشمس والقمر ، ومغرب الشمس والقمر .

غ - خلط الله البحر المالح والنَّهِ العنب ، يلتقيان عند مجمع البحرين ، كما في دمياط ورشيد ، ولا يبغي
 أحدهما على الآخر ، ولا يفقده خاصته ، ومن أحدهما - وهو البحر المالح - نستخرج اللؤلؤ والمرجان.

٥ – للُّه سبحانه السفن السابحة في البحر كالجبال.

٦ - يجب على الإنس والجن شكر الرحمن على أنعمه.

انتفست

٤ ١ - خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِن صَلْصَالِ كَٱلْفَحَّادِ .

جلق الله الإنسان من (التراب) ، ثم اختلط التراب بالماء فصال (طينا) ، ثم تُرك مدة فتحول الطين إلى (صلمال) أي (حماً مسنون) أي طين يابس منتن ، ثم تحوّل إلى (طين لازب) أي لاصق باليد ، ثم تحوّل إلى (صلمال) أي طين يابس له صلمالة ، أي صوت إذا نقر ، (كالفخار) وهو ما أحرق من الطين حتى تحجّر ويسمى الخزف ، وكل هذه الآيات تعبر عن المراحل التي مرّ بها خلق الإنسان ، فقد عبر القرآن عن أن الله خلق آدم من تراب في بعض الآيات ، وفي آيات أخرى أنه خلقه من حماً مسنون ، وفي آيات أخرى أنه خلقه من حماً مسنون ، وفي آيات أخرى أنه خلقه من حماً مسنون ، وفي تتير إلى المراحل التي مر بها خلق الإنسان ، وكل آية تشير إلى طور من أطوار هذا الخلق ، وكلها تدل على تشير إلى المراحل التي مر بها خلق الإنسان ، وكل آية تشير إلى طور من أطوار هذا الخلق ، وكلها تدل على إعجاز القدرة التي خلقت أيم بالروح ، فصار بشرًا سويًا ، يجمع بين الجسم ومتطلباته ، والروح ومتطلباتها ، ومن سماحة الإسلام دعوته الخلق إلى إعمار الكون بالزراعة والتجارة والمسناعة ، وإثراء الحياة وفاءً لحق الجسم ، ثم دعوته إلى الإعمان وأداء الحيادات وإحسان المعاملات ، وأداء حق الروح .

وفى الحديث الصحيح : «إن لريك عليك حقا ، وإن لبدنك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا ، وإن لضيفك عليك حقا ، فأغط كل ذي حق حقّه (٣٠).

ه ٢ -- وَحَلَقَ ٱلْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ .

المارج: المشتعل المتحرك، كألسنة النار مع الرياح.

قال الجوهري في الصحاح: المارج: نارٌ لا دخان لها ، خُلق منها الجان .

ونقل القرطبي عن ابن عباس ومجاهد:

المارج: اللهب الذي يعلق الذال، يختلط بعضه ببعض: أحمر، وأصفر، وأخضر،

وقد أخرج الإمام أحمد ، ومسلم ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : «هُلقت الملائكة من نور ، وهُلق الجانُ من مارج من نار ، وهُلق آلم مما وُصف لكم» (**) .

والمقصود من الآيتين تذكير الإنس والجنّ بفضل الخلق ، وقدرة القدير الذي خلق من الطين بشرًا سويًّا، ومن النار خلق الجن بقدرته . وتذكير الإنسان بفضل الله عليه ، فقد خلقه الله بيده ، ونفع فيه من روحه ، وأسجد له الملائكة ، وفضّله على كثير من خلقه ، حيث أمر الله إبليس المخلوق من الذار بالسجود لأبينا آدم المخلوق من الطين ، فطينا أن ندرك عظمة للخالق ، وأن نشكره على نعمة الخلق ، وأن تُحذّر إبليس العدرٌ اللعين .

قال تعالى : إِنَّ ٱللَّيْطَانُ لَكُمْ عَدُو قَاتُصِدُوهُ عَدُوا إِنَّمَا يَدْعُوا حِوْيَةً, لِيكُونُوا مِنْ أَصْحَلْبِ ٱلسَّعِيرِ . (فاطر: ٦)

١٩ - فَبِأَى ءَالَاءِ رَبُّكُمَا لُكَدِّبَانِ .

بأى نعمة من نعم الله عليكما -يا معشر الثقلين ، الإنس والجنّ - تكذبان أو تنكران ما هو واقع ملموس؟

١٨ ، ١٧ - رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَفْرِيَيْنِ هِ فَبِأَى عَالَاتِهِ رَبُّكُمَا تُكَذَّبُانِ .

للشمس مشرق في الصيف ، ومشرق في الشتاء ، ولها مغرب في الصيف ، ومغرب في الشتاء .

وقيل: المشرقان: مشرق الشمس والقمر، والمغربان: مغرب الشمس والقمر.

والمعنى:

الذي أبدع الخلق رسوّاه ، وجعل للشمس مشارق متعددة تصل إلى ٣٦٠ مشرفًا ، و٣٦٠ مغربًا بعدد أيام السنة ، ويترتب على اختلاف مشارقها تعدد فصول العام ، واختلاف الطقس ، ووجود الشتاء والربيع ، والصيف والخريف .

قال تعالى : فَالاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَارِقِ وَٱلْمَغَارِبِ ... (المعارج: ٤٠).

أي: مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم إلى مطلع، ويروزها منه إلى الناس.

وقال عز شأنه : رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَعْرِبِ لَا إِلَنْهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلاً . (المزمل: ٩).

والمراد منه : جهة المشرق وجهة المغرب ، أى أنه سبحانه يملك المشرق والمغرب وما بينهما ، فهو سبحانه يملك سائر الجهات ، ويملك الكون كلًه ، وقد أَبْنَعَه بنظام بديع يحافظ على مصالح الناس وحياتهم .

فَيِأًى ءَالَّاءِ رَبَّكُمَا تُكَلَّبَانِ .

أى: أتكذبان بخلقه المشارق والمغارب وما بينهما من الكائنات، واختلاف القصول وما يترتب عليه من المنافع والمصالح ، أم تكذبان بقير ذلك ؟

اللهم لا بشيءٍ من آلاتك نكذَّب ، سبحانك فلك الحمد .

٢١ ، ٢٠ ، ٢١ - مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ هِ يَيْنَهُمَا بَرْزَجٌ لا يَثْفِيَانِ هِ فَبِأَى عَالاَمِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ .

مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ : أرسلهما .

والمعنى: أرسل الله تعالى البحرين — العلج والعذب — وجعلهما يلتقيان في أطرافهما ، كما يلتقى مام النيل بالبحر الأبيض المتوسط عند دمياط ورشيد ، وهذا الالتقاء والتمازج في الأطراف لم يجعل أحدهما يبغى على الأخر ، فيفقده خاصته ، لأنه تعالى جمل بينهما حاجزًا يمنع التمازج الكلُّى بينهما .

قال تعالى : وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلْبَحْرُيْنِ هَـٰلَمَا عَلْبٌ لُوَاتٌ وَهَـٰلُمَا مِلْحٌ أَجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْتَهُمَا بَرُزَحًا وَحِجْرًا مُعْجُورًا . (الغيقان: ٥٣).

قال المفسرون:

أما التقائهما فيكون عند مصابِّ الأنهار في البحار ، وأمَّا البرزخ الذي ببنهما فهو القدرة الإلههة التي منحت أن يبغى المذب على المذب فيحوله إلى عذب، التي عليه الماح فيحوله إلى عذب، فيقى كلاهما يؤدي وظيفته التي خُلق لها .

قال ابن كثير:

والمراد بالبحرين: الملح والحلو، فالملح هذه البحار، والحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس، وجعل الله بينهما برزهًا، وهو الحاجز من الأرض، لثلا يبغى هذا على هذا، فيفسد كل واحد منهما الآخر،

فَبَأَى ءَالَّآءِ رَبُّكُمَا تُكَلَّبَانِ .

بأى نعم الله تعالى المذكورة فى تيسير الماء العذب من الأنهار، وتيسير الماء الملح من البحار، و ولكل منهما منافح متعددة لكم ، بأيّها تكذبان يا معشر الجن والإنس ؟ ونقول نحن : لا بشىء من نعمك ريئاً نكنب ، فلك الحمد .

٧٧، ٧٧ - يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللَّوْلَةُ وَٱلْمَرْجَانُ * فَبَأَى ءَالْآءِ رَبَّكُمَا تُكَذِّبَانِ .

من الماء المالح يخرج اللؤلؤ والمرجان ، ومعنى يخرج منهما ، أي من الماء : اللؤلؤ والمرجان .

قال القرطبي:

إن العرب تجمع الجنسين ثم تخبر عن أهدهما ، كقوله تعالى : يَهْمَعْضُوَ ٱلْعِنُّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يُأْتِكُمْ رُسُلُّ مُنَكُّمُ ... (الأنماء: ٢٠٠) ، وانما الرُّسل من الانس دون الحن . الرحمن (١٤ - ٢٥)

وقال الزجاج:

قد ذكرهما الله ، فإذا أُخرج من أحدهما شيء فقد خرج منهما ، وهو كقوله تعالى : أَلَمْ تُرَوَّا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَنَعٌ سَمَكُرٌ تَو ظِبُقًا وَ وَجَعَلُ ٱلْقَمَرُ فِيهِنْ نُورًا وَجَعَلُ ٱلشَّمْسُ سِرَاجًا . (نرح : ١٦٠ ، ٥) . ولكن أجمل ذكر السبع، فكان باقي إحداهما فيهن .

والله تعالى يقول : وَمَا يَسْتُوى ٱلْبَحْرَانِ هَلْمَا عَلْبٌ فَرَاتُ سَالِعٌ شَرَائِهُ, وَهُلْمًا مِلْحُ أَجَاجٌ وَمِن كُلُّ تَأْكُلُونَ لَحَمُّا طَوْلًا وَمُشَخَّرِجُونَ حِلْثُهِ تَلْمُسُولَهَا وَنَزَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِيَتَكُواْ مِنْ فطلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . (فاطر: ١٦) .

. وجاء في تفسيرها في المنتخب من تفسير القرآن الكريم ما يأتي :

وما يستوى البحران في علمنا وتقديرنا ، وإن اشتركا في بعض منافعهما ، هذا ماؤه عذب يقطع العطن المدافقة عذب يقطع العطن المدافقة المد

وفي التعليق بالهامش نستخلص الآتي:

العلم والواقع أثبتا أن الحلى تستخرج من صدفيات الأنهار أيضًا ، فتوجد اللألئ في العياه العدبة في إنجلترا واسكتلندا وويلز ، وتشيكوسلوفاكيا واليابان .. إلغ ، بالإضافة إلى مصايد اللؤلؤ البحرية الشهيرة ، ويوجد الهاقوت في الرواسب النهرية في بورما العليا ، أما في سيام وفي سيلان فيوجد الهاقوت غالبًا في الرواسب النهرية ٤٠١ .

فَبَأَى ءَالَآءِ رَبَّكُمَا تُكَلَّبُانِ .

بأى نمم الله عليكما تكنبان؟ فقد جعل الله الأرض مصدرًا للحبّ والزروع والأشجار والفواكه ، وجعل البحر والنهر مصدرًا للسمك والحُلَىّ ، فكلُّ من البرّ والبحر أساس حياتنا وزينتنا، وكل هذه آلاء الله ونعماؤه، التى لا يجحدها إلا منكر كفار ، اللهم لا يشيء من نعمك رينا نكثّ ، قلك الحمد .

٢٤ ، ٧٥ - وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَقَاتُ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَم . فَبَأَى عَالَاهِ رَبَّكُمَا تُكَلَّبَانِ .

ولك تعالى الفضل والمئة فى تسخير الماء والهواء ، لتجرى السفن الكبيرة التى تشبه الجبال فى عظمتها فاردة قلاعها ، تسبح جارية فوق سطح الماء ، تنقل التجارة والأفراد من بلد إلى آخر ، للسهاحة والتجارة ، والتأمل فى خلق الله . وأمعول الأشياء أربعة : التراب والماء والهواء والنار ، فمن التراب خُلق الإنسان ، ومن التَّار خُلق الجان ، ومن الماء نأكل السمك ونستخرج الحليّ ، وبالهواء تسير السفن بفضل الله ، تجرى على الماء وتيسِّر التجارة والسياحة والانتقال، فبأى هذه النعم المتعددة ، يا معشر الجن والإنس ، تكنَّبان ؟

لا بشيء من نعمك ربنا نكذَّب، قلك الحمد.

* * *

فناء الكون وبقاء الله

﴿ كُلُّمَنْ عَلَيَا فَانِ۞ وَيَبَّغَىٰ وَجَهُ رَيِكَ ذُو ٱلْبَلَالِ زَالْإِكْرَادِ۞ فَإِلَّيَّ الْآهَ رَيْكُمَا أَنْكَذِبَانِ ۞يسَتَلُهُ مَن فِي ٱسْمَوْتِ وَٱلْأَرْضِ كُلِّ يَوْمِهُوْفِ شَأْنِ۞ فِأَي ءَالَآء رَيْكُمَا تُكَذِبانِ۞﴾

المطردات ا

و الك مالك .

وچـــــه ريك ، ذاته .

ذو التجلل والإكرام؛ ذو العظمة والكبرياء، والتفضل بأنعمه على العباد.

هسسو هسسان ، أي في أمر من الأمور ، من إحياء وإماتة ، وإعزاز وإذلال ، وإغناء وإعدام ، وإجابة .
داع ، وإعطاء سائل ، وغير ذلك.

تمهيد،

فناء الخلق من نعم الله ، حيث يتركون دار الفناء ، ثم يموتون ، ثم يبعثون إلى دار البقاء .

وأهل السماء وملائكة السماء يسألون الله المغفرة ، وأهل الأرض يسألون الله الرزق والمغفرة ، والله تعالى يحيى ويميت ، ويشفى ويمرض ، ويعز ويثل ، ويضمع ويرفع ، وهو على كل شىء قدير .

التفسيره

٢٨ ، ٧٧ - كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ و وَيَلْقَىٰ وَجُهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ وَ فَبِأَى ءَالآءِ رَبُّكُمَا تُكَذَّبَانِ .

جميع ما على وجه الأرض يفنى ، فالفناء يعمُّ كل من في الكون ، .

قال تعالى : كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَةُ لَهُ ٱلْحُكُمُّ وَإِلَّهِ تُرْجَعُونَ . (القصص : ٨٨).

أى أن ملائكة السماء تَنْنى ، وكذلك الإنس والجنّ يعوتون ، وذات الله باقية خالدة بلا فناء ، لا أوّل لبدايتها ، ولا آخر لتهايتها ، وهو صاحب الفضل والإنعام على عباده ، فبعد الفناء يكون البحث ، ويكون البقاء في تميم الجنة المتقين ، وفي عذاب النار الكافرين .

وفي الموت أندم متعددة ، منها الراحة من العرض وأرذل العمر ، وبعد العوت تتجدد الأجيال ، وتحيا الذرية وتكبر ، ثم تهرم وتموت ، ولو استمرت الحياة لضاقت الأرض بأهلها ، وصار فوق كل قدم أكثر من مائة قدم .

قال الشاعي:

وكل نعيم لا محالة زائل

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

ويقول الآخر:

لكان الموت راحة كل حي

فلوأتًا إذا متنا تركنا

ونسأل بعد ذا عن كل شي

والآية بعد ذلك تنطق بالرهبة والحقيقة الصامتة ، فكل ما تراء على وجه الأرض معرض للفناء والموت : الإنس والجن ، والطير والوحورش، والزواحف والحشرات ، والزرع والأنهار والأشجار ، بل وكل من في السماوات من الملائكة ، والشعوس والأقمار ، والنجوم والأبراج والأقلام ، كل ذلك بشمك الفناء والهلاك.

قال تعالى : كُلُّ شَيْءٍ هَالِكَ إِنَّا وَجْهَهُ, لَهُ ٱلْحُكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . (القصص : ٨٨) .

وذلك يدعونا إلى التأمل والنظر ، والاعتبار والعمل ، وإذا كانت الدنيا غانية فإن الأعرة بالقية، ومن العاجب إيثار ما يبقى على ما يفنى ، أي: يجب إيثار العمل الممالح ، وطاعة الله تعالى ، واجتناب نواهيه .

قال تعالى : ١٨ وَكُوُّ وَنَ ٱلْحَيَّوَةُ ٱلدُّنِيَا هَ وَالْاَحِرَةُ خَيْرٌ وَٱبْتَىٰٓ هِ إِنَّ هَـلْدَا لَقِي ٱلصُّحُف ِٱلْأُولِيَّ فَي صُحُف إِلْرًا هِيمَ وَمُوسَىٰ . (الأعلى : ١٦ – ١٩) .

ذو الجلال والإكرام

صفتان من صفات الله ، وهما الجلال والإكرام ، أى العظمة والكبرياء ، وهي الحديث الذي رواه المترمذي ، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : «ألظُّرا بها ذا الجلال والإكرام» (⁴⁴ . أي : الزموا ذلك في الدعاء .

ومن دعاء الرسول ﷺ: «يا حي يا قيوم ، يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام ، لا إله إلا أنت ، برحمتك نستفيث ، أصلح لنا شأننا كله ، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أحد من خلقك » وفى معنى الآية قوله تعالى : كُلُّ شَيْءٍ هَالِكُ إِلَّا وَجَهَهُ, لَهُ ٱلْحُكُمُ وَإِلَّهِ تُرْجَعُونَ . (القصص : ٨٨). هَاتَى عَالِامَ (تَكُمُ لُكُذُّهُان .

هى سبحانه الخالق ، القايض الباسط ، المحيى العميت ، المعز الدن ، فالناس جميعا تتسارى في الفناء ثم تبعث على نيًاتها ، فيكافئ الله المطيع بالثواب ، ويعاقب العاصى بعدل الجزاء ، وفي ذلك تعمة أيّ نعمة .

قال تعالى : فَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةِ خَيْرًا يَرَهُره وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُر. (الزازلة: ٧، ٨).

وللّه الفضل في يدء النطق ، ثم في نعمة الرزق ، ثم في نعمة الموت والبعث ، فيأى نعمة من هذه النعم تكتبان يا معشر الجن والإنس ؟ اللهم لا يشيء من نعمك رينا نكتب ، فلك العمد .

وصدق الله العظهم إذ يقول: آللُّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمُّ رَزَقَكُمْ ثُمُّ يُومِيُّكُمْ ثُمُّ يُعْمِيكُمْ . . (الروم: ٤٠) .

قال القرطبي:

ووجه النعمة في فناء الخلق التسوية بينهم في الموت ، ومع الموت تستوى الأقدام ، والموت سبب النقلة من دار الفناء إلى دار الثواب والجزاء .

٣٩ ، ٣٠ – يَسْتَلُهُ, مَن فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ كُلْ يَوْمِ هُوَ فِي شَأْنٍ هَ فَبِأَى ءَالآءِ رَبَّكُمَا تُكَلَّبُهانِ.

هو سبحانه وتعالى غنى عن خلقه ، والخلق كلهم محتاجون إليه .

قال تمالى: يَكَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفَقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْفَتِيُّ ٱلْحَمِيلُ. (هاطر: ١٥).

أهل السماوات يطلبون منه المغفرة ، ولا يسألونه الرزق ، وأهل الأرض يسألونه الرزق والمغفرة ، وغير ذلك ، وهو سبحانه كلَّ يوم في شأن ، يحيى ويميت ، ويفنى ويفقر ، ويضع ويرفع ، ويعز ويذل ، ويعطى ويمنع ، والخلق جميعا متعلقون ببابه ، سائلون أفضاله ، طالبون للقرب من فضله ، فمن وجد الله وجد كلَّ شىء ، ومن فقد الله فقد كل شىء .

قال مجاهد:

كل يوم هو يجيب داعيا ، ويكشف كريا ، ويجيب مضطراً ، ويغفر ذنيا .

وقال قتادة:

لا يستغنى عنه أهل السماوات والأرض ، يحيى حيًّا ، ويميت ميتًا ، ويريَّى صغيرا ، ويفكُ أسيرا ، وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم ، ومنتهى شكواهم .

روى ابن جرير أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: كُلْ يَرْمُ هُوْ فِي شَأْنِ. فقالوا: يا رسول الله ، وما ذاك الشأن ؟ قال: «أن يغفر ذنبا، ويفرج كريا ، ويرفع قوما ، ويضع آخرين، أخرجه ابن جرير مرفوعًا ، ورواه البضاري موقوفًا من كلام أبي الدرداء.

والخلاصة:

أن أهل السمارات وأهل الأرض يتعلقون بربهم ، يسأنونه هاجاتهم ، وهو سيحانه لا يشغله شأن عن شأن ، ولا تدركه سِنة ولا نوم ، ولا يغفل عن عباده لحظة ولا يومًا ، وليس كما ادعت اليهود أن الله لا يقضى شيئا يوم السبت ، فقال سبحانه : كُلِّ يُوم هُوْ فِي مُأْثِ .

فهو تعالى يرفع من يشاء ، ويضع من يشاء ، ويشفى سقيما ، ويمرض سليما ، ويعرّ ذليلا ، ويذل عزيزا، ويفقر غنيا، ويغنى فقيرا .

وض معنى الآية قوله تعالى : قُلِ ٱللَّهُمُّ مَثَلِكَ ٱلْمُلْكِ يُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمْن تَشَاءُ وَيُورُّ مَن تَشَاءُ وَتُولِنُ مَن تَشَاءُ مَيْدِكَ ٱلْخَيْرُ إِلْكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَلدِيلٌ . (ال عمدان : ٢٦) .

سُئل الحسين بن الفضل عن قوله تعالى : كُلُّ يُوْمِهُو فِي شَأْدٍ . وقد صحّ أن القلم جِفُّ بِما هو كائن إلى يوم القيامة ، فقال : إنها شئرن يبديها ولا يبتديها .

أى : شئون مما كتبه الله تعالى ، يظهرها فى الحين الذى قدّر ظهورها فيه ، ولا يبتدئ إرادتها والعلم بها .

فَبِأَى ءَالْآء رَبُّكُمَا تُكَلَّبَانِ.

بأى نحمة من أنعمه يا معشر الجن والإنس تكنبان ، وهو سبحانه يجيب المضطرين ، ويلبى دعاء الداعين ، وبيده الخاق والأمر ، وهو على كل شيء قدير ؟

اللهم لا يشيء من نعمك رينا نكذب ، فلك الحمد .

تهديد ووعيد

﴿ سَنَفُرُغُ لَكُمُّ أَيُّهُ اَلْفَلَانِ ۞ فَإِلَيْ مَالَا مِرَكُمُا تُكَذِّبَانِ ۞ يَمَعَشَرَ الِخِنِ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقَعَارِ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ فَانفُدُوا لَا لَنفُذُوكَ إِلَّا لِسُلْطَانِ ۞ فَيَأَيْ فَإِنَّ مَالْفَذُونَ اللَّهِ مَرْيَكُمَا ثُمُوا اللَّهِ مَن الرِوفُاسُ فَلَا تَنفَيرَانِ ۞ فَيِأَيْ مَا لَا عَرَيْكُما تُكَانُكُما شُوَا اللَّهِ مِن الرِوفُاسُ فَلَا تَنفيرانِ ۞ فَيأَيْ مَا لَا عَرَيْكُما تُكَانُكُما شُوَا اللَّهِ مِن اللَّهِ مَن اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَن اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَن اللَّهُ مَنْ مُعْمَالُكُمُ اللَّهُ مَنْ اللَهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ الْمُنْ اللَّهُ مَا الْعُلُولُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ الْمُلْمُ اللَّهُ مِلْمُنْ اللَّهُ مِنْ اللْعُلِيْ اللَّهُ اللَّهُ مِل

المفردات:

ستفرغ لكم أيها الثقلان ، سنأخذ في جزائكم فقط أيها الإنس والجان.

إلا يسطان: إلا بقوة وقهر.

شـــواظ مــــن نـــار و لهب من نار .

وتـــــع فوق رؤوسكم.

تمهيد،

تتحدث الآيات عن مشهد من مشاهد القيامة ، حيث يتقرّغ الجهار سبحانه وتعالى لحساب الجنّ والإنس ، والله لا يشغله شأن عن شأن ، لكن السياق يوجى بأن الخطاب للتهديد ، كما يقول الرجل لآخر : سأتفرغ لك وأريك عقوبتى .

التفسير،

٣١ ، ٣٧ - سَنَفُرُ غُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلنَّقَلَانِ * فَبِأَى ءَالْآءِ رَبُّكُمَا تُكَلِّبَان .

تحدثت الآيات السابقة عن الحق سبحانه : كُلُّ يُوْمٍ هُوَ فِي شَأْنِ . أي : كل وقت هو في شتون ملكوته التي لا تحصي ولا تعد .

فإذا انتهت الدنيا وقامت القيامة قصد سبحانه إلى حساب الثقلين ، الجن والإنس ، والله سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن . و المقصود : سنريكم أهوال القيامة ، والحشر والسؤال ، والميزان والصراط . كما تقول لمن هو دونك سأتفرغ لك ، أي سأوجه همتى لمحاسبتك ومعاقبتك .

قال البيضاوي :

أى: سنتجرد لحسابكم وجزائكم يوم القيامة ، وفيه تهديد مستعار من قولك لمن تهدده : سأفرخ لك، فإن المتجرد للشيء يكون أقوى عليه وأجدً فيه .

والطَّلانُ : الجِن والإنس ، سُمُّها بذلك لثقلهما على الأرض.

فَيَأَى ءَالْآءِ زَبُّكُمَا تُكَذَّبَانِ .

بأى نعمة من نعم الله تكذبان ، ومن هذه النعم التنبيه على ما ستلقونه يوم القيامة ، لطكم تتقونه بإيمانكم ، فبأى نعمة من نعمه تمالى تكذبان ؟

٣٣ ، ٣٣ – يَمْمُشَرُ ٱلْحِنَّ وَٱلْإِس إِن آسَتَطَعْتُمُ أَن تَفَلُواْ مِنْ ٱفْطَارِ ٱلسَّمَــُـُوْاتِ وَٱلْأَوْسَ فَانفُدُوا لَا تَفَلُـونَ إِلَّا بِسُلْطَانِ ، فَيَاتُى ءَالاَتِمِ وَلَكُمَانُ كُلْمَانٍ .

يا جماعة الإنس والجن ، أنتم راجعون إلينا ، هاضعون لأمرنا ، وتحت قدرتنا وحسابنا وجزائنا ، ولا مغرّ لكم ولا مهرب من الحساب والجزاء ، والثواب للطائعين ، والمقاب للعاصين ، فإن قدرتم أيها العمساة على الخروج من جوانب السماوات والأرض فاهرجوا ، والأمر منا للتهديد ، ومعناه : لن تستطيعوا ذلك ، فالكرن كله في قبضة الله ، والملائكة تحيط بأهل الموقف في صفوف تشبه الدائرة ، أي سبع دوائر من ملائكة السماء تحيط بأهل الأرض ، الدائرة الأولى مكونة من ملائكة السماء الدنيا ، والدائرة الثانية من ملائكة السماء الثانية ... ، وهكذا إلى الدائرة السابعة من ملائكة السماء السابعة .

لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِشُلْطُكْنٍ.

أى: لا تستطيعون الخروج إلا بقوة وقهر وغلبة، وأنى لكم ذلك ؟

جاء في حاشية المنتخب من تفسير القرآن لوزارة الأوقاف المصرية :

ثبت حتى الآن ضخامة المجهودات والطاقات المطلوبة للنفاذ من نطاق جاذبية الأرض ، وحيث التخمى للنجاح الجزئى في زيارة الفضاء لمدة محدودة جدًّا بالنسبة لِيظم الكرن – بدَّل الكلير من المجهودات العلمية الضخمة في شتى الميادين الهندسية والرياضية والفنية والحبول حية فضيلا عن التكاليف الخيالية الماذية التى أنفقت فى ذلك ، ومازالت تنفق ، ويدل ذلك دلالة قاطعة على أن النظاذ المطلق من أقطار السماوات والأرض – التى تبلغ ملايين السنين الضوية – لإنس أو جِنَّ مستحيل .

فَبأَى ءَالآءِ زَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ .

بأى نعمة من نعم ربكما تكذبان ؟ ومن هذه النعم تحذيركم من العقاب لتتقوه .

٣٥ - يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّار وَلُحَاسٌ فَلَا يَسَصِرَانِ .

أى : لو ذهبتم هاربين في أرجاء السماوات والأرض لأرسل الله عليكما أيها الثقلان لهبًا شديدًا من نار ، كما يرسل عليكما نُحاسًا هذابًا ، يصب فوق رؤوس الكافرين منكما ، فلا تمتنعان من العذاب ، ولا تستطيعان الهرب منه لو أردتموه .

وجاء في حاشية المنتخب في تفسير القرآن الكريم :

النحاس هو فلزّ يعتبر من أوّل العناصر الفلزّية التي عرفها الإنسان منذ قديم الزمن ، ويتميز بأن درجة انصهاره مرتفعة جدا ، حوالى ١٠٨٣ درجة مئوية ، فإذا ما صُبّ هذا السائل الملتهب على جسد مكّل ذلك صنفا من أقسى أنواع العذاب ألما ، وأشدّها أثراً . اهـ.

وقال ابن كثير في تفسير الآية:

قَالَ مجاهد : النماس المُنفر يذاب فيصبُ على رؤوسهم .

والمعنى : لو ذهبتم هاربين يوم القيامة ، لردتكم الملائكة والزيانية بإرسال اللهب من الثار ، والنماس المذاب عليكم لترجعوا .

٣٦ - فَبَأَى ءَالَآءِ رَبُّكُمَا تُكَلَّبَانِ .

بأى نعم ريكما تكذبان ؟ ومنها تنبيهكم إلى أنكم لا تستطيعون الفرار من العذاب إن بقيتم على كفركم.

تصدع السماء وأحوال المجرمين يوم القيامة

﴿ فَإِذَا انشَقَتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَهُ كَالَدِّهَانِ۞ فَيِأَيِّ ءَا لَآءٍ رَيِّكُمَا ثُكَفِّبَانِ۞ فَيَوَمَهِنِ لَايُسُكُلُ عَن ذَلْهِهِ إِنسُّ وَلَاجَانَّ ۞ فَإِلَّيَ ءَالآءِ رَيِّكُمَا تُكَفِّبَانِ ۞ مُعْرَفُ اللَّهِ جِيُونَ بِسِيمَهُمْ فَيُؤَخَذُ بِالنَّرِصِ وَالْأَقْلَعِ۞ فَيَأَيْ ءَالآءٍ رَيِّكُمَا تُكَذِّبَانِ۞ هَذهِ جَهَنَّمُ الْقِي يُكَذِّبُ بِهَا اللَّهْرِمُونَ۞ يَعُلُونُونَ يَتَنَا وَيَنْ جَمِيهٍ وَانِ۞ فَإِلَيْءَ الآءٍ رَيِّكُمَا تُكَذِّبَانِ۞﴾

المفردات :

وردة ، كالوردة في الحمرة .

وجواب (فَإِذًا) محذوف تقديره : فما أعظم الهول.

السيب والملامة.

السنسواسين، واحدها ناصية ، وهي مقدم الرأس.

والأقسسسسام ، واحدها قدم ، وهي قدم الرجل المعروفة .

الصحصم الماء الحار .

ه متنام في الحرارة ، لا يُستطاع شريه من شدة حرارته .

آن **تمه**ید ،

هذا مشهد من مشاهد القيامة ، حيث تنشق السماء على غلظها ، ويصبح لونها أحمر قانيا كالوردة، متغيرا كتفير الأصباغ التي يدهن بها ، وتذوب السماء كالنّهن ، أو درديّ الزّيت .

ويتميز المجرمون عن غيرهم بعلامات خاصة ، هي سواد وجوههم وزرقة عيونهم ، ثم يزج بهم في جهنم في صورة زرية مهيئة ، حيث تجمع أرجلهم إلى نواصيهم ، ويقال لهم تحقيرا وتكديرا : هذه جهنم . التي كنتم تكنبون بها في الدنيا ، فيصلون حرارة النار ، ويشربون من ماءٍ حارً قد اشتدت حرارته .

لتفسب

٣٩،٣٩،٣٩، ٣٩،٤٠٠ - ٤٠،٤١٠ - فَإِذَا آنشَقْتِ آلسَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةُ كَالنَّمَانِ . فَإِنَّى عَالَاهِ وَيَكُمَا تُكَلَّبَانِ . فَهُوْعِلْدٍ لَا يُسْتَلُ عَن ذَلِيهِ إِنسَّ وَلاَ جَانَّ ، فَإِنَّى عَالَاهِ وَيُكُمَا تُكَلَّبَانِ ، يُعْرَف آلْمُحْرِمُونَ بِسِيمَتْهُمْ فَيُؤْخِذُ بِآلَتُواصِى وَآلَا فَقِدَامِ فَإِنَّى عَالِكُمْ وَيُكُمَّنُهُ لِنَّالِينِ .

يعرض القرآن مشاهد القيامة ماثلة أمام العين كأنك تشاهدها ، وترى السماء العالية المتماسكة ، وقد انشقت على غلظها ، وتعلقت الملائكة بأرجائها ، وتغيّر لون السماء ، فصار أحمر قانيا بلون الورد ، كما أن جرمها قد انماع ، فصار دهنا متلونًا بين الأصفر والأخمر والأخضر ، بلون الأصباغ التي يدهن بها ، أو دردي الزيت .

فَبأَى ءَالْآءِ رَبُّكُمَا لُكُذَّبَانِ .

بأى هذه النعم تكذبان ؟ حيث يكافأ المثقون ، ويعاقب المجرمون ، وحيث يخبرنا الله بذلك لنحذر عقاب هذا اليوم .

فَيُوْمَعِلِ لا يُسْتَلُ عَن ذَنْهِ إِنسٌ وَلَا جَآنٌ.

يوم القيامة يوم طويل، وفيه مواقف متعددة، في بعضها يُسأل الإنسان.

قال تعالى : وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْتُوثُونَ . (المسافات: ٢٤).

وفي بعض المواقف ينتهي الأمر كما ينتهي التحقيق في بعض القضايا ، وتحجز للنطق بالحكم.

وفى مواقف الآخرة هناك وثائق تغنى عن السؤال ، منها شهادة الجوارح ، وما سُجِّل فى الكتب ، وشهادة الملائكة ، واطُلاع الجبار سيحانه وتعالى .

وهي هذا المعنى يقول القرآن الكريم: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِتَهُمْ وَٱلْبِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَالُواْ يَعْمَلُونَ . (النود: ۲۶)

ويقول سبحانه وتعالى : هَلْمَا كِتَلْبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . (المجانية ٢٩٠).

وقال تعالى : وَقَالُواْ لِجُلُوهِمْ لِمَ شَهِدَتُمْ عَلَيْنَا قَالُواْ أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِينَ أَنطَقَ كُلّ شَيْءٍ وَهُوَ حَلَقَكُمْ أَوْلَ مَرْةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. (هملت: ٢١) . وقد أخيرنا القرآن الكريم أن المؤمنين تبيض وجوههم ، وتكرن عليها نضرة النعيم ، ويسعى النور بين أيديهم ويأيمانهم ، وأن الكفار تسودُ وجوههم ، وتطوها الغيرة والقترة ، والقتام والخوف والذل .

فَيأًى ءَالَآءِ رَبُّكُمَا تُكَدُّبَاكِ .

أيّ: مِنْ مَعِيهِ أَنْ أَحَقَ الحق، وأبطل الباطل، وكرَّم المؤمنين، وعذَّب الكافرين، فهائ مُعمه تكذبان؟ يُعْرُفُ آلْمُعْرِمُونَ يُسِيمَّنْهُمْ فَيُؤْخَفُ بِآلِثُواعِي وَآلاً لِقَدْامِ.

يُعرف المجرمون بعلامات ، منها سواد وجوههم ، وزرقة عيونهم ، وظهور القتام والذارُ والمهانة عليهم ، فتمسك الملاتكة بشعر رؤوسهم ، وتجمعه مع أقدامهم ، ويرمى يهم إلى جهنم ، فما أشق ذلك وما أماده

فَهَأَىٰ ءَالَآهِ زَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ .

ومن نعم الله تحذير الناس من ذلك المصير ، نعوذ بالله من حال أمل النار ، ونقول: لا بشيء من نعمك ربنا تكتّب ، فلك الحمد .

٣٥ - هَذَارِهِ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكُذُّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ .

يقال لهم تبكيتًا وتربيشا: هذه جهنم التي كنتم تكذبون بها في الدنيا وتستبعدون دخولها ، ادخلوها والمسوا عذابها .

\$ \$ - يَطُولُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمِ عَالَمْ .

يترددون بين العذاب في جهنم، وشرب ماء شديد الحرارة يشوى الوجوه، ويقطُّع الأمعاء.

قَالَ قَتَادَةً :

يطوفون مرة بين الحميم ، ومرة بين الجميم ، والجحيم : النار ، والحميم : الشراب الذي انتهى حرّه. وقال ابن كثير :

الحميم: هو الشراب الذي هو كالنحاس المذاب، يقطّع الأمعاء والأحشاء، وهذا كلوله تعالى: إِذِ آلْأَغْلُـالُ فِي ٓ أَعْتَقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ و فِي ٱلْحَمِيمُ ثُمَّ فِي ٱلْقَارِيُسْجَرُونَ . (غاذر: ٧١، ٧٧).

وقوله تعالى: عَالًا ، أي : حار قد بلغ الغاية في الحرارة .

قال ابن عباس:

قد انتهى غليه ، واشتد حرّه ، وقوله : حَمِيم عَالٍ . أي : حميم حار جدًّا .

ه 2 - فَبِأَى ءَالَآءِ رَبُّكُمَا تُكَلِّبَانِ.

بأي نعم ريكما تكذبان ؟ حيث دعاكم إلى الإيمان لتتقوا هذا العذاب.

وصف نعيم الجنة

﴿ وَلِمَنْ عَاكَ مَقَامُرُ مِيْمَ جَنَنَانِ ۞ فَإِنْ مَا لَاذَ رَئِكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ ذَوَاتًا أَفَانِ ۞ فَإَيَ مَا لَاهُ رَئِكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيمَا عَبَنَانِ بَغَيْهِانِ ۞ يُنْكِينَ عَلَى فُدُشٍ بَعَلَيْهُمَا مِنْ إِسْتَبْرَقُ فَكُمُهُ زَوْيَهَانِ ۞ فِيلَّيَ اللَّهَ رَئِكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مُنْكِينَ عَلَى فُدُشٍ بَعَلَيْهُمَا مِنْ إِسْتَبْرَقُ وَمَنَى اللَّمَ نَذِيكُ اللَّهُ مَلِكِبَانَ ۞ فِيلِّيَ اللَّهَ رَئِكُمَا تُكَذِّبُانِ ۞ فِينِنَ قَصِيرَتُ الظَّرْفِ لَعَرَظُونِهُمُنَ إِنسُّ فَبَعَلَهُمْ وَلِاجَانَ ۞ فِيلِّيَ الآهِ رَئِكُمَا تُكَذِّبُانِ ۞ كَأَتَهُمَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ۞ فِيلِّي مَا لَاهِ مِيكُمَا تُكَذِبُانِ ۞ مَلْ جَزَلَهُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنِ ثَلَا الْإِحْسَنِ الْوَ

المقردات ،

مسقسام رهسه، قيامه بين يدى ربه للحساب، أي أنّ مقام اسم مكان ، والعراد به مكان وقوف الخلق، وقيامهم عند ربهم يوم القيامة للحساب والجزاء ، قال تعالى : يُوْعَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبُّ ٱلْمُنْلَعِينَ . (استغنين ٠٠)

روجان ، صنفان : معروف وغريب ، أو رطب ويابس .

جنى الجنتين؛ ما يجنى ويؤخذ من ثمار أشجارهما.

دان ، قريب ، يناله القاعد والقائم ، والمضطجم والمتكئ .

آلاءِ دنعم، جمع إلى.

قاصرات الطرف؛ نساء قصرن طرفهنّ – أي عينهنّ – على أزواجهنّ .

لم يطمثهن، لم يغضض بكارتهن.

المسرجان، صفار الدرّ، وقيل: خرز أحمر،

تمهيده

تصف الآيات نعيم الجنان ، كما وصفت الآيات السابقة عذاب أهل النار ، وكان أهل النار يترددون بين جهنم وماء حارٌ يشرى الرجوه ، أما أهل الجنة فيترددون بين نعيم الجنة وضيافة الجبار ورؤيته سبحانه وتعالى .

التفسيره

٣٩ ، ٧٤ ، ٤٩ ، ٩٩ – وَلِمَنْ حَافَ مَقَامَ رَبُهِ جَتَنَانِ وَفَإِنَّى عَالَاَةٍ رَبُّكُمَا لَكُلَّبَانِ و ذَوَاتَا أَفَتَانِ و فَإِنِّى عَالاَةٍ رَبِّكُمَا كُذَلْبَانِ .

قيل: إن الآيات نزات في أبي بكر الصديق ، خاف الوقوف للحساب ، فتعنى أن لو كان نباتا أغضر تأكله دابة ، والحق أن الآية عامة في كل من خاف مقام ربّه ، أي القيام بين يدى ربه للحساب ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، أي يقفون للحساب والجزاء .

فلكل من خاف الموقف في ذلك الهوم ، وعمل الطاعات ، وتجنب المعاصى ، جنتان : جنة لفحل الطاعات ، وجنة لترك المحرمات ، وقيل : جنة لسكنه ، وجنة لأزواجه وخدمه ، كما هي حال ملوك الدنيا ، حيث يكون له قصر ولأزواجه قصر.

قال القرطبي: وإنما كانتا اثنتين ليضاعف له السرور بالتنقل من جهة إلى جهة.

أهرج البشارى أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا لربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن، ٣٠٠.

قال محاهد:

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانٍ . هو الرجل يريد الذنب فيذكر الله تعالى فيدع الذنب .

وقال حماد :

ولا أعلمه إلا قد رفعه في قوله تعالى : وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَتَّتَاثِ . جِنتَانَ مِن ذهب للمقربين ، وجنتان مِن وَيِق (فضة) لأصحاب اليمين .

فَيأَى ءَالْآءِ رَبُّكُمَا تُكَذَّبَانِ .

فبأى نعم ريكما تكذبان ؟

ذَوَ اتَآ أَفْنَانَ .

صاحبتا أنواع من الأشجار والثمار.

وقيل: ذُوَاتًا أَفْنَاتٍ . صاحبتا أغصَان.

وخص الأغصان بالذكر ، مع أنهما ذواتا جذوع وأوراق وثمار أيضا ، لأن الأغصان هي التي تورق وتثمر، فمنها تمتد الظلال ، ومنها تجنى الثمار .

فكأنه قيل: ذواتا ثمار وظلال ، فالأغصان كناية عن ذلك .

فَيِأَى ءَالْآءِ رُبُّكُمَا لُكَلَّبًانِ . فبأى نعم ريكما تكذبان ، وهي نعم كثيرة عديدة ؟

٥ - فيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ .

أى: في كل واحدة من الجنتين عين جارية تجرى بالماء الزلال ، كقوله تعالى : فِيهَا عَيْنُ جَارِيَةٌ . (الناشية : ١٧)

والماء نعمة كبرى ، والماء الجارى في الجنة يسقى ثمارها ، فتثمر من جميع الألوان ، وقد ورد في وصف الجنة : أن فيها أنهارًا من ماء غير آسن ، وأنهارًا من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهارًا من خمر لذة للشاريين، وأنهارًا من عسل مصفّى .

قال الحسن البصرى:

إحداهما يقال لها: تسنيم ، والأخرى: السلسبيل.

١ ٥ - فَبِأَى ءَالْآءِ زَبُّكُمَا تُكَذَّبَانِ .

بأيّ نعم الله تكذبان يا معشر الجن والإنس ؟ اللهم لا بشيء من نعمك نكذَّب، فلك الحمد.

٥٧ ، ٥٣ -- فِيهِمَا مِن كُلِّ فَلْكِهَةٍ زُوْجَانٍ ، فَبَأَى ءَالْآءِ رَبُّكُمَا تُكَلِّبَانِ .

فى الجنتين من جميع أنواع الثمار صنفان : صنف معروف لهم فى الدنيا ، وصنف آخر غريب لم يعرفوه ، أو صنف يابس وآخر رطب ، مما لا عين رأت ، ولا أنن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . فَبَأَى ءَالآهِ رَبُّكُمَا تُكَذَّبَانِ . فبأى نعم ريكما تكذَّبان وهي لا تحصى ولا تعد؟

قال ابن عباس :

ما في الدنيا ثمرة حاوة ولا مرة إلا وهي في الجنة ، وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء .

يعنى أن بين فاكهة الدنيا والآخرة بونا عظيما، وفرقا بيّنا في التفاضل.

٥٥ - مُتَكِينَ عَلَىٰ فُرُش بَطَاتِينُهَا مِنْ إِسْقَبْرَ فِي وَجَنَى ٱلْجَنْتَيْنِ دَانٍ * فَبِأَى عَالَاهِ رَبُّكُمَّا تُكَذَّبَانِ .

الجنة كل ما فيها جميل طيب، وفيها تكريم أهلها، مع نعيم حسى وآخر معنوى.

والمعنى:

معتمدين على فرش بطانتها من إِسْتَجْرَقو . حرير ثفين ، وقد دلَ على شرف الأعلى وهو الظّهارة بالنص على فضل البطانة .

قيل لابن عباس: بَطَّالُنِّهُا مِنْ إِسْتَبْرَقِ ، فما الظواهر ؟ قال : ذلك مما قال تعالى :

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِي لَهُم مِّن قُرَّةٍ أُغْيِّن . . . (السجدة : ١٧) .

وَجَنِّي ٱلْجَنَّيْنِ دَانٍ .

وثمر الجنتين قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع ، بخلاف ثمار الدنيا فإنها لا تُنال إلا بكدُّ وتعب. قال ابن عباس:

تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله إن شاء قائما ، وإن شاء قاعدًا ، وإن شاء مضطجعا . ا هم .

فَيأَى ءَالآء رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ .

بأى نعم ريكما تكذبان يا معشر الثقلين ؟

اللهم لا يشيء من نعمك رينا نكذب ، فلك الحمد .

٥٧،٥٩ - فِيهِنْ قَلْمِرَاتُ ٱلطُّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسَّ قَبْلُهُمْ وَلَا جَنَانًا ، فَبِأَى ءَالآءِ رَبُّكُمَا تُكَذَّبَانِ .

تحدث القرآن في الآيات السابقة عن الفُرش ، وذكر أنَّ بطائنها من إستبرق ، وذكر هنا أن في هذه الفرُش أو في الجنات نساء قاصرات أبصارهنَّ على أزواجهنَّ ، فلا ينظرن لسواهم ، ولا يرين في الجنة شيئاً أحسن من أزواجهن .

قال ابن كثير:

ورد أن الواحدة منهن تقول لبعلها : والله ما أرى في الجنة شيئا أحسنَ منك ، ولا في الجنة شيئا أحبّ إلىّ منك ، فالحمد لله الذي جعلك لي ، وجعلني لك .

لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسَّ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ .

أي: لم يفضض بكارتهن أحد قبل أزواجهن من الإنس والجن ، بل هن أبكار عذاري .

قال الآلوسي:

وأصل الطمث خروج الدم ، ولذلك يقال للحيض : طمث ، ثم أطلق على جماع الأبكار لما فيه من خروج الدم ، ثم على كل جماع .

فَبَأَى ءَالآءِ زَبُّكُمَا تُكَذَّبَانِ .

فبأي نعم ريكما تكذبان يا معشر الجن والإنس؟

٨٥ – كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ .

كأنهن في صفائهنّ الياقوت ، وفي حمرتهن المرجان .

قال قتادة :

كأنهن في صفائهن الياقوت، وحمرة المرجان، لو أدخلت في الياقوت سلكا ثم نظرت إليه لرأيته من ورائه.

أخرج الترمذي ، عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : «إن المرأة من نساء أهل الجنة لبُرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير ، حتى يُرى مُفُهاء . (٠٠٠).

٩ - فَبِأَى ءَالَآءِ رَبُّكُمَا تُكَلَّبَانِ .

فبأى نعم ريكما تكذبان؟

٩ - قل جَزَاءُ ٱلْإِحْسَانِ إِلَّا ٱلْإِحْسَانُ .

هل يكافأ المتقون الذين فعلوا الطاعات والقربات، وتركوا المحرمات والمعاصى، إلَّا بفسيح الجنات.

قال أبو السعود:

ما جزاء الإحسان في العمل إلا الإحسان في الثواب ، أي أنُّ من قدم المعروف والإحسان استحق الإنمام والإكرام .

٣١ - فَبِأَى ءَالا مِ زَبِّكُمَا تُكَلِّبَانِ .

فيما ذكره الله نعمُ عظيمة لا يقاومها عمل ، بل مجرد تفضل وامتنان ، لذلك عقب بهذا الاستفهام: بأى نعم ريكما تكذبان ، أو تجدان فضل حماية المتقين من النار ، وإدخالهم الجنة والإنعام عليهم بالرحمة والإحسان ؟

اللهم لا بشيء من تعمك ربنا تكتُّب، فلك الحمد.

* * *

وصف آخر للجنة

﴿ رَمِن دُونِهِ مَاجَنَنَانِ ۞ فَإِنَى الآوَ رَئِكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مُدُمَّ اَتَنَانِ ۞ فَإِنَّى الآهِ رَئِكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا عَبِسَانِ شَنَادَ عَتَانِ ۞ فِإِنَّى الآهِ رَئِكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهَا فَكِمَةٌ وَنَظَّرُونَانُ ۞ فَإِنَى الآءَ رَئِكُما تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِنَ غَيْرِتُ حِسَانُ ۞ فَإِنَى الآوَ رَئِكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ حُرُّرُ مَفْصُورَتُ فِ لَلِيارِ ۞ فَإِنَى الآهِ رَئِكُما تُكذِّبانِ ۞ فَيَى الآ لَرَسَاعِتُهُنَ إِنْ فَلَهُمْ وَلَاجَانُ ۞ فَإِنَى الآءَ رَبِكُما تُكذِّبانِ ۞ مُتَكِينَ مَلَى وَلَاجَانُ ۞ فَإِنَى الآءَ رَبِكُما تُكذِّبانِ ۞ مُتَكِينَ مَلَ وَلَاجَانُ ۞ فَإِنَى الآءَ رَبِكُما تُكذِّبانِ ۞ مُتَكِينَ مَلَ وَلَوْكُونَ فَي عَنْدِمِ

المفردات ،

ومسن دونسهسماء ومن ورائهما وأقل منهما.

مسدهسامستسان، خضراوان بسواد ، لأن الخضرة إذا اشتدت ضريت إلى السواد ، من كثرة الريّ بالماء ونحوه .

نضًا حست إن ، فوارتان بالماء ، والنضح : فوران الماء

قسية سيرات: بالتشديد: فخففت كما جاء في الحديث: «هيتون ليتون».

مقصورات في الخيام؛ مخذرات ، يقال : أموأة قصيرة ومقصورة ، أي : مخدرة ملازمة بيتها ، لا تطوف في الطرق .

قال قيس بن الأسلت:

وتكسل عن جاراتها فيزريها وبعنلٌ عن إبيانهن فتُعْلَى

ر هـــــــرف و سائد أو فرش مرتفعة .

عبيد قيري العجيب الثادر الموشِّي من البسط

تبارك اسم رهني، تعالى ، أو كثر خيره وإحسانه ، وتنزه رينا.

ذي المصحكين العظمة والاستغناء المطلق .

الإكــــرام؛ الفضل التام والإحسان.

تمهید ،

هذا وصف آخر للجنات ، يشرَّق الراغبين ويحفرهم إلى العمل ، لينالوا هذا الفضل العظيم ، وقد بينت الآيات السابقة أن ثواب الخائفين جنتان ، وهنا ذكر أن لهم ثوابا أخر مثله ، وهو جنتان أخريان .

التفسيره

٣٥، ٩٤، ٢ ٩٠ - وَمِن دُونِهِمَا جَنْتَانِ ، فَبِأَى ءَالآءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، مُدْهَامَّقَانِ ، فَبِأَى ءَالآءِ رَبُّكُمَا تُكَذَّبَانِ

تحكى الآيات نعيمًا لَمر لصنف آخر أقل درجة من السابقين ، فهاتان الجنتان لأصحاب اليعين ، والجنتان السابقتان للسابقين .

و المعنى :

وهناك جنتان أخريان دون السابقتين في المرتبة والفضيلة.

وفى الحديث: «جنتان من نهب آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ». فالأولهان للمقربين، والأعربان لأصحاب الهمين.

فَإِلَى عَالَاهِ رَبُّكُمَا تُكَلِّبَانِ . فيأى نعم ريكما تكذيان ؟

مُدْهَآمْنَانِ .

خضراوان خضرة شديدة تضرب إلى السُّواد من شدة خضرتها ، لجودة الأرض وكثرة الرى ، حتى أنُّ لون النهار يتحول إلى سواد يشبه لون الليل المقمر. سريا وجود الأرض كيف تصورر

زهر البريا فكأنينا هو مقييرً

قال الشاعر:

ياصاحبيّ تقصّيا نظريكما تاريا تهارًا مشبسًا قال شابه

لَبِأَيِّ ءَالْآءِ رَبُّكُمَا تُكَلِّبَانِ .

فهأى نعم ربكما تكذبان يا معشر الجن والإنس ؟

٣٦، ٣٧ - فِيهِمَا عَيْنَانِ نَصَّاخَتَانِ . فَبأَى ءَالْآهِ رَبُّكُمَا تُكَذَّبُانِ .

في هاتين الجنتين عينان تفوران بالماء ، والنضخ كالرشُّ فهو دون الجري .

قال البراء: العينان اللتان تجريان خير من النضاختين.

وقال مجاهد : نضاختان بالخير والبركة .

فَهَأَى عَالَآءِ رَبُّكُمَا تُكَلَّهَانِ .

فيأى نعم ريكما تكذبان ؟

٩٩،٩٨ - فِيهِمَا فَنْكِهَةٌ وَنَحْلُ وَرُمَّانٌ مِ فَيَأَى ءَالَّاهِ رَبُّكُمَا تُكَدِّبَانِ .

في الجنتين . فَلَكِهَةٌ ، وهي ما يتفكُّه به ، ويشمل جميع القواكه ، كالبلح والرُّمان ، لكنه ذكرهما للتنبيه على مزيد فضل لهما ، أو أن البلح طعام وفاكهة ، والرِّمان قاكهة ودواء .

كما قال تعالى: خَافِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ وَٱلصَّلَوَةِ ٱلْوُسْطُولِ.. (المدرة: ٢٢٨).

فنبه على الصلاة الرسطى لمزيد فضلها ، بعد أن ذكر المبلوات الخمس، والصلاة الوسطى واحدة من الصلوات الخمس.

فَيأَى ءَالآءِ رَبُّكُمَا تُكَذَّبَانِ .

بأي نعم ريكما تكذبان ؟

ونقول: لا يشيء من نعمك رينا نكذب، فلك الحمد.

٠٧٠.٧٢،٧٧،٧٠٠ فِيهِنَ حَيْرَاتٌ حِسَانٌ ءَ فَبِأَى ۚ عَالَاجٍ رَبُّكُمَا تُكَلَّبُانِ ۽ حُورٌ مُقْصُورَاتٌ فِي ٱلْعِيامِ ءِ فَبِأَى ّ عَالَاجِ زَيَّكُمَا تُكَلِّبُانِ .

في ثلك الجنات نساء خيرات الأخلاق، حسان الوجوه.

روى الحسن ، عن أمه ، عن أمّ سلمة قالت : قلت : يا رسول الله، أهيرنى عن قوله تعالى : خَيْرٌ^ن َّحِسُانٌ. قال : «هيِّرات الأُخلاق ، مسان الرجوي» .

وقال الرازى: في باطنهن الخير ، وفي ظاهرهن الحُسْن ، ورُرى أن الحور العين يُعَنِّين : نحن الخيَّرات الحسان ، خلقنا لأرواج كرام .

فَهَأَى ءَالآءِ رَبُّكُمَا تُكَذَّبَانِ.

فيأى نعم ريكما تكذبان ؟

حُورٌ مُقْصُورَاتٌ فِي ٱلْحِيَامِ.

الحَوْر شدة بهاض العين مع شدة سوادها ، أي في هذه الجنات نساء جميلات ، قصرن أنفسهن على أرى اجهن ، ملازمات لبيرتهن لا يطفن بالطرق .

روى البخارى ، عن عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال : وإن فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة. عرضها ستون ميلاً ، فى كل زاوية منها أهل ما يرون الأخرين ، يطوف عليهم المؤمنون» ٩٠١.

ورواه مسلم بلفظ: «إن للمرّمن فى الجنة لخيمة من لوّلارّة ولحدة مجوفة ، طولها ستون مهلاً ، للموّمن فيها أمل ، يطوف عليهم المرّمن فلا يرى بعضمه بعضّاء "" .

فَبِأَى ءَالآءِ رَبِّكُمَا تُكَلِّبَانِ .

فبأى نعم ريكما تكذبان ؟

٤٧،٧٤ - لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسَّ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنَّ ، فَبأَى ءَالآءِ رَبَّكُمَا تُكَذِّبَانِ.

لم يطأهن إنس ولا جان قبل أزواجهن ، فهن محفوظات لم يختلط بهن أحد قبل أزواجهن .

فَيَأَى ءَالآءِ رَبُّكُمَا تُكَدِّبَان .

فبأي نعم ريكما تكذبان ، يا معشر الجن والإنس؟

٧٦- مُشْكِينَ عَلَىٰ رَفْوَفِ مُعَثْرِ وَعَبْقُرِيٌّ حِسَانٍ.

الرفرف: الوسائد، أي مستندين على وسائد خضر من وسائد الجنة.

وَعَيْقُوىٌ حِسَالٌ ٍ.

. وطنافس ثفينة مزخرفة ، محلاة بأنواع الصُّور والزينة ،

قال في حاشية الجمل على الجلالين:

وهي نسبة إلى (عبقر) قرية بناحية اليمن ، تنسج فيها بُسط متقوشة بلغت النهاية في الحسن ، فقرُب الله لنا فرش الجنتين بتلك البسط المنقوشة .

وقال ابن كثير:

مُتَكِيْنَ عَلَىٰ رُفْرُ فَم خُصْرٍ ... يعنى: الوسائد، وقال سعيد بن جبير: الرقرف: رياض الجنة.

وقوله تعالى: وَعَبُّقُرِيٌّ حِسَّانٍ . هي بسط الجنَّة .

وقال القيسي : كل ثوب موشّى عند العرب عبقري .

٧٧ - فَبِأَى ءَالآهِ رَبُّكُمَا تُكَدِّبَانِ.

فبأى نعمة من نعم الله تعالى تكذبان يا معشر الإنس والجن ؟

٧٨ - تَبَنْزَكُ آسْمُ زَبُّكَ ذِي ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ .

تنزُّه وتقدس الله العظيم ، وكثرت خيراته ، وفاضت بركاته .

ذِي ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ.

صاحب العظمة والكبرياء ، والفضل والإنعام .

روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال : «ألِنْلُوا بيا ذا الجلال والإكرام» (١٨٨٠ .

أى: الزموا ذكره ، والإلحاح عليه .

وفي صحيح مسلم ، عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا سلّم لا يقعُد – تعنى بعد المسلاة – إلا بقدر ما يقول : «اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام، ٣٩.

في ختام سورة الرحمن

قال في التسهيل لعلوم التنزيل ما يأتي :

الجنتان المذكورتان أولا للسابقين ، والجنتان المذكورتان ثانيا لأصحاب اليمين .

وانظر كيف جعل أوصاف الجنتين الأوليين أعلى من أوصاف الجنتين اللتين بعدهما ، فقال هناك : يهِمًا عَبُنَانِ تَجْرِيَانِ .

وقال هذا : فِيهِمًا عُيَّانِ لَضَّاحَتَانِ . والجرى أشدٌ من النضخ .

وقال هذاك : فِيهِمَا مِن كُلُّ فَلْكِهَةٍ زُوْجَانِ .

وقال هذا : فِيهِمَا فَتْكِهَةٌ وَنَحْلٌ وَرُمَّانٌ . والأول أعم وأشمل .

وقال في وصف الحور هناك : كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَاتُ .

وقال هذا : فِيهِنَّ خُيْرَاتٌ حِسَانٌ . وليس كلّ حسن كحسن الياقوت والمرجان ، فالوصف هذاك أبلغ إلخ .

خلاصة ما اشتملت عليه سورة الرحمن

الله تعالى صاحب المنن العظام ، وكل ما نراه في الكون من آثار رحمته ، فهو قد خلق السماء والأرض ، والجنة والناز ، وعدّب العاصين ، وأثاب المطيعين ، وآتاهم من فضله ، ما لا عين رأت ، ولا أثن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

دعساء

اللهم إنا نسألك الجنّة وما قرّب إليها من قول وعمل ، وتعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قول وعمل ، اللهم حبّب إلينا الإيمان رزينه في قلوبنا ، وكرّه إلينا الكفّر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين، اللهم احفظ علينا سمعنا ويصرنا وسائر جوارحنا واجعله الوارث منّا ، واجعل تأرّنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبلغ علمنا.

اللهم أكرمنا بالقرآن العظيم ، وارزقنا تلاوته على النحو الذي يرضيك عنا ، اللهم اجعله لنا وليلا وإماما ، وفي القبر مؤنسا ، وعلى الصراط نورا ، وإلى الجنة هاديا ورفيقا ، اللهم اختم لنا بالإيمان والإسلام، وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى ، وعلى آله وصحيه وسلم .



أهسداف سسورة الواقعسة

سورة الراقعة مكية ، وآياتها ٩٦ آية ، نزلت بعد سورة طه

وهي سورة تصف أهوال القيامة ومشاهد الأخرة ، وتؤكد وقوع العذاب للمكذبين ، ووقوع النعيم مؤمنين .

وفي هذا اليوم تتبدل أقدار الناس ، وأوضاع الأرض ، في ظل الهول الذي يبدل القيم غير القيم .

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۚ هَ لَيْسَ لِوَلْتَعِهَا كَاذِبَةٌ ۚ هَ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ . (الواقعة : ١ – ٣) .

دلاخة أصناف

عند وقوع القيامة يرتفع شأن المؤمنين ، وينخفض قدر المكذبين ، وينقسم الناس إلى ثلاثة أصناف: السابقون المقربون ، وأصمحاب اليمين ، وأصمحاب الشمال .

السابقون المقربون

وقد فصلت الآيات (١٠ – ٢٦) ما أعد للسابقين في جنات النعيم ، فهم : عَلَيْ سُرُدٍ مُو طُوقَةٍ . (الواقعة: ١٥). مشبكة بالمعادن الثمينة ، مُشْكِينَ عَلَيْهَا مُشَلِّينَ ، (الواقعة: ١٦) . في راحة وخلو بال من الهموم والمشاغل ، ولهم في الجنة ما يشتهون من المتعة والنعيم والحور العين ، وحياتهم كلها سلام : تسلم عليهم الملائكة ، ويسلم بعضهم على بعض ، ويبلغهم السلام من الرحمن .

أصحاب اليمين

تصف الآيات (٢٧ ~ ٤٠) ما أعد لأصحاب اليمين ، فهم : في سِنْرٍ مُعَضُّودٍ . (الواقعة : ٢٨) . والسدر شجر النبق الشأتك ، ولكنه هنا مخضور شوكه ومنزوع ، وَطُلْحٍ مُنشُودٍ . (الواقعة : ٢٩) . والطلح شجر الموز ، منضود معد للتداول بلا كنَّ ولا مشقة .

يتمتع أصحاب اليمين بألوان البهجة وصنوف التكريم ، فهم في حدائق من شجر نبق لا شوك فيه ، وشجر موز منتظم الثمر ، وفي ظل منبسط ، وماء يجرى بين أيديهم كما يشاءون ، ولديهم فاكهة كثيرة الكم والأنواع ، لا تنقطع عنهم ولا يمنعون من تغاولها ، وقد أعدت لهم في الجنة أسرة عالية ظاهرة ، عليها زوجات طاهرات قد خلقن خلقاً جديدًا بتسم بالكمال والجمال ، وأنشثن إنشاء جديدًا من غير ولادة ، وقد خلقن أَبْكَأَرًا. لم يُمسسن ، غُرُبًّا ، متحببات إلى أزواجهن . أَثْرَابًا . كلهن في سن واحدة ، في ريعان الشباب وطرارة الصبا .

أصحاب الشمال

تصف الآيات (٤١ - ٥٧) ما أُعد لأصحاب الشمال ، فهم في : سَمُوم . وهو هواء ساهن ينفذ إلى المسام ويشوى الأجسام ، وَحَيِيم ، ماء متناو في الحرارة ، وَظِلُّ مِّن يَحْمُوم . (الواقدة : ٤٢) . ظل من دخان أسود ساخن ، لا بارد كسائر الظلال ، ولا كريم ينتفع به لأنهم كفروا بالله وانفعسوا في الشهوات ، وأنكروا اللهذاء .

آبات القدرة الإلهية

تعرض الآيات (٥٨ – ٧٤) آثار القدرة الإلهية المبدعة ، وتحرك قلوب المشاهدين لينظروا في أصل هلقتهم ، وفي زرعهم الذي تزاوله أيديهم ، وفي الماء الذي يشربون ، وفي النار التي يوقدون .

وهي طريقة فذة للقرآن حين يلفت نظر الإنسان إلى أبسط مظاهر الحياة ومشاهدها : ليبنى له أضخم عقيدة دينية ، وأوسع تصور كرنى . هذه المشاهدات التى تدخل فى تجارب كل إنسان : النسل والزرح والماء والنار ، فأى إنسان على ظهر هذه الأرض لم تدخل هذه المشاهدات فى تجاريه ؟

من هذه المشاهدات البسيطة السائجة ، ينشئ القرآن العقيدة لأنه يخاطب كل إنسان في بيئته .

وهذه المشاهدات البسيطة هي بذاتها أضخم الحقائق الكونية وأعظم الأسرار الربانية.

نشأة الحياة الإنسانية .. وهي سر الأسرار.

نشأة الحياة النباتية .. معجزة كذلك ، الماء أصل الحياة ، النار المعجزة التي صنعت الحضارة الإنسانية .

أَقْرَ عَيْتُم مَّا تُمْنُونَ م عَأَنتُمْ تَخْلُقُونَكُرْ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَلِقُونَ . (الواقعة : ٥٨، ٥٩).

وإن دور البش في أمر هذا الخلق لا يزيد على أن يُريرع الرجل ما يمنى رحم المرأة ثم ينقطع عملاً وعملها ، وتأخذ يد القدرة في العمل وحدها في هذا الماء المهين ، تعمل وحدها في خلقه وتنميته ويناء هيكله ونفخ الروح فيه ، ومنذ اللحظة الأولى وفي كل لحظة تالية تتم المعجزة وتقع الخارقة التي لا يصنعها إلا إلله ، والتي لا يدرى البشر كنهها وطبيعتها ، كما لا يعرفون كيف تقع ، بله أن يشاركوا فيها». (١٠)

الزرع والماء والنار

يتابع القرآن طرقاته على القلب البشرى ليتأمل ، ويخاطب النفوس الإنسانية ليرشدها إلى مواطن القدرة فيما بين يديها .

قهذا الزرع الذي ينبت ويؤتى ثماره .. ما دورهم فيه ؟ إنهم يحرثون ويُلقون الحَبُّ والبذور التيّ منعها الله .. ثم تصير الحبة في طريقها للنمو سير العاقل العارف الخبير بمراحل الطريق ، الذي لا يخطئ ولا يضل .

إن يد القدرة التي تتولى خطاها على طول الطريق ، فإذا العبة عود أخضر ناضر ، وإذا النواة نخلة كاملة سامقة مثمرة .

ويتابع القرآن لمساته لاستثارة التفكير والتأمل، فيناقش المخاطبين:

أَفَرَ عَيْتُمُ ٱلْمَاءَ ٱلَّذِي تَشْرَبُونَ * عَأَلَعُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُوْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزلُونَ . (الواقعة : ١٦٠ ، ٦٨) .

أى: أخبرونى أيها المنكرون الجاحدون عن الماء العذب الذي تشربونه ، هل فكرتم وتدبرتم من الذي صعده من الهحار والمحيطات ، وجعله بخارًا ثم سحابًا متراكمًا ، ثم صيره ماء عذبًا فراتًا ؟

ولو شأه الله لجعل ذلك الماء ملحًا مرًّا لا يُحيى الزرع ولا الضرع ، ولا يُستساغ لمرارته ، فهلا تشكرون ربكم على إنزال المطر عذبًا زلالا ساتفًا لشرابكم أنتم وأنعامكم وزرعكم .

ثم يذكرهم بنعمة النار التي يوقدونها ، من الذي أنبت شجرتها الغضراء من الأرض ، وأودع في الشجرة العناصر الأولية القابلة للاشتعال ، لقد جعل الله النار في الدنيا تذكرة للناس بنار الآخرة ، وَمَسَنَّعًا للمُقْوِينَ . (الواقعة : ٧٧) . أي : نزه الله وانسب إليه العلمية القدرة والخافق والإبداع ، فهو الإله العلمي القدير .

مواقع النجوم

وفي الآيات (٧٥ -- ٨٠) نلمس سمو القرآن وطهارته وعلو شأنه ومنزلته.

وقد مهدت الآيات ببيان آثار القدرة في خلق النجوم وتحديد أماكنها وتنظيم سيرها ، بحيث لا يصطدم نجم بآخر.

قال تعالى: فَلاَّ أَقْسِمُ بِمَوَا قِع ٱلنُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعَلَّمُونَ عَظِيمٌ وإِنَّهُ لَقُوْءَانٌ كَرِيمٌ . (الواقعة: ٧٥ – ٧٧).

«ويقول الفلكيون: إن من هذه النجوم والكراكب التى تزيد على عدة بلايين نجم ، ما يمكن رئيته بالمين المجردة ، وما لا يرى إلا بالمجاهر والأجهزة ، وما يمكن أن تحس به الأجهزة دون أن تراه ، هذه كلها تسبح فى الفلك الفامض ، ولا يوجد أى احتمال أن يقترب مجال مغناطيسى لنجم من مجال نجم آخر أن يصطدم يكركب آخر إلا كما يحتمل تصادم مركب فى البحر الأبيض المتوسط بآخر فى المحيط الهادى يسيران فى اتجاه واحد وبسرعة ولحدة ، وهو احتمال بعيد وبعيد جدًّا ، إن لم يكن مستحيلاً ".("").

إِنَّهُ, لَقُوْءَانٌ كَرِيمٌ .

ولیس کما تدعون قول کاهن ولا قول مجنون ولا مفتری علی الله من أساطیر الأولین ، ولا تنزلت به الشهاطین .. إلی آخر هذه الأقاویل ، إنما هو قرآن کریم ، کریم بمصدره ، وکریم بذاته ، وکریم باتجاهاته ، کریم علی الله ، کریم علی الملائکة ، کریم علی المؤمنین .

لَّا يَهَمُّهُ رَ إِلَّا ٱلْمُعَلَّمُ وَنَ . (الواقعة : ٧٩) . من دنس الشرك والنفاق ، ودنس الفواحش ، أى : لا تصل أنوار القرآن ويركاته وهدايته إلا إلى القلوب الطاهرة .

ورُوي عن على رضى الله عنه ، وإبن مسعود ، ومالك ، والشاقعي ، أن المعنى : لا يمسه من كان على حنامة أه هدث أو حدث .

ورُوي عن ابن عباس ، والشعبي ، وجماعةِ منهم أبو حنيفة : أن المصحف أو بعضه يجوز للمحدث مسه ، ويخاصة للدرس والتعليم⁽¹⁹⁾ .

نهاية الحياة

فى الآيات (٨١ – ٩٦) نجد الإيقاع الأخير فى السورة .. لحظة الموت ، اللمسة التى ترتجف لها الأوصال ، واللحظة التى تنهى كل جدال ، واللحظة التى يقف فيها الحى بين نهاية طريق ويداية طريق ، حيث لا يملك الرجوع ولا يملك التكوص : فَلُوْ لاَ إِذَا إِنْهُتِ آلْخُلُقُومَ وَ أَلْتُمْ حِيْئِلٍ لَنَظْرُونَ ، (الواقعة: ٥٨٠ ، ٨٥).

وإننا لنكاد نسمع صوت الحشرجة ، ونبصر تقبض الملامع ، ونحس الكرب والضيق من خلال قوله
تعالى : فَلَوْلاً إِذَا بَلَقَتِ ٱلْحُلْقُومُ ، كما نكاد نبصر نظرة العجز وذهول اليأس في ملامع الحاضرين من خلال
قوله تعالى : وَأَلْتُمْ حِيْفِلْ تَعْفُرُونَ . هنا في هذه اللحظة وقد فرغت الروح من أمر الدنيا ، وخلفت وراءها
الأرض وما فيها ، وهي تستقبل عالمًا لا عهد لها به ولا تملك من أمره شيئًا إلا ما الخرت من عمل ، وما
كسبت من خير أو شر .

فإن كان الميت المحتضر من السابقين في الإيمان فروحه ترى علائم النعيم الذي ينتثارها : فَرُوحٌ وَرَيُحَانٌ وَجَنَّتُ أَعِيم . (الوالعة : ٨٩) .

وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصَّحُب ٱلْهِينِ . (الواقعة: ٩٠) . وهم دون المقريين السابقين في المنزلة والدرجة ، فإن الملائكة تبلغه السلام من الله ومن الملائكة ومن أقرانه أصحاب اليمين .

وُ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ ٱلْمُكَلِّينَ ٱلطَّنَائِينَ . (الواقعة: ٩٧) . ففزله عندنا ذلك الحميم الساخن والماء الحار وعذاب الجميم .

ثم تختم السورة في إيقاع عميق رزين ، يفيد أن ما قمَّه الله في هذه السورة حق ثابت ، ويقين صادق لا نثك فبه .

إِنَّ هَلْمَا لَهُوَ حَقُّ ٱلَّقِينِ . (الواقعة ٥٠) . فاتجه لله بالتسبيح والتعظيم . فَسَبَّحُ بآسُم رَبَّكَ ٱلْعَظيم . (الواقعة : ١٩).

الأطكار العامة للسورة

قال الفيروزبادى:

معظم مقصود السورة هو : ظهور واقعة القيامة ، وأصناف الخاق بالإضافة إلى العذاب والعقوبة ، ويبيان حال السابقين بالطاعة ، ويبيان حال قوم يكونون متوسطين بين أهل الطاعة وأهل المعصية ، وذكر حال السابقين بالشمال ، والغرقى في بحر الهلاك ، ويرهان البعث من ابتداء الخلقة ، ويدلي الحشر والنشر من الحرث والزرع ، وحديث الماء والذار وما في ضمنهما من التعمة والمنة ، ومس المصحف وقراءته في حالة الحرث والزرع ، وحديث الماء والذار وما في ضمنهما من التعمة والمنة ، ومس المصحف وقراءته في حالة الحارة ، وحال المتوفى في ساعة السكرة ، وذكر قوم بالبشارة وقوم بالخسارة ، والشهادة للمق سبحانه بالكبرياء والعظمة ٢٠٠ بقوله : أَفْرَعُتُم مَّا تَعْمُونَ . (الواقعة : ٥٨)

بدأ بذكر خلق الإنسان ، ثم بما لا غنى له عنه وهو الحَبُ الذي منه قوته وقُوِّته ، ثم الماء الذي منه سوغه وعجنه ، ثم النار التي بها نضحه وصلاحه (*

فضل السورة

عن عبد الله بن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة آداء (١٠٠).

قيام القيامة ، وأصناف الناس

﴿ إِذَا وَقَمَتِ ٱلْوَاقِمَةُ ۞ لَتَسَ لِوَقَعَنِهَ كَاوَبَةً ۞ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۞ إِذَا رُحَتِ ٱلْأَرْضُ رَجًا ۞ وَلُسَّتِ ٱلْحِبَ الْبَسَّا۞ فَكَانَ هَبَاءُ مُنْلِنًا۞ وَكُنتُمُ ٱزْوَجَا ثَلَنْكُ ۞ فَأَصْحَتُ المَسْتَدَةِ مَا أَصْحَتُ ٱلْمَسْتَدَةِ مَا أَصْحَتُ ٱلْمَسْتَدَةِ ۞ وَالسَّنِيقُونَ المَسْتِيدِ ۞ ﴾ السَّيقِةُ وَ السَّنِيقُونَ ۞ فِ جَنَّتِ النَّيدِ ۞ ﴾

المطردات ا

وقسعت السواقسعسة : حدثت وقامت القيامة .

الله المناه المناه عنه المناه المناه

ع اهش الاراف عالم عالم الأقوام ، رافعة لأخرين .

رُح بين و مُركت تحريكًا شريدًا ، بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل .

أزواج _____ ؛ أصنافًا وأنواعًا ، أو فرقًا .

المسيم منه المنية اليمين ، والمراد: أصحاب المرتبة السنية رفيعة القدر.

السمشمامية : تاحية الشمال ، والمراد : أصحاب الثار .

الساب قسون ، هم الذين سبقوا إلى الخيرات في الدنيا .

المعترب ون : أرباب الحظوة والكرامة عند ربهم .

تمهید ،

تتحدث سورة الواقعة عن القهامة وأموالها ، وتصف ذلك اليوم الرهيب الذي تُرجَّ قيه الأرض وتزائرل، وتُبسُ للجبال وتصبح ترابًا منثورًا ، هباءً منبثًا ، وينقسم الناس إلى ثلاثة أقسام : أهل الحين : وهؤلاء أصحاب الجنة ، وأهل الشمال : وهؤلاء أصحاب النار ، والسابقون : وهم السابقون من كل أمة إلى الصلاة والجهاد وسائر الخيرات ، ومن السابقين الأنبياء والصالحون والمجاهدون .

وتبيّن السورة عجائب قدرة الله في خلق الإنسان ، وإنبات النبات ، وتسيير السحاب ونزول المطر، و تيسير النار للاستفادة بها في الإقامة والأسفار .

وفي آخر السورة نجد قسمًا بمواقع النجوم ، على أن القرآن كلام الله ، واستحضار مشاهد الاحتضار، ويلوغ الروح الحُلُقرم ، ثم جزاء أصحاب اليمين بالجنة ، وأصحاب الشمال بالنار ، والسابقين المقريين بالمنازل العالية في الجنة .

التفسيره

٢،١ – إذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ . لَيْسَ لِوَقَعَتِهَا كَاذِبَةً .

تفتتح السورة مذا الافتتاح الرهيب الذي يعبر عن هول القيامة ، وتسمى الواقعة لتحقق وقوعها لا مجالة ، كما قال سيحانه وتعالى : تُهُوْمَيْك وَقَصَبْ ٱلْوَالْهَةُ . (الماقة : ١٠) .

ومِنْ أسماء الثيّامة : القارعة ، والحاقة ، والأَرْفة ، والمساخّة ، والساعة ، وكلها تثلاقي على أن في هذا الدم هه لاً عظمًا .

فهى تسمى (القيامة) لأن الناس تقرم من القبور للحساب: يُوْمَ يَقُومُ ٱلثَّاسُ لِرَبِّ ٱلْفَلْمُوسُ . (المطنفين: ١٠). وتسمى (الحاقة) لأن مجينها حق مؤكد.

وتسمى (الآزفة) لأن مجيئها قريب آزف.

قال تعالى : وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰۤ أَن يَكُونَ قَرِيبًا . (الإسراء: ٥١) .

وقال تعالى : أَزْفَتِ ٱلْآزَفَةُ ، لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ . (النجم: ٥٨ ، ٥٥) .

وتسمى (الصاخح) لأنها تصحُّ الآذان بأهوالها ، والصاحّة نوع من العذاب ، أو مقدمة للعذاب ، وكذلك القيامة بالنسبة للكافرين .

وفي القيامة أصناف تَظُلُّ في ظلَّ عرش الله يوم لا ظل إلا ظله ، وهناك الأمنون المطمئنون يوم الفزع الأكبر ، لا يضافون إذا خاف الناس ، بل هم آمنون مطمئنون لفضل الله الكريم ، وجزائه العظيم .

وقد حُدُف الجواب لتذهب النفس في تصوّره كل مذهب ، أن أن الجواب معروف مما ذكر بعد ذلك ، من قوله تعالى : عَالِيضَةُ رَافِقَةً .

و المعنى

إذا قامت القيامة ووقعت الواقعة الكبرى ، فذلك حق لا شك فيه ولا مراء ، ولا توجد نفس كاذبة منكرة لها ، كما كان ذلك في الدنيا ، بل هو اليقين بأن وعد الله قد تحقق وتأيّد .

٣ - خَالِطَةٌ رَّالِعَةٌ .

تخفض أقوامًا وترفع آغرين ، فالكافرون والمجرمون ، والعصاة والظالمون ، وأهل الباطل والعلو في الأرض بغير المق ، وأمثالهم ، يخفض الله أقدارهم ، حيث يدخلهم جهنم ، فيجدون فيها المذلَّة والمهانة ، وألوان الخذاب .

أما المؤمنون والسابقون ، والمجاهدون والصالحون ، فيرفع الله أقدارهم ، ويدخلهم الجنة .

وقيل: خَالِهِمُةٌ رَّافِهَةٌ أَى: تزازل الأشياء، وتزيلها من أماكنها، فتنشقُ السماء، وتتناثر الكراكب، وتسير الجبال فقمرٌ في الجو مرَّ السحاب، كما قال سبحانه في شأن قوم لوط: جَعَلَنا عَلَيْهَا سَافِلُهَا ... (مود: ٨٨).

والخلاصة : أن الرفع والخفض إما معنويًّا وإمًّا حسيًّا .

٤ - إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا.

وهذا أيضًا يمثل أهوال القيامة ، حيث تضطرب الأرض وتتحرك حركة شديدة .

قال تعالى : إِذَا زُلْوِلْتَ ٱلْأَرْضُ زِلْوَالَهَا هَ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ ٱلْقَالَهَا هَ وَقَالُ ٱلْإِنسَسْنُ مَا لَهَا . (الزازلة : ١ - ٣) . غلى يوم القيامة تنشق الأرض ، وتخرج ما في جوفها .

ه - وَبُسَّتِ ٱلْحِبَالُ بَسًا .

تفتتت الجبال وصارت قطعًا متكسرة ، ومنه قولهم : بسَّ فلان السويق ، إذا فتُّته ولتُّه وهيأه للأكل .

٣ - فَكَانَتْ هَيَآءُ مُنْكِفًا .

أي : صارت غبارًا منتشرًا في الجوّ ، كالهباء الذي يطير من النار ، أو الذي ذرَّته الربح وبثته .

وقد ورد في القرآن أن الجبال تقتلع من أماكنها ، وتُسير وتصير كالعهن المنفوش ، أي الصُّوف الهش المفيف الذي مو أقرب إلى الهباء المتنافر.

قال تعالى : يَوْمَ تَرْجُفُ آلَأُرْضُ وَٱلْحِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْحِبَالُ كَثِيبًا مُّهِيلًا . (المزمل : ١٤).

وقال عز شأنه: وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا . (النبأ: ٢٠).

قال ابن كثير:

وهذه الآية كأخواتها ، دالة على زوال الجبال من أماكنها يوم القيامة ، وذهابها وتسييرها ونسقها، أي قلعها ، اه.

وكل هذه الآيات تصف أهوال القيامة، وتطرق القلوب حتى تلين وتخشع ، وتسارع إلى العمل المسالح الذي يرفم أقدار المتقين ، وتتجنب العمل الطالح الذي يخفض أقدار العاصين لرب العالمين .

٧ - وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاغَةً .

ينقسم الأولون والآخرون إلى ثلاث قرق ، أو أصناف أو أزواج متشابهة :

الفرقة الأولى: أهل اليمين: وهم أغلب أهل الجنة، وهم عن يمين عرش الرحمن.

القرقة الثانية: أهل الشمال: وهم أهل التار.

الفرقة الثاثنة: أهل السبق والمسارعة إلى امتثال أمر الله: وهم أهل الدرجات العلى في الجنة.

قال ميمون بن مهران : اثنان في الجنة ، وواحد في النار .

ثم فصلهم القرآن فقال:

٨ - فَأَصْحَلْ ٱلْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَلْ ٱلْمَيْمَنَةِ .

أصحاب اليمين ، هل علمت شأنهم وسرورهم وفوزهم ؟ فالاستفهام في قوله : مَا أَصُحَبُ ٱلْمُبْتَةِ
يراد به التفخيم والتعظيم والتعجيب من حالهم ، فهم عن يمين العرش ، أو هم من أخذوا كتابهم باليمين
أو هم أهل البُمْن والفوز لأنهم أدوا حق الله عليهم ، ففازوا بالجنة والرضوان يوم الفزع الأكبر.

٩ - وَأَصْحَلِبُ ٱلْمُشْتَعَةِ مَا أَصْحَلَبُ ٱلْمُشْتَعَةِ .

وأصحاب الشمال الذين أخذوا كتابهم بالشمال ، ما أهول عذابهم ، وما أقبح مصيرهم ، وما أفظع مآلهم .

وجملة : مَا أَصْحُلُبُ ٱلْمُشْتَعَةِ . استفهام يراد به التهويل والتعجيب من ألوان العذاب التي وضعوا أنفسهم فيها .

وقريب من ذلك قوله تعالى : ٱلْحَالَقَةُ ه مَا ٱلْحَالَقَةُ ((الحاقة: ٢٠١) . وقوله تعالى : ٱلْفَارِعَةُ ه مَا ٱلْفَارَعَةُ (القارعة: ٢٠١).

قال الآلوسي:

والمقصود التفخيم في الأول ، والتفظيم في الثانى ، وتعجيب السامع من شأن الغريقين في الغخامة والفظاعة ، كأنه قيل : فأصحاب الميمنة في غاية حسن الحال ، وأصحاب المشأمة في غاية سوء الحال .

١٠ - وَٱلسَّلْمَةُونَ ٱلسَّلْمَقُونَ .

هذا هو الصنف الثالث من الأصناف الثلاثة ، ولعل تتأخيرهم في الذكر – مع أنهم أسبق في الفضل – ليتيم ذكرهم بالحديث عن جزائهم .

' أ) قيل: هم أتباع الرسل الذين سبقوا إلى الإيمان بالله وطاعة رسله بدون تلعثم.

(ب) وقيل : هم السابقون إلى الهجرة والصلوات والجهاد ، أو هم أهل القرآن .

(چ.) وقيل: هم «الذين إذا أعطوا الحق قبلوه ، وإذا سُؤلُوه بذلوه ، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم» ، كما
 وريد ذلك في وصفهم عن النبي ﷺ .

(د) وقيل: هم المسارعون إلى كل ما دعا الله إليه.

قال ابن كثير:

وهذه الأقوال كلها صحيحة ، فإن المراد بالسابقين : هم المبادرون إلى فعل الغيرات كما أمروا ، كم'

قال تعالى : وَسَارِعُوا ۚ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن زَّيِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَاوَاتُ وَٱلْأَرْضُ ... (ال عمران : ١٣٣) .

وقال تعالى : سَائِقُوٓا ۚ إِلَىٰ مَفْفِرَةٍ مِّن رَّبُّكُمْ وَجُنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ... (المديد: ٢١).

قمن سابق في هذه الدنيا وسيق إلى الخير ، كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة ، فإن الجزاء من جنس العمل ، وكما تدين تدان ، ا هـ ٢٠٠١ .

١١ - أُوْلَنْهَكَ ٱلْمُقَرِّبُونَ .

هرّلاء السابقون هم المقربون إلى الله تعالى ، وهم في قريه ومعيته ، ورضواته وفضله ورعايته ، أو الذين قُرُيت إلى العرش العظيم درجاتهم .

١٢ - في جَنَّلتِ ٱلنَّعِيمِ.

أى: هم في جنات الخلد يتنعمون فيها ، أي أن لهم فضلاً ونعيمًا معنويًا يقربهم من الله ، وهذه منزلة سامية علها ، ولهم نميم حسَّى بتمتعهم بجنات النعيم .

من تفسير ابن كثير

قال ابن أبي حاتم : قالت الملائكة : يا رب جعلت لبنى آدم الدنيا ، فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون، فاجعل لنا الأخرة ، فقال : لا أفعل ، فراجعوا ثلاثًا ، فقال : لا أجعل من خلقت بيدئ كمن قلت له كُن فكان، ثم قرأ عبد الله: وَالسَّـْهُونُ السَّـِّهُونُ ، وَأَرْلَئِكُ ٱلْمُقْرِّرُونَ ، فِي جَنَّـتِ الشِّجِيمِ .

رواه ابن أبي حاتم ، عن عبد الله بن عمرو موقوفًا .

من التفسير المنير

يكون الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف:

أصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال ، والسابقون .

أصحاب اليمين: هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة ، ويعطون كتبهم بأيمانهم .

وأصحاب المشأمة : هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى الذار ، ويعطون كتبهم بشمائلهم .

والسابقون : وهم الأنبياء والمرسلون ، والمجاهدون والحكام العدول ، الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة ، والجهاد والتوية ، والقضاء بالحق ، وهم المقربون بين يدى الله تعالى (^(۱۱)

وهذه القسمة كقوله تعالى: قَمِنْهُمْ طَالِمٌ لّنفُسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَعِبِدَّ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ ۖ بِٱلْخَيْرَاتِ ... (داطر: ٣٢).

صفة نعيم السابقين

﴿ نُلَةً يَنَ الْأَوَّايِنَ ۞ وَقَلِلُّ مِنَ الْآخِرِينَ ۞ عَلَى مُرُرِةً وَضُونَةٍ ۞ مُُقَكِمِينَ عَلَهُمُ ا مُتَقَاحِلِينَ ۞ عَلُوفُ عَلَيْمٍ وَلِدَنَّ هُلَدُونَ ۞ وَالْجَرِينَ وَقَامِرِينَ وَقَامِرِينَ مَعِينِ ۞ لَايُصُدَّعُونَ عَنْهَ وَلَا يُعْرِفُونَ ۞ وَفَكِمُهُ وَمِثَا يَشَخَبُرُونَ ۞ وَلَدِيمُ الْمَرْمَةَ الشَّهُونَ وَحُورُ عِنْ ۞ كَأَمْنَا إِلَّالُّهُ إِلَّا لَكُنُونِ۞ جَزَّدَا يُهَا كَاوَالِمَسْلُونَ ۞ لَاَيْسَمُونَ فِهَا الفَوْا وَلَا تَأْيُما ۞ إِلَّا فِيلَاسَلَمُنَا اللَّهُ اللَّهِ الْمَكْنُونِ۞ جَزَّدَا يُهَا كَاوَالِمَسْلُونَ ۞ لاَيْسَمُونَ فِهَا الفَوْا وَلا اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الله

المفردات:

المسلم الثلة الجماعة قلت أو كثرت، وقال الزمخشرى: هم أمة من الناس كثيرة.

الأولــــيـــن ؛ الأمم الماضية قبل الرسول ﷺ ، أو الأولين من صدر أمة محمد ﷺ .

الأخسريسين، أمة محمد ﷺ، أو المتأخرين منهم.

مصوضعونسمة ، من الوضن وهو النسج ، أي : منسوجة بالذهب بإحكام .

ينطوف عليهم ، يدور عليهم للخدمة .

المسولسمان: الصبيان ، جمع ولد .

م خام من على صفتهم ، لا يهرمون كأولاد الدنيا .

اكسيسواب، أنية لأعرى لها ولا خراطيم.

أب الياب ق ، واحدها إبريق ، وهو إناء له عروة (مقبض يمسك منه) وخرطوم .

قال عدى بن الرِّقاع:

ودَعَوا بالصبوح يومًا فجاءت به قينة في يمينها إبريق

كأس من معين: خمر جارية من العيون ، والمراد أنها لم تعصر كخمر الدنيا .

لا يصدعون عنها ، لا يحصل لهم صداع بسببها ، كما يحدث ذلك من خمر الدنيا .

والايستسرفسون الاتذهب عقولهم بسببها .

وحسور عسيسن ، ونساء بيض ، وإسعات الأعين حسانها .

اللؤلؤ المكنون: اللؤلؤ المستور المصون في صدفه.

السيف وا، فاحدًا أو ساقطًا من القول.

السائسيسمساء حديثًا قبيمًا يأثم قائله .

تمهيده

تتحدث الآيات عن النعيم الذي يتمتع به السابقون ، وأهم نعيم هو القرب من الله جل جلاله ، وتفضيل ذلك فيما أعده لهم في الجنة من الأسرة والولدان والطعام والشراب والنساء ، والأحاديث الخائية من اللغو والفحش والإثم ، مع إفشاء السلام بينهم .

التفسير،

١٤، ١٣ - ثُلَّةً مَّنَ ٱلْأَوْلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ .

إن السابقين المقريدن إلى الله هم جماعة كليرة من السابقين من الأمم، من عهد آنم إلى محمد ﷺ، الذين اتبعوا أنبياءهم واقتربوا منهم ، وجاهدوا في سبيل تبليخ دعوتهم ، أو الأنبياء ومن سارع إلى تصديقهم والجهاد معهم .

وَ قَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ .

أى: المؤمنون السابقون من أمة محمد ﷺ تليل بالنسبة لمن سبق من الأمم ، وذلك لكثرة الأمم التي سبقت أمة الإسلام .

قال تعالى : وَكُمْ أَهْلَكُنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ... (الإسراء: ١٧) . .

لقد أرسلنا عددًا كبيرًا من الرسل من بعد نوح ، منهم من قصصنا عليك يا محمد ، ومنهم من لم نقصص عليك .

وقد رجح الإمام ابن جرير الطبرى هذا الرأى ، ولكن الإمام ابن كثير رأى أن هذا الرأى ضعيف.

ثم قال ابن كثير:

لأن هذه الأمة الإسلامية هي خير الأمم بنص القرآن ، فالقول الراجح أن يكون المواد بقوله تعالى فُلْدُ مِّنَ ٱلْأُوْلِينَ . أي : من صدر الأمة الإسلامية ، والمراد بقوله تعالى : وُقُلِيلٌ مَنَ ٱلْآخِرِينَ . أي : من هذه الأمة.

روى عن الحسن أنه قرأ هذه الآية : وَٱلسَّلْهُونَ ٱلسَّلْهُونَ م أُولَلْنِكَ ٱلْمُقَرِّبُونَ .

فقال: أمًّا السابقون فقد مضوا، ولكن اللهم اجعلنا من أصحاب اليمين.

وعن محمد بن سيرين أنه قال في هذه الآية : ثُلُّةٌ مَنَّ ٱلْأَرِّينَ و رَقَلِيلٌ مَنَّ ٱلْأَخِرِينَ . قال : كانوا يقولون أو يرجون أن يكرنوا كلهم من هذه الأمة ، فهذا قول الحسن وابن سيرين أن الجميع من هذه الأمة ١٩٩]

وقد ثبت في الصحاح أن رسول الله ﷺ قال : «خير اِلقرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم» ٩٠ (اهرجه الشيفان) .

وقال ﷺ: «لا تزال طائفةٌ من أمتى ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة» . وفي لفظ: «حتى يأتي أمر الله تعالى وهم كذلك» (١٠٠٠.

ورأى بعض المفسرين أن أوّل كل أمة خير من آخرها ، فيحتمل أن تعمّ الآية جميع الأمم ، كل أمة بحسبها .

وجاء في حاشية الجمل:

وعبارة الخازن : وذلك لأن الذين عاينوا جميع الأنبياء وصدّقوهم من الأمم الماضية ، أكثر من الذين عاينوا النبي ﷺ وآمنوا به . ا هـ . ١٥، ١٩ - عَلَىٰ شُرُر مُّوْطُولَةٍ ، مُّتَكِينَ عَلَيْهَا مُتَقَلَبلِينَ .

من نعيم السابقين أنهم يستقرّين في الجنة ، حال كونهم على أسرّة منسوبة بغيرط الذهب ، مشبكة بالدرّ والياقوت والزيرجد ، مستقرّين على السرر متكنين عليها ، متقابلين مواجهة لا يرى بعضهم قفا بعض،، فهم في نعيم وسرور ، وصفاء وجبور ، لا يملّين ولا يكسلون ، ولا يتخاصمون ولا يتشاحنون .

١٧ ، ١٨ ، ١٩ – يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانُ شُخَلُدُونَ ، بِأَكُوْابِ وَٱبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مُعِينٍ ، لا يُصَدُّحُونَ عَلَهُا وَلاَ يُولُونَ .

يطوف على السابقين المقرِّبين من أهل الجنة ولدان يخدمونهم في غضاضة الصبا ، لا يشيبون ولا يهرون ، بل هم باقون على طراوة الصبية ، لا يتحولون عن ذلك ، وإلا فكل أهل الجنة مخلَّد لا يموت ، تحمل هذه الصبية في يديها أقداحًا مستديرة الأفواه ، لا أذان لها ، ولا غرّى ولا غراطيم ، وأباريق ذات عرى وخراطيم ، ويحملون كرُوسًا مترعة من خمر الجنة الجارية من البنابيع والعيون ، ولا تعصر عصرًا كغمر الدنيا ، فهي صافية نقية ، لا تتصد ع رؤيسهم من شربها ، ولا يسكرون منها فتذهب عقولهم .

قالُ ابن عباس : في الخمر أربع خصال : السُّكر ، والصداع ، والقيء ، والبول ، فذكر الله تعالى خمر . الجنة ونزُّهها عن هذه الخصال . ا هـ.

فخمر الجنة لذةً بلا ألم ولا سكر، بخلاف شراب الدنيا.

وقوله تعالى: لا يُصَدِّعُونَ عَنْهَا ... لبيان نفى الضرر عن الأجسام .

وقوله تعالى: وَلاَ يُنزِأُونَ . لبيان نفى الضرر عن العقول .

، ٢ ، ٢ ٩ - وَ فَلْكَهَة مَّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ، وَلَحْم طَيْر مَّمَّا يَشْتَهُونَ .

يجدرن في الجنة طائفة من الفواكه ، يتخيرون منها ما يُعجبهم أو ما يفضّلونه عن غيرُه ، فهم يختارون ويتخيّرون أحسن الفواكه.

قال ابن كثير:

وفيه دليل على جواز تخير الفاكهة في الدنيا وانتقاء الأنسب.

وَلَحْمُ طُّيرٍ مُمَّا يُضْتَهُونَ . يجدون في الجنة لحوم الطير التي يشتهونها ، وهذا التقديم من الولدان المخلّدين لمزيد التكريم للسابقين المقربين ، وإلا فقد جاء في الأصاديث والآثار أن فاكهة الجنة ينالها القائم والقاعد والنائم ، وأن الغصون تقترب من أهل الجنة ليقطفوا منها ما يشاءون ، قال تعالى : قُطُولُهُا دَالِهٌ . (الحافة: ٢٢) . والرجل من أهل الجنة إذا اشتهى الطير وقع الطير أمامه مشويًّا ، والتقديم لمزيد من التكريم .

وتقديم الفاكهة على اللحم لأن أكلهم للتفكّه والتلذذ ، لا للجوع كحال أهل الدنيا ، فإن حاجة الجائع في الدنيا إلى اللحم أشد من حاجته إلى الفاكهة .

قال في التفسير المنير : والحكمة في تقديم الفاكهة على اللحم أنها ألطف ، وأسرع انحدارًا ، وأيسر هضمًا ، وأصح وليًّا ، وأكثر تحريكًا لشهوة الأكل ، وتهيئة النفس للطعام . ا هـ .

٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ – وَحُورٌ عِينٌ ﴿ كَأَمْضَلِ ٱللَّؤُلُو ٱلْمَكَّنُونِ ﴿ جَزَآءً لِهَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ .

ولهم في الجنة خُورٌ . بيض . عِينٌ . مع شدة سَواد العين وشدة بياضها ، وواسعات الأعين حسانها ، مثل أنواح اللآلئ المكنونة المحفوظة في صدفتها للمحافظة على صفاء لونها ، ويهجتها وبياضها .

قال تعالى في آية أخرى : كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكُنُونٌ . (المسافات : ٤٩).

جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ .

إن هذا النعيم المعنوى الذي يتحقق بقربهم من ربهم ، والنعيم الحسى الذي يتحقق بالنعيم في الجنة والأسرة والولدان ، والأكراب والأباريق والشعر ، والفاكهة ولحم الطير ، والحور العين المحفوظة لهم ، هذا النعيم المتنوع في التكريم هو الجزاء الحسن على أعمال صالحة قدّموها في الدنيا ، كما قال تعالى : مَلْ جَزّاءً الأحسّن إلا الإحسّن ، (الرحمن : ١٠).

٢٥ ، ٢٩ - لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَقُوا وَلاَ تَأْلِيمًا ﴿ إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا .

إنهم يعيشون في وسط اجتماعي نظيف ، فليس في أحاديث أهل الجنة ، فعو . باطل . وُلا تأتيم . ولا أحاديث تؤدي إلى ارتكاب الإثم والكنب ، هم ذاكرون لله تمتمًا وأنشا به ، ليس في أحاديثهم ما لا فائدة فيه من اللغو، وليس في أحاديثهم الكذب أو الغيبة أو النميمة أو أي باطل من الكلام .

إِلَّا قِيلاً سَلَنْمًا سَلَنْمًا .

أى: إلا أنهم يسلمون على بعض ، أو يردُّون السلام على الآخرين ، فالملائكة تسلّم عليهم ، والله تعالى يحييهم بالسلام ، وهم يحيون بعضهم بالسلام ، فأنعم بها من حياة ، فيها السلام والأمان ، والتحية والإكرام . قال تعالى: لَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقُوْنَهُ, سَلَمْ وَأَعَدُ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا . (الأحزاب: ٤٤).

وقال سبحانه وتعالى : وَٱلْفَكَتَيْكَةُ يَدُخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابِرِه سَلَنمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرُكُمْ فَيَعْمُ عَلَيْنَ ٱلْدَّارِ . (الرعد: ۲۲، ۲۷) .

اللهم اجعلنا مع السابقين المقرّبين ، واجعلنا معهم في عليين ، اللهم الطف بنا واهدنا وأرضنا وأغفنا ووفقنا ، وآثرنا ولا ترثر علينا ، اللهم عامانا واعف عنا ، اللهم إنا نسألك العقو والعاقبة في الدين والدنيا والأمرة ، اللهم ارزقنا الفردوس الأعلى في الجنة ، تفضلاً منك ونعمة ، وعطفاً منك وفضلاً ، فإنك أنت الغفور الرحيم ، المليك المقتدر ، آمين .

أصحاب اليمين

﴿ وَأَصْمَتُ الْيَمِينِ مَا أَصَحَتُ الْيَهِينِ ۞ فِي سِدْرِغَضُودٍ۞ وَعَلْجٍ مَنضُودٍ۞ وَطِلِّ مََدُودٍ ۞ وَمَا وَ مَسْكُوبٍ ۞ وَفَذِكهَ وَكِيْرَةٍ ۞ لَا مَقْطُوعَةً وَلا مَشْوَعَةِ۞ وَفُرُثُ مَرَّوْعَةٍ ۞ إِنَّا اَسَانَهُنَّ إِنشَاءَ ۞ فَيَعَلَنهُنَّ أَبْكَارًا۞ عُرُّا أَتَرَابَا۞ لِأَضْحَبِ الْيَهِينِ۞ ثُلَةً يُر الْأَوْلَانَ ۞ وَثُلَةً يُنَ الْآجِينِ نَ۞ ﴾

المطردات:

مستخصيبود؛ خضد شوكه ، أي قطم .

السطسلسح؛ شجر الموز.

سستضييود؛ مرصوص بعضه فوق بعض ، فليست له سوق بارزة .

وظلل مسمعود، وظل ممتد دائم ، لا يتقلص ولا يتفاوت.

مسك وب، يسكب لهم كما يشاءون ، بلا نصب ولا تعب.

مسرهسوعسة ، عالية منضدة .

عــــريـــا، واحدتهن عروب كصبور، وهي حسنة التودد لزوجها.

أتـــرابـــا؛ متساويات في السِّن.

شلة من الأولين ، جماعة كثيرة من سابقي هذه الأمة .

وثلة من الأخرين ، وحماعة كثيرة من متأخريها .

تمهيد،

لما بيَّن الله حال السابقين المقربين ، وأنواع نعيمهم ، شرع في بيان أصحاب اليمين ، وعدَّد أوصاف تعيمهم ، من فواكه وظلال ومياه وفُرش ، ونساء حسان عناري في سن واحدة .

التفسيره

٧٧ - وَأَصْحَلْبُ ٱلْيُعِينَ مَا أَصْحَلْبُ ٱلْيُعِينِ .

يبدأ الحديث هنا عن أصحاب اليمين ، وهم من أهل الجنة ممن يأخذون كتابهم بالهمين ، ومع ذلك فما أعظم حالهم، وما أكرم مآلهم، والاستفهام للتهويل والتقضيم .

والمعنى: وأصحاب اليمين لا يعلم أحد جزاءهم ولا ثوابهم ، إنه شيء عظيم .

٢٨ - في سِئر مُخْضُودٍ .

وهو النَّبْق الذي لا شوك فيه .

رُوى أن أُعرابِيًا قال للنهي ﷺ: يا رسول الله ، لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية ، وما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها ، قال : «رما مي»؟ ، قال : السُّدر ، فإن له شركا . قال رسول الله ﷺ: وأليس الله يقول : في سِنْر مُعْضُورٍ . خضد الله شركه ، فجعل مكان كل شركة ثمرة» .

٢٩ – وَطَلْحٍ مُّنطُودٍ .

وشجر موز قد نُضُّد جمله من أسقله إلى أعلاه ، أي متراكب ، قد رُصِّ بعَضَه فوق بعض ، ليست له ساق بارزة .

قال تعالى : وَٱلنَّحٰلَ بَاسِقَلْتِ لَّهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ . (ق: ١٠) .

أي: منظم مرمسمي يعضه فوق يعض.

٣٠ – وَظِلٌّ مُّمْدُودٍ .

أهل الجنة في ظل دائم ممتد ، لا يتقلص ولا يتفاوت ولا يذهب ، كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس ، وظاهر الآثار أنَّه ظل أشجار الجنة الممتد مسافات بعيدة . آخرج الشيضان أن رسول الله ﷺ قال: «في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، وذلك الظلّ المعدود» .

قال ابن مسعود: الجنة سجسج ، (أي : لا حر ولا برد) ، كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

وقال فخر الدين الرازي في التفسير الكبير :

ومعنى مَّمْدُودٍ . أي : لا زوال له ، فهو دائم .

قال تعالى: أَكُفُهَا ذَآئِمٌ وَظِلُهُا ... (الرعد: ٢٥) . أي : وظلها دائم ، والظل ليس ظل الأشجار ، بل ظل يخلقه الله تعالى . ا هـ .

قال تعالى: وَنُدُّعِلُهُمْ طَلَّا ظَلْيَلًا : (النساء: ٥٧).

وقال تعالى : فِي ظِلْلُ وَحُيُونٍ . (المرسلات : ٤١) . إلى غير ذلك من الآيات .

٣١ - وَمَآءِ مُسْكُوبٍ.

ماء يجرى حيث شاءوا ، لا يحتاج إلى نهر يجرى فيه ، ولا أخدود يمنعه ، بل هو يجرى بالقدرة الألهية حتى تقرَّبه عيون أهل الجنة .

قال القرطبي :

كانت العرب أصحاب بادية ، والأنهار في بلادهم عزيزة ، لا يصلون إلى الماء إلا بالدلو والرشاء ، فرُعدوا في الجنة بأسباب النزهة ، وهي الأشجار وظلالها ، والمياه والأنهار وجريانها . ا هـ .

٣٧ ، ٣٧ - وَفَلْكِهَةٍ كَثِيرَةٍ . لا مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَعْنُوعَةٍ .

فاكهة كثيرة متنوعة ، لا تنقطع عنهم أبدًا ، كما تنقطع فاكهة الصيف في الشتاء .

وُلاً مُعْتُوعِةً. لا يحتاج المؤمن إلى دفع ثمن لها ، أو لا يُمنع منها بشوك ولا بُعد ولا حائط ، بل إذا اشتهاها العبد دنت منه حتى يأخذها .

قال تعالى : وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً . (الإنسان : ١٤) .

قال ابن كثير في تفسير الآيتين ما يأتي :

وَ فَلَكِهَا إِكْثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ .

أى: وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان ، ما لا عين رأت ، ولا أنن سمعت ، ولا خطر على قلف يشر ، كما قال تمالي : كُلُمَا زُرْقُوا مُنهَا مِنْ لَمَنْ وَرَقًا قَالُوا مَنْذًا الّذِي رُرْقًا مِن قَبْلُ وَأَلُواْ إِنْ مُنْشَدِيهًا . . .

(اليقرة: ٢٥)

أي: يشبه الشكلُ الشكل ، ولكن الطعم غير الطعم .

وفي الصحيحين في ذكر سدرة المنتهى: «فإذا ورقها كآذان الفيلة ، ونبقها مثل قلال هجر».

لاً مَقْطُوعَةِ وَلَا مُمْتُوعَةٍ .

أى: لا تنقطع شتاء ولا صيفا ، بل أكلُها دائم مستمر أبدا ، مهما طلبوا وجدوا ، لا يمتنع عليهم بقدرة الله شيء .

وقال قتادة : لا يمنعهم من تناولها عود ولا شوك ولا بُعد ، وفي الحديث : «إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أهرى» (المرجه الطبراني) . ا هـ .

٣٤ – أَوَقُرُشِ مَّرُّ فُوعَةٍ .

أي: فراش نَصْر ناعم مرفوع فوق أسرَّة ، أو فرش رفيعة القدر ، على أن رفعها معتوى بمعنى شرفها.

وقال أبو عبيدة : المراد بالفُرس النساء ، لأن العرأة يكنى عنها بالفراش ، كما يكنى عنها باللباس ، ورفعهن في الأقدار والمنزلة ، وقيل على الأواتك .

وأخرج النسائي ، والترمذي أن رسول الله ﷺ قال : «ارتفاعها كما بين السماء والأرض ، ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام "٠٠٠".

٣٠ – إِنَّا أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءُ .

أعدنا إنشاءهن من غير ولادة ، وفي الحديث الشريف : «إن المنشآت اللاتي كنُ في الدنيا عجائز عمشًا رُمُصًا ، خلقهن الله بعد الكبر ، فجعلهن عذاري عُريًا ، متعشقات محبّبات ، أترابًا على ميلاد واحد» (دراه الطبراني) .

قال في السهيل : ومعنى إنشاء النساء ، أن الله تعالى يخلقون في الجنة خلقًا آخر في غاية الحسن ، بخلاف الدنيا ، فالعجوز ترجع شابة ، والقبيحة ترجم جميلة . أهـ.. وقال ابن عباس: يعنى الآدميات المجائز الشمط، خلقهن الله بعد الكبر والهرم خلقًا آخر.

وقال أبو حيان : الظَّامر أن الإنشاء هن الاختراع الذي لم يُسبق بخلق ، ويكون ذلك مخصوصًا بالحور مين .

فالمعنى : إنا ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير ولادة ولا خلق أول .

والخلاصة : أن لعلماء التفسير رأيين في معنى : إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَّاءً .

الأول : هنَّ نساء الدنيا ، يُعيد اللهُ إليهن الشباب والجمال والنضارة .

الثاني: من اللائي ابتدئ إنشاؤهن ، ومن الحور العين.

وقد أورد المافظ ابن كثير طائفة كثيرة من الأحاديث النبوية الشريفة عند تفسير قوله تعالى : إِنَّا أنشَّاتُهُنُّ إِنشَاءً .

٣٦ - فَجَعَلْنَكُهُنَّ أَبْكَارًا .

فجعلناهن عدارى ، كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارًا .

٣٧ - عُزُبًا أَثْرَابًا .

غُرُهُا ، جمع عروب وهي المتحببة لزوجها ، العاشقة له .

قال مجاهد : هنُّ الماشقات لأزواجهن ، المتحببات لهم ، اللواتي يشتهين أزواجهن .

أَتْرَابًا . أي : مستويات في السنَّ مع أزواجهن ، في سن ثلاث وثلاثين سنة .

أشرج القرمذي ، عن محاذ مرفوعًا : «يدخل أهل الجنة الجنة حِرِّدُا مِزْدًا ، مُكمَّلين ، أبناء فلائين أو فلات وثلاثين» . والمراد بذلك تمام الشباب وكماله .

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت: سألت النبى ﷺ عن قوله تعالى: إِنَّا أَنشَأَنَهُنَّ إِنْشَاءَ هُ فَجَعَلْتُهُنَّ أَيْكَارًا هُ عُرِّهَا أَرْأَهُا. فقال: «يا أم سلمة، هن اللواتى قُبضن هى الدنيا عجائز، شمطًا، عُمشًا، رُممنًا، جعلهن الله بعد الكبر أثرابًا على ميلاد واحد فى الاستواء». أخرجه الترمذي عن أنس مرفوعًا.

وأخرج الترمذى في الشمائل أن امرأة عجوزًا جاءت إلى الذبي ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، ادع الله أن يدخلني الجنة ، فقال : «يا أم فلان ، إن الجنة لا تدخلها عجون ، فولَت تبكى ، فقال : «أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز ، فإن الله تعالى يقول : إِنَّا أَنشَأَنْهُنَّ إِنْشَاءُ مُ فَسِّلَتُهُنَّ أَبْكَارًا . وقيل: أَلْوَائِنًا. أي: مستويات في حُسن الخُلُقُ، وكريم الطباع ، لا تباغض بينهن ولا تحاسد ، يألفن يؤنِّفن .

٣٨ - لأَمْحَلْبِ ٱلْيَمِين.

أي: أنشأنا هؤلاء النساء الأبكار لأصحاب اليمين، ليستمتعوا بهن في الجنة.

٣٩ ، ، ٤ - ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ، وَثُلَّةً مِّنَ ٱلْآخِرِينَ .

أى: أصحاب اليمين جماعة كبيرة من الأمم السأبقة ، وجماعة كبيرة من المتأخرين ، من أمة محمد صلى المعالمين

وقيل: العراد أمة محمد ﷺ، والمعنى: جماعة من الأولين من أمة محمد ﷺ، وجماعة من الأخرين من أمة محمد ﷺ.

أخرج ابن جرير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «هم جميعا من أمتى». ★ ★ ★

عذاب أصحاب الشمال

﴿ وَأَصْمَنُ النِمَّالُ مِنَا أَضَعُ النِمَّالِ ۞ فِ سَمُومِ وَجَيهِ ۞ وَظِلَ مِن يَعْمُومِ ۞ لَا بَادِهِ وَلَا كَرِيمٍ ۞ إِنَّهُمْ كَانُواْ فَلَى اَلْمَا فِلْكُ مُتَرَفِّهِ ﴾ ۞ وَكَانُواْ هَيْرُونَ عَلَى لَلِفْ فِي الْفَظِيمِ ۞ وَكَانُواْ يَمُولُونَ أَبِدَا مِشَنَا وَكُنَا شُرَانًا وَعِظَلَمُا أَوْ نَالْتَبْمُوثُونَ ۞ أَوَ اَبَاؤُنَا ٱلْأَرَلُونَ ۞ فَأَلِانَ الْأَدَلِينَ وَالْكُونِينَ صَلَّمَ مِنِ وَقُومُ ۞ فَالْتُورَيْمَ الْمُلُونَ ۞ فَتَنْرِهُونَ عَلَيْهِ مِنَ لَلْمِيمِ ۞ فَشَنْرِهُونَ شَرْبَ الْمِيهِ ۞ فَمَنَانُونُهُمْ وَمَ الْلِينِ ۞ ﴾

المفردات :

السسمسوم وحر تارٍ ينفذ في المسام .

البحم ميم، الماء الشديد الحرارة.

يصحموم ، مخان حازُ شديد السُّواد .

لا يسمسارد، لا هو بارد كسائر الطلال.

ولا كسريسم ، ولا دافع أذى الدرُّ لمن يأوى إليه ، بل مو حارٌ ضارٌ .

مترفين ، منعمين مقبلين على لذات أنفسهم ، لا يلورن على شيء مما جاء به الرسل .

يصيرون ، يقيمون ولا يقلعون .

الحثث العظيم ، الذنب الكبير ، وهو الشرك بالله ، وجعل الأوثان والأنداد أربابا من دون الله .

السمية قات ، ما وُقَّت به الشيء ، والمراد به يوم القيامة ، وسمَّى به لأنه وُقَّت به الدنيا .

شبهر النزقوم: شجر ينبت في أصل الجحيم ، كريه المنظر والرائحة .

. .

تمهيد:

قسَّت السورة الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أقسام ، وتحدَّثت عن السابقين ، وعن أصحاب اليمين ، وهذا تتحدث عن الصنف الثالث وهم أصحاب الشمال ، وتذكر أنواع العذاب الذي يلقونه .

التفسيره

٤١ - وَأَصْحَلْبُ ٱلشَّمَالِ مَا أَصْحَلْبُ ٱلشَّمَالِ.

أصحاب الشمال هم الذين يأخذون كتابهم بشمالهم.

مَا أَصْحَابُ ٱلشَّمَالِ.

وهذا الاستفهام للتهويل ، أى : هم فى حال لا يستطاع وصفها ، ولا يقدُّر قدرها ، من نكال ووبال وسوء منظلب .

٤٧ - في سَمُومِ وَحَبِيمٍ .

السموم: ربيع حارة تدخل في المسام، فتُمرض أو تُقتل.

قال الوازي:

والأولى أن يقال: هي هواءٌ متعفن يتحرك من جانب إلى جانب ، فإذا استنشق الإنسان منه ، يفسد قلبه بسبب العفرنة ويقتله .

وَحَمِيمٍ ، ماء متناء في الحرارة ، قال تعالى : وَسُقُراْ مَاءٌ حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَا عَفُمْ . (محد : ١٥).

27 - وَطِلُّ مِّن يَحْمُوم .

ظل حار خانق من ، يَحْمُوم . دخان شديد السواد .

قال تعالى : آنطَلِقُواْ إِلَىٰ مَاكُمُّهِ بِهِ كُكَلِّبُونَ ﴿ آنطَلِقُواْ إِلَىٰ ظِلْ ذِى فَلَتْ طَعَبِ ﴿ لَا طَلِيلٍ وَلَا يُعْيَى مِنَ ٱللَّهَبِهِ إِنَّهُ الرَّبِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ كَالْفُر مِصَلَتْ صُفِّر . (الدرسلاد : ٢٩ – ٣٣) .

لقد كان أصحاب اليمين في ، ظل ممدود .

أما أصحاب الشمال فإنهم في ظل خانق لافع حار، وهو ظل على سبيل المجاز.

\$ \$ - لا بَارِدٍ وَلَا كُولِهمِ.

فالهواء شواظ ساخن ينفذ إلى المسام.

وَلَا كَرِيمٍ. لا غير فيه .

قال ابن جرير : العرب تتبع هذه اللفظة (الكريم) في النفي ، فيقولون : هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم، ، وهذا اللحم ليس بسمين ولا كريم ، وهذه الدار ليست بواسعة ولا كريمة .

والخلاصة :

إن السمرم تضريهم فيعطشون ، وتلتهم تارة أحشاءهم فيشريون الماء فيقطّع أمعاءهم ، ويريدون الاستطلال بطلاً فيكون ظل اليحموم .

أى أنهم في معاناة دائمة ، فإذا كان الهواء والماء والظلّ – وهي أبرد الأشياء وألطفها -- حارة لافضةً مفرّعةً لهم ، فما بالك يحالهم مع حرارة النار ولهيبها .

اللهم إنا نعوذ بك من النار ، ومن عذاب النار ، ونسألك أن تدخلنا الجنة مع الأبرار ، بفضلك وكرمك با عزيز يا غفار .

ثم ذكر القرآن سبب معاناتهم فقال:

ه ٤ - إِنَّهُمْ كَانُواْ قَيْلَ ذَا لِكَ مُثْرَفِينَ .

متنعمين في الدنيا بالوان النعيم ، حتى بَشِمُوا من الشهوات ، وأنهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا ، واستمتعوا بما يحل وما لا يحلّ ، ولم يقفُوا عند حدّ ، ثم إنهم لم يشكروا نعمة ربهم عليهم ، ولم يفكروا فيما جاءت به الرُّسل ، بل رفضوه أول وهلة ، خشية أن يفرض عليهم ترك الخمر والزنا ، ويوجب عليهم الصلاة والزكاة .

٤٦ – وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ .

أي: القسم بأنه لا بعث ولا حشر، ولا قيامة ولا حساب ولا جزاء، أو يُصرون على الكفر بالله وتكذيب إلى سل، وهو مخالف لعهد افضارة التي فطر الله الناس عليها.

قال تعالى: وَأَقْسَمُواْ بِآلِلَّهِ جَهْدَ أَيِّمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ... (النحل: ٢٨).

وهم حانثون كاذبون في ذلك القسم ، الذي ينكرون فيه البعث والحساب .

٧ ﴾ - وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَثِلَا مِثْنَا وَكُنَّا ثُرَابًا وَعِظَامًا أَمِنَّا لَمَبْعُوثُونَ .

إنهم يستبعدون البعث بعد الموت ، ويذكرون أنهم سيصيرون رفاتا وعظاما وترابا ، وما أبعد هذه الأشياء عن الحياة .

٨ ٤ - أَوْ عَالِهَا وَلَا ٱلْأَوَّلُونَ .

عطف على الآية السابقة.

والمعني :

أو يبعث أيضاً آباننا الأقدمون الذين طال عليهم العهد ، وأصبحوا رمهما باليا أبعد شيء عن الحياة، أيبعثون مرة أخرى ؟ يقولون ذلك زيادة في استبعاد البعث ، خاصة الآباء الذين طال عهدهم بالموت والبلي.

٩٤، ، ٥ – قُلْ إِنْ ٱلْأَوْلِينَ وَٱلْآخِــرِينَ ۥ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِقَـٰسَتِ يَوْمٍ مُعْلُومٍ

أى : ررّ عليهم يا محمد وقل لهم مؤكدًا : إن الأولين السابقين من آبائكم ، والأخرين وهم أنتم ومن معكم ، ستبعثون جميعا ، وتجمعون جميعا يوم القيامة الذي وقّت الله أجله ، وعلم وقته .

قال تعالى : فَإِنَّمَا هِيَ زُجْرَةٌ وَاحِلَةٌ هَ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ . (النازعات: ١٤ ، ١٢).

٥٩ ، ٥٧ ه ع ٥ - قُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلطَّالُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۗ لَا كِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقْومٍ و فَمَالِقُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ.

ثم إنكم أيها الضّالون عن الهنأية والإيمان بالله ورسله ، المكذّبون بالبحث والجزاء ، لداخلون في جهنم ، فإذا اشتد جوعكم فيجب أن تأكلوا من شجر بشع مؤلم ، لأنه كريه المنظر كريه الطعم ، ويجب أن تماذّرا بطونكم منه زيادة في عذابكم . ٤٥ ، ٥٥ - فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ، فَشَارِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ .

قال الزمخشري :

والمعنى : إنه يسلط عليهم من الجرح ما يضطرهم إلى أكل الزقُّرم ، فإذا أكلوا وملأوا منه البطون سلَط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم ، فيشريونه شرب الهيم . ا هـ .

واللهج : الإبل العطاش ، أو المريضة التي لا تروى بشرب الماء ، أي : فلا يكون شريكم شريا معتادًا ، بل شرب الهيم .

قَالَ ابن عباس: ٱلْهِيم ، الإبل العطاش الظُّماء ،

وقال السدّى: الْهِيهم. داء يأخذ الإبل فلا تروى أبدًا حتى تموت ، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبدًا.

٥٦ - هَلْمَا تُزُلُّهُمْ يَوْمُ ٱللِّينِ .

هذا الذى ذكرنا هو ضيافتهم عند ريهم يوم القهامة ، فإذا كان هذا نزلهم – وهو ما يقدم للنازل مما حضر – فما ظنك بما يتالهم بعد دخولهم النار ، وجعل ألوان العذاب الشديد ذُرّلا – أى : ما يُكرُم به النازل – فيه من التهكم ما لا يخفى .

ونظير ذلك قول الشاعر:

وكنًّا إذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القَّنَا والمرهفات له نُزلا

وجاء في مختصر تفسير ابن كثير ما يأتي :

هَلْدًا لُزُلُّهُمْ يَوْمَ ٱللَّين .

أى: هذا الذي وصفنا هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم ، كما قال تعالى في حق المرَّمنين:

إِنْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُؤُلًّا. (الكهف: ١٠٧) .

أي: ضيافة وكرامة.

قدرة الله

﴿ فَتَنُ خَلَقَنَكُمْ فَلَوَلَا تُصَدَقُونَ ۞ أَوَمَ يَثُمُ مَانُمَنُونَ ۞ مَأْتُثَرُ تَطَلَقُونَهُۥ أَمْ نَحْن الحَنِلِقُونَ ۞ خَنُ قَدَرَنَائِينَكُرُ الْمَرْتَ وَمَاخَنُ بِمَسْبُوقِينَ ۞ عَلَىَ أَن ثَبُدِلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُشِيَةً كُثْمِ فِيمَا لَا تَمْلُمُونَ ۞ وَلَقَدْ عِلِشْدُ الشَّفَّاةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكُّرُونَ۞ ﴾

المطردات:

أه ___ أو___ ت___ أخبروني .

تسميس النطقة في الرّحم.

قنش البيشكم الموت ، قضينا به بينكم ، وكتبناه عليكم .

ومانحن بمسبوقين ، وما نحن بعاجزين ولا مغاويين .

هلى أن نبدال أمثالكم، نأتى بخلق مثلكم (فتح القدير).

وتنشئكم فيما لا تطموق، وتنشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا ، فيُجمُّل المؤمن ببياض وجهه ، ويُقبِّح الكافر بسواد وجهه .

التفسير،

٧٥ - نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْ لَا تُصَدَّقُونَ .

نحن خلقناكم أيها الناس من العدم، فهلا تصدُّقون بالبعث، فإن من قدر على البدء قادر على الإعادة.

قال تعالى : وَلَقَدْ حَلَقُنَا الْإِسْسَنَ مِن مُلَنَالَةٍ مِن طِين هُ ثُمّ جَعَلَنَاهُ مُطْفَة فِي قَرَارٍ مُكِين ه ثُمّ حَلَقُنا الْنُطُفَة عَلَقَة فَحَلَقُنَا الْمُلَقَةُ مُعْفَةٌ فَحَلَقَنَا الْمُصْفِقَة عِطْدُهَا فَكَسْرُهُ الْمُؤْمِنَ الْحَمَالُ مُلَّا ا ثُمّ إِلَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَتُونَ عَرُمُ إِنْكُمْ يُرْمَ الْقَيْسَة تُرْجُونَ (المؤمنون: ١٧٠ - ١٥).

أو خلقنا آدم من تراب ثم جعلناه بشرا سويا ، فهلا صدقتم أن من أوجدكم من للعدم قادر على إعادتكم .

قال تعالى: وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدُواْ ٱلْحَلَّقَ ثُمُّ يُعِيدُهُ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ... (الروم: ٢٧).

٥٨ ، ٥٩ - أَقْرَ ءَيْتُم مَا تُمْتُونَ ، ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥ ٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْحَالِقُونَ .

أي: آخيروني عن المنيّ الذي تضعونه في أرحام النساء ، هل أنتم تخلقونه وتنقلونه من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظام ، وتكسون العظام لحما وتنقضون فيه الروح ، أم نحن الذين أبنعنا خلق الإنسان، بعد مراحل يمرُّ فيها الجنين في بطن أمّ ؟

وإذا لم تخلقوا ولم تُوجِدُوا فاعترفوا بقدرتنا على البدء والإعادة .

«إن دور البشر في أمر هذا الخلق لا يزيد على أن يودع الرجل ما يمنى رحم المرأة ، ثم ينقطع عمله وعملها ، وتأخذ يد القدرة في العمل وحدها ، في هذا الماء المهين ، تعمل وحدها في خلقه وتنميته وينام هيكله ونفخ الروح فيه» (^{١٠٠}).

٠ ٢ ١٠ - نَحْنُ قَادْرُنَا يَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ، عَلَىٰٓ أَن نُبَدِّلَ أَمْشَلَكُمْ وَفُسِيَكُمْ فِي مَا لَاتَعْلَمُونَ.

حكمنا بالموت على كل إنسان من أهل السماوات والأرض ، وقد ساوى الله بين أهل السماوات والأرض ، سواء في ذلك الشريف والوضيع ، والأمير والصعلوك .

قال تعالى : كُلُّ نَفْسٍ فَآلِقَةُ ٱلْمَوْتِ ... (ال عمران : ١٨٥) .

وقال عز شأنه : كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِهِ وَيَبَلَغَىٰ وَجَهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ. (الرحمن: ٢٠، ٢٧). -

وَهَا لَخْنُ بِمَسْبُوقِينَ . وما نجن بعاجزين ولا مغلوبين .

عَلَىٰٓ أَن تُبَدِّلُ أَمْفِلْكُمْ . فنذهب بكم ، ونأتى بخلق جديد أطوع لله منكم.

قال تعالى : يَنْأَلُهُمُ النَّاسُ أَنْفُمُ الْفُقْرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْفَيَّىُ الْحَبِيدُ و إِن يَشَأَ يُلْشِيكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَنبِيدٍ و وَمَا ذَلِيكَ عَلَى اللَّهِ بِفَرْفٍ . (فاطر: ١٥ – ١٧) .

قال الزجاج: إن أردنا أن نخلق خلقا غيركم ، لم يسبقنا سابق ولا يفوتنا .

وَ نُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُهِ نَ .

ولسنا بعاجزين أيضا أن نعيدكم يوم القيامة في خلقة لا تطمونها ، ولا تصل إليها عقولكم، والغُرَضُ أن الله قادر على أن يهلكهم ، وأن يعيدهم ، وأن يبعثهم يوم القيامة ، ففي الآية تهديد واحتجاج على البعث.

قال الزمخشري:

المعنى: إنا لقادرون على الأمرين معا ، على خلق ما يماثلكم ، وما لا يماثلكم ، فكيف نعجز عن إعادتكم .

وقال القرطبي:

المعنى: وتنشئكم فى البعث على غير صوركم فى الدنيا ، فيحشر المؤمن أبيض الوجه ، ويحشر الكافر أسود الوجه .

٣٢ - وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشَأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْ لِا تَذَكُّرُونَ .

أي: ولقد أيفنتم أن الله سبحانه وتعالى أنشأكم النشأة الأولى، حيث خلقكم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة ، ثم من عظام ، ثم كسا العظام لحما ، ثم نفخ فيه الروح فصار خلقاً سويًا .

فَلُوْلًا تَلَكُّرُونً . فهلا تعتبرون وتفكرون بأن القادر على البدء قادر على الإعادة .

قال تعالى : كَمَا بَدَأَنَا أَوْلَ خَلْق تُعِيدُهُر ... (الأنبياء : ١٠٤) .

قال قتادة: النشأة الأولى هي خلق آدم من تراب ، فهّلا تتذكرون أن من قدر عليها فهو على النشأة الأهرى أقدر .

وفي الخبر : وعجبا كل العجب للمكتب بالنشأة الأخرة ، وهو يرى النشأة الأولى ، وعجبا للمصدّق بالنشأة الأخرة ، وهو لا يسعى لدار القرار» .

وقد ساق القرآن عددا من الأدلة على وجوب البعث.

قال تمالى : وَحَرَبُ لَنَا مَكَلاً وَلَسِى خَلَقَهُمْ قَالَ مَن يُعْنِي ٱلْبِطَلَمْ وَهِي رَمِيمٌ هُ قُلُ يُعْنِيهَ ٱللَّهِ ٱللَّهَ ٱلْفَالَ أَوْلُ مَرُّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقِ عَلِيمٌ هِ ٱلَّذِي جَمَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّمِرَ ٱلْأَصْطَرِ لَاوًا فَإِذَا أَشَم مَنْهُ تُولِفُونَ هَ أَوْلَيْسَ ٱللَّذِي حَلَقَ ٱلسَّمَلَوْاتِ وَٱلْأَرْضَ يَقْدَيرٍ عَلَيْ أَن يَعْلَقَ مِلْفَهِمَ بَلَى وَهُوَ ٱلْخَلْقُ ٱلْغَلِيمُ هِ إِثْمَا أَمْرُهُمْ إِفَا أَوْاهَ شَيْعًا لَهُ عَلَى مَعْكُونُ هَ فَشَهْخَلْنَ ٱللَّذِي يَدِهِ مَلْكُونَ كُلُ هِيْءٍ وَإِلَّهِ مُرْجَعُونَ . (بس : ٢٧-٨٣) .

وقال سبحانه وتعالى : أَوَ لَا يَدْكُرُ ٱلْإِنسَانُ أَنَّا خَلْقَنَلُهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيُّنًا . (مريم: ١٧).

وقال عن شانه : أَلَمْ يَكُ نُطْفَةٌ مِن مَنِي يُعَنى ه ثُمْ كَانَ عَلَقَةَ لَخَلَقَ فَسَوْعَ ه فَجَعَل مِنهُ الزَّوجِينِ الدُّكَرُ وَٱلْأَفَىٰقَ. أَلْيَسَ ذَالِكَ بَقَادِرِ عَلَى آنَ يُحِي الْمُوقِينَ . (القيامة ، ٧٧ - ١٠).

الزرع والماء والثار

﴿ أَذَ يَهُمُّ مَا تَقَرُّقُونَ ﴿ عَهَا أَشَرُ تَرْرَعُونَهُ وَأَمْ عَنُ الزَّرِعُونَ ﴿ لَوَيَشَا اُ لَجَعَلَن هُ حُعلَمَا فَعَلْنَا اللّهُ وَالْمَا مَا أَوْمَ يَشُوا لَمَا وَالْمَا اللّهُ وَالْمَا اللّهُ عَلَى اللّهُ وَقَلَ اللّهُ عَنُ اللّهُ وَقَلَ اللّهُ عَنُ اللّهُ وَقَلَ اللّهُ عَنَى اللّهُ وَقَلُ اللّهُ عَنَى اللّهُ وَقَلَ اللّهُ عَنَى اللّهُ وَقَلَ اللّهُ عَنَى اللّهُ وَلَا اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَنْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللللّ

المفردات ،

مات حراثون، ما تبذرون حبه وتعملون في أرضه.

تـــزرمــوتـــه؛ تنبتونه في الأرض.

حطانا ، فتاتا ، من حملم الشيء يحطمه حملما .

فظالتم ، أي : فبقيتم ودمتم .

تسقسته و و التفكهون ، بمعنى تتعجبون من سوء حاله وتندمون ، وأصل التفكه : التنقل بصنوف الفاكهة ، وقد استعير للتنقل بالحديث.

البائم قبرمون : لملزمون غرامة ما أنفقنا .

بل تحن مصرومون ، لا حظُّ لنا ، أو محرومون الرزق بالكلية .

تمهيد،

يقدم القرآن الكريم الدليل تلن الدليل على قدرة الله تعالى ، فيسألهم : أنتم تحرثون الأرض وتضعون البذرة ، لكن من ينبت الزرع ؟ إنه الله تعالى .

والماء الذي تشريونه ، هل أنتم أنزلتموه من السحاب ، أم الله هو الذي أنزله ؟

والجواب: نعم ، أنت يارب الذي تنزل المطر، وتسوق السحاب، وتنزل الماء.

وكذلك النار، هل أنتم أرجدتم شجرتها ، أم نحن المنشئون لها ؟ لقد جعلها الله تذكيرًا بنار الأُهرة ، وجعلها لأهل الدنيا متاعا للنازل في قلب الصحراء ، حيث يُسْتَدْفِيّ بها ، ويسرّي عليها طعامه وغذاءه .

تفسيره

٣٣، ١٤ - أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُلُونَ ، ءَأَلتُمْ تَزْرَعُونَهُ وَأَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ .

يستفهم القرآن هذا الاستفهام الذي يحرك العقول والقلوب ، فيقول : أرأيتم الفلاح حين يحرث الأرض ويسقيها ، ويضم فيها البذرة ويتركها ، من الذي ينبتها زرعا أخضر نضيرًا ؟ من الذي يسوق الهواء وألماء وتفاعل التربة مع النبات حتى تتحول البذرة نباتا ينمو ويخرج على سطح الأرض ، كما تنمو الأطفال ؟

هل أنتم الذين تثبتونه وتنشئونه حتى يكون فيه السنبل والحبيّ ، أم نحن الفاعلون لذلك ؟ فإذا أقررتم بأن الله هو الذي يُخرج الحبّ وينبت الزرع ، فكيف تنكرون قدرته على بعث الموتى وإخراجهم من قبورهم بعد جمع ما تفرق من أجزائهم الأصلية ؟-

٥ ٢ ، ٦٦ ، ٦٧ - لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْتُ مُعَلِمًا فَطَلَّمُ تَفَكُّهُونَ ، إِنَّا لَمُعْرَمُونَ ، بَلْ نَحْنُ مَحْزُومُونَ .

لو أردنا لجعلنا هذا النبات هشيما متكسَّرًا ، قبل استوائه ويلوغه مرحلة الحصاد.

فمكثتم تتعجّبون أو تندمون على ما أنفقتم على الزرع من الحرث والبذر من غير حممول نقع أو نضرج ثمره.

وقريب من ذلك قوله تعالى: فَأَصْبَحَ يُقَلَّبُ كَقَيْهِ عَلَىٰ مَا أَهُوَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يُلْكَيْتِي لَمُ أَشْرِكُ بِرَيِّيَ أَحَدًا . (الكهف: ٤٣).

وأصل التفكُّه: التنقل بصنوف الفاكهة، واستعير للتنقل بألوان الحديث، وهو هذا ما يكون بعد هلاك الزرج ، وقد كُني في الآية عن التعجب، أو الندم، أو التلاوم.

إِنَّا لَهُغْرَمُونَ .

يقولون: إننا لمغرمون، أي: إننا لمحمُّون الغُرم في إنفاقنا، حيث ذهب زرعنا، وغُرمُنا الحبُّ الذي بدرناه. بُلُ نُحثُنُ مَشْرُومُونَ .

يقولون تارة أخرى: بل نحن محرومون الرزق ، غَرَمْنَا قيمة البدر ، وحُرِمنا خروج الزرع .

٩٨ - أَفَرَ عَيْثُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِي تَشْرَبُونَ .

أخبروني عن الماء الذي تشريون ، وهو نعمة كبرى لا يستغنى عنه إنسان .

قال تعالى : لَّكُم مِّنَّهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ . (النمل: ١٠).

ومن الماء يشرب الإنسان والحيوان والزرع .

قال تعالى: وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلُّ شَيْءٍ حَيٌّ ... (الأنبياء: ٣٠).

روى ابن أبى حاتم ، عن جابر ، عن أبى جعفر ، عن النبى ﷺ أنه كان إذا شرب الماء قال : «الحمر لله الذى سقانا عنبًا فراتا برحمته ، ولم يجعله ملحا أجاجًا بذنوينا» .

٩ ٩ - وَأَلْتُمْ أَنزَ لَتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ .

أأنتم أنزلتم المطر من السحاب ، أم نحن المنزلين ؟

والجواب هو : ما أنزل المطر إلا الله سبحانه وتعالى ، والقرآن بهذا يُعدُّد نعم الله الظاهرة أمام أعينهم، فنزول المطريحتاج إلى موافقات متعددة لا يقدر عليها إلا الله ، وهو سبحانه سائق السحاب ، ينزله على من يشاء ، ويصرفه عمن يشاء ، فَإِنْاَ أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءً مِنْ عَبَاوِهٍ إِذَّا هُمْ يَسْتَشِرُونَ . (الروم : ٤٨) .

· ٧ - لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ .

لن نشاء جعلنا الماء العذب الفرات السائخ للشرب ، ملحًا أُجاجا تعاقه النفس ، ولا يصلح لغرض من أغراض المعيشة ، كالطبخ أو سقى الزرع أن الريّ .

فَلُوْلَا تَشْكُرُونَ .

فهلا شكرتم ربكم ، واعترفتم بفضله في حياتكم ، وتسخير الحرث والزرع ، وتسخير المام العذب إ الغرات لكم . وهلا اعترفتم له بالقدرة على إحياء الموتى، وإخراجهم من قبورهم للبعث والحساب والجزاء.

٧١ - أَفَرَءَ يُشْهُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّذِي تُورُونَ .

أى: أخبروني عن النار التي تقدمونها، وتستخرجونها من الشجر الرطب.

٧٧ - ءَأَتُمُ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتُهَا أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِئُونَ .

هل أنتم الذين زرعتم وأنشأتم وأوجدتم الشجرة التي تحرقونها بالنار فتستُدفِئُون ؟

قال ابن كثير:

وللعرب شَجِرتان: إحداهما المرحُ ، والأخرى العفارُ ، إذا أُخذ منهما غصنان أخضران ، فحُكُ أحدهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار .

٧٧ - نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَثَلَعًا لَّلْمُقُوينَ .

أى : جعلنا نار الدنيا تذكرة ، تذكّر الناس بشدة الحرارة وشدة الحريق، حتى يتذكروا نار الآخرة ، «ونار الدنيا جزءً من سبعين جزءًا من نار الآخرة» . (رواه الشيضان) .

وَمَعَاهًا لُّلُمُقُونِنَ . يعني بالمقوين : المسافرين .

وعن مجاهد: للحاضر والمسافر، لكل طعام لا يصلحه إلا النار، وقيل: المستمتعين من الناس أجمعين.

قال ابن كثير:

وهذا التفسير أعم من غيره ، فإن الحاضر والبادى ، من غنى وفقير ، الجميع محتاجون إلى النار للطبخ والاصطلاء والإضاءة ، وغير ذلك من المنافع .

وفي الحديث : «المسلمون شركاء في ثلاثة : الماء ، والكلاّ ، والنار» (١٠٠١ (أخرجه أحمد ، وأبو داود).

٧٤ - فَسَبِّحْ بِٱسْمِرَبَّكَ ٱلْعَظِيمِ.

أى: دُم يا محمد على تنزيه الله تعالى الذي خلق الأشياء بقدرته ، فهو الذي خلق الإنسان من منيًّ , يمنى ، وهو الذي أنبت الزرع ، وهو الذي أنزل الماء من السحاب ، وهو الذي يسُّر ظهور النار للتذكّر بها والاستفادة منها .

فما أعظمه ، وما أكرمه ، وما أحلمه ، وما أكثر فضله وتعماءه .

إثبات النبوة وصدق القرآن

﴿ فَكَ أَفْسِهُ بِمَوَفِعِ النَّجُومِ ﴿ وَلِنَّهُ لَقَسَمُّ لَوْ تَمَلَمُونَ عَظِيهُ ﴿ اللَّهُ لَقُرَانُ وَكِمَ كُيَّمُ ﴿ فَإِذَا لَكُوبِ أَنَّمُ مُنْهُ هُونَ ﴿ وَلِنَّهُ لَقَسَمُ لَنَ وَلَكُمْ أَكُمُّ فَكَذِهُونَ ﴿ فَانَ الْمَكَيْنِ لَكَانُمُ اللَّهُ وَلَكِنَ الْمَكْفِينَ الْمَكَيْنِ لَلْمُعْتَوِينَ الْمَكَيْنُ الْمُعَرِّونَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ وَلَكِنَ لَا تُعِمُونَ ﴾ المُلْقُرَى فَانَا إِن كُنتُم عَبْرُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَكِنَ لَا تُعِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَعَلَيْنَ ﴾ فَاللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

المفردات ،

فيسيد الأسيم ، هذا قسم تستعمله العرب في كلامها ، ولا : مزيدة التأكيد .

مواقيع السيووم، مفاريها أو منازلها .

مسكسيسيون، مستور مصون عند الله في اللوح المحفوظ من السوء.

لا يمسه إلا المطهرون ، المنزهون عن دنس الحظوظ النفسية .

مسدهست ون، متهارنون ، أو مكذّبون .

المسمسمسولا ، حرف يفيد الحثُ على حصول ما بعده على سبيل الاستحسان أو الوجوب .

المسحمل قصوم : تجويف خلف تجويف الفمّ، وفيه ست فتحات: فتحة الفم الخلفية، وفتحتا المنضرين، وفتحتا الأذنين ، وفتحة الحنجرة ، وهي مجرى الطحامً والشراب والنّفس.

غىيىر مىدىيىتى ، غير مربوبين مقهورين .

فَسَسَسَسَرُوْحٍ ، فله استراحة أو رحمة .

ريد دنق حسن.

مصيح ماء تناهن حرارته .

تصليحةُ جحيم ، مقاساة لحرُّ النَّار ، أو إنخال فيها .

صق السيسةسيس، حقُّ الخبر اليقين الذي لاشك فيه .

هسينج باسم ريك: فنزّه ربك عما لا يليق.

تمهيده

فى ختام السورة يكسم الحق سيحانه بمواقع النجوم ، أى: بعنازلها ومفاريها وحركتها وسيرها وأبعادها ، وهو أمر عظيم أىّ عظيم ، فهذه النجوم لها مجراتها ولها جاذبيتها ، ولا يصطدم نجم بآخر إلا لحكمة مقصودة .

يقسم الجبار سبحانه وتعالى بمواقع النجوم ، على صدق القرآن الكريم ، وأنه كتاب الله محفوظ من الشياطين ، لا يقترب منه إلا الملائكة المقربون ، مثل جبريل الأمين الذي ينزل بالوجى على رسول الله ﷺ. ثم نكرت الأمان أقسام الناس عند هروج الروح ، وأنهم ثلاثة أقسام:

المقربون ، وأصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال ، ولكل منهم جزاء مناسبٌ له .

التفسيره

٥٧ - فَكَرَّ أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنَّجُومِ.

جمهور المفسرين على أن المعنى : أقسم بمواقع النجرم ،

قال القرطبي:

لا : صِبَلة في قول أكثر المنسرين ، والمعنى : فأقسم ، بدليل قوله بعده :

٧٦ – وَإِنَّهُ, لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ .

والمعنى:

أقسم بمنازل النجوم ، وأماكن دورانها في أفلاكها ويروجها .

وَإِنَّهُ, لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ.

وإن هذا القسم العظيم جليل ، لو عرفتم قدره لآمنتم به ، وانتفعتم به ، وذلك لما في حركة النجوم وسيرها وأبعادها من كمال الحكمة ، وفرط الرحمة ، ومن مقتضيات رحمته تمالى أن يلفت أنظارنا إلى هذا الكون الواسم الرحيب ، وأن يقسم ببعض مخلوقاته ليلفت الأنظار إلى عظمة التدبير ، وقدرة القدير .

يقول الفلكيون:

«إن مجموعة واحدة من المجموعات التى لا تحصى فى القضاء الهائل الذى لا نعرف له حدودا ، مجموعة واحدة هى (المجرّة) التى تنتسب إليها أسرتنا الشمسية، تبلخ ألف مليون نجم، وإن من هذه النجوم والكراكب التى تزيد على عدة بلايين نجم ، منها ما يمكن رؤيته بالعين المجردة ، ومنها ما لا يُرى إلا بالمجاهر والأجهزة، هذه كلها تسبح فى الفلك الفامض .

ولا يوجد أي لعتمال أن يقترب نجم من مجال نجم آخر ، أو أن يصطدم بكوكب آخر ، إلا كما يحتمل تصادم مركب في البحر الأبيض بآخر في المحيط الهادي ، يسيران باتجاه واحد ويسرعة واحدة ، وهو احتمال بعيد حدًّا ، إن لم يكن مستحيلاء (***)

وقال جماعة منهم ابن عباس:

النجوم نجوم القرآن، ومواقعها أوقات نزولها ، فإن القرآن نزل جملة واحدة في فيلة القدر ، من اللوح المحفوظ إلى المحفوظ إلى بيت العرَّة في سماء الدنيا ، ثم نزل منجما مفرقا في مدة الرسالة المحمدية وهي ثلاثة . وعشرين عامًا .

٧٧ - إِنَّهُ لَقُوْءَانَّ كَرِيمٌ .

إن هذا القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ كريم ، مرَّضِيُّ عنه ، رفيع القدر بين الكتب المنزلة من عند الله ، كلير المنافم ، كريم على الله ، كريم على المؤمنين .

كريم لاشتماله على كريم الأهلاق ومعالى الأمور ، كريم لأنه يكرم حامله ويعشّم قارته ، وهو قرآن كريم ، تحضر العلائكة عند قراءته ، ويذكر الله القارئين له في المالاً الأعلى .

وفى الحديث الشريف: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم الرحمة ، وغشيتهم السكينة ، وحفتهم الملائكة ، ونكرهم الله فيمن عنده، ٥٠٠٧.

٧٨ – فيي كِفَلْبٍ مُكْتُونٍ . `

في كتاب مصون عند الله تعالى ، قال ابن عباس : هو اللوح المحفوظ.

٧٩ - لا يَمَسُّهُ إِلَّا ٱلْمُطَهِّرُونَ .

لا يدس ذلك الكتاب المكنون إلا الملائكة الأبرار الأطهار ، الذين طُهِّرت نفوسهم ، فهو بعيد كل البعد عن الشياطين . قال تعالى : فِي صُحْفُو مُنْكُومَةٍ مُرَّفُوعَةٍ مُطَّهَرَةً و بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ه كِرَامٍ بَرَرَةٍ . (عيس: ١٣ – ١٦) وجين قالت قريش: تنزلت به الشياطين ، أخير الله تعالى عنه قائلا :

وَمَا تَتَوَّلُتْ بِهِ ٱلطَّيْسَطِينُ ﴿ وَمَا يَنْجُعِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَعَلِمُونَ ﴿ إِلَهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ وقال الفرّاء : لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به .

ودُهب آخرون إلى أن معنى:

لا يَمَشُهُۥ إِلَّا ٱلْمُطَلَّقُرُونَ .

لا يمسُّ هذا القرآن إلا للمطهِّرون من الحدث الأصغر والحدث الأكبر، «قالوا: ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب، ١٠٠٥).

أي : لا ينبغي أن يمسُ القرآن إلا من هو على طهارة .

أخرج ابن أبى شيبة فى المصنف ، وابن المنذر ، والحاكم ، عن عبد الرحمن بن زيد قال : كنا مع سلمان الفارسى ، فانطلق إلى حاجة ، فتوارى عنّا ، ثم خرج إلينا ، فقلنا : لو توضأت ، فسألناه عن أشياء . من القرآن ، فقال : سلونى فإنى لست أمسّه ، إنما يمسّه المطهرون ، ثم تلا : لا يَمَسُّهُم إلاَّ المُطَهّرُونَ . ثم قرآ. علينا من القرآن ما شئنا .

قال المراغى في تفسيره:

وقد ذهب چمهور العلماء إلى منع المحدث عن مس المصحف ، ويذلك قال على وابن مسعود وسعد ابن أبى وقامى ، و جماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي.

ورُدى عن ابن عباس ، والشعبى ، وجماعة منهم أبل حنيفة ، أنه يجوز للمُخْرِث مسه . (يُراجع شرح المنتقى للشوكاني).

وقال الحسين بن الفضل: المراد أنه لا يعرف تفسيره وتأويله إلا من طهره الله من الشرك والنفاق. (١٠٠٠).

٥ ٨ - تُنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَلْمِينَ .

أى: هذا القرآن الكريم منزل من الله رب العالمين ، فما أعظم من أنزله ، وما أكرم الكتاب الذي اشتمل على الهدى والتشريم ، والأداب ومكارم الأخلاق ، وأبواب السعادة في الدنيا والأخرة . فليس القرآن الكريم -- كما يزعم الكافرون -- من عند غير الله ، وليس شعرًا ، ولا سحرًا ، ولا كهانـة، ولا أساطير الأولين ، بل هو قرآن كريم في كتاب مكنون ، تنزيل من رب العالمين.

٨١ - أَفَيهَاذَا ٱلْحَدِيثُ أَنْتُم مُلْهُتُونَ .

أفيهذا القرآن ، يا معشر الكفار ، أنتم مدهنون ، أي متهاونون .

وأصل (الادُهان) جعل الجلد مدهونًا بشيء من الدُّهن حتى يلين.

أى : لا تقرُّون فيه برأى واضح صريح جاد ، وتقولون هو كلام رب العالمين .

وعن ابن عباس والزجاج : مُتْهِتُونَ . مكذِّبون .

٨٧ – وَتَجْعَلُونَ رِزَقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذَّبُونَ .

وتجملون جزاء رزقكم من الله أنكم تكنبون بمن منحكم هذا الرزق ، فتنسبون المطر إلى الرياح والأنواء ، رغم أن الرياح وسيلة وسبب ظاهرى ، أما المسبب المقيقى فهو الله تعالى .

وقد روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : «يقول الله عز وجل : من آمن بى وحمدنى على سقياى فذلك الذي آمن بى وكفر بالكواكب، وأما من قال : مُطرنا بنوء كذا وكذا فذلك الذي آمن بالكواكب وكفر بىء . ٢٠٠٩ .

قال القرطبي :

وفي هذا بيان ، لأن ما يصبيب العباد من خير ، فلا ينبغى أن يروه من قبل الرسائط التي جرت العادة بأن تكون أسبايا ، بل ينبغى أن يوره من قبل الله تعالى ، ثم يقابلوه بالشكر إن كان نعمة ، وبالصبر إن كان مكروها ، تعبدًا له وتذللا . اهـ .

٨٤ ، ٨٨ - فَلُوْلَا إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلَّقُومَ . وَأَنتُمْ حِيتِيدٍ تَنظُرُونَ .

فى آينين سابقتين استفهم منهم استفهاما إنكاريا على تكذيبهم بالقرآن ، ويكفرهم بنعمة الله وعدم شكره ، حين قال سبحانه : أَفَهِلُهَا ٱلْحَيْثِ أَتْمُ مُلْعُونُ وَ وَيُحَفُّونُ رَزِفُكُمُ ٱلْكُمْ تُكَلَّبُونَ . (الواقعة: ٨٢، ٨١)

ومنا يتحدّاهم ، ويذكر عجزهم وضعفهم أمام ظاهرة مطومة ، حين تبلغ روح القريب لهم الحلقوم ، ويقترب الموت ، ويظهر العجز والضعف ، ويلتفّ حيل الميت أقاربه وأحبابه ينظرون إليه وهو يمالج سكرات الموت ، ولا يستطيعون دفعه عنه ، مما يدلّ على عجز الإنسان ، وأنه مقهور مربوب للقدرة العليا التي تشلق وترجد ، وتنفخ الروح ، وتميت الميّت ، وتدعو الإنسان إلى الاعتبار . قال تعالى : كُلَّا إِذَا يَلُفَتِ ٱلْقَرَافِيَ وَ وَقِيلَ مَن رَاقِهِ وَ ظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ وَ وَأَنْفَقَتِ ٱلسَّاقُ بِالْسَاقِ، وِ أَلِي رَبُّكَ يَوْمَئِلِ الْعَمَاقُ ، (العامد ٢٠٠ - ٢٠)،

جاء في التفسير الوسيط للأزهر بتصرف ما يأتي :

والروح: جسم لطيف سار في البدن سريان الماء في العود الأخضر، وفي حياة الإنسان يتحرك وينخل ويخرج ، ويقوم ويقعد ، ويأمر وينهي ، ويبيع ويشترى ، فإذا بلغت الروح الملقوم حان الحين ، وظهر العجز، وبنا الأجل ، والميت يجود بنفسه ، وأقاربه حوله يشاهدون ما يقاسيه من سكرات الموت وغمراته ، ا هـ.

ه ٨ - وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَلْكِن لَّا تَبْمِيرُونَ .

الله أقرب إلينا في كل لحظة ، أقرب إلينا بعلمه وملائكته ، قال تعالى : وَلَقَدْ مُخَلَقُنَا ٱلْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوسُوسُ بِه نَفْسُهُ, وَنُحِنُ أَقْرَبُ إِلَهِ مِنْ حَبَلِ ٱلْوَرِيدِ . (ق: ١٦) .

لكن في هذه الحالة ، حين يحضر الأقارب والأحباب حول الميت ، ويشاهدون حشرجة الروح وخروجها إلى بارتها ، والملائكة أقرب إلى الميت من المشاهدين له ، حيث تقبض روحه بأمر الله تعالى .

وقد نسب الله تعالى قبض الروح إليه سبحانه في قوله: اللَّهُ يَتُولِّي ٱلْأَنْفُسَ حِينٌ مَوْلِهَا ... (الزمر: ٤٢).

كما نسب قبض الروح إلى ملك الموت في قوله سبحانه : قُلْ يَتُوَفِّنكُم مُلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكُلِّ بِكُمْ تُمُ إِلَىٰ رَبّكُمْ أُتْرِجَعُونُ . (السجدة : ١٩) .

كما نسب قبض الدوح إلى الملائكة فقال سبحانه : حَثَّىَّ إِذَا جَآءَ أَحَدُكُمُ ٱلْمُوتَ تَوَقَّقُهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُقَرِّ طُونَ . (الأنمام: ۱۱) .

قال العلماء: الحياة والموت والكون كله بيد الله ، فنسب الله الموت إليه ، وملك الموت هو الذي يباشر نزع الروح من الجسد فنسبت الوفاة إليه ، ولملك الموت أعوان من الملائكة فنسبت الوفاة إليهم ، ولا تعارض بين الآيات ، فالمرجع كله إليه سبحانه وتعالى .

٨ ، ٨٧ - فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَدْيِقِينَ .

تقيم الآيات الأدلة على عجز المخلوق ، وقدرة الخالق ، أى: إذا أنكرتم ألوهية الله وقدرته على البعث أ والحشر ، والحساب والجزاء : فأمامكم دليل عملى : حين تبلغ الروح الحلقوم ، وأنتم تشاهدون أقرب الناس إليكم يمالج سكرات الموت ، وأنتم عاجزون تماماً عن إعادته إلى الدنيا . هالّا أيقنتم أن الذى يفعل ذلك ، ويقدر على الموت والحياة إله واحد ، وهو القائل فى كتابه : كَسْرَكُ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وُهُوَ عَلَىٰ كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيْوَةَ لِيَلْوَكُمْ ٱلتَّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ ٱلْقَوِيرُ ٱلْقُهُرُ . (الدلك : ٢٠١) .

وخلاصة المعنى :

هلًا إن كنتم غير هاضعين لقدرتنا ترجعون روح الميت إلى جسده إن كنتم مسادقين في اعتقادكم بأنه لا بعث ولا حساب ، أو في توهمكم بأن هناك قوة أخرى غير الله ، يمكنها أن تساعدكم في الشدائد والمحن .

وهكذا نجد الآبات تتحدّى الكافرين ، بل البشر أجمعين أن يعيدوا الربح إلى أحب الناس إليهم ، وهم واقفون حوك وقفة الحائر المستسلم العاجز عن فعل أى شىء من شأنه أن يدفع الموت ، أو يرُخر خروج الرُّوح ولو لزمن قليل .

٨٨ ، ٨٩ - فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرِّينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ لَعِيمٍ .

في آيات سابقة أظهر القرآن عجز الإنسان أمام ظاهرة الموت.

قال الخازن في تفسيره : وإذا لم يمكنكم إرجاع روح الميت إلى جسده ، فاعلموا أن الأمر إلى غيركم . وهر الله تمالى فآسفرا به .

وهنا يذكر الله تعالى حال الناس بعد الوغاة ، ويقسّمهم إلى ثلافة أقسام ، قد ذُكروا تقصيلاً في صدر السورة ، وهم : المقربون ، وأصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال .

والمقربون هم السابقون ، المقربون إلى الله تعالى ، قد سبقوا إلى الإيمان وطاعة الله ، وإقام المسلاة، وإيتاء الزكاة ، وأداء الواجبات ، وترك المحرمات ، واتباع المأمورات ، والتأدّب بأدب الإسلام ، والتسابق إلى مرضاة الرحمن ، هؤلاء عند الموت يحسّون بمنزئتهم في الجنة ، وتبشرهم الملائكة بالجنة وريحانها وثمارها وتعيمها .

قال تعالى : يُطَّبُ ٱللَّهُ ٱللَّذِينَ ءَامَتُواْ بِٱلْقُولِ ٱلنَّابِ فِي ٱلْحَيْزَةِ ٱلدُّنَّيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ... (إبراهيم: ٢٧).

وعن مجاهد : فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ : جِنة ورخاء.

وقال قعادة : فروح ورحمة .

وقال غيرهم : فَرَوْحٌ . راحة من الدنيا ، وَرَيْحَانٌ . فرح بنعيم الآخرة .

وكل هذه الأقوال متقارية صحيحة ، كما يقول ابن كثير فى تفسيره ، فإن من مات مقريًا حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة ، والفرح والسرور، والرزق الحسن . ا هــ

وَجُنَّتُ نَعِيمٍ . والجنة الواسعة التي يتنعم فيها المقربون بألوان النعيم .

وقد أورد الحافظ ابن كثير مائفة من الأحاديث النبوية الشريفة عند تفسير هذه الآية .

منها ما رواه البخاري ، ومسلم ، أن رسول الله ﷺ قال : «أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر، ، تسرح في رياض الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش» (١٩٠٠ .

وتفيد جملة من الأحاديث أن روح المؤمن تسبح في الجنة ، حتى يُرجع الله الروح إلى الجسد عند البعث.

٩٩، ٩٠ - وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَلْبِ ٱلْيَعِينِ وَ فَسَلَمٌ لُّكَ مِنْ أَصْحَلْبِ ٱلْيَعِينِ

والمعهى : وأما إن كان المحتضر من السعداء أهل الجنة ، الذين يأخذون كتابهم بعمينهم ، فإن الملائكة تتلقاهم بالسلام والأمان ، وتبشرهم بالجنة ، وتطمئنهم على حسن مستقبلهم ، وعلى رعاية الله للريقهم بعد وفاتهم .

قال تعالى : إِنَّ اللِّينَ قَالُوا رَكُنَا اللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـنُوا تَعَوَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمُلَكِكُةُ الْاَ تَعَالُوا وَلَا مَعْزُلُوا وَأَلِيمَنُ الَّتِي كُتُمُ تُوعَدُونَ • لَمَنْ أَوْلِيَا كُمْ فِي الْعَيَاةِ الثَّنْيَا وَفِي الْآَحَرِةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا قَدْعُونَ • تُولًا مُنْ غَفُودٍ رَّجِعِ • (المسلت : ٣٠ – ٣٧) .

٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ - وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَلِّينَ ٱلصَّالِّينَ - فَنُزُلٌّ مِّنْ حَمِيم ، وَتَصْلِيَهُ جَحِيم.

وأما إن كان المحتضر من آلْهُكُلِّينَ ، بالقيامة والبعث والحساب ، آلفتَّالُّينَ ، عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فأول ما يقدم له الحميم الذي يغلى غلياناً شديداً فيشوى وجهه ، ويقطع أمعاءه، ثم يصطلى بنار الجحيم التى تفمره من جميع جهاته ، فيذوق سعيرها ، ويقاسى ألوان عذابها .

٩ ، ٩ ٥ - إِنَّ هَلْمَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبُّكَ ٱلْعَظِيمِ .

إن هذا الذي أخبرناك به يا محمد، من جزاء السابقين بالدرجات العلى في الجنة، ومن جزاء أصحاب اليمين بالسلام والأمان في الجنة ، ومن جزاء المكابين الضالين بعذاب جهنم والاصطلاء بنار الجميم ، هذه الحقائق المذكورة في هذه السورة هي الحق الثابت الذي لا شك فيه ولا ريب ، وهي عين اليقين الذي لا يمكن إنكاره .

فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ.

نزَّه الله تعالى عن العيب والنقص ، وبزَّهه عن أن يترك الناس سدى ، فإنه منزه عن الكذب ، ومنزه عن النقصان ، ومنزه عما يصفه به التالمون .

أخرج أبو داود ، وابن ماجة ، والحاكم وصححه ، أنه لما نزات هذه الآية الكريمة : لُسَيِّحٌ بِٱسْمِرَيَّكُ الْمُقِيمِ . قال رسول الله ﷺ: «لمِعلوها في ركريكر» """

ولما نزلت : سَبِّح آسْمَ رَبُّكَ ٱلْأَعْلَى . (الأعلى : ١) .

قال ﷺ : «اجعلوهًا في سجويكم» (١١٢).

أي أن نقول في الركوع: «سبحان ربي العظيم».

وتقول في السجود: «سبحان ربي الأعلى».

وروى البخارى في آخر صحيحه ، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «كلمتان خفيفتان على اللسوان ، نقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله ويحمده ، سبحان الله العظيم» (١١٠٠).

خلاصة موضوعات سورة الواقعة

١ - اضطراب الأرض ، وتفتت الجبال حين قيام الساعة .

٢ - الناس عند الحساب أزواج ثلاثة ، ويَكُرُ مآل كل زوج منهم .

٣ - اجتماع الأولين والآخرين في هذا اليوم.

إقامة الأدلة على وجود الخالق.

ه - إقامة البراهين على البعث والنشرر والحساب.

٦ - إثبات أن هذه الأخبار حق لا شك فيه .

٧ – تبكيت المكذبين على إنكار الشالق .

* * 1

تم بحمد الله تفسير سورة (الواقعة) مساء الثلاثاء ٢ من رمضنان ١٤٢٧ هـ الموافق ٢٨/١٠/٢٠م، بمدينة المقطم بالقاهرة، جمهورية مصر العربية ، والحمد لله الذي بنعمته تتم المسالحات ، وصل اللهم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *



أهيداف سيورة الحديث

سورة الحديد مدلية ، وآياتها ٧٩ آية ، نزلت بعد سورة الزلزلة .

وهي سورة تعالج التقوى والصدق والإيمان ، وتحث على الصدقة والبدل ، والإخلاص في التضحية. وتحدَّر من غرور الدنيا وافتنتها .

جاء في ظلال القرآن:

هذه السورة بجملتها دعوة للجماعة الإسلامية كى تحقق فى ذاتها حقيقة إيمانها ، هذه الحقيقة التى تخلص بها النفوس لدعوة الله ، فلا تضن عليها بشيء ، ولا تحتجز دونها شيئاً .. لا الأرواح ولا الأموال ، ولا خلجات القلوب ، و لا نوات الصدور .. وهى الحقيقة التى تستحيل بها النفوس ريانية بينما تعيش على الأرض، موازينها هى موازين الله ، والقيم التى تعتزيها وتسابق إليها هى القيم التى تثقل فى هذه الموازين، كما أنها هى الحقيقة التى تشعر القلوب بحقيقة الله ؛ فتضطع لذكره وترتجف وتقر من كل عائق وكلً جاذب يعوقها عن الغرار إليه . ("").

مطلع السورة

بدأت السورة ببيان قدرة الله العلى القدير، فهو الضائق الرازق ، مالك الملك ذو الجلال والإكرام ، وهو سبحانه أول بلا ابتداء ، وأخر بلا انتهاء ، وظاهر في كل ما تراه العين من سماء وأرض وجبال ويحار ، وباطن فلا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، وهو خالق الكون كله ، وهو القائم على حفظه، والمهيمن على جميع أمره ، والمطلع على خفايا النفوس ، والمحاسب على القليل والكثير ، والمجازى على الفتيل والقطمير

ولما كان مدار السورة على تحقيق الإيمان في القلب، وما ينبتق عن هذه الحقيقة من خشوع وتقويم، ومن خلوص وتجرد، ومن بذل وتضحية ، فقد سارت في إقرار هذه الحقيقة في النفوس على نسق مؤثر،، أشبه ما يكون بنسق السور المكية ، حافل بالمؤثرات ذات الإيقاع الآسر للقلب والحس والمشاعر.

«وكان مطلعها خاصةً مجموعةً إيقاعات بالغة التأثير ، تولجه القلب البشرى بمجموعة من صفات الله سبحانه ، فيها تعريف به مم الإيحاء الأسر بالخلوص له ، نتيجة للشعور بحقيقة الألوهية المتفردة ، وسيطرتها المطلقة على الوجود ، ورجعة كل شىء إليها فى نهاية المطاف ، مع نفاذ علمها إلى خيايا القلوب وذوات الصدور» (١٠٠) .

أدلة التوحيد

الآيات الأولى من السورة (١-٦) يمكن أن تكون عناصر لأدلة التوحيد وصفات الله العلى القدير. يكل شيء في الكون يتجه إليه بالعبادة ، ويعلن خضوعه وانقياده لقدرة الله : فالسماء مرفوعة ، والأرض مبسوطة ، والبحار جارية ، والهواء مسخر ، والشمس مسيرة ، والقعر باهر ، والكوكب زامر ، وكل شيء في مداره يسير مطنأ قدرة القدير ، مسبحا بلسان الحال ، مظهرا لله العبادة والخضوع .

مَسْبِح لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَدُوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيدُ ٱلْمَكِيمُ هَ لَهُ, مَلْكَ ٱلسَّمَدُوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يُعْتِى وَيُعِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلَّ هَمِهُ فَعِيرً هَ هُوَ ٱلْأَوْلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلطَّهُو وَٱلْطَامِلُ وَهُوَ بِكُلُ شَرِعُ عَلِيمٌ . (العديد: ١ - ٣) .

والقلب يهتز عند قراءة هذه الآيات وما بعدها ، يهتز من جلال القدرة الإلهية المؤثرة ، العبدعة لكل شء ، المحيطة بكل شيء، المهيمة على كل شيء، العليمة بكل شيء .

يهتر إجلالا للخالق القادر العليم الخبير ، المطلع على خفايا الصدور ، يهتز القلب حين يجول في الرجود كله فلا يوري الوجود كله فلا يجد إلا الله ، ولا يرى إلا الله ، ولا يحس بغير الله ، ولا يعلم له مهربًا من قدرته ، ولا مخبأ من علمه ، ولا مرجعا إلا إليه، ولا متوجها إلا لوجهه الكريع .

تثبيت الإيمان

الآيات (١٩-٧) دعوة إلى صدق الإيمان وتأكيده ، وحث على الإنفاق في سبيل الله . وظاهر من سيال الله . وظاهر من سياق السيرة أنها كأنت تعالج حالة في المجتمع المدنى في فترة تمتد من العام الرابع الهجرى إلى ما بعد فتح مكة ، فإلى جانب المهاجرين والأنصار ، الذين ضريوا أروع الأمثال في تحقيق الإيمان ، وفي البذل والتضحية بأرواحهم وأموالهم في إخلاص نادر وتجرد كامل ، إلى جانب هذه الفتة الممتازة الفذة كانت هناك في الجماعة الإسلامية فئة أخرى يصعب عليها البذل في سبيل الله ، وتشقّ عليها تكاليف العقيدة في النفس والمال ، وتزدهيها قيم الحياة الدنيا وزينتها ، فلا تستطيع الخلاص من دعوتها وإغرائها .

وهُولاه بصفة خاصة نجد هذه الآيات تدعهم إلى الإيمان وتحثهم عليه ، وتهتف بهم تلك الهتافات الموحية ، لتخلص أرواحهم من الإغراء ، والخلود إلى الأرض ، وترفعها إلى مسترى الإيمان الحق فيخاطبهم القرآن بقوله : عَامِنُوا بِآلِلَهِ وَرَسُولِهِ وَٱلفِقُوا مِنَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخَلَقِينَ فِيهِ فَٱلْلِينَ عَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلْفَقُواْ فَهُمْ أَجْرُ كَجِيرٌ . وَمَا لَكُمْ لَا تُونِيُونَ بَاللّهِ وَٱلرَّسُولَ يَلنُوكُمْ لِقَلِينُوا بِرَبُّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِينْفَكُمْ إِلا كُتَمْ مُؤْمِنِينَ . (الحديد : ١٨٠٧)

مشباهد الأخبرة

تعرض الآيات (١٧ – ١٥) صورةً وضيئةً للمؤمنين والمؤمنات يوم القيامة: يُوْمَ زَرَى ٱلْمُؤْيِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتَ يَسْمَىٰ فُورُهُم يُنْنَ أَيْدِيهِمْ وَبَأَيْمَانِهِم ... (الحديد: ١٧)،

والمشهد منا جديد بين المشاهد القرآنية ، إنه مشهدً عجيب : هؤلاء هم المؤمنون والمؤمنات نراه , ، ولكننا نرى بين أيديهم وبأيمانهم إشعاعا لطيفا هادئاً ، ذلك نورهم يشع منهم ويغيض بين أيديهم ، مهذه الشخوص الإنسانية قد أشرقت وأضاءت ، وأشعت نورا يمتد منها فيرى أمامها ويُرى عن يمينها ، إن اخور الذي أخرجها الله إليه ويه من الظلمات ، والذي أشرق في أرواحها فَعَلَتْ طينتها ، أو لعله نور الأنمال المسالحة التي عملتها في الدنيا ، ثم تبشرهم ملائكة الرحمن بجنات تجرى من تحتها الأنهار ينعمون فيها بالخارد وافور العظيم .

ولكن المشهد لا ينتهى عند هذا المنظر الطريف اللطيف... إن هناك المنافقين والمنافقات في حيرة وضلال ، وفي مهانة وإهمال، وهم يتعلقون بأذيال المؤمنين والمؤمنات ، ويقولون لهم : انظروا إلينا لنقتبس من برركم ، فيجيب المؤمنون بأن النور هنا هو نور العمل المسالح الذي عمل في الدنيا ، فالدنيا عمل ولا حساب ، والأخرة حساب ولا عمل ، والجزاء الدق هنا من جنس العمل ، ولذلك يحال بهن المؤمنين والكافرين، ويذهب المؤمنين إلى الرحمة والرضوان ، ويذهب المنافقين إلى عذاب الذار وينس المصير.

القلوب الخاشمة

الربح الثاني من سورة الحديد يفتمل على الأيات (١٦ – ٢٩) وفيها دعوة المرّمنين إلى أن تكون قلوبهم خاشعة قانتة ، تهتز لآيات الله وما نزل من الحق ، وتستجيب لنداء السماء ، وتؤثر الأخرة على الدنيا والباقية على الفانية .

ومضمون الآيات – كما ترى – امتداد لموضوح السورة الرئيسى : تحقيق حقيقة الإيمان في النفس حتى ينبذق عنها البذل الخالص في سبيل الله .

ويستهل الربح بِرِّنَة عتاب من الله سيحانه للمؤمنين الذين لم يصلوا إلى المرتبة السامية في الإيمان، وتلويح لهم بما كان من أهل الكتاب تبلهم من قسوة في القلوب وفسق في الأعمال ، وتحدير من هذا المآل الذي انتهى إليه أهل الكتاب بطول الأمد عليهم ، مع إطماعهم فى عون الله الذى يحيى القلوب كما يحيى الأرض بعد موتها ، قال تمالى : أَلَّمُ يَأْتُ لِللَّمِنَّ عَاشُوا أَنْ تَمُشْمُ قَلْوُهُمْ لَلذُّيُّ اللَّهُ وَمَا نَزَلُ مَنْ ٱلْصُوَّرِ ... (العديد: ١٦).

وتتبع هذه الدعوة إلى الخشوع والتقوى ، دعوة تالية إلى إقراض الله قرضا حسنا ، مع بيان ما أعده الله لمن يقرضونه في الدنيا من العوض المضاعف والأجر الكريم . (انظر الآيتين : ١٩٠ ، ١٩) .

والآية (٢٠) رسم رائع ، وميزان بمادل يضع قيم الدنيا كلها في كفة ، وقيم الأخرة في كفة .. حيث تبدو قيم الأرض لعبا خفيفة الوزن ، وترجح كفة الأخرة ويبدو فيها الجد الذي يستحق الاهتمام .

ومن ثم تهتف الآية (٢١) بهم ليسابقوا إلى قيم الأخرى .. في جنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للمتقدر .

والآيتان (۲۷ ، ۲۳) درس مفيد في الإيمان بالقضاء والقدر ، وبيان أن الأجل بيد الله الذي خلق النفوس وكتب أجلها ورزقها ، حتى لا نكثر الأسى على ما فاتنا ، ولا نكثر الفرح بما جاءنا فالقلب الموصول بالله ثابت في المحن ، واضر في العنح .

وتحرض الآيات (٢٥ –٢٧) طرفا من تاريخ دعوة الله في الأرض ، تبدر فيه وحدة العنهج واستقامة الطريق ، وأن الذي يحيد عنه في كل عهد هم الفاسقون .

وفي الآية قبل الأخيرة من السورة متاف ودعوة للمؤمنين لتقوى الله ، وصدق الإيمان برسوله ، وبذلك يعطيهم الله نصيبين من رحمته ، ويجعل لهم نورا يمشون به ويغفر لهم ، ففضل الله ليس وقفا على: أمل الكتاب كما يزعمون ، إنما هو بيد الله يزتيه من يشام ، وَاللَّهُ فُو ٱلْفَصْلُ ٱلْعَظِيم .

وهكذا تبدى السورة من أرابها إلى أعرها مترابطة الحلقات ، في خط واحد ثابت ، تتوالى إيقاعاتها على القلوب ، منوعة ومتشابهة ، فيها من التكرار القدر اللازم لتعميق أثر الإيقاع في القلب وطرقه وهو ساخن، وتلوين هذه المؤثرات أمام المخاطبين .

لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا . (١١٣: ١١٣).

«ويعد .. فهذه السورة نموذج من النماذج القرآنية الواضحة في خطاب القلوب البشرية ، واستجاشتها بأسلوب عميق التأثير ، وهى في بدئها وسياقها وختامها ، وفي طريقة تناولها للموضوع وسيرها فيه جولة بعد جولة هى في هذا درس بديع للدعاة ، يعلمهم كيف يخاطبون الناس، وكيف يوقظون الفطرة، وكيف يستحيون القلوب ». ٢٠٠٠ .

قال الفيروزبادي :

معظم مقصود السورة: الإرشارة إلى تسبيح جملة المخلوقين والمخلوقات ، في الأرض والسماوات ، وتنزيه الحق في الذات والصفات ، وأمر المؤمنين بإنفاق النفقات والصدقات ، وذكر حيرة المنافقين والنخافقات في ساحة القيامة ، وبيان خسة الدنيا وعز الجنات ، وتسلية الخلق عند هجوم النكبات والمصيبات "" في قوله تعالى :

مَا أَصَابَ مِن مُعيِمَةٍ فِي ٱلأَرْضِ وَلَا فِيَ أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتْسُو مِّن قَبْلِ أَن لَبُرَأَهَا إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . لَكُيْلاَ تَأْسُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا فَفُرَعُواْ بِمَا عَاشَكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُعِبُّ كُلُّ مُعْتَال فِصُودِ . (الحديد : ۲۳٬۲۲) .

* * *

دلائل القدرة الإلهية

بِسَــِهِ الْغَوْزَالَ عِيدَ

لمفردات:

سَــــــُـــح ؛ نَزَّهِ الله ومجَّده وقدَّسه .

البعيريني: القويرُ الغالب على كل شيء.

الحكيم: الذي يفعل أفعاله وفق الحكمة والصواب.

يُنصيبي، يُحيى النُّطف، فيجعلها أشفاصا عُقلاء فاهمين ناطقين.

ويسميت؛ يميت الأحياء، وهو على كل من الإحياء والإماتة قدير.

الأول ؛ السابق على سائر الموجودات.

الأخسر، الباتي بعد فنائها.

الطاهر ، الذي ظهرت دلائل وجوده وتكاثرت .

المساطن ، الذي خفيت عدًّا ذاته فلم ترها العيون ، فهو ظاهر بأثاره وأفعاله ، ومشرق بجماله وكماله ، وظاهر بظبته على مخلوقاته ، وتسخيرها لإرادته ، وياطن بعلمه بما خفي منها ، فلا تخفي عليه خالفية. ستة أيام : ستة أطوار ، أو ست مراحل ، وربُّما ستة بالايين سنة .

استسوى د جاس ، والاستواء هذا بمعنى استولى .

العصرين، أصله : سرير الملك ، وفي الاصبطلاح الديني : شَلَقٌ عظهمٌ محيط بالعالم ، منه تنزل القديدرات الإلهية. يسلسع: بدخل .

يسعبرج، يمبعد .

يُـولـج ، يُدخل .

ذات العطور؛ مكنونات النفس، وخفيات السرائر.

تمهيد ه

سورة الحديد سورة عنيت بتنبيت العقيدة ، وحشد الدلائل على قدرة الله تعالى ، فهو سبحانه المنزّه عن النظير والمثيل ، وهو المالك للسماوات والأرض ، وبيده الحياة والموت ، وهو ظاهر فى كل ما تراه الميين ، وهو بناطن فلا تدركه الأبصار ، وهر يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، وهو خالق الكون فى ست مالحو ، حيث كان الكون كرة ملتهبة ، مرّت بها ستة بالايين سنة حتى صارت مسالحة للحياة ، وكانت السنّاء صمّاء لا تعطر ، والأرض رتقاء لا تنبت ، ففتق الله السماء بالمطر ، والأرض بالنبات ، وأجرى الهواء، وسمِّر الشمس والقمر ، والليل والنهار ، وجمل الكون صالحا لحياة الإنسان عليه ، وهو عالم بما ينزل فى الأرض من كنوز ومعادن وبذور ، وما يخرج منها كالزرع والمعادن والبترول لمصلحة الناس ، ويجب إخراج زكاته ، وهو عالم بما ينزل من السماء كالمطر والملائكة ، وبما يصعد إليها من الدعاء .

وهن سبحانه يطيل الليل في الشتاء ، بحيث يمتد إلى ١٤ ساعة ، وينقص النهار حتى يصل إلى ١٠ ساعات ، ثم يحدث العكس في الصيف ، حيث يقصر الليل ويطول النهار ، وهو مطّلع على خفايا النفوس ، ومحاسب على غفيات السرائن .

التفسيره

١- سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمْ وَاتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ .

نزّه الله ومجدّه وعظّمه ما في السماوات من الملائكة والأبراج والأفلاك، والعحاب والشمس والقمر، والقضاء والهواء، وما في الأرض من النبات والأنهار والبحار والأشجار، والرمال والإنسان والعيوان، والطهور والوحوش والزواحف والهوام، وهو العزيز الغالب الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في تصرفاته وأنعاله.

والتسبيح يكون بلسان المقال مثل تسبيح الإنسان والجان والملائكة وسائر العقلاء.

وقد يكون القسييح بلسان الحال ، بمعنى أن دلالة المخلوقات التى فى الكون ، فيها إشارة إلى يد القدين القدين القدين القدين القدين القدين القدين المنافقة الكون ، وتخفظ نظامه ، وتدل بما فيه من نظام وإحكام على قدرة القدين وحكمة العزيز ، ومن التسبيح بلسان الحال : ارتفاع السماء ، وحركة الشمس والقمر ، والليل والنهان والنهوم والأبراج والأفلاك ، وجمع ذرات الأرضين ، وما فيها من جبال ويحار ، وشجر ودواب وغير ذلك ، كلّها مسبحة خاشعة خاضعة لذاته .

قال تحالى: تُسَبِّحُ لُهُ ٱلسَّمَدُوَاتُ ٱلسَّبِعُ وَٱلْأَرْصُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّح تَسْبِيحُهُمْ.. (الإسراء: ٤٤٤).

قال المفسرون: قد جاء في بعض فواتع السور (سُجَّعَ للّه) بلفظ الماضي، وفي بعضها (سُجِّع للّه) بلفظ المضارع ، وفيه إشارة إلى كن جميع الأشياء مسبَّحة لله أبدًا في الماضي ، وستكون مسبحة في المستقبل .

قال تعالى : أَلَمْ مَنَ أَنَّ ٱللَّهُ يَسْجُلُهُ لَهُ, مَن فِي السَّمَلُوَاتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْفَمُو وَٱلْحِمَالُ وَالشَّجُوُ وَٱلدُّوَالُ وَكَبِرٌ مَنَ ٱلثَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقْ عَلَيْهِ ٱلْعَلْبُ ... (السح ١٨: ١.

٧ - لَهُ, مُلْكُ ٱلسَّمَنُوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْمِي وَيُعِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلُّ شَيْءٍ قَلِيرٌ .

لله تجالى وحده ملك السماء وما فيها ، وملك الأرض وما عليها وما فيها ، فهو المالك الحقيقي لهذا الكون ، ومثلك غير الله مثلك عارض ، أمَّا مُلك الله لهذا الكون ، وحفظه وعنايته بهذا الكون ، فذلك مُلكُ دائم، وهو سبحانه ذو قدرة بالغة ، لا يتعذر عليه شيء أراده من إحياء وإمانة ، وإعزاز وإذلال.

وقريب من ذلك ما ورد في آية الكرسي:

ٱللَّهُ لاَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ, سِنَّةً وَلَا نُومٌ لُهُ, مَا فِي ٱلسَّمَا وَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْض... (البعدة : ٢٥٥).

٣ - هُوَ ٱلْأَوْلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظُّنهُرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .

أورد ابن كثير طائفة من الأحاديث عند تفسير هذه الآية ، منها ما يأتي :

عن العرباض بن سارية ، أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبّحات قبل أن يرقد ، وقال : «إن فيهن آبة . أفضل من الف آية» (١٠٠٠) والآية المشار إليها في الحديث هي – والله أعلم ~ قوله تعالى : هُوَ آلاَّ وَلَ وَٱلْآخِرُ وَٱلطَّهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلُ شَيْءٍ عَلِيمٌ .

وقد أخرج الحافظ أبو يعلى الموصلى ، عن عائشة أنها قالت : كان رسول الله ﷺ يأمر بفراشه، فيفرش له مستقبل القبلة ، فإذا أرى إليه توسد كفه الهمنى ثم همس ، ما أدرى ما يقول ، فإذا كان في آخر الليل رفع صوته فقال : «اللهم ربُّ السماوات السبع ، ورب العرش العظيم ، إله كل شيء ، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فالق الحب والنوى ، أعوذ بك من شرّكل شيء أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت الأزّل الذي ليس قبلك شيء، وأنت الآخر الذي ليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر ظيس فوقك شيء ، وأنت الباطن ظيس دونك شيء، القص عنا الدين وأغننا من الفقري ⁶¹⁰، وأضرجه مسلم ، وأحمد .

فالله تعالى أول ليس لوجوده بداية ، ولا لبقائه نهاية .

قال تعالى : كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا قَانٍ ، وَيَنْفَىٰ وَجْهُ رَبُّكَ ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ . (الرحمن : ٢٦. ٧٧).

وهو سبحانه ظاهر للعقول بالأدلُّة والبراهين ، وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد.

وهو سبحانه باطن فلا تدركه ألأبصار، ولا تصل العقول إلى معرفة كنه ذاته.

وَهُوَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .

قد أحاط الله بكل شيء علما ، أحاط علمه بكل ذرة في الكون ، لا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو بكل شيء عليم.

= هُوَ ٱللهِ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰذُواتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِنَّةِ أَيَّام ثُمُ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِخُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَمْشُرُخُ مَا يَعْرُخُ وَاللَّهِ بِمَا تَعْمَلُونَ يَعِيرٌ .
 مِنْهَا وَمَا يَنْولُ مِنْ ٱلسَّمَانُو وَمَا يَعُرُخُ فِيهَا وَهُوْ مَعْكُمْ أَيْنَ مَا كُعْمُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ يَعِيرٍ .

تسابق المسلمون إلى العمل بالقرآن الكريم ، وقد آمنوا بالمحكم ، وفوضوا إلى الله تعالى المتشابه ، واندفعوا إلى تحقيق مطالب الإيمان ، فقتحوا البلاد ، ونشروا دين الله في الأرض ، ويعد الفتوح والهدوم وجدنا البحث في الصفات وفي المتشابه .

فالسلف يقولون: نؤمن بها كما وربت، ونفوض المراد إلى الله تمالى.

مثل قوله تعالى : ثُمُّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ .

قال الإمام مالك:

الاستوام معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به وأجب ، والسؤال عنه بدعة .

أي أننا نؤمن بآيات الصفات كما جاءت ، بلا تشبيه ولا تعطيل ، نؤمن بأن الله على العرش ، كيف · شاء وكما شاء ، بلا حدُّ ولا صفة يبلغها واسف .

أما مذهب الخلف فيقولون : حاشا وكلًّا أن يُنزل الله قرآنا ، ويطلب منا تدبّره وفهمه والاستنباط منه، ثم نمنع أنفسنا من تأويله بمعان تليق بذاته تعالى ، مثل:

يَدُ ٱللَّهِ قَوْقَ أَيْدِيهِمْ ... (الفتح : ١٠) . وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي . (طه : ٣٩) . ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ . (الصديد : ٤).

فيژولون ذلك بقولهم : قدرة الله فوق قدرتهم ، ولتريّى بعنايتى وتوفيقى ، ثم استولى وغلب وقهر وَمَكُ المرشّ ، وهر خلق عظيم محيط بالعالم ، منه تنزل التدبيرات الإلهية .

جاء في تفسير المنار:

والمعنى الكليّ المفهوم من العرش أنّه مركز نظام الملك ، ومصدر التدبير له ، وأن العتبادر في الاستعمال اللغوى استعمالهم : استرى على عرشه ، بمعنى ملك أو استقام أمر الملك له ، وثُلُّ عرشه ، بمعنى هلك وزال ملكه ، ونحن نطم أن عروش ملوك البشر تختلف مادة وشكلا ، وهي من عالم الشهادة ، وصنع أيدى البشر ، أما عرش الرحمن فهر من عالم الغيب الذي لا ندركه بحواسنا ، ولا نستطيع تصويره بأفكارنا، وحسينا أن نقهم العملة ، ونستغيد العبرة .

خلق السماوات والأرض

المتأمل في الآيات التي تحدثت عن خلق السماوات والأرض وعن خلق الكرن ، يخلص إلى النقاط الآتية:

١ – وجود مراحل سن للخلق عموماً .

٢ - تداخل مراحل خلق السماوات مع مراحل خلق الأرض، .

٣ - خلق الكون ابتداء من كومة أولية فريدة ، كانت تشكُّل كتلة متماسكة، انفصلت أجزارُها بعد ذلك.

٤ - تعدد السماوات ، وتعدد الكواكب التي تشبه الأرض.

ه - وجود خلق وسيط بين السماوات والأرض.

- إن المطابقة واضحة بين مفهوم السديم الأولى في العلم الحديث ، والدُّهان على أحسب إشارة القرآن .
 للدلالة على الحالة الغازية للمارة التي كونت الكون في هذه المرحلة الأولى .

وآيات القرآن الكريم يفسّر بعضها بعضا ، ويكمل بعضها ، وقد أفاد القرآن أن الكون كان كرة ملتهبة ملتصفة ببعضها ، وكانت السماء رتقاء لا تُمطِر ، والأرض مسنًاء لا تنبت ، ففتق الله السماء بالمطر، وفتق الأرض بالنبات ، وسخَّر الهواء والفضاء، والشمس والقمر ، والأِنهار والهمار والنبات ، ليعمر الكون بإرادة الله .

هال تعالى: أوَلَمْ تَمْ اللِّينَ كَفُرُوّا أَنْ السَّمَوْاتِ وَالْأَرْضَ كَافَا وَلَقَا فَفَقَتْنَ لِهَمَّا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاتِّ فَلَ هُمْ عِنَّ الْلَهُ يُؤْمِئُونَ ۚ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ وَوْ اسِي أَن تَعِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا شَيْلاً أَقلَهُمْ يَهْتَلُونَ ۚ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا شَخْلُوطًا وَهُمْ عَنْ عَلَيْنِهِا لَمَعْرِضُونَ ۚ وَهُوْ ٱللَّبِي مَثْلُقَ ٱلنَّنِ وَالشَّهْمَا وَالشَّمْسَ وَالْفَقَرَ كُلُّ فِي فَلْلِيْ يَسْتَبُحُونَ (الانبياء : ٣٠ – ٣٣).

معنى الآية :

هُوَ ٱلَّذِي حَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامِ...

أى: خلق الكرن في مقدار ستة أيام من أيام الله تعالى ، ولو شاه لخلق السماوات والأرض في لمح البصر، لكنه أراد أن يعلّم عباده للحكمة والصبر ، والأخذ بالأسباب ، وأتبّاع السنن الإلهية في الجدّ والعمل والدأبّ ، وانتظار الوقت المناسب الإنضاء الثمرة ، أو اكتمال العمل .

وقد انعقد في الولايات المتحدة الأمريكية مؤتمر للبحث في عمر الدنيا ، وعمر الإنسان على هذا الكركب، وذلك في أبريل سنة ، وأن عمر الإنسان الكركب، وذلك في أبريل سنة ، وأن عمر الإنسان في هذا الكرن 7 بلايين سنة ، حتى هذأت القشرة الملتهية ، في هذا الكرن 7 بلايين سنة ، حتى هذأت القشرة الملتهية ، وأمسبح الكون مسالما لحياة الإنسان ، ثم استخلف الله آدم لعمارة الأرض واستغلال طاقاتها ، وقدر الله في الأرض أرزاقها وأقواتها ، وحدّ الإنسان على أداء الصلاة ، ثم السعى على كسب الأرزاق .

قال تعالى: فَإِذَا فُعِيْمَتِ ٱلصَّلَوَٰهُ فَآتَتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضَ وَآبَتَكُواْ مِن فَصَلَرِ ٱللَّهِ وَآذَكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَعُلَّكُمْ مُطْلِحُونَ. (المجمعة : ١٠)

ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرِشِ ...

ثم استولى على الملك ، يدبره ويوصل كلُّ شيء فيه إلى كماله .

يَعْلَمُ مَا يَلِحُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَحْرُجُ مِنْهَا ...

يعلم ما بداخل الأرض من مطر وأموات ويذور وحشرات ، وهوام وكنوز وغيرها ، علما تفصيليا ، ويعلم الله ، ما يَشْرُحُ مُنْهَا . من نبات ونفائس ، ومعادن ونحوها ، كما قال تعالى :

وَعِندُهُ مَفَائِحُ ٱلْفَيْبِ وَيَعْلَمُهَمْ إِلَّهُ هُو وَيُعْلَمُ مَا فِي ٱلْبُرُ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَوَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلَا حَبُّةٍ فِي ظُلُمَنت آلاَّوْس وَلاَ وَطَبِ وَلاَ يَاسِ الَّهِ فِي كِتَسْبِ شِين - (الأنعام : ٥٩) .

وَمَا يَنزِنُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ... من الأرزاق والملائكة والرحمة والعذاب.

وَ مَا يَعُرُّمُ فِيهَا . وما يصعد إليها من كلم طيب ودعوات وعبادات ، أو ذرات البشار ، أو جن يسترق السمء أو أزواح تصعد إلى بارتها .

قال تعالى: إِلَهْ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيْبُ وَٱلْعَمَٰلُ ٱلصَّلِحُ يَرْفَعُهُ... (فاطر: ١٠).

وقال تعالى: أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ... (الملك: ١٤).

وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ...

هو سبحانه مع خلقه جميعا بعلمه وقدرته ، وتدبيره وإجاطته إحاطة تامُّة بجميع الموجودات .

قال تعالى : وَمَا يَعُوُّبُ عَن رُبُكَ مِن مُقَالِ ذَرَّهِ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ وَلَا ٱمْغَوَ مِن ذَالِكَ وَلَا أَكُبَرَ إِلَّا فِي كِتَلْسِهِ ثَمِينٍ . (يوندن ١١).

وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ يَصِيرٌ .

هو سبحانه مطلع وشاهد ، ورقيب وحسيب، تنكشف أمامه جميع الموجودات انكشافًا تاما دون سبق خفاء فهو سبحانه سميم بصبير .

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجبريل لمّا سأله عن الإحسان : «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». (۳۰) .

وكان الإمام أحمد رحمه الله تعالى ينشد هذين البيتين :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قبل على رفيب ولا تحسين الله يغفل ساعة ولا أنّ ما يخفى عليه يغيب

قه, مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ .

هو الدالك لأمرهما ، والمديرُ لشئونهما ، والنافذ حكمه فيهما، وإليه مصير جميع خلقه ، فيقضي: بينهم بحكمه.

إنه هو سيحانه المعرِّ المدّلِّ، القايض الباسط ، المعطى المانع ، الكون في قيضته ، والسماوات والأرض في ملكوته وحفظه ، وإليه مرجع الخلائق جميعا ، فيحاسبهم على أعمالهم ، ويجازيهم على الإحسان إحسانا ، وعلى السوء سوءا .

قال تعالى : وَهُوَ ٱللَّهُ لَاَ إِلَنَهُ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْلُ فِي ٱلْوَلَىٰ وَٱلْإَحِرَّةِ وَلَهُ ٱلْحُكُمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . (القصمى: ٧٠). ٣ - يُولِجُ ٱلْيَالُ فِي ٱللَّهُا وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلْيَّلِ وَهَوَ عَلِيمٌ بِلَاتِ ٱلصَّدُورِ .

يدخل الليل في النهار ، ويدخل النهار في الليل، فهو سبحانه يقلّب الليل والنهار ويقدّبهما بحكمته ومشيته ، فتارة يطول الليل إلى ١٤ ساعة، ويقصر النهار إلى ١٠ ساعات ، وتارة يحدث العكس ، يقصر الليل ويطول النهار ، وتارة يتركهما متعادلين ، وحينا يجعل الفصل شتاء أو ربيما ، وحينا يكون صيفا أو خريفا ، ويقلّب الطقس فتراه بردًا معطرًا عاصفا ، وتراه تارة أخرى مشمسا هادئًا ، ومرة حازًا لافحا ، ومرة معدلًا ، وهد سبحانه العليم بالسرائر والضمائر ، والمطلع على النوايا والنفايا ، وفي ذلك حث على الإخلاص، والشكر لله على ما أولي وأنمع .

الحث على الصدقة

﴿ اَمِنُوا بِاللّهِ وَرَسُواهِ وَأَنفِقُوا مِمّا جَمَلَكُمْ تُسْتَخْلَفِينَ فِيدٌ فَالَّذِينَ وَامْنُوامِنكُو وَأَففَقُوا كُمْ أَمْ عُكِيرٌ ۞ وَمَالكُو لا نُوْمِثُونَ بِاللّهِ وَالرّسُولُ يَدْعُوكُم لِنُوْمِثُوا بِرَيَحُوفَة آخَذَ مِنتَقَكُر إِن كُنُمُ مُنْ وَمِينِ فَ هُوَ الّذِي يُنَزِلُ عَلَى عَبْدِهِ عَلَيْتِ بِيَنتَو لِيُخْرِيمُ كُم مِن الظُلْمَن الطَّلْمَن اللهُ اللّهُ وَمَالكُوا اللّهُ يَعْفُوا فِي سَيدِ لِاللّهِ وَالْحَيْدُ الشّمَونِ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ مَن وَمَالكُوا اللّهُ اللّهُ عَلَيْهِ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَمَالكُوا اللّهُ اللّهُ وَمَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَمَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَمَاللّهُ وَمَاللّهُ اللّهُ مِنْ فَيَاللّهُ وَمَن فَيْ اللّهُ وَمَاللّهُ اللّهُ مِن فَي اللّهُ مِن اللّهُ عَلَيْهُ وَمُن اللّهُ وَمَن اللّهُ اللّهُ مِن اللّهُ اللّهُ مِن اللّهُ اللّهُ مِن اللّهُ اللّهُ مِن اللّهُ اللّهُ مِنْ اللّهُ وَمَن اللّهُ اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ مِن اللّهُ اللّهُ مِن اللّهُ اللّهُ مِن اللّهُ اللّهُ مِن اللّهُ اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ وَمِنا اللّهُ اللّهُ مِن اللّهُ اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَمِنا مُن اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللل

المفردات ا

مستخلفين فهه و جملكم سبحانه خلفاء عنه في التصرف من غير أن تملكوه.

وقد اعْدَمَهُ مَهْ الْمَعَلَى الأول وهم في ظهر آدم ، بأنَّ الله ربكم لا إله لكم سواه ، وقيل : الميثاق هو أنّه منحكم العقول ، ونصب لكم الأدلة ، ومكتكم من النظر فيها .

الأيبات البيينيات ، القرآن .

المستسح ، فتح مكة .

السحس سنسى: المثوية الحسنى، وهي النصر والغنيمة في الدنيا، والجنة في الآخرة.

يستسرض السلسه ، ينفق ماله في سبيله رجاء ثوابه .

التفسيره

٧ - ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلْلِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ .

سبق أن بينت الآيات السابعُّة أن الملك بيد الله ، فهو سبحانه الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو مطلع على النوايا والخفايا ، وهنا نجد تربية إلهية للمؤمنين :

ءَامِئُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ...

اصدقوا في إيمانكم بالله ، وأنه وحده هو الخالق المستحق للعبادة ، واصدقوا في إيمانكم بمحمد رسول الله ، وقد يُطلب من المؤمن الإيمان ، بمعنى : زيدوا في إيمانكم ويالغوا في تضحياتكم ، والتزموا مطاعة أوامر الله ، وسوله ، وأعلصوا النية .

قال تعالى: يَنْأَيُّهَا ٱلَّذِينَ عَامُّنُوٓا عَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ... (النساء: ١٣٦).

وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ...

فى النظم الشيوعية نجد المنابة متجهة لتفخيم أمر المجتمع رحقوقه ، وفى النظم الرأسمالية تتجه العنابة إلى حرية الفرد فى تثمير ماله ، أما النظام الإسلامي فقد امتم بحق الفرد فى التملك ، وحرّم العدوان على مال الآخرين ، فحرم السرقة والغصب والرشوة وأكل أموال الناس بالباطل ، ثم أوجب للمجتمع حمًّا فى الزكاة والمسدقة والنذر والكفارات ، فأوجد التعارن بين الفرد والمجتمع ، بحيث إنه جعل الغنى موظفًا اجتماعيًا فى ماله ، فالمال مال الله ، والفنيّ مُستخلف عن الله فى رعاية المال وتثميره ، وإخراج الزكاة والصدقة منه .

أخرج الإمام مسلم ، والإمام أحمد ، عن عبد الله بن الشّخير قال: انتهيت إلى رسول اله ﷺ وهو يقول: « «الهاكم التكاثر ، يقول ابن آمم : مالى مالى ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ؟ أو لبست فأبليت ؟ أو تصدقت فأمضيت ؟ وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس» (١٠٠) :

فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ .

فالذين صدَّقل وآمنوا بريهم ورسوله ، وأنفقوا مما منَّحهم الله ، ومما جعلهم مستخلفين فيه ، لهم ثواب عظيم ، وأجر كبير وهو الجنة ، فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون .

٨ - وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرُّسُولُ يَدَعُوكُمْ لِتَوْمِنُواْ بِرَبَّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيفَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ .

أى شىء يمنعكم من الإيمان بالله ، والرسول محمد ﷺ قائم بينكم بالدعوة والتوضيح ، والحث على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؟

وَقَدُّ أَخَذَ مِيثَاقَكُمُ ...

ركّب الله فيُحم العقول والأفكار ، وأودع فيكم التأمُّل والنظر ، وحثكم على استخدام الفكر والرأي ، . واللبّ والفؤاد ، وبذلك ينتقل الإنسان إلى شاهد على أن هذا الكون لم يُخلق سدى ، ولن يترك عبثًا ، وأن وراء الكون البديع يد الله المبدع الخالق .

قال الشاعر:

وفسى كسل شسىء لسه آيسة لسدل عسلسي أنسه السواحسد

وقيل: معنى : وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ ...

إشارة إلى عهد الله على بنى أدم ، حين أهذ الذرية من ظهر أدم عليه السلام ، وأهدُّ عليها المهد والميثاق أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأهر.

وإلى ذلك أشار القرآن الكريم بقوله : وَإِذْ أَخَذَ زَكُكَ مِنْ بَينَ ءَادَمَ مِن هُهُورِهِمْ فُرْزَتَهُمْ وَأَهْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ مُرْبَكُمُ قَالُواْ بَلَيْ شَهِدُمَّا ... (الأعواف: ١٧٧) .

إِنْ كُنفُم مُّوْمِنِينَ .

إن كنتم مؤمنين في وقت من الأوقات ، فالآن أحرى الأوقات ، لقيام المجج والبراهين عليكم .

أخرج البخارى في كتاب الإيمان ، أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه : «أي المؤمنين أعجب إليكم إيماناً»؟ قالوا : الملائكة . قال : «وما لهم لا يؤمنون وهم عند ريهم» ؟ قالوا : فالأنبياء . قال : «وما لهم لا يؤمنون والوحى ينزل عليهم»؟ قالوا : فنحن . قال : «وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم ؟ ولكن أعجب المؤمنين إيماناً قوم يجيئون بعدكم ، يجودن صحفاً يؤمنون بما فيها» (١٠٠٠).

قال ابن كثير:

وقوله تعالى : وَقَلْ أَخَلَ مِشَاقَكُمْ .

كما قال تعالى : وَٱذْكُرُواْ نِفْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيفَـٰقَةُ ٱلَّذِى وَالْقَكُم بِهِ إِذْ قَلْتُمْ سَمِقْنَا وَأَفْقَنَا ... (المائدة : ٧) .

ويعنى بذلك بيعة الرسول ﷺ.

٩ – هُوَ ٱلَّذِي يُنزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ عَائِسْتِم بَيْنَسْتِ لِنَخْرِجَكُم مِّنَ ٱلطُّلُمَسْتِ إِلَى ٱللَّورِ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ أَرَعُوفَ رَّحِيمٌ .

الوحى ينزل على رسول الله ﷺ حاملاً الهدى والبيان ، حاملاً دلائل الإيمان ، حاملاً أخبار البشرية ، وخلق الدين وحلق الدين وح

وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَوَءُوكَ رَّحِيمٌ .

فى تشريعاته وتيسيزاته ، ومن رحمته الهداية وإرسال محمد ﷺ ، ومن رحمته رفع الحرج ، فأياح التيمم للمريض عند عدم قدرته على استخدام الماء ، وأباح الفِيلَّر للمريض والمسافر فى رمضان ، ثم القضاء أو الفدية .

قال تعالى : مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ... (المائدة : ٦) .

وقال سبحانه : يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْمُسْرَ ... (البقرة : ١٨٥) .

ومن رحمته قبول التوبة من عباده .

قال تعالى : وَرَحْمَعِي وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ ... (الأعراف : ١٥٦) .

فما أعظم رأفته ، وما أعظم رحمته ، فقد قسم الرحمة مائة جزء ، أنزل جزءًا واحداً في الدنيا يتراهم به الناس ، وادُهر تسعة وتسعين جزءًا ، يرحم بها عباده يوم القيامة .

١٠ - وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُعِفُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَا يَسْتَوى مِنكُم مَنْ أَلْفَقَ مِن قَبَلِ ٱلْقَنْعِ وَقَلْمَ أَنْ مَنْ أَلْمَ اللَّهِ مَا تَعْمَلُونَ عَبِيرٌ.

أى شيء يمنعكم من الإنفاق في مرضاة الله ، ونُصر دينه ، وتأييد رسوله ، وتبليغ دعوته ، ودُعم الجهاد في تأييد الإسلام ، ومرضاة الرحمن ؟

والحياة الدنيا محدودة ، فستتهي أعماركم ، ويؤول المال إلى وارثكم ، وفي ذلك الوقت لا تستطيعون الإنفاق ، وفي الأثار: (إن مالك ما قدّمت ، ومال وارثك ما تُمُرت) .

أو أن الناس جميعًا سُتقشَى ، والله هو الباقي وحده ، وسيرول إليه سبحانه ملك السماوات والأرض ، فملك البُشر عارية محدودة ، وملك الله باق خالد . قال تعالى : كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ م وَيَنْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ . (الرحمن : ٢٧ ، ٢٧) .

وقال تعالى : وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَحْلَقِينَ فِيهِ ... (المديد : ٧) .

فالمال مال الله ، والإنسان مستخلف عليه لتقميره ووضعه في حقه ، وكان الرجل من المسالحين يقول : هذا مال الله عندي ، ويقول : لله عندي سبعة أولاد ، وسبعون ألفاً من الدراهم .

والخلاصة :

أنفقوا من أموالكم في سبيل الله قبل أن تموتوا ، ليكون ذلك ذخرًا لكم عند ربكم ، فبعد الموت لا تقدرون على ذلك ، إذ تصبير الأموال ميراتاً لمن له السماوات والأرض .

لَا يَسْتَوى مِنكُم مِّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَلْتَلَ ...

كان الإسلام غريبًا في مكة ، مكت فيها النبي ﷺ ثلاثة عشر عامًا ، وكلُّ من آمن به مائتا رجل وامرأة ، ولما هاجر المسلمون إلى المدينة بدأ الجهاد والقتال ، وخاض النبي ﷺ مع أصحابه النتين وهمسين غزية وسرية ، مع أن مدة المدينة كلَّها كانت عشر سنوات ، أي أنه كان لا يمضى شهران في المحسط إلا والمسلمون يخوضون غمار غزية مع رسول الله ﷺ ، أو سرية مع أمير من الصحابة ، وكان الرقت فيه عسرة ومشقة ، وقلةً في المال ، فمن تمثّوع بماله ونفسه في تلك الفترة ، وفي وقت الجهد والمشقة والكفاح ، كان أصدق قمدًا ، وأرغب فيما عند الله ، ثم فتحت مكة سنة ٨ هـ ، ودخل الناس في دين الله أفراجًا ، وجاء المائف ، فقارن القرآن القر

قال تعالى: أُوْلَلْتِكَ أَعْظَمُ تَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ ٱلفَقُواْ مِنْ بَعْدُ وَقَلْتَلُواْ ...

من أنفق المال وقاتل في سبيل الله قبل فتع مكة ، أن قبل صلح الحديبية ، أعظم أجرًا وقوابًا ورضوانًا من الله ، من الذين أنفقوا أموالهم ويذلوا أنفسهم بعد فتح مكة ، أو بعد صلح الحديبية .

وجمهور العلماء على أن المراد بالفتح فتح مكة ، وقيل : الفتح : صلح الحديبية .

قَالَ قَعَادَة : كان قتالان أحدهما أفضل من الآخر ، ونفقتان إحداهما أفضل من الأخرى ، كان القتال والنفقة من قبل فتح مكة أفضل من النفقة والقتال بعد ذلك .

وَكُلاً وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ...

أى: كلا من الذبن أنفقوا وجاهدوا قبل الفتح ، والذين أنفقوا وجاهدوا بعد الفتح ، وعدهم الله الثواب العظيم والجنة ، أو عز الدنيا وشرف الآخرة ، وإن كان بينهم تفارت في مقدار الجزاء .

كما قال تعالى : لا يَسْتَوِى ٱلقَعِلُونَ مِن ٱلْمُؤْمِينَ غَيْرُ أَوْلِى ٱلطَّرَرِ وَٱلْمُحُلُهِدُنَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِٱمْرَافِهِمْ وَأَهْسِهِمْ لَعَمَّلُ ٱللَّهُ ٱلْمُحَلِّهِينَ بِأَمْرَافِهِمْ وَأَهْسِهِمْ عَلَى ٱلْقَاجِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاَّ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُحَلَّهِينَ عَلَى ٱلقَدِهِينَ أَجْرًا عَظِيمًا . (النساء: ١٥٠).

وفي الحديث الصحيح : «المؤمن القويُّ خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير».

لقد استوى الاثنان فى الخير ، وفى الجزاء بالحسنى والجنة ، لكن الله فاوت بين الاثنين فى الفضل ، وفضًّل من أنفق وجاهد فى وقت المشقة ، وقلة العدد وقلة المال ، حيث كان الإخلاص أظهر ، والرغبة فيما عند الله أوضح ، ومع ذلك جعل سبحانه جزاءً حسنًا لمن أنفق بعد الفتح وقائل .

قال تعالى في ختام الآية : وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ .

هو سبحانه مطلع على القلوب والنفوس ، عالم بالتُّوايا ، يعلم السر وأخفى ، وهو المجازي على أعمالكم ، فأهلمسوا له النية .

١١ - مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا قَيْصَنْعِقَهُ, لَهُ, وَلَهُمْ أَجُرُ كُويمٌ.

هذا استفهام للحث والتصفيض على الإنفاق في سبيل الله ، وفي سائر وجوه الغير ، فالآية عامة في كل خير ،أي : من ذا الذي ينفق في سبيل الله حتى يعوِّضه الله أضعافًا كثيرة إلى سبعمائة ضعف ، مع الكرامة والبُشري بالجنة .

وقد كان للسابقين إلى الإسلام النصيب الأوفى من هذا القرض ، وذلك الجزاء الكريم .

أخرج البخارى ، ومسلم ، وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تسبُوا أصحابي ، فوالذي نفس محمد بيده ، لو أن أحدكم أفق مثل أحرِ نهبًا ، ما أدرك مُدُ أحدهم ولا نصيفه، ٢٠٠٥،

وألهوج ابن أبمي حاتم ، عن ابن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية : شُّ ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قُرْضُا حَسَنًا فَيُصَاهِفُهُ لَهُ , ... قال أبر الدحداح الأنصاري : يا رسول الله ، وإن الله ليريد منا القرض ؟ قال : «نعم يا أبا الدحداج»، قال: أرني يدك يا رسول الله ، فنارله يده ، قال: إنى أقرضت ربّى حائطى (بستانى) ، وكان لهت حائط فيه ستمائة نظة ، وأم الدحداح فيه وعيالها ، قال: فجاء أبو الدحداح ، فناداها : يا أم الدحداح ، قالت لبيك ، قال : اغرجى فقد أقرضته ربّى عزّ وجل .

وفي رواية أنها قالت له : ربح بيعك يا أبا الدحداح ، ونقلت منه متاعها وصبيانها .

رأن رسول الله ﷺ قال: «كم من عِذْقِ رداح، في الجِنة لأبي الدحداح».

وجاء في مختصر تفسير ابن كثير :

(العِدْق): القنو من النخل، والعنقود من العنب.

و(رداح): ضخم مخصب.

* * 1

من مشاهد القيامة

﴿ يَوْمَ تَرَى اَلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَتِ يَسْعَى شُرُدُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَاَلْمَنْهِمْ بُشْرَنَكُمُ الْمَؤْمِنَتِ يَسْعَى شُرُدُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَالْمَنْيِهِ بُشْرَنَكُمُ الْمَؤْمِنَةُ تَجْرِي مِنْ مَشْنِهِ الْأَنْهُرُ خُلِينَ فِيها أَذَلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْفَظِيمُ اللَّهِ مُولِلَّهُ لِلْمَا الْمُنْفَقِقُونَ وَالْمَنْفِقُونَ وَالْمَنْفِقِينَ مُولِلَّهُ بَلْنَافِيمُ وَلَوْمَ اللَّهِ وَمُؤْمِنَ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهِ وَمُومَنِقَهُمْ وَالْمَنْفِقُ وَلَا مُنْفَالِكُمْ وَالْمَنْفِقُونَ وَالْمَنْفِقُونَ مَا اللَّهُ وَمُنْفَاللَّهُ اللَّهِ وَعَلَيْمُ اللَّهُ وَمُنْفَالِكُمْ وَلَوْمَ اللَّهِ وَمُؤْمِنَا اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ وَمُنْفَالِكُمْ وَلَوْمَ اللَّهُ وَمُنْفَالِكُمْ وَلَا مُنْفَالِكُمْ وَلَوْمُ اللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَا مُنْفَالِكُمْ اللَّهُ وَمُنْفِقُونَا مَا وَمِنْكُمُ النَّالِي وَمُولِللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَمُؤْمِنَا اللَّهُ وَمُنْفِقُونَا مَا وَمِنْكُمُ النَّالِي وَمُومُ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ وَمُنْفَالِكُمْ وَلَوْمَ اللَّهُ وَمُنْفِقُونَا مُنْفُولُونَا اللَّهُ وَمُؤْمُ اللَّهُ وَمُنْفَالِكُمْ وَلَامِنَا اللَّهُ وَمُعُونَا مُؤْمِنَا اللَّهُ وَلَامُ اللَّهُ وَمُنْفَالِمُ عُلَى اللْمُولِينَ اللَّهُ وَمُنْفُولُونُ اللَّهُ اللَّهُ وَمُؤْمِلُونُ اللَّهُ وَمُنْفَالِمُونُ اللَّهُ وَمُؤْمِنَالُونَ اللَّهُ وَمُؤْمِنَالُولُومُ اللَّهُ وَمُؤْمِلُومُ اللَّهُ وَالْمُؤْمِنَالُومُ اللَّهُ وَالْمُؤْمِلُومُ اللَّهُ وَالْمُنْفُولُومُ اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُ اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِلُومُ اللَّهُ وَمُؤْمِنِهُ وَالْمُؤْمِلُومُ اللَّهُ وَمُؤْمِنَا الْمُعْلِمُ اللْمُومُ الْمُؤْمِلُومُ اللْمُومُ اللْمُؤْمِنَالُومُ اللَّهُ وَالْمُؤْمِلُ الْمُؤْمِلُومُ اللْمُؤْمِنُونُ اللْمُؤْمِنُومُ اللْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِلُومُ اللْمُؤْمِنُومُ اللْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنُومُ الْمُؤْمِلُومُ اللْمُؤْمِنَالُومُ اللْمُؤْمِلُومُ اللْمُؤْمِنُونُ الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمُ اللْمُؤْمُ اللْمُؤْمُ اللْمُؤْمُ الْمُؤْمِلُومُ اللْمُؤْمِلُومُ ال

المطردات :

يسمعمن ، يعضى مسرعًا .

تسمورهمسم ، نور العمل الصالح الذي يوجب تُجاتهم وهدايتهم إلى الجثة .

بشراكسم، ما تبشرُون به.

ائبطرونا: انتظرونا، أو أمهلونا.

المراد نستضىء ونهتدى بنوركم .
 الجدوة من النار ، والمراد نستضىء ونهتدى بنوركم .

السيور، الحاجز.

من شهاله: من جهته .

هتنتم انفسكم، الفُتن: إدخال الذَّهب النار لتظهر جودته من رداءته ، واستعمل في إدخال الإنسان النار ، أي: أهلكتم أنفسكم بالمعاصر والشهرات .

تسريصته انتظرتم بالمؤمنين مصائب الزمان.

وارتبيته، شككتم في أمر البعث وفي أمر الدين.

الأمسانسيَّ: الأباطيل من طول الآمال ، والطمع في انتكاس الإسلام .

السخسرور؛ الشيطان.

مأواكم الشار ، مقامكم ومنزلكم الذي تأوون إليه .

مسولاكسم ، أولى بكم .

السمصيير؛ المآل والعاقبة.

تمهيده

تصف الآيات مشهدًا من مشاهد القيامة ، فالمؤمنون يجدُون أمامهم نور الأعمال الصالحة ، ووجوههم مشرقة كالقمر ، ويتحرك النور أمامهم ، ومن جهة أيمانهم ، وتبشُّرهم الملائكة بالجنة وأنهارها ونعيمها ، والخلود فيها ، والفوز برضوان اللهُ تعالى .

أما المنافقون فلا يجدرن نورًا ، وهم فى ظلام دامس مطبق عليهم ، وهم فى ظلمات بعشها فوق يعض ، ثم يمرُّ المؤمنون عليهم والنور يسير أمامهم ، فيقول المنافقون للمؤمنين : انظروا إلينا حتى نهتدى بنوركم ونسير فيه إلى الجنة ، فيقول المؤمنون للمنافقين : ارجعوا إلى الدنيا ، فإنَّ العمل المسالح فى الدنها هوسبب الثُور اليوم ، وهو تهكم بهم ، فإنهم لا يستطيعون الرجوع إلى الدنيا ، كما لا يعود اللبن إلى الضرع.

ثم يوضع حائط بين أهل الجنة وأهل النار ، من جهة أهل الجنة رحمة ونعمة ، ومن جهة المنافقين عذاب وشدة ، وهنا يبدأ حوار بين المنافقين والمؤمنين ، فيقول المنافقون للمؤمنين : ألم نكن معكم في الدنيا ، في المسلاة والجهاد وغير ذلك ؟ فيقول المؤمنون: كنتم معنا بأجسامكم ، ولم تكونوا معنا بقلوبكم، حيث غرّتكم المظاهر والشهوات ، وغرّكم الشيطان ، وزين لكم الكفر والنفاق ، والشك في دين الإسلام ، حتى جاءكم الموت وأنتم على النفاق والكفر ، فاليوم لا يقبل منكم فدية كما كان في الدنيا ، ولا مأرى لكم إلا النار وينس المصير .

التفسيره

١٢ - يَوْمَ نَزَى ٱلْمُؤْمِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ ٱلْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْوَمَ جَنَّاتُ تَجْرِى مِن تَحْبَهَا ٱلْأَنْهَالُو عَلَيْهِ وَلِلَّهِ الْمُؤْمِنَ الْمُعْلَمِينَا لَهُ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُمُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَي

هذا مشهد عظيم ، حين ترى المرمدين والمؤمنات يتلألاً النور من أمامهم وعن أيمانهم ، إنه نور العمل الصالح ، يسير أمامهم ليستضيئوا به على الصراط ، وتكون وجوههم مضيئة كإضاءة القمر في سواد اللهل، وتبشّرهم الملائكة بالبساتين والنعيم المقيم ، والأنهار التي تجري من تحتهم : أنهار من لبن ، وأنهار من همر ، وأنهار من عسل ، وأنهار من عام نقى نظيف ، وتبشرهم الملائكة بالطود الأبدي السرمدي ، وياللفوز بالجنة ونعيمها ، ويالرضوان الإلهي ، والكرامة والنعمة ، فهم أهل للنعيم الحسي في الجنة ، مع النعيم المعنوي في الكرامة والرضا الإلهي ، ورشرًانُ مِن الله أكثر ... (الدورة : ٧٧).

لقد فاز المتقون فوزًا عظيمًا.

آخرج ابن أبى شيبة وغيره ، والحاكم وصححه ، عن ابن مسعود أنه قال : يؤتون نورهم على قدر أعمالهم ، يمزُّون على الصراط ، منهم من نوره مثل الجبل ، ومنهم من نوره مثل النخلة ، وأدناهم نورًا من نوره على إيهامه يطفأ مرة ويقد أغرى .

١٣ - يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُسْلِطُونَ وَٱلْمُسْلِطِنَاتُ لِلَّالِينَ مَامَثُواْ ٱنظُرُواَ فَقَيسَ مِن تُورِكُمْ قِيلَ ٱزْجِعُواْ وَرَاءَكُمْ فَالْفَيسُواْ تُورًا فَصَرِبَ يَسْتُهُم بِسُورٍ لَّهُ, بَابِ بَاطِئْهُ, فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَطَلِهِرُهُ, مِن فِيلِهِ ٱلْصَدَب

ما أشدُ هول هذا اليوم ، إنَّه يوم الجزاء ، فالدنيا عمل ولا حساب ، والآخرة حساب ولا عمل . والمعنى :

انظر يا كل من يتأتى منه النظر ، الجزاء الحسن للمؤمنين ، نورهم يسعى أمامهم وعن يدينهم ، ، وتبشرهم الملائكة بالجنة ، ويُحبس المنافقون في ظلام دامس : ظُلُمَنْتُ بَعْضُهَا فُرْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُر لُمْ يَكُذْ يُرَسُهُا وَمَنْ لُمْ يُعِمَّلُ لَلَّهُ لَهُ وُرُا فَمَا لَمُ مِنْ قُور . (النود: ٤٠). عندنذ يمر المرّمنون في موكب التكريم والتعظيم ، والنور المبين ، فيقول المنافقون للمرّمنين : انتظرونا حتى نستضيء بجزء من نوركم ، ونسير فيه إلى الجنة ، فيقول المرّمنون لهم : ارجعوا إلى الدنيا ، فاعطوا العمل الصالح الذي يكسبكم النور يوم القيامة ، وهو تهكم بهم لأنه لا رجعة إلى الدنيا أبدًا بعد القيامة ، كما أن اللبن لا يحود إلى الضرع بعد أن يُحلب منه ، ولك درّ القائل :

صاح هل رَيْتَ أو سبعت براع ردّ في الشّرع ما قرى في الحلاب

لقد كان المنافقون يستهزئون بالمؤمنين في الدنيا ، فردّ الله لهم جزاءً وفاقًا ، وذلك ما عناه سبحانه بقرله : آللّهُ يُسْتَهُو عُ أَيهِمُ زَيُّهُمُ أَهُمْ فِي ظُفِّيْهِمْ يُعَمُّهُونَ . (البقرة : ١٥) .

فَصُّوبَ يَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُم بَابٌّ ...

أى: ضُرب بين المؤمنين والمنافقين بحاجز له باب يحجز بين أهل الجنة وأهل النار.

بَاطِنْهُر فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَلْهِرُهُر مِن قِبْلِهِ ٱلْعَلَابُ ...

يفصل الله تعالى بين أهل الجنة وأهل النار بهذا السُّور الذي يحجز بين الفريقين ، جانب السُّور الذي يلى المؤمنين فيه الجنة والرحمة والثواب والنعيم ، وظاهر هذا السور وجانبه الذي يلى المنافقين والكفار يكون من جهته العذاب الأليم .

قال ابن كثير : هو سور يضرب يوم القهامة ليحجز بين الموتمنين والمنافقين ، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه ، فإذا استكملوا دخولهم أغلق الباب ، ويقى المنافقون من وراثه فى الحيرة والمظلمة والعذاب ، كما كانوا فى الدار الدنيا فى كفر وشك وحيرة .

١٤ - يَنادُونَهُمْ أَلَمْ تَكُن مَّعَكُمْ قَالُواْ بَلَى وَلَنكِتُكُمْ أَسَتُمْ أَنفُسَكُمْ وَقَرْبُمْمُمُ وَآرَبُتُمْ وَعَرْبُكُمُ ٱلْأَمَائِيُ حَتَى جَناءَ
 أَمْرُ ٱللَّهِ وَخَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْفُرُورُ .

ينادى المنافقون على المؤمنين قائلين لهم: ألم نكن معكم فى الدنيا نصلًى معكم الجمع والجماعات. ونقف معكم على جبل عرفات ، ونقاتل معكم فى الغزوات ، ونصلًى كما تصلُون ، ونصوم كما تصومون ، ونسير معكم فيما تفعلون ؟

قَالُواْ بَلَىٰ وَلَاكِتُكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ ...

أى: قال لهم المسلمون: نعم كنتم معنا فى الخُلفر، ولكنكم أهلكتم أنفسكم بالنفاق والخداع ، والاستكثار من متمة الدنيا وزينتها، فعرَّمنتم أنفسكم للنار. وَتَرُبُّهُمُّهُم . انتظرتم بالمؤمنين الدوائر ، وظننتم أن أمر الإسلام إلى زوال .

وَٱزْتَبْتُمْ . شككتم في أمر الدّين ، ولم يتمكن الإيمان في الويكم ."

وَغُرِّتُكُمُ ٱلْأَمَالِيُّ . خدعتكم الأباطيل والأماني الكاذبة ، بسعة رحمة الله لأمثالكم .

حُتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ ٱللَّهِ . حتى فاجأكم الموتُ وأنتم على باطلكم .

وَعَرَّكُم بِاللَّهِ ٱلْفُرُورُ . خدعكم الشيطان عن أنفسكم ، وزين لكم التمرُّد والمعاصى والابتعاد عن الإسلام وتبحاته .

قال المفسرون : الغُرور (بفتح الغين) الشيطان ، لأنه يغرُّ ويخدع الإنسان .

قال تمالى ؛ فَلَا تَقُولُكُمُ ٱلْحَيْلِةُ ٱلذُّنِيَا وَلَا يُقُولُكُم بِاللَّهِ ٱلْفَرُولُ و إِنَّ ٱلشَّيْطَانُ لَكُمْ عَلَوُ فَالْعَبِلُواْ مَنْ اللَّهِ الْفَرُولُ و إِنَّ ٱلشَّيْطَانُ لَكُمْ عَلَوُ فَالْعَبِينَ وَكُولُوا ... (داخا : ٢٠)

ه ١ - فَٱلْهُوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِلنَيْةَ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَسْكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَئكُمْ وَفِيسَ ٱلْمَعِيسُ.

فَالْتُوْمُ . وهد يوم القيامة ، ويوم الجزاء ، يتمنى الكافر أن يفتدى نفسه من الدناب بالدنيا وما فيها لو كان يعلكها ، وهد يوم لا محسوبية فيه ولا شفاعة ، ولا تقبل فيه فدية : وهى ما يبذل لحفظ النفس عند النائبة والمصيبة ، أى : لن يقبل من المنافقين ملء الأرض ذهبًا ، ولا من الذين كفروا بالدين ، ليفتدوا أنفسهم من العذاب .

مَأْوَ سَكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَكُمْ وَبِيْسَ ٱلْمَصِيرُ .

مقامكم ومنزلكم وإقامتكم الدائمة في نأرجهنم.

هيَ مُوَّلَكُمُّ . هي أُولَى يكم ، ولا وليَ لكم سواها ، ويئس المرجع والمنقلب في نار جهنم ، نعوذ بالله من حال أهل النار.

وفى الحديث المحميح: «إن الله تعالى يقول للكافر: أرأيتك لو كان لك أضعاف الدنيا، أكنت تفتدى بجميع ذلك من عذاب النار؟ فيقول: نعم يا ربّ، فيقول الله تبارك وتعالى: قد سألتك ما هو أيسر من ذلك، وأنت في ظهر أبيك آدم، ألا تشرك بي، فأبيت إلاً الشرك» (١١٠٠).

وجاء في تفسير القرطبي : السعيد من لا يفترٌ بالطمع ، ولا يركن إلى الخدع ، ومن أطال الأمل نسى العمل ، وغفل عن الأجل .

خشوع القلوب

المضردات :

السميسان، ألم يجئ ويحن الوقت ؟ الآن الآن قبل ألا يكون أن .

المستخشمين الخشية والخوف.

ذكيسر السلسة ، مواعظه .

النسحسيق، القرآن.

اللهين أوتوا الكتاب، اليهود والنصاري .

الأمسيسيده الزمن الممتدر

قست قبلويهم ، صلبت وصارت كالحجارة أو أشد قسوة .

الساسسقسون، خارجون على حدود دينهم، رافضون لما جاء فيه من أوامر ونوام.

يُحسيسي الأرض ، يجعلها خصية بالنبات والزرع .

مسوتسهسا ، جديها وقفرها .

الأيـــــات: البينات والمجج . .

تسمية بليون، تتدبرون.

المُصَبِ والمسيدة ، المتصدقين بأموالهم على البائسين وذوى الحاجة .

القرض الحسن ؛ الدفع بنية خالصة ابتفاء مرضاة الله .

الصُّحب بنَّيدي من كثر منه المعدق ومبار سجية له .

الشبه المساء، من قُتلوا في سبيل الله ، ولحدهم شهيد . ٠

تمهيده

تستنهض الآيات همم المسلمين وتحثهم على العناية بالقرآن ، وتنفيذ أوامر الإسلام ، وتنهاهم عن الفتور والكسل ، وعن التوانى في تنفيذ أحكام الإسلام ، وألا يفعلوا كما فعل اليهود والنصاري حين طال عليهم العهد بينهم وبين أنبيائهم فقست قلوبهم ، وأعرضوا عن أولمر الدين ونواهيه .

ثم تغير الآيات أنه لا يأس ولا تنوط من رحمة الله ، فكما أن الله يحيي الأرض الميتة بالماء ، فتهتزً وتنبت نباتاً رابياً ، كذلك عندما يدخل الهدي إلى القلب ، يتحول من الجفاء إلى الإيمان ، ومن الكنود إلى الطاعة ، ومن اتباع الهوى إلى طاعة الله تعالى ، ثم ذكرت التفاوت بين حال المؤمنين وحال الكافرين .

التفسيره

١٦ - أَلَمْ يَأْكِ لِللَّذِينَ مَا مُثَوّاً أَن تَحْشَعَ قُلُونُهُمْ لِلِرَكِرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقَ وَلاَ يَكُولُوا كَاللَّذِينَ أُولُوا ٱلْكِتَلْبَ مِن قَبْلُ لَعَلَيْهِمُ ٱلْأَمْدُ لَفَسَتُ قُلْمَ يُهُمْ وَكُبِيرٌ مَنْهُمْ فَلْسِيقُونَ .

القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، وتحتاج إلى التذكير والموجئلة لتقلع عن الغرور بالدنها والارتكان إليها ، ولتذكّر الآخرة ومواقفها والممل لها .

ومعنى الآية :

آلم يأن الأوان ، ألم يحن الوقت ليجدد المؤمنون التربة إلى الله تعالى ، والرجوع إليه ، والاعتصام بحبله ، واتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ؟

أما حان الوقت لتخشع قلوب المؤمنين لمواعظ الله وآياته ، التي ترقِّق القلوب ، وتدمع العيون ، وتذكّر الآحدة ؟

أما حان الوقت للنظر في كتاب الله نظر تأمل وعبادة ، ورقَّة وطاعة ؟

أما حان الوقت اللتمسك بالقرآن ، ويحُرى الإسلام ، والابتعاد عن اتباع اليهود والنصارى الذين طال عليهم العهد ، ويَحُدت المدّة الزمنية بينهم وبين أنبيائهم ، فقست قلوبهم وتحجَّرت ، فهى كالحجارة أو أشد قسوة ، لا ترق ولا تلين لسماع التوراة والإنجيل ؟

وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ .

وكثير من أهل الكتاب خارجون على تعاليم السماء ، ضعفت صلتهم بكتب الله ، واتخذوا كتاب الله وراءهم ظهريًّا .

قال ابن كثير:

نهى الله المؤمنين أن يتشهبوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم ، من الهبود والنصارى ، لمَّا تطاول عليهم الزمن بدلوا كتاب الله الذى بأيديهم ، ونبذره وراء ظهررهم ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، فعند ذلك قست تلويهم ، فلا يقبلون موعظة ، ولا تلين تلويهم برعد ولا وعيد(١٩٠٠).

وقال ابن حباس: استبطأ الله قلوب المرتمنين ، فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سفة من نزول القرآن ، هقال : أَلَّمْ يَأْدُو بِلَّابِينَ وَاسِّقُوا أَنْ تَعْشَعُ قَلْرُيُهُمْ لِلِحُرِّ اللَّهِ ...١١٧ الآية

١٧ - ٱخْلَمْوْا أَنْ ٱللَّهُ يُحْى ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا فَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَنَتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .

القلوب إذا أهملت صدأت وخمدت ، ولكن لن ييأس المؤمن من فضل الله وهدايته ، ولن يملّ من التوبة والرجوع إليه سبحانه ، فكما أن الأرض الجافة الصلبة إذا نزل عليها الماء اخضرت وربت ، وأنبثت من كل رُوج بهيج ، فكذلك يُحيى الله القلوب بعد قسوتها ، ويهدى الحيارى بعد ضلالهم ببراهين القرآن ودلائله ، ونور الهداية وإشراق التوجيه ، وفضل البناية الإلهية .

قد أوضحنا لكم الآيات والحجج كي تتدبروها ، وتعقلوا ما فيها من المواعظ ، وتعملوا بموجب ذلك .

١٨ - إِنَّ ٱلْمُصَّدَّقِينَ وَٱلْمُصَّدَّقَاتِ وَٱلْمَرْهُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُصَلَّعُكُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كُويمٌ .

يحث ألقرآن على المصدقة والتصدّق ابتغاء وجه الله ، وتذكر الآية هنا أن المتصدقين والمتصدقات الذين تصدقوا بأموالهم رغبة خالصة فيما عند الله ، فكأنهم أقرضوا أموالهم لله فى الدنيا ، لينالوا ثواب ذلك فى الآهرة ، فأيُّ شرف وأى فضل أعظم من ذلك .

إن المتصدّق يضع المال في يد الله قبل أن يضعه في يد الفقير ، فينميه ويباركه ، ويضاعفه أضعافاً كثيرة ، ويعطى على الحسنة عشرًا إلى سبعمائة ضعف ، وفوق ذلك أجر كريم ، وجزام عظيم ، وكرامة عظمى لمؤلاء الذين صدقوا في إيمانهم ، وقدّموا أموالهم رخيصة في مرضاة الله تعالى ، مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلى والليث بن سعد وأمثالهم . والمُصَّدق هو المتصدق ، أنتَعت التاء في الصاد ، ويمكن أن يراد بالمصنَّقين الذين تكرر صدقهم مع الله في عباداتهم ومعاملاتهم وسلوكهم ، فاستحقُّرا لقب المصنَّدقين ، أي أهل الصدق مع الله تعالى ، فهي من التصديق لا من الصدقة ، ويمكن أن ينطبق الوصفان على شفص واحد ، فهو يتصدق كثيرًا ابتفاء وجه الله ، وهو صادق مع الله ، كثير التصديق لكلام الله ، ومن أصدق من الله حديثًا .

١٩ -- وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواۚ بِٱللَّهِ وَرُسُلِمِ أُولَئِيكَ هُمُ ٱلصَّدْيقُونَ وَٱلشَّهَذَاءُ عِندَ رَبَّهِمْ لَهُمَّ أَجْرُهُمْ وَلُورُهُمْ وَٱلَّذِينَ كَفُرُواْ وَكَذْبُواْ بَعَلَيْنِيّا أُولَقِيكَ أَصْحَبُ ٱلجَحِيمِ .

إذا صدق المؤمن في إيمانه وتصديقه بالله ورسله ، فتح الله أمامه أبواب الرقيّ إلى الدرجات الطيء، فالإيمان لمن صدق لا لمن سبق ، ليس في الإسلام كهنوت أو خصوصية تقصر الرقيّ إلى الدرجات الطي على أسر معينة أو فثرً معينة .

فسلمان الفارسى صدق فى إيمانه ، فقال ﷺ : سلمان منا آل البيت: ١٩٠٨ . ومثل ذلك صهيب الروميّ ، ويلال الحبشيّ ، وتخطّف عن ركب الرسالة أبو لهب القرشيّ .

وهنا يسجُّل القرآن وسامًا للمؤمنين الصادقين في إيمانهم ، فيجعلهم في درجة الصدَّيقين ، وفي درجة الصدَّيقين ، وفي درجة الشهداء الذين ضحُوا بأرواحهم وأنفسهم في سبيل الله ، فأدخلهم الله الجنة ، وجعل أرواحهم في حواصل طير خضر تسبح حول الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتشرب من رحيقها المختوم ، كما ورد في الحديث الصحيم .

والمفسرون لهم رأيان في تفسير هذه الآية :

الرأى الأول:

أن لها موضوعين فقط هما : المؤمنون ، والكافرون .

والمعتى:

والذين آمنوا بالله ربًّا وخالقًا وإلهًا واحدًا أحدًا ، وأمنوا بالرسل أجمعين ولم يغرقوا بين أحد منهم : هزلاء هم الصديقون الذين صدقوا في إيمانهم فحازوا درجة الصديقية ، ودرجة الشهادة في سبيل الله .

قال مجاهد : كل من آمن بالله ورسله فهو صدّيق وشهيد . (عن تفسير الفخر الرازي) .

الرأى الثاني:

معنى الآية كالآتي :

والذين أمنوا بالله ورسله هم في منزلة المدديقين ، والذين استشهدوا في سبيل الله هم في منزلة عليا عند الله تمالي ، لهم أجر الشهادة في سبيل الله ، ولهم النور الموجود الذي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم أ.

أى أن الآية أشارت إلى ثلاثة أصناف:

الذين أمنوا بالله ورسله لهم درجة الصدِّيقين .

٢ - الشهداء عند الله تعالى في أعلى الجنان لهم ثوابهم وتورهم.

٣ - الذين كفروا بآيات الله أولئك أصحاب الجحيم.

وقد أورد الحافظ ابن كثير الرأيين في تفسيره ، واستشهد للرأى الثاني بقوله :

قَالَ أَبُو الصَّحَى: أُوْلَئَيْكَ هُمُ ٱلصَّدِّيقُونَ . ثم استأنف الكلام فقال : وَٱلشُّهَذَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ

وعن ابن مسعود قال : هم ثلاثة أصناف : المُصدقين ، والصديقين ، والشهداء ، كما قال تعالى : وَمَن يُطِع اللّهُ وَالرُّسُولَ فَأَوْلَكِيْكَ مَنَ الَّذِينَ أَنْهُمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ الشِّيْنِ وَالصَّلْيقِينَ وَالشَّهَذَاءِ وَالصَّلْيقِينَ وَحَسُنَ أَوْلَلْقِكَ رُفِيعًا * ذَلِكَ الْفَصْلُ مِنَ اللَّهِ وَكُفِي بِاللَّهِ عَلِيهِما . (فنساه : ٢٠ . ٧٠) .

وفي الآية نجد أربعة أسناف: الأنبياء، الصديقين، ألشهداه، الصالحين.

والأمر في حقيقته راجع إلى فضل الله ونعمته وألطافه وكرمه.

وقد وردت الأحاديث المصحيحة ترفع مِنْ شأن مَنْ صدُق بالله ورُسله ، وتَبيّنُ أنه في الغوف العليا في الجنة ، الذي يتطلع أهل الجنة إليها ، كما نتطلع إلى نجوع السماء .

روى الشيخان ، ومالك فى الموطأ أن رسول الله صلى الله الله المقال الجنة ليترامون أهل الخرف من فوقه م ، كما تترامون الكوكب الدرى الغاير فى الأفق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم» . قالها : يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ، قال : «بلى ، والذى نفسى بيده ، رجال آمنوا بالله وصدقوا المسلين، ١٩٠٩ .

الشهداء :

أما منزلة الشهداء فقد تكرر ذكرها فى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، لقد جادوا بأرواحهم وأنفسهم فى سبيل الله ، ولإعلاء كلمة الله ، فجعلهم الله عنده أحياء ، كما قال تعالى : وَلاَ تَحْسَنُ ٱللَّهِينَ وَأَنْفُهُمُ مَنْ مُسْلِلًا لللهِ الْمُواتُّ بَلْ أَحْبًا عِندَ رَبُهِمْ يُرْزَقُونَ ه فِرِحِنَ بِمَا اَتَنْهُمُ اللَّهُ مِن فَطَلِهِ وَيَسْتَشِرُونَ بِاللّهِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِنْ خَلْهِمْ ٱللّهُ مَوْفَظُهُمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ه يُسْتَقِبُرُونَ بِيقْمَةٍ مِنَ اللّهِ وَفَصْلُ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُعْمِعُ أَجْرَ اللهِ وَفَصْلُ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُعْمِعُ أَجْرَ اللهِ وَفَصْلُ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُعْمِعُ أَجْرَ اللهِ مَان ١٩٠٠ /١٠) .

وأخرج الشيخان وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال : هما أجد يدخل الجنة يحبُ أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد ، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات ، لما يرى من الكرامة، ٣٠٠٠.

من المنتخب في تفسير القرآن

وَٱلَّذِينَ عَامَتُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أَوْلَئِيكَ هُمُ ٱلصَّلَّمَةُونَ وَٱلطَّهَانَاءُ عِندَ رَبُّهِمْ لَهُمْ أَجُوْهُمْ وَأَلُورَهُمْ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بَكَنْهِنَا أَوْلَئِيكَ أَصْحَلْبَ ٱلْجَحِيمِ .

والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحر منهم ، أولئك هم الصديقون والشهداء ، منزلةً وعلقً مرتبة ، لهم ثواب ونور يوم القيامة ، مثل ثواب الصديقين والشهداء ونورهم ، والذين كفروا وكذّبوا بآيات الله أولئك هم أصحاب الذار لا يفارقونها أبدا .

مقارنة

بينما نجد المؤمنين الصادقين في إيمانهم ترتفع أقدارهم ودرجاتهم في معيّة الله وكرامته ، مع الثور المبين ، نجد جزاء الكافرين الذين كنبوا بآيات الله ، وجحدوا حقائق الإيمان ، وكفروا بالله ورسله ، نجد أنهم يلازمون الجحيم كأنهم أصحابها ، لا يفارقونها أبدًا : وُلْآتِكُ أَصُحُلُمْ ٱلْجَحِيم .

اللهم إنا نحوذ بك من الذار ومن عذاب الذار ، ومن كل عمل يقريننا إلى الذار ، اللهم أنطلنا الجنة مع الأبرار ، بغضلك وكرمك يا عزيز يا غفار .

صفة الدنيا

﴿ اَ اَلْمُ اَنْمَا الْمُعْنَوْ الدُّنْيَا لِعِبُ وَلَمُّوْ وَزِينَةٌ وَتَفَاحُرُ البَّنَكُمُ وَتَكَاثَرٌ فِي الْأَمُولِ
وَالْأَوْلَلْاِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْبَ الْكُفّارَ بَاللَّهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَلَرَنهُ مُضِفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُعلَمًا وَفِي الْلَاحِوَ عَذَابُ شَيْعِ اللَّهُ وَمِنْ وَقَوْمَ وَفَيْ وَمَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ وَمِنْ وَقَوْمَ اللَّيْعَةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَنْعُ الْعُرُورِ

هُ سَايِقُوا إِلَى مَفْفِرَ وَ مِن زَيْكُرُ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَمَّرْضِ السَّمَلَةِ وَالأَرْضِ أَعِدَ الْعَلْمِي لِلْإِلَى مَنْفِرَ وَمِنَ وَلَا فِي اللَّهُ مِنْ السَّمَلَةِ وَاللَّهُ وَوَاللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّه

المطردات ا

المسطوعة ما لا ثمرة له كلعب المبينان

السلب به سوء ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه.

تصفيا عُسر ، بالأنساب والأموال ، أو تكبر وتعال.

تكاثر في الأموال ، مباهاة بكثرة العدد والعُدُد .

المطر.

السكيستين والزراع

يسه من عضرته ونضارته.

مسط سام ساء هشیما متکسرا من پیسه .

السيقيسوور الخديدة .

ف_____ الأرض : كالجدب والفاقة .

في أنه فسكم : كالمرض وموت الأحياب.

يحبراها ونطقها

تـــاســوا ، تحزنوا .

ما شاتكم؛ من نعيم الدنيا .

مبا آتاكسم : ما أعطاكم .

السمسخستسال: المتكبر بسبب فضيلة تراءت له في نفسه.

فسنخب عدر ، كثير الفُخر بالأشياء العارضة كالمال والجاء .

تمهيده

القرآن الكريم كتاب هداية ، وهو تنزيل الحكيم الحميد ، وهو سبحانه يتخرل (٣٠٠) عباده بالموعظة ، فتتمول القلوب إلى الإيمان واليقين بأن الدنيا متاع ، وهي عُرض عابر ، يأكل منها البر والفاجر ، والأخرة حياة مستمرة ، تستحق التضحية والجهاد ، وقد رسم القرآن صورة للدنيا في سرعة زوالها ، وعاجل تحوّلها ، بزرع أخضر نام ، يعجب به الزُّراع ، تم يتحول الزرع إلى الشيخوخة والكبر ، حين يحين موسم الحصاد ، وتنتهى حياة الزرع ، كما تنتهى حياة الإنسان .

هذه هي الدنيا ، أشهه بلُوب الأطفال ، ولهو اللاهين ، ورزينة عابرة في الطبس والمظهر ، فم تنتهي الدنيا ، وتبقى الأخرة وجها لوجه ، وفيها العذاب الشديد للكافرين ، والمغفرة والرجمة للْمرّمنين .

ثم حث القرآن على التسابق في عمل الخير في الدنيا ، للوصول إلى جنة واسعة أعدها الله للمتقيرة، تفضلاً منه ونعمة ، ثم تستمر الآيات في الدعوة إلى تكامل الشخصية ، والشكر على النعماء ، والصبر على البأساء ، والرضا بأسباب القضاء ، فقد كتب الله في الأزل على كل نفس عمرها ورزقها ومستقبلها ، حتى لا تحزن حزنًا مفرطًا على مفقود ، ولا تفرح فرحًا مطفيًا على موجود .

التفسيره

٢٠ - آهَلَمْوْا أَنْمَا ٱلْحَيْرَةُ ٱللّٰذِي لَمِبُ وَلَهُوْ وَرِينَةٌ وَنَفَاحُرٌا يَيْتَكُمْ وَتَكَاثَرُ فِي ٱلْأَمْوَارِ وَٱلْأَوْلَدِ كَيْمُولِ هَيْثِ أَهْمَا اللّٰمِ وَلَهُوْ وَمَا أَنْ وَمِنْ وَمَا أَمْمَا أَنْ فَي اللّٰمِ وَرِطُوا أَنْ وَمَا أَنْ وَمِنْ وَمَا اللّٰمِ وَرِطُوا أَنْ وَمَا ٱلْمُورِ .
 آلحَيْرَةُ ٱللّٰذِيّا إِلّٰهُ مَتَلَعُ ٱلْفُرُورِ .

الدنيا إلى فناه ، وهى مزرعة للآخرة ، وينبغى أن يعرف المؤمنون حقيقة الدنيا ، هى مظاهر كلعب الأطفال ، ولهو الشباب ، وزينة النساء ، وتفاخر بين أهل الدنيا بالملبس والمظهر ، أو التفاخر بالأموال والأولاد ، أو التباهى بما ملك الإنسان أو حازه ، فالدنيا ليست مذمومة فى ذاتها ، لأنها يمكن أن تكون وسيلة لمرضاة الله ، وللصدقة وعمل الغير ، ولكن المذموم هو الغرور بالدنيا وجهها ، والرغبة المسرفة فى المنظم والمناب ، والرغبة المسرفة فى

روع عن سعيد بن جبير أنه قال : الدنيا متاع الغرور إن ألهتك عن طلب الأخرة . فأما إذا دعتك إلى طلب رضوان الله تمالى ، وطلب الآخرة ، فقعم المتاع ونعم الوسيلة .

مثال الدنيا

الدنيا إذا حلت أوحلت ، وإذا كست أوكست ، فهي تحلي لتمرّ ، وتعطى لتآخذ ، وقد حدّرنا القرآن من الفرور بالدنيا والتشبّع بها ، فالمغرور من غرته الدنيا عن الآخرة ، ومن اعتبر الدنيا غايته فأخذ يركض وراء ما فيها من مال وجاء وسلطان مع أنه زائل ، والمتعلق بالدنيا كالطفل المتعلق باللعب واللهو ، والزينة والمنظهر ، فإذا بلغ مرحلة الرجولة العقلية رأى بعين قلبه أن الدنيا إلى فناء ، وأن الآخرة إلى بقاء ، وإذا غرّت الدنيا الكفار والفجّار والسطحيين في إيمانهم ، فينبغي ألا تغرّ المؤمنين الصادقين .

كَمَعَلِ خَيْتِ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ بَاتُهُ لُمْ يَهِيجُ فَتَرَسْهُ مُصْفَرًا لُمْ يَكُونُ خُطَلْمًا ...

أى: ما مثل الدنيا في سرّعة تحوّلها وفنائها وانقضائها ، إلا كمثل زرع أصابه غيث من المطر النافع ، فاخضرُ ونما ، وصنار بهجة للناظرين ، يُعجب الزُّرَّاع ويجعلهم في غبطة وحبور ، ويهجة رسرور ، لكن غضرة الزرع وجماله وشبابه لا تدوم ، فبعد فترة محدودة يقترب موسم المصنان ، فيصفرُ الزرع ، ويدنو قطف الثمرة ، وتتحول الأوراق إلى وقش متكسَّر يابس ، ثم تكون هشيما تذروه الرياح .

ملحوظة:

الكفار: الزرّاع ، وسمّى الزارع كافرا ، لأنه يكفر النبات ، فيستره بالأرض ، ويسقيه حتى ينبت ، وسمى الكافر بالله كافرا ، لأنه ستر تعمة الله عليه وجحدها ، فلم يرُمن بالله .

ثم ذكر القرآن هذا عاقبة المنهمكين فى الدنيا ، المفترّرين بلهوها وعبثها وزينتها ، المنشفلين بها عن الإيمان والجهاد وطلب ما عند الله ، وذكر عاقبة المتقين المعرضين عن الغرور بالدنيا ، الطالبين لرضوان ربّهم ، فقال : وَفِي ٱلْآخِرَةِ عَلَابٌ شَلِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضُوانٌ ...

أي: هذه هي الدنيا الفائية ، ثم يفتح القرآن العيون على الآخرة ، والناس فيها صنفان : صنف في عذاب شديد دائم لمن كفر بالله وأهمل تعاليمه ، وصنف في مغفرة من الله تعالى ، ويحبوحة من رضوانه ، لأنه أهام ريّه وعمل بأوامره ، وجعل دنياه مزرعة لأهرته .

روى ابن جرير، وجاء فى الحديث للمحديم أن رسول الله ﷺ قال : «موضع سوط فى الجنة ، خير من الدنيا وما فيها ، اقرأوا : وَمَا ٱلْحَيْرَةُ ٱلذُّائِ إِلَّا مُتَلَعْ ٱلْفُرُور . (٢٠٠٠ من

وأخرج البخاري، وأحمد ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : وللَّجِنَّة أقرب إلى أحدكم من شراك نمله ، والنار مثل ذلك، (٣٣٠).

قال ابن كثير في تفسير الآية :

هكذا الدنيا ، تكون أولاً شابة ، ثم تكتهل ، ثم تكون عجوزاً شرهاء ، والإنسان يكون كذلك في أوّل صده وعنقوان شبابه ، غضًا طريًا ، ثين الأعطاف ، بهيّ المنظر ، ثم يكبر فيصير شيمًا كبيرًا ضعيف القري . ا هـــ

قال تعالى : آللُهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْمِ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْمَرِ قُرَّةً ثُمَّ جَعَلَ بِنَّ بَعْدِ قَاوَةٍ ضَعْفًا وَهُيَّةً يَعْلَقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ . (الريم : ٤٥) .

وَمَا ٱلْحَيَوْةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَاحُ ٱلْغُرُورِ .

ما هذه الحياة الدنيا إلا متاح فازر زائل ، خادح لمن ركن إليها واغثرُ بها ، وظن أنها غاية ونهاية ، فمن ألهته الدنيا عن الآخرة فهو المغيون ، ومن نظر إلى الدنيا نظرة فاحصة ، فاعتبرها وسيلة وتزرُّد منها بالصالحات فهو الناجع .

إن لسلب عسبادًا قُسطينا طلقوا الدنيًا وعافوا الفتنا لسبب رأوهما لسيمت لسحييًّ مسكسليا حمسوها تُنجَّهُ والمخذوا صالح الأعمال فيها شُفُنا ويقول الآخر:

إنسا الدنيا كبيت لسجت العنكبوت كل سافينها لنعسري عسن قسري سيسسوت إنسا يكفيك منها أيسها السراغة قسوت ونحن إذا نظرنا إلى روح الإسلام ، نجد أنه لا يدعو إلى الانعزالية ، ولا إلى رفض الدنيا ، وإنما يريد الإسلام مسلمًا متوازفًا ، يعمر الدنيا بالعلم والزراعة والصناعة ، والتفوق الطبى والعلمى والأخلاقي ليكون نموذجًا رائعاً يعمر الدنيا بالقيم والعمل والأمل ، ولذلك قال الله تعالى : وَلَا تَسَنَ نَعْمِيبَكُ مِنَّ اللّهُ اللّهِ تعالى : وَلَا تَسَنَ نَعْمِيبَكُ مِنَّ اللّهِ اللّهِ عالى : وَلَا تَسَنَ نَعْمِيبَكُ مِنَّ اللّهِ عالى . (القسمى ٢٠٧).

وفى الحديث المصحيح : «إن لربك عليك حقا ، وإنّ لبدتك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا ، وإن نضيفك عليك حقا ، فأعط كل ذى حق حقّه، ٣٣٠ .

وفى القرون الوسطى الإسلامية وردت مواعظ كثيرة ، وأشعارٌ متعددة ، تزهد الناس فى الدنيا ، والغني والفني والفني والفني والفني والفني والتفوق والتقدم ، وأصيب الناس بالتواكل والكسل ، والزهد والانحطاط ، فلا أقول التواضع ، بينما نهض الغرب وقويت جيوشه وأساطيله ، فاستعمر بلاد الإسلام ، ورأينا مصر والسودان والعراق تحت حكم إنجلترا ، ورأينا الجزائر والمغرب والشام تحت حكم فرنسا ، ثم جاءت الصحوة الإسلامية الحديثة ، فاختفت نغمة الزهد الأبله ، والمسكنة والانحطاط ، ورأينا دعوة للأمة الإسلامية إلى استرداد مكانها ومكانتها، لتكون بحق كما قال الله تعالى : كُسُّم مُخِنَّ أَلْمَة أَخْرجَتْ للنَّاس ... (ال عدران ، ١٠١٠).

وكما قال سيحانه : وَكُذَا لِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَعًا ... (البقرة : ١٤٣).

ومن هذه الوسطية آلا نترك الدنيا للأهرة ، ولا الأهرة للدنيا ، بل نعمل للدنيا لنكون فيها سادة وقادة، وأعزّاء أقرياء ، ونجعل من الدنيا وسيلة لإعزاز ديننا وأنفسنا .

وفي الحديث الشريف: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تمورِت غدا» .

وقد تكرر فى القرآن الكريم وصف الدنيا ، وسرعة تحوّلها ، وغرور أهلها بها ، فم تطلّعها من بين أيديهم ، مثل قوله تعالى : وَآخْرِب لَهُم مُثَلَّ الْحَرَاةِ اللّذِي كَمَاءِ أَنْوَلْتُكُ مِنَ السَّمَاءِ فَاشَكَ بِهِ بَبَاتَ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ خَشِمَا تَذُوهُ ٱلزَّيْنَجُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شِيْءٍ مُقَتَدِرًا ه ٱلْمَالُ وَٱلْتُيْنَ وَيَئَةُ الْجَرَاةِ ٱللّذِي وَالْسَائِكَ ٱلسَّيْخَتُ خَيْرً عِندَ وَلِمُكَ ثَوْلِهَا وَخَيْرٌ أَمَلًا . (الكهد : ١٥ ـ ٤٥)

وإلى جوار ذلك دعوة رائدة إلى العمل والتفوق.

قال تعالى : إِنَّ الَّذِينَ وَامْتُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَلْتِ إِلَّا لَا تُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا . (الكهف: ٣٠) .

والخلاصة:

علينا أن نملك الدنيا ثم نزهد فيها ، ونجعلها وسيلة لعزّ الدنيا وسعادة الآخرة ، وأن يكون المسلم صاحب شخصية متوازنة ، تعمل للدنيا بدون طمع أو جشع ، وتعمل للآخرة بكل قصد سليم ونية صالحة، ودعاء خالص لله : رُبَّنا عُرِبًا في اللَّذُيَّا حَسِّبَةً وَفِي النَّحِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَلَابَ ٱلثَّارِ . (البقرة : ٢٠١) .

٢١ – سَابِقَرُا ۚ إِلَىٰ مَفْفِرَةِ مَن رُبُّكُمْ وَجَنْدٍ عَرْضُهَا كَفَرْضِ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِنْتَ لِلَّذِينَ ءَامَثُواْ وَاللَّهِ وَرُسُلِهِ لَالِكَ فَصْلُ ٱللَّهِ يُؤْلِيهِ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلقَصْلِ ٱلْعَظِيمِ .

بادروا وسارعوا مسارعة المتسابقين إلى أسباب مفترة الله لكم ، وذلك بالقوية النصوح ، والعمل المسالح ، وإخلاص النية ، ويادروا وسارعوا إلى عمل مسالح يكون وسيلة لجنّة واسعة ، عرضها كعرض السماء والأرض ممّا ، وإذا كان هذا قدر عرضها ، فما ظنك بطولها ؟

هذه الجنة أعدَّما الله ، وجعلها كاملة الأرصاف ، فيها ألوان النعيم ، والحور الدين ، والأنهار والأشجار ، والطلال والآرائك ، وألوان الطعام والشراب والفاكهة ، وما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، وفيها الطود الأبدئ السرمدى ، وقد أعدها الله للذين آمنوا بالله ورسله ، وصدَّقوا بذلك عن يقين ، وعملواً بما أمر الله ، واجتنبوا فواهيه .

ذَالِكَ فَصْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ...

هو تفضّل منه ورحمة ، وحنان وعناية ، وعطف وير بالمسالحين ، فهو الذي هداهم ووفقهم ، ثم أعدً لهم الجنة ، فضلاً منه ونعمة .

وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَصْلِ ٱلْعَظِيمِ.

والله تعالى صاحب الفضل العظيم الواسع ، فما أجل أنعمه ، وما أعظم فضله ، وما أجل هدايته وترفيقه ، وَإِنْ تُطُورًا بِعُمَتُ ٱللَّهِ لاَ يُجْعُمُوهَا .. (إبراهيم: ٣٤) .

يقول أحد السلف الصالح : أنفس هو خالقها ، وأموال هو رازقها ، يطلبها منا ثم يعطينا عليها الجنة، إن هذا لفضل عظيم .

يشير إلى قوله تعالى: إنَّ ٱللَّهُ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَهُوْلَهُم بَأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ... (الترية: ١١١).

ويقول الشاعر:

فيا سعادة من أدرك السباق ، ومن حظى بالإيمان واليقين ، ومن فاز بجنة عرضها كعرض السماوات السبم والأرضين ، ويا سعادة من أنعم الله عليه بقضله ، وهو سبحانه صاحب الفضل العظيم .

جاء في الحديث المحيح : أنّ فقراء المهاجرين قالوا : يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور بالأجور ، وبالأجور ، وبالدرجات العلى والنعيم المقيم ، قال : «وما ذاك» ؟ قالوا : يصلّون كما نصلّى ، ويصومون كما نصوم ، ويتمدقون ولا نتصدق ، ويعتقون ولا نعتق ، قال : «أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ، ولا يكرن أحد أفضل منكم ، إلا من صنع مثلما صنعتم ؟ تسبّحون وتحمدون وتكبرون دُبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين » قال : فرجعوا ، فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال ما فعلنا ، ففعلوا مثله ، فقال رسول الله ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاه» (١٩٥٠).

فالسعيد حقا من تعرض لفضل الله وعنايته ، وحبَّه ورعايته ، فمن وجد الله وجد كلُّ شيء ، ومن فقد الله فقد كل شيء .

نم فالمخاوف كالمهن أمان

وإذا العناية لاحظتك عيونها

فأول ما يجنى علية اجتهاده

إذا لم يكن عون من الله للفتي

وإذا كان من الله عون للفعى تهديًّا له في كل أمر مرادة

إن ثمن ذلك دوام الإخلاص ، والبقين بالله ، والحرص على رضاه ، والبعد عن معصيته ، وإظهار العجز والضعف أمام قدرته ، والحرص على أن ينظر منك إلى قلب طاهر ، ونفس مطمئنة ، وزهد فى الدنيا ، وحرص على الآخرة ، واتباع لهدى القرآن ، واقتداء بالنبى 業، وتعظيم للصحابة والتابعين ، وغيرة على الإسلام والمسلمين ، حتى تعظى بحبّه ورضاه .

عَالَ تَعَالَى: يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُر ... (المائدة: ٥٤).

وض الحديث الصحيح : «ما تقرب عبدى إلىَّ بشىء أحبُّ رائيٌّ من أداء ما اقترضته عليه ، ولا ير ُ عبدى يتقرب إلىَّ بالثوافل حتى أحبُّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، ويصره الذى يبصر به ، ويد، التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى عليها ، ولئن دعائى لأجيبنه ، ولئن سألنى لأعطينه، (**) .

٣٧ - مَا أَصَابَ مِن مُعِيدَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيَ ٱلْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَلْبِرِ مِّن لَبْلِ أَن نُبرَأَهَا إِنْ ذَالِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ.

الكون كلُّه فِي قبضة الله ، وفي تقديره وفي علمه ، فالله تعالى هو هالق الكون ، وهو هالق الإنسان ، وهو المدبّر والمنظم لهذا الكون ، بما فيه من سماء وأرض ، وإنس رجن ، وحيوان وطيور، ورواحف ووجوش، وأنهار ويحار، وفلاة وأشجار، وساتر الموجودات، وما يقع من مصيبة في الأرض من فساد زراعة أو عاهة في الزرع ، أو غرق أو حريق ، أو في الأنفس من مرض أو فقر أو عامة ، إلا وهو مكتوب في الأزل ، فقد قدُر الله مقادير الأشياء من قبل أن يخلق السماء والأرض ، وأحكم كل شيء وفضله تفصيلاً ، وكل شيء كائن في علمه تعالى وتقديره من قبل أن يحدث ، وذلك أمر هين عليه ، وإن كان صعبا على البشر.

٣٣ – لَّكَيْلاَ تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا لَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَا ءَاتَكُمْ وَٱللَّهُ لاَ يُبحِبُّ كُلَّ مُخْتَالِ فَخُورٍ .

لقد أبدح الله القضاء والقدر ، وكتب على كل نفس عمرها وأجلها وحظها ، وفقرها أن غناها ، وخقاءها أو سعادتها ، حتى لا يحزن إنسان على مفقود حزنًا يخرجه عن الاعتدال والتماسك ، لأن أجلها تد خُمَّ في الأزل ، فإذا انتقلت نفس إلى الموت أو الهلاك فإنما تُحقق ما كتب عليها في الأزل .

وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَا ءَاتَلَكُمْ ...

أى: لا تفرحوا فرحًا مطفيًا يخرجكم عن حدً الاعتدال ، ويخرجكم عن الشكر للهُ صاحب النعمة ، إلي البطر والاختيال والتباهي بما حدث ، كأنه من صنح الإنسان .

ونلاحظ أن الحزن على المفقود فطرة إنسانية ، والفرح بالنعمة فطرة إنسانية ، فكيف ينهى الله عن الحزن على المفقود ، أو الفرح بالموجود ؟

والجواب : إنما نهى الله عن الحزن الذي يجرّ إلى الجزع والقنوط والهلع ، وينسى الإنسان القضاء والقدر ، وأن كل نفس قد كتب عليها ما يصيبها ، وهى لا تزال حملاً في بطن أمّها ، وقد خُمّاً في القدر كلّ شىء يصيبها ، وكذلك الفرح فطرة في النفس ، تحتاج إلى اليقين بأن الله هو المعطى والمتخضل والمانح لهذه النعمة ، لكنّ بعض الناس يختال ويفتقر ، ويتطاول على عباد الله بأنعم الله ، ويجره ذلك إلى الطفيان ويلّهيه عن الشكر .

قال عكرمة : ليس أحد إلا وهو يحزن أو يفرح ، ولكن لجعلوا الفرح شكرًا ، والحزن صبرًا .

ولا يصبح النهى عن شىء من طبائم البشر، كالفرح والحزن والغضب، وإنما النهى وارد على مقدمات الغضب، وتعاطى أسبابه، وقد أُمر الإنسان عند الغضب أن يتذكر هوان الدنيا، وأن متاعها قليل، وأنها إلى فناء حتى يهذا غضبه، وكذلك عند الحزن يتذكر القضاء والقدر، وثواب الصبير على المصيبة، وأُجر الصابرين الراضين المؤمنين، الذين يغوضين إلى الله الأمور، وكذلك عند الفرح والسرور يذكر المؤمن فضل الله عليه، فيزداد شكرًا وعرضانًا وتواضعًا، ويقينًا بأن مصدر النعمة هو الله تعالى. وفى الحديث الصحيح: وعجبًا لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، إن أصابته نعماء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته عشراء صير فكان خيرًا له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن» (١٣٠) .

قالمؤمن الحق هو تور الله في الأرض ، والمؤمن متجانس مع هذا الكون ، والمؤمن خليفة الله حقا في أرضه ، وهو قَدَرُ من أقدار الله ، وهو راض عن الله ، وهو شاكر على النعماء ، صابر على البأساء ، راضي بالقضاء والقدر ، خيره وشره ، حلوه ومره .

وغير المؤمن تخرجه المصيبة عن اتزانه وتماسكه ، وربَّما جره ذلك إلى المرض أو الانتحار أو الانكسار ، وغير المؤمن ينظر إلى التعمة على أنها من كدّه وعلمه وخصوصيته ، وريما نسى الشكر ، وريما نسى أن المفضل لله ، وهو صاحب القضل الكبير .

٤ ٢ - ٱلَّذِينَ يَهْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبَحْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْفَيئُ ٱلْحَمِيدُ .

الله تعالى لا يحب كل مختال فخور ، أى لا يحب كل متكبر متباء بماله أو ولده أو جاهه أو جماله ، لأنه لا يرى لغيره حقا عليه ، ثم بين صفات هذا المختال الفخور ومن على شاكلته ، بأنهم هم الذين يبخلون على عباد الله بزكاة أمرالهم ، ويضغُون بالصدقة والعطاء والمساعدة ، والمساهمة في رعاية الفقراء والمساكين ، ثم يحثُون غيرهم على هذا البخل ، حتى يشيع البخل بين الناس .

وَمَن يَتَوَلُّ قَاِنَّ ٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ .

ومن يعرض عن الله رعن شكره ، وعن إعطاء حق الله في ماله وجاهه ، فإن الله وحده هو الفنى عن عباده ، المحمود على حسن فعاله ، لا يضره بخل البخيل ، ولا تنفعه طاعة الطائم .

قال تعالى على لسان موسى عليه السلام : إِنْ تَكَفُّرُواْ أَنْتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيمًا فَإِنَّ اللَّهَ لَفَيْ حَمِيدٌ (ابراهيم : ٨)

وقال عز شأنه : يَنَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَلتُمُ ٱلْفُقَرَّاءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْفَتِيُّ ٱلْحَمِيدُ . (فاطر ١٥٠).

الغاية من بعثة الرسل

﴿ لَقَدَّ أَرْسَلْنَا رُسُلْنَا إِلَّهِ يَنْتِ وَأَنَّ لَنَا مَعَهُمُ ٱلْكِنْدَ وَالْمِيزَاتِ لِيَقُومُ النَّاسُ إِلْقِسَطِّ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسُّ شَدِيدٌ وَمَنَنْفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيعَلَمُ اللَّهُ مَن يَصُرُهُ، وَيُسُلَهُ إِلَّفَيْبِ إِذَاللَّهُ قَوَيُّ عَزِيرٌ ۞﴾

المقردات :

أرسلتا رسلتا: أرسلنا الأنبياء إلى الأمم.

البيات: المعجزات والحجج.

ال ك تاب، أريد به الجنس ، أي : كتب الشرائع كالتوراة ، والإنجيل ، والقرآن ، والصحف .

المحمد يستران ، العدل .

المصدد الحق .

وأنزلتا العنيد، خلقناه، وأخرجناه من المعادن.

ساس شسديسه ، قرة نافعة متعددة ، تتخذمنه آلات العرب والصناعات الثقيلة ، والمبانى الضغمة ونحو ذلك. مشاهم فلشاس ، يدخل في مساعات كثيرة مفيدة الذاس .

وليحلم الله ؛ علم مشاهدة ورجود في الخارج.

من ينصره ورسله ، من ينصر دينه وينصر رسله ، باستخدام الأسلحة وآلات الحرب من الحديد في مجاهدة الكفار. بسالسفسيه ، ينصرونه ولا يبصرونه بعيونهم .

تمهيد:

أرسل الله الرسل، وأنزل معهم كتب السماء، وهى فى جملتها كتاب واحد يحثُ على الفضائل، وينهى عن الرذائل، ويوضع العقيدة فى الإلهيات والنبوات، ويوضح الشريعة فى العبادات والمعاملات، وأمر الله بالعدل فى القضاء، وأنزل الحديد لتأديب الخارجين على دين الله أو شريعته، وهذا إشارة إلى أن الكتاب يمثل سلطة التشريع، والعدل يمثل سلطة القضاء، وإنزال الحديد يمثل السلطة التنفيذية.

التفسيره

٥٠ – لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلْنَا بِالْمَيْسَاتِ وَأَمْرَ ثَنَا مَعْهُمُ ٱلْكِتَابَ وَالْعِيرَانَ يَقُومَ ٱلنَّاسُ بِالْفِيسَطِ وَأَمْرَتُنَا ٱلْمَحْدِيدَ فِيدِ بِأَسَّ شديدٌ وَمَنْاهِمُ الثَّاسِ وَلِيْعَلَمَ اللَّهُ مَن يَعْصُرُهُ وَرُسُلَةً، بِالْفَيْسِ إِنْ ٱللَّهُ قُومًا عَزِيزٌ

تالله لقد أرسلنا رسلنا لهواية الناس وإرشادهم إلى توحيد الله تعالى ، واتباع مكارم الأخلاق ، واجتناب الرذائل والمنكرات ، وأعطينا الرسل المحجزات التي تؤيدهم وتصدقهم ، فهي بعثابة قول الله تعالى ، لعباده : صدق عبدى في كل ما يبلغ عنى ، وقد أعطى الله كل نبى محجزة مناسبة له ، مثل ناقة صالح ، وعصا موسى مع تسع آيات بينات ، كاليد والجراد والطوفان ، والضفاد والدم والسنين ، وغرق فرعون وملته ، وأعطى محمداً إلله القرآن الله ، وأعطى محمداً الله القرآن الله ، وأعطى محمداً الله القرآن الله ، وأعطى محمداً الله الرسل بالمدل في المعجز المتحدى به ، المهيمن على الكتب السابقة ، ومعه معجزات أخرى ، كما أمر الله الرسل بالمدل في الأحكام ، ليتبع الناس ما أمروا به من الحق والعدل والإنصاف ، وتقوم حياتهم على ذلك ، فيتعاملون مع بعضهم البعض بالعدل والإنصاف والقسط ، في جميع أمروهم الديتية والدنبوية ، فهم الحراس على تنفيذ الأحكام ، واحترام الشرائع ، واتباع الرسل ،

وَأَنزَنْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسُ شَدِيدٌ وَمَعَافِعُ لِلنَّاسِ ...

أراد الله لعباده أن يكرنوا حماة لدينه ، مدافعين عنه يكل سلاح ويكل قوة ، والسورة تُسمى بأهم شيء فيها ، أو أغرب شيء فيها ، لذلك سُمّيت هذه السورة بسورة الحديد ، وكأن الله تعالى يرشد عباده إلى تسخير الحديد في صناعاتهم الثقيلة والخفيفة ، وأدوات الطعام ومرافق المنازل ، وأساس المبانى والعمارات ، وسرافق الحياة الاقتصادية ، وآلات الزراعة ، والأسلحة المتعددة ، والقطارات والبواخر ، والطائرات . والسيارات ، فالحديد معدن متفاوت الثمن ، متفاوت المنافع ، ما بين حديد التسليع ، وتروس الساعة ، وهو وسيلة الدفاع عن الدولة ضد المعتدين ، ومن الإعجاز أنك تجد الحديد مستخدمًا في البندقية والرشاش والرادار والدبابة والغواصة والطائرة ، وأدوات كشف الألفام ، وما يكتشف في المستقبل عن مزايا هذا المعدن ، والنواحي المتعددة التي لم تكن تخطر على بال الفارئ لهذه الأية وقت نزول القرآن ، مما يدل على المتعالم على الإعجاز الغيبي ، لأن الذي أنزاها هو العليم بعباده .

وفي الآية دعوة للمؤمنين إلى التحصن بالقوة لحماية دينهم والإرهاب أعدائهم.

كما قال تمالى : وَأَعِدُواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْمَ مِّن قُوْةٍ وَمِن زَيَاطِ ٱلْخَيْلِ كُوهِوْنَ بِهِ عَدُوْ ٱللَّهِ وَعَدُوْكُمْ وَءَاحَمِينَ مِن دُولِهِمْ لَا تَطْلُونُهُمْ ٱللَّهُ يَقَلُهُمْ وَمَا فَيْقُواْ مِن شَيْعٍ فِي صَبِيلِ ٱللَّهِ يُوْكَ إِلَيْكُمْ وَأَشْهِ لَا تَظْلُمُونَ . (الانفال: - ٢٠)

وَلِيْعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَعضُرُهُ، وَرُسُلَهُ، إِللَّهَيَّبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِى عَزِيزٌ .

ليشاهد الله ، ويعلم علم مشاهدة ووجود ، من ينصر الله باتباع أمره ، والمسارعة إلى الجهاد في سبيل الله ، وينصر رسله بإخلاص ونية صالحة ، تقصد وجه الله بعملها ، متيقنة بوجود ربّها ورقابته ، وإن لم تبصره بعينها ، ولكنها تراتبه بقلوبها ويقينها .

إِنَّ ٱللَّهَ قَوىً عَزِيزٌ .

فهو سبحانه قوى قادر ، عزيز قاهر غالب ، يستطيع دفع عدوان الظالمين ، ولكنه منظ عباده على الجهاد والتضحية والفداء الجهاد والتضحية والفداء ، ويذل النفس والنفيس فى مرضاة الله ونصرة الرسل ، وإحقاقً الله في والعدل ، لينالوا شرف الدنيا وسعادة الأعرة .

روى الإمام أحمد ، وأبو داود ، عن ابن عمر آنان : قال رسول الله ﷺ : وبُعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يُعبد الله وحده لا شريك له ، وجُعُل رزقى تحت طَلُّ رمحى ، وجُعلت الذَّلة والصغار على من خالف أمرى، ومن تشبُّه بقوم فهو منهم، ٢٠٠٠ .

ما أحرج المسلمين إلى قراءة كتاب ربهم ، قراءة تفهم ووعى ، ليتخذوا منه زادًا تافعًا مفيدًا ، يأخذ بأيديهم إلى العزة والمنعة ، والتفوق الديني والدنيوي .

وحدة الشرائع في أصولها ، وصلة الإسلام بما قبله

﴿ وَلَفَدْ الْسَلْنَا فُوحُ اوَلِهُ هِمْ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِيّتِهِ مَا النَّهُوَّةَ وَالْحَيِسَةُ فَعَنَّهُم مُّهُتَلَّمُ وَكَفَدُ الْسَلَانَ اوَفَقَسْنَا عِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ وَالْحَيْسَةُ فَعَنَّمُ مُّهُتَلَّمُ وَكَثِيرٌ مِنْهُم فَسِمُونَ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ مَا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمُعْلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَل

المقردات ،

جعلنا هي ذريتهما النبوة ، جعلنا في ذرية نوح وإبراهيم النبوة .

واليك تاب والزيور ، والكتب الأربعة : التوراة ، والإنجيل ، والزيور ، والقرآن .

هم تسهم مهتد : من الذرية ، أو من المرسل إليهم .

<u> المستقيم</u> عن الطريق المستقيم .

ق ف ي د ا و أتبعنا .

الإنب عسى وفيه شريعته. الكتاب الذي أنزله الله على عيسى وفيه شريعته.

رهمه بسيانه مي الانقطاع عن الناس للعبادة، واتخاذ الصوامع في الجيال وغيرها ، والامتناع عن لنيذ الطعام والشراب ، واعتزال النساء، والتعبد في الغيران والكهوف.

اب ت مدعم وها ؛ استحدثوها ولم تكن في دينهم .

الاابستهاء رضوان الله ، استثناء منقطع ، أي : اكنَّهم ابتدعوها بقصد مرضاة الله .

قحمسا رهسوهساء لم يرعها الجميع ، ولم يداقظوا عليها .

فاتينا التين أمشوا: أتبنا الذين أمنوا بعيسى الإيمان الصحيح.

مستسهده من أتباعه .

ف الديام .

ك في التمال عن المعالم المعالم المعالم المعالم والتُمس

استسلا يسعبنه ، لكي يعلم .

الا وسيق بين التصرف فيه. الله ينالون شيئًا مما ذكر من فضل الله وهو النبوة ، ولا يستطيعون التصرف فيه.

تمهيد ۽

بعد بيان أن الله أرسل الرسل بالبينات والمعجزات ، وأمر الخلق بنصرتهم ، أبان تعالى وحدة النبوة سلالةً ، ومعنى في ذرية نوح وإبراهيم ، ووحدة التشريم ، ووحدة الكتاب ، أي الكتب السماوية الأربعة : التوراة والإنجيل والزيور والقرآن ، ثم ذكر أن من آمن بعيسي ثم آمن بمحمد ﷺ فإن له نصيبين من رحمة الله ، لإيمانه برسوله ثم إيمانه بمحمد ﷺ .

ثم ذكر أن النبوة فضل من الله ، لا يختص بها قوما دون قوم ، وفي ذلك ردٌّ على اليهود الذين البُّعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم شعب الله المختار، وأن النبوة لا تخرج منهم إلى غيرهم ، فالله أعلم حيث يجعل رسالته.

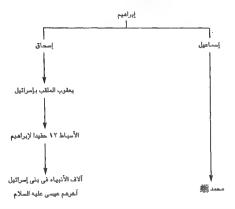
التفسيره

٢٩ - وَلَقَدْ أَرْسَكُنَا تُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرَّتِهِمَا ٱلنَّبُوةَ وَٱلْكِتَلْبَ فَعِنْهُم مُهْعَدِ وَكَبِيرٌ مِّنْهُمْ فَلسِقُونَ .

أى: أرسلنا نوحا إلى قومه ، وأرسلنا إبراهيم إلى قوم آخرين ، ولم يرسل الله رسولا بعد نوح إلا من ذريته ، ولم يرسل الله رسولا بعد إبراهيم إلا من ذريته وسلالته ، كما قال سبحانه في الآية الأخرى:

وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيتِهِ ٱلنُّبُورَةِ وَٱلْكِتَابَ ... (المنكبون: ٢٧).

والآية تشير إلى وحدة الرسالات والنبوات ، ووحدة الكتب السماوية في مضمونها وتشريعاتها ووصاياها ، فهي كتب الله لهداية عباد الله ، لكن البشر انقسموا إلى فريقين : فريق مهتد بهدى السماء قله أجره وثوابه ، وفريق خرج عن الطريق المستقيم وعليه وزره وعقابه . وقد تميز عهد نوح بالطوقان الذي يعتبر طوراً جديداً في مسيرة الإنسانية ، ولذلك قبل عنه إنه آدم الثانى ، أما إبراهيم فهو أبو الملّة ، فله موقف مع أبيه ، وموقف مع ابنه حيث ارتحل به إلى مكة ، ثم نبع زمزم ، وقصة السعى بين الصفا والمرزة ، وذبح الأضحية في شريعة حمد ﷺ لإحياء نكرى عزيمة إبراهيم على ذبح ولده ، ويمكن التأمل في شجرة الأنبياء في التوضيح التالى :



٧٧ – لُمْ قَلْفَتُنَا عَلَى ّعَاشَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَلْمَتْ بِعِسَى آبَرِ مَرْيَمَ وَعَالَيْنَاءُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعْلَنا هِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱلْبَعْنَ رَأَفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْمَائِلَةً آبَنَدَعُوهَا مَا كَتَنْتُمُهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا آبَعِنَاءَ وِشُوْنِ ٱللّهِ فَمَا رَعُوهَا حَقّ رِعَائِهِمَا فَعَائِهَا ٱللّهِينَ عَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَمُمْ وَكَبِيرٌ مِنْهُمْ فَلَسِقُونَ .

بعد نوح وإبراهيم أرسلنا رسلنا تترى ، رسولا بعد رسول ، كما ذكر القرآن الكريم جهاد الرسل وكفاحهم في دعوة أقوامهم إلى الإيمان ، وتحمُّل الرسل الإيذاء ، وصبروا وصابروا حتى نصرهم الله .

وكان عيسى ابن مريم آخر أنبياء بنى إسرائيل ، وقد بشُر برسالة محمد ﷺ ، وأعطاء الله الإنجيل مشتملاً على صيحات روحانية، وسكب الله فى قلوب أتباع عيسى (الرأفة) وهى الشفقة واللين ، و(الرحمة) وهى التعاطف فيما بينهم ، كما قال سبحانه عن أنباع محمد ﷺ زُحَمَّاءُ يَيَّهُمْ . (الفتح : ٢٩). وتعرَّض أثباع عيسى للقتل والتعذيب ، فاختاروا طائعين (الرهالية) وهي ترك الشهوات والنُساء ولذائذ الطعام ، وهاجروا إلى الصوامع والأديرة في الصحرام ، متعيدين لله تعالى ، وما طلب الله منهم ذلك ، وما فرضه عليهم ، لكنهم نذروه والتزموا به أمام الله ، رغبة في رضوانه ومرضاته .

ثم تحولت الرهبانية بعد فترة إلى طقوس خالية من الروح ، والله لا ينظر إلى الصنورة والشكل ، وإنما ينظر إلى القلب ، وما يسكن في الروح والفؤاد .

وَرَهْبَانِيَّةُ آلِتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱلْبَعْنَاءَ رَضُوا فِ ٱللَّهِ ...

والاستثناء هنا منقطع ، والمعنى : ما كتينا عليهم الرهبانية ، ولكنهم فعلوها من تلقاء أنفسهم ابتقاء رضوان الله ، ونلحظ إنصاف القرآن الكريم لأتباع عيسى ، حيث وصفهم بالرأفة والرحمة والرهبائية والتقشف رغبة في مزضاة الله .

ونجد مثل ذلك في آيات القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، كما حفظ التاريخ صورًا يرويها بها الرواة عن النجاشي ، وعن وقد نجران ، وعن أفراد ممن وفدوا على دار الإسلام بعد ظهوره راغبين في الإسلام بحكم ما استقر في قلويهم من الحق مُذْ كانوا أتباع عيسي ابن مريم بحق .

فَمَا رَغَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ..

فما حافظوا على هذه الرهبانية التى ألزموا أنفسهم بها ، ولم يستمروا فى إخلاصهم وتجردهم، ورغبتهم فى مرضاتهم لربهم ، «بل أصبحت الرهبانية فى الغالب طقوساً وشعائر خالية من الروح، واتخذها الكثيرون مظهراً عاريا من الحقيقة ، ولم يصبر على تكاليفها إلا عدد قليل منهم » (⁽¹⁰⁾

قَعَالَيْنَا ٱلَّذِينَ عَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَلسِقُونَ .

فأعطينا المؤمنين إيمانا محيحا ثوابهم الذي يستعقونه بالإيمان ، وكثير من هؤلاء المترهبين ، فُلسِقُونَ . خارجون عن حدود الله وطاعته ، بأكلهم أموال الناس بالباطل ، ويسلوكهم المنعرف .

روى الحافظ أبو يعلى ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ كان يقول : «لا تشدّدوا على أنفسكم ، فيشدّد عليكم ، فإن قوما شدّدوا على أنفسهم فشدّد عليهم ، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات». وَرَهْبَالِنَّ آيَنَامُو هَا مُا كَنِّتُهَا عَلَيْهِمْ ...

وروى الإمام أحمد ، عن إياس بن مالك ، أن النبي ﷺ قال : «لكل نبى رهبانية ، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله عز وجل» . ٢٣٩. وقد أورد الحافظ ابن كثير طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة فى تفسير هذه الآية ، وكذلك ابن -جرير الطبرى والقرطبي، وهى تفيد أن بنى إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة ، وأن ثلاث فرق من آتها ع عيسى عليه السلام التزموا بالحق واتباً ع الدين الحق .

الفرقة الأولى: قاتلت الجهابرة، فقُتِلتْ وصبرت ونَجَتْ.

القرقة الثانية : لم تكن لها قوة بالقتال ، فقامت بين الملك والجبابرة ، فدعوا إلى دين الله ودين عيسي لبن مريم ، فقُتِلتُ وقطَّت بالمتاشير ، وهَرُقت بالنيران ، فصبرتُ وَنَجَتْ .

القرقة الثالثة : لم تكن لها قوة ، ولم تطق القيام بالقسط، فلحقت بالجبال فتعبدت وترهبت، وهم الذين ذك الله تعالى : وَرَهْبَائِهُ آَيْتُمُوهُا مَا كَيْبَنْهَا عَلَيْهِم ...

أخرجه ابن أبي حاتم ، ورواه ابن جرير بطريق أخرى وافظ آخر .

وأخرج الإمام أحمد أن أبا سعيد الخدرى قال: يا رسول الله ، أوصنى ، فقال ﷺ : وأوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرضى (١٠٠).

٧٨ – يَــَالَيُهَا الَّذِينَ عَامَتُوا اللَّهُ وَعَامِنُوا بِرُسُولِهِ يَلْوَتَكُمْ كِفَلَيْنِ مِن وَخَمَتِهِ وَيَخْطُ لُكُمْ لُورًا لَمْشُونَ بِهِ وَيَغْطِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَلُورٌ رَّجِمْ .

نلاحظ أن سورة الحديد تطرق القلوب طرقا متنابعا مفيدا ، وتدعو إلى الإيمان ، وتحثُ على الخشوع لذكر الله، وتحثُ على اتباح الرُّسل ، والجهاد في سبيل الله .

وفي الآيتين الأخيرتين من السورة - أي في هذه الآية والتي تليها - نجد دعوة راشدة تقول:

يا أيها الذين آمنوا بالله ، الزموا التقوى ومراقبة الله ، والتزام أوامره ، واجتناب نواهيه ، وأمنوا برسوله مصد ﷺ يرتكم الله تصبيبيّن من رحمته الواسعة ، ونصيب واحد نعمة كبيرة ، لكن الله جعل للمؤمنين برسول الله ﷺ نصيبين وافرين من رحمته .

وَيَجْعَل لُكُمْ نُورًا تُمْشُونَ بهِ ...

إنه فضل وراه فضل ، والمعنى : يهبكم الله نورا لهدايتكم إلى الطريق للقويم ، والمسراط المستقيم ، والإنسان مهما أوتى من العقل محتاج إلى هداية الله ونوره وقضله .

قال المفسرون:

يجعل لكم نوراً تمشون به على الصراط تهندون به فى الآخرة ، وهدى تبصرون به العمى والجهالة فى الدنها .

وقال في ظلال القرآن :

وَيَجْعَلِ لَّكُمْ لُورًا تَمْشُونَ بِهِ ...

هي هبة لدنيّة يودعها الله القلوب التي تستشر تقواه ، وترّمن حق الإيمان برسوله ، هبة تنير تلك القلوب فتشرق ، وترى الحقيقة من وراء الحجب والحواجز ، ومن وراء الأشكال والمظاهر ، ولا تلتوي بها الطريق .. أورّا تَشُونُ به ...

وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ.

ويغفر لكم ما أسلفتم من المعاصى ، فالإنسان مهما وُهب من الثور إنسان يدركه التقصير ، فيحتاج إلى المغفرة فتدركه رحمة الله . 1 هـ .

وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ.

عظيم المغفرة ، واسع الرحمة .

٧٩ – أَفَلاَ يُعْلَمُ أَمْلُ ٱلْكِتَلْبِ ٱلَّا يُقْبُرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَصْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَصْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْمِهِ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ فُو الْفَصْلِ ٱلْتَنظِيمِ .

كان أهل الكتاب يقولون : إن سلسلة الرسل كلها في نسل يمقوب – الملقب بإسرائيل – والكتاب والشرع ليس إلا لنا ، والله خصتًنا بهذه المنزلة من بين جميع العالمين .

سيب النزول

أخرج ابن جرير ، عن قتادة قال : بلغنا أنه لما نزلت : يُؤْمِكُمْ كِفُلُيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ... حسد أهل الكتاب المسلمين عليها ، فأنزل الله : ثُلاً يُعْمَمُ أَهْلُ ٱلْكِنَابِ ...

وأخرج ابن المنذر، عن مجاهد، قال: قالت اليهود: يوشك أن يخرج منا نبى فيقطع الأبدى والأرجل، فلما خرج من العرب كفروا، فأنزل الله: تُقُلاً يَعْلَمُ أَهْلُ ٱلْكُتِسْبِ ... يعنى بالفضل: النبوة، وتفيد آيات القرآن الكريم أن أهل الكتاب كانوا يزعمون أنهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحباؤه: وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصُلْرَى لَهُتَدُوا ... (البقرة : ١٣٥).

وَقَالُوا لَن يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَلْرَى ... (البقرة : ١١١).

فبيّن القرآن أن النبوة والرسالة والفضل الإلهي منحة من الله يمنحها لمن يشاء ، وهو أعلم حين يجعل رسالته .

وقد ضاعف الله الأجر والثواب ، والنور والمغفرة المؤمنين الذين صدقوا في إيمانهم بالله ، وصدقوا رسوله محمداً ﷺ، فجعل لهم أجران ، حتى يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على رد أي شيء من فضل الله، وأن النبوة والرسالة ، والفضل الإلهي بيد الله ، يعطيه من يشاء من عباده ، وقد اهتار الله محمداً ﷺ لرسالته ، رجعك الرسول الخاتم ، وأنزل عليه آخر كتبه ، وأعطى لأمته ثوابا مضاعفاً ، فضلا منه ونعمة ، والله والمناه والمناه والمناه الواسع والجزاه الأوفى .

أخرج البخارى ، ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : «ثلاثة لهم أجران : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيّه ' وأمن بى نله أجران ، وعبد مملوك أدّى حق الله وحق مواليه فله أجران، ورجل أدّبٍ آمته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزيّجها فله أجران» (۱۹۱).

وقد ذكر بعض المفسرين أن الله تعالى لما أنزل الآيات (٥ ، ٥ ، ٥) ه) من سورة القصص ، وفهها ما يفيد أن أهل الكتاب لهم أجران ، حيث قال تعالى : أُولِّكُنِكُ يُؤَّوِّنُ أَجْرُهُم مُّرِّيِّنِ بِمَا صَبَرُواْ . . (القصص : ٥٥). قالوا : يا معشر المسلمين ، أما من آمن منا بكتابكم فله أجران ، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم .

هَانزل الله تعالى : يَنَّلُهُمْ اللَّهِنَ ءَاشُواْ اللَّهُ وَعَامِوْا بِرَسُولِهِ يُلْقِيكُمْ يَخْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَعِمَّلُ لَّكُمْ لُورًا تَصَشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . ربَّا على قولهم: ومن لم يؤمن بكتابكم هله أجر كأجوركم .

وأفاد الزمخشري في تفسير الكشاف:

أن الله أعطى المسلمين أجرين لأنهم آمنوا بالرسل السابقين جميعا فلهم أجر ، وأمنوا برسالة محمد ﷺ فلهم أجر ثان .

وكذلك أهل الكتاب: إذا آمنوا بأنبيائهم وآمنوا بمحمد ﷺ ظهم أجران ، قإذا لم يؤمنوا بمحمد ﷺ فقد خرموا من كل أجر ، لأن رسلهم بشرت بمحمد ﷺ. وقد ذكر القرآن ذلك على لسان عيسى: وَإِذْ قَالَ عِسَى آَانُ مُرْيَمَ يَنَيْقِ إِسْرَ عِيلَ إِلَّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدُّقًا لَمَا يُبْنَ يَدَكُمْ مِنَ ٱلْثُورَالِيّةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولَ يِأْتِي مِنْ بَعْدِى ٱسْمُهُمَّ أَحْمَدُ فَلَقا جَاعَهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ قَالُواْ هَنَدَا سِحْرٌ مُّيسٌ . (السف : ١)

فإذا لم يؤمن الكتابُي بمحمد ﷺ فإنه يُحرم كل أجر ، حيث خالف وصية نبيه ، ثم لكفره بمحمد رسول الله وخاتم النبيين .

ونتذكى هنا كلام أصحاب علوم القرآن: (العبرة بعموم اللفظ لا يخصوص السبب) ، فنجد أن الآية عامة تشمل المسلمين وتشمل أهل الكتاب الذين آمنوا بمحمد ﷺ ، فلهم جميعا كفلان ونصيبان من رحمة الله وفضله ، والله ذو الفضل العظيم .

من تفسير ابن كثير

يَنَاأَلِهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱللَّهُ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْلِكُمْ كِفَلْيَنِ مِن رَحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمَشُونَ بِهِ وَيَغَفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ فَهُورٌ رَّحِيمٌ

يُؤْتِكُمْ كِفُلَيْنِ. أي : ضعفين . من رُحْمَتِهِ . وزادهم : وَيَجْعَلُ أَكُمُ اُورًا تَمْشُونَ بِه ... يعنى : هدَى يتبصر به من العمى والجهالة ، وَيُقُورُ كُخُهُ . فقضَّلهم بالنور والمغفرة .

وهذه الآية كفوله تعالى : يَنَأَلُهُمَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِن تَشُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَكُمْ فُولَانًا وَيُكَفَّرُ عَنكُمْ سَيَّنَاتِكُمْ وَيَغْمِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ وُو ٱلْفَصْلِ ٱلْعَظِيمِ . (الانتفال ١٧٠) .

ومما يؤيد هذا القول ما رواه الإمام أحمد ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «مَكُلُكم ومثل اليهود. والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً ، فقال : من يعمل لى من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ ألا قيراط ؟ ألا فعملت اليهود ، ثم قال : من يعمل لى من صلاة الظهر إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ؟ ألا فعملت النصارى ، ثم قال : من يعمل لى من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين ؟ ألا فأنتم الذين عملتم ، فغضبت النصارى واليهود ، وقائوا : نحن أكثر عملاً وأقل عطاء ، قال : هل ظلمتكم من أجركم شيئاً ؟ قائوا : لا ، قال : فإنما هو فضلى أوتيه من أشاءه أشاء ألله .

وروى البخارى ، عن أبى موسى ، عن النبي ﷺ ، قال : ومثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استعمل قوماً يعملون له عملاً ، يوماً إلى الليل على أجر معلوم ، فعملوا إلى نصف النهار ، فقالوا : لا حاجة لنا في أجرك الذي شرطت لنا ، وما عملنا باطل ، فقال لهم : لا تفطوا ، أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملاً، فأبوا وتركوا ، واستأجر آخرين بحدهم ، فقال : أكملوا يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الأجر ، فعملوا حتى إذا كان حين مطوا العصر ، قالوا : ما عملنا باطل ، ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه، فقال : أكملوا بقية عملكم ، فإنما بقى من النهار شيء يسير ، فأبوا ، فاستأجر قوماً أن يعملوا له بقية يومهم ، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس فاستكملوا أجرة الفريقين كليهما ، فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور «٢٠٠٥»

ولهذا قال تعالى : لَّقُلاً يُفْلَمَ أَشُلُ ٱلْكِتَابِ ٱلَّا يُقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مَّن فَصْلُ ٱللَّهِ . أي : ليتحققوا أنهم لا يقدرون على رد ما أعطاه الله ولا إعطاء ما منع الله .

وَأَنْ ٱلْفَصْلَ بِيدِ ٱللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَصْلِ ٱلْعَظِيمِ.

قَالُ ابن جوير: قُلَّا يُعَلَّمُ أَهُلُ ٱلْكِتُبِ... أى: ليملم ، وعن ابن مسعود أنه قرأها: (لكى يعلم) لأن العرب تجعل (لا) صلة في كل كلام دخل في أوله أو آخره جحد غير مصرح ، فالسابق كقوله : ما مَنْعُكُ أَلَّ تُسْجُدُ ... (الأعراف ١٧٠).

وكقوله تعالى: وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (الأنعام: ١٠٩) (١٠٠).

خلاصة ما اشتملت عليه سورة الحديد

١ - صفات الله وأسماؤه الحسني، وظهور آثاره في بدائع خلقه .

٢ -- الحضُّ على الإنفاق في سبيل الله .

٣ - بشرى المؤمنين بالنور يوم القيامة .

٤ – ثراب المتصدِّقين الذين أقرضوا الله قرضا حسنا.

٥ -- دُم الدنيا وبيان أنها لهو ولعب وزينة .

٦ -- الترغيب في الآخرة والاجتهاد في العمل لها.

٧ = اليقين بالقُدر، والصبر في المصائب، والشكر على التعماء.

٨ - دم الاختيال والفخر والبخل.

* * *

تم بحمد الله تعالى تفسير الجزء (السابع والفشرين) ظهر يوم الثلاثاء ٧ من شوال ١٤٣١ هـ، الموافق ٢٠ ١/١/٢ م ، والحمد شه الذي بنعمته تتم الصالحات ، ونسأله العون والتوفيق ، إنه نعم المولى ونعم النصير .



(١) أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا:

رواه البخارى في الإيمان (٥٠) ، وفي تقسير القرآن (٧٧٧ع) ، ومسلم في الإيمان (٨٠) ، والترمذي في الإيمان (١٠٥) ، والترمذي في الإيمان (١٠٥) ، والترمذي في الإيمان (١٠٥) ، والترمذي في الإيمان و١٠٥) ، وأبر داود في السنة (١٩٥ ع) ، وأبن ماجة في العقدمة (١٠٠ ع) ، وأحد (١٩٦ - ١٩٧١) من حديث أبي هريرة ، أن رسول الله ؛ ﷺ كان يوما بارزا للناس إذ أتاه رجل يصفى فقال: ويا رسول الله ، ما الإيمان ؟ قال : «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكنه ورساء ولقائه ونؤمن بالمبعد الأخرة . قال : يا رسول الله ، ما الإيمان ؟ قال : «الإيمان أن تؤمن الله والملائكة وتؤمن الزكاة المفروضة وصم رمضان» . قال : يا رسول الله ، ما الإيمان ؟ قال : «الإيمان أن تبديد الله كانت تراه فيل لم تكن تراه فيل لم تكن تراه فيل لم تكن تراه فيل في خمس لا يتراه فيل في الله ، مني الساعة ؟ قال : هما المسئول عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن الأساعة ولكن الله منه الله عنه فالله من أشواطها وأن كان السفاة العراة رموس الناس فذلك من أشواطها في خمس لا يطمهن الالله وإن الله عنه علم الساعة ويترل الفيل سبب على الماض يضم على الدرب فقال : «دوا على» للمهمن الالله الله وإن الله عنه علم الساعة ويترل الفيل سبب على الناس دينهم» . ومن حديث عمر بن الخطاب . وقال الترمن عديث عمر بن الخطاب . وقال الترمن عديث حديث عمر بن الخطاب . وقال الترمن عديث حسن مديح .

(٢) نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالفيور:

رواه البخارى فى الجمعة (۳۰ و) وفى بدء الخلق (۳۰ ۳) وفى أماديث الأنبياء (۳۲۶) وفى المغازى (۲۰ ۵) ومسلم فى مسلاة الاستسقاء (۲۰۰) وأحمد فى مسنده (۱۹۰۹) من حديث ابن عباس أن النبى ﷺ قال: ونصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور» .

(٣) لا تمروا على قرى القوم الذين ظلموا أنفسهم:

رواه البخارى في المبلاة (٤٥) وفي أحاديث الأنبياء (٢٩٣ ، ٢٣١٧) ، وفي المفازى (٢٧ ٤ ، ٢٨٠) ، وفي تفسير القرآن (٢٣٣٦) ، ومسلم في الزهد (٢٩٣ ، ٢٩٣٥) ، وأحمد (٢٣٣ ، ٤٧٤ ، ٩٠ - ٥) . من حديث عبد الله بن عمر بلفظ: «لا تدخلوا على هزلاء المطبين إلا أن تكونوا باكين ...ه الحديث .

(٤) التفسير الوسيط بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، نقلا عن المنتهب في تفسير القرآن بإشراف وزارة الأوقاف المصرية .

(٥) تفسير المرافى ، تأليف تُحمد مصطَّفي المراغي ، جزء ٢٧ صفحة ١٠.

(١) إن الور إذا قذف به في القلب السع له الصدر وانشرح:

 (٧) تفسير المراغى ، والتفسير الوسيط بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

(٨) تفرغ لعبادتي أملاً قليك غني:

رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٦٦) وابن مناجة في الزهد (٢٠١٥) وأحدد في مسنده (١٤٨٨) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى يقول -يا ابن آم، تقرغ لعبادتي أملاً صدرك غنى وأسد نقرك، وإلا تفعل ملات يديك وأخرج الحاكم وصححه عن معقل بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ: ويقول ريكم: يا ابن أسم نفرغ لعبادتي أملاً قلبك عنى من وأسط يعني معقل بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ: ويقول ريكم: يا ابن أسم تفرغ لعبادتي أملاً قلبك عنه، وأملاً يديك خنالاً من الله المتحمع : رواه الطبراني ، وفيه سلام المطويل ومن متروك . وقال السيوطي في الدر أيضاً : ولك حدالاً من عمل عنه عن عيشمة قال : مكتوب في التورك . وقال المهدفة على العبادتي أملاً قلبك غنى وأسد قترك . وقال أملاً قلبك شغلاً ولا أسد قتوك . وقال في معند وابن يتمار ولا أسد قتوك . وقال في موضيح أخر : والا تفعل شعب الإميان ، من أبي فيريرة رضي الله عنه قال : ثلا رسول الله ﷺ ﴿ وَالاَ تَعْلَى المنالِ المنالاً والله المنالاً ولا أسد قتوك . وقال : ثلا رسول الله ﷺ ﴿ وَالاَ تَعْلَى المنالاً والاً تعلى المنالاً والمنالاً عندة قال : وقال الله أبي أبن أمرة تقرغ المبادئي أملاً محدول شغلاً ، وأبا تقعل ملات صدول شغلاً ، وأبه أسد نقرك» . وقال : هقول الله قبل المنالاً والمنالاً عند والمنالاً عند المدادي عنه المنالاً عنه قال : ويقول الله أبه ابن آم، وقالاً عنه المدادي منالاً والم المداني صدول شغلاً ، وأبا المدادي عنه والمالاً واله .

ة ال المناري في الفيض : قال الحاكم : صحيح ، وأقره الذهبي في التلخيص لكنه في كتاب الزهد نقله عن القوراة بهذا اللفظ ، ثم قال : وروى مرفوعاً ولا يصح ، انتهى . وفيه عند القرمذي أبر خالد الوالبي عن أبيه ، وأبوء لا يعرف كما في المنار وزاكد بن نشيط لا يعرف أيضاً .

(٩) يمين الله ملأي:

رواه البخاري في التوجيد (٧٤١٩) ومسلم في الزكاة (٩٩٣) وابن ماجة في المقدمة (١٩٧) وأصعد في مسنده (٧٧٦) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن يمين الله ملأي لا يغيضها نفقة ، سحاء اللهل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم ينقص ما في يمينه ، وعرشه على الماء وبيده الأخرى الفيض – أو القبض – يرفع ويخفض » .

(١٠) انظر تفسير المراغى ، للأستاذ أحمد مصطفى المراغى .

(١١) ورد في الصحيحين في حديث الإسراء: «ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفا لا يعودون
 إليه أشر ما عليهم»، يعنى: يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكميتهم.

(١٢) ثم رفع بي إلى البيت المعمور:

رواه البُّخاري في بده الخلق (٢٠٠٧) ومسلم في الإيمان (١٦٢) من حديث أنس.

· (١٣) لن يدخل أحدا عمله الجنة قالوا ولا أنث:

رواه البخاري في المرضى (٦٧٣) ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار (٢٨١٦) ، من حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يُقُولُ: هل يعدهل أهناء عمله الجنةم ، قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؛ قال: «لا ولا أنا إلا أن يتغمنى الله بقضل ورجمة ، فسددو وقاربوا ولا يتمنين لحدكم الموت إما محسنا فلعله أن يزداد خيرا ، وإما مسيئا فلعاء أن يستمنيه

(١٤) جعل الله الرحمة مالة جزء:

رواه البخارى فى الأدب (٢٠٠٠) ومسلم فى التوية (٢٧٥٣) من حديث أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ بقبل : وجعل الله الرحمة مائة جزء فأسك عنده تسعة وتسعين جزءا ، وأنزل فى الأوض جزءا واحدا ، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق عتى ترفع الفرس حافرها عن وادما خشية أن تصبيه» .

(٩٥) صمعت الني 海يقرأ في المغرب بالطور:

رواه البخارى فى تفسير القرآن (٤٥/٥) وابن ماجة فى إقامة الصلاة (٨٣٧) من حديث جبير بن مطعم رضى الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقرآ فى المغرب بالمعارر فلما بلغ: ﴿أَمْ مُطلّوا من غير شىء أم هم المُعالِّفُون * أَمْ مُطلّوا السماوات والأرض بل لا يوقون * أم عنهم خزائن ربك أم هم المسيطرون﴾ . قال: كان تلبى أن يطير .

(١٩) الفقرهات الإلهية بترضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، تأليف سليمان بن عمر الحجيلى الشافعي، الشهير بالجمل المتوفى سنة ١٤٠٤ هـ، طبع بمطبعة عيسى البابي السلبي بمصر.

(١٧) سيحالك اللهم ويحمدك:

رواه أبر دارد فى الأدب (١٩٥٩) والدارص فى الاستئنان (١٩٦٥) وأحمد (١٩٣٧) من حديث أبى برزة الأسلمى قال: كان رسول الله ﷺ يقول بآغرة إذا أراد أن يقوم من المجلس: «سبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إلى إلا أنت أستففرك وأتوب إليك» . فقال رجل: يا رسول الله ، إنك لتقول قولا ما كنت تقوله فيما مضى ، فقال : «كفارة لما يكون فى المجلس» .

(١٨) اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض:

رواه البخارى فى التهجد (۱۹۲۰) ومسلم فى صلاة المسافرين (۱۹۸۸) ، والترمذى فى الدعوات (۱۳۳۰) ، والمسائى فى قيام الليل (۱۹۰۱) ، وأبو داود فى المسلاة ((۲۵) ، وابن ساجة فى إقامة المسلاة (۱۳۶۵) ، وأحمد (۲۵۷۵) ، ومالك . فى النداء للمسلاة (۵۰) ، والدارمى فى المسلاة (۱۶۶۸) .

(١٩) فجلس فمسح التوم عن وجهه:

(، ٧) إدبار النجوم الركحان قيل الفجر:

رو)ه الترمذي في تفسير القرآن (٣٣٧٠) من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال : ء إدبار النجوم الركعتان قبل الفجر ، وإدبار السجود الركعتان بعد المقرب».

قال أبر عيسى : هذا حديث غريب لا نعرقه مرفوعا إلا من هذا الرجه ، من حديث محمد بن فضيل عن رشدين بن كُريب وسألت محمد بن إسماعيل عن محمد ورشدين بن كريب أيهما أوثق قال : ما أقربهما ، ومحمد عندى أرجح ، قال : وسألت عيدالله بن عيد الرحمن عن هذا ققال : ما أقربهما ، ورشدين بن كريب أرجحهما عندى ، قال : والقول عندى ما قال أبو محمد ورشدين أرجع من محمد وأقدم ، وقد أدرك رشدين لبن عباس ورأه .

(٢١) لم يكن على شيء من التوافل أشد :

رواه مسلم فى مسلاة المسافرين (٧٢٤) وأبو داود فى المسلاة (١٣٥٤) وأحمد (٧٣٦٤٧) من حديث عائشة أن الذبى ﷺ لم يكن على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على ركعتين قبل المسيح .

(27) وكعنا الفجر خير من الدنيا :

رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٢٥) من حديث عائشة عن النبي ﷺ قال: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها».

(٢٣) إن الله كتب على ابن آدم حظه :

رواه البشاري في الاستئذان (٢٠٤٣) ، وفي القدر (٢٦١٣) ، ومسلم في القدر (٢٦٥٧) ، وأبو داود في النكاح (٢٦٥٧) ، وأحدد (٢٠٢٧ / ٢٧٤٣ ، ٢٧٠٤٣) ، من حديث أبي هريرة .

(٢٤) ينزل اللَّه إلى سماء الدنيا :

رواه البشاري في الجمعة (١١٤٥) ، وفي الدعوات (١٣٢١) ، وفي الترحيد (١٤٤٥) ، ومسلم في صلاة المسافرين (١٥٨) ، ومالك في الموطأ كتاب الشاء إلى المسلاة (١٩٦٦) ، وأبر داود في المسلاة (١٢٥٥) وفي السنة (١٢٧٥) . والترمذي في المسلاة (١٤٤٦) ، وفي الدعوات (١٤٥٨) ، والدارس في المسلاة (١٤٧٨ ، ١٤٧٨ ، ١٤٨٩) ، وابن ماجة في إقامة المسلاة (١٦٣٦) ، وأحدر (١٤٥٧ ، ١٩٥٧ ، ١٣٧٣ ، ١٨٧١ ، ١٨٩٠ ، ١٩٦٦ ، ١٩٦٢ ، ١٩٣٠ ، ١٩٣٠ ، ١٩٨٠ ، ١٩٨٠ ، ١٩٨٠ ، ١٤٨٠ ، ١٩٨٠) من حديث جبير بن حطع، ورواة الدارمي في المسلاة (١٩٨٧) من حديث طاعى .

(8) قرأ والنجم فسجد بها وصحد من معه :

رواه البخاري في المغازي (٣٩٧٧) من حديث عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قرأ والنجم فسجد بها وسجد من معه غير أن طيخا أخذ كمّا من تراب فرفعه إلى ججهته فقال: يكفيني هذا، قال عبدالله: فلقد رأيته بعد قتل كافوا .

(٢٦) ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد:

رواه البخارى في بده الوحى (٢) عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن الحارث بن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله ، وهف يأتيك الرحى؟ فقال رسول الله ﷺ : أحيانا يأتيني مثل صلحسلة الجرس وهو أشده على أهلاء هذا المؤمنية عنى وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول» ، قالت عائشة رضى الله عنها : ولذن رأيته ينزل عليه الوحى في للووم الشديد البرد فيقصم عنه وأن جبينه ليقلصد عرقا .

(٧٧) لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى :

رواه مسلم في الإيمان (۱۷۳) من حديث عبدالله قال: لما أسرى برسول الله ﷺ تتهى به إلى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة إليها ينتهى ما يعرج به من الأرض فيقبض منها ، واليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال: ﴿ إِذَ يشنى السدرة ما يشنى ﴾ قال: فراش من نهب، قال: فأعطى رسول الله ﷺ ثلاثا: أعطى المسلوات، وأعطى خواتيم سورة البقرة ، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً .

(٢٨) ورفعت لي سدرة المنتهى :

رواه البشارى فى بدء الشلق (٢٠٧٧) ومسلم فى الإيمان (١٦٦٧) من حديث أنس بن مالك وفهه : ๓. ورفعت لى سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه تلال مجر وورقها كأنه آنان الفيرل ، فى أسلها أربعة أنهار : نهران باطنان ، ونهران ظاهران ، فسألت جبريل ، فقال : أما الباطنان ففى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والغرات ..ه الحديث .

(٢٩) اللَّهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي :

ذكره الهيثمي في المجمع (٣٨/١) وقال: رواه الطبراني، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، ويقية رجاله ثقات.

(٣٠) ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله :

رواه البخارى في التوحيد (٧٥٧) من حديث أنس بن مالك أنه ليلة أسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحي إليه وهو نائم في المسجد الحرام .. الحديث ، وفيه : ثم علا به فوق ذلك يما لا يعلمه إلا الله ، حتى جاء سدرة المنتهى وبنا للجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوجى الله إليه خمسين صلاة على أمثك كل يوم وليلة .. العديث .

(۳۱) رأيت نورا :

رواه مسلم فى الإيمان (۱۷۸) من حديث عبد الله بن شقيق قال : قلت لأبى نر : لو رأيت رسول الله ﷺ اسألته ، فقال : عن أى شىء كنت تسأله ؟ قال : كنت أسأله : هل رأيت ربك ؟ قال أبو ذر : قد سألت ؛ فقال : هرأيت نهراء .

(٣٢) اللَّه مولانا ولا مولى لكم:

رواه البخاري في المغازي (٤٠٤ع) من حديث البراء رضى للله عنه قال: لقينا المشركين يومقد وأجلس النبي 養جيشا من الرماة رأسر عليهم عبد الله ، وقال : «لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينوناه ، فلما لقينا هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل رفعن عن سوقهن قد بدت خلاطهن ، فأعذوا يقولين : الغنيمة الغنيمة ، فقال عبد الله : عهد إلى الذبي ﷺ إلا تبرحوا فأبوا فلما أبوا صرف وجوههم فأصيب سبعون قتيلا وأشرف أبن سفيان فقال: أفى القوم محمد؟ فقال: «لا تجيبوه» فقال: أفى القوم ابن أبى قصافة؟ قال: «لا تجيبوُه» هقال: أفى القوم ابن الشطاب؟ فقال: إن هؤلاء تقلوا فلو كانتوا أمرياء لأجابوا، فقم يملك عمر نقسه فقال: كلاب يا عمر الله أبقى الله عليك ما يخزيك، قال أبن سفيان: أنى مبل، فقال الذين ﷺ: «أجيبوه» قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعمل وأجار». قال أبن سفيان: لننا المزين ولا عزين لكم، فقال الذين ﷺ: «أجيبوه» قالوا: ما نقول؟ قال - «قولوا: الله مؤلانا لا عولي لكم، قال أبن سفيان: يوم بيرم بدن، والحرب سجوان، وتجنون مثلة لم أمر بها وأم تسوئن.

(٣٣) انظر مختصر تفسير ابن كثير ، تحقيق محمد على الصابوتي ، المجلد الثالث ص ٢٠١ .

(٣٤) إن الله كتب على ابن آدم حظه :

رواه البخارى فى الاستئذان (١٣٤٣) ، وفى القدر (١٦٠٦) ، ومسلم فى القدر (٣٦٥٧) ، وأبو داود فى النكاح (٢٥١٧) ، وأحدد (٢٠١٧ / ٧٩٤٧ ، ٢٣٠٧) ، من حديث أبى مريرة .

(٣٥) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد على الصابوني، المجلد الثالث ص ٤٠٣٠.

(٣٦) ويلك قطعت عني صاحبك ، قطعت عنق صاحبك :

رواه البشارى فى الشهادات (٣٠٦٧) وفى الأدب (٦٠٦١) ومسلم فى الزهد (٢٠٠٠) وأبو داود فى الأدب (٢٠٥٥) وابن ماجة فى الأدب (٣٧٤٤) وأحد فى مسئده (١٩٠٩، ١٩٥٤) من حديث عبد الرحدن بن أبى يكرة عن البيان أبي يكرة عن النبي ﷺ وسلم فقال: «ويلك قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك» مرارا، ٢٩ قال: عدن كان منكم مادحا أشاء لا مصالة ظهول : أحسب فلانا والله حسيبه ، ولا أزكى على الله أحدا، أحسبه كنا وكذا ابر كان يعلم ذلك منه .

(٣٧) تفكروا في مخلوقات الله، ولا تضكروا في ذات الله:

هكذا ذكره ابن كثير في تفسيره ونسبه لأصحاب السنن ، إلا أنه لم يرد في أي من كتب السنن ، ولعله وهم منه رحمه الله .

(٣٨) إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك :

رواء أحمد (٢٥٦٩١) من حديث عائشة ، وذكره السيوطى فى «الصغير» (٣٠٣٠) ونسبه لابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان من عن عائشة ، وقال العراقى فى مسانيدهم الشيطان من عائشة ، وقال : حسن ، وقال العراقى فى تخريج الإحياء : أخرجه أحمد والبزار رابو يعلى فى مسانيدهم ورجاله ثقات وهو متفق عليه من حديث أبى هريرة . أما الذى أشار إليه العراقى فرواه البخارى فى بدء الخلق (٣٣٦) ، وأبو داود فى السنة (٤٣٦) ورواه مسلم فى الإيمان (٣٦١) عن مختار بن ظفل عن أنس المناك مرفوعاً : وقال الله عز وجل : إن أمتك لا يزالون يقولون : ما كذا ما كذا ، حتى يقولوا : هذا الله خلق الخذق فمن خلق الله».

(٣٩) بعثت أنا والساعة كهاتين :

روله المبخارى في الرقاق (١٩٠٤) ومسلم في الفتن (٢٩٥١) من حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ : وبعثت أنا والساعة كهاتين، ، قال : وضم السجابة والوسطى .

(ه ٤) سجد بالنجم وسجد معه المسلمون :

رواه البخارى في الجمعة (٧٠١) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ سجد بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس .

(٤١) إذا مات ابن آدم انقطع عمله:

رواه مسلم فى الوصية (٧٠٦٤) ، والترمذي فى الأحكام (٢٢٩٧) ، والنسائى فى الرصيايا (٢٥٩١) ، وابن ماجة فى المقدمة (٢٣٨) ، وأحد (٨٤٨) ، والدارمى فى المقدمة (٥٥٨) . وهن بلفظ : وإذا مات الإنسان» الحديث . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

- (٤٢) مغتصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد على الصابوني ، المجاد الثالث من ٤٠٤.
 - (٤٣) التفسير المنير أ.د. وهبة الرّحيلي ٢٧/٢٧ دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان .
- (٤٤) جامع البيان في تفسير القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هجرية ، الجزء ٢٧ ص ٤٤.
 - (٥٥) تفسير القرطبي ، المجَك ٧ ص ٦٤٧١ ، دار القد العربي ، العباسية القاهرة .
- (٤٦) ماشية الفتوحات الإلهية بترضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، الشهير بتفسير الجمل ، الجزء الرابع ص ٣٣٦ وما بعدها ، بالفتسار وانتقاء .

(٤٧) إن أمي المعاشت نفسها :

رواه البخارى فى الجنائز (۱۳۸۸) من حديث عائشة رضى الله عنها أن رجلا قال للنبى ﷺ : إن أمى افتلتت نفسها وأظنها لو تكلمت تصدقت فيل لها أجر إن تصدقت عنها ٢ قال : «نمم : .

- (44) إلفتوحات الإلهية بتوضيح تضيير الجلالين للدقائق الففية ، الشهير بتلسير الجبل ، الجزء الرابح من ۲۳۷ ، طبع بمطبعة عيسى الهابى الحلبى وشركاه بمصر ، وانظر التفسير الوسيط للتكتور محمد سيد طنطارى شيخ الأزهر ، المجاد ١٤ ص ٢٠٦ .
 - (٤٩) تفسير القرطبي ، مجلد ٧ ص ٦٤٧١ .

(• ٥) إذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها :

رواه البُخارى في الترحيد (٢٠٥١) ومسلم في الإيمان (٢٢٨ ، ٢٦٠) وأحمد في مستده (٢٠٥٥) من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله : إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها ، فإن عملها فاكتبوها بمثلها ، وإن تركها من أجلى فاكتبوها له حسنة ، وإذا أراد أن يعمل حسنة ظم يعملها فاكتبوها له حسنة فإن عملها فاكتبوها له يعشر أمثالها إلى سيعمائة شعف، .

(٥١) انظر تفسير المراغى بتعديل واختصار.

(٥٢) هو زوج حليمة السعدية مرضعة النبي ﷺ ، وكان أهل مكة إذا أرادوا تحقير النبي نسبوه إلى زوج أمه من الرضاع.

(٥٣) السفار: هم المسافرون.

(ع ٥) أن أهل مكة سألوا رصول الله ﷺ أن يريهم آية :

رواه البخاري في المناقب (٣٨٦٨) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه : أنّ أهل مكة سألوا وسول الله أن يريهم آية فأ، اهم القمر شقين حتى رأيا حراء بينهما .

(٥٥) انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فلقين :

رواه مسلم في صفة القيامة (۲۸۰۷) من حديث عبدالله بن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فلقتين فستر الجبل فلقة ، وكانت فلقة فوق الجيل ، فقال رسول الله ﷺ : «اللهم اشهد» .

(٩ هـ) بعثت أنا والساعة كهاتين:

تقدم تشريجه ، انظر هامش (٣٩) .

(٥٧) لا عدوى ولا طيرة:

ذكره البخاري تعليقا في الطب باب الجنام من حديث أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «لا عدري ولا طيرة ولا عامة ولا طيرة ولا عامة ولا طيرة ولا عامة ولا طيرة ولا عامة ولا طيرة ولا مامة على ولا طيرة ولا مامة على الطب (٧٧١، ٥٧٧٠، ٥٧٧٠) ومسلم في السلام (٧٣٠، ١٩٧٥) وأبو داود في الطب (٢٩١٧، ١٩٩١) وأحدد في مسئده (١٤٤٣) من حديث أبي هريرة رضى اللّه عنه قال: «لا عدري ولا صغر ولا عامة ، فقال أعرابي: يا رسول اللّه ، فما بال إبلى تكون في الرمل كأنها الظهاء فياتي الأولى، ولا الله ، فعال إبلى تكون في الرمل

(٨٥) اللهم لا يأتي بالحسنات إلا ألت :

رواه أبو داور في الطب (٣٩١٩) من حديث عروة بن عامر قال: أحمد القوشي قال: ذكرت الطيرة عند الذبي 難 ققال: «أحصنها الفأل ولا ترد مسلما فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك».

(٩٩) التفسير المنير أ.د. وهية الزحيلي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان ٢٧/ ١٦٩ .

(١٠) انظر التفسير الوسيط د. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ، المجلد ١٤ ص ١٤٢ ، مطبعة السعادة – القاهرة ، وفي ظلال القرآن (الجزء ٢٧ ص ١٧) .

(٦١) كان يقرأ فيهما بـ (ق والقرآن المجيد) و(اقتربت) :

رواء مسلم في مسلاة للمدين (٨٩٨) من حديث عبيد الله بن عبد الله أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد اللهثي : ما كان يقرأ به رسول الله ﷺ في الأضمى والفطر؟ فقال : كان يقرأ فيهما بـ (ق والقرآن المجيد) و(افتريت الساعة وانشق القمر).

(٣٢) اللهم إني أتشدك عهدك ووعدك :

رواه البخارى في الجهاد (٢٩٦٥) وفي المغازى (٣٩٦) وفي التفسير (٤٨٧٥) وأحد في مسنده (٢٠٢٤) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال النبي ﷺ وهو في قبة : «اللهم إنى أنشدك عهدك ورعدك اللهم إن شنت لم تعبد بعد اليوم ء ، فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسيك يا رسول الله فقد ألحمت على ربك ، وهو في الدرع فخرج وهو يقول : «سيهزم الجمع ويواون الدبر بل الساعة موهدهم والساعة أدهى وأمري .

(۹۳) کل شيء بقدر:

رواه مسلم في القدر (٢٦٥٩) من حديث طارس أنه قال : أدركت ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : كل شيء بقدر، قال : وسمعت عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ : «كل شيء بقدر حتى النجز والكيس أو الكيس والمجزء .

(٩٤) استعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء قلا نقل :

رواه مسلم فى القدر (٢٦٦٤) وابن جاجة فى المقدمة (٧٩) وفى الزهد (١٦٨) وأصعد فى مسنده (٣٦٦١ ، ٨٤٢٨) من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: والدؤمن القرى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضميف وفى كل خير، ا احرص على ما ينفعك واستمن بالله ولا تعجز وإن أمسابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كان كنا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيمان» .

(١٥) انظر تفسير المراغى ، المجلد ٩ الجزء ٢٧ صفحة ١٠١ ، والتفسير المنير ، الجزء ٢٧ ص ١٨٦ .

(٦٦) إن المقسطين على مناد من نور :

رواه مسلم في الإمارة (۱۸۲۷) والنسائي في آداب القضاة (۳۷۹) وأحمد في مسده (۲۶۵۹) من حديث عبد الله بن عمري قال: قال رسول الله ﷺ: بإن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما واراه.

- (٦٧) من كتاب (الله والعلم الحديث) للأستاذ عبد الرازق نوفل (ص ٤٦ ، ٤٧).
 - (٦٨) المصدر السابق ص (٤٨ ، ٤٧) ،
 - (٦٩) المصدر السابق ص (٥١ ، ٥٢) .
 - (٧٠) المصدر السابق ص (٧١ ، ٧٢) .
 - (٧١) المصدر السابق ص (٧٢ ، ٧٢).
 - (٧٢) المصير السابق ص (٧٣ ، ٧٤).
 - (۷۲) المصدر السابق ص (۱۰۲،۱۰۱).
- (٧٤) في غلال القرآن للأستاذ سيد قطب ، تفسير الجزء ٢٧ ص ٩٩ ١٠٤ . ٠
- (٧٥) تنسير النسقى ٤٠٩/٤ ، والمعنى : يظهرها أمام أعين الناس ولا يبتكرها اليوم بل يقضى بوقوعها ، ومن أصول الإيمان أن تؤمن بالقضاء والقدر ، والقضاء : ما وقع أمام الناس ، والقدر : ما قدر الله وقوعه في الأزل .
 - (٧٦) تفسير النسفى ٤/١٥٩.
 - (٧٧) تفسير الجلالين ص ٤٩٤.
 - (۷۸) یا عیادی إنی حرمت الظلیم علی نفسی:
- رواه مسلم في البر والصلة والآداب (۲۵۷۷) ، والترمذي في صفة القيامة (۲۵۹۹) وابن ماجة (۴۲۷۵) وأحمد (م. ۱۵۶ ، ۱۹۰ ، ۱۷۰ وعبد الرزاق (۲۰۲۷) من حديث أبي ذر.

(٧٩) إن لربك عليك حقا :

(٨٠) خلقت الملالكة من نور وخلق الجان :

رواه مسلم في الزهد (٢٩٩٦) وعيد بن حميد في مسنده (١٤٧٧) وأحمد في مسنده (٢/٩٥٢).

(٨١) انظر المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، الطبعة العاشرة ، مطابع الأهرام التجارية ص ٦٤٥ .

(٨٢) ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام:

رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٧٩) من حديث أنس ، أن النبي ﷺ قال : «أنظوا بيا ذا الجلال والإكرام» . وقال : هذا حديث غريب وابس بمحقوظ .

(٨٧) يا حي يا قيوم يرحمتك أمتغيث :

نكره العيتمي في المجمع (* ۱۸۳/۱) ومزاه للطبراني في الصغير والأوسط من طريق سلمة بن حرب بن زياد عن أبي مدرك الهديرك من المي مدرك ، من أبي مدرك من المي مدرك ، من أبي مدرك من المي مدرك ، من أبي مدرك من المي مدرك من المي المدرك المداخ أبي مدرك المداخل المدرك في المداخل المدرك في المداخل المدرك في المداخل المدرك المدرك المدرك في المداخل المدرك ا

(٨٤) جنتان من فضة آليتهما:

رواه البخارى في تفسير القرآن (۲۵۸۷ ، ۶۸۸۰) وفي الترحيد (۱۷۵۶) ومسلم في الإيمان (۱۸۰۰) وفي البخنة (۲۸۳۳) والترمذي في مسئة البخنة (۲۵۲۷) وابن ماجة في المقدمة (۱۸۰۱) والدارمي في الرفاق (۲۸۳۳) وأحمد في مسنده (۱۹۸۸۳) من حديث عبد الله بن قيس (ايمي موسي الأخيري) أن رسول الله ﷺ قال : «إن في البخنة خبيمة من لؤاؤة قدة عرضها ستون ميلا ، من كان زاوية منها أهل ما يرون الأخيرين ، يطوف عليهم الدؤمنين ، جنتان من قضمة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من كذا أنيتهما وما فيهما ، وما يين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على

(Aa) إن المرأة من نساء أهل الجنة :

رواه الترمذي في همفة الجنة (٣٩٣٧) من حديث عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: أيان المرأة من نساء أهل الجنة لمبرى بياض ساقها من وراه سمعين حلة حتى يرى مشها وذلك بأن الله يقول : ﴿ كَالَهِنَ الْهِالُوتَ والمرجانَ ﴾ فأما الماقوت فإنه حجو لو أدخك فهه سلكا ثم استصفيته لأريته من وراثه ».

(٨٦) مختصر تفسير ابن كثير ، المجلد الثالث من ٤٢٥ ، تحقيق محمد على الصابوتي .

(٨٧) إن للمؤمن في الجنة لخيمة من الولؤة :

رواه مسلم في الجنة (۲۸۲۸) من حديث عبد للله بن قيس عن النبي ﷺ قال : إن للمؤمن في الجنة لخيمة من اؤاؤة ولحدة مجوفة طرابها سترن ميلا ، للمؤمن فيها أملون يطوف عليهم المؤمن فلا يرئ بعضهم بعضاء.

(٨٨) أَلْظُوا بِيا ذَا الْجَلَالِ :

تقدم تخريجه ، انظر هامش (۸۲) .

(٨٩) اللهم أنت السلام ومنك السلام:

رواه مسلم في المساجد (۵۹۲) من حديث ماثشة قالت : كان النبي 義績 إذا سلم لم يقعد إلا مقدار ما يقول : واللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ء .

(٩٠) في ظلال القرآن ٢٧/ ١٣٩.

(٩١) عبد الرازق نوفل ، (الله والعلم العديث) ، ص ٣٣ .

(٩٢) انظر المنتقى الشوكاني .

(٩٣) بصائر ذرى التمييز للفيروزبادي ١/٥١١.

(٩٤) بصائر ذري التمييز ١/٢٥٦.

(٩٥) في شهاب البيضاوي: «هذا ليس بموضوع، وقد رواه البيهقي وغيره» -

(٩٦) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد على الممابوني، المجلد الثالث ص ٤٢٩، ٤٢٩.

(٩٧) التفسير المنير أ.د وهبة الرّحيلي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان ، الجزء ٢٧ صفحة ٢٤٤ .

(٩٨) مختصر تفسير ابن كثير ، بتمقيق محمد على الصابوني ، المجلد ٣ من ٤٢٩ . .

(٩٩) شمير القوون قرني :

رواه البخارى فى الشهادات (۲۰۵۸) ، ومسلم فى قضائل المنحابة (۲۰۰۱) ، وأحمد فى مسئده (۲۲۱۳) ، ۲۲۷۳) ، والترمذى فى المناقب (۲۷۷۶) ، واين ماجة فى الأحكام (۲۳۵۳) من حديث عبد الله بن مسهود . وقال القرمذى : حسن صحيح .

(٩ . ٠) لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين :

رواه البخاري تعليقا في الاعتصام باب: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ووصله في المناقب (٣٦٤) ، وفي الاعتصام (م. ١٣٢١) ، والدارمي (٤٤٣٧) ، وأحد (١٩٧٦) ، واحد (١٩٧١) من حديث للعقيرة . ورواء مسلم في الإمارة (١٩٦٠) ، وأبر داود في الفتن (٢٤٧٤) ، والترمني في الفتن (٢٣١٩) ، وابن ماجة في اللقدة (١٩) ، وأصد (١٩٨٨) من حديث فيها ن بن يجدد . ورواه الخماري في المذاقب (٢٦٤٠ - ١٩٤٧) ، وسلم في الإمارة (١٩٦٧) ، وأصد (١٩٤٣ - ١٩٦٨) ، من حديث معاوية . ورواه الدارمي (٢٤٢٣) من حديث عمر بن الخطاب . ورواه أعمد (١٩٨٥) من حديث عبد الرحد ، ويرياء أحد (١٩٤٢ - ٢٠ ، ١٩٧٥) من حديث جابر بن سعرة ، ورواه الترمن (١٩٤٦) ، وأبن ماجة (٢) ، وأحد (١٩٧١) . من حديث جابر . ورواه أبو داود في الجهاد (۲۶۵۶) ، وأحدد (۱۹۳۰ ، ۱۹۳۹) من حديث عمران بن حصين . ورواه أحمد (۱۹۵۷) من حديث سلمة بن نفيل . ورواه أحمد (۲۱۸۱۱) من حديث صدى بن عجلان ، ورواه أحمد (۱۸۸۵) من حديث زيد بن أرقم ، ورواه ابن ماجة في المقدمة (۷) من حديث عبد الرحمن . ورواه ابن ماجة في المقدمة (۹) من طريق الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه قال : قام معاوية ، ورواه أحمد (۲۰۶۲) اسم مبهم .

(١٠١) ارتفاعها لكما بين السماء والأرض مسيرة خمسمالة سنة :

ر وإه الترمذى فى صفة الجنة (٩٥٠) من حديث أبى سعيد عن النبى ﷺ فى قول : ﴿ وَفُرْشُ مِرْفُوعَهُ ﴾ قال : «ارتفاعها لكما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة ، وقال : هذا حديث غريب لا تعرفه إلا من حديث ربادين بن سعد ، وقال بعض أهل العلم فى تقسير هذا الحديث : إن معناه : الفرش فى الدرجات وبين الدرجات كما بين السماء والأرض .

(١٠٢) صفوة التفاسير محمد على الصنابوتي ، المجلد الثالث ص ٣٠٩ .

(١٠٣) في ظلال القرآن الجزء ٢٧.

(٤ • ١) المسلمون شركاء في ثلاث :

رواه أبو داود في البيوع (٣٤٧٧) وأحمد في مسنده (٣٧٥٧٦) من حديث رجل من المهاجرين من أصحاب النبي ﷺ قال: غنوت مع النبي ﷺ ثلاثا ، أسمعه يقول: «المسلمون شركاه في ثلاث، في الكلاّ والماء والناره .

ورواه ابن ماجة في الأحكام (۲۶۷۷) من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله 震؛ والمسلمون شركاء في ثلاث، في الماء والكلأ والذار، وثمنه حرام: . قال أبو سعيد: يعني : الماء الجاري .

(١٠٥) في طَلال القرآن للأستاذ سيد قطب ، نقلا عن كتاب (الله والعلم الحديث) من ٣٣.

(١ . ١) ما أجتمع قوم في بيت من يوت الله تعالى :

رواه أبو دارد في الصدلاة (١٤٥٥) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما لجتمع قوم في بيت من بيوت اللّه تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغطيتهم الرحمة وحفقهم الملاككة وذكرهم اللّه فيمن عنده.

ردواه مسلم في الذكر (٢٩٩٩) والترمذي في القراءات (٢٩٤٥) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: «من نفس عن مؤمن كرية من كرب الدنيا نفس الله عنه كرية من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والأخرة ، ومن ستر مسلما سترد الله في الدنيا والأخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقاً إلى البنة ، وما لجتمع قوم في يبت من يبوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسزنه بهنم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحظتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بنا به عمله ي سرة .

(١٠٧) مختصر تفسير ابن كثير ، المجاد الثالث ص ٤٣٩ ، تحقيق محمد على الصابوتي .

(١٠٨) تفسير المراغى ، الجزء السابع والعشرون ص ١٥١.

(۹ ، ۹) من آمن بي وحمدني على سقياي :

بهذا اللفظ رواه النصائى فى الاستسقاء (١٩٣٩) من حديث زيد بن خالد الجهنى قال : مطر الناس على عهد النبى ﷺ نقال : وألم تسمعوا ماذا قال ريكم الليلة ؟ قال : ما أنمعت على عبادى من نعمة إلا أصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون : مطرنا بنوم كذا وكذا فأما من آمن بى وحددنى على سقياى فذاك الذى آمن بى وكفر بالكوكب ، ومن قال : مطرنا بنوم كذا وكذا فذاك الذى كفو بى وآمن بالكوكبء .

ورواه البخارى فى الأذان (6 4م) ومسلم فى الإيمان (۷) من حديث زيد بن شالد الجهلني أنه قال: مسلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الممبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل نلما انصرف أقبل على الناس فقال : «هل تدرين ماذا قال ريكم» ٣ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : «قال : أصبح من عهادى مؤمن بى وكافر فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى ركافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بذيه كذا وكذا ، فذلك كافر بى ومؤمن بالكوكب» .

(١٩٠) أزواح الشهداء تجعل في حواصل طير خضر:

رواه مسلم فى الإمارة (٢٥٠٠) والترمذى فى تفسير القرآن (٢٩٣٧) والدارمى فى الجهاد (٢٠٣٧) وابن ملجة فى الجهاد (٢٧١٩) من حديث عبد الله بن مسعود ، ورواء أحمد (٢٥٩١٣) والترمذى فى فضائل الجهاد (١٩٦٥) من حديث كعب ابن مالك ، وقال : هذا حديث حسن محيح .

ورواه أبر داود فى الجهاد (۲۹۵۸) وأحمد (۲۲۲۷) من حديث ابن عباس ، ورواه ابن ماجة (۱۶۹۳) من حديث أم بشر بنت البراء بن معرور

(111) اجعلوها في ركوعكم :

رواه آبر داود في الصلاة (۱۹۲۹) بابن ماجة في إقامة الصلاة (۸۸۷) والدارس في الصلاة (۱۳۷۰) وأحد في مسئده (۱۹۹۱) من حديث عقبة بن عامر قال: لما نزات ﴿ فسيح باسم ربك العظيم ﴾ قال رسول الله : «اجمعلوها في ركوعكم»، فلما نزلت ﴿ سبح اسم ربك الأعلى﴾ قال «لجعلوها في سهوركم» .

(۱۹۲) اجعلوها في سجودكم:

انظ ما قبله .

(٩١٣) كلمتان خفيفتان على اللسان:

رواه البخاري في الدعوات (٦- ١٤) وفي الأيسان والنذور (١٩٨٣) ومسلم في الذكر والدعاء (١٩٦٤) والترمذي في الدعوات (٢٤١٧) وابن ماجة في الأدب (٢٠ ٢٨) وأصد في مسند (٧١٧) من حديث أبي هريرة عن الذبي ﷺ قال: كلمتان خفيفتان على اللسان ، تقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله العظيم ، سبحان الله ويحمده،

(١١٤) في ظلال القرآن ٢٧/ ١٤٩.

...(١٥١) في ظلال القرآن ٢٧/١٥١.

(۱۹۹) في طلال القرآن ۲۷/ ۱۸۰۰.

(۱۱۷) بصائر ذوى التمييز للفيروزيادي ١/٥٣/١.

(١١٨) فيهن آية أفضل من ألف آية :

رواه أبو داود فى الأدب (٥٠٥) والترمذى فى فضائل القرآن (٢٩٢١) وأحمد فى مسنده (١٩٦٠) من حديث العرياض ابن سارية أن رسول الله ﷺ كان يقرآ المسبحات قبل أن يرقد ، وقال : وإن فيهن آية أفضل من ألف آية « .

(١ ٩ ٩) اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم :

راه مسلم في الذكر (۲۷۷۳) من حديث سهيل قال : كان أبو مسالع يأمرنا إذا أواد أحدثا أن ينام أن يضطجع على شقه الأبون ثم بقول : اللهم بب السمايات دريب الأرض ورب الدرش العظم رضا ورب كل شيء «الذق العب والذري ومنزل القرولة والإنجيل والفرقان أموذ يك من شركل شيء أنت آهذ بناسته ، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الأهر فليس بعدك شيء ، وأنت الطاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس درنك شيء ، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر ..

(۹ ۲ ۹) أن تعبد الله كأنك تر اه :

رواه اللبخارى في الإيمان (٥٠) ، وفي تفسير القرآن (٢٧٧٤) ، ومسلم في الإيمان (٨٠) ، والترمذي في الإيمان (٢٠ ، ١) ، والترمذي في الإيمان (٢٠ ، ١٤) ، والترمذي في الإيمان (٢٠ ، ١٤) ، والمسابق في المقدمة (٢٠ ، ١٤) ، وأحد (٢٠ ، ١٤) ، من حديث أبى هريزة ، أن رسول الله ﷺ كان يوما بارزاً للناس إذ أتاه رجل يعمل قطال: با رسول الله ، ما الإيمان ٢٠ قال: «الرسول الله ، مثل الإعمان ٢٠ قال: «الرسول الله ، مثل الإعمان المؤونة المؤونة المؤونة المؤونة وتؤمن بالبحث الأهرية ، قال: بالرسول الله ، ما الإيمان ٢٠ قال: «الإيمان ٢٠ قال: «الإيمان ٢٠ قال: مثل المؤونة المؤونة وتؤمن المؤونة المؤونة المؤونة المؤونة المؤونة الإيمان أن تعبد الله كانك تراه فإنه يراكه ، قال: ما الإيمان ٢٠ قال: عالم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها ، إذا ولا المؤونة عديدة حدى حصن حصوب على والمؤونة المؤونة المؤونة المؤونة المؤونة عدونة عدى حصن حصوب على والمؤونة المؤونة المؤونة

(١٢١) يقول ابن آدم مالي مالي:

رواه مسلم في الزهد (۲۹۵۷) ۱۱، الترمذي في الزهد (۲۳۶۲) وفي التفسير (۲۳۵۶) والنساني في الوصايا (۲۳۱۳) والممند في مسنده (۱۵۸۷ مديث عبد الله بن الشخير قال: أثبيت النهي ﷺ ويمو يقرآ ﴿أَلْهَاكُمُ النَّكَائِبُ قال: يقول ابن آنم مالي مالي قال: وهل لك يا ابن آنم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أن لبست فأبليت أن تصنفت فأمضيت، . ورواه مسلم في الزهد (۲۹۵۷) من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يقول العبد مالي مالي ، إنما له من ماله ثلاث: ما أكل شأفني أن لبس فأبلي أن أعطى فاقتني وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس» .

(١٢٢) أي المؤمنين أعجب إليكم إيمالًا:

نسبه ابن كلير للبخارى في الإيمان، فقال: وقد روينا في الحديث أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: وأي المؤمنين أعجب إليكم إيماناً ؟ه قالوا: الملائكة، قال: «رما لهم لا يؤمنون وهم عند ريهم ؟» قالوا: فالأنبياء، قال: «وما لهم لا يؤمنون والوحى ينزل عليهم 4» قالوا : فنحن ، قال : دوما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم 9 ولكن أعجب المؤمنين إيمانًا قوم يجيئون بعدكم يجدون صحفًا يؤمنون بما فيهاء (أخرجه البخاري في كتاب الإيمان) . اهـ .

ولم أره فيه ، ولم يعزه غيره البشاري !! فليحرر.

(١٢٢) لا تسبوا أصحابي:

رواه البخاري في المخاقب (٣٦٧٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضى اللَّه عنه قال : قال النبي ﷺ : ولا تسبوا أصحابي قلق أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا تصييف .

ورواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٥٠٣) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدراه مد أهدهم ولا تصيفه » .

(١٢٤) فقد سألتك ما هو أهوت من هذا :

رواه البخارى في أحاديث الأنبياء (۲۲۳۶) وفي الرقاق (۲۰۵۷، ۲۰۵۷) ومسلم في صفة القيامة (۲۸۰۰) وأحدد في مسئده (۱۹۰۳) من حديث أنس يرفعه: وإن الله يقول لأهون أهل النار عنابا : لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به ؟ قال : نعم قال : فقد سأنتك ما هو أهون من هذا وأنت في مسئب آدم ألا تشرك بي فأبيت إلا الشرك» .

(۱۲۵) مختصر تفسیر این کثیر.

(١٢٦) رواء ابن أبي حاتم.

(٩ ٢٧) سلمان منا أهل البيت :

ذكره السيوطى في الجامع الصفير (٢٩٦) بافظ : «سلمان منا أهل البيت» . وتسبه للطيراني في الكبير ، والحاكم في المستدرك عن عمرو بن عوف وقال : صميع .

قال المناوى فى فيض القدير : جزم الحافظ الذهبي بضعف سنده ، وقال الهيثمي : فيه عند الطبراني كثير بن عبد الله المزنى ضعفه الجمهور ويقية رجاله ثقات .

(١٢٨) إنَّ أهل الجنة يتراءون أهل الفرف :

رواه البخاري في بدء الخاق (٣٧٦٦) ومسلم في الجنة (٣٣٨٦) من حديث أبي سعيد الغدري رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال وإن ﷺ قال وإن أهل الجنة يترامون أهل الغرف من فوقهم كما يترامون الكركب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم»، قالوا: يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال: «بلي والذي نفسي بهده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

(٢٩) ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا:

رواه البخارى فى الجهاد والسير (۲۸۱۷) ومسلم فى الإمارة (۱۸۵۷) من حديث أنس بن سالك عن النبى ﷺ قال : هما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شىء إلا الشهيد ، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة ، (۱۹۰) بعطيها لهم على فترة بعد فترة ، وفي صحيح البخاري : كان ﷺ يتفرننا بالموعظة مخافة السآمة علينا والملل وفي رواية : يتخوننا ، أي : يعطُنًا على فترات متباعدة ، أو يقدّم الموعظة عند المناسبة .

(939) وموضع سوط أحدكم من البعتة:

رواه البخارى فى الجهاد والسير (٢٨٩٧) من حديث سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: هرماط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد فى سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها » .

(٩٣٢) الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله :

رواه البخاري في الرفاق (١٤٨٨) من حديث عبد للله رضى الله عنه ، قال : قال النبي 義: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نماه والنار مثل ذلك» .

(١٣٣) لربك عليك حق:

تقدم تخریجه ، انظر هامش (۲۹)

(١٣٤) ذهب أهل الداور بالأجور:

رواه مسلم في الزكاة (٢٠٠١) من حديث أبي تر أن ناساً من أمسحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله ، ذهب ألما الشهري الله ويقد خدل الله ألما الذور بالأجور، يصابرت كما نصلي ويصمون كما نصوم ويتصدقون بفضول أمواهم ، قال : «أوليس قد جدل الله لكم ما تصدقون بأن بكل تسبيحة صدقة وكل تكبورة صدقة وكل تعليق من منكر منكم وقد يصوب من منكر منكم وقد يما أما المنافقة والمنافقة وكل المنافقة في السلال كان له أيوني .

(١٣٥) ما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضت عليه :

رواه البخارى في الرقاق (٢٥٠٧) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: وإن الله قال: من عادى في وليا ققد آفقته بالحرب وما تقرب إلىّ عبدى بشيء أحب إلىّ مما افترضت عليه، وحا بزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحيه، فإذا أحبيت كنت سعه الذي يسمع به ويصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يعشي بها وإن سألغي فأطيفه ولذن استعادتي لأعينته وما ترديت عن شيء أننا فاعله تريدي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساحة، علت: تقربه البخاري وهو من رواية خاله بن مخله، وقد قال بعضهم: لولا هيئة المصحيح لعديه من متكرات

(١٣٦) عجباً لأمر المؤمن:

أخرجه مسلم (۲۹۹۹) واللفظ له ، وأحد (۲۲۹۲) ، ۲۳۶۰۷ ، ۲۳۶۲۷ ، ۲۳۶۲۷ ، والدارمی (۲۷۷۷) ، من حدیث صهیب بن سنان قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له م

(١٣٧) بعثت بالسيف حتى يعبد الله:

رواه أحمد في مسنده (۱۹۰ ه) من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ: «بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا بطريك له . وجمل رزقي تحت ظل رمحي ، وجملت إلنلة والصمغار على من خالف أمري ، ومن تشهه بقوم فهو مفهم .

(١٣٨) في ظلال القرآن ، الجزء ٢٧ ص ١٧٩ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(١٣٩) لكل نبي رهبائية :

رواه أحمد فى مسنده (١٣٣٩٦) من حديث أنس بن مالك عن النبى 義 قال : ولكل نبى رهمانية ، ورهمانية هذه الأمة الجماد فى سبيل اللَّه عز وجل» .

(، \$ ١) وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام :

رواه أحمد في مسنده (١٩٣٥) من حديث أبى سعيد الخدري ان رجلا جامه فقال: أوسنس ، فقال: سأبت عما سألت عنه رسول الله ﷺ من قبلك ، أومديك بتفوى الله فإنها رأس كل شىء ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك يذكر الله وتلارية القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض .

(1 £ 1) ثلاثة لهم أجران :

رواه البخارى فى العلم (٩٧) من حديث أبى بردة عن أبيه ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب أمن المناب أولان المناب أولانا أبي من الله وحق مواليه ، ورجل كانت عنده أمة فأديها فأحسن الكتاب أمن بنبيه وأمن بمحمد ﷺ ، والعرد العملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت عنده أمة فأديم والمناب المناب المناب

(١٤٢) أخرجه الإمام أحمد .

(١٤٣) رواء البشاري في صحيحه .

(١٤٤) مختصر تفسير ابن كثير ، تحقيق محمد على الصابوني ، المجلد الثالث .

*** *

تم بحمد الله تخريج أحاديث وهوامش الجزء (السابع والعشريش)

محتويات الكتاب

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
06.0	﴿قَالَ فَمِنَا خَطَبِكُمَ أَيْنِهِنَا الْمُسْرِسِنَا وَنَ .﴾	71
06-0	﴿ قَدَالُوا إِنَّا أَرْسِلَنْمَا إِلَى قَدُومَ مُجِدُرُمُ بِينَ .﴾	44
02.0	﴿ لـنسرسال عباسيسهام حسجهارة مسن طبيسن .﴾	77
01.0	﴿مســرەـــة عــــــــد ريك لـــلـــمســـرةـــيــــن.﴾	48
01.0	﴿ فَأَخْذُ رَجِنْنَا مِنْ كَانَ فَيِيهَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ . ﴾	٣٥
05.0	﴿ فعما وجدتا فيها غيريت من المسلمين.)	47
01.0	. ﴿ وَتَركَنَا فَيِهَا آيَةً لَلَّذَيْنَ يَضَافُونَ الْمَدَّابِ الأَلْيَمِ : ﴾	**
08.9	﴿ وَفِي مُوسِي إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى قَرِعُونَ بِسَلْطَانَ مِبِينَ . ﴾	47
08.9	﴿ فَالنَّالِ مِنْ الْمُعْمَادِ وَقَالُ مِنْ الْمِنْ أَوْمَا جَمَّونَ . ﴾	44
01.9	﴿ فَأَشَدُنَاهُ وَجِنُونَهُ فَنَيَدُنَاهُمْ فَيَ النِّمْ وَهُو مَلَيْمٍ .﴾	٤٠
08.9	﴿ وَفَـى عَـاد إِذْ أَرْسَلَتْ عَلَيْهِمَ الْدِيْحَ الْعَقِيمَ ، ﴾	٤١
08.4	﴿ما تنرمن شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم.	73
08.9	﴿ وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين .﴾	٣3
08.9	﴿ فَعَيْدُوا عَنْ أَمِن رَيْهِم فَأَخَذَتُهُم الْمَنَاعِيْقَة﴾	٤٤
08.9	﴿ فِيا استخطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين .﴾	٤٥
08.4	﴿ وَقِيلَ مِن وَ مِن قَيل إنهم كانوا قوماً فاسقين . ﴾	٤٦
0114	﴿ والسماء بني شاها بأيتر وإنا لمنوسعيون . ﴾	٤٧
7130	﴿ وَالْأَرْضَ فِيرِشَيْنِنَاهِا فِينَاهِمِ السَّمَاهِيونَ ﴾	٤٨
7130	﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين العلكم تذكرون .	٤٩
0818	﴿ فَعَدُوا إِلَى اللَّهُ إِنِّي لَكُمْ مُونَهُ نَذْهِرُ مَهِينٌ .﴾	0+
9818	﴿ ولا تَسجَعُ عَاسُوا مِسْعُ النَّاسِ إِلَّا يُسْا لَحُبُر﴾	٥١
0219	﴿ كَذَلِكُ مِنْ أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبِلُهُمْ مِنْ رَسُولَ إِلَّا قَالُوا﴾	٧٥
0519	﴿ أتسواصدوا بسه بسل هدم قسوم طساغسون . ﴾	70
0819	﴿ فَ قَدِيلَ عَنْ هِمَ الْنَتِ بِمَالِومٍ . ﴾	30
0819	﴿ وَذَكُ رَفُونَ السَّفَ مِن السَّمَ عَلَى السَّاعِ مِنْ سَيَّانَ ﴾	00
0 2 1 9	﴿ ومنا خَلَقْت السَجِسَ والإِنْسِ إِلَّا لَسِينَعَ بِدُونَ .﴾	10
0519	﴿ مَا أُرْبِد مِنْهِمَ مِنْ رَبِقَ وَمَا أُرِيد أَنْ يَطْعَمُونَ ﴾	٥٧
		L

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
0819	﴿ إِن الله هـو الـرزاق ذو الـقـوة الـمــــيـن. ﴾	٥٨
0819	﴿ فَإِنْ لِلَّذِينَ ظَلْمُوا نَنُوياً مثل نَنُوبِ أَصْحَابِهِم	09
0519	﴿ شويــل لــلــــــــــــــــــــــــــــــ	٦٠
3730	خلاصة ما تضمئته سورة الثاريات	-
0570	تقسير سورة الطور	-
7730	أهداف سورة الطور	-
054.	(والــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	\
054.	♦ رک	۲
054.	﴿ فَــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	۳
054.	﴿ والسبيت السمسع مور .﴾	٤
٠٣٠	﴿ والســـــقـــــق الــــــــــ وع .﴾	۰
054.	﴿ والــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٦
٠٣٠	﴿ إِنْ عِـــــــــــــــــاب ريك لـــــــــــــــــــــاقـــــــــــــــ	٧
084.	﴿ مـــا لــــه مـــن دافــــع .﴾	٨
054.	﴿ يـــوم تــــمـــور الســـمـــاء مـــوراً .﴾	٩
• 730	﴿وتسميدر المسجميدال سنيدراً .﴾	١٠.
0 6 4 .	و المساعد الم	11
-730	﴿ السنيسن هم قسى خسوض يسلسعسبسون . ﴾	14
084.	﴿ يسوم يستعصون السي نسيار جسهستم دعسا .	١٣
0240	﴿ هده السنار الستسي كسنتم بها تسكندسون ﴾	1 1 2
0840	﴿ أَفْسَادِ هِنْ أَمْ أَنْسَدُ مُ لا تَسْمِمُ مِينَ . ﴾	10
0840	﴿ اصلوها فاصبروا أولا تصيروا سواء عليكم﴾	17
. 0540	. ﴿إِنْ السَّمِيِّةِ عَلَيْنَ فَسَى جَمِيْنَاتَ وَسَعِيمٍ. ﴾	17
0730	 فاكهين بما أتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجميم . 	1.4
0730	♦ كىلوا واشربوا هنيئا بماكنتم تعملون. ♦	19
0840	ومنت کشین عملسی سرر مصفوف،)	٧٠
V7730	والنين أمنوا واتبعقهم ذريقهم بإيمان	71
08TV	﴿ وأمددنماهم بفاكهة ولحم مما يشتهون .	77

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
0 E T V	﴿يتنازعون فيهاكأساً لالغوفيها ولاتأثيم.﴾	74
0 2 4 9	﴿ ويصطوف عملي بهم غمار ممان لمهمم﴾	45
9730	﴿وَأَقَسَدِ لَ يَسْتَصَدِهُمْ عَسَلْسَى يَسْتَصَاءَلُسُونَ .﴾	۲٥
0 2 4 9	﴿ قسالدوا إنسا كمنسا قنَّبِيل في أهلنا مشفقين . ﴾	77
1730	﴿ فَ مِنْ اللَّهِ عَلَي فَنَا وَوَقَنَانَنَا عَذَابِ السَّمَوَمِ . ﴾	. ۲۷
0279	﴿ إِنَا كَيْنًا مِنْ قَيِلُ نَدِعَى إِنَّهُ هِوَ البِّرِ الرَّحِيمِ ﴾	۸٧
011	﴿ فَنْكُر فَمَا أَنْ يَنْعَمَةً رَبُّ بِكَاهِنَ وَلا مَجِنُونَ .﴾	49
. 0 £ £ \	﴿ أَمْ يَسْقُلُوا وَنَ شَاعِبُرُ تُشْرِيضَ بِينَهُ رَيْبُ الْمُسْتِونَ .	٣٠
1330	﴿ قَبَلَ تَدرِيصِنِ فَبَانِي مِعْكُمْ مِنْ الْمِسْرِيصِينَ ﴾	41
011	﴿ أَمْ تَنَامَرَهُمْ أَمَالُامِهُمْ يَهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ .﴾	44
1330	, ﴿ أَمْ يَسَقُسُوا سَوْنَ تَسَقَسُوا لِسَهُ بِسِلُ لَا يَسَوَّ مُسْفَسُونَ . ﴾	44
1330	. ﴿ فِلْسِيأْتُوا بِمَدِيثُ مِثْلَهُ إِنْ كَانُوا مِنَافِينَ . ﴾	37
7330	﴿ أَم حُسَلَقُوا مِنْ غَيْرِشِيءَ أَم هِم السَّمَالِقُونَ .﴾	٣٥
0827	﴿ أَمْ هُـلَـقَسُوا السَّمَـاوات والأرض بِـل لا يسوقسنون . ﴾	77
7330	﴿ أَمْ عَسَسَيْهِ مِ عُسَرًاكُسِنَ رِيكَ أَمْ هِسِمُ السَّمَسِيطِ رَوِنَ .﴾	٣٧
7330	﴿ أَم السهدم سام يست مدون فسيده ﴾	٣٨.
7330	﴿ أَم الله السيسنسات واستكسم السيسنسون .)	44
7330	﴿أَمْ تَسَالُهُمْ أَجِراً فَهُمْ مِنْ مَغَرَمُ مِثْ قَلُونَ ﴾	٤٠
0 8 8 7 '	﴿ أَم عَـنْدَهُمُ الْخُدِينِ فَمَهُم يَكُمُّ يُدِينَ ﴾	٤١
7330	﴿ أَم يسريدون كهداً فسالله عن كفروا هم المكيدون . ﴾	23
7330	﴿ أَم لَهُم إِلَّهُ غَيْرَ اللَّهُ سَيْحًانَ اللَّهُ عَمَّا يَشْرَكُونَ .﴾	23
0207	﴾ ﴿ وَإِنْ يَسِرُوا كُسَفَاً مِنْ السِمِنَاء سِنَاقِتَطِناً يَقُولُوا﴾	3.3
7030	﴿ فَذَرِهِم حَتَّى يَبَالُقُوا يَبُومِهِم الَّذِي فَيِهَ يَصِعَقُونَ ﴾	٤٥
7030	﴿ يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون .﴾	٤٦
0207	﴿ وإن لسلدين ظلم من عداياً دون ذلك	٤٧
0207	﴿ واصب للحكم ريك فيإنك بياً عيد فيا ﴾	٤٨
0207	﴿ وحسن السليسل فسيسده وإدبسار السندوم.	٤٩
0809	تفسير سورة النجم .	-

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
057.	أهداف سورة اثنجم	-
7730	﴿والــــــــــــــم إذا هــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	\
7730	﴿ مسا فسل مساعب كم ومساغبوي . ﴾	۲
7730	﴿ ومسايسنطسق عسن السهسوى . ﴾	٣
7730	﴿ إِنْ هــــوالا رهـــي يـــوهــي .	٤
7730	. وعامه شديد القدوي. ﴾	۰
9575	﴿ دو مـــرة فـــاســـــــــــــــــــــــــــــــــ	٦
7730	﴿ وَمُ ـــو بِــالأَهُ ـــةَ الأَعــا ـــي .﴾	v
7730	﴿ فِـــم دِنَــا نِــة ــيا	٨
7730	﴿ فـــكـــان قـــاب قــبوســـيـــن أو أدنــــى .﴾	1
7730	﴿ فَـــاُوحـــى إلـــى عــــــدهُ مــــا أرحـــى ﴾ *	١٠.
7730	﴿ مــا كــدب الـــفــواد مــا رأى .﴾	11
7530	﴿ أَنْسَتَ مَارِينَ عَلَى مَا يَسِرِي .﴾	17 .
7730	﴿ وا ق درى ﴾	14
7730	﴿عــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	١٤
7730	﴿ عــنــدهـــا جــنــة الـــمـــأوى .﴾	١٥
7730	﴿ إِذَ يَصَافَقُ مِنَ السَّدِرَةِ مَصَا يَصَفَقُ مِنَ ﴾	: 17
7730	﴿ مَا زَاغُ السِيمَ مِنْ وَمِنَا طَاعَ السِيمَ عَلَى ﴾	. 17
7730	🌳 اسقد رأى مسن آيسات ريسه السكسيسرى.)	1.4
0577	﴿ أَفْسِراً إِسِنَدْ مِم السِلاد والسِمِنِي . ﴾	19
0 £ Y Y	﴿ ومسنساة السئساليث الأخسري . ﴾	۲٠
0574	﴿ أَلَّ كُمُ مِنْ الْمُحْدِينِ وَلَّ مِنْ الْأَنْدِينِ عَلَى . ﴾	71
9878	﴿ تــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	77
0 £ V W	﴿ إِن هِي إِلا أسماء سميتموها أتتم وآباؤكم	۰, ۲۳
0574	﴿ أَمِ لِـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	45
7730	﴿ فَــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	۲۰
0£V٣	﴿ وكم من ملك في السماوات والأرض لا تغني شفاعتهم	77
. 0£YA	﴿ إِنْ الدِّينَ لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى.	YY

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
0 £ YA	﴿ ومنا لنهم ينه من علم إن يقيفون إلا النظن ﴾	YA
0 E V A	﴿ فَالْعَسْرِضَ عَسِنْ مِسِنْ تَسْوَلْسِي عَسِنْ لَكَسْرِنْسِنا﴾	49
OEVA	﴿ ذلك ميدليفهم من العلم إن ربك هو أعلم	۴٠
۰٤٨٠	﴿ وَالَّلْبُ مَسِا قَسَى السَّمِـــاوَاتَ وَمَسَا قَسَى الأَرْضَ﴾	۳۱
٥٤٨٠	﴿ الدين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم﴾	44
3 8 3 0	. ﴿ أَنْـــــــرأيت الـــــــذي تــــــواـــــــي .﴾	77
0 £ A £	﴿ وأعـــطــــى قــطــــى قــطــــى ﴿	4.6
0 £ A £	﴿ أعسنده عساسم السفسيب فسهس يُسرى .﴾	40
3430	﴿ أَمْ لَـمْ يَـنْـيْـاً بِـمَـا فَــي صَـحَـفَ مَـوسَــي .﴾	47
3 & 3 0	﴿ وإبــــــراهـــــيــــم الـــــــذى وقــــــى.﴾	44
OEAE	﴿ أَلا تــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	. 47
0 £ A £	﴿ وَأَنْ لَــيس لَـــالإنســان إلا مرِــا ســعـــى .	44
0 £ A £	﴿ وَأَنْ سِـعــــي ـــه سِـــوف يـــــرى ﴾	٤٠
0 £ A £	﴿ تـــم يـــجـــزاه الــــجـــزاه الأوفــــي . ﴾	٤١
3 & 3 0	﴿ رَأَنْ إلَــــــى ربك الــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	73
O E A E	﴿ رَانِــــه هـــــر الهــــحك رأيـــكــــى .﴾	٤٣
3430	﴿ وأنه ههد أحسات وأحسيدا .	٤٤
3430	﴿ وأنب خطسق السزوجسيس السذكس والأنستسي. ﴾	٤٥
3430	﴿ مـــن نــط فِــة إذا تــمـــنـــى.﴾	. ٤٦
0 £ A £	﴿ وَأَنْ عَمِلُ مِنْ اللَّهِ مَا اللَّهُ مِنْ عَمِلُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَل	٤٧
٥٤٨٤	﴿ وأنسبه هـ وأغسنسي وأقسنسي .)	٤٨
0 £ A £	﴿ وأنسب هسبورب الشبيعسيري .﴾	٤٩
9848	﴿ وأنــــه أهـــك عـــاداً الأواـــــى .﴾	٥٠
0 £ A £	﴿ وقد مسبود تما أيستسي ﴾	٥١
0 £ A £	﴿ وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأملقى .﴾	٥٢
3430	﴿ والــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٥٣
٥٤٨٤	﴿ نِــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٥٤
3430	﴿ فَصِياًى آلاء ربك تَصِيارى .﴾	٥٥

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
0 6 9 7	﴿ هــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	70
0897 .	﴿ أَرَانِتِ الأَرْفِ	٥٧
0 2 9 7	﴿ لــيس لــهــا مـــن دون الــلــه كــاشــفــة ﴾	٥٨
0,897	﴿ أَنْ عِنْ هِذَا الْحَدِيثِ تِنْ عَلَى الْحَدِيثِ عِنْ الْحَدِيثِ عِنْ الْحَدِيثِ عِنْ الْحَدِيثِ عَلَى الْحَادِيثِ عَلَى الْحَدِيثِ عَالِحِيثِ عَلَى الْحَدِيثِ عَلَى الْحَدِي	٥٩
0 £ 9 Y	﴿ رت <u>ف ک</u> بن رلا ت <u>ب ک</u> بن .	٦٠
0 8 9 7	﴿ فَأَنْ لَدُ مِنْ الْمُحْدُونَ ﴾	٦١
7830	﴿ في استحدوا لياليه واعتبدوا ﴾	77
0890	هي أعقاب تفسير سورة النجم	-
٤٠٥٥	خلاصة ما تضمنته سورة النجم	-
00-0	تفسير سورة القمر	-
۵۰۰٦	أهداف سورة القمر.	-
٥٥١٠	﴿ الْمُسْتِ مِن السَّاعِيةَ وَانْشُقَ الْمِقْمِ مِنْ الْمُسْتَ	١ ، ا
001-	﴿ وَإِنْ يَسِرُوا آيَةَ يَحْرَضُوا وَيَضْوَا وَا سَحَرَ مُسْتَحَرَ ﴾	۲
001.	﴿ وكدنيها والمدعوا أهواءهم وكل أمر مستقر .	۳
٥٥١٠	﴿ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه من دجر.﴾	٤
٥٥١٠	﴿حكمة بالغنة فما تبغين السندر.﴾	•
001-	﴿ فَتُولُ عُنْهُمْ يَوْمِ يَدُعُ الدَّاعِ إِلَى شَيَّءُ نَكُسٍ .﴾	1
٥٥١٠	﴿ خشعباً أيمسارهم يسفرجون من الأجداث)	V
001+	🔷 مسهما عسيسن إلى الداع ينقبول الكافرون)	٨
0017	﴿ كَذَبِتُ قَبِلُهُم قَدوم نوح فَكَذَبُوا عَبِينًا﴾	۹
٥٥١٦	﴿ فَسَدَعَا رَبِيهَ أَنْسَى مَسْفَالِونِ فَانْسَتَصِيرٍ . ﴾	1 11
٥٥١٦	﴿ فَ فَ تَ حَدِيا أَيْنِ السَّمِنَاءُ بِنَمِنَاءُ مِنْ لِهِ مِنْ إِنَّ السَّمِنَاءُ مِنْ لِهِ مِنْ إِنَّ	111
0017	﴿ وقبحِرنسا الأرض عبيوناً قالتقي الماء ﴾	14
1100	﴿ وحما النساء عناسي ذات أاسواح ودسر.	14
0017	﴿ تجرى بأميات اجناء لبمن كان كفر.﴾	١٤
7100	﴿ والسفد تسرك نساها آية فهال من مدكس ﴾	١٥
7100	﴿ فسمك يسف كسان عسد ابسى ونسدر. ﴾	17
0017	﴿ ولقد يسونا القرآن للذكر فسهل من مدكر.	17

رقم الصفحة	أول الأيبات	رقم الآية
004+	﴿ كَلَّهِ عَمَادُ فَكَ يَكَ عَمَالَ عَمَالِهِ عَمَادُ وَ كَانَ عَمَالِهِ عَمَالُ وَمَادُرُ	١٨ .
004.	﴿ إِنَا أَرْسَلْنَا عَلِيهِم رِيماً مَعْرِصِراً فَي يَرِم نَحْس مَسْتَمَر .﴾	19 "
. 004.	﴿ تَـنَـزَعُ النَّـاسُ كَأَنْهُمُ أَعَجَازُ سَخَلُ مَنْقَعَرٍ.﴾	۲.
007+	﴿ نـــكـــيـــف كــــان عــــذابــــي ونــــذر.﴾	٧١
004.	﴿ والسقد يسسرنسا إلى قسرآن لسلة كسر فسهال مسن مدكس. ﴾	77
97700	﴿ کـــــــذبت تــــــمــــــود بـــــالــــــــــــــــــــــدر.﴾	77
0077.	﴿ فَسَفُسَالِسُوا أَبْشُسِراً مُسْنِسًا وَاحْسُداً نَسْسُبُ عِنْ﴾	37
0074	﴿ أَزُلِـقَــى الْــذكــر عــلــيــه مــن بــيــنــنــا﴾	۲٥
97700	﴿ سيد حساسمسون غسداً مسن السكناب الأشسر.	4.7
27700	﴿ إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقيهم واصطهر. ﴾	**
97700	. ﴿ وَسَابِ سَابِهِ مِ أَنْ السَّمِاءَ قَسِمِيةَ بِسِيدَ مَهِيمٍ	YA
97700	﴿ فسنسادوا صساحه بهم فستعساطسي فسعقسر.﴾	79
0075	﴿ فَـــك بِيــف كـــان عـــذابـــى وقــــذر.﴾	٣٠
9077	﴿إِنَا أَرْسِلْنَا عَلَيْهِم مَنْيَضَة وَاحِدَة﴾	٣١
0075	﴿ وَالْفَدَ يُسْرِنُنَا الْفَرَآنَ لِللَّهُكِينِ فَيَهِلَ مِنْ مَدِكِرٍ .﴾	77
0077	﴿ كِــــذَبِنَ قَــــوم لــــوط بـــالـــــــــــــــــــــــــــــــــ	44
0044	﴿ إِنَّا أَرْسَلَفًا عَلَيْهِم صَامِينًا إِلا أَلَ لَيْنَا﴾	4.5
0044	﴿ نبعيمية مين عبنينا كنلك تبجيزي مين شكر.﴾	٣٥
0044	﴿ واسقت أنسذرهم بطشت نا فستماروا بالسندر.﴾	47
0044	﴿ واسقد راودوه عن ضيفه فطمست اعينهم	77
00771	﴿ والقد عبد جهم بمكرة عذاب مستقر.﴾	٣٨
0077	﴿ في الله الله الله الله الله الله الله الل	79
. 0044	﴿ولَـقَـد يسـرنِــا البـقـرآن لبلـذكـر فـهـل هـن مـدكـر. ﴾	٤٠
• 700	﴿ والسبقاد والماءُ آل فسرعون السندر.﴾	٤١
• 700	﴿ كَذِيوا بِآياتنا كَلَهَا فَأَخَذَنَاهُمْ أَخَذَ عَزَيْزَ مَقْتُدَرَ.﴾	73
004-	﴿ أَكَفَارِكُم خَمِيرَ مِنْ أُولادُكُم أُم لَكُم بِرَاءَة فِي الزَيرِ. ﴾	2.5
004.	﴿ أَم يَـ قَـ عالِسُونَ نَسِحُسنَ جِسْسِيسِعِ مُسْتُتُمُسِرٍ.﴾	٤٤
004-	﴿ سيهدرم السجمع ويسولون السديدر.﴾	٤٥

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
004.	﴿ بِسَلِ السَّاعِـةَ مَــوعَــدَهِــم والسَّاعِـةَ أَدَهُــى وأمــر .﴾	٤٦
. 004+	﴿ إِنْ السَّمْسِجِ سَرِمُسِيْسَنُ فَسَنِي خَمْسَلَالُ ويستَعِسِر. ﴾	٤٧
004.	﴿ يسوم يستحسيسون فسنى السنسار عداسي وجدوهسهسم﴾	٤٨
004.	﴿ إنساكسل شسىء خسلسة سنساه بسقدر.﴾	. 84
004.	﴿ ومسا أمس نسا إلا واحدة كسمسع بسالسيعسر.	٠٠ ا
۰۳۰	﴿ وَإِلَّهُ مَا أُمُلِكُمُنَا أَشْمِياءَ كُمْ فَمَهُلُ مِنْ مَنْكُمَرٍ .﴾	٥١
۰۳۰	﴿وكـــل شـــىء فــــعـــلـــوه فــــى الــــزيـــر.﴾	٥٢
۰۳۰	﴿ وكل صفيد وكيد بدر مست طر	٥٣
004.	﴿ إِنَ السَّمَا السَّ	٥٤
004.	﴿ فَسَى مَا قَسَمَانَ عَسَدُقَ عَسَدُ مَا لَسِكُ مَا قَسَدُنَ عُسَدُنَ عُسَدُنَا وَالْمُعُلِينَا عُسَدُنَا وَا	••
۸۳٥٥	هي أعقاب تفسير سورة القمر	-
7300	خلاصة موضوعات سورة القمر	-
0300	تفسير سورة الرحمن .	-
6067	أهداف سوراة الرحمن	-
0019	﴿الــُــــــــــــــــــــــــــــــــــ	\
0069	م السم السم السم السم السم السم السم الس	۲
0089	ف الإنسان.)	۳
0089	♦ السمان. ♦	٤
0019	﴿ البِشَـ مِس والـ قـ مـ ر بـ مسـ بـان. ﴾	
0059	﴿ والمنت جمع والشبي والمنان . ﴾	1
००६९	﴿ والسماء رفعها ووضع المسيسزان . ﴾	٧
0089	﴿ أَلا تَسَمَّلُ مِنْ الْمُسَمِّلُ الْمُسَمِّلُ الْمُسْمِّلُ الْمُسْمِّلُ الْمُسْمِّلُ الْمُسْمِّلُ الْمُسْمِ	٨
0089	﴿ وأقسيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان .	١ ٩
0089	﴿ وَالْأَرْضُ وَحُسَبِهِ عَلَى السَّالْدَسِامِ . ﴾	١٠.
००६५	﴿ فيهما فساكبهمة والنفسل ذات الأكسمام .	11
010 £ 9	﴿ والصحب ذو الصعمصة والصريصحان ﴾	17
००६५	﴿ فَ بِ أَي آلاء ربِ كَ مِا تَـ كَ نَبِ انْ ﴾	14
0000	﴿ خَالَتُ الْإِنْسَانُ مِنْ صِياصًالُ كَالْفَدُارِ.﴾	١٤

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
0000	﴿ وخطيق الجيان من مارج مسن ندار.	10
0000	﴿ فَ بِ أَي آلاء ربِ كَ مِ الْ يَكُ ذِبِ انْ . ﴾	17
0000	﴿ رب الــمشــرةـــيــن ورب الــمــــــــريـــيــن .﴾	17
0000	﴿ ف ب أي آلاء ري ك ما ت ك ذيان .﴾	1.4
0000	﴿ مسرج السبحد ريسن يسلستسق يسان . ﴾	19 '
0000	﴿ بــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	۲٠
0000	﴿ فَسَيْسَانَ ٱلاء ريكسما تَسْكَسَدُيسَانَ . ﴾	71
0000	﴿ يسخسرج مستسهما السلسؤاسة والسمسرجسان .	77
0000	﴿ فَصِيدًا فِي اللَّهِ وَهِ كَسِمِهَا تَسْكُمُ ذَبِانَ ﴾	74
0000	﴿ وله النصوار المنشأت في النسمير كالأعبلام. ﴾	71
0000	﴿ فَصِيدًا فِي اللَّهِ وَهِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْ اللَّهِ وَهِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْ اللَّهِ عَلَيْ اللَّهِ عَلَيْ	70
1700	﴿ كـــل مـــن عـــلــيــهـــان فــــان .♦	77
1700	﴿ ويسبسقسى وجسه ربك ذو السجسلال والإكسرام .	77
1700	﴿ فــــبـــأى آلاء ريــــکـــــا تـــکــــــــان .﴾	47
1500	﴿ يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن﴾	44
1500	﴿ فَ بِ أَي آلاء ربِ كَ مِا تَـكَ تُنِيانٍ .﴾	٣٠
0070	﴿ سننفرغ اسكم أيسها الساسقالان.)	71
0070	﴿ فِيمِانَ ٱلاءِ رہے حصا تکسنیسان .﴾	77
0/00	﴿ يما معشر البجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا	٣٣
0070	﴿ فَصِيبًا يَ آلاء ريك ما تسك ذيكان . ﴾	4.5
0/00	﴿ يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتميران .﴾	40
0070	﴿ فسيسأى آلاء ريسكسسا تسكسان.)	177
Aroo	﴿ فَمَا إِذَا أَنْشَقْتَ السَّمَاءُ فَسَكَنَانَتَ وَرَبَّةً كَنَالُمُعَانَ . ﴾	47
۵۶۰۸	﴿ فَ بِالْي الله ريد كما تسكر فيرب بان، ﴾	44
٨٢٥٥	﴿ في روست لا يسسأل عبن ذهب إنس ولا جبان . ﴾	49
٨٢٥٥	ونبان الاء ريسكسما تكيذبسان .	٤٠
٨٥٥٨	﴿ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام .	٤١ .
007.4	﴿ فَصِيدًا يَ الْامِ رَبِيكُ هَا تَكَسَلُبُ الْنَ . ﴾	73
		

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
4.00	﴿ هَــَدُه جَــِهِـَـَـم الــتَّــي يـكَـذُبِ بِــهَـا الــمــِجــرمــون .﴾	٤٣
AFOO	﴿ يـطـوفـون بـيـنـهـا ويـيـن هـمـيـم آن . ﴾	٤٤
٨٥٥٥	﴿ فسيسلى آلاء ريسكسمسا تسكسذيسان. ﴾	٤٥
. 00 41	﴿ واسمسن خساف مسقسام ريسه جسنستسان .	٤٦
0071	﴿ فَــبِــأَى آلاء ريـــكــمـــا تـــكـــــــــــان .﴾	٤٧
0071	﴿ ذواتــــا أفــــان .	£ A
0011	﴿ فَسِيدَأَى الاء ريدك ما تدك ذيدان . ﴾	٤٩
0071	﴿ فسيسه معما عسيسنسان تسجسريسان. ﴾	ا ۱۰۰
001	﴿ فسبای آلاء ریک مسا تسک نیسان ﴾	٥١
0041	﴿ فسيه جمعا من كل فساكهة زوجان. ﴾	٥٢
0041	وفسيسأى آلاء ريبك ما تسكدنيسان.	١٠٠
0011	﴿ مَتَكَنَّينَ عَلَى قَرِشَ بِطَائِنَهَا مِنْ إِسْتَهِرِقَ﴾	0 £
٥٥٧١	ف بای آلاه ریسکسسات کسفیسان.)	.00
0071	﴿ فيهن قاضرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان.	07
0071	﴿ فَسَيْدِ أَى آلاءِ رَبِي كَ مَمَا تَسَكَ لَيْهِ عَالَ . ﴾	٥٧
0071	﴿ كَانْسِهِ أَنْ السياق وق والسمسرجان . ﴾	٥٨
0071	ف الله م کست الله م	04
00V\	﴿ مـــل جـــناه الإحـــان إلا الإحـــان .	٦٠
٥٥٧١	و فد بيساى الاء ريسكسما تسك لبيسان .	17
,vov	﴿ و٠٠٠٠٠ن دون ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	7.7
۲۷٥٥	و فسيساى آلاء ريسكسمسا تسكسديسان ،	75
7V00	ف ان ﴾	. 18
007	فسياى آلاء ريسكسسان ﴾	. 70
٥٥٧٦	﴿ فَهِ الْمُعَامِدِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّ	77
٥٥٧٦	﴿ فَعَلَمُ إِنَّ الْأُمْرِيدِ كُلِّمُ مِنْ أَلَّا مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّا مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّا مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّلَّمُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّا مِنْ اللَّمْ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ ال	7.7
٥٥٧٦	﴿ فَي الْمُ اللَّهِ عَلَى اللّ	٦٨.
7700	﴿ ف بسأى آلاء ريد ك مساة ك ذبسان ﴾	79
17.00	. ﴿ فَ لَمْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ	٧٠

رقم الصفحة	أول الأيات	رقم الآية
7700	﴿ فَ بِ أَى آلاء ربِ كَ مَا تَكَ ذَبِ انْ . ﴾	٧١
7700	﴿ حــور مــقصــورات فـــى الـــــفــديــام .﴾	77
7V00	﴿ فَسِيسَأَى آلاء ربِ كَ مِسَا تَدَكَذَبِانَ .﴾	٧٣
7V00	﴿ لـم يسطسمـ شــهــن إنس قــبــلــهــم ولا جـــان .﴾	٧٤
10001	﴿ فَـــِــَاى آلاء ريب كـــا تــك ذبــان . ﴾	٧٥
7V00	﴿ مستنكشيس عِسلس رفرف خضر وعبد قدرى حسسان . ﴾	٧٦
7V00	﴿ فَصِيدًاى آلاء ربِ كَصَاعًا تَسِكُ فَيَانًا نَ ﴾	VV
00V7	🍫 تــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٧٨
00AY	خلاصة ما اشتملت عليه سورة الرحمن	-
0014	تفسير سورة الواقعة .	_
3400	أهداف سورة الواقعة .	_
0049	﴿ إِذَا وَقَـــــعت الــــــواقـــــعـة .﴾	١ ،
0049	﴿ ليس لسوقه تهما كمانبة ، ﴾	۲
PAOO	🕹 خــــافضـــة رافـــــــــــة ﴾	4
0049	﴿ إِنَّا رَجْتَ الأَرْضُ رَجِّ	٤
٥٥٨٩	﴿ ريست الســـج بـــال بسِّــا .	
0049	﴿ فِي كِيانِ هِي إِنَّ مِنْ مِنْ مِنْ مِنْ مُنْ مِنْ مُنْ مُنْ مِنْ مُنْ مُنْ مُنْ مُنْ مُنْ مُنْ مُنْ مُ	٦
0014	﴿ وكنت م أزواجاً ما الاثامة .	٧
0044	﴿ فَأَصِحَابِ الْمُعِيمِيْةِ مِا أَصِمَابِ الْمُعِمِيْةِ ﴾	٨
0014	﴿ وأصحاب المشامة ما أصحاب المشامة .﴾	٩
0049	﴿ والسابق بن السابق بن ﴾	1.
0044	﴿أَوا عَلَى السَّمَ عَلَى السَّمَ عَلَى السَّمَ عَلَى السَّمَ عَلَى السَّمَ عَلَى السَّمَ السَّمَ السَّمَ السَّ	11
0019	﴿ فـــــى جـــــنـــات الــــنـــــــــــــم .﴾	17
3000	﴿ ثــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	17
3900	﴿ وقيد المديد الأخصريدن . ﴾	1 8
००९६	﴿ عـــالـــى ســـرد مـــوفـــونـــة .﴾	10
0098	﴿متكتبنءليهامتقابلين.﴾	17
0098	﴿ يسطسوف عسلمين علم ولسدان مسخسلمدون . ﴾	17

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
००९६	﴿ بِاكْسُوابِ وأباريةِ وكاس من معيدن .	14
००९६	﴿ لا يصدعون عند هما ولا يستسرنا ون . ﴾	14
3000	﴿ وفساكسهسة مسعسا يستسف سيسرون . ﴾	۲٠
0098	﴿ واست م طسيس مسمسا يشب تسهدون . ﴾	71
0098	﴿ ر ہ : ۔ ۔ ۔ ر ی <u>ء ۔ ۔ ۔ ۔ ن</u> ، ﴾	77
3000	﴿ كسامست سال السلسوات و السمسك نسون . ﴾	77"
००९६	﴿ جِــزاء بـــمــا كــانــوا يـــعــمـــاــون . ﴾	Y,£
3000	﴿ لا يسمعون فيها لنغوا ولا تأثيماً .	Y0
3000	﴿ إِلا قَـــيـــلا ســــلامــــأ ســــلامــــأ .﴾	77
0044	﴿ وأصداب السميان ما أصداب السميان .﴾	77
0099	﴿ نـــــى ســـدر مـــــــــــــــــــــــــــــــــ	YA
0099	(يول <u>ا</u> ما الما الما الما الما الما الما الما	74
0099	(. 101 de la 101	4.
0099	و ب اء مس	71
0099	(. i,	47
0099	﴿ لا مسقسطسوعسة ولا مستسوعسة .	. ٣٣
0099	﴿ واسرش مسراف برعسة .)	3.7
0099	﴿ إنك أنشاء . ﴾	٣٥
0099	﴿ وْ	77
0099	﴿ ــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	77
. 0099	﴿ لأصحاب السيدن. ﴿	۳۸
0099	في الأول من الأول المن في الأول المن المن المن الأول المن المن المن المن المن المن المن الم	٣٩
0099	﴿ والسلسة مسن الأهسريسن. ﴾	٤٠
3.50	﴿ وأصحاب الشعبال منا أصنعاب الشعبال: ﴾	٤١
3-50	(i	23
०७-६	﴿ وظ ل م ن ي م ي م ي م	24
3-50	﴿ لا إِ اللهِ ولا كَ رِي اللهِ عَلَى اللهِ اللهِلمُ المِلْمُ اللهِ المِلْمُ اللهِ اللهِ المِلْمُ المِلْمُلِي المِلْمُلِي المِلْمُلِي المِل	٤٤
07.5	﴿ إنْ عَمِ كَانَ وَا قَاعِلَ ذَلِكُ مَا تَالِقُ فَا إِنْ فَا فَا إِنْ فَا إِنْ اللَّهِ مَا تَالِقُ فَا اللَّهُ	٤٥

رقم المنفحة	أول الآيات	رقم الآية
३०८०	﴿ وكائـوا يصـرون عـاــى الــدخث الــعـظــيــم. ﴾	٤٦
3.50	﴿ وكنانوا يقولون أثدًا مننا وكنا ترابا وعظاماً	٤٧
٤٠٢٥	﴿ أَو أَبِي النَّا الْأَوا فِي فَي . ﴾ .	٤A
3.70	﴿ تــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٤٩
3.20	🇳 لدمد جدمد وعدون إلى مديد قدان يسوم مسعسلسوم . 🏈	٥٠
. 07.5	﴿ ثـم إنـكـم أيــهـا الضـالـون الـمـكـذبـون.﴾	٥١
۵٦٠٤	﴿ لاَكِ الْسِينَ مِسْنَ شَبِهِ الرَّمِينَ رَفْسِهِمَ ﴾	٥٢
07.5	﴿ فَعَمَ النَّهُ مِنْ مُسَهِمًا النَّهِ طَسِونَ . ﴾	٥٣
3.50	﴿ فشاريسون عسلسيسه مسن السحسيسم . ﴾	٥٤
۵۲۰٤	﴿ فشـــاريــــون شـــرب الـــهـــيـــم ﴾	٥٥
۵۹۰٤	﴿ مِــــــــذَا نــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٥٦
٥٦٠٩	. ﴿ نسمسن خسل قسل الكسم فسلسولا تصيد قسون . ﴾	٥٧
०२-१	﴿ أَفُ رأيت ما تصدف بن . ﴾	۸۵
٥٦٠٩	﴿ أَأَنْ تَامَ تَسْفُلُ قَدُونَ ﴾	٥٩
٥٦٠٩	﴿نصن قدرنا بيشكم المون وما نحن بمسبوقين .﴾	٦٠
07.9	﴿ على أنْ نبدل أمثالكم وننشئكم في منا لا تعلمون .﴾	71
07.9	﴿ والقد عبل مستم النشأة الأولسي فعلمولا تمذكرون .	77
7170	﴿ افراب را برا برا برا برا برا برا برا برا ب	75"
7150	﴿ أَأَنْدَتِهِم تُسْرُر عَسَرُسَه أَم نَسْحَسَنُ الْسَرَارِ عَسِرِنَ. ﴾	78 -
7150	﴿ لَوَ نَشَاءُ لَيْمِ عَلَيْنَاهُ عِطَامًا فَظَلَتُمْ تَفَكَهُونَ . ﴾	٦٥
7150	﴿ إِنْ الْمُسْتِ الْم	rr
7150	﴿ بِ لَ نَصْدَ نَ صَصَادِي الْ فَالْفِي اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ	٦٧
7170	﴿ أَمْ رَأَيْ عَدِمَ الْبِيمِاءِ الْبِدْي تَمْسِرِيْسِونَ .﴾	۸۶
. 7150	﴿ أَأَنْ ثَنْمَ أَنْ زَالِتُ مِنْ وَمِنْ الْمُمَرِّنْ أَمْ نُبِحِنْ الْمِشْرَالِونْ .﴾	79
7150	﴿ لِس نشاء جسم استاه أجاجاً فالولا تشكرون .	٧٠
7170	﴿ أَفْسِراً بِسِتِهِ السِنِسِارِ السِتِسِي تِسورِونَ ﴾	٧٧
7150	﴿ أَانِيْمَ أَنشَأْتُم شَجِرِتُهَا أَم نَصَنَ الْمُنشِئُونَ ﴾	٧٢
7150	وُ نصن جعاناها تذكرة ومشاعاً للمقويين.)	٧٣

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7150	﴿ فسبح بساسم ربك الصعظ يم . ﴾	٧٤
7170	﴿ فيلا أقسيم يسمسواقسع السنسجسوم .﴾	٧o
1110	﴿ وإنب لنقسم لس تسعيل مسون عسظ بيسم . ﴾	٧٦
0717	﴿ إنـــه لــــقـــرأن كـــريــــم .﴾	vv
1170	﴿ فَــــــى كَـــــــــــــــــــــــــــــ	٧A
7170	﴿ لا يسمسه إلا السمسط بيون ﴾	٧٩.
0717	﴿ تَـــنْـــزيـــــل مَـــن رب البعــــالـــمـــيـــن .﴾	٨٠
٥٦١٦	﴿ أَسْبِ عَهِدُا الصَّدِيثَ أَسْتُ مِ مُدَّمَّدُونَ . ﴾	۸۱
1170	﴿ وَ مَنْ جِمِهِ عَلَى وَوْسَكِمَ أَسْكُمْ تَسَكَ ذَبِ وَنَ . ﴾	۸Y
0717	﴿ نَسَالَ وَلا إِذَا إِلَا اللَّهُ مَا السَّمَا السَّمَا السَّمَا السَّمَا السَّمَا السَّمَا السَّمَا	٨٣
1110	﴿ وأنستسم حسيد في المستوات المساون ﴾	A£
rera	﴿ رَسْعَانَ أَشْرِبِ إِلَيْهِ مَسْدَكُمَ وَإِلَيْكَ ثَا لا تَبْعَسَرُونَ . ﴾	٨٥
1150	﴿ فسلسولا إن كست تسم غسيسر مسديست بيسن . ﴾	7.4
51170	﴿ تسرج عس نهاإن كنتم صادقين ﴾	AY
0717	﴿ فَسَامِنَا إِنْ كَسَانَ مِنْ السَّمِيِّةِ رِيْسِيْنَ . ﴾	۸۸
0717	﴿ فَ رِينَ وَرِيدُ مِنْ وَجِيدُ مِنْ وَجِيدُ مِنْ وَجِيدُ مِنْ وَجِيدُ مِنْ وَجِيدُ مِنْ وَجَيْدُ مِنْ وَالْعِيدُ وَالْعِلِيدُ وَالْعِلْمُ وَالْعِلْمُ وَالْعِلْمُ وَالْعِلِيدُ وَالْعِلِمُ وَالْعِلَالِي وَالْعِلِمُ وَالْعِلِمُ وَالْعِلِمُ وَالْعِلْمُ وَالْعِلِمُ وَالْعِلِمُ وَالْعِلْمُ وَالْعِلْمُ وَالْعِلِمُ وَالْعِلِمُ وَالْعِلِمُ وَالْعِلِمُ وَالْعِلِمُ وَالْعِلِمُ وَالْعِلِمُ وَالْعِلِمُ وَالْعِلَامِ وَالْعِلْمُ وَالْعِلَامِ وَالْعِلْمِ وَالْعِلْمُ وَالْعِلِمِ وَالْعِلِمُ وَالْعِلِمُ وَالْعِلْمِ وَالْعِلْمِ وَالْعِلِمُ وَالْعِلْمِ وَالْعِلْمِ وَالْعِلْمِ وَالْعِلِمُ وَالْعِلِمُ وَالْعِلْمِ وَالْعِلْمِ وَالْعِلِمُ وَالْعِلِمِ وَالْعِلْمِ وَالْعِلْمِ وَالْعِلِمُ وَالْعِلِمُ وَالْعِلْمِ وَالْعِلْمُ وَالْعِلِمُ وَالْعِلِمُ وَالْعِلِمِ وَالْعِلِمِ وَالْعِلِمُ وَالْعِلِمِ وَالْعِلْمِ وَالْعِلِمِ وَالْعِلِمِ وَالْعِلِ	A1
. 9414	﴿ وأحسا إن كسان مسن أحسحساب السيسمسيسن . ﴾	1.
٥٦١٦	﴿ فسالام لك مسن أمسماب السيد مدين ﴾	11
7170	﴿ وأما إن كسان مسن السمكمذبيين الغسمالييس .	97
0717	﴿ نـــــن حــــن حـــــــن ﴾	14
1150	﴿ رتصل السياة جام ا	9.6
1110	﴿إِن هِــذا لــهــوحـــق الــيــقــيــن.﴾	40
٥٦١٦	﴿ <u>مب السب من السب من السب من السب من السب</u> السب السب السب السب السب السب السب السب	47
0750	خلاصة موضوهات سورة الواقعة	-
7770	تفسير سورة الحديد	-
AYFO	أهداف سورة الحديد	-
0754	وسبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم .	\
0755	﴿ لَمَ مَلِكُ السِمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ يَمْسَيْنِي وَيَسْمَيْنَ ﴾	۲

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
97770	﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم .﴾	٣
7770	﴿ هــو الـذي خـلـق السـمــاوات والأرض فـي سـتــة أيــام﴾	٤
97770	﴿ لـه مـلك السـمــاوات والأرض وإلـى الـلــه تــرجـع الأمـور. ﴾	٥
0777	﴿ يَولَجَ اللَّيْلُ فَيَ النَّهَارِ وَيُولِجَ النَّهَارِ فَيَ اللَّيْلُ﴾	٦
0751	﴿ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه	٧
0781	﴿ وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بريكم﴾	٨
0751	﴿ هـو الـذي يسنسزل عـلـى عـبـده آيـات بسيـنـات﴾	٩
٥٦٤١	﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَا تَنْفَقُوا فَي سَبِيلَ اللَّهُ وَلَكَ مَيْرَاتُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ.﴾	١.
0781	﴿ مِنْ ذَا الذِي يَقَرِضَ اللَّهُ قُرِضًا حَسَنًّا فَيَضَاعِفُهُ لَهُ﴾	11
۹٦٤٧	﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسمى نورُهم بين أيديهم﴾	17
۵٦٤٧	ويوم يقول الصنافقون والمنافقات للذين آمنوا	14
٥٦٤٧	﴿ يَــنَّـَادُونَــهِــم أَلَـم نَـكَـنَ مَـعَكُم قَــالَـوا بِكَــى﴾	١٤
٥٦٤٧	﴿ فَالْيُومَ لَا يَوْهَذَ مَنْكُمْ قَدِيةً وَلَا مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	١٥
7070	﴿ أَلَم يَانَ لَلَّذِينَ آمِنُوا أَنْ تَنْشِعَ قَلُوبِهِمَ لَذَكُرِ اللَّهِ﴾	17
7070	﴿ اعلموا أن السلمة يسميني إلأرض يسعد موشها﴾	17
7070	﴿ إِنَ المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾	1.4
7070	﴿ والذين أمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون	14
070A	﴿ اعلموا أنما الصياة الدنيا لعب ولهو وزينة﴾	۲٠
A o T o	﴿ سسايـقـوا إلى مـففرة مـن ريـكيم وجنبة	۲١
۸۵۲۵	﴿ ما أصاب من مصيية في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب	77
۸۵۲۵	﴿ لَكِيلًا تَأْسُوا عَلَى مَا فَأَتَّكُمْ وَلَا تَقْرَحُوا بِمَا أَتَاكُمْ﴾	44
۸۵۲۵	﴿ الدِّينَ يَا خَلُونَ وَيَأْمُونِنَ النَّبَاسَ بِالْبَحْلِ ﴾	48
۷۲۲٥	﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب	۲0
۰۷۲۰	﴿ وَلَقِدِ أُرْسِلْنَا نَوْحًا وَإِبْرَاهِيمِ وَجَعْنَا فَي ذَرِيتُهِمَا النَّبُوةِ﴾	47
٥٦٧٠	وثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم	44
۰۷۲۰	﴿ يَا أَيِهَا الَّذِينَ آمِنُوا أَتَقُوا اللَّهِ وَآمِنُوا بِرسُولَهِ ﴾	44
٥٦٧٠	﴿ لَتُلا يَعْلَمُ أَمْلُ الْكَتَابِ أَلَا يَقْدَرُونَ عَلَى شيء مِنْ فَضَلُ اللَّهُ	74
PV50	خُلاصة ما اشتملت عليه سورة العديد .	-

(الهرس موضوعات)		0412

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية	
۱۸۲۰	تخريج أحاديث وهوامش .	-	
٥٧٠١	هرس الكتاب .	-	

الجزء السابع والعشرون

تم بحمد الله الجزء (السابع والعشرون) ويليه الجزء (الثامن والعشرون) وإذن الله تعالى

تفسيرالقرآن الكريم

الجزء الثامن والعشرون من القرآن الكريم

الدكتور

عبد الله شحاته



الجزء الثامن والعشرون



أهسداف سسورة المجادلسة

(سورة المجادلة مدنية ، وآياتها ٢٧ آية ، نزلت بعد سورة المنافقون)

تربية إلهية

سورة المجادلة حافلة بآداب التربية وتهذيب السلوك، وتحذير المسلمين من مكايد المنافقين.

لقد نزلت هذه السورة بعد سورة المنافقون ، وكانت الجماعة الإسلامية في المدينة لا تزال في طور الإعداد والتكوين ، وكان المسلمون يتألفون من المهاجرين والأنصار ، وقد انضم إليهم من لم يتلق من التربية الإسلامية القدر الكافي، ومن لم يتنفس في الجر الإسلامي فترة طويلة ، كما بخل في الإسلام جماعة من المنافقين ، حرصوا على الاستفادة المادية وأخذوا يتربصون بالمسلمين الدوائر ، ويعرضون ولاءهم على المعسكرات المناوئة للمسلمين ، وهي محسكرات المشركين واليهود .

وقد اقتضت تربية النفوس وإعدادها للدور الكبير المقدر لها في الأرض جهودًا ضخمة وصنهرا طويلاء وعلاجا بطيقا في صنفار الأمور وكبارها .

ونحن نشهد فى هذه السررة – وفى هذا الجزء كله – طرفا من تلك الجهرد الضخمة ، وطرفا من الأسلوب القرآنى كذلك فى بناء تلك النفوس ، وفى علاج الأحداث والعادات والنزوات ، كما نشهد جانبا من الصراع الطويل بين الإسلام وخصومه المختلفين من مشركين ويهود ومنافقين .

«ونشهد في سورة المجادلة بصفة خاصة صورة موحية من رعاية الله للجماعة الناشئة ، وهو يصنفها على عينه ، ويربيها بمنهجه ، ويشعرها برعايته، ويبنى فى ضهيرها الشعور الحى بوجوده سبحانه معها فى أخص خصائصها ، وأصغر ستونها ، وأخفى طواياها ، وحراسته لها من كيد أعدائها خَوْيَه وظاهره ، وأخذها فى حماه وكنفه ، وضمها إلى لوائه وظله ، وتربية أخلاقها وعاداتها وتقاليدها تربية تليق بالجماعة التى تنضوى إلى كنف الله، وتنتسب إليه ، وترفع لواءه فى الأرضى» (() .

قصة المحادثة

سميت سورة المجادلة بهذا الاسم لاشتمالها على قصة المرأة المجادلة ، وقد افتتح الله بها السورة حيث قال سبحانه : قَدْ سَمَعَ اللَّهُ قُولُ ٱلَّتِي تُجَلِّدُكُ فِي زُوْجِهَا وَتَشْكِيّ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرُكُمّا إِنَّ ٱللَّهُ سَمِيعٌ مَسِيِّ (المحادلة : ١).

وقد روى الإمام أحمد فى مسنده ، وأبو داود فى كتاب الطلاق من سننه ، عن خولة بنت ثعلبة قالت: فىُّ واللَّه وفى أوس بن المسامت أنزل اللَّه صدر سورة المجادلة ، قالت : كنت عنده ، وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه ، قالت : فدخل علىُّ يوما فراجعته بشىء فغضب ، فقال : أنت علىُّ كظهر أمى .

وكان الرجل فى الجاهلية إذا قال ذلك لامرأته حرمت عليه ، وكان ذلك أول ظهار فى الإسلام ، فندم أوس ساعته ، ثم ندعه أوس ساعته ، ثم ندعه المستها - في طلب ملامستها - فيات وقالت : والذي نفسي بيده لا تصل إلى وقد الله على ما قلت حتى يحكم الله وزسوله ، فأتت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن أوسا تزوجني وأنا شابة غنية ذات أهل ومال ، حتى إذا أكل مالي، وأفنى شبابى ، وتفرق أهلى ، وكبرت سنى ، ظاهر منى، وقد ندم ، فهل من شيء تجمعنى به وإياه تفتينى به ؟ فقال ﷺ: «حرمت عليه ، أوما أراك إلا قد حرمت عليه».

فأعادت الكرة والرسول ﷺ يعيد عليها نفس الجراب ، حتى قالت : أشكى إلى الله فاقتى ورجدتى ، قد طالت له صحبتى ، ونثرت له بطنى ، وإن له صبية صغارا ، إن ضمعتهم إليه ضاورا ، ويثرت له بطنى ، وإن له صبية صغارا ، إن ضمعتهم إليه ضاورا ، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتستغيث وتتضرع ، وتشكى إلى الله ، فنزات الآيات الأربع من صدر سورة المجادلة : فقال رسول الله ﷺ : «يا خولة ، قد أنزل الله فيك وفى صاحبك قرآناء ، ثم تلا عليها الآيات ، وقال لها : ومريه فليعتق رقبة » ، قالت : يا رسول الله ، ليس عنده ما يعتق ، قال : «فليصم شهرين متنابعين» ، قالت : والله إنه لما من صيام ، قال : «فليطم ستين مسكيناً وسقاً من تمر » ، قالت : والله يا الله ، وأنا سنعينه بعرق من تمر» ، قالت : يا رسول الله ، وأنا ساعينه بعرق أخر ، قال الرسول : «قد أصبت وأحسنت ، فاذهبى فتصدقى به عنه ، ثم استوصى بابن عمك خد اله ، قالت : ففعلت .

تلك قصة الظهار ، وهي تشير إلى رعاية السماء لهذه الجماعة المؤمنة ، ونزول الوحي بجيب على أسئلتها ويحل مشاكلها ، ويربى نفوسها ويهذب أخلاقها ، ويأخذ بيدها إلى الصراط القويم .

وقد تضمنت الآيات إحاطة السميع البمسير بكل صغيرة وكبيرة ، واطلاعه على جميع الأعمال ، وبينت أن المسارعة إلى ألفاظ الظهار والطلاق منكر وزيرد ، وأن الزوجة غير الأمّ ، فالأم حملت وأرضعت وقد حرم اللّه على الإنسان الزواج يأمه ، والزوجة أحل اللّه زواجها . ثم رسم القرآن طريق الحل لمن يدرت منه بادرة بالظهار فقال لأمرأته: أنت على ُ كظهر أمى ، ثم أراد أن يرجع عن ذلك وأن يراجع زوجته ، فطيه أن يكفر عن هذا الذنب بتحرير رقبة ، فإن لم يجد فإنه يصوم ستين يوما ، فإن لم يستطع فعليه إطعام ستين مسكينا ، وفى ذلك نوع من التهذيب والتأديب حتى يضبط الناس أعصابهم ، ويحفظرا ألسنتهم فى ساعة الغضب والتهور .

أهداف السورة

تبدأ السررة بهذه البداية الكريمة، وهي سماح الله الطي القدير لشكري، امرأة فقيرة مغمورة ، وقد استمع إليها الله من فرق سبع سماوات ، وكان صوتها ضعيفا لا يكاد يُسبع من يجلس بجرارها .

وفى البخارى ، والنسائى ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات ،
لقد جاءت المجادلة خولة إلى رسول الله ﷺ في جانب البيت ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله عز وجل : قَلْدُ
سَمِعَ ٱللّهُ قُولُ ٱلّٰتِي تُحُلُولُكُ فِي زَرْجِهَا وَتَشْكَحَى إِلَى ٱللّهِ ... (المجادلة : ١) . إلى آخر الآيات الأربع من صدر
السورة .

وفي الأيتين (٥ ، ٦) تأكيد على أن الذين يحادون الله ورسوله - وهم أعداء الجماعة المسلعة التي تعيش في كنف الله - مكتوب عليهم الكبتُ والقهرُ في الأرض، والعذاب المهين في الأخرة ، مأخوذون بعا عملوا ، أحصاه الله عليهم ، ونسوه هم ، وهم فاعلوم ، وآللهُ عَلَيْ كُنُ هَيْءٍ هَهِدَ . (المجادلة: ١) .

والآية ٧ من سورة المجادلة تؤكد سعة علم الله وإحاطته بما في السماوات والأرض، وإطلاعه على السماوات والأرض، وإطلاعه على السر والنجرى، ورقابته لكل صغير وكبير، ثم محاسبة الجميع بما قدموا يوم القيامة، والآية تخرج هذه المعانى في مسورة عميقة التأثير، تترى القلوب وجلة ترتعش مرة وتأنس مرة، وهي مأخوذة بمحضر الله الجليل: قُو مَعْهُمْ أَيْرَ مَا كَانُوا أُمْ يُنْتِهُمْ بِمَا عَبِلُوا يُوْمَ ٱلْقِيْسَةَدِ إِنَّ ٱللَّهُ بِكُلْ صَيْرة عَلِيمٌ، (المجادلة: ٧).

وفي الآيات (٨ - ١٠) يشهّر القرآن بموقف المنافقين الذين يبيتون الكيد والدس للمؤمنين ، ويهددهم بأن أمرهم مكشوف ، وأن عين الله مطلعةٍ عليهم ، وتجواهم بالإثم والعدوان ومعصيةٍ الرسول مسجلةً ، وسيماسيون عليها ويلقون جزاءهم في جهتم ويتسّ المصير .

ثم تستطرد الآيات إلى تربية المسلمين وتهذيب نفوسهم بهذا الخصوص ، فتنهاهم عن الحديث الخافت المحتوى على الإثم والعدوان ومعصية الرسول . وذلك يؤكد أنه كان بين جماعة المسلمين قوم لم يترسخ الإيمان في قلويهم ، وكانوا يقلدون المنافقين في التناجى بالهمز واللمز والإثم والمعصية ، وكان القرآن يواكب هؤلاء جميعا ، فيكثف المنافقين ، ويرشد المسلمين ، ويُعزل الهدى والرحمة للناس أجمعين .

والآيات (۱۱ – ۱۳)، استطراد فى تربية المسلمين، وتعليمهم أدب السماحة والطاعة فى مجلس الرسول ﷺ، ومجالس العلم والذكر، وهو أدب رفيع قدمه القرآن من عشرات القرون ليحث الناس على الرسول ﷺ، ومجالس العلم والذكر، وهو أدب رفيع قدمه القرآن من عشرات القرون ليحث الناس على التحدوين والمتكافل والسلوك المهذب: إِذَا قِيلُ لَكُمْ تَفْسَحُوا فِي ٱلْمَجْلَسِ فَافْسَحُوا أَنِي (المجادلة: ۱۱۰). كما تحث الآيات على توقير العلم، وترسم أدب السؤال والحديث مع رسول الله ﷺ، وتحث على الجد والتوقير فى هذا الأمر.

ويبدأ الربع الثاني في السورة بالآية ١٤، وقد تحدثت مع ما بعدها عن المنافقين الذين يتولون : اليهود ويتآمرين معهم ، ويدارون تآمرهم بالكذب والحلف للرسول والمؤمنين .

وهم في الآخرة كذلك حلاقون كذابون، يتقون بالحلف والكذب ما يواجههم من عذاب الله، كما كانوا يتقون بهما في الدنيا ما يواجههم من غضب رسول الله والمؤمنين، مع توكيد أن الذين يحادونُ الله ورسوله كتب الله عليهم أنهم في الأذلين، وأنهم هم الأخسرون، وأن الله ورسله هم الغالبون.

وفي ختام السورة نجد صورة كريمة للمؤمن الذي يستعلى بإيمانه ، ويجعل الإيمان هو النسب وهو الحياة ، وهو العقيدة الغالية التي تصله بالمؤمنين والمسلمين ، وتحجب مودته عن أعداء الله ، ولو كانوا أقرب الناس إليه .

وكذلك كان المهاجرون والأنصار الذين ضحوا بكل شىء فى سبيل المقيدة ، فكتب الله فى قلوبهم الإيمان رأيدهم بروح منه ، وجعلهم مثلاً أعلى لكل فئة مخلصة ولكل مسلم مخلص ، فمودة المسلم وحجه وإخلاصه وتعاونه لا تكون إلا للمسلمين الصنادقين ، ثم هو فى نفس الوقت يحجب مودته عن الخائنين وإن كانوا أقاربه أو أمسهاره أن عشيرته .

ومن سمات هذا الدين أن تحب لله وأن تكره لله: أن تجب المتقين ، وتصل المؤمنين ، ويتعاون مع الهداة الصالحين ، وأن تحجب مودتك عن الفاسقين لأنك بهذا تنفذ أمر الله وتهجر من عصى الله . (ومن أُهب من أُهب الله ، فكأنما يحب الله) .

المقصد الإجمالي للسورة

قالُ القيروزبادي:

معظم مقصود سورة المجادلة هو: «بيان حكم الظهار» وذكر النجوى والسرار» والأمر بالتوسع في المجالس» وين من المبادلة المجادلة من الشكلية من المنافقين والفرق بين حزب الرحمن وحزب الشيطان» ٣٠. والحكم على الأول بالفلاح، وعلى الثاني مالنسوان.

قال تعالى: لا تَعِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْهُومِ الْآخِيرِ يُوَاقُونَ مَنْ حَادَّ اللّهُ وَرَسُونَهُ، وَلَوْ كَانُواْ عَامَاعُهُمُ أَوْ الْبَنَاعَهُمُ أَوْ إِخْوَاهُهُمْ أَوْ عَبِيرَتُهُمْ أَوْ لَقِيفِ كَتَبَ فِي قُلُومِهِمْ الْإِيمَانُ وَأَيْسُهُم بِوْرِحٍ مَنْهُ وَيُلْحِيلُهُمْ جَنْسَتِ تَجْرِي مِن تَحْبَهَا الْأَلْهَارُ عَمِلِينَ فِيهَا رَحِينَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَحُواْ عَنْهُ أُولِنُهِا لَهُ جِزْبُ اللّهِ أَلَا إِنْ جِزْبَ اللّ

* * *

أحكام الظهار

مِلْقَةِ ٱلْتَحْزُ ٱلْتَحِيدَ

المطردات :

التي تجادتك في زوجها ، هي خولة بنت ثعلبة بن مالك الخزرجية .

ت ج الالك : تراجعك الكلام في أمره ، وفيما صدر منه في شأنها .

وتشتكي إلى النبيه، تبثُّ إليه ما انطوت عليه نفسها من غمَّ وهمَّ ، وتضُرع إليه أن يزيل كربها . وزوجها : هو أوس بن العسامت ، أخو عبادة بن العسامت .

ت حساورگ ميا : تراجعكما في الكلام ، من حار إذا رجع .

إن أم المهاته ما أمّهاتهم .

رُورِ ؛ كذبا منحرفًا عن الحق .

يعودون الماقالوا: يرجعون عما قالوا، ويريدون وماء نسائهم، بعد أن حرَّموه على أنفسهم.

فت حرير رقبة ، فعليه إعتاق عبد أو جارية .

من قمهل أن يسمساسًا: من قبل أن يجامعها ، وهذا من كنايات القرآن عن المخالطة الخاصة بين الزوج. وزوجته .

ذلك تتؤمنوا بالله ورسوله: ذلك التغليظ في الكفارة لكى تعملوا بشرائع الله التي شرعها ، فلا تعودوا إلى الظهار الذي هو من شرائع الجاهلية .

مسطود السطسة المكام شريعته التي لا يحل تركها.

المسكساف ديسة الذين يتعدون الأحكام ولا يعملون بها .

تمهيد :

هذا الجزء في معظمه توجيهات إلهية للأمة المسلمة ، وهذه السورة مشتملة على هذه التوجيهات ، مبينة لرقابة الله العلى القدير ، وسمعه ومشاهدته ومحاسبته ، وتلبيته لدعاء امرأة من عوام الداس كانت تشكر إلى الله تعالى حالها ، بعد أن ظاهر زوجها منها ، وحرَّمها على نفسه ، كما حرَّمت عليه أمّ ، وقد لامه القرآن على هذا العمل ، ويدَّن أنه منكر وزور ، فالزرجة أحلَّ الله لزوجها جماعها والاستمتاع بها كزرجة ، والأمَّ حرَّم الله زواجها .

ثم ترسم الآيات طريق الحلُّ لمن وقع في هذا المنكر، ويتمثل ذلك فيما يأتي على الترتيب:

١ -- عتق رقبة ، أي إعتاق عبد أو أمة .

٢ - صبيام ستين يومًا متتابعة ، قبل أن يضالط زوجته مضالطة الأزواج .

٣ - إطعام ستين مسكينا .

وهذه الأمور الثلاثة على الترتيب ، فإذا كان لا يستطيع إعتاق عبد لعدم وجود الرّق ، فإنه مكلف بصيام ستين يوما متنابعة ، فإذا كان لا يستطيع ذلك ، فإن عليه أن يطمم ستين مسكينًا ، وهذه العقوبة ليرتدع الناس عن الحلف بالظهار ، ويتربوا عن إيقاع الظهار على زوجاتهم ، ويلتزموا بهدى الله وتنفيذ ما أمر يه .

سبب التزول

جاء في مختصر تفسير ابن كثير ، تحقيق محمد على الصابوني ، ما يأتي :

ررى الإمام أحمد، عن حولة بنت ثعلبة، قالت: في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة، قالت: كنت عنده، وكان شيغًا كبيرًا قد ساء خلقه، قالت: فدخل على يومًا فراجعته بشي، فغضب، فقال: أنتر على كظهر أمى، قالت: ثم خرج فجلس في ثادى قومه ساعة، ثم دخل على ، فإذا هو يدون عن نفسى، قالت: قلت: كلا والذي نفس خولة بيده لا تخلص إلى وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله يريدني عن نفسى، قالت: قلت: كلا والذي نفس خولة بيده لا تخلص إلى وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه ، قالت: فواثبني فامتنعت بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقيته عنى، قالت: ثم خرجت حتى جكت إلى رسول الله في فجلست بين يديه، هذ فذكرت له ما لقيت منه وجعلت أشكر إليه ما ألقي من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله في يقول: «يا خولة ، قالت: فعل رسول الله في يقول: «يا خولة ، قالت: فبعل رسول الله في يقول: ثم غربت حتى نزل في قرآن، فتغشى رسول الله في ما حيك قرآن، فتغشى المال أله والله يك وفي وضاحيك قرآناه ، ثم قرآ على: فند سعة بالله قلك أله وأله أن يتفشأه، ثم سُرى عنه فقال لي: «يإ خولة، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآناه ، ثم قرآ على: فند سعة بأله قول أنهي بُعرَدلُك في رُوجِها وَنشكي أبي الله وَلله يكم في وفي أن آلله بُسمع تُبعر على الله عالم الله عالم ما عنده ما يعتق ، قال: «فلوم مشهرين متنابعين»، قالت: فقلت: والله إنه لسول الله ما ذلك عنده ما يعت من صيام، قال: «فلوم الله يا وسول الله ما ذلك عنده، قالت: فقال رسول الله ما والله الله عنده ، قالت: فقال رسول الله ، وقاله على معرف غيمة ، قالت: فقال وسول الله ، وقاله على معرف أه التوصي بابن عمك غيراً ه قالت: فقلت: والله يا رسول الله أه أناله سأعينه بعرق من تمره ، قالت: فقلت : يا رسول الله ، وقالت أنقلت: فقلت : قالت : فقلت الم سازن عمك غيراً ه قالت : فقلت الم الله غيرة ، فقلت : فلعت ، فلم استوصى بابن عمك غيراً ه قالت : فقلت : قالت : فقلت : قالت : فقلت أنه سائد فقعله أه . قالت : فقلت : فلم استوصى بابن عمك غيراً ه قالت : فقلت الم سائلة عقلت : فقلت : فقلت

هذا هو الصحيح في سبب نزول هذه السورة .

التفسيره

١ - قَدْ سَمِمْ ٱللَّهُ قَوْلُ ٱلَّتِي تُجَدِيلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِينَ إِلَى ٱللَّهِ وَ ٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ ٱللَّهُ سَمِيعٌ بَعِيرٌ.

بهذه البداية الراتعة تبدأ سورة المجادلة ، وتسمَّى المجادَلة بفتح الدال ، والمجادِلة بكسرها ، وكلاهما جائز .

والمجاربة بكسر الدال هى خولة بنت ثطبة ، وزرجها هو أوس بن الصامت ، أهو عبادة بن الصامت الصمابى الجليل .

وكان أوس بن الصامت قد كبرت سنّه وساءت خلقه ، فدخل على زوجته يوما فراجعته فى شىء ، فغضب ، وقال لها: أنت على كظهر أمّى ، وكان هذا أول ظهار فى الإسلام ، وكان الرجل فى الجاهلية إذا قال ذلك لامرأته حرمت عليه ، فندم أوس من ساعته ، وجاءت زوجته خولة بنت ثعلبة النبى ﷺ تشكر حالها وتقول: يا رسول الله ، إن زوجى أوس بن الصامت تزوجنى وأننا شابة مرغوب فى ، لى مال وجمال وعشيرة ، فانتظر حتى نهب مالى ، وولى جمالي وتغرق أهلى فظاهر منى ، وقال لى : أنتو على كظهر أمى ، فإن كنت تجد لى رخصة يارسول الله ، تجمعنى بها وإياه فحد ثنى بها ، فقال ﷺ : «ما أمرت فى شأنك بشىء حتى الآن ، ما أراك إلا قد حرمت عليه» .

قالت : يا رسول الله ، إنّى أنجيت منه أولاداً ، كان يطنى لهم وعاء ، وكان ثديى لهم سقاء ، وكان حجرى لهم كفاء ، وإن شممتهم إلىّ جاعرا ، وإن شمهم إليه شاعوا .

وجملت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم إنى أشكر إليك خراب بيتى وتشرّد أولادى وضياع زوجى، اللهم فأنزل على لسان نبيك، وما برحت حتى ظلل على رسول الله ﷺ، ونزل القرآن فيها، ا فقال ﷺ: «يا خولة، أبشرى»، قالت: خيرا، فقراً عليها هذه الآيات الأربح من أول سورة المجادلة.

ونلحظ استجابة السماء، واستجابة الله العلى القدير ، مالك الملك والملكرت ، ذى العزة والجبروت ، لاهرأة من عوام الناس ، ونزول القرآن بشأنها ، واستماع الله لشكراها ، وحوارها مع رسول الله ﷺ .

ومعنى الآية :

لقد استجاب الله أو سمع قول المجادلة خولة بنت ثعلبة التى جاءت إليك تجادلك فى شأن زوجها الذي ظاهر منها ، وقال لها : حرمت على كما حرمت على أُمّى ، وجعلت تجادلك ، وتردّ عليك ، وتقول إن زوجها لم يذكر طلاقا ، وإنما ذكر الظهار فقط ، ثم اتجهت بشكواها إلى الله وهو سبحانه يسمع تحاورها معك أيها الرسول ، وترديدها للشكوى ، إن الله سَمِح على شىء مهما كان خفيا أو هامسا ، بَعمِسر ، بكل شىء مهما كان خفيا أو هامسا ، بَعمِسر ، بكل شىء مهما كان دقيقا ، فسبحانه وتعالى من سميع بصيو .

أخرج البخارى ، والنسائى ، عن غائشة رضي الله عنها ، قالت : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلة خولة إلى رسول الله ﷺ في جانب البيت ، ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله عز وجل :

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَلِيلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيَّ إِلَى ٱللَّهِ وَ ٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمْمَا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ .

والآية بعد ذلك وقبله ، رسالة مرجهة إلى كل قلب : ما أقرب الله إليك وأنت لا تشعر قريه ، وما أحبك إليه وأنت لا تشعر حبّه ، إنّه يسمعك ويراك ، ويعلم متقلبك ومثواك ، ألا تستحيى منه حق الحياء ، بأن تحفظ السم وما وعى ، والبطن وما حرى ، وأن تذكر الموت والبلى .

والآية مرجهة إلى كل زرج وزوجة : حافظوا على بيوتكم ، وعلى أولادكم ، وعلى استقراركم ، وعلى استقراركم ، وعلى غشّ الزوجية هادئاً هادئاً بالمودة والرحمة ، والألفة والتضحية ، والمعبر والوفاء ، فيهذه الصفات تربّى الأسر ، وتنشأ الغربة المنفيرة في كنف العطف والرعاية ، ونجد شبابا صالحا وقتهات صالجحات ، يساهمون جميعًا في مجتمع سليم وأمة كريمة ، لتكون بحق : خَيْرُ أَلْهُ أَصْرَجَتْ لِلنَّاس ... (لا عمران ١٩٠٠).

اللَّذِينَ يُطَاعِبُونَ مِنكُم مِّن نَسْتَابِهِم مَّا هُنْ أَمُهَاعِهِمْ إِنْ أَمْهَائِهُمْ إِلَّا ٱلنَّتِي وَلَدَتَهُمْ وَإِنْهُمْ تَقُولُونَ مُنكُوا مِن اللَّهَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ أَمْهَائِهُمْ إِلَّا ٱلنَّتِي وَلَدَتَهُمْ وَإِنْهُمْ تَقُولُونَ مُنكُوا مِن اللَّهَ لَدُولُ وَنَا وَإِنْ أَلَمْهَا لَهُمْ وَاللَّهُمْ وَاللَّهُ لِللَّهُ لَقُولًا مِن اللَّهُمْ وَاللَّهُمْ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمْ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُمُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُمْ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُ لَلَّهُمْ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللّلِمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّالِمُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّالِمُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّالِمُ وَاللَّالِمُ

تبيَّن هذه الآية حكم الظهار ، وأنه حرام وعدوان ، بل قال بعضهم إنه من الكبائر ، لأنَّه إقدام على تبديل حكم اللَّه بغير إذنه ، ولهذا أرجب فيه الكفارة العظمى تأديبا للمسلم ، وتحذيراً لغيره من هذا السلوك.

والمعنى:

الذين يحرِّمون زوجاتهم على أنفسهم ، ويقول الواحد منهم لزوجته : أنت على كظهر أمَّى ، هم خاطئون مزوِّرون ، قائلون للمنكر والكذب ، فالزوجة ليست أمَّا ، ولا تأخُذُ حكم الأمَّ .

الأمّ مى التى ولدتك وأرضعتك ، وأوجب الله لها الخضوع والطاعة ، وحسن المعاملة والتلطف ، والبرّ وعدم المقرق ، والزوجة أخل الله لك الاستمتاع بها ، وأمرك بحسن عشرتها ، وعند نُشُورُها أمرك بوعظها وهجرها ، وضربها ضربًا غير مبرّح ، رغبة في استدامة العشرة ، وأوجب عليك الصبر عليها ، والنفقة والمودة والرحمة .

أما أن تقول لها : أنت على كظهر أمّى ، فهذا منكر ينكره الشرع والطبع ، وهو زور وكذب وباطاره فأقلموا عنه ، وتربوا إلى الله منه ، فإن الله عظيم المُفّر عن التانبين ، وهو واسع المغفرة وعظيم الرحمة لكلّ تُوّاب مهتر، نادم على ذنهه ، رجّاع إلى ربّه . ٣ – وَٱلَّذِينَ يَطَّنِهُوونَ مِن تُسَاتِهِمْ فُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَصَغْرِيرُ وَلَيْةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَالُسَا فَالِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ .

الذين يظاهرون من نسائهم ويحرّمون زوجاتهم عليهم كما حرّمت أمهاتهم ، ثم يعدلون عن رغبتهم في التحريم ، ويرجمون عن تولهم : أنت علي كظهر أمى ، أو يرغبون في جماع زوجاتهم ومعاشرتهن ، والعدول عن التحريم والعودة مرة أخرى إلى الحياة الزوجية ، هؤلاء يلزمهم تحرير رقبة . أى : عتق عبد أو أمة من قبل أن يجامع زوجته .

هذا وعظ رتأديب وتربية من الله تعالى لهرّلاء المظاهرين ، والله مطلع على أعمالكم ، خبير بكل ما تفعلونه ، فراقبره سبحانه حتى يطلع منكم على قلب سليم وسلوك مستقيم .

٤ - فَمَن لَمْ يَنجِدْ فَهِيمَامُ شَهْرَيْنِ مُسَاجِعْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتْمَاشَا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْفَامُ سِشِّينَ مِسْكِيمًا ذَ لِكَ ثِلْقِيمُوا
 بَاللّهِ وَرَسُولِهِ وَيَلْكَ خُدُودُ ٱللّهِ وَلِلْكَنْهِرِينَ هَذَابٌ أَلِيشٍ

تفيد الآيات ما يأتي:

من قال لامرأته : أنت على كظهر أمّى ، ثم ندم ورغب فى الرجوع إلى الحياة الزوجية مع زوجته ، فعليه كفارة بفعل واحدة من ثلاث على الترتيب :

أولا : عنق رقبة ، فإن عجز عن ذلك - كما في هذه الأيام لعدم وجود أرقاء أصلا - انتقل إلى الكفارات الأخرى .

الها: صيام ستين يوما متنابعة من قبل أن يجامع زوجته.

ثالثًا: إذا عجز عن الصيام ، فإنه يطعم ستين مسكينا طعاما مشيعاً كافيا .

وهذه الأمور على الترتيب ، فلا يلجأ إلى الصيام إلا عند العجز عن عتق رقبة ، ولا يلجأ إلى الإطعام إلا عند العجز عن صيام ستين يوما متتابعة ، فإذا عجز عن الصيام أطعم ستين مسكينا إطعاما مشبعا .

وذهب الشافعي رغيره إلى أنه يكفيه إعطاء مدُّ ولحد لكل مسكين ، ورأى أبو حنيفة جواز إعطاء القيمة ، بل هي أفضل إذا كانت أنفم للفقير .

ريمكن تقدير قيمة إطعام الفقراء بزكاة الفطر التى قدُرها العلماء بخمسة جنيهات عن كل فرد في شهر رمضان سنة ١٤٢١ هـ ، فنقول : يعطى لستين مسكينا ، كل مسكين منهم خمسة جنيهات ، أو ما يعادلها ، فمن تطوع خيراً فهو خير له ، بأن يضاعف القيمة إذا كان من أهل اليسر ، فيعطى لكل مسكين ١٠ جنيهات ٣٠٠ = ٢٠٠ جنيه (ستماثة جنيه) ، مقدار الكفارة للمظاهر من زوجته .

ذَ لِكَ لِتُوْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَنْفِرِينَ عَذَابٌ ٱلِيمٌ.

لقد شددنا العقوية حتى يرتدع المتلاعبون بحرمات الله ، وتكون هذه العقوية رادعا للمعتدين ، ليعودوا إلى طريق الإيمان بالله ورسوله ، واحترام أوامر الشرع ، والالتزام بآداب الدين ، وهذه حدود الله وأحكامه الفاصلة بين الحق والهاطل ، فالزموها وقفوا عندها ، ومن استهان بحدود الله ، وصدًّ عن شرائعه ، وكفر بهديه ، فله عذاب أليم موجم في الأخرة .

وإطلاق لفظ الكافرين على المتعدِّى على حدود الله للرَّجر والردع.

كما قال سبحانه وتعالى : وَلِلْهِ عَلَى آلنَّاسِ حِجُّ آلَيْسَتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهُ عَنِيٍّ عَنِ آلفِذَلَهِينَ . (ال عدل: ٩٧).

هي أعقاب الآيات

في هذه الآيات الكريمة تكريم للمرأة ، ورفع لفين الجاهلية عنها ، حيث نهى القرآن عن الظهار واعتبره منكرا وزورا ، ثم سجل عقوبة كبيرة على قائله ، ليردّه إلى حظيرة الإيمان ، ولم تكن الآيات أحكاما شرعية فحسب ، وإنما ضمت إلى ذلك تكريم المرأة وإنصافها ، واستجابة السماء لها ، ولا عجب إذا رأينا الخلفاء يكرمون المرأة ، ويستمعون لشئونها ويلبّون طلبها ، ويكرمون خولة بنت ثطبة ، ويقولون : قد سمع الله تعالى لها .

من التفسير الوسيط بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، وتفسير ابن كثير :

روى ابن أبى حاتم ، والبيهقى فى الأسماء والصفات: أن خولة بنت تعلية رأت عمر رضى الله عنه وهو يسير مع الناس ، فاسترقفته ، فوقف لها ودنا منها وأصفى إليها ورضع يده على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ، حبست رجال فريش على هذه العجوز ، قال : ويحك ، أتدرى من هذه ؟ قال : لا قال : ويد المؤمنين مسمولات من فوق سبح سماوات ، هذه خولة بنت ثعلبة ، والله لو لم تنصرف حتى أتى الليل ما انصرفت حتى تقضى حاجتها . (4).

وفي رواية تُخرى: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه والناس معه على حمار، فاستوقفته طويلاً ووعظته ، وقالت: يا عمر ، قد كنت تدعى عُميراً ، ثم قيل لك : عمر ، ثم قيل لك : يا أمير المؤمنين ، فاتق الله يا عمر ، فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت ، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب - وهو واقف يسمع كلامها - فقيل له : يا أمير المؤمنين ، أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف ؟ فقال : والله لو حبستني من أول النهار إلى أخره لازات إلا للصلاة المكتوبة ، أتدرون من هذه العجوز ؟ هي خولة بنت ثعلبة ، سمع الله قولها من شق سبع سمارات ، أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر ؟ أ.

الرقابة الإلهية

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللّهَ وَرَسُولُهُ وَكُونًا كَمَاكُيتَ اللّذِينَ مِن قَبْلِهِ مُّ وَقَدْ أَنزَلْنَا ءَايَسْتِ بِيَنْسَوَّ
وَلِلْكَفِينِ عَذَابٌ تُهِينٌ ۚ يَوْمَ بَبْعَتُهُمُ اللّهُ جَمِيعًا فَيُنَتِّعُهُ هُ عِمَا عَمِلُوا أَحْصَلُهُ
اللّهُ وَنَسُوهُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَهُم بِنَعْتُهُمُ اللّهُ جَمِيعًا فَيُنتِعُهُم عَلَيْ السّمَعُونِ وَعَافِى الْأَرْضِيُّ
مَا يَكُونُ مِن مَنْ عُونَى ثَلْنَعُ إِلَّا هُورَ مَا يَعْهُمْ وَلَا خَسَهَ إِلَّا هُورَ سَادِ شُهُمْ وَلَا آذَنَى مِن
مَا يَكُلُونُ وَلاَ أَكُمْ إِلّا هُو مَمَهُمْ أَيْنَ مَا كَافُوا أَثْمَ يُنْتِيمُهُم بِمَا عَلُوا يَقِمُ الْقِينَةُ إِنَّ اللّهُ بِكُلِّ مَنْ عَلَيْهُ مَا عَلَيْهُ مُنْ مَنْهُمْ أَيْنَ مُلْكُولًا مُنْ اللّهُ مِنْ مَنْهُمْ أَيْنَ مُنْ اللّهُ وَلَا اللّهُ مِنْ مَنْهُمْ أَيْنَ مُنْهُمْ مِنَاعِمُ وَالْمَعْمُ الْقِينَةُ إِنَّ اللّهُ وَلَا مُنْ اللّهُ وَلَا اللّهُ مِنْ مَنْهُمْ أَيْنَ مُنْ اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ مِنْ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ مُنْ مَنْهُمْ أَيْنَ مُنْ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَيْكُولُونُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ مِنْ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَهُمْ اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلَا اللّهُ مُنْ مَنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

المفردات:

يسمع الدون ، يشاقون ويعادون ، وأصل المحادة : الممانعة ، ومنه قبل للبواب : حدّاد .

كُبِ مست مستوا، خُذلوا، وقال المهرد: كبت الله فلانا، إذا أذله، والمردود بالذل مكبوت.

مسمه مسهدن، يلحق بهم الهوان والذلّ .

فينبنهم بما عملوا ، يخبرهم بأعمالهم توبيخاً وتقريعاً لهم .

أحصساه السلسة وأحاط به عدًا ، ولم يقب عنه شيء منه .

شب هسيسد ، مشاهد لا يخفي عليه شيء .

السمام تسماره ألم تعلم .

مسا يسكسون : ما يوجد .

Seen

تحدثت آيات سابقة عن رعاية الله للمؤمنين ، واستجابته لشكرى المجاولة ، وهنا يتهدد المخالفين الذين يعادون حدود الله وأحكامه ، ويُغرُّون من أوامره وشرائعه ، بأن الله سيذلهم كما أثلَّ من كفر بالرسل بالغرق وأنوان الهلاك ، أو كما أذرًا قتلى بدر وأذلَّ قريشًا ومن شايعها ، ثم يلفت نظرهم إلى يوم القيامة ، حيث يخبرهم بأعمالهم كاملة ، ويجازيهم عليها جزاءً وفاقًا .

وتمسرُر الآيات علمه تعالى الشامل ، وإحاطته بكل ما فى السماوات والأرض ، فهو يعلم السرُ والنجوى ، لا يتناجى ثلاثة إلا كان رابعهم ، ولا يتناجى خمسة إلا كان سادسهم ، ولا يتناجى أقل من ذلك ولا أكثر إلا كان معهم بعلمه وإحاطته ، ثم يخبرهم بما عملوه يوم القيامة ، إنه سبحانه بكل شيء عليم ، إن هذه الرقابة الإلهية هى التي أيقظت الضمائر والقلوب ، وجعلت الإنسان مراقبًا لله ، خائفًا من معصيته ،

التفسيره

إِنْ ٱللِّينَ يُعَادُونَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ, كُينُوا كَمَا كُبِتَ ٱللَّينَ مِن قَلِهِمْ وَقَدْ أَنزَتُنَا عَتِيدَتِم يَتَشَدَّعِ وَلِلْكَلْهِوِينَ
 غذاب مُهينٌ .

المحافة : المعاداة والمشالفة في الحدّ ، أي : الذين يختارون لأنفسهم حدردًا غير ما حدّه الله ورسوله ، فهم ينفرون من حدود الله وأحكامه ، ويرتضرن أحكاماً تضالفها وتضادّها ، هزّلاء أهزاهم الله وأذلّهم كما أذلّ أعداء للرسل ، من عهد نوح ومن بعده من المرسلين .

لقد شرّع الله الشرائع ، وفصُّل الآيات ، وحدَّد الحدود ، ونظَّم المواريث والآماب ، وأمر بغض البصر وحفظ الفروج ، والبعد عن الزنا والريا ، وأمر بصلة الأرحام وير الوالدين وإكرام الجار ، ورعاية اليتامي والمساكين ، والضعفاء والفقراء ، ونهى عن الرشوة وأكل أموال الناس بالباطل ، وأكمل الله دينه .

قال سبحانه وتعالى : آلْيُومُ أَخْمَلْتُ لَكُمْ فِيَنَكُمْ وَأَمْمُتُ عَلَيْكُمْ فِعْمَى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْوِسْلَمْ فِينًا ... (العائدة: ٢)

فهناك وعيد عظيم لمن وضعوا أمورًا خلاف ما حدده الشرع ، وسموها قانونًا .

قال الآلوسي والمراغي في تفسير الآية:

نعم إنه لا بأس بالقوانين السياسية ، إذا وقعت باتفاق ذوى الآراء من أهل الحلّ والعقد ، على وجه يكون به انتظام شمل الجماعات ، إذا كانت لا تضالف في أحكامها روح التشريع الديني ، كتعيين مراتب التأديب للزجر على المعاصى والجنايات التى لم ينص الشارع فيها على حدَّ معين ، بل فرَّض الأمر فيها للإمام ، وليس في ذلك محادة لله ورسوله ، بل فيها استيفاء لحق الله على الرجه الأكمل .

وفي كتاب (الخراج) للإمام أبي يوسف إشارة إلى ذلك ، ويرشد إلى هذا عدم النكير على أحد من المجتهدين إذا قال بشيء لم يكن منصوصاً عليه بخصوصه ، ومن ذلك ما ثبت بالقياس بأقسامه [™].

وبليل الاجتهاد فيما لم تنص عليه الشريعة أن النبي ﷺ عندما أرسل معاذ بن جبل الأنصاري الغزيجي إلى البيم إلى المحاذ بن جبل الأنصاري الغزيجي إلى اليمن قاضيًا ومنفقهًا وأميرًا وجامعًا للزكاة ، قال له : «كيف تصنع إذا عرض لك قضاء» ؟ قال: «هأن قال: «هأن الله ﷺ قال: «هأن لم يكن في كتاب الله» تقال: فيسنّة رسول الله ﷺ قال: «هأن لم يكن في سنّة رسول الله ﷺ قال: «فضرب رسول الله ﷺ صدري ثم قال: «فضرب ألى الله الله الله الله الله الله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله» " . (رواه أحمد ، وأبر داود ، والجو داود ، والخود والخود والعرب والخود والجو داود ، والخود والعرب والخود والعرب والخود والعرب والخود والعرب والخود والعرب والخود والخود والخود والعرب والخود والعرب والخود والعرب والخود والخود والخود

٣ - يَوْمَ يَتَعَلُّهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنْبُعُهُم بِمَا عَمِلُواْ أَحْصَاهُ ٱللَّهُ وَلَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلَّ شَيْءٍ شَهِيدٌ .

في الآية السابقة ذكّر سيمانه هوّلاء المحادّين لله ورسوله بالخزى والهوان في الدنيا ، وبالحذاب التديد في الأخرة .

وهنا يقول: انكر لهم أيها الرسول الأمين يوم يبعثهم الله جميعًا للحساب والجزاء ، فيخبرهم بأعمالهم ، ويما كسبت أيديهم من ظلم وعسف ، لقد أحصاه الله وضبطه وحفظه ، وهم قد نسوه وأهملوه ولم يتذكّروه ، وظنوا أنهم لن يحاسَبُوا عليه .

وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلُّ شَيْءٍ شَهِيدٌ .

هو مطلع وشاهد ، وعالم وناظر لا تخفى عليه شافية ، وهو سبحانه بكل شىء عليم ، فَيَا رَيْحُ مَن بارزه بالمعاصى ، ويا هلاك من استهان بحدود الله ، وزيّنت له نفسه أن تشريع البشر أحسن أو أهكم من تشريع الله ، وهو سبحانه الخالق الرازق العليم بما يُصلع عباده .

الله تَرَ أَنَّ اللَّه يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَـٰ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَعْقَى فَلَنَّةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا عَمْسَةٍ إِلَّا هُو سَعْهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتُهُم بِمَا عَبِلُوا بَوْمَ الْقِينَـ مُدَاوِنَ اللَّهُ بِكُلُ شَيْءٍ
 هُو سَاوِسُهُمْ وَلَا أَذَنَى مِن ذَالِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُو مَعْهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتُهُم بِمَا عَبِلُوا بَوْمَ الْقِينَـ مُدَاوِنَ اللَّهُ بِكُلُ شَيْءٍ
 عَلِيمٌ .

تشير الآية إلى علم الله الواسع ، ورقابته وشهادته وحضوره بالرؤية والمعية المعنوية ، فهو سبحانه منزه عن الكم والكيف ، ومنزه عن أن يكون جسما أو حالاً في جسم ، فمعية الله للبشر معية ، قابة ، ومشاهدة ، وعلم واطلاع ، وهو سبحانه لا يحلّ في مكان ، ولا يمرّ عليه زمان ، وكل من المكان والزمان من خلقه تمالى ، فلا يجتمع ثلاثة إلا كان رابعهم ، ولا خمسة إلا كان سادسهم ، ولا أقل من ذلك العدد ولا أكثر منه ، إلا هو معهم بعلمه وشهادته ، ثم يخبرهم بأعمالهم التي عملوها يوم القيامة ، فهو سيحانه محيط بكل كلام ، عليم بكل شيء .

أما لماذا خص العدد بذكر ثلاثة أن خمسة ، أن أقل أن أكثر ، فهو مجرد مثال ، والعدد غير مقصود ، لأنه تعالى يعلم ما فوق ذلك وما دون ذلك ، لكنه على طريقة القرآن في إبراز المعنى المجرد ماثلاً في صعور ملموسة مصورة أشخاص يتناجون ، اثنان كل منهما يقاوم الآخر ، وثالث يكون بمنزلة الحكم ، فالله تعالى مطلع ومشاهد لهذه المجموعة ، أن لمجموعة أكثر منها أن أقل منها ، إنه محيط بالأفراد والله و ربالجماعات ، وبالعائلات والأسر والبلاد ، وهو سبحانه بكل شيء عليم ، ويهذا العلم المحيط يحاسب عباده يرم القيامة .

قال تعالى : أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهُ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىلَهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلْمُ ٱلْفُيُوبِ . (التوبة : ٧٨) .

ولعلنا نلمح من الآية أن المنافقين واليهود كانوا يتناجون في جماعات قليلة العدد ، ثلاثة أو خمسة ، فكشف الله سترهم ، وأخيرهم أنه عليم بهم ، مطّلع على مناجاتهم ، وسيحاسبهم ويجازيهم على ذلك يوم القيامة .

قال تعالى: أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرُّهُمْ وَنَجْوَسْهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَذَيْهِمْ يَكُتُبُونَ . (الزهرف: ٨٠) .

من تفسير ابن كثير

حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بقوله تعالى: وَلاَّ أَذَلُوا بِن ذَلِكَ وَلاَّ أَكُنُ إِلَّا فُوَ مُعَهُمْ ... معية علمه تعالى، ولا شك في إرادة ذلك، ولكن سمعه أيضًا مع علمه محيط بهم، ويمسره نافذ فيهم، فهو سبحانه مطلع على خلقه ، لا يغيب عنه من أمورهم شيء، ثم قال تعالى: ثُمَّ يُسْتُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمُ آلْفَيْمَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ مُطَيِّمٌ عَلِيمٌ ... فَهُمْ يُسْتُهُم مِعَا عَمِلُوا يَوْمُ آلْفَيْمَةٍ إِنَّ ٱللَّهُ بِكُلِّ مُصْرَعً عَلِيمٌ ...

قال الإمام أحمد: افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم.

الثجوي

﴿ اَلَمْ مَرَ إِلَى اَلَّذِينَ نَهُوا عَنِ النَّجُوىُ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنَهُ وَيَنَنَجُونَ بِالْإِشْدِ وَالْمُدُونِ
وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيْوَكَ بِمَا لَهُ يُحِيَّكَ بِهِ الشَّوْمِيَةُ وَلَّونَ فِي اَنْفُسِمِمْ لَوَلاَيُعَيِّكَ بِهِ الشَّوْمِيَةُ وَيَقُولُونَ فِي اَنْفُسِمِمْ لَوَلاَيْعَيْرُكُ اللَّهُ إِلَا اللَّهِ مِنَا اللَّهِ مِنَا اللَّهُ ا

المفردات :

الثاين تهوا عن التجوى ، هم اليهود والمنافقون .

الإشـــــم، المعصية والذنب.

السمسعم سيدوان: الاعتداء على غيرهم ، كمعصية الرسول ومخالفته .

لولا يعذبنا الله، علا يعذبنا بسبب ذلك.

حسيهم جهتم، عذاب جهنم كافر لهم في الآخرة.

يصمل والمهاء يقاسون حرها.

تمهيد،

كان اليهود والمنافقون يُبيِّدون السوء المسلمين، ويتهامسون ويتفافتون في أقوالهم ، فإذا مرّ بهم أحد المسلمين أوممر أم المسلمين أوممره أن شرا قد أصاب أقاريه ، فاشتكى المسلمين ذلك لرسول الله قي ، فنهى اليهود عن ذلك ، ونصح المنافقين بالابتعاد عمّا يسىء إلى مسلم ، لكنهم عادوا إلى الاثم والعدوان ، فنزلت الآيات تفضيهم وتكشف سوء أدبهم ، فقد كانوا يقولون في الفيم عليكم) وهو الموت ، ثم يقولون في أنفسهم : لو كان رسولاً لعذبنا الله للاستخفاف به ، فتوعدهم الله بعذاب جهنم ، وفيه كفاية وجزاء لأعمالهم.

ثم نصبح الله المؤمنين بأن يكون تناجيهم بالبر والتقوى ، والصالح العام ، ولا يكون بالإثم والعدوان كما يفعل اليهود والمنافقون ، ثم بين القرآن أن التناجي بالإثم والعدوان من الشيطان ووسوسته لليهود والمنافقين ، حتى يحزن المؤمنون بهذه النجوى ، مع أن المؤمنين في حرز من الشيطان بالإيمان بالله وقدره ، والتوكل غليه .

التفسيره

٨ - أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلشَّعْوَى ثُمَّ يَشُو دُونَ لِمَا نَهُواْ عَنْهُ وَيَسْتَخِوْنَ بِٱلْوِهْمِ وَٱلْمُدُونِ وَمَعْمِيسَتِ ٱلرَّسُولِيرِ
 وَإِذَا جَاءُوكَ خَيُوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي ٱلْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَدِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَشَيْهُمْ جَهَتُمْ يُصَلَّوْنَهَا فَيْمِسَ
 النصير "

تغيد هذه الآيات أن فريغًا من اليهود والمنافقين كانوا يكيدون للإسلام والمسلمين ، ويتناجون بما يسوء بعض المسلمين ، وقد اشتكى للمسلمون إلى رسول الله ﷺ ، فنهى اليهود عن ذلك ، ونصح المنافقين بالبعد عنه ، اكتبهم عاودوا هذه المناجآة فينا بينهم .

قال القرطي:

نزلت في اليهود والمنافقين ، كانوا يتناجون فيما بينهم ، وينظرون للمؤمنين ويتغامزون بأعينهم ، شَكَّرُا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا ؛ فنزلت .

وفى الآية تعجيب من حالهم ، أى : ألم تشاهد يا كل من يتأثى منه المشاهدة ، الذين نهاهم الرسول
عن النجوى بالإثم والكود ، ثم هم يعودون لما نُهوا عنه ، ويكرون العودة إليه ، لأن الفعل المضبارع
يغيد الحال والاستقبال والتجدد ، فقد كان اليهود والمنافقون شوكة فى جنب المسلمين ، وكانوا يتناجون
فى صوت خافت بالكيد والدس والفتنة والأذى للمسلمين ، ومخالفة أمر الرسول قي ومن سوء أدبهم أنهم
كانوا إذا دخلوا على الذبي قي قالوا له : (السّام عليكم) ، وهى كلمة عبرية معناها : الموت عليكم ، مع أن
الله حيا رسوله فى التشهد بقوله : «السلام عليك أيها الذبي ورجمة الله وبركاته».

وقال سبحانه وتعالى : إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَّتِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَثَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَاشُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلُمُواْ تَشْلِيمًا . (الأحزاب: ٥٠).

وقال تعالى : وَسَلَامٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ . (الصافات : ١٨١) .

وقال سبحانه وتعالى: وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَعَيْ ... (النمل: ٥٩).

وقد روى البخارى ومسلم وغيرهما ، عن عائشة وضمى الله عنها ، أن أناسًا من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا : السَّام عليك يا أبا القاسم ، فقال ﷺ : «وعليكم» . قالت عائشة : قلت : عليكم السام ، ولعنكم الله وغضب عليكم . وفن رواية : عليكم السام والذام واللعنة . فقال ﷺ: «يا عائشة ، إن الله لا يحب الفاحش رلا المتفحش» ، فقلت : ألا تسممهم يقولون : السام ، فقال : «يا عائشة ، أو ما سمعت أقول وعليكم» ؟ فأنزل الله تعالى : وَإِذَّا جَآءُوكُ ... الآية ™.

وهذا يدُل على الدور السيئ لليهود ، وإيذائهم للإسلام ولرسول الله ﷺ .

وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَدِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ...

ويقرلون فيما بينهم : هلاّ يعذبنا الله بهذا القول لو كان محمد نبيًّا ، قلو كان نبيًّا حقًّا لعذبنا الله على هذا الكلام .

قال في ظلال القرآن:

وظاهر من سياق السورة ، من مطلعها ، أن الله قد أخبر الرسول ﷺ بما كانوا يقولونه في أنفسهم ، ويعجالسهم ومؤامراتهم . ا هـ.

حَسَّبُهُمْ جَهَتُمُ يَصْلُوْنَهَا فَبِنْسَ ٱلْمَصِيرُ .

إن الله مطّلع وشاهد على مرّامراتهم دخيانتهم ونجواهم ، واجتماعاتهم المشتملة على الكيد والدسّ وتبييت السوء للمسلمين ، وقد كشف أمرهم في الدنيا ، وأجّل العقوية الكبرى إلى الأخرة ، حيث يصطلون بنار جهنم ، ويقاسُون حرّها ولهيبها ، والهوان والخزى والذلّ في عذابها .

قال ابن العربي :

كانوا يقولون: لو كان محمد نبيًّا لما أمهلنا الله بسبَّه والاستغفاف به ، وجهلوا أن البارى حليم لا يعاجل بالعقوبة .

وقد ثبت في الصحيح: «لا أحد أصبر على الأذي من الله ، يدعون له الصماحية والوك ، وهو يعافيهم ويرزقهم»، فأذل الله تعالى هذا كشفًا لسرائرهم ، وغضمًا لبواطنهم ، وتكريمًا لرسوله ﷺ (١٠٠٪

٩ - يَكَأَيُّهَا ٱللَّهِينَ ءَامْتُواْ إِذَا تَشْجَيْتُمْ فَلا تَشْلَجُواْ إِلَّالِالْمِ وَٱلْعَلَوْانِ وَمَعْمِينَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَشْجَوْاْ إِلَّالِي وَٱلطَّوْئِى
 وَأَقُواْ ٱللّٰهُ ٱللّٰهَ ٱللّٰمَ إِلَيْهِ مُحْشَرُونَ .

يرّدب الله المسلمين بذلك الأدب الإلهي الذي يجعل المسلم مراقبًا لله في السرّ والنجوى ، فينادى الله المرّمنين بأن يكون تناجيهم الخافت وحديثهم الخاص مضالفًا لمناجاة اليهود والمنافقين . فَلَا تَتَمَاجُواْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدُوانِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرُّسُولِ ...

وفيه تربية وتعريض باليهود والمنافقين.

وَتَنَاجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلنَّقُوَىٰ ...

أي: لا تتناجى بالشرّ والعدوان على الغير ، أن السوء والكيد ، أو مخالفة أمر الرسول ﷺ ، بل عليكم بالتناجى بالخير والعفاف ، والطاعة والتقوى ، والبعد عما نهى الله عنه .

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيَّ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ .

وراقبوا الله الذي يراكم ، ويطّلع على مناجاتكم ، ولا تخفى عليه خافية من شئونكم ، ثم يحاسبكم عند العشر والجزاء يوم تحشرون وترجعون إليه .

أي: إن الشيطان هو الذي يحرض المنافقين واليهود على التناجي بالسوء والعدوان ، وإيذاء المسلمين وإيهامهم أن سوءا قد أصاب أقاريهم ، هذه حيل الشيطان في تحريض أتباعه ، ليفعلوا أشياء تصبيب أحد المسلمين بالحزن ، أو الرعب أو الخوف ، مع أن عقيدتنا في القضاء والقدر تغيد أن أحدًا لا يضر أو ينفع إلا بإذن الله ومشيئته وإرادته ، وعلى الله وحده فليتوكل وليعتمد وليفق المؤمنون ، ولا يبالوا بنجوى المنافقين ، فإن الله يعصمهم من شرهم وكيدهم .

أخرج البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما ، فإن ذلك يحزنه»(٥٠).

النجوى يوم القيامة

أخرج البخارى ، ومسلم ، وأحمد ، أن رسول الله ﷺ قال : وإن الله يننى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ، ويقرره بذنويه ، ويقول له : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ متى إذا قرّره بذنويه ، ورأى في نفسه أن قد هلك ، قال : فإنى قد سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، ثم يعطى كتاب حسناته ، وأمّا الكفار والمنافقون ، فيقول الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربّهم ، ألا لعنة الله على الظالمين» [70] .

أدب المجالس

﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِ ٱلْمَجَلِسِ فَافْسَحُوا يَسْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُونُوا ٱلْعِلْمَ دَرَحَنَيْ وَاللَّهُ بِمَانَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿ ﴾

المطردات:

تنسُّم وا في المجالس ، توسعوا في أماكن الجلوس ،

<u> هـــاهســـحـــوا</u>؛ فتوسعواً.

هـــاتش ... روا ، فانهضوا ولا تتباطأوا .

ب فع اثنه الثيث آمنوا ، برقع منزلتهم يوم القيامة .

والذين أوتوا العلم درجات؛ ويرفع العالمين منهم خاصة ، درجات في الكرامة وعلو المنزلة .

تمهید ه

حذر القرآن من أسباب البغض والفرقة فيما سبق ، حيث نهى عن التناجى بالإنم والعدوان ومعصية .
الرسول ، وهذا يحث على أسباب المحية والمودة والصفاء ، وذلك بالتوسعة فى مجالس العلم والذكر والقتال .
وسائر المجالس ، وإذا طلب القائد من شخص ترك مكانه لآخر فينبغى أن يستجيب ، فإن فى ذلك سببًا لرفعة .
شأنه ، وعلن أجره ، والله تعالى مطلع على القلوب والنفوس ، وخبير بما فيها .

سبب الترول ز

أخرج لين جرير الطبرى ، عن قتادة قال : كانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلاً ، شنُّوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ ، فنزات الآية .

وأخرج ابن أبى حاتم ، عن مقاتل أنها نزات يوم جمعة ، وقد جاء ناس من أهل بدر ، وفى المكان ضيق ، فلم يُقْسَع لهم ، فقامواً على أرجلهم ، فأقام ﷺ نفراً بعدّتهم وأجلسهم مكانهم ، فَكَوِمَ أُولئك النفر ذلك، فنزلت .

التفسيره

١٩ – يَنْأَيَّهَا ٱلَّذِينَ ءَامِنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفَسُحُوا فِي الْمُجَلِسِ فَالْسَحُوا يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱلطَّرُوا فَانَشَرُوا يَزَلُعُ ٱللَّهِ أَلْمِينَ ءَاشُوا مِنكُمْ وَٱللَّذِينَ أُولُوا ٱلْهِلْمَ وَرَجَلْتِ وَٱللَّهُ بِمَا تَمْمُلُونَ عَبِيرٌ .

تضع هذه الآية نظاما جميلا عند اجتماع المسلمين في الجمعة والأعياد ، والعزاء والأفراح ، وأماكن الفتال وسائر ألوان الاجتماع ، فترشدهم إلى عدم الانتصاق بالمكان ، وترشدهم إلى عدم التضييق على القادمين ، بل ينبغي أن يتفسحوا ويوسعوا القادمين ، ويتعاونوا معهم ، وهو أدب ينبغي اتباعه في كل مناحى الحياة ، ومبدأ يجب أن يطبق في الرغبة في مساعدة الآخرين ، وتسهيل أمورهم، لمن يملك ذلك ، فإن الله تعالى يعاون من فعل ذلك ، كما قال ﷺ: «الله في عون العبد ما دام العبد في عرن أخيه» . (١٠٠ .

وَإِذَا قِيلَ ٱلشُّرُواْ فَانشُرُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْمِلْمَ دَرَجَلْتِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ .

إذا طُلب منكم التضحية بمجلسكم القريب من الرسول ﷺ أو مِنْ ولى الأمر ، أو صاحب السلطان ، أو صاحب المنزل ، فاسمعوا وأطيعوا ، ولا تظنوا أنّ في نلك غبناً لكم ، أو نقصا لمنزلتكم ، فقد وعد الله سبحاته وتعالى برفع درجة المؤمنين جزاء صدقهم في إيمانهم .

كما وعد الله برغم منزلة العلماء والفقهاء درجات إلى أعلى ، وهى ذلك بيان لفضل العلم ، وحث على التمثّم والتعليم ، وبعث على التمثّم والتعليم ، وبعرة إلى معرفة كتاب الله وسُنة رسوله ، وآراء الفقهاء والعلماء ، فإن ذلك من أسباب العرّ في الدنيا ، والارتقاء في درجات الجنة في الأخرة .

كما تحت الآية على الإخلاص ، ونظافة القلب ، والتعاون مع أفراد الأمة ، والتواضع ، والاستجابة لما يُطلب من المسلم في سبيل الصالح العام .

وفى الحديث الشريف: «ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه ، ومازاد الله عبداً بعفو إلا عزًا ، فاعفوا يعزكم الله» (⁽¹⁾

وقد ختم الله الآية يقوله : وَاللَّهُ يُمَا فَمَعُلُونَ خُسِيّ . فهو سبحانه مطلع على أعمالكم ومجازيكم عليها ، ومنها أعمال القلوب التي لا تجد غضاضة ولا كراهية عند التوسعة لإنسان قادم ، ولا تكوه أن تقوم من المجلس إذا طُلب منها ذلك من أجل المصلحة.

في أعقاب التفسير

 ا قرح الشيفان ، وأحمد ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : «لا يكم الرجلُ الرجلُ من مجلسه فيجلس فيه ، ولكن تفسّحوا وتوسّعواء . ^(١٠)

٢ - قال ابن كثير في تفسيره:

اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء على أقوال:

فمنهم من رخّص فى ذلك محتجا بحديث: «قوموا إلى سيّدكم»، ومنهم من منع ذلك محتجا بحديث: «من أحبُّ أن يتمثل له الرجال قياماً فلهتبوأ مقعده من الذار» (١٠٠).

ومنهم من فمل فقال: يجوز عند القدوم من سفن وللحاكم في محل ولايته ، كما دلت عليه قصة سعد بن معاذ ، فإنه لما استقدمه النبي رضي المسلمين : «قوموا إلى سيدكم» (١٠٠ . وما ذلك إلا ليكون أنقذ لحكمه ، والله أعلم، فأما التخاذه ديدناً فإنه من شعار العجم ، وقد جاء في السنن أنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله رضي ، وكان إذا جاء لا يقومون له ، لما يعلمون من كراهته لذلك .

وفى الحديث المردى فى السنن أن رسول الله ﷺ كان يجلس حيث انتهى به المجلس ، ولكن حيث يجلس عيث انتهى به المجلس ، ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس ، فكان المحماية رضى الله عنهم يجلسون منه على مراتبهم ، فالمسئيق رضى الله عنه يجلسه عن يمينه ، وعمر عن يساره ، ويين يديه غالبا عثمان وعلى لأنهما كانا ممن يكتب الرحنى ، وكان يأمرهما بذلك ، كما روى مسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ كان يقول : «ليليني متكم أولى الأحلام والنهى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم، ١٩٥٥

٣ - قال الإمام فحر الدين الرازي في تفسيره:

وقوله تعالى: يُفْسَعِ آللَهُ لَكُمْ ، مطلق في كل ما يطلب الناس الفسحة فيه ، في المكان ، والرزق ، والصدر والقبر ، والجنة ، واعلم أنَّ الآية دلت على أنَّ كلّ من وسَّع على عباد الله أبواب الخير والراحة ، وسَّع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة ، وفي الحديث : «لايزال الله في عون العبد مازال العبد في عون أخيبه ٣٠٠ .

٤ - قال ابن مسعود :

يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَتُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَلت ...

مدح الله العلماء في هذه الآية ، ثم قال ابن مسعود : يا أيها الناس افْهَمُوا هذه الآية ، والترغَبُكم في العلم ، فإن الله يوفع المؤمن العالم فوق المؤمن الذي ليس بعالم درجات.

٥ - قال القرطبي في تفسيره:

بيّن في هذه الآية أن الرفعه عند الله بالعلم والإيمان ، لا بالسبق إلى صدور المجالس ، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : «يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء» . فَأَعْظِمُ بمنزلة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله ﷺ.

٣ - جاء في مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ما يأتي :

روى مسلم ، وآحمد ، عن أبى الطغيل أن نافع بن عبد الحارث لقى عمر بن الخطاب بعسفان ، وكان عمرُ استعمله على مكة ، فقال له عمر : من استخلفت على أهل الوادى ؟ قال : استخلفت عليهم ابن أبزى ، رجلاً من موالينا ، فقال عمر : استخلفت عليهم مولى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه قارئ لكتاب الله ، عالم بالفرائض ، قاض ، فقال عمر رضى الله عنه : أما إن نبيكم ﷺ قد قال : طإن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين» (أحديث حسن رواه ابن ماجة ، عن عثمان رضى الله عنه) .

ثم قال ابن كثير: وقد ذكرت فضل العلم وأهله وما ورد فى ذلك من الأحاديث مستقصاة فى «شرح كتاب العلم» من صحيح البخارى ، ولله الحمد والمنة (٣٠.

وعن ابن عباس: خُيرٌ سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك ، فاختار العلم : فأعطى المال ، الملك معه .

* * *

الصدقة قبل مناجاة الرسول ﷺ

﴿ يَتَأَيُّهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَنجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَى جَنُونَكُوْ صَدَقَةٌ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَكُورُ وَاطْهَرُّ فِإِن لَمْ يَهِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ يَجِمُ ﴿ اللهِ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى جَنُون كُوصَدَقَنْتُ فَإِذْ لَرَ نَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوْةَ وَمَا تُوا الزَّكُوةَ وَأَطِيمُوا اللَّهَ وَرَسُولُمُ وَاللَّهَ خِيرٌ بِمَا نَعْمَلُونَ ﴿ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ وَمَا تُوا الزَّكُوةَ وَأَطِيمُوا اللّهَ وَرَسُولُمُ وَاللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهَ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهَ اللّهُ وَلَا اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ وَلَا لَهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ ال

المفردات :

ناجيها تم الرسول: أردتم مناجاته والتحدّث معه .

هقدموا بين يدى تجواكم صنهة ، قدموا قبل مناجاة الرسول ﷺ صنفة تضعونها بين يديه ليدفعها للغقراء ، وفي ذلك نفع للفقراء ، وتعظيم لقدر الرسول ﷺ ، وحث على عدم الإفراط في الأسئلة ، وفيه تمييز بين المنافقين والمؤمنين ، فالمنافق محبِّ للدنيا ضنين بالمال ، وبإخراج صدقة .

حسيسر الكسم وأطبهسر، أزكي للنفوس، وأبعد عن الريبة وحبّ المال.

الشيط من عليكم ، أخفَّتم ، أو شقَّ عليكم .

أ تساب السلسه عسلسيكسم ، قبل تويتكم ، أو رخص لكم في المناجاة من غير تقديم صدقة .

تمهيده

كان بعض الناس يكثر السؤال لرسول الله 藥 من غير حاجة شديدة لذلك ، والرسول بشر له حاجات حاصة، ويحتاج إلى وقت لمناجاة ربه ، ووقت لتبليغ الرسالة ، ووقت لتنظيم أمور الدعوة ، وكان بعض الأغنياء يقضى وقتا أطول في مناجاة رسول الله 難 حتى شق ذلك عليه 籌 : فأنزل الله تعالى آية تأمر بتقديم صدقة للفقراء بين يدى أسئلتهم لرسول الله 難.

ولم يستمر العمل بهذه الآية إلاَّ وقدا تليلاً ، ثم أنزل الله تعالى الآية التالية لها ، التي ترفع هذا التكليف ، وتطلب عوضا عنه الممافظة على الصلاة، وإغراج الزكاة ، وطاعة الله ورسوله .

سبب النزول:

 ا -- أخرج ابن جرير ، عن ابن عباس قال : إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ ، هتى شقوا عليه ، فأراد الله أن يخفف عن نبيّه فأنزل : إِفَّا نَحْجَتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَتْمُواْ بَيْنَ يَدَىٰ نَجُوَسْكُمْ صَدَقَةً ... فلما. نزات صبر كثير من الناس وكفوا عن المسألة ، فأنزل الله بعد ذلك : عَاْشَمْقَتُمْ ... الآية .

٧ - وأهرج الترمذى وحسّنه ، وغيره عن على قال : لما نزلت : يَنْأَيُّهَا ٱللَّذِينَ عَامَتُواْ إِذَا لَلْجَيْمُ ٱلرَّسُولُ لَمُ فَقَدْمُواْ يَرْمَ يَدَى أَحِجُولَكُمْ صَدَقَةٌ ... قال لى النبي ﷺ: «ما ترى ، دينان» ؟ قلت : لا يطيقونه ، قال : «فنصف دينان» ؟ قلت : لا يطيقونه ، قال : «فكم» ؟ قلت : شعيرة ، قال : إلك لزميد ، فنزلت : عَالَمْفَقُتُم أَنْ شَقَدُمُ أَنْ شَقَدُمُ أَنْ شَدِّمُ وَاللَّهِ عَن هذه اللّه عَن هذه اللّه عَن هذه الله عن على عن هذه الله ع

٣ - وقال مقاتل بن حيان: نزلت الآية في الأغنياء، وذلك أنّهم كانوا يأتون النبي 義 فيكثرون مناجاته، ونلك أنَّهم كانوا يأتون النبي 義 فيكثرون مناجاتهم، مناجاته، ويظهون الفقراء على المجالس، حتى كره رسول الله 義 ذلك، من طول جلوسهم ومناجاتهم، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية، وأمر بالصدقة عند المناجاة، فأمًا أهل العسرة فلم يجدوا شيئا، وأمًا أهل الميسرة فبخلوا، واشتد ذلك على أصحاب النبي 義، فنزلت الرخصة.

التفسيره

١٧ – يَــَآلُهَا ٱلَّذِينَ ءَاسُوْا إِذَا نَحَيَّتُمُ ٱلرُسُولَ فَقَدُمُواْ بَيْنَ يَدَىٰ نَعَوْ مَكُمُّ مَدَقَةَ ذَالِكَ عَيْرٌ لُكُمُّ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمُ تَجِدُواْ فَانَّ ٱللَّهُ غَفُورٌ رُحِيمٌ .

يا أيها الذين آمنوا، إذا رغبتم في مناجاة الرسول 養، والخلوة به للإجابة على أسئلتكم، فقدُموا صدقة قبل المناجاة، يأخذها الرسول 養 ويتصدق بها على الفقراء، فقد قال 養: «نحن معاشر الأنبياء لا تحرّ لنا صدقه».

وكان من صفاته ﷺ في الكتب السابقة أنه يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة، وتقديم الصدقة بين يدى المناجاة فيه منفعة للفقراء وتعويد للأغنياء على الصدقة، وتطهير للنفس من الشح، وفيه استجماع قوى السائل ، فإذا كان السائل فقيرا لا يجد صدقة يقدمها فقد أسقط الله عنه ذلك التكليف، وغفر له ورحمه،

وظاهر الآية يدل على أن تقديم الصدقة كان واجبا ، لأن الأمر للوجوب ، ويتأكد ذلك بقوله في آخر الآية : فَإِن لَمْ تُجِدُواْ أَبِكُ اللَّهُ هُفُورٌ رُحِيرٌ.

فإن ذلك لا يقال إلا تترك الوجوب، وقال بعضهم: إن الأمر هنا للندب والاستحباب.

والأول أظهر، حيث نسخ الله وجوب تقديم صدقة عند مناجاة الرسول ﷺ بالأبية التي تليها.

وأنكر أبو مسلم الأصفهاني وقوع النسع ، وقرر أن الأحر بقديم الصدقة على النجوى لتعييز العؤمن المخلص من المنافق ، فلما تحقق الغرض انتهى الحكم ، أي أن ذلك التكليف كان مقدرًا بضاية مخصوصة فرجب انتهازه بانتهاء تلك الفاية ، فلا يكون هذا نسفا .

قال الإمام فخر اللين الرازي: وهذا الكلام حسنٌ ما يه يأس. ا ه..

أى أنه كان أمرًا مرحليا مؤقتا ، مقصودا منه تخفيف الضغط على الرسول ﷺ بكترة الأسئلة والمناجة ، ومعرفة المؤمن الذي يعقم المال ، فلما تحقق ذلك أسقط الله الذي يعقم المال ، فلما تحقق ذلك أسقط الله ذلك التكليف .

والمشهور عند الجمهور أن الأمر بتقديم الصدقة قبل المناجاة منسوح بقوله تعالى: عُأَشْفَقُتُمْ ... الآية .

١٣ - وَأَشْفَقُتُمُ أَنْ ثُقَدُنُوا بِيْنَ يَدَى نَجَوْ سَكُمْ صَدَقَاتِ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَقَابَ ٱللّهُ عَلَيْكُمْ فَأَلِيمُوا ٱلصَّلَاةَ وَمَاتُواْ آلوَّكُولَةَ وَأَطِيمُوا ٱللَّهُ وَرَسُولُكُمْ وَٱللَّهُ حَسِرٌ مِنا تَعْمَلُون .

أى: أبخلتم وخفتم الفقر حشية أن تقدموا عددا من الصدقات ، كلما أربتم مناجاة رسول الله ﷺ ؟ وفي هذا الاستفهام عتاب رفيق رقيق ، وتوجيه للمسلمين إلى أهمية المحافظة على وقت الرسول ﷺ . وبيان قيمة الوقت الذي يقضيه السائل في مناجاته وحده ، وخلوته به وحده ، والنبي ﷺ على عاتقه شئون أمّة بأسرها .

قيل: كان العمل بالآية السابقة عشرة أيام ، وقيل: كان يوماً واحداً.

لقد كان الحق سيمانه وتعالى يربّى هذه الأمة ويهذبها ، ويرشدها إلى الأمثل والأفضل ، ويطهرها ويزكيها بآداب الوحى الإلهى ، وما إن تحقق المراد حتى خفف الله عن الأمة وجوب تقديم الصدقة قبل المناجاة .

فَإِذْ تَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوْةَ وَءَاتُواْ ٱلزُّكُولَةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولُهُ, وَٱللَّهُ حَبِيرًا بِمَا تَعْمَلُون .

فحين لم تقوموا بتقديم الصدقات قبل مناجاة الرسول ﷺ فقد عذركم الله وقبل تويتكم ، أو تاب عليكم بمعنى غفر لكم رمغف عنكم، فافعلوا ما قرض عليكم من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وطاعة الله ورسوله في جميع ما ترمرون به .

وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ .

فهو محيط بنوايا ذم وأعمالكم ، ومجازيكم بما قدمتم لأنفسكم من خير وبشر.

قال تعالى في هذا المعنى: فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُره وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ طَرًّا يَرَهُر.

(الزلزلة: ٧ ، ٨)

وقال سبحانه وتعالى: وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَسْ إِلَّا مَا شَعَىٰ هِ وَأَنْ شَعْيَةُ, سَوْفَ يُرْئِ هُ يُجْزَنهُ آلْجَزّاةُ ٱلْأَوْلَىٰ. (النوم: ٣٥ - ١٤):

وجاء في التفسير المنير للأستاذ وهية الزحيلي :

ُ وليس في الآية إشارة إلى وقوع تقمير من المبحابة في تقديم الصدقة ، فقد يكون عدم الفعل لأنهم لم يناجوا ، ولا يدل أيضا قوله : وَنَابَ آللُّهُ عَلَيْكُمْ ، على أنهم قصَّروا ، لأن المعنى : أنه تاب عليهم برفع التكليف عنهم تخفيفًا ، ومثل هذا يجوز أن يُعبر عنه بالتوية (**).

حال المنافقين الذين يوالون غير المؤمنين

المطردات ا

السنايس تسولوا والوا ووادوا وأجبُّوا ، وهم المنافقون . قوما ضغب الله عليهم ، هم اليهود .

ويحلطون على الكتاب، وهو قولهم: والله إنا لمسلمون.

اتخذوا أيمانهم جُنة ، أعدُوها سنزا ووقاية ليخلصوا من المؤاخذة .

فسنوا عن سبيل الله ، صدُّوا بأيمانهم الناس عن دين الله ، بالتحريش والتثبيط.

من السلسة شيدياً ، من عذاب الله شيئا ، من الإغناء .

يـوم يسيمعشهم، اذكر لهم ذلك اليوم.

في حمل شبون له: أنهم موّمتون .

ست حدود؛ استولى عليهم ، وأحاط بهم ، وغلب على عقولهم .

حــزب الشهيطان ، أعوانه وأتباعه وأنصاره .

تمهید :

كان المنافقون شوكة في جنب المسلمين ، وكانوا يوالون اليهود ويمدُّونهم بالمعلومات عن المسلمين ، والقرآن هنا يتمجب من حالهم ، فهم يتولون اليهود بالمودة والمؤازرة ، واليهود قوم غضب الله عليهم ، ولعنهم وجعل منهم القردة ، والمنافقون كالشاة الحائرة بين قطيعين من الغنم ، فهى مترددة فى اتباع أيهما ، فهم يوالون اليهود ، ويتظاهرون بالإسلام أمام المسلمين ، فليسوا من المسلمين حقا ، وليسوا يهوداً .

قال تعالى: مُّلَهْلَهِينَ بَيْنَ ذَا لِكَ لَا إِلَىٰ هَلَوُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَلُولُاءٍ ... (النساء: ١٤٣).

وقد أنذرهم الله بالعذاب ، وأبان بواعث أفعالهم وكنبهم وحلفهم بالله كنبا ، مع علمهم بأنَّها يمين غموس ، فهم أتباع الشيطان وأنصاره .

من أسياب التزول:

أخرج أحمد، والحاكم ومحمحه ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ في ظل حجرة وقد كاد الظل يتقلّص ، فقال : وإنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعيني شيطان ، فإذا جاءكم لا تكلموه ، فلم يلبثوا أن طلع عليهم رجل أزرق أعور ، فدعاه رسول الله ﷺ ، فقال له حين رآه : «عَلامٌ تشتمني أنت وأصحابك ، ؟ فقال : ذرني آتك بهم ، فانطلق ، فدعاهم ، فحلفوا له ما قالوا وما فعلوا ، فأنزل الله : يُؤمٌ يَتُعُهُمُ ٱللّهُ جُوبِها فَيَخِلُفُونَ لُهُ كُمْ يَحْفُونُ لَكُمْ ... (المجادلة : 18) .

التفسيره

١٤ - أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلُواْ قَوْمًا خَصِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مَّنكُمْ وَلَامِنْهُمْ وَيَخلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِب وَهُمْ يَعْلَمُونَ.

ألم تنظر يا محمد إلى هؤلاء المنافقين ، يتظاهرون بالإسلام ، ثم يقدمون العون والدعم والمودة والمؤازرة لليهود الذين غضب الله عليهم ، وجعل منهم القردة .

والمنافقون مذبذبون مترددون حائرون ، كالشاة الحائرة بين قطيعين من الفقم ، تتردد في الانحياز إلى أيًّ القطيعين ، وكذلك المنافقون ليسوا من المسلمين ، فهم يدَّعون الإسلام كذبا ، وليسوا من اليهود بل من عملائهم .

هَال تعالى : مُلْبَلُوبِينَ بُيْنَ ذَٰ لِكَ لَا إِلَىٰ هَكُوُلَاءٍ وَلَا إِلَىٰ هَكُولُاءٍ وَلَا إِلَىٰ هَا وَلَا عَلَىٰ عَمِولَا لَهُ مِنْ فَاصَلَامًا وَاللَّهُ عَلَى عَمُولُولُوا وَلَا إِلَىٰ هَا لِكُولُاءٍ وَلَا إِلَىٰ هَا وَلَا إِلَىٰ هَا وَلَا لَا إِلَىٰ هَا وَلَا إِلَّالِ مَا لِمُؤْلِكُمْ وَلَا إِلَىٰ هَا وَلَا إِلَىٰ هَا وَلَا لَهُ إِلَىٰ هَا وَلَا لَهُ إِلَىٰ هَا وَلَا لِللَّهُ فَلَى عَلَىٰ عَلَى عَلَ

وإذا انكشف أمرهم وواجههم النبي ﷺ بسرء طريتهم، أقسموا أنهم مسلمرن ، أو أنهم لا يضمرون للنبي ﷺ أيُّ سوء، وهم يعلمون أنها يمين غموس فاجرة كاذبة ، فهم يقسمون كانبين مع علمهم أنهم كاذبون .

قال تعالى : إِذَا خَامَكَ ٱلْمُنَافِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ نَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ تَرَسُولُهُ, وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَكَنْابُونَ . (المنافقون: ١) . أَعَدُّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ .

هياً الله لهم يوم القيامة عذابا أليما ، حيث قال تعالى : إِنَّ ٱلْمُنْتَفِقِينَ فِي ٱلثَّرْكِ ٱلْأَسْفَارِ مِنَ ٱلثَّارِ وَلَنَ تَجِدُ لَهُمْ تُصِيرًا . (النساء: ١٤٥).

وذلك يسبب سوء فعالهم وغشّهم للمسلمين ومعاداتهم، ونصحهم للكافرين وموالاتهم ، ألا ساء ما فعلوا من الأعمال القبيحة ، والتلوّن والخداع والكذب ، وإن ذا الوجهين لا يكون وجيهًا عند الله .

١٦ - ٱلتَحَدُوا أَيْمَنْتُهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبيل ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ .

جعلوا من أيمانهم الكاذبة وقاية وستراً لحفظ دمائهم ، وتستروا تحت إظهار الإسلام وإماان الكفر، ويذلك تبّطوا الناس عن الدخول في الإسلام ، ويثّوا الفتن بين ضعاف الإيمان ، فصدُّوهم عن سبيل الله وبينه .

نذلك أعد الله لهم عذابا مرائماً ، يلازمه الذل والهوان في نال جهنم ، فهو عذاب شديد مراّم ، وهو في نفس الوقت مشتمل على الذلّ والمهانة لهم ، جزاء خداعهم وكذبهم .

١٧ - لَن تُعْنِي عَنهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلَنكُهُم مَن ٱللَّهِ هَيْنًا أَوْلَئِكَ أَصْحَلَبُ ٱلنَّار هُمْ فِيهَا حَلِلنُونَ .

كان المنافقون يحرصون على جمع المال ، ويرون الأولاد عُدّة لهم في تنفيذ مهامُهم ، وادّعوا أنهم سينتصرون يرم القيامة بأنفسهم وأموالهم وأولادهم : فنزات الآية .

وتفيد الآية أنه لن ينفعهم أيّ شيء يوم القيامة ، وإنما ذكر المال والولد لعناية المنافقين بهما .

قال تعالى : فَلاَ تَعْرِبُكَ أَمْوَلُهُمْ وَلاَ أَوْلَلْكُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَلِّبُهُم بِهَا فِي ٱلْحَيْلِةِ ٱللَّنْيَا وَتَوْمَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَنْفِرُونَ . (النهة : ٥٠) .

لقد حُرموا تعيم الجنة ، واستبداوا ذلك بالإقامة الدائمة في جهنم ، حتى كأنهم أهلها المخلِّدون فيها .

قال تعالى : إِنَّ ٱللَّينَ كَفَرُواْ أَوْ أَنْ أَنْهُم مَا فِي الْأَرْضِ جَعِيمًا وَبِطْلُهُ مَعَهُ لِلْفَعُواْ بِعِنْ عَلَىكِ يَوْمُ ٱلْفَيْسُمَةِ مَا تُظُّلُواْ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَلَابَ أَلِيمَ هُ يُويلُونَ أَن يَعْرُجُواْ مِنَ آقالِ وَمَا هُم يَحْسُرِجِينَ فِيقًا وَلَهُمْ عَلَمْهُ * عَلَيْهُ . (الماده: ٢٠ . ٢٧) .

١٨ - يَوْمَ يَنْعَتُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعاً فَيَخلِفُونَ لَهُ, كَمَا يَخلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلاَّ إِلَٰهُمْ هُمُ ٱلْكَلْلِبُونَ.

أى: حين يبعثهم الله جميعًا من قبورهم ، ويساقون للوقوف بين يدى علام الغيوب ، فيحلفون بالله ويقولون : وَٱللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ . (الأنعام : ٢٣) . فإن من شبّ على شيء على مدى هاب عليه ، ومن شاب على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء بُحث عليه ، في الله عليه ، ومن شاب عليه ، ومن شاب عليه ، ومن شاب عليه من يون يدى علام الغيوب الذى لا تخفى عليه خافية ، يحلفون أمامه في الأخرة .. في الأخرة كما كانوا يفعلون في الدنيا ، ظانين أن هذه اليمين ستجعلهم يفلتون من عذاب الله في الأخرة .. قال أبو حمال :

والعجب منهم كيف يمتقدون أن كفرهم يخفى على علام الغيوب ، ويجرونه مجرى المؤمنين فى عدم اطلاعهم على كفرهم ونفاقهم ؟ والمقصود : أنهم تعودوا الكذب حتى كان على ألسنتهم فى الأخرة كما كان فى الدنيا . ا هـ .

أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَلْدِبُونَ .

إنهم حقًّا أهل كنب ونفاق وخداع ، لذلك أكد الله كنبهم بأداة الاستفتاح ، ويحرف (إن) ، وبإسمية الجملة .

ونحو الآية قوله تعالى : ثُمَّ لَمُ تَكُن فِلْتَقُهُمْ إِلَّا أَن قَالُواْ وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَا مُشْرِكِينَ . آنظُوْ كَيْفَ كَلَبُواْ عَلَىٓ أَشْسِهِمْ وَصَالَ عَلَهُم هَا كَانُواْ يَعْتُورُونَ . (الأنعام: ٢٤٠).

١٩ – ٱسْتَحْوَدُ عَلَيْهِمُ ٱلطَّيْطَانُ فَاسَـنَهُمْ وَكُو ٱللَّهِ أُوْلَئِكَ حِوْبُ ٱلطَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ ٱلطَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ .

لقد استولى الشيطان على عقولهم وأفكارهم ، فأنساهم ذكر الله وطاعته ، فذكروا الدنيا وأموالها وأولادها ومغانمها ، ونسوا ذكر الله ، أولئك المنافقون هم حزب الشيطان وأتباعه ، ألا إن حزب الشيطان هم الشاسرون ، فقد باعوا أهرتهم ، واشتروا دنياهم ، وياعوا جئّة عرضها السماوات والأرض ، واشتروا الدرك الأسفل من للنار .

قال الكرماني:

علامة استحواذ الشيطان على العبد أن يشفله بعمارة ظاهره ، من المأكل والمشارب والملابس ، ويشغل قلبه عن التفكّر في آلاء الله ونعمائه ، والقيام بشكرها ، ويشغل لسانه عن ذكر ريه بالكذب والقيبة والبهتان ، ويُشغل عن التفكر والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها (**).

ولاء المؤمنين لله وحده

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَتِكَ فِي الْأَذَلِينَ ۞ حَتَبَ اللّهُ لَأَغْلِبَكَ أَنَّا وَرُسُولَهُ أَوْلَتِكَ فِي الْأَذَلِينَ ۞ حَتَبَ اللّهُ لَأَغْلِبَكَ أَنَّا وُرُسُولُهُ وَلَوَ كَنْ اللّهَ وَمَا يُوْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْلَّخِيرِ بُورَا اللّهِ مَا أَوْ إِخْوانَهُمْ بُورَا وَلَوْ كَانُوا مَا يَوْمِنُونَ مَا أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ اللّهُ مَا أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ اللّهُ مَا أَوْلَتِهَكَ جَنْدَ بَعْمُ وَلَا اللّهُ عَنْهُمْ وَرَشُوا عَنْهُ أَوْلَتِهِكَ جَزْبُ اللّهُ مُمَّا اللّهُ هُمُ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أَوْلَتِهِكَ حِزْبُ اللّهُ مُمَّا اللّهُ هُمُ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أَوْلَتِهِكَ حِزْبُ اللّهُ هُمُ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أَوْلَتِهِكَ حِزْبُ اللّهِهُمُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللللللّهُ اللللللللّهُ الللللّهُ اللللللللللللللللّهُ الللللْ

المضردات

الأضاب بالحجة والقوة.

يبوادون من حاد الله: يصادقون .

وتوكياتوا آيسامهم؛ ولوكان المحادُّون أقرب الناس إليهم.

أو عشييسرة عشيرة هي القبيلة ، والجمع عشيرات وعشائر.

كتب في قلوبهم الإيمان ، أثبت الإيمان في قلوبهم .

بـــروح مـــــــه ، بنور من عند الله يقذفه في القلوب ، فتطمئن وتسكن .

حسرته السلسه: جنده وأنصار دينه ، يتبعون أمره ويجتنبون نهيه .

هم المطاعمون: الفائزون بخير الدَّارين.

تمهيد،

في ختام سورة المجادلة يذكر القرآن خسارة المنافقين ، وسبب خسارتهم وهو مشاقة الله تعالى ورسوله ﷺ ومخالفة أمرهما ، ثم أخير سبحانه وتعالى عن قضائه العبرم بنصر الرُّسل وهزيمة أعدائهم ، ثم زكر أن الإيمان لا يجتمع في الثلب مع مودَّة أعداء الله ، لأن من أحب أحدًا امتدَع أن يحبَّ مع ذلك عدرُه .

أسباب تزول الآية ٢٢

لاً تُجِدُ قَوْمًا ...

أخرج ابن أبي حاتم ، والطبراني ، وأبو نديم في الحلية ، والبيهةي في سننه ، عن ابن عباس عن عبد الله بن شؤذب ، قال : نزلت هذه الآية في عبيدة بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر ، فنزل قوله تعالى : لا تُجِدُّ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بَاللَّهِ وَٱلْآَرِمُ ٱلاَّحْرِ يُوَادُّونَ مُرْحَادُ ٱللَّهُ وَرُسُولُهُ وَلُو كَانُواْ وَالْآعَهُمْ ... الآية .

وقال الرازى : إن الأكثرين اتفقوا على أن قوله تعالى : لاَ نَجِدُ قَوْمًا ... نزل في حاطب بن أبي بلتعة ، واخباره أهل مكة بمسير النبي ﷺ اليهم لما أراد فتح مكة .

التفسيره

• ٢ - إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَاذُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ أَوْلَئِيكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ.

إنَّ الذين يمادون الله ورسوله ، فيكرهون دين الله ، ويعادون رسول الله ، ويبغضون شرح الله ، هؤلام الكفار الملحدون ، أو المنافقون المارقون ، أو اليهود المعاندون ، أو كلَّ قوة تشتمل على يغض دين الله ومعاداة هذا الدين ، هؤلاء يذلّهم الله في الدنيا أشد الذلّ ، ويكتب عليهم القهر والمهانة والخيبة والهوان ، فإن أصابوا خيرًا في الدنيا أو غلُوا في الأرض ، فلن يفلتوا من عذاب الآخرة ومهانتها ، ليتحقق وَعُد الله بأنهم في الأذين ، أي مجموعة من هوأشدٌ ذلاً وأكثر مهانة وهوانًا .

وقد جاءت هذه الآية في أعقاب الحديث عن المنافقين ومُوّالاتِهم لليهود ، يبتغون عندهم الأمان والرفعة وحسن المستقبل ، فبين الله أنَّ هناك حزبين أو طريقين : حزب الله أو طريق الله ، ومآله النصر في الدنيا والجنة في الأخرة ، وحزب الشيطان أو طريق الشيطان ، وهو حزب أعداء الإسلام ، أو أتباع الشيطان ، وكيد هولاء ضعيف ، ومآلهم الذلّ والهوان .

٢١ - كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِيٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ .

قضى الله وأثبت ذلك ، وأيده وأكده ، وهو أن تكون الظبة والنصر لرسل الله وأولياته وأحبابه ، وأتباع دينه وشرعه ورسله ، فالله غالب على أمره وهو سبحانه ، أَقَرِعٌ . لا يظبه غالب ، خَزِيَزٌ . لا يظبه على مراده كائن مهما كان ، وقد حدث ذلك في تاريخ البشرية ، حيث نصر الله المرسلين وهزم المكنبين ، فقد نصر الله نوحًا وأغرق الكافرين به ، وكذلك نصر هوذا وصالحًا وشعيبًا وموسى ، وأهلك المكذبين بهم .

قال تعالى : وَكُمْ أَهْلَكُنَا مِنْ ٱلْقُرُونِ مِنْ يَعْدِ نُوحِ وَكَفَىْ بِرَبِّكَ بِلُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا . (الإسراء: ١٧) .

وقيل : إن العراد بطلبة الله ورسله ، الطلبة بالحجة لاطرادها ، وهو خلاف الظاهر ، فالعاملون المخلصون ينصرهم الله في النهاية ، وقد يتأخّر النصر لجكمة إلهية ، هي امتحان المؤمنين واستثارة إغلاصهم واستعدادهم ورغبتهم .

قال تعالى : حَتَّى إِذَا آسْتَيْمُسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنَّوا أَنُّهُمْ قَدْ كُلِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ... (يوسف: ١١٠) .

وقال تعالى : ذَالِكَ وَأَقَ يَشَاءُ ٱللَّهُ لاَ تَعَمَرَ مِنْهُمْ وَلَذِينَ لَيُنْلُواْ يُعْمَدُكُم يِنَعْسَ وَٱلَّذِينَ لَيَالُواْ لَهُ صَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَنَ يُعِيلُ أَعْمَدُكُمُ . (محدد : ٤) .

وهي هذا المعنى قال تعالى : وَلَقَدْ سَجَّتَ كَلِمَتُنَا لِمِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ و إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ و وَإِنْ جُندَنَا لَهُمُ الْفَلِلُونَ . (العمادات : ١٧١ – ١٧٣) .

وقال مقاتل في سبب نزول هذه الآية :

لما فتح الله تعالى مكة والطائف وخيير وما حولها للمؤمنين ، قالوا : نرجو أن يظهرنا الله تعالى على فارس والروم ، فقال عبد الله بن أبّى : أتطفون الروم وفارس كبعض القرى التى غلبتم عليها ، والله إنها من الله بن أبّى : أتطفون الروم وفارس كبعض القرى التى غلبتم عليها ، والله إنه الله تُوعى عُزِيزً .

٧٧ – لا تعبد لَوْمَا يُؤَمِّونَ بِاللَّهِ وَالْقَوْمِ الْأَخِيرِ يُؤَالُّهُونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولُهُ, وَلَوْ كَانُواْ ءَابَاعَهُمْ أَوْ الْبَنَاعُمْ أَوْ إِخْوَالَهُمْ أَوْ عَشِيرَتُهُمْ أَوْلَئِيكَ كَتَب فِي قُلُوبِهِمَ الْإِيمَانَ وَالْمَدْمَ يَرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْفِهُمْ جَسْنَتِ تَخْرِي مِن تَحْبَهَا الْأَلْهَـلُّمُ خَـلِيدِينَ فِيهَا رَضِي اللَّهُ عَلَيْهُمْ وَرَصُواْ عَنْهُ أَوْلَئِيكَ حِزْبُ اللَّهِ الَّهِ إِلَّا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ لَهُ إِلَيْ الْمُؤْلِمُونَ .

لا ينبغى ولا يجوز لمن آمن بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، ويمحمد ﷺ تبيًّا روسولاً ، أن يجمع فى قلبه بين الإيمان بالله واليوم الآخر، وبين حب الكافرين الفاسقين ؛ لأن من أحب الله ورسوله كره عدوهما من الكفار والفسّاق والمنافقين ، ولو كان هذا الكافر الفاجر أقرب الناس إليه ، كالأب والابن والأع والقريب من العشيرة ، هؤلاء هم المؤمنون الصادقين الذين أخلصوا إيمانهم لله ، واستعلوا بإيمانهم على موالاة أعداء الله مهما كانت قرابتهم .

أولئك ثبّت الله الإيمان في قلويهم ، كما يثبت القول والعهد بكتابته ، ومنحهم الرضا والتوفيق ، والهدى والروح الطاهرة العتصلة بالله ، وأعدًّ لهم في الأخرة جنات تجرى من تحتها الأنهار ، فيها نعيم مقيم ، وخارد أبدى سرمدى ، مع قريهم من الله تعالى ورضواته عنهم ، فقد فقدوا مودة آبائهم وأقاريهم من أجل مرضاة الله ، فعوضهم الله رضوانه عليهم ، فلا يسخط عليهم أبدا ، ومنحهم الرضا بالجنة رنعيمها ، والرضا لقريهم من ريهم ومحبته ، فيا لها من نعمة ، نعمة الرضا المتبادل بينهم وبين ربهم وخالقهم ، الرضا بين الجدر الفاني والإله الهاقي ، الرضا بين المخلوق الضعيف والخالق القرى المتين ، الرضا بين مؤمن أرضى ربه في الدنيا فأرضاه الله في الأهرة .

أُوْلَكِيكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ .

هؤلاء أهباب الله وأوليارة ، وأهل رضاه ومحبته ، ومن كان في طريق الله ومرضاته فإنه أهل للفلاح والنجاح ، والفوز في للدنيا ، والسعادة في الأخرة .

في أعماب تفسير الآية

قال ابن كثير في تفسيره:

نزلت هذه الآية في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر ، وفي أبي بكر الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن ، وفي مصمب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ ، وفي عمر بن الخطاب قتل قريبًا له يومئذ ، وفي حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ . اهـ .

أى أن منهم من قتل أباه ، ومنهم من قتل لبنه ، ومنهم من قتل أشاه ، ومنهم من قتل قريبًا له ، ومنهم من قتل بعض أفراد عشيرته وأسرته ؛ فأنزل الله تعالى : وَأَوْ كَالُواْ ءَالْمَاعُمْ أَوْ أَيْنَاعُمُهُ أَوْ إِسُواْ لُهُمُ أَلْ عَلَيْمِ لُهُمْ ...

ومعنى هذا أن الله أنزل هذه الآية فيهم ، أى أنها مما ينطبق معناها عليهم ، ومما يشرح بعض مدلول الآية ، فقد قال علماء علوم القرآن : (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) ، أى أن الآية عامة فى كل مؤمن يجعل مودّته وطاعته وإخلاصه لله ، ولا يوالى أى قريب أو حبيب إذا كان من أعداء الله ، والآية مع ذلك تنطبق على أفراد من الصحابة قتلوا بعض أقاريهم مرضاة لله تعالى فى غزوة بدر ، أو فى غيرها من المواقع .

من تفسير القاسمي بتصرف

تنبيهات

الأول :

من أشهاه هذه الآية قوله تعالى : لا يَتْجِلُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَنْفِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفَعَلُ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي هُيْءٍ إِلاَّ أَن تَظُوا مِنْهُمْ تُفَنَّةً وَيُحَدِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَدُ ... (إلى عموان : ٢٨) .

وقوله تعالى : قُلُ إِن كَانَ عَابَاؤُكُمْ وَأَبَنَاؤُكُمْ وَالْفَوْالُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرُلُكُمْ وَأَنْوَالُ آهَوُهُوهَا وَيَخْلُوهُ لَخَشُونَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنَ مُوضَوْلِهَا آحَبُ إِلِيْكُم مَنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْبُصُوا خَشْ يَأْتِي ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ وَٱللَّهُ لا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَلْسِقِينَ . (الدرية: ٢٤).

قال ابن كثير :

ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله ﷺ المسلمين في أساري بدر، فأشار الصديق بأن يُفَادُوا، فيكون ما يرثخذ منهم قوة للمسلمين ، وهم بنو العم والعشيرة ، ولعل الله تعالى أن يهديهم . وقال عمر: لا أرى يا رسول الله ، هل تمكنني من فلان – قريب لعمر – فأقتله ، وتُمكن عليًا من عقيل ، وتُمكن فلانًا من فلان ، ليملم الله أنه ليست في قلوينا موادة المشركين ؟ .

الثاني :

قال ابن كثير: في قوله تعالى: رَحْنِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ... سر بديع وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى ، عوضهم الله بالرضا عنهم ، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظايم ، والفضل العميم .

الفالث :

يفهم من قوله تمالى: ﴿ حَادَّ اللَّهُ وَرَسُولُمْ ... وقوله في آية أخرى : لاَ تُعْجِلُواْ عُلَرِّى وَعَدُوَّكُمْ أُولِيَاةَ ... (المعتحنة : ١) . أن العراد بهم المحاربون لله ولرسوله ، الصائرين عن سبيله ، المجاهرون بالعداوة والبغضاء ، وهم الذين أخبر عنهم قبلُ بأنهم يتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ، فتشمل الآية المسركين وأهل الكتاب المحاربين المحاديين لنا ، أي الذين على حدُّ منا ومجانبة لشئوننا ، تحقيقاً لمخالفتنا ، وترصدًا للإيقاع بنا ، وأما أهل الذمة الذين بين أظهرنا ، معن رضى بأداء الجزية لنا وسالمنا ، واستكان لأحكامنا وقضائنا ، فأولئك لا تشملهم الآية ، لأنهم ليسوا بمحادّين لنا بالمعنى الذي ذكرناه ،

ولذا كان لهم ما لنا ، وعليهم. ما علينا ، وجاز التزوج منهم ، ومشاركتهم ، والاتجار معهم ، وعيادة مرضاهم ، فقد عاد النبي ﷺ يهوديًّا ، وعرض عليه الإسلام فأسلم - كما رواه البخاري("".

وعلى الإمام حفظهم والمنع من أذاهم ، واستنقاذ أسراهم ، لأنه جرت عليهم أحكام الإسلام ، وتأبد عهدهم ، فلزمه ذلك كما لزم المسلمين - كما في (الإقفاع) و(شرحه) .

وقال ابن القيّم في (إغاثة اللهفان) في الرد على المتنطعين الذين لا تطيب نفوسهم بكثير من الرخص
المشروعة: ومن ذلك أن الذبي ﷺ كان يجيب من دعاه فيأكل طعامه ، وأضافه يهودى بخبر شعير وإهالة
سنشة ، وكان المسلمون يأكلون من أطعمة أهل الكتاب ، وشرط عمر رضى الله عنه ضيافة من مرّ بهم من
المسلمين وقال: أطعموهم مما تأكلون . وقد أحل الله عزّ وجلّ ذاك في كتابه ، ولما قدم عمر رضى الله عنه
المسلمين الماني المناب الماما فدعوه فقال: أين هو؟ قالوا: في الكنيسة ، فكره دخولها ، وقال لعلي
رضى الله عنه : اذهب بالناس . فذهب عليُّ بالمسلمين ، فدخلوا وأكلوا ، وجعل عليّ رضى الله عنه ينظر إلى
الصورة ، وقال: ما على أمير المؤمنين لو دهل وأكل ، انتهى .

والأصل في هذا قوله تعالى: لا يَنْهَنكُمُ اللَّهُ عَن الَّذِينَ لَمْ يَقَلِيقُوكُمْ فِي اللَّذِينَ وَلَمْ يُعْرِجُوكُم مِّن فِيَارِكُمْ أَنْ تَرُوهُمْ وَتُفْسِطُواۚ إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهُ يَحِبُ الْمُفْسِطِينَ ﴿ إِنَّهَا يَنْهَدُكُمْ اللَّهُ عَنِ اللَّذِينَ فَتَلُوكُمْ اللَّهُ عَنِ اللَّذِينَ فَتَلُوكُمْ اللَّهُ عَنْ اللَّذِينَ فَاتَلُوكُمْ أَنْ فَلَا عَنْ اللَّذِينَ وَأَخْرَجُوكُم مِّن وَيَسْرُكُمْ وَطُنُهُرُواْ طَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ فَلَوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأَوْلَئِكَ هُمُ الطَّلِمُونَ . (المستحدة : ٨ . ١) .

قال السيد ابن المرتضى اليماني في (إيثار الحق) : عن الإمام المهديّ محمد بن المطهّر أن العوالاة المحرمة بالإجماع هي أن تحب الكافر لكفره ، والعاصي لمعصيته ، لا لسبب آخر ، من جلب نفع أن دفع ضرر ، أن خصلة خير فيه . وسيأتي في أول سورة الممتحنة زيادة على هذا إن شاء الله تعالى ، وبالله التوفيق^{٣١}.



أهسداف سيورة الحشير

(سورة الحشر مدنية، وآياتها ٢٤ آية ، نزلت بعد سورة البينة)

وقد نزلت في بداية السنة الرابعة من الهجرة بعد غزرة أحد وقبل غزوة الأجزاب ، وهي تحكى قصة غزرة بنى النضير ، ولكنها على طريقة القرآن تحكى أحداث الغزرة وما صاحب هذه الأحداث ، وتربى النفوس وتزكد على معالم الإيمان ، وبذلك يكرن القصص هادفًا ، ورواية الأحداث وسيلة عملية لتقويمها ، ومعرفة حكم الله فيها واستنباط العظة والعبرة منها .

والقرآن الكريم فيه القصة ، وفيه أحداث التاريخ ، وفيه العظة والعبرة ، وفيه الحكم والتشريع ، وفيه التهذيب والتربية ، وقد استطاع أن يمزج ذلك كله بطريقته الخاصة ، ليصل به إلى قلب المؤمن ، وليسهم في بناء الفرد الصالح والأسرة الصالحة ، والمجتمع الصالح والأمة الصالحة .

قال تمالى : كُنتُمْ خَيْزَ أَمْدٍ أَخْرِ جَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُوُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنَهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُولِينُونَ بِٱللَّهِ ... (ال عمران : ١١٠)

غزوة بئى النضير 🗥

قدم رسول الله ﷺ المدينة ومعه رسالته الهادية، وقد آمن به جمع من المهاجرين والأنصار، ثم عقد معاهدات مع يهود المدينة على حرية الأديان ، وعلى المعايشة السلمية في المدينة ، وعلى ألا يكون اليهود عليه ولا له .

«وكان يهود بنى النضير حلفاء الخزرج ، ويبنهم وبين المسلمين عهود خاصة يأمن بها كل منهم الأخر»، (^(۱۱) ، لكن بنى النضير لم يوفوا بهذه العهود حسدًا منهم ويغيًا ، فقد ذهب رسول الله ﷺ في عشرة من أصحابه إلى محلة بنى النضير ، يطلب منهم المشاركة في أداء دية قتيلين ، بحكم ما بينة ويينهم من عهود ، فاستقبله زعماء اليهود بالبشر والترحاب ورعدوا بأداء ما عليهم بينما كانوا يدبرون أمرًا الاغتيال . رسول الله ﷺ ومن معه . وكان ﷺ جالسًا إلى جدار من بيوتهم فقال بعضهم لبعض: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ، فهل من رجل منكم يعلو هذا البيت فيلقى صخرة عليه فيريحنا منه ؟ فقال عمرو بن

جحاش بن كعب : أنا لذلك ، فصعد ليلقى صخرة على رسول الله ، فاطلع ﷺ على قصدهم ، فقام كأنما ليقضى أمرًا ، فلما غاب استبطأه من معه ، فخرجرا من المحلة يسألون عنه فطموا أنه بنخل المدينة .

وأمر رسول الله ﷺ بالتهيرٌ لحرب بنى النضير لظهور الخيانة منهم ، ونقض عهد الأمان الذى بينه وبينهم ، وكان قد سبق هذا إقذاع كعب بن الأشرف – من بنى النضير – فى هجاء رسول الله ﷺ ، وما قبل من أن كعبًا ورهطًا من بنى النضير اتصلوا بكفار قريش اتصال تآمر وتحالف وكيد ، مما جعل رسول الله ﷺ في يأذن لمحمد بن مسلمة في قتل كعب بن الأشرف فقتله . ولما كان التبييت للغدر برسول الله ﷺ في مطلة بنى النضير ، فلم يهق مفر من نبذ عهدهم إليهم .

ثم أرسل النبي إليهم محمد بن مسلمة ليقول لهم: اخرجوا من بلادي لقاء ما هممتم به من الغدر.

وتجهز الرسول لقتال بنى النضير وحاصر مطتهم ، وأمهلهم ثلاثة أيام – وقيل عشرة – ليفارقوا المدينة على أن يأخذوا أموالهم ، ويقهموا وكلاء عنهم على بساتينهم ومزارعهم .

وتهيأ بنو النضير للرجيل ، ولكن المنافقين في المدينة أرسلوا إليهم يحرضونهم على الرفض والمقاومة ، وقالوا لهم : لا تخرجوا من دياركم ، وتمنعوا في حصونكم ونحن معكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم ، وقد حكى القرآن عمل المنافقين وشهّر بنفاقهم وكذبهم .

وقد طمع اليهود في معونة المنافقين ومؤازرتهم ، فتحصنوا في حصونهم وتأخروا عن الجلاء ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فحاصرهم ﷺ وضيق عليهم الخناق ، ثم أمر بقطع نخيلهم ليكون ذلك أدعى إلى تسليمهم ، ثم قنف الله الرعب في قلوب اليهود ، ولم يجدوا معونة من المنافقين ، ويئسوا من صدق وعودهم فسأنوا رسول الله ﷺ أن يجلهم ويكف عن دمائهم ، وأن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا آلة الحرب ، فأجابهم النبي إلى طلبهم ، وصار اليهود يخربون بيوتهم بأيديهم كيلا يسكنها المسلمون .

ولما سار اليهود نزل بعضهم بخيبر، ومن أكابرهم حيى بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق.

ومنهم من سار إلى أذرعات بالشام، وقد أسلم منهم اثنان يامين بن عمرو وأبو سعد بن وهب.

وكانت أموال بنى النفسير فينًا خالعمًا لله والرسول ، ولم يوجف (٢٠٠٠ المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين خاصة دون الأنصار عدا رجلين من الأنصار فقيرين هما سهل بن حنيف ، وأبو دجانة سماك بن خرصة ، وكان المهاجرون قد تركوا بلادهم وأموالهم وهاجروا فرازا بدينهم إلى المدينة ، وقد استقبلهم الأنصار بالبشر والترحاب والمعونة الصادقة والإيثار الكريم ، فلما واتت الفرصة وزع النبى الفيء على المهاجرين خاصة لتحسين أحوالهم المادية ، «لكيلا يكون المال متداولاً بين الأغتياء وحدهم .

قال تعالى : وَمَا أَلَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفُتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلِ وَ لَا رَكابٍ وَلَسْكِنُ اللَّهُ يُسَلِّطُ رُسُلَكُمْ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلُّ هَمِيْءٍ قَدِينٌ . (العدد : ٢).

تسلسل أفكار السورة

- ا وصفت سورة الحشر حصار بنى النفير ، وعناية السماء بالمؤمنين ، وانتهاء الحصار بجلاء الههود
 وانتصار المؤمنين . (الآيات : ۱ ٤).
- ٢ تحدثت عن قطع المسلمين للنخيل وبينت أن ذلك كان بأمر الله ليذل به اليهود ويخزى الفاسقين .
 (الآبة : ٥) .
- ٣ ذكرت حكم الفىء والغنائم التى غنمها المسلمون من بنى النضير ، وبينت أنها توزع على المهاجرين لسد حاجتهم ، ولا يعطى منها شيء للأنصار لأنها ليست غنيمة حرب استخدم فيها الكر والفر وركوب الإبل والخيل ، ولكنها غنيمة حصار محدود انتهى بتسليم اليهود بعد أن ألقى الله الرعب فى قلوبهم . (الأيتان : ٢ ، ٧).
- 3 باركت السورة كفاح المهاجرين وخورجهم من مكة إلى المدينة حفاظًا على الدين وفداه للعقيدة ، كما باركت كرم الأنصار وأريحينهم ، ووصفتهم بالسماحة والإيثار ، والمحية للبذل والعطاء .
- كما باركت الأجيال اللاحقة التي وُلدت في محاضن الدعوة ، وكانت ثمرة كريمة لترابط المهاجرين والأنصار . (الآيات: ٨ – ١٠) .
- ٥ حملت السورة على المنافقين ، وكشفت نفاقهم وكيدهم ، واتهمتهم بالجبن والصفار . (الآيات: ١١ ١٧).
- " بينت أن اللفاء بين المنافقين وأهل الكتاب لقاء في النظاهر فقط، ويينهم من العداوة والإحن ما يظهر
 في الشدائد: بأنسُهُم يَسْهُم شَدِيدٌ تَحْسَبُهُم جُومِعًا وَقُلُوهُمْ شَتَىٰ ... (الحشر: ١٤).

- ٧ أشارت إلى قصة الشيطان مع عابد يسمى برمسيصا ، حيث أغراه الشيطان بارتكاب الفاحشة فم
 استدرجه إلى الكفرثم تولى عنه وخذله ، ومثله كمثل المنافقين ، زينوا لليهود المقاومة والتحصن ضد
 المسلمين ثم خذاوهم . (الآية : ٢٦) .
- ٨ في الجزء الأخير من السورة تلتفت الآيات إلى المؤمنين فتأمرهم بالتقوى والعمل المسالح ، وتبين فضل القرآن وأثوره في هداية القلوب . (الآيات : ١٨ – ٢١) .
- ٩ تختم السورة بذكر أسماء الله الحسنى فهو سيحانه مالك الملك (القادس) تقدست أسماؤه وتنزهت عن النقص, (السلام) الذي يشمل عباده بالأمان والطمأنينة ويمنحهم السلامة والراحة, (العرامن) واهب الأمن وواهب الإيمان , (المهيمن) الرقيب على كل شيء , (العزيز) الغالب , (الجار) القاهر , (العكبر) البليغ الكبرياء والمختلمة , (البارغ) الموجد , (المعمور) خالق المصور للكانتات ، ومن معناها إعطاء الملامح المتعيزة والسمات التي تمنح لكل شيء شخصيته الخاصة , (له الأسماء الحسني) الدالة على المراح المتعيزة والسمات التي تمنح لكل شيء شخصيته الخاصة , (له الأسماء الحسني) الدالة على المدف المدالية على كمال ومنزه عن كل نقص .

المقصد الإجمالي للسورة

قال الفيروزبادي :

معظم مقصود سورة الحشر هو: الخير عن جلاء بنى النضير ، وقسم الغنائم ، وتقصيل حال المهاجرين والأنصار ، والشكاية من المنافقين في واقعة بنى قريظة ، وذكر برصيصا (٢٠٠ ، والنظر إلى العواقب ، وتأثير نزول القرآن ، وذكر أسماء الحق تعالى وصفاته ، ويبان أن جميع المخلوقات تدل على عظمته وكماله وتنزيهه ، في قوله سبحانه : هُو الله الغنائي البَّرِئُ الْمُمَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْمَ يُسْتِحُ لَهُ مَا في السُّمَنُونِ وَالْأَوْمِنُ وَقُولُ الْمُرْتَعِينَ الْمَسْرَةِ عَلَى المُسْرَةِ وَاللهُ الْمُسْرَةِ وَاللهُ المُسْرَةِ عَلَى المُسْرَةِ عَلَى اللهُ المُسْرَةِ وَاللهُ المُسْرَةِ وَاللهُ المُسْرَةِ عَلَى اللهُ المُسْرَةِ عَلَى اللهُ المُسْرَةِ وَاللهُ المُسْرَةِ وَاللهُ المُسْرَةِ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ المُسْرَةُ وَلَيْ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ ا

النظام الاقتصادي في الإسلام

أشارت الآية السابعة من سورة الحشر إلى الحكمة من توزيع الفىء على المهاجرين وحدهم دون الأغنياء من أهل المدينة فقال تعالى: كُيْ لاَ يُكُونُ دُولَةً بْيَنَ الْأَغْنِيَاءِ صِكُمْ ... (الحشر: ٧) . أي : كيلا يكون الفيء – أي الغنيمة – متداولاً بين الأغنياء دون الفقراء ، وهذه قاعدة هامة من قواعد النظام الاقتصادي في الإسلام .

- وقد احترم الإسلام الملكية الفرديية لأنها حافز طبيعى للعمل والإنتاج ، ولكنه قلم أظفار هذه الملكية ، وحارب جبروت المال وطفيانه بما يأتي :
- ا فرض الإسلام الزكاة وجعلها نسبة متفاوتة حسب النعب في كسب المال: فزكاة المال نسبتها ٥,٧٪
 وكذلك زكاة التجارة ٥,٧٪ من رأس المال ، وزكاة الزراعة ٥٪ أو ١٠٪ ، وقريب منها زكاة الماشية ،
 وزكاة الركاز وهو المال أو البترول أو المعادن والكنوز التي توجد في باطن الأرض نسبتها ٧٠٪
- و مكذا كلما كان عمل العبد أظهر كانت نسبة الزكاة أقل ، وكلما كان عمل القدرة الإلهية أظهر كانت نسبة الزكاة أكثر ، لأن الفضل لله في ظهور الكنز أن البترول فكانت النسبة ٢٠٪ ، والجهد ظاهر من العبد في التجارة والعمل في المياة فنسبة الزكاة فيها ٢٠٪٪ .
- حرّم الإسلام الريا والاحتكار، وهما الوسيلتان الرئيسيتان لجعل المال دولة بين الأغنياء، أي يتداوله
 الأغنياء ولا يصل إليه الفقراء.
- جمل للإمام الحق في أن يأخذ فضول أموال الأغنياء فيردها على الفقراء ، وأن يفرض الضرائب في
 أموال الأغنياء عند خلو بيت المال.
- ٤ جعل هناك صدقات موسمية مثل: صدقة الفطر، والأضحية، والهدى في المج ، والكفارات مثل: كفارة اليمين، والظهار، والفطر في رمضان، وكلها تنتهي إلى إطعام المساكين أو كسوتهم والتوسعة عليهم.
- حد الإسلام على المستقة والتراحم والتكافل والعودة والتعاطف بين الناس ، ويذلك نجد أن النظام
 الاقتصادى في الإسلام نظام متعيز ليس فيه مساوئ الرأسمالية أو الشيرعية ، بل فيه محاسنهما مع
 التجرد من عيويهما ، وذلك نظام العليم الخبير ، البصير بالنفوس الذي أعطى للإنسان حق التملك ثم
 جعله موظفًا في ماله يجب عليه أن ينفق وأن يتصدق عن طواعية ورغبة في الثواب العاجل والآجل.
 - قال تمالى : وَأَنْفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَحْلَفِينَ فِيهِ ... (الصيد : ٧) .
- وقال سبحانه : مُثَلُ ٱلَّذِينَ يُفِقُونَ أَمَّوَ لَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمُفَارِحَةٍ أَشَبَّتَ سَبَعَ سَتَابِلَ فِي كُلُّ مُنْئِلَةٍ مَآثَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُعَدِّجِفُ لِهِن يَشَنَّةُ وَٱللَّهُ وَاسِمٌ عَلِيمٌ . (والعِندَ : ٢٠٧) .

ويقول المرحوم أحمد شوقي في الهمزية النبوية التي مطلعها :

ولد المهدى فالكاتنات ضياء وإذا سخوت بلغت بالجود المدى وإذا عضوت فقادرًا ومقدرًا وإذا خطبت فللمنابر هزة وإذا أحدت العهد أو أعطيته بك يا ابن عبد الله قامت سمحة (٣٠ الله فوق الخلق فيها وحدة والديل يسر والخلافة بيعة الأستراكيون أن إمامهم

وقع السزمان تسبيتم وقيقاء وقعلت ما لا تضعل الأنواه (**) لا يستهين بعضوك الجهلاء هذان في الدنيا هما الرحماء تعود التذي (**) وللقلون بكاء فحميع عهدك نُمة ووقاء بالحق من ملل الهدى غراء والناس تحت لواتها أكتفاء والأمر شوري والحقوق قضاء لولا دعاري التوم والخلواء (**)

تمهيد،

سورة الحشر تسمى: سورة بنى النضير.

روى البخارى(٢٠) عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : سورة الحشر ؟ قال : سورة بنى النضير ، وهم قرم من اليهود ، وهى مدنية ، وآياتها أربع وعشرون بلا شلاف (٢٠٪).

وجاء في تفسير المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ما يأتي :

بدأت السورة بأن الله سبح له ونزهه عما لا يليق به كل شيء في السماوات والأرض ، وأنه العزيز الذي لا يُغلب ، الحكيم في تصرفاته وتشريعه ، ومن آثار عزته وحكمته ما تحدثت عنه السورة من عاقبة بني لا يُغلب ، الحكيم في تصرفاته وتشريعه ، ومن آثار عزته وحكمته ما تحدث عليه آلا يكونوا عليه ولا له ، فلما كانت مزيمة المسلمين في يوم أحد نكثوا عهدهم ، وحالفوا قريشًا عليه ﷺ ، فحاصرهم في حصونهم التي ظنوا أنها تمنعهم ثم أجلاهم عن العدينة ، ثم بينت حكم الفيء ، وهو ما كان من الغنائم بلا حرب ولا إسراع بركوب المُعيال ونحهما ، فذكرت أنه لله وللرسول ولذي القربي واليتامي والمساكين وابن السبيل ، وللفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، ثم تحدثت عن الأنصار وفضلهم (٣٠).

وفى حديث الآيات عن الأنصار تطرقت إلى إيثارهم المهاجرين على أنفسهم ، ولو كان بهم حاجة إلى ما آلروهم به ، ولفتت النظر إلى ما كان من وعود المنافقين لبنى النضير ، فى قولهم لهم : لَِّينَ أُخْرِجُتُمُ لَتَحُرُّجُنَّ مَعْكُمُ ... وقولهم : وَإِنْ قُولِتُمُ لِتَسَمِّرُكُمُ ... (الصفر:١١) . وفضيت كذبهم وتغريرهم فى ذلك .

ثم خلصت السررة إلى تذكير المؤمنين بما ينبغى أن يكونوا عليه من تقوى الله ، والتزود للمستقبل القريب والبعيد ، وألا يكونوا كالذين أعرضوا عن الله فأنساهم أنفسهم ، وختمت ببيان شأن القرآن وعظيم تأثيره ، ذلك لأن الذي أنزله هو الله الذي لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى (۵۰ .

+ + +

بِ اللَّهِ الرَّحْزَ الرَّحِيمِ

المطردات

- سببسع السلسه، نزمه ومجده وعظمه ، بدلالته على قدرة خالقه وعلمه وإتقان مخلوقاته . السسم سنزه سيرز ، القادر الغالف ، الذي لا ينازعه أحد .
- - ما شد تم أن يخرجوا؛ لأنهم كانوا أهل حصون مانعة ، وأهل عدد وعدة .
 - ألهم مانعتهم حصوتهم من الله : خلنوا أن حصونهم تمنعهم من بأس الله .
- من حيث اسم يحسنسبوا ، أتناهم أمر الله من حيث لم يخطر بُبالهم أنه يأتيهم من تلك الجهة ، وذلك غزو لهم ، لإخراجهم من بلاد العرب .

التفسيره

١ - سَنَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ.

كل شيء في الأرض أو في السماوات يسبح الله وينزهه ويعظمه ، إما بلسان الحال وإما بلسان المقال.

أما لسان الحال فإن السماء العالية والجبال الراسية والبحار الجارية والليل المظلم والنهار المضىء والقمر الباهر والكوكب الزاهر والنبات والفضاء والهواء، وما في الكون من تكامل وإبداع يدل دلالة واضحة على أن وراء هذا الكون البديع يدا حانية تمسك نظامه وتحفظ توازنه وتدبّر شقونه، وكل ما نراه في الكون من جمال وإبداع وتناسق، هو من أثر هذه القدرة العلها.

وفى كسل شمىء لمنه آيسة بمدل عملي أنمة المواحسان

وهذه الأقان المتعددة تشهد بتنزيه الله عن الشريك والنظير ، وتقول بلسان الحال : سبحان الله العزيز الحكيم ، القرى القدير الذي يحكم الصنمة وينبر الأمر ، وهو على كل شيء قدير .

وأما لسان المقال ، فكما تسبح الإنس ، والملائكة وأُلجِن ، يقول الله تعالى : تُسَبِّحُ لَهُ اَلسَّمَلُوْاتُ اَلسَّعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مَّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّعُ بِحَمْدِهِ وَلَذِين لاً فَقَهُونَ تَسْبِحَهُمْ ... (الإسراء : ٤٤) .

هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب – وهم يهود بنى النضير – من ديارهم عند أول إخراج لهم من جزيرة العرب ، وما كنتم تظنون أن يخرجوا ، لأنهم كانوا أهل عدد وعدة ، وقد ظنوا في أنفسهم أن حصونهم المنبعة تصدّ عنهم بأس الله إذا نزل بهم ، فأخذهم الله من حيث لم يظنوا أن يرخذوا من جهته ، وألقى في قلوبهم الفرع الشيد ، وصمار اليهود يخربون بيرقهم بأيديهم ليتركوها خاوية ، وأيدى المؤمنين ليقضوا على تحصنهم ، فاتعظوا بما نزل بهم يا أصحاب العقول .

٣ - وَلُوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَلْبَهُمْ فِي ٱللَّٰنِيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ عَلَابُ ٱلنَّارِ.

وهؤلاء اليهود الأغرار لو لم يكتب عليهم الجلاء إلى الشام ويقوا في ديارهم لعنبهم الله في الدنيا بالقتل والأسر، كما فعل بالمشركين في غزوة بدر الكيرى، هذا إلى ما أعده الله لهم من العذاب والنكال يوم القيامة. ﴿ إِلَاكَ بَأَتُهُمْ شَأَقُوا آللَّهُ وَرُسُولُهُ, وَمَن يُشَآقُ ٱللَّهُ فَإِنَّ ٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ.

وإنما استحق يهود العدينة ما فعله بهم الرسول ﷺ وأصحابه من الحشر والإخراج عن ديارهم ، بعا كانوا يشاقون الله ورسوله ، من نقض عهودهم للرسول بعد وقعة يدر ، ثم كذَّبوا ما أنزله الله على رسله المتقدمين من البشارة.بمحمد ﷺ ، فهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم .

وَمَن يُشَاقُ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ.

أى: ومن يعاد الله فإن الله يعاقبه أشد العقاب ، وينزل به الفزى والهوان في الدنيا ، والتكال السرمدى في الأخرة .

* * *

توزيع الفيء والفنائم

﴿مَافَطَعَتُم مِن لِينَ الْمَافَرَكَ شُوهَا فَآيِمةً عَلَىٰ أُسُولِها فَيَإِذْنِ اللّهَ وَلِيُخْزِى ٱلْفَسِقِين ﴿ وَمَاأَفَةَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا آوْجَفَتُم عَلَيْهِ مِنْ خَيْلِ وَلارِكَابِ وَلَكِنَ ٱللّه يُسَلِّطُ رُسُلُهُ عَلَى مَن يَشَافُّ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ مِنْهِ وَلِيرٌ ﴿ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ ٱلْفُرَىٰ فَلِلّهُ وَلِلسُّولِ وَلِنِي ٱلْفُرِي وَأَلْمَتَنَى وَالْمَسَكِينِ وَأَنِي ٱلسَّيلِ كَن لاَيكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيآ فِي مَكُمُ وَمَا عَلَيْكُمُ ٱلرَّسُولُ فَحُدُوهُ وَمَا نَهَدَكُمْ عَنْهُ فَأَنتَهُواْ وَاتّعُوا اللّهِ إِنْ

المفردات،

ه به الذي المام عليكم . فالله أذن لكم فيه ، فلا لوم عليكم .

و يحد و السط است يدن اليفيظ أصحاب النخل من اليهود ويذلهم .

وما أشاء الله صلى رسوله ، من أموال بني النضير ، أي : رده على رسول الله .

مسمن خسيم الإبل ، واحده: ناقة . والركاب: ما يركب من الإبل ، واحده: ناقة .

يسلط رسك على من يشاء ، من أعدائه ، أي : ببعثه عليهم لتأديبهم والانتقام منهم .

كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ، حتى لا يكون الفيء مقصورًا على الأغنياء ، يتداولونه بينهم ، يأخذه هذا مرة ، ويأخذه أخذى ، دو الأغذه فذا أخرى ، ولا يأخذ الفقراء منه شيئًا .

> وما اتساكه م السرسول فسخستوه ، ما أعطاكم الرسول مما أفاء الله عليه من أهل القرى فخذى. التشهير :

> > ه - مَا فَعَلَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى ٓ أَصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَحْزى ٱلْفَاسِقِينَ.

كانت غزرة بنى النضير فى السنة الرابعة ، على رأس سنة أشهر من وقعة بدر ، وكان نخيلهم ومثارلهم فى تاحية المدينة على ميلين منها ، فحاصرهم رسول الله على حتى رضوا بالجلاء ، وفى أثناء الحصار هجم بعض المهاجرين على نخيلهم ، يستأصلونه أن يحرقونه إغاظة لهم ، فنهاهم بعض المهاجرين عن ذلك ، وقالوا : إنما النخل من غنائم المسلمين ، فصاح الههود منكرين على العرب قطع نخيلهم وإحراقه ، ولم يكن العرب قطعوا من النخيل إلا شيئًا قليلاً لا يجاوز نخلة أو ست نخلات على الأكثر، وعلم النبي بما كان ، وهق ذلك على وعلى بقية المسلمين ، ولكن الله سبحانه أنزل فى ذلك قوله : ما قَعَلْتُم من من قاطعى النخل، لأن كل فريق مجتهد فيما ذهب إليه .

٣ - وَمَا أَفَاهَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفُتُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَيْلٍ وِلَا رِكَابٍ وَلَنكِنَّ ٱللَّهُ يُسَلَّمُ رُسُلَمُهُ, عَلَىٰ مَن يَشَاهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلُّ شَيْءٍ قَايِقٍ .

وأما أموال بنى النضير فقد جعلها الله تعالى لرسوله خاصة ، لأن المسلمين لم يبذلوا فيها جهدا ولا مئونة ، ولم يحركوا إليها حيلاً ولا إبلاً ، لأن الجلاء قد اتفق عليه صلحاً بينهم وبين الرسول ﷺ فلم يكن للمسلمين حق في تلك الأموال التي آلت إلى رسول الله ﷺ دون حرب ، والله تعالى يسلما بعض رسله لإذلال بعض أعداقه ، كما أذل بني النضير إذ غدروا بالنبي ، وحالفوا عليه مغركي مكة .

- مَا آلَاءَ آللَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِن أَهْلِ ٱلْلَهْرَىٰ فَلِلّهِ وَلِلرّسُولِ وَلِلِيمَ ٱلْقُرْنَىٰ وَٱلْيَسْمَكِينِ وَآلِينِ ٱلسَّبِيلِ
 كَمْ لاَ يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَاةِ مِنكُمْ وَمَا ءَاسْكُمُ ٱلرّسُولُ فَخْلُوهُ وَمَا نَهْنَكُمْ عَنْهُ فَاتَنْهُواْ وَٱللّهُ إِنَّ ٱللّهُ هَدِيدً
 آلِهَابِ .

أما الأموال والغنائم التي استولى عليها المسلمون في جرب بني قريظة ، فإنها قسمت بين المحاربين لأن بني قريظة لم يُحشروا ولم يحرجوا عن أوطانهم وإنما قطهم المسلمون بسيونهم . وقرى اليهود : أشهرها قرية بنى النضير، وقريطة ، وفدك ، وخيور. وقد تبين الحكم في أموال بنى النضير في الآية السابقة ، ومثلها ما فتح صلحًا مثل فدك ، وأما غناتم سائر القرى مما فتح عنوة ، فإن خمسه لله والرسول ، وأربعة أخماسه تقسم بين المقاتلين .

قال تعالى: وَآتَعَلُمُوٓا أَلْمَا خَيَعْتُم مِّن شَيْعٍ فَأَنَّ لِلْهِ حُمُسُمُ وَلِلزَّمُولِ وَلِلِي ٱلْقُوْتِي وَٱلْيَسْتَكِينِ وَٱلْيَ السّيول ... (الأنفال: ٤١٠).

وقد بين الله فى الآية الحكمة فى إعطاء الفقراء والمساكين نصيباً من أموال الغنائم ولو لم يحاربوا ، إن ذلك لمنع كثرة الأموال فى أيدى الأغنياء الذين يشهدون المعارك ، وحرمان الفقراء الذين لا يقورن على أن يشهدوا الحرب .

فضائل المهاجرين والأنصار

المطردات:

ال مه الحياد الذين هاجروا إلى رسول الله 義 رغبة في الدين ونصرة له ، وتركوا الله وتركوا الله وتركوا الله وتركوا الله والمليهم وأموالهم .

تى <u>. وأوا السدار والإرسمان ،</u> المراد بالدار : دار الهجرة ، وهي المدينة ، أي : تمكنوا منهما تمكنًا شديدًا ، ولازموهما . يـحـيـون من هـاجــر السيسهم؛ فقد آمنوا بالله ورسوله ، وأحسنوا إلى المهاجرين وأشركوهم معهم شي أموالهم ومساكنهم .

ولايونون في منورهم حاجة مما أوتوا: لا يجد الأنصار في نفوسهم حسدًا ولا غيظًا مما أوتى المهاجرون من القرء ، وإشراكهم .

ويـــؤهــرون عــــــــى الدشعـــه، الإيثار: تقديم غيرك على نفسك في حظ من حظوظ الدنيا ، رغبة في حظه ظ الآخرة .

ولسوكسان بسهسم خصسا صسة ؛ أي : حاجة إلى المال الذي آتوه المهاجرين -

ومسن يسوق شسح نسفيسه ، الشح : البخل مع حرص ، ويوق : يحفظه الله من شح نفسه .

والسنيسن جماعوامسن بمستجمع، الذين عاجروا بعدما قوى الإسلام ، ويشمل جميع العريدين لدعوة الإسلام حتى آخر الزمان .

____لاً ، غشًا ، بغضًا ، حسدًا .

تمهيد :

لم يكن لرسول الله ﷺ رغبة في اعتزان الأموال لنفسه وأسرته وأهله ، ومال الفيء الذي أهاءه الله عليه من بنى النخسير وخبير وفدك وغيرها ، لم يكن يأخذ منه إلا نفقة عياله لسنة ، ثم يرد ما يبقى بعد ذلك على فقراء المهاجرين والأنصار ، ومن لا مال له من اليتامى والمساكين وأبناء السبيل المنقطعين عن أموالهم ويلادهم وأهليهم ، وقد بينت الآيات الثلاث (٨ - ١٠) ثلاثة أصناف من الذين كان يعطيهم من فيئه ، أو من الخمس الذي كان لله ورسوله من غنائم الحروب .

التفسيره

لِلْفَقْرَاءِ ٱلْمُهْدَوِينَ ٱللَّهِنَ أَخْرِجُواْ مِن دِينَرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَعُونَ فَصْلاً مَن ٱللَّهِ وَرِطْوَانًا وَيَعَمُّونَ ٱللَّهُ
 وَرُسُولَهُ أَوْلَكِينَا هُمُ ٱلصَّدَاقُونَ .

الصنف الأول : فقراء المهاجرين الذين أخرجوا من مكة إلى المدينة ، وتركوا أموالهم بها مؤثرين الهجرة مع رسول الله ﷺ نصرة لدين الله ، وهم صادقو الذية في ذلك . ٩ - وَٱللَّذِينَ تَنْوَعُو ٱللَّذَارَ وَٱلْإِيمُدُنَ مِن قَلِهِمْ يُحِنُّونَ مَنْ هَاجَرْ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةُ مِّمَةٌ أُولُواً
 وَيُؤِيُّرُونَ عَلَىٰ أَنفُ بِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ حَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شَمَّ لَفَيْبِهِ لَمُؤْرِثَيْنِكَ مُمْ ٱلْفَيْلِمُونَ .

والمسنف الثانى: أهل المدينة الذين سكنوها ، ويادروا إلى الإيمان بالله ورسوله ، وأحبوا من هلجر إليهم مع النبى من المهاجرين ، وقاسمهم أموالهم ومساكنهم ، وكانن لا يجدون في نفوسهم حسدًا على ما أوترا من الفيء أو من أموالهم الخاصة ، وكانوا يؤثرون المهاجرين بما في أيديهم ولو كانوا محتاجين إليه.

١٠ – وَٱلَّذِينَ جَامُو مِنْ تَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آغَفِرْ لَكَ وَلِإِخْرَافِ ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـدُنِ وَلَا تَجَعَلُ فِي قُلُوبِنَا غِلاَّ لَلْذِينَ عَاشُواْ رَبِّنَا إِلَّكِ زَعُوفَ رَحِيمٌ.

والصنف الثالث: فقراء المهاجرين إلى المدينة في أزمنة متلاحقة بعد هجرة النبي ﷺ إليها.

فهرلاء الأصناف الثلاثة هم أولى الناس بأن يرعى النبى مصالحهم ويعطيهم من فيته الخاص ، ومن الخمس الذي جمله الله لله وللرسول ولذي القربي والهتامي والمساكين وابن السبيل .

وعلى هذا التصرف نشأ المجتمع الإسلامي في المدينة نشأة مثالية ، جعلت كل فرد فيه يبحث عن مصلحة إخرانه في هذا المجتمع الإسلامي في المدينة نشأة مثالية ، جعلت كل فرد فيه يبحث عن مصلحة إخرانه في هذا المجتمع الرأن يبحث عن مصالح أهله وعياله ، ويهذه الروح العالية أقدموا على الحروب والفتوح في خلافة الراشدين ، فدان لهم المالم ، ونشروا رسالة الإسلام ومحاسنه في دنها المادة والنظام والفش ، وحرمان الفقراء ، وأثرة الأقوياء ، فلهم ونشروا رسالة الإسلام ومحاسنه في دنها المادة والنظام والفش ، وحرمان الفقراء ، وأثرة الأقوياء ، كانتا على طبل الدهر متعادين متضاصمين ، ويهذا تستى لهم أن يجمعوا تراث العالم القديم من المعرفة ، وعصارة حضارات المتعاقبة ومزجوا كل ذلك بتراث الإسلام ، فأخرجوا لأنفسهم حضارة جديدة قوامها العلم والدين ، وقد نمم بها العالم عدة قرون ، ولا يزال كثير من أمم الشرق يعيشون في غيره هذه المصارة ، حتى يوم الناس هذا . فأين ذلك كله من حال المجتمع المكي في بدء عصر الرسالة المحمدية ، وقد ويضهم حسل الله الأكون القُراث أكلاً أمن ذلك كلاً من حال المجتمع المكي في بدء عصر الرسالة المحمدية ، وقد ويضهم الله بقوله : كُلاً بَلُ لا تُحَرَّق الشَّراث أكلاً من المؤل مؤلمي أن المُراث أكلاً أمن الكربة المؤلمة و وقد ويشهم ألمال حياله المجتمع المكي في بدء عصر الرسالة المحمدية ، وقد ويشهم ألمال حيال حيال مؤلم المؤلم على المبالم المؤلمة ، وكلاً بن الأخر كلاً بن الذهر : ١٧٠ - ٢٠٠٠) .

المنافقون واليهود

﴿ اَلَمْ مَرَ إِلَى اللّذِيكِ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَنِهِمُ الّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ أَهْلِ الْكِذَبِ لَين أَخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَ مَعَكُمْ وَلَا فَطِيعُ فِيكُمُ أَحَدًا الْبَدَاوَلِن فُوتِلْتُمْ لَنَنصُرُدَكُمُ وَاللّهُ يَشْهُدُ إِنَّهُمْ لِكَذِينَ ۚ لَكَ لِمَنْ أُخْرِجُواْ لَا يَعْرَجُونَ مَعَهُمْ وَلَين فُوتِلْمُ لَا يَصُرُونَهُمْ وَلَين نَصْرُوهُمْ لِيُولُّ إِلَيْ الْمَدْرَثُ لَكَ لَا يُصَرُون اللّهُ اللّهَ اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهِ اللّهِ فَي اللّهُ وَلِين مِنْ اللّهُ وَذِلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُون اللّهُ لَا يَعْمَدُهُمْ جَيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَقَى وَلك عَمْ اللّهُ وَاللّهُ مِنْ وَرَاقِهُمْ اللّهُ مَن الشّهُم يَنْهُمْ سَدِيثٌ فَعَسُبُهُمْ جَيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَقَى وَلك عَذَابُ أَلِيمٌ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ الشّيطُنِ إِذَ قَالَ الْإِنسَنِ الصَّفُرُ فَلنَا كَفَرَ قَالَ إِنِي اللّهِ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ وَلَا اللّهُ ال

المطردات :

تساهستسوا: أظهروا غير ما أضمروا، وبالغوا في إخفاء عقائدهم.

الإخسسوان؛ الأصدقاء، واحدهم أخ، والأخ من النسب جمعه إخوة.

أشدرها أي: إنهم يخافرنكم في صدورهم أشد من خوفهم من الله.

لايطقهون ، لا يعلمون عظمته تعالى حتى يخشوه حق خشيته .

جسميها؛ أي: مجتمعين.

معصنة، أي: بالدروب والخنادق وغيرها.

جميسير ، حيطان ، واحدها جدان

يساسمهم : أي : الخلاف بينهم دائم .

وبال أمرهم ، سوم عاقبتهم ، من قولهم : كلا وبيل ، أي : وخيم سيئ العاقبة .

تمهيك

بعد أن ذكر سبحانه ما حدث لينى النمبير من الاستسلام خوفًا ورهبة ، لما قذفه في قلوبهم من الرعب ، ثم ذكر مصارف الفيء التي تقدمت – أردفه بذكر ما حصل من مناصحة المنافقين – عبد الله بن أيى بن سلول ورفقته – لأوائك اليهود ، وتشجيعهم لهم على الدفاع عن ديارهم ، ومحاريتهم رسول الله ﷺ ، بما قصه الله علينا وفصله أتم تفصيل ، ليكون في ذلك عبرة لذا ، وإنا لنشاهد كل يوم أن الناس يضل بعضهم بعضًا ويغورنهم ثم يتركرنهم في حيرة من أمرهم لا يجدون لهم مخلصًا مما وقعوا فيه .

أخرج ابن إسحاق، وابن المنذر، وأبو نعيم، عن ابن عباس: أنها نزلت في رهط من بني عوف، منهم عبد الله بن أبي بن سلول، ووديعة بن مالك، وسويد وداعس بعثوا إلى بني النضير بعا قصه الله علينا في كتابه.

التفسيره

١١ – أَلَمْ تَنَ إِلَى ٱلْذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ يُرِخْزِيهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَئْبِ لِينَ أَشْرِجُمْ لَنَعْرُجُنَ مَعْكُمْ وَلَا تَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبْدًا وَإِن قُولِتُمْ أَنْسَمُرْتُكُمْ وَآلَالُهُ يَشْهَدُ إَنَّهُمْ أَكَدْلِيونَ .

أَلَمْ ثَرَ. أسلوب يراد بهِ التعجب من حال المتحدث عنه ، ويبان أن أمره غاية في الفرابة ، وموضع للدمنة والحيرة .

فهرلاء قوم من منافقى المدينة لهم أقوال تخالف ما يبطنون ، منهم عبد الله بن أُبَّى وشهعته ، رأوا رسول الله ﷺ شرع يحاصر بنى النضير ويقاتلهم ، فأرسلوا إليهم يقولون لهم : إنا قادمون لمساعدتكم بخيلنا ورجلنا ولا نسلمكم لمحمد أبدًا، فجدوا فى قتالهم ، ولا تهنوا فى الدفاع عن دياركم وأموالكم ، حتى إذا اشتد الحصار ، وأوغل المسلمون فى الدخول فى ديارهم ، وتحريق نخيلهم ، وهدم بيوتهم ، رأى بنو النضير أن تلك الرعود كسراب بقيعة يحسبه الظمأن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ، وأنهم بين أمرين :

١ - الاستسلام وقبول حكم محمد ﷺ فيهم.

٢ - إفناؤهم وتخريب ديارهم .

وقد أدخل الله الرعب في قلويهم ، فاختاروا الدنيّة ، وقبلوا الجلاء عن الديار ، واستبان لهم أن المنافقين كاتوا كاذبين لا عهود لهم ولا وعود ، كما هو دأبهم في كل زمان ومكان . ويعد أن كذّبهم على سبيل الإجمال كليهم تفصيلاً ليزيد تعجيب المخاطب من حالهم ، وليبين له مبلغ خيث طويتهم ، وبندة جينهم وفزعهم من القتال ، وأن هذه الوعود أقوال كاذبة لاكتها ألسنتهم ، وقلويهم منها براء ، فقال :

١٢ - كِينْ أَجْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَكِين قُوتِلُواْ لاَ يَعصُرُونَهُمْ وَكِين نَّصَرُوهُمْ لَيَوْلُن ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُعصَرُونَ .

أى: لتن أخرج بنو النضير من ديارهم فأجلوا عنها : لا يخرج معهم المنافقون الذين وعدوهم بالخروج من ديارهم ، ولئن قاتلهم محمد ﷺ لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليوان الأدبار منهزمين عن محمد وأصحابه ، وهاريين منهم خاذلين لهم ، ثم لا ينصر الله بني النضير .

وهذا إخبار بالغيب ، ودليل من تلاثل النبوة ، ووجه من وجوه الإعجاز ، فإنه قد كان الأمر كما أُهبر. الله قبل وقوعه .

والخلاصة : أن بنى النضير أخرجرا فلم يخرج معهم المنافقون ، وقوتلوا فما نصروهم ، ولو كانوا قد نصروهم لتركوا النصرة وانهزموا وتركوا أولئك اليهرد في أيدى الأعداء .

ثم ذكر السبب في عدم نصرتهم لليهود والدغول مع المؤمنين في قتال ، فقال :

١٣ - لَأَنتُمْ أَشَدُ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَالِكَ بِٱللَّهِمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ .

أى: إنهم يخافونكم أشد مما يخافون الله ، ومن ثم لم يجرءوا على الدخول معكم فى قتال ، وتركزا الهود يحكم عليهم الرسول بما يشاء .

ثم ذكر سبب الرهبة لهم من دون الله ، فقال :

ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ .

أى : وكانت هذه الرهبة لكم فى صدروهم أشد من رهبتهم لله من أجل أنهم لا يقتهون قدر عظمته تعالى ، فهم لذلك يستخفُون بمماميه ولا يرهبون عقابه قدر رهبتهم لكم .

ونحو الآية قوله تعالى: إِذَا فَرِيقٌ مِّنَّهُمْ يَحْشَوْنَ ٱلنَّاسُ كَحَشْهَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ حَشْهَةً ... (النساء: ٧٧).

١٤ - لا يَفْتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَمَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُلْرٍ بَأْسُهُم يَتَهُمْ شَلِيدٌ تَحْسَبُهُم جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ
 شَيْرُ ذَاكَ بَالَهُمْ فَوْمٌ لا يَعْقَلُونَ .

أى: إن هؤلاء اليهود والمنافقين قد ألقى الرعب فى قلوبهم ، فلا يواجهونكم بقتال مجتمعين ، لأن الخوف والهلع بلغا منهم كل مبلغ ، بل يقاتلونكم فى قرى محصنة بالدروب والخنادق ونحوها ، ومن وراء الجدر والحيطان وهم محاصرون .

ثم بيِّن أن من أسباب هذا الجبن والخوف التخاذل وعدم الاتحاد حين اشتداد الخطوب ، فقال :

بَأْسُهُم يَيْنَهُمْ شَايِدٌ ...

أى : بعضهم عدو لبعض ، فلا يمكن أن يقاتلوا عدوًا لهم وهم في تشاذل وانحلال ، ومن ثم استكانوا وناول .

وفي هذا عبرة للمسلمين في كل زمان ومكان ، فإن الدول الإسلامية ما هدّ كيانها ، وأضعفها أمام أعدائها إلا تشاذلها أفرادًا وجماعات .

تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ هَتَّيْ ...

أى: إنك أيها الرسول إذا رأيتهم مجتمعين خِلتهم متقفين ، وهم مختلفون غاية الاختلاف الما بينهم من إحن رعداوات ، فهم لا يتماضدون ولا يتساندون ولا يرمون عن قوس واحدة .

وفي هذا تشجيع للمؤمنين على قتائهم ، وحث للعزائم الصادقة على حريهم ، فإن المقاتل متى عرف ضعف خصمه الزداد نشاطًا ، وإزدادت حميته ، وكان ذلك من أسباب نصرته عليه .

ثم بيُّن أسباب التفرق وانحلال الوحدة ، فقال :

ذَالِكَ بَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ .

أي: ذلك التغرق من جراء أن أفئدتهم هواء ، فهم قوم لا يفقهون سر نظم هذه الحياة ، ولا يعلمون أن الوحدة هي سر النجاح ، ومن ثمُّ تشاذلوا وتغرقت كلمتهم ، واختلف جمعهم ، واستهان بهم عدوهم ، ودارت عليهم الدائرة .

٥ ١ - كَمَثَل ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُواْ وَبَالَ ٱمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ ٱلِيمٌ .

أى: مثل بنى النضير مثل اليهود من بنى قينقاح الذين كانوا حول المدينة وغزاهم النبى ﷺ يرم السبت فى شوال على رأس عشرين شهرًا من الهجرة ، وأجلاهم إلى أذرعات بالنشام ، وذاقوا سوء عاقبة كفرهم إثر عصيانهم قبل وقعة بنى النضير التى كانت سنة أربع للهجرة .

والخلاصة : إنهم قد كانت لهم أسوة ببنى قينقاع ، فجروحهم لا تزال دامية ، وأثار خذلانهم لا تزال بادية للعيان ، وقد كان من حق ذلك أن يكون عبرة ماثلة لهم ، ولكنهم قوم لا يفقهون ولا يعتبرون بالمثلات التي يرونها رأى العين ، وكانت لهم عبرة في معركة بدر حيث هزم الكافرون .

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

لا يقدر قدره ولا يعرف كنهه سوى علام الغيوب.

١٦ - كَمَثَلِ ٱلشَّيْطُنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ ٱكْفُرُ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيَّةٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ ٱللَّهَ رَبُّ ٱلْعُسْلَمِينَ.

أى: مثل هؤلاء المنافقين الذين وعدوا اليهود من بنى النضير بالنصرة إن قوتلوا ، أو الخروج معهم إن أخرجهم معهم إن أخرجها ، ومثل بنى النضير فى غرورهم برعودهم وإسلامهم إياهم فى أشد حاجتهم إليهم وإلى نصرتهم حكمثل الشيطان الذى غرّ إنسانًا ووعده بالنصرة عند الحاجة إليه إذا هو كفر بالله واتبعه وأطاعه ، فلما احتاج إلى نصرته أسلمه وتبرأ منه ، وقال : إنى أخاف الله رب العالمين إذا أنا نصرتك ، لثلا يشركني معك فى العذاب .

والخلاصة:

أن ما ل البهود في انترازهم بمن وعدوهم بالنصرة من المنافقين بقولهم لهم: المن قوتلتم لننصرنكم ، ولما جد الجد واشتد الحصار وانقتال تظاوا عنهم وأسلموهم للهلكة – كمثل الشيطان إذ سول للإنسان الكفر والعصيان ، فلما دخل فيه تهراً منه وتصل ، يقتل : إِنِّيَّ أَخَاكُ اللَّهُ رَبُّ ٱلْفَلْكِينَ .

ولا تجد مثلاً أشد وقعًا على النفوس ، ولا أنكى جرحًا في القلوب من هذا المثل ، لمن اعتبر وانكر، ولكنهم قوم لا يعقلون .

١٧ - فَكَانَ عَلْقِبَتُهُمَّا أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَلِلِنَيْنِ فِيهَا وَذَالِكَ جَزَّ وَأَ ٱلطَّالِمِينَ .

أى: فكان عاقبة الآمر بالكفر والداخل فيه الخلود في الذار أبدا ، وهكذا جزاء الظالمين لأنفسهم بالكفر كيهود بني النضير والمنافقين الذين وعدوهم بالنصرة.

تقوى الله

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِيكَ ءَامَنُوا اَنَّقُوا اللَّهَ وَلَتَنظُرْ نَفْسٌ مَافَدَ مَتْ لِفَدِّ وَاتَقُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ خَيِرًا بِمَا تَقْمَلُونَ ۚ فَكَ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَنَهُمْ أَنفُسُهُمُ أَوْلَيْكَ هُمُ الْفَنسِفُوكَ فَ لَا لَكُونَا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَنَهُمْ أَنفُسُهُمُ أَوْلَيْكَ هُمُ الْفَنسِفُوكَ فَلَهُ الْمَنسَلُومَ لَلْهُ اللَّهُ الْفَنسِفُوكَ فَلَهُ اللَّهُ الْمُنْهُمُ الْفُلُمُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللللْمُوالِلَّةُ الللللَّهُ اللللْمُولَا الللللْمُ اللللْمُولَى اللللْمُلْمُ اللل

المفردات ،

مساقسسدمت، أي شيء قدمت.

لسعوا السلسه ؛ أي : نسوا حقه ، فتركوا أوامره ، ولم ينتهوا عن نواهيه .

فانساهم انفسهم و أي : أنساهم حظوظ أنفسهم ، فلم يقدموا لها خيرًا ينفعها .

التفسير،

١٨ - يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامْتُواْ ٱللَّهَ وَالْسَفُورْ تَفْسُ مَّا قَلْمَتْ لِفَسدٍ وَٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ تَسبِيرًا بِمَا تَعْمَلُونَ .

فافعلوا ما به أمر ، واتركوا ما عنه نهى ورجر .

وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدْمَتُ لِغَمْدِ ...

أى: وانتظروا ماذا قدمتم لأخرتكم مما ينلُعكم يوم الحساب والجزاء ، يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وترى الناس سكاري رما هم بسكاري ، ولكنهم من توقع العذاب حيار:

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهُ ...

تكرير للتوكيد ، لما يستدعيه الحال من التنبيه والحث على التقوى التي هي الزاد في الميماد .

ثم وعد وأوعد ، ويشر وأنذر ، فقال :

إِنَّ ٱللَّهَ خَسِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ .

أى أنه تعالى عليم بأحوالكم لا يخفى عليه شيء من شكرنكم ، فراقبوه في جليل أعمالكم وحقيرها ، واعلموا أنه سبحانه سيحاسبكم على النقير والقطمير ، والقليل والكلير ، ولا يفوته شيء من ذلك . ١٩ - وَلَا تَكُولُواْ كَالَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَنِّكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ .

أي: ولا يكن حالكم كحال قوم تركوا العمل بحقوق الله التي أوجبها على عباده ، ف. ن على قلويهم وأنساهم العمل الصالح الذي ينجيهم من عقابه ، فضلًوا ضلالاً بعينًا فجازاهم بما هم له أهل ، وما هم مستحقون ، جزاءً وفاقًا لما دسوا به أنفسهم وأوقعوها في المعاصى والآثام ، ومن ثم حكم عليهم بالهلاك قاتلاً :

أُوْلَكِيكَ هُمُ ٱلْفَلْسِقُونَ .

أي: أولئك هم الذين خرجوا على طاعة الله فاستحقوا عقابه يوم القيامة.

ونحو الآية قوله تعالى : يَلَّأَيُّهَا ٱلَّذِينَ عَاشُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمُوَّالُكُمْ وَلَا أَوَّلَنْدُكُمْ عَن لِأَكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلُ ذَالِكَ فَأَوْلَنِيْكَ مُمْ ٱلْخَنْسِرُولَ . (المنافقون: ٩) .

حملي أبو بكر فقال: أما تعلمون أنكم تغدون وتروجون لأجل معلوم ؟ فمن استطاع أن يقضى الأجل
وهو في عمل الله عز وجل فليفعل ، ولن تتالوا ذلك إلا بتوفيق الله عز وجل ، إن قوماً جعلوا أجالهم لغيوهم
فنهاكم الله عز وجل أن تكونوا أمثالهم ، فقال : ولاتكونوا كاللين تسوأ الله فأنسَلهُم أنفسهُم ... أين الجبارون
فنهاكم الله عز وجل أن تكونوا أمثالهم ، فقال : ولاتكونوا كاللين تسور الآبات الصحر والآبار ، هذا كتاب الله لا تفنى
عجائبه ، فاستضيئوا منه ليوم ظلمة ، واستضيئوا بسناته وبيانه ، إن الله أثنى على زكريا وأهل بيته ،
فقال تعالى : إنهُم كَالُوا يُسَدِّرُ عُونَ فِي ٱلْخَيْرُاتِ وَلَاكُولُوا رَغًا وَلِعًا كُالُوا أَنَا خَلْوِسِنَ . (الأنبياء : ٥٠) . لا جير
في قول لا يواد به وجه الله ، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله ، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه ، ولا
خير فيمن يخاف في الله لؤمة لائم .

٢ - لا يَسْتُونَ أَصْحَلْبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَلْبُ ٱلْجَنَّةِ أَضِحَلْبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَالْفِرُونَ .

أي : لا يستوى الذين نسوا الله فاستحقوا الخلود في النار ، والذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود في الجنة .

ونحو الآية قوله تعالى : أَمَّ خَسِبَ ٱلَّذِينَ آجَرَحُواْ ٱلسَّبَّاتِ أَنْ نَجْعَلُهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَانُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِمَحَتْ سَرَاهُ مُحْيَامُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ . (البعائية : ٢٧).

وقوله تعالى : أَمْ نَجَثُلُ ٱلَّذِينَ عَاشُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلْلِحَنْتَ كَالْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ِأَمْ نَجَثُلُ ٱلْمُنْظِينَ كَالْفُصُّارِ . (س: ۲۸)

ثم بين عدم استوائهما ، فقال:

أَصْحَلَبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَالِئِرُونَ .

أي : أصماب الجنة هم الفائزون يكل مطلوب ، الناجون من كل مكروه .

وفي هذا تنبيه إلى أن الناس لقرط غفلتهم وقلة تفكرهم في الماقية ، وتهالكهم على إيثار العاجلة ، واتباعهم للشهوات الفانية ، كأنهم لا يعرفون الغرق بين الجنة والنار ، وشاسع البون بين أصحابهما ، وأن الغوز لأصحاب الجنة ، فعن حقهم أن يعلموا ذلك بعد أن تُبهوا له ، كما تقول لمن عن أباه : هو أبوك ، تجمله كأنه لا يعرف ذلك فتنبهه إلى حق الأبوة الذي يقتضى البر والعطف .

* * *

للة الأسماء الحسثى

﴿ لَوَ أَنْ لَنَاهُ لَنَا الْقُرْمَانَ عَلَى جَبَلِ لِّرَايُّتَهُ، خَشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهُ وَيَلْكَ الْالْمَثِلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُ مَرْنَفَكُرُونَ ۞ هُوَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَّهُ إِلَّا هُوَ الْمَيْكُ الْفَيْتِ وَالشَّهُ لَذَي هُوَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهُ إِلَّا هُوَ الْمَيْكُ الْفَيْتِ وَالشَّهُ لَلَهُ اللَّذِي لَا إِلَهُ إِلَّا هُوَ الْمَيْكُ الْفَيْتُ وَلَّ اللَّهُ اللَّهُ عَنَا لِللَّهُ اللَّهُ الللْمُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللْمُنْ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ الللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللللْمُنْ اللللْمُلِلْمُ الللْمُنْ الللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُنْ الللْمُنْ الللْمُنْ اللَّهُ اللْمُل

المقردات :

ا منقادًا متذللاً .

م تصلیم ایم ایم ایم تشققاً ایم

خشيه الماسة ؛ خوفه وشديد عقابه .

الم التي لا تراها .

والشيم الذة : ما حضر من الأجرام المادية التي نشاهدها .

السقيدوس ، المنزه عن النقص .

السمسسسسلام؛ الذي سلم الخلق من ظلمه إذ جعلهم على نظم كفيلة برقيهم.

المسمورة على المائد في المهاب الأمن ، فكل مخلوق يعيش في أمن ، فالطائد في جوه ، والحية في وكرها ، والمائد في اللمور تعيش كذلك ، ولا يعيش قوم على الأرض ما لم يكن مناك حواس يحرسون قراهم وإلا هلكوا .

الصحوصة القالب على أمره .

المسمع مسيسان؛ الذي جبر خلقه على ما أراد وقسرهم عليه .

السمستسكسيسور البليغ الكبرياء والعظمة.

سيحان الله عما يشركون ؛ أي : تنزه ربنا عما يصفه به المشركون .

المسخمال المقدر للأشياء على مقتضى الحكمة .

المسسسم الرق ، أى : المبرز لها على صفحة الوجود بحسب السنن التي وضعها ، والغرض الذي علقت له .

المسمعمم أي: الموجد للأشياء على صورها ومختلف أشكالها كما أراد.

الأسمساء السحسيني: أي: الأسماء الدالة على محاسن المعانى التى تظهر في مظاهر هذا الرجود، فنظم. هذه الحياة ويدائع ما فيها دليل على كمال صفاته ، وكمال الصفة يرشد إلى كمال الموصوف.

تمهيد،

بعد أن ذكر فرق المضلين من المنافقين ، والضالين من اليهود وغيرهم ، وأمر عباده المؤمنين . بالتقوى استعدادًا ليوم القيامة – ذكر هنا أن لهم مرشدًا عظيمًا ، وإمامًا هاديًا هو القرآن ، الذي يجب أن تخضع لهيبته القلوب ، وتتصدح لدى سماع عظاته الأفقية ، لما فيه من وعد روعيد ، ويشارة وإنذار ، وحكم وأحكام ، فلو أنا ألهمنا الجبل عقلاً ، وفهمه وتدبرً ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل ، فكيف بكم أيها البخر لا تلين قلوبكم ولا تخشع ، ولاتتصدع من خشيته ، وقد فهمتم من الله أمره ، وتدبرتم كتابه ؟

وبعد أن وصف القرآن بالعظم أتبعه بوصف عظمة المُنزل للقرآن ذى الأسماء الحسنى الذي يخضع له ما في السماوات والأرض ، وينقادون لحكمه وأمره ونهيه .

لتفسيره

٧١ – لَوْ أَنزِتُنَا هَلِذَا ٱلْقُرْمَانَ عَلَىٰ جَبَلِ ثِرَأَيْتِهُ, حَلِهِمَا مُتَصَدَّمًا مِّنْ حَشَيْةِ ٱللَّهِ وَبِلْكَ ٱلْأَمْدَالُ مَعْرِبُهَا لِلنَّاسِ كَمَلُهُمْ يَعَكُمُ وَ فَ

أى: لو جُعل فى الجيل عقل كما جُعل فيكم أيها الهشر ، ثم أُنزل عليه القرآن لخشع وخضع وتشقق من خشية الله .

وهذا تمثيل لعلق شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ والزواجر ، وفيه توبيخ للإنسان على قسوة تلبه وقلة تخشعه حين قراءة القرآن ، وتدبر ما فيه من القوارع التي تذل لها الجبال الراسيات .

وَيِلْكَ ٱلْأَمْعَالُ نَصْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ .

أى: وهذه الأمثال التي أودعناما القرآن وذكرناما في مواضعها التي ضريت لأجلها ، واقتضاها السال من نصو قبوله تجهالي : وَإِنَّ مِنَ آلَعِجَارَةِ لَمَا يَشَعَرُ مِنْهُ آلْآلَهَلُرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَعُقُ فَيَحْرُجُ مِنْهُ آلْعَاهُ وَإِنْ مَنْهَا لَمَا يَشَعُ لَلَهُ مَنْ مَثْلَمَ اللّهُ اللّهِ ... (البقرة: ٤٤) . وقوله تعالى : وُلُو أَنْ قُرْمَانًا سَتَوَتْ بِمِ ٱلْحِبَالُ أَوْ فَقُمْتَ بِمِ آلْوَجِنَّالُ أَوْ فَقُمْتَ بِمِ الْوَجِنَالُ أَوْ فَقُمْتَ بِمِ آلْوَجِنَالُ أَوْ فَقُمْتَ بِمِ آلْوَجِنَالُ أَوْ فَقُمْتَ بِمِ آلْوَحِنَالُ أَوْ فَقُمْتَ بِمِ آلْوَجِنَالُ أَوْ فَقُمْتَ بِمِ آلْوَحْلُ مَا الله الله والله وهو شهيد، فمن الناس من وفقه الله واهدتى بها إلى سواء السبيل ، وفاز بما يرضى ربه عنه ، ومنهم من أعرض عنها ونأى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، وأدخله في سقر ، وما أدراك ما سقر ، لا تُبقى ولا تذر .

٢٧ - هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَا إِلَنهَ إِلَّا هُوَ عَلْلِمُ ٱلْفَيْبِ وَٱلسُّهَالَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَانُ ٱلرَّحِمُ.

في هذه الأيات إلى آخر السورة ذكر القرآن طائفة من أسماء الله الحسني تتضمن صفاته العلى ، التي جلّت أن يشاركه فهها المطلوقين .

منها: أللهُ. وهو عَلَم على رب الأرباب ، المتغرب باستحقاق العبادة دون غيره من كل من سُمى إلهًا أوربًا ، وغيد من غير أن يكون مستحقًا لأن يعيد .

وقد أحاط علم الله بجميع الأشياء ، فهو يعلم ما غاب عنا ، وما حضر وشوهد وتحققت معرفته .

هُوَ آلرَّ حَمَّنُ . المبالغ في رحمة عباده ، و آلرُّ حَمَّنُ آلرَّ جِيمُ . صفتا مبالغة من الرحمة ، وهي الإنعام والتفضل على المحتاج . ٧٣ – هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَكَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكَ الْقُدُوسُ السَّلَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْفَوْيَةُ الْعَبَانُ الْمُعَكَّدُ سُبَحَنَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ .

وكرر قوله : هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَّهُ إِلَّا هُوَ . تثبيتًا لمعنى الجملة ، وتقريرًا له في النفوس .

مِ ٱلْمَلِكُ : الحاكم بأمره في الدنيا والآخرة ، لا يشاركه في ملكه شيء .

وهو ٱلْقُلُّوسُ: أي الطاهر، أو المنزه عن كل نقص.

وهو ٱلسَّلَامُ: الذي يمنح عباده الأمن من عذابه .

ٱلْمُهَيِّمِنُ : الشهيد على عباده ، يرقب أعمالهم ، ويجازيهم عليها .

أَلْعَزِيزُ : القوى الغالب ، الذي لا يغلبه ولا يقهره شيء .

ٱلْجُبَّارُ: صاحب الجبروت والقدرة العالية.

ٱلْمُتَكِّبُرُ: الذي تَرَفُّع عن كل نقص ، وتعظم عما لا يليق به .

سُبْحَنْنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ : أسبح إلله وأنزهه عما يشركون معه من الأوثان .

٢٤ - هُوَ اللّهُ ٱلْحَدِيقُ ٱلْدَارِعُ ٱلْمُصَوَّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحَسْنَىٰ يُسَجَّحُ لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوُاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْفَرِيرُ
 إلْحَكِيمُ .

هو المعبود الخالق ، المبدح للأشياء على غير مثال سابق ، والذى يصور المخلوقات في أحسن المعبود . وهذه بعض أسمائه الحسنى التى سمى بها نفسه ، وكل شىء فى السماوات والأرض يسبح له وينزهه ، مفصحاً بلسان مقاله أو مشيرًا بلسان حاله : وَإِنْ مِّن شَيْءٌ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَلْكِن لا لَقَفَهُونَ لا تَشْهِرُهُمْ .. (الإسراء ٤٤).

أهم ما ترشد إليه سورة الحشر

١ - إن تجرية إجلاء النبي ﷺ يهود بنى النضير عن المدينة إلى خيبر، ثم إلى الشام، فى السنة الرابعة من الهجرة، كانت تجرية ضرورية، إيمانًا للدسائس والمكايد والفتن عن معقل الإسلام الحديث، وقد كان بنو النضير بعد غزوة بدر قد عاهدوا النبي ﷺ أن يلزموا الحياد بينه وبين قريش، ثم نقضوا ذلك المهم، وكان بما عاهدوا عليه فى غزوة أحد، ثم حاولوا قتل النبي بإلقاء رحى عليه من سطح منزل لهم، حين ذهب إليهم يفاوضهم فى تحمل بعض ديات القتلى من بنى عامر، فأطلعه الله على سوء نيتهم، وعاد إلى المدينة، فأذن الله له فى إجلائهم عن ديارهم، فأمرهم بالجلاء، وهو الحشر الأول، فتمنعوا منه فى حصن البويرة، فحاصرهم فيه ست ليال، ثم ضالحوه على الجلاء، على أن له أموالهم ويهوتهم، ولهم ما تحمل الإبل فكانوا يخربون البيوت قبل أن يخرجوا منها، ويأغذون معهم ما تستطيع الإبل حمله.

وقد كانت محالفة بنى النضير قريشاً ونصرتهم على النبى هى غزوة أحد ، عملاً سياسيًّا يدل على قصر نظر اليهود وغباوتهم ، فقد حسبوا أن فى ذلك قضاء على الإسلام وهو لا يزال فى مهده ، ولم يحسبوا أن المدينة كانت مركز القوة الإسلامية المقتصمة ، وفهها الرسول وكبار أصحابه من المهاجرين والأنصار، وهى أقرب إلى قرى اليهود من مكة ، التى فيها كفار قريش حلفاء اليهود ، فهم إذن لا يأمنون صوباة أهل المدينة بهم إذا هم أعدثوا حدثًا يؤذى جماعة المسلمين . أما ما كان بينهم وبين منافقى أهل المدينة من حلف ومودة ، فقد تبين لهم بعد الجلاء أنه لم يكن إلا أحاديث سمر ، لا معول عليها إذا جد الجد ، ودنا منهم المخطر ، أو كأنه كما قبال تعالى : كَسَرَاسِم بِقِيمَة يَحْسُهُ ٱلطُّنُكَانُ مَاءً حَقَّى إِذَا جَامُوهُ مُرَّالُهُ مَرْ يَرَافًا مُرَافِعَ النبير ، ٢٩٩ .

والعبرة المستفادة من قصة جلاء بنى النضير عن ديارهم إلى خيبر ثم إجلائهم جميمًا إلى أرض المحسر بالشام، أن هذا الجلاء قد تم على حين غفلة، ويسرعة لم يكن المسلمون ولا اليهود يحسبون أنه يتم بمثلها ، لأن اليهود كانوا أهل حلقة (سلاح) وأهل حصون يتمنعون فيها عند الخطر، أشهرها : المويرة والوطيح والسلالم ونشاة والكتيبة . فلذك يقول الله تعالى : مَا ظَنَتُمْ أَنْ يَعْرُجُواْ وَظُوْراً أَنْهُم مَّائِعَهُمْ حُمُولُهُم مُنْ الله يَعْلُولُهُمْ اللهُ يَعْلُولُهُمْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ يَعْرُبُونَ اللهُ يَعْلُولُهُمْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْهُمْ اللهُ عَلَيْهُمْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْكُولُ اللهُ عَلَيْهُمْ إِلَيْهُمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِينِينَ الْعَيْرُولُ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْهُمْ اللهُ عَلَيْهُمْ وَأَنْهُمْ اللهُ عَلَيْهُمْ وَأَنْهُمْ اللهُ عَلَيْكُمْ اللهُ اللهُ عَلَيْهُمْ اللهُ عَلَيْهُمْ وَأَنْهُمْ اللهُ عَلَيْهُمْ وَاللهُ اللهُ عَلَيْهُمْ وَاللهُ اللهُ عَلَيْهُمْ اللهُ عَلَيْهُمْ وَاللهُ عَلَيْهُمْ وَأَنْهُمْ اللهُ عَلَيْهُمْ وَاللهُ عَلَيْهُمْ وَاللهُ عَلَيْهُمْ وَاللهُ اللهُ عَلَيْهُمْ وَاللهُ عَلَيْهُمْ وَاللهُ عَلَيْهُمْ وَاللهُ عَلَيْهُمْ وَاللهُ عَلَيْهُمْ وَاللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُمْ وَاللهُ عَلَيْهُمْ وَاللهُ عَلَيْهُمْ وَاللهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ وَاللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُمْ وَاللهُ عَلَيْهُمْ وَاللهُ عَلَيْهُ وَاللهُ عَلَيْهُمْ وَاللهُ عَلَيْهُمْ وَاللهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْكُولُولُولُهُمْ اللهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْكُولُولُهُمْ اللهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْكُولُولُهُ اللهُ عَلَيْكُمْ اللهُ عَلَيْكُولُولُهُمْ اللهُ عَلَيْكُولُولُهُمْ اللهُ عَلَيْكُولُولُهُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُولُولُهُمُ اللهُ عَلَيْكُولُولُهُ اللهُ عَلَيْكُولُولُهُمْ عَلَيْكُولُولُهُمْ عَلَيْكُولُولُهُمْ اللهُ عَلَيْكُولُولُهُمُ اللهُ عَلَيْكُمُ اللهُ عَلَيْكُمُ اللهُ اللهُولُولُهُمُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُمُولُولُهُمُ اللهُمُ اللهُمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ

ولكن عناية الله بأمر دينه وكتابه ورسوله ﷺ وصحابته الصادقي الإسلام ، ملأت قلوب اليهود رعبًا وفزعًا ، فأزعنوا للجلاء ، ورضوا بالخروج ، وفي ذلك عبرة لمن أراد أن يعتبر . أما الحشر الثانى فهو ما كان فى خلافة عمر بن الخطاب الذى أجلى جميع الهفود والنصارى عن جزيرة العرب ، وقال فى ذلك كلمته المكهمة الرائمة : (لا يجتم فى جزيرة العرب دينان) .

٢ - في صدر الإسلام ، وفي دولة الراشدين ، والدولتين الأمرية والعباسية ، صورة رائعة من رعاية
 الطبقات الفقيرة من المهاجرين والأنصار ، وذرى قربى النبى ﷺ ، واليتامى الذين لا مال ولا عائل لهم ،
 والمساكين وابن السبيل .

فقد جعل الإسلام لهذه الأسناف من الضعفاء حقوقًا ثابتة في الفيء، وفي غنائم الفتح والانتصار على الأعداء.

فأما الذىء فهو ما عاد إلى المسلمين من الأموال والخيل والسلاح والرقيق ، بدون أن يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب ، كأموال بنى النضير ، وحكمه أن ينول كله إلى الرسول ﷺ يعطى منه من يشاء ، ويصفظ منه القليل لننقة أهله وعياله مدة عام ، وقد رد النبي ﷺ أكثر أموال بنى النضير على فقراء المهاجرين الذين أخرجوا من مكة دارهم ، ونُهبت أموالهم وفرواتهم بأيدى أعداء الإسلام فكانوا يأكلون مال من للمهاجرين الذين أخرجوا من مكة دارهم ، ونُهبت أموالهم وفرواتهم بأيدى أعداء الإسلام فكانوا يأكلون مال من ليس له بمكة أسرة قوية تدافع عن أهله ، وتمافظ على ماله ، وإلى ما فعل النبي ﷺ من الاستيلاء على من بني النضير، وتصرفه فيه على ما يراه من مصلحة المسلمين ، تشير الآية الكريمة من هذه السورة : وَمَا أَمَّا اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَلَا وَرَاعُلُمْ عَلَى مُلْ وَكُلُورٌ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَلَى وَلَالُهُ عَلَى كُلْ مُنْ المُثَاءُ وَاللهُ عَلَى رسوله كأموال خيبر وفدك من قرى الههود.

أما الغنائم التي يغنمها المسلمون من أعدائهم يإيجاف الخيل والركاب ، وبالقتل والقتال ، فإنها كانت تُشمس نضسة أهماس :

همس منها : لله والرسول وذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وأربعة الأخماس الباقية تُقسم على المقاتلين .

والذى يُقسم بينهم هو كلّ شيء يمكن نقله من مكان إلى مكان مثل: الدراهم والدنانير ، والخيل والإبل ، والسلاح ، دون الرقيق والأرض ، قبل لهما حكمًا جاسًا .

والخمس الذي جُعل لله ورسوله ومن سعاهم الله في قوله تعالى : وَآغَلُمُوٓا أَنَّمَا غَيْمُهُم مِّن شَيْءٍ فَأَنْ يُلِّهِ خُمُسَهُ وَلِلْرُسُولِورَقِلِي ٱلْقَرْتَىٰ وَآلَيُسَلِّ وَآلَمَسَاكِين وَآتِن آلسَّبِيلِ ... (الأنفال: ٤١) .

فالذي لله يُنفق على إنشاء أو إصلام المرافق العامة كالمساحد:

والذى للرسول يُجعل فى نفقته ونفقة عياله وأزواجه ، وما يطرأ عليه من ضيف أو غرم فى دية أو ً نحو ذلك .

وأما سهم ذوى القريس ، فيُصرف إلى ينى هاشم وينى المطلب ، لأنهم منعوا أن يأكلوا من مال الصدقات (الزكاة) .

وأما سهم اليتامي فيصرف لمن لا مال له منهم ، أو لمن له مال ولا يمكنه الوصى منه .

وأما سهم المساكين فيُصرف للفقير الذي ليس عبده قوت يومه ، وللعاجز الذي أقعدته الزمانة والسن عن مزاولة العمل لكسب قوته .

وأما سهم ابن السبيل ، فيُعان منه المسافر الغريب الذي نقد ماله وزاده ، وهن لا يجد مَالاً يستطهم به المودة إلى بلاده وأهله الذين انقطع عنهم .

هذه صورة من أعمال البر التى كفلها الإسلام للفقراء فى غنائم الحروب ، لتحقيق العدل الاجتماعى الذى عبر عنه القرآن يقوله : كَيْ لاَ يَكُونَ فُولَةُ بْنَ ٱلْأَخْتِاءِ مِنكُمْ ... (الحدر: ٧) . أى : حتى لا يكون المال متداولاً بين أغنياتكم ودوى القدرة على شهود المعارك والحروب ، على حين يحرم منه الضعفاء والعجزة الذين لا يستطيعون إلى شهود الحروب والمعارك سبيلاً .

فأين هـذه للصورة المشرقة من رعاية حقوق الفقراء في الدولة الإسلامية الناشئة ، من تلك الصورة القائمة ، من تلك الصورة القائمة التي كانت للفقراء في المجتمع المكي القديم البائي ، الذي أنكر المتكبرون فيه حقوق الضعفاء والفقراء والمجرزة والهتامي والمساكين ، فويشهم الله على ذلك وذمهم بقولة تعالى : كُلَّا بَل لا تُكْرِمُونَ الرَّيْمَة وَلاَ تَصَلَّمُونَ عَلَى طَلَّهُ اللهِ عَلَى اللهِ وَلَّهُ وَلَوْمُونَ الْمُرْمُونَ الْمُرْافَ الْمُرَافَ الْمُرافَعُ عَلَى اللهِ عَلى اللهِ وَلَمُ مُونَ الْمُرافَعُ عَلَم اللهِ عَلى اللهِ عَلى اللهِ وَلَمُ اللهُ عَلى اللهُ عَلى اللهُ عَلى اللهُ عَلى اللهُ عَلى اللهُ عَلى اللهُ اللهُ عَلى اللهُ اللهُ عَلى اللهُ عَلى اللهُ اللهُ عَلى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلى اللهُ اللهُونَ اللهُ ا

(القجر: ۱۷ – ۲۰).

ويقوله تعالى : فَكَ الْقَصَمَ الْمُقَبَّةَ وَ مَمَا أَدْرَىٰلُكُ مَا الْمَقَبَّةُ وَ لَمُكُّ رَقَيْهِ وَ أَوْ إِطْعَنْمُ فِي يَوْمٍ فِي مَسْفَقِهِ يَتِيمُا ذَا مَشْرَيَةٍ وَأَوْ مِسْكِينًا ذَا مَثْرَيَةٍ وَثُمُ كَانَ مِنَ اللَّذِينَ ءَاسُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِالْصَبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْصَبْرِ وَالْوَاصَوْا بِالْمُرْصَافِ الْمُسْتَلِيثُ الْمُسْتَلِيثُ الْمُسْتَلِيثُ الْمُسْتَلِيثُ اللَّهِ الله الله ١٤ - ١٨) .

ومن الأموال ألعامة التى تقسم بين الناس أموال الخراج والصدقات ، وهى الزكاة ، فإن إمام المسلمين يتولى جمعها وتقسيمها على أصناف مخصوصين بينتهم الآية الكريمة في سورة التوية : إِنَّمَا المسلمين يتولى جمعها وتقسيمها على أصناف مخصوصين بينتهم الآية الكريمة في سيرا الله وَآلَمُ اللهُ وَآلَمُ اللهُ وَآلَمُ اللهُ وَآلَمُ اللهُ وَأَلْمُ اللهُ وَلَيْهُمْ وَفِي الرَّقَابِ وَآلْفَارِمِينَ وَفِي سَبِرا اللّهِ وَآلَمُ اللهِ اللهُ وَآلَمُ اللهُ وَآلَمُ اللهُ وَاللهِ اللهُ وَاللهُ وَلَيْهُمْ وَفِي الرَّقَابِ وَآلْفَارِمِينَ وَفِي سَبِرا اللّهِ وَآلَمُ اللهُ وَآلَمُ اللّهِ وَاللهِ اللهِ وَاللهِ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللّهُ وَاللهُ وَاللّهُ وَ

وان تبرأ على المجتمعات أن تتحسن صورتها ، إلا إذا استدت الرعاية بشئون الفقراء ، وامتم الأغنياء بصرف حقوق الفقراء في الزكاة والصدقات ، ومضاعفة ضروب البرّ والتبرعات ، حتى نمسح آثار اللفو والمسكنة ، وتَقُرِّى أواصر الترابط والتعاون بين طبقات الأمة ، لتصبح يدًا واحدة ، كالهنيان المرصوص يشد بعضا .

قال تعالى : وَأَنْفِقُواْ مِمًّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ . . . (الحديد : ٧) .

وقال سبحانه وتعالى: وَفِي ٓ أَمُو الْهِمْ حَقَّ لِّلسَّا ثِل وَٱلْمَحْرُومِ . (الداريات: ١٩) .

في أعقاب سورة الحشر

أسماء اثله الحسثى

أورد الإمام ابن كثير أسماء الله الحسنى في تفسيره ، وكذلك أ.د محمد سيد طنطاوى نقلا عنه، وكذلك أ.د وهبة الزحيلى في التفسير المنير فقال ما يأتى:

ويحسن ذكر الحديث المررى في الممحيحين، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً ، مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر» .

ورواه أيضاً الترمذي وابن ماجة بالزيادة التالية ، وأذكر هذا لفظ الترمذي :

«هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن ، الرحيم ، المإلى ، القَدُّوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، المهيمن ، العزيز ، المبيّر ، المناب ، المناب ، المؤمن ، المايم ، القابض، البيار ، المناب ، المائة ، المايم ، القابض، البيار المنافض ، الخالف ، المناب ، المنافض ،

* * *

تم بحمد الله تفسير سورة (الحشر) سنة ١٩٨٥م، وأضيفت إلى التفسير سنة ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠١م.



أهبداف سورة الممتحنة

(سورة الممتحدة مدنية ، وآياتها ١٣ آية ، نزلت بعد سورة الأحزاب)

ولها ثلاثة أسماء: سورة الممتحنة ، وسورة الامتحان ، كلاهما لقوله تعالى: يَنَالَهُمَا الَّذِينَ وَامُثُورًا إِذَا جَاءَكُمْ ٱلْمُؤْمِئْتُ مُؤَجِرَاتِ الْمَسْجَوْدُمُنْ ... (المعتماد: ١٠) .

والاسم الثالث : سـورة المـودة ، لقـوله تمالى : تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمُودَّةِ ... (المعتمنة : ١) .

وقوله : تُسِرُّونَ إِلَيْهِـم بِٱلْمَسَوَقَةِ ... (المعتحنة : ١) أ .

وقسوله : عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلُ بَيْنَكُمْ وَيَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مُّودَّةً ... (الممتحنة : ٧).

قصة نزول السورة

هاجر الرسول ﷺ إلى العدينة ، واستطاح أن يؤلّف بين المهاجرين والأنصار ، وأن يضع أسس الدعوة الإسلامية ، وأن يضع أسس الدعوة الإسلامية ، وأن يصنع أساو كذه في وجه الدعوة الإسلامية ، وأن يصنع أسعال المخدوق والأحزاب الدعوة الإسلامية ، وثمت عدة معارك بين المسلمين والمشركين منها غزوات بدر وأحد والخندق والأحزاب والحديبية ، ثم توقفت هذه المعارك بعد صلح الحديبية ، وكان أهم نصوص الضلح : وضع الحرب بين الفريقين عشر سنين ، وأن من أراد أن يدخل في حلف محمد دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل في حلف قريش دخل فيه .

وعلى إثر ذلك دخلت قبيلة خزاعة في حلف رسول الله ﷺ، ودخلت قبيلة بكر في حلف قريش.

ثم إن قريطا نقضت العهد بمساعدتها قبيلة بكر حليفتها على قتال خزاعةً حليفة النبي ﷺ حتى قتلوا منهم عشرين رجلا ، وقد لجأت خزاعةً إلى الحرم لتحتمى به ، ولكن نلك لم يمنع رجال بكر من متابعتها، فاستنصرت خزاعة برسول الله ﷺ ، وذهب رجال منهم إلى المدينة فأخبروا رسول الله بما كان من غدر بكر بهم ومعاونة قريش عليهم ، وأنشد عمرو بن سالم بين يديه : يارب إنى ناشد، محمدا حلف أبينا وأبيه الأدلدا (⁷³ إن قريشا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميشاكك البوقكدا هم بيتونا بالوبير ⁷⁰¹ هجدا وفسلونا ركعا وسجدا فانصر هذاك الله نصرا أيدا (¹⁰¹ وادع عبداد الله يأدوا مدادا

فقال له رسول الله ﷺ: «تُصرت يا عمرو بن سالم».

وأخذ رسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة، وطوى الأهبار عن الجيش كيلا يشيع الأمر فتعلم قريش فتستعد للحرب ، والرسول الأمين لا يريد أن يقيم حريا بمكة ، بل يريد انقياد أهلها مع عدم المساس بهم ، فدعا الله قائلا : «اللهم خذ العيون والأهبار عن قريش حتى نبختها في بلادها» .

حاطب يُفشى السر

كان حاطب بن أبي بلتعة من كبار المسلمين ، وقد شهد مع الذبي ﷺ غزوة بدر مخاصا في جهادها ،
ولكن في النفس الإنسانية جوانب ضعف تطفى في بعض الأحيان عليها ، وتهوى بها من المنازل العالمية
إلى المضيض . لقد كتب حاطب كتاباً إلى قريش يخبرهم فهه بعزم المسلمين على فقح مكة ، واستأجر امرأة
من مزينة تسمى سارة ، وجعل لها عشرة دنانير مكافأة ، وأمرها أن تتلطف وتحتال حتى توصل كتابه إلى
قريش ، فأعذت المرأة الكتاب فأعفته ، وسلكت طريقها إلى مكة ، ثم أخبر الله رسوله بما صنع حاطب ،
فأرسل النبي ﷺ على بن أبي طالب والزبيز بن العوام في إثر المرأة ، فأدركاما في الطريق، واستخرجا منها
الكتاب فأحضراه إلى رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ حاطبا فأطلعه على الكتاب ، ثم قال له : «ما
حملك على هذاه ؟ . فقال حاطب : يا رسول الله ، لا تجبل على ، فوالله إنى لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت
ولا بدلت ، ولكنى كنت امرأ ليس لى في القوم من أهل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل
فصائعتهم 60 عليهم ، ولم أفعل ذلك ارتدادا عن ديني ، ولا رضا بالكفر بعد الإيمان

ورأي النبي صدق أنهجة حاطب وحسن نيته فيما أقدم عليه من ذلك الذنب، فقال لمن حوله : «أما إنه قد صدقكم فيما أخيركم به» . ونظر النبي إلى ماضى الرجل في الجهاد ، وحسن بلائه في الذود عن حرمات الإسلام فرغب في العفو عنه .

أما عمر بن الخطاب فقد كبر عليه أمرُ هذه الخياسة ، فنظر إلى حاطب وقال له : قاتلك الله ، ترى رسول الله يُضفى الأصر وتكتب أنت إلى قريش ؟ يا رسول الله ، دعنى أضرب عنق هذا المنافق . فقيسم -رسول الله من حماسة عمر وقال : «وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» . فدمعت عينا عمر ، وقال : الله ورسوله أعلم . (٣٠) وفي هذه الحادثة أنزل الله صدر سورة المعتمنة يحذر العرمتين من أن يوالوا عدوهم ، أو يطلعوه على بعض أسرارهم مهما كان السبب الذي يدفع إلى ذلك ، فإن العدو عدو حيثما كان ، وموادة العدو خيانة ليس بعدها خيانة .

قال تعالى: يَنْأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامْنُواْ لَا تَتْحِلُواْ عَدُوّى وَعَدُوّ كُمْ أَوْلِيّاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهم بٱلْمَوَدّة ... (الممتحنة : ١).

فكرة السورة

تسير السورة مع النفس الإنسانية تحاول جاهدة أن ترعى المسلمين تربية خاصة ، عمادها الولام للدعوة وحدها ، والمودة لله، والمحبة والتجمع على دعوة الله .

على هذا المعنى قامت الدعوة الإسلامية ، وظهر الإيثار والأخوة بين المهاجرين والأنصار .

ومن شعائر هذا الدين بغض الفاسقين والملحدين في دين الله ، وقد انتهزت السورة فرصة ضعف حاطب، فبعلت ذلك وسيلة عملية لتهذيب النفوس ، ورسم المثل الأعلى للمسلم .

وقد عالجت السورة مشكلة الأوامس القريبة ، والعصبيات الصفيرة ، وحرص النفوس على مألوغاتها الموروثة ، ليخرج المسلم من الضيق المحلي إلى الأفق العالمي الإنساني.

«لقد كان القرآن بهذا الأسلوب في التربية ينشئ في هذه النفوس صورة جديدة ، وقيما جديدة، ومهارين جديدة ، وفكرة جديدة عن الكرن والحياة والإنسان، ووظيفة المؤمنين في الأرض ، وغاية الوجود الإنساني .

وكان كأنما يجمع هذه النباتات ألصغيرة الجديدة في كنف الله ، ليعلمهم الله ، ويبصرهم بحقيقة وجودهم وغايته ، وليفتح أعينهم على ما يحيط بهم من عداوات ومكر وكيد ، وليشعرهم أنهم رجاله وجرّبه ، وأنه يريد بهم أمرا ويحقق بهم قدرا ، ومن ثم فهم يوسمون بسمته ، ويحملون شارته ، ويُعرفون بهذه الشارة وتلك السمة بين الأقوام جميعا في الدنيا والاهرة ، وإذن فليكرنوا شالصين له، منقطعين لولايته ، متجردين من كل وشيجة غير وشيجته في عالم الشعور وعالم الساوك» . (8%.

تسلسل أفكار السورة

سورة الممتحنة من أولها إلى آخرها تنظم علاقة المسلمين بالمشركين ، وتدعو إلى تقوية أواصر المودة بين المسلمين المودة بين المسلمين المودة بين المسلمين أو تعدل المودة بين المسلمين أميلة قديمة ، فقد أخرجهم كنار مكة من ديارهم وأهلهم وأموالهم . (الآية : ١) ، وإذا انتصر المشركين عليهم عامليه الأعسام معاملة الأعسداء ، رجاء أن يعودوا بهم من الإيمان إلى الكفر ، وحينتذ لا تنفعكم ، أرَّ عَامُكُمْ وُلَّا أَوْلُكُمُ من اللهمان إلى الكفر ، وحينتذ لا تنفعكم ، أرَّ عَامُكُمْ وُلَّا الله . (الآيتان : ١ ، ٢) .

ثم ترسم السورة مثلاً أعلى وقدوة حسنة بإبراهيم الطيل ومن معه من المؤمنين ، حين آمنوا بالله وأخلصوا له النية ، وتجردوا من كل عاطلة نحو قومهم المشركين ، وأعلنوا براءتهم من الشرك وأهله ، وقد استففر إبراهيم لأبيه ، فلما تأكد لإبراهيم إصرار أبيه على الشرك تبرأ منه .

ذلك ركب الإيمان ، وطريق المؤمنين في تاريخ البشرية يتسم بالتضمية والغناء ، والاستعلاء على رغبات النفس في صلة الأقارب من العشركين ، فالموبدة لله والمؤمنين . (الآيات : ٤ - ١٣) .

ولحل الله أن يهدى مرّلاء المشركين فينخلوا في دين الله ، ويذلك تتحول العداوة إلى مونةً ، وقد فتحت مكة بعد ذلك وعاد الجميم إخوة متمايين . (الآية : ٧) .

وقد آرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ، فهر نبى الهدى والسلام ، والإسلام فى طبيعته دين سلام ، فاسمه مشتق من السلام ، والله اسمه السلام ، والإسلام لا يمنع من موالاة الكفار والبر بهم وتحرى العدل فى معاملتهم ، ما داموا لم يقاتلونا فى الدين .

ولكن الإسلام ينهى أشد النهى عن موالاة الكفار المقاتلين أن الذين يستعدون لقتال المسلمين ، ويرى كشف خطط المسلمين لهم خهالة للمقيدة وللأمة الإسلامية .

وهذا التوجيه يتفق مع اتجاه السررة كلها إلى إيراز قيمة العقيدة ، وجعلها هي الرابة الوحيدة التي يقف تحتها المسلمون ، فمن وقف معهم تحتها فهو منهم ، ومن قاتلهم فيها فهو عدونهم ، ومن سالمهم فتركهم لعقيدتهم ودعوتهم ، ولم يصد الناس عنها ، ولم يحل بينهم وبين سماعها ، ولم يفتن المؤمنين بها ، فهو مسالم لا يمتع الإسلام من البر به والقسط معه ». (الأيتان : ٨ ، ٩) .

وكان صلح الحديبية ينص على أن من جاء مسلما بدون إذن وَليَّه يرده المسلمون إلى أهل مكة ، ومن حاء إلى مكة مشركا لا يردونه .

ثم أسلمت نساء من أهل مكة جاء أزواجهن يطلبونهن ، فنزلت هذه الآيات تؤيد أن المرأة لا يصح أن
ترد إلى زوجها الكافر : لأنها لا تحل له بعد أن أمنت بالله ويقى الزوج على الشراف ، وكانت المرأة تمتحن ،
أى : تحلف بالله ما خرجت من بغض زوج ، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض ، وبالله ما خرجت
للتماس دنيا ، وبالله ما خرجت إلا تحبا لله ورسوله ، فإذا حلفت كان لذا الظاهر والله أعلم بالسرائر ،
عندئذ تعيش في المجتمع المسلم ، فإن تزوجت أعاد زوجها المسلم إلى الزوج المشرك ما أنفقه عليها ،
وكذلك إذا ذهبت زوجة مسلمة إلى المشركين مرتدة ، فإذا تزوجت يرد المشركين للمسلم المهر الذي دفعه
لها ، (الأيتان : ١٠ ، ١١).

ثم بين الله ارسوله ﷺ كيف يبايع النساء على الإيمان وقواعده الأساسية ، وهي التوحيد ، وعدم الشرك بالله إطلاقًا ، وعدم اقتراف المحرمات وهي السرقة والزنا . ثم طاعة الرسول ﷺ في كل ما يأمر به ، أي امتثال المأمورات واجتناب المحرمات . (الآية : ١٧).

وفي كتام السررة نجد آية تجمع الهدف الكبير ، فتنهى عن مؤالاة من غضب الله عليهم من اليهود. والمشركة ، (الآية : ١٧٣).

مقصود السورة إجمالا

قال الفيرو زبادي:

معظم مقصود السورة هو: النهى عن موالاة الخارجين عن ملة الإسلام ، والاقتداء بالسلف الممالح في طريق الطاعة والمعادة ، وانتظار المودة بعد العداوة ، وامتحان المدعين بمطالبة الحقيقة ، وأمر الرسول وللهج بكيفية البيعة مع أهل الستر والعفة ، والتجنب من أهل الزيغ والضلالة ، في قوله تعالى عَلَمَهُمُ اللَّهِينَ عَاشُواً لا تَعَوَلُوا قُولُم عَضِي اللَّهُ عَلَيْهِمُ قُدْ يَسُوا مِنَ الاَّجْرَةِ كَمَا يَسَى الْكَفَارُ مِنْ أَصْمَحُنْ الْقُولُ . (المعتمنة : ١٧).

النهى عن موالاة الكفار إِسْ إِللَّهِ الْأَكْوَالَ فَهُمُ الْأَرْ الْرَحْدِيمِ

﴿ يَتَاتُهُا الَّذِينَ اَمَنُوا لاَ تَنْفِذُوا عَدُوى وَعَدُولُمُ أَوْلِيَاءَ تُلَقُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَفَدَكُمْرُوابِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِ يُحْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَاكُمْ أَن تُوْمِنُوا بِاللّهِ رَبِيكُمْ إِن كُنْمُ حَرَجَهْ مِّحِهُدَا فِي سَيدِلِي وَآلِيفَةَ مَرْضَانِ تُشِرُونَ إِلَيْهِم بِالْمُوثَةِ وَأَنَا أَعَالَمُ مِنَا أَخْفَيْتُمُ وَمَا أَعْلَنَمُ مُونَ يَفْعَلُهُ مِنكُمْ فَقَدْ صَلَّ سَوَآءَ النَّيِيلِ ۞ إِن يَثْقَدُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءُ وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ الْدِيهُمْ وَالْسِنَتُمْ بِالشَّقَ وَوَدُوا لَوَتَكُفُونَ ۞ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْمَا مُكُونُوا آوَلَكُمْ أَنْوَيكُمْ يَعْمَلُهُمْ بِيلِيمُ الْفِيكُمْ يَعْمَلُونَ مِن اللّهُ مِنْ الْفَيكُمْ يَعْمَلُونَ مِن اللّهِ مَا مُعْمَلُهُ الْمُؤْولُةُ آوَلِكُمْ أَنْوَلِكُمْ الْفِيكُمْ يَعْمَلُونَ مِن اللّهِ مِنْ اللّهِ عَلَيْ اللّهُ اللّهُ مِنْ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ الْمُعْرَفِقَةُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَنْ الْمُعْرَفِقَةُ اللّهُ الْمُؤْمِنُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ الْمُعْرَفِقَةُ اللّهُ اللّهُ الْمُؤْمِنَا اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ الْمُؤْمِلُونَا أَوْلِكُمْ وَلَاللّهُ اللّهُ اللّهُ الْمُكُمْ الْمُؤْمِنَ اللّهُ وَلِيلًا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمِنَا اللّهُ الْمُنْ الْمُؤْمُ اللّهُ اللللْمُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ

المفردات

عسمدة السلسه ، من كفر به أو أشرك به ، ولم يؤمن بما أنزل في كتبه .

عسدو السمسؤمسنيسن ، من خانهم ، أو أضر بمصالحهم ، أو قاتلهم ، أو أعان على قتالهم .

أولسيسيسماء ، جمع وليّ ، أي : مديق توليه بالسّ.

السيحيق ، دين الإسلام ، والقرآن .

بعما أخطيت م، بالذي أخفيتموه ، أنا أعلم به منكم .

مُ الهدى .

سبواء السبيبيل؛ السواء في الأصل: الوسط، والمراد هذا: الطريق المستوى، وهو طريق الحق.

إن يثق فوكم ، يظفروا بكم ويتمكنوا منكم .

يبسطوا إليكم أيديهم ، بالقتل والضرب والمساءة .

يـــالســوء : بما يسوءكم بالسب والشتم .

وودوا الو تسكيف رون ، تمنوا كفركم .

ان تنضعكم أرحامكم ؛ أن تفيدكم قرأباتكم .

ولا أولاد كيم عسم ، الذين توالون المشركين لأجلهم .

تمهید :

هذه السورة تتلاقى مع ما سيقها من سور على تربية المسلمين ، وتأكيد وحدتهم ، وبعث عوامل القوّة والصمود في نفوسهم ، ومقاومة لحظات الضعف في نفوسهم .

والسورة علاج للجماعة كلها وإن نزلت يسبب ضعف شَخْصِ منها ، ففي رواية الشيخين البخارى ومسلم وغيرهما ، ما يفيد أن النبي ﷺ كان يتجهز لفتح مكة سرًّا ، وقال : «اللهم خذ العيون والأبصار عن قريش حتى نَبُغتَها في بلادها» ، ثم أرسل حاطبٌ بن أبي بلتعة رسالة سرية مع امرأة من مزينة ، وفيها : (اعلموا أن محمداً رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم) .

وأعلَم الله رسوله بخبر هذا الخطاب ، فأرسل النبي ﷺ جماعة من أمسحابه ، فأحضروا الخطاب من العرأة ، واستقدم النبي ﷺ حاطيا واستمع إليه وإلى اعتذاره وعفا عنه ، فنزلت سورة الممتحنة تحث المسلمين على عدم موالاة الأعداء الذين كفروا بالإسلام ، وأخرجوا المسلمين والرسول الكريم من ديارهم ، فلا يليق بمن خرج مهاجراً ومجاهداً أن يوالى أعداء الله ، والله مطلع على الخفايا والنوايا ، ومن يعُشَّ سرَّ رسول الله ، أو يفعل ما يؤذى المسلمين ، فقد انحرف عن الجادة وترك الطريق المستقيم .

ثم أخذ القرآن يحرّض المؤمنين على التماسك ، فيبين أن هؤلاء الأعداء إذا انتصروا عليكم سلّطوا عليكم الأذى باليد واللسان ، وتمنوا أن تكفروا كما كفروا ، وإذا اتبعتموهم أغسلوكم ، وفي يوم القيامة لن تنفحكم أولادكم ولا أقاريكم ، والله هُم الذي يحكم بينكم بنفسه ، وهو عليم وخبير بأعمالكم .

التفسيره

١ - يَنَاتَّهُهَا ٱللّهِ مِنَ مَشُوا لَا تَصْعِلُواْ عَلَوْى وَعَلَوْ كُمْ أَوْلِيَاءَ ثَلُقُونَ إِلَهِم بِٱلْمَوْ وَهُ وَقَلْدَ كَفُرُواْ بِمَا جَاءَكُم مِّنَ ٱلْمَقَ يُحْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُولِينُواْ بِٱللّهِ رَبْكُمْ إِن كُشَمْ خَرَجُمْ جَهِنَدا فِي سَبِلِي وَآبَيَعَاءَ مَرْضَائِي مُسِرُّونَ إِلَهُم بِالْمَوْرَةُ وَانَّا أَعْلَمُ مِنَ يَفْعَلُو مِنْ فَعَلْمُ مِنْ أَمْقِهُمْ وَمَا أَعْلَمُهُمْ أَفَلَهُ مِنْكُمْ فَقَلْدَ صَلَّ سَوَاءَ ٱلسَّبِيل.

نداء علوى إلهى لجماعة المؤمنين ، بألا يتخذوا أعداء ربّهم ودينهم ، وهم أعداء لهم في نفس الوقت ، ألا يتخذوهم أولياء وأحبابا ، يلقرن إليهم بالمحبة والمودة ، وأسرار النبي ﷺ والمؤمنين . والحال أن هؤلاء الكفار قد كفروا بالإسلام والقرآن ورسالة معمد ﷺ، وحاولوا قتل الرسول ﷺ، أو حيسه أو نفيه ، فأذن الله له بالهجرة .

قال تَعالى : وَإِذْ يَمْكُو بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُشِِّوكَ أَوْ يَطْلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُونَ وَيَمْكُو ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ آلْمُسْكِرِينَ. (الاندان: ٣٠).

كما أحكموا الحصار على المسلمين حتى هاجرا فراراً بدينهم من مكة إلى العدينة ، وكلُّ جريمة النبيّ إلى والمهاجرين أنهم آمنوا بالله تعالى ربًّا واحداً صعداً.

كما قال سبحانه وتعالى: وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْمَزِينِ ٱلْحَمِيدِ . (البروج: ٨).

إن كان خروجكم من مكة جهاداً في سبيل الله وابتغاء مرضاته ، فلا تتخذوا أعدائي وأعداءكم أولياء، تفضون إليهم بالمحبة ، وتهمسون لهم بأسراركم ، وخطط النبي ﷺ ، وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر، والأعلم من كل أحد بما تخفون وما تعلنون ، ومن يوال الأعداء ويلق إليهم الأسرار ، فقد حاد عن طريق الحق والصواب ، وجاد عن قصد السبيل التي توصل إلى الجنة والرضوان الإلهي .

٧ - إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُولُواْ لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَتْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَٱلْسِنَتُهُم بِٱلسُّوءِ وَوَدُّوا أَنْو تَكُفُّرُونَ .

إن يظهروا عليكم، أو ينتصروا عليكم ، أو يقوكم قائرين عليكم ، متمكنين من أذاكم ، تظهر لكم عداوتهم ، ويحاولوا النيل منكم والاعتداء عليكم بأيديهم مقاتلين لكم ، ويألسنتهم بالسبّ والشتم ، والسوء والأذى ، ويتمنوا أن تعودوا كضاراً مظهم .

وفي هذا المعنى يقول الله تعالى : وَذُّواْ أَوْ تَكُفُّرُونَ كَمَّا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَّاةً .. (النساء: ٨٩).

٣ - لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلَـٰكُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ .

لن تنفعكم قرابتكم ولا أولادكم يوم القيامة ، إذا خنتم المسلمين وأنشيتم أسرارهم من أجل أقريانكم وأولادكم ، فمن وجد الله وجد كلَّ شيء، ومن فقد الله فقد كل شي، وكان حاطب بن أبي بلتعة قد أفشى سرّ والادكم ، فمن وجد الله قطب من أجل أسرته وأهله وولده ، فقال الله له : إذا أغضبت ريك ونبيك ، وضعفت من أجل أولادك ، فإن هؤلاء لن ينفعك يوم القيامة ، بل الذي ينفعكم هو ما آمركم به ، فاستقيموا على هدايتي وتوجيهي ، فإنى بصير بأعمالكم ، خبير بأسراركم ، وسأجازيكم على أعمالكم، بالإحسان إحسانا، وبالسوء سوءاً.

وقريب من معنى الآية قوله تعالى: يَوْمَ يَقِرُ ٱلْمَرَّةُ بِنْ أَجِهِ ۞ وَأَمْهِ وَأَبْهِ۞ وَصَلَحِبَهِ وَبَهِ ۞ لِكُلُّ ٱلْمَرِّعَ مُنْهُمْ يَوْمَكِ شَانٌ يُقِيهِ . (عين ٣٤- ٣٧) .

* * *

التأسى بابراهيم عليه السلام والذين آمنوا معه

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أَسُوةً حَسَنَةً فِي إِنْرِهِمِهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذَ قَالُواْ لِغَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَ وَأَلْ مِنكُمْ وَمِمَا تَعْدَدُهُ وَالْمَفْسَاةُ أَبَدُ اجْنَ فُوْمُواْ وَمِمَا تَعْدَدُهُ وَالْمَفْسَاةُ أَبَدُ اجْنَ فُومُواْ وَمِمَا تَعْدَدُهُ وَالْمَفْسَاةُ أَبَدُ اجْنَا عَلَيْكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللّهِ مِن اللّهُ مَنْ اللّهُ مَن اللّهُ مِن اللّهُ مَنْ اللّهُ وَلَلْهُ وَلَا عَلَيْكُ مَن اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَالْهُ وَاللّهُ و

المضردات ا

- - كفارفاء وظريف ، والمراد : متبرئون ومنكرون لما تعملون .
 - ومسمسا تسميه ون : الأصنام والكواكب وغيرها.
 - المعنى والكراهية .
- لا تجعلنا فقنة اللذين كفروا ولا تسلطهم علينا ، فيفتنونا بعذاب لا نحتمله ، من قولهم : فتن الفضة ، أي : أذائما.
 - يسسر چسسو السساسمة ؛ يؤمل ثوابه .
 - والمسيسوم الأخسر؛ مجيئه، والجزاء فيه .
 - ومسسن يستسول ؛ يعرض عن النصيحة .

تمهيد :

في صدر السورة نهاهم القرآن عن موالاة الكافرين ، وعن كشف أسرار المسلمين ، وهذا يقول لهم : هلاًاقتديتم بإبراهيم والذين محه ، إذ تبرأوا من قرمهم رعادوهم ، وقالوا لهم : إنا برآم منكم .

قال الفراء:

· يقول: أفلا تأسيت يا حاطب ، بإبراهيم حين تبرّأ من أهله ، لتطم أن الحب في الله ، والبغض في الله ، من أوقق عرى الإيمان .

التفسيره

قد كانت لكم أسورة حستة في إيز هيم واللين متفار إذ قالوا ليفومهم إنّا ترز آوا بينكم وميما تغلمون من
 دود الله كفرا بكم وبدا بين وتينكم الفدارة والفستاء أبدا حتى تولينوا بالله وخدة وإلا قزل إيز هيم وأبير لأستففرن
 لك زما أطبك لك من الله من هئ، وثبًا عليك توكمك وإلين الها وإليك المصير.

حث الله المؤمنين في صدر السورة على عدم موالاة الأعداء الذين أخرجوهم من ديارهم ، وحذرهم من تمرير الأخبار السرية إليهم ، فالله مطلع على السرّ والعلن .

وهنا يضرب مثلا عمليا ، وقدوة فعلية تعت على يد إبراهيم خليل الله والذين معه من المؤمنين ، مثل سارة زرجته ، ولوط ابن أخيه ، فإنهم اعتصموا بإيمانهم ، وأعلنوا براءتهم ويغضهم ويغورهم من الكفار ، ومما يعبدون من دون الله من الأصنام والأوثان .

وكانوا واضحين تماما ، فلم يكتفوا باعتقاد الإيمان بالله تعالى ، بل أعلنوا للمشركين أنَّ الحق والباطل لا يجتمعان ، نذلك قال المؤمنون أتباع الخليل إبراهيم لأعدائهم الكافرين :

كَفَوْنَا بِكُمْ وَبَدَا يَنْنَا وَيُنْتَكُمُ ٱلْعَدَاوَةُ وَٱلْمُفْضَاءُ أَبَدًا حَتَىٰ تُولِيُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُ . . .

نحن على إيماننا بالله ، كَفَرْنًا بكم ، وجَحَدْنا معبوباتكم ، فلا نؤمن بالأصنام والأوثان ، بل نؤمن بالله وحده ، ونظهر العداوة والبغضاء للكافرين والمشركين ، حتى يؤمنوا بالله وحده ، فإذا فعلوا ذلك صاروا إخواننا فى الدِّين، فالحب لكم كل الحبَّ عند إيمانكم بالله ، والبغض لكم كل البغض عند كفركم وعبادتكم للأصنام والأوثان . إِلَّا قُولَ إِبْرُ اهِيمَ لِأَبِيهِ لِأَشْتَغْفِرُنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكَ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ...

عليكم بالاقتداء بإبراهيم والذين معه ، في إعلان البراءة والعداوة للمشركين وللأصنام التي يعدونها، لكن لا تقتدوا بإبراهيم في استففاره لأبيه ، فإنّه إنما استففر له بسبب موعدة وعدها إياه ، حين قال له: سَلَمٌ عَلَيْكَ شَاسَتُغَفِّرُ لَكَ رُبِّي إِلَّهُ, كَانَ بِي حَيِّلًا . (مريم : ٤٧).

فلمًا تبين لإبراهيم أن والده آزر مصمم على الشرك تبرُّأ منه ، كما قال سبصانه وتعالى : وَمَا كَانَ آسْغِفْنَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِهِ إِلَّا عَن مُرْعِدَةٍ وَعَمَعَا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَبَيْنَ لَهُرَ آلَهُ عَدُوًّ لَلَّهِ تَبَرُّأً مِنْهُ إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَأُواهَ عَلِيهِمٌ (التوبة : ۱۵۵).

ونجد إبراهيم الخليل هنا يصرّح صادقا بأن أمر الهدى والترفيق والقبول والإيمان بيد الله تعالى ، فهو يعدُ أباه بالاستغفار ، ويخبره في نفس الوقت أنه لا يملك له من أمر الله شهتًا ، فهو سبحانه وحده المعين على الهدى ، والموفق له ، رَمَّا تَطَاءُونُ إِلاَّ أَنْ يُضَاءً اللهُ ... (الإنسان: ٢٠٠) .

وذلك في معنى قوله تعالى : إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحَيَّتْ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ... (القصص : ٥٦).

ثم اتجه إبراهيم والذين معه بالدعاء إلى الله قائلين:

رُبُّنَا عَلَيْكَ تَوَكُّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنِنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمُصِيرُ.

إن اعتمادنا وثقتنا ورجاءنا على الله وحده ، وبالله وحده ، إليه أنبنا ورجعنا ، وإليه وحده المصير والمرجع يرم القيامة .

لقد كان إبراهيم والذين أمنوا معه تلةً معدودة ، لكن إيمانهم بالله وتوكُّلهم عليه جعلهم مضرب الأمثال في التجرُّد والإيمان ، وإظهار البراءة من أعداء الله .

وقال بعض المفسرين:

إن هذا الدعاء يحتمل أن يكرن توجيها وتعليما من الله لعباده المؤمنين ، فمن وجد الله وجد كل شيء ومن الله والإتابة إليه ، شيء ومن أن يقد الله فقد كل شيء ، وكأنَّ القرآن هنا يوجهُ المؤمنين إلى الاعتماد على الله والإتابة إليه ، مهما كانوا قلة ، فإن الله يجبر شعفهم ، ويلبِّي دعامهم ، وعليهم أن يقولوا :

رُّبْنَا عَلَيْكَ تَوَكُّلْنَا وَإِلَيْكَ أَلَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ.

٥ - رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِئْتُهُ لُلَّالِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْلْنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ .

أي: لا تظهرهم علينا بالغلبة والتفوق، فيغريهم ذلك بفتنتنا وإيذائنا.

قال مجاهد : معناه : لا تعذبنا بأيديهم ، ولا بعذاب من عندك ، فيقولوا : لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا .

وقال ابن عباس: لا تسلطهم علينا فيفتنونا بذلك.

وقال قتادة : لا تظهرهم علينا فيفتتنوا بذلك ، يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحقٌّ هم عليه . واختاره ابن جرير (**).

ولبعض العلماء رأى أخر فى فهم الآية ، وهو أن المراد بالفتنة منا : اهمطراب حال المسلمين وفساده ، وكونهم لا يصلحون أن يكونوا قدرة لغيرهم فى وجوه الخير ، فيكرن المعنى : يا رينا لا تجعل أعمالنا وأقوالنا سيئة، فيترتب على ذلك أن ينفر الكافرون من ديننا بحجة أنه لو كان دينا سليماً لظهر أثره على أتباعه ، ولكانُوا بعيدين عن كل تفرق وتباعد وتأخّر (°).

ويجوز أن يكون المعنى :

لا تجعلنا ويقتونين بسبب محية الذين كفروا والتقرُّب إليهم ، ومتابعتهم في سلوكهم ، وتقليدهم في ملابسهم وأفصالهم.

أى: لا تجعلنا مفتونين بهم ، مسطَّرين لهم (١٠).

وَٱغْفِرْكَنَا رَبُّنَا إِنُّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ .

اغفر لنا ما فرط منا من الذنوب ، واجعلنا والقين بفضك ، إنك أنت ، ألَّغَرِينُ الفالب الذي لا يذلُ من التجأ إليه ، ولا يخيب رجاء من توكل عليه ، ألَّخَكِيمُ ، الذي لا يفعل إلا ما فيه الخير والمصلحة .

وتكرار النداء للمبالغة في التضرع والجؤار.

٣ - لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لَّمَن كَانَ يَرْجُواْ اللَّهَ وَٱلْيُومُ ٱلأَخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْفَتِيُّ ٱلْحَمِيدُ.

أنسم لقد كان لكم - أيها المؤمنون - في إبراهيم ومن معه أسوة وقدوة حسنة ، ونموذج يتُتُبع ، لمن كان يرجو فضل الله وثوابه ، ويخاف عقابه في اليوم الآخر . ومن يُعرض عن الإيمان بالله واتبًاع أمره ، فإن الله غنى عنه وعن أمثاله ، وعن الخلق لَجمعين ، وهو المحمود في ناته وصفاته .

قال تعالى : إِنْ تَكَثَّمُوا أَنْمُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَفَنيٌّ حَمِيدٌ . (إبراهيم : ٨).

* * *

سماحة الإسلام

﴿ عَسَى اللّهُ أَن يَجْمَلَ يَتْنَكُّرُوبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِنْهُم مَّوَدَّةٌ وَاللّهُ فَدِيْرُواللّهُ عَفُورٌ تَرْحِمٌ ۞ لَا يَنْهَ مَكُمُ اللّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَائِلُوكُمْ فِ اللّذِينَ وَلَمْ يَخْرِجُوكُمْ مِن دِينَوِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُواْ إِلَيْمِمَّ إِنَّ اللّهَ يُعِينُ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّسَائِهُمُ اللّهُ عَنِ اللّذِينَ فَلَكُوكُمْ فِي اللّذِينَ وَأَخْرَجُوكُمْ مِن دِينَكِمُ مُوظَنْهُمُ وَاعْلَمْ إِخْرَاجِكُمُ أَنْ تَوَلَّوْهُمُّ وَمَن يَنَوَكُمْ فَأَوْلَيْكَ هُمُ الظّليلُمُونَ ۞ ﴾

المطرداتء

وتنصيط والبيهم وتعدلوا فيهم بالبر والإحسان.

الــمــقسـطــيــن 1 العادلين .

وظـــاهــروا، وساعدوا.

أن تسواسوهم، أن تكونوا أولياء وأنصاراً لهم.

تمهید :

يبشر الله المسلمين بمستقبل أفضل ، يجمع شطهم مع أعدائهم ، ويهديهم للدخول فى الإسلام ، وتعود المونّة والرحمة والمغفرة من الله لجموع المسلمين ، فهو سبحانه قدير وغفور رحيم ، وقد أنجرّ الله تعالى وعده ، وفتح لهم مكة ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وجمع الإسلام شمل هذه المائلات ، ورأيناً أعداء الأمس أصدقاء اليوم.

قال تعالى : وَأَلْفَ يَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوَ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا ٱلْفَتَ يَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَذِكِنَّ ٱللَّهُ ٱلْفَ يَيْتَهُمْ إِنَّهُ, عَرِيزٌ حَكِيمٌ . (الأنفال: ١٣) . وقد رخُص الله تعالى للمسلمين في صلة الذين لم يقاتلوهم في الذين من الكفار، ولم يخرجوهم من . ديارهم ، ولم يظاهروا على إخراجهم ، لكنه يحرّم عليهم موالاة الأعداء الذين أخرجوهم من ديارهم ، وظاهروا على إخراجهم ، فمن يتولُّ مؤلاء الظالمين المعتدين فإنه يكون ظالما لنفسه ، ولجماعة المسلمين ، فما أعظم سماحة الإسلام ، حيث قال: لاَ إِكْرَاهُ فِي ٱللَّمِنِ ... (البقوة : ٢٥٦).

وحيث أباح لنا موالاة المُسَالمين الموادعين من أهل الدُّمة ، وعيادة مرضاهم ، وأكل دُبائحهم ، والتعاين معهم في شئون الحياة .

وإنما حرّم موالاة المحاربين والمعتنين ، وحرّم كشف خبايانا للأعداء ، ورأينا النبي ﷺ يزور جاراً له يهوديا عندما مرض ، وكان ذلك سببا في إسلام اليهودي كما ورد في الصحيحين ، وقد أخرجه البخاري في : ٧٥ – باب عيادة المرضى ، و : ١١ – باب عيادة المشرك حديث رقم ٧١٤ ، عن أنس .

وعلى الحاكم المسلم أن يشمل الموادعين من أهل الذمة بالحفظ والرعاية ، وإنقاذ أسراهم ، وتحقيق معنى (لهم ما لذا ، وعليهم ما علينا) ، لذلك عاش أهل الكتاب فى كنف الحكم الإسلامى آمنين مطمئنين ، وكان منهم الوزراء والعلماء ، والباحثون والمؤرخون والاقتصاديون .

والأقباط في مصر نموذج لهذه المعاملة ، فمنهم الوزراء والسفراء وقادة الجيوش ، والشعب المصرى نسيج متكامل ، تتزاور فيه الأسر المسلمة مع الأسر المسيحية ، وتتبادل معها التهانى بالأعياد ، والتعاون في الرحلات والمشروعات ، ورؤساء الدين الإسلامي والمسيحي يتبادلون التهاني بالأعياد ، والتعاون في الأنشطة المتعددة ، فالأديان السماوية كلها من عند الله ، والله تعالى أمرنا بالتسامح والتعاون على البرّ والتقوى .

قال تعالى : وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقُونَىٰ وَلَا تَعَاوُنُواْ عَلَى ٱلْإِلْمِ وَٱلْعَدُوا نِ ... (السائدة : ٢) . ،

التفسير،

عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوْدَةً وَٱللَّهُ فَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ.

كانت هناك عدارة بين المسلمين وأهل مكة ، وقد حدَّر القرآن من موالاة الأعداء ، وحدَّر من نقل أسرار المسلمين إليهم ، وقد استجاب المسلمون لتوجيه القرآن ، فيشُرهم الله بهداية أهل مكة ، ودخولهم في الإسلام ، وجمّع شمل الأسر في المستقبل ، وقد حقق الله وعده ، ففتحت مكة وبخل الناس في دين الله أفواجا ، وتحول أعداء الأسس إلى مسلمين مؤمنين ، منضمين تحت لواء الإسلام ، وألف الله بين قلوب الجميع ، فصاروا إخوانا متحابين .

قال تعالى: وَآذْكُورُواْ بِعَمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُشَّمُ أَعَلَاءُ فَأَلْفَ يَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبُحْتُم بِشِعَيْدٍ إِخْوَ 'نَا وَكُسُمْ عَلَىٰ هُفَا خُفْرَةِ مِنَ آثَادٍ فَأَنْفُذُكُم مُنْهَا ... (ال عدران : ١٠٣).

٨ - لا يَنهَدَكُمُ ٱللهُ عَنِ ٱللَّذِينَ لَمْ يُقَدْيُلُوكُمْ فِي ٱللَّذِينِ وَلَمْ يُخْوِجُوكُم مِّن فِينْلِ كُمْ أَنْ تَبُوهُمْ وَتُفْسِطُواْ إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهِينَ وَلَمْ يُخْوِجُوكُم مِّن فِينْلِ كُمْ أَنْ تَبُوهُمْ وَتُفْسِطُواْ إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهِينَ فِي اللَّهِينَ فِي اللَّهِينَ فِي اللَّهِينَ فِي اللَّهِينَ فِي اللَّهِينَ فَي اللَّهِينَ فَي اللَّهِينَ فَي اللَّهِينَ فَي اللَّهِ يُعْمِلُوا اللَّهِ يُعْمِلُوا اللَّهِينَ فَي اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهِينَ لَمْ يُقْلِمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنَّا لَهُ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهِينَ لَمْ يُقْلِمُ إِنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهِينَ لَمْ يَقْلِينَا لَمْ يُقْلِمُ إِنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهِينَ لَمْ يُعْلِيقُونُ اللَّهِينَ لَمْ يُعْلِمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ عَلَيْكُولُوا اللَّهِ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُولُوا اللَّهِ عَلَيْكُولُوا اللَّهُ عَلَيْكُولُوا اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُولُوا اللَّهُ عَلَيْكُولُوا اللَّهُ عَلَيْكُولُوا اللَّلْمِينَ لَلَّهُ عَلَيْكُولُوا اللَّهُ عَلَيْكُولُوا اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُولُوا اللَّلِينَ عَلَيْكُولُوا اللَّهُ عَلَيْكُولُوا اللَّهُ عَلَيْكُولُوا اللَّهُ عَلَيْكُولُوا اللَّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ عَلَيْكُولُولُوا اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ إِلَيْكُولُوا اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُولُوا الللّهُ عَلَيْكُولُوا الللّهُ عَلَيْكُلّهُ الللّهُ عَلَيْلُولُوا الللّهُ اللّهُ عَلَيْلُولُولُولُولُولُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُولُولُولُوا الللّهُ

لا ينهاكم الله عن البرّ والعدل مع الكفار الذين لم يقاتلوكم بسبب دينكم ، ولم يخرجوكم من دياركم، ولم يعاونوا على إخراجكم ، أن تحسنوا إليهم في معاملاتهم ، وتكرموهم وتمنحوهم صلتكم ، وتعدلوا بينهم ، إن الله يحبّ أهل البرّ والتواصل والحق والعدل .

جاء في التفسير الكبير للرازي ما يأتي :

قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في خزاعة ، وذلك أنهم صالحوا رسول الله ﷺ على ألا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدًا، فرحُس الله في برّهم والإحسان إليهم .

واخرج الشيخان ، وأحمد ، عن أسماء بنت أبي بكر ، أنها قالت : قدمت أُمُّى – وهي مشركة – في عهد قريش حين عامدوا رسول الله ﷺ ، فقلت : يارسول الله ﷺ ، فقلت : يارسول الله ﷺ ، فقلت : يارسول الله ، فقلت : يارسول الله ، أن أمُّن قدمت وهي راغبة ، أقاصلها ؟ قال : «نعم ، صولي أماك» ، فأنزل الله تعالى : لا يَنْهَلَّكُمُ اللَّهُ عَنِ الله ، إنْ أَمُنْ اللهُ عَنِ الله وَ مَالَى الله عَمَالِي . لا يَنْهَلَّكُمُ اللَّهُ عَنِ اللهِ عَلَيْنَ وَلَمْ يُعْرِجُوكُهم مَّ وَيَصْرِكُم أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتُصْبِعْواً إِلْهِمْ إِنْ اللهِ يَعْلَى المُنْسِطِقِيلَ . "" .

وجاء في الحديث المحديح : «المقسطون على منابر من نور عن يمين العربل الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولواء . والعجرة هنا أيضاء بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

٩ - إِنَّمَا يَنْهَا نَكُمْ ٱللَّهُ عَنِ ٱللَّهِينَ قَلْتُلُوكُمْ فِي ٱللَّهِينَ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِينَدِكُمْ وَظَلْهُمْ وَاعْلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَالُوهُمْ
 وَمَن يَتَوْلُهُمْ فَأُولَكُمْ لَمُعْ ٱلطَّلِيمُونَ .

إنما ينهى الله تعالى عن موالاة المقاتلين ، أو التقرب إليهم ، أو كشف الأسرار لهم ، مثل أهل مكة الذين قاتلوا المسلمين ، وأخرجوهم من ديارهم ، وعاونوا وساعدوا في إخراجهم ، هؤلاء وأشياههم من المقاتلين ، أمثال اليهود في إسرائيل الذين يُقتَّلُون إخواننا الفلسطينيين ، ويخرجونهم من ديارهم ، ويتعربون على إخراجهم ، هؤلاء وأمثالهم من الفثات والدول المعتدية على المسلمين ، لا تجوز مودّتهم ولا نقّل أخبار المسلمين إليهم .

وقد ذكر ابن زيد وقتادة أن موادعة المسالمين وترك قتالهم ، كان في صدر الإسلام ، ثم نُسخ ذلك بقوله تعالى: فَاتْشُلُواْ آلْمُسْرِكِينَ حَبْثُ رَجَعَتُمُوهُمْ ... (التوبة : ٥) . (انظر تفسير القرطبي) .

والذي عليه جمهور العلماء أنه لا نسع ، لأن الآيات تقرر حكما يتنق مع شريعة الإسلام في كل زمان ومكان ، وهو أننا لا نؤدي إلاً من آذانا ، ولا نقائل إلاً من أظهر العداوة لنا بأية صورة من المُسُر ، والنبي ي كان يستقبل الوفود التي تأتيه لمناقشته في بعض الأمور ، مقابلة كريمة ، ويتجلّى ذلك فيما فعله مع وفد نجران ، ووفد تميم وغيرهما .

والإمام ابن جرير الطبرى عند تفسير هذه الأيات ذكر آراء من قال إن فيها نسخا، وأراء من قال إنها محكمة لا نسخ فيها ، ثم عقب على ذلك بقوله الأقى: وأولى الأقوال فى ذلك بالممواب قول من قال : عنى بقوله تعالى سخ

لا يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاعِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ ...

جديم أصناف الملل والأديان ، أن تبرُّرهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم ... ويشمل كل من كانت صفته كذلك ، دون تخصيص لهعض درن بعض .

ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ ، لأن برّ المؤمن من أهل الحرب ، ممن بينه وبينهم قرابة نسب ، أو ممن لا قرابة بينه ولا نسب ، غير محرّم ، ولا منهى عنه ، إذا لم يكن في ذلك دلالة له ، أو لأهل الحرب على عررة لأهل الإسلام ، أو تقوية لهم بكراح أو سلاح . (١٠٠) .

وفي آخر الآية نجد هذا التعقيب:

وَمَن يَتُولُّهُمْ فَأُولُلْعِكَ هُمُ ٱلطَّلْلِمُونَ .

أى : لا تتخذوا من عاداكم وقاتلكم وأخرجكم من دياركم ، أحبابا وأصفياء وأنصارا

وَمَن يَتُولُّهُمْ فَأُولَكِيكَ هُمُ ٱلطَّالِمُونَ .

ومن يتخذ هرّلاء المحتدين أولياء وأحبابا ، فإنه يكون ظالما لدينه ولأمته ولنفسه ، حيث والى أعداء دينه وأعداء أمَّته .

امتحان المهاجرات

المطردات ا

ملمتموهن، ظننتموهن.

إلى أزواجهن الكفار.

اج ـــورهــن ، مهورهن .

م من عقد وسبب، ولجدها عصمة، وهي ما يُعتصم به من عقد وسبب،

ه م اقب ته م فكانت العُقْبي لكم ، أي : الغلبة والنصر لكم حتى غنمتم منهم .

تمهيد ،

تم صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وأهل مكة على شروط ، من بينها ما يأتى :

١ - وضع الحرب بين الفريقين عشر سنوات .

٢ - من أراد أن يدخل في حلف محمد دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل في حلف قريش دخل فيه .

 وبعد إثمام صلح الحديبية جاء رجال مسلمون من أهل مكة ، فردّهم النبى ﷺ وفاء بالعهد ، وقال ، لهم : «لعل الله أن يجعل لكم فرجا» .

ثم جاءت نساء مهاجرات من مكة إلى المدينة فأمر الله بامتحانهن ، فإنّا كن مؤمنات فلا يحلّ أنْ يرجعن إلى الكفار .

التفسيره

١٠ = يَتَأَيُّهَا ٱللّهِنَ مَائِتُوا إِذَا جَاءَكُمْ ٱلْمُؤْمِنَتُ مُهَاجِرَاتَ فَاتَصِحُرهُنَ ٱللّهُ ٱعْلَمُ بِلِهِمَنَهِنَ فَإِنْ عَلِمَعُمُوهُنْ مُؤْمِنَتُ مُهَا وَاللّهُ مُعَالِّمَ وَاللّهُ مُعْلَمُ مُؤْمِنَتُ مُهُمْ وَاللّهُ مُؤْمِنَتُ مُهُمْ وَاللّهُ مُهْمَ وَاللّهُ مُهْمَ وَاللّهُ مُهْمَ وَاللّهُ مُؤْمِنًا وَمَاللّهُ مِعْلَمُ مَا اللّهُ يَعْلَمُ أَلَكُمُ اللّهُ يَعْلَمُ مَنْتُكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ اللّهِ يَعْلَمُ مَنْتُكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ عَلَيْكُمْ اللّهُ يَعْلَمُ مُنْتُكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ اللّهِ يَعْلَمُ مُنْتُكُمْ اللّهُ يَعْلَمُ مُنْتُكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ عَلَيْكُمْ اللّهِ يَعْلَمُ مُنْتُكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ اللّهِ يَعْلَمُ اللّهُ يَعْلَمُ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ اللّهُ عَلَمْ اللّهُ عَلَمْ اللّهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمْ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَمْ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَمْ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْمٌ عَلَيْتُوا اللّهُ عَلَيْمٌ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْمٌ عَلَيْتُكُمْ اللّهُ عَلَمْ عَلَيْمُ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْمُ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْمُ عَلَيْمٌ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْمُ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَمْ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَمْ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عِلَمْ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عِلْمُ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ عَلِيمٌ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عِلْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلِيمُ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلِيمٌ عَلَيْمٌ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلَمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عِلْمُ عَلَيْمٌ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عِلْمُ عَلَيْمُ عِلْمُ عَلَمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلِيمُ عَلِيمٌ عَلَيْمُ عَلِيمُ عَلَيْمُ عَلَمُ عَلَيْمُ عَلِيمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْم

قال المفسرون :

إن صلح الحديبية كان قد تضمن أنَّ من أتى أهل مكة من المسلمين لا يُردَ إليهم ، ومن أتى المسلمين من أهل مكة - يعنى المشركين - يُدَ إليهم ، فجاءت أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط مهاجرة إلى رسول الله ﷺ : ردّها علينا بالشرط ، فقال النبى رسول الله ﷺ : ردّها علينا بالشرط ، فقال النبى دينا الشرط في الرجال لا في النساء ، فأنزل الله الآية (١٠).

وأخرج الشيخان، وأحمد، عن ابن عباس: كانت المرأة تُستطف أنَّها ما هاجرت يُغضا لزوجها، ولا طمعا في الدنيا، وأنها ما خرجت إلا حبًّا لله ورسوله، ورغبة في دين الإسلام.

ضوء على الأية

فى بداية الإسلام كان يحل للمسلم زواج الكافرة وإيقاء عقد زواجها ، وكل يحل للمرأة المسلمة زراج المشرك .

قال این کثیر:

ولهذا كان حال أبى العاص بن الربيع ، زوج ابنة الذبي ﷺ ، زينب رضى الله عنها ، وقد كانت مسلمة ، وهو على دين قومه ، فلما وقح في الأسارى يوم بدر ، بعثت امرأته زينب في فدائه بقلاده لها ، كانت لامّها خديجة ، فلما رأها الرسول ﷺ رقَّ لها رقة شديدة ، وقال للمسلمين : «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها فافعلوا» . ففعلوا فأطلقه رسول الله ﷺ ، على أن يبعث ابنته إليه ، فوضَى له بذلك ، وصَدَقة فيما وعده ، ويعثها إلى رسول الله ﷺ مع زيد بن حارثة ، فأقامت بالمدينة من بعد وقعة بدر ، وكانت سنة الثنتين ، إلى أن أسلم زوجها أبو العاص بن الربيع سنة ثمان ، فريّها عليه بالنكاح الأوُّّل ، ولم يحدث لها صداقًا ، ا هـ .

معنى الآية

يا أيها الذين آمنوا ، إذا جاءت إليكم نسوة مهاجرات من دار الكفر إلى دار الإيمان ، لانذات بجماعة المسلمين ، فامتحنوهن ولمقتبريهن للتأكد من صدقهن ، فنقسم المهاجرة أنّها ما هاجرت من يغض زرج ، ولا ابتفاء دنيا، ولا رغبة عن أرض إلى أرض ، وأنها ما هاجرت إلا حبًّا لله ورسوله ، ورغبة في دين الإسلام .

وهذا الاحتيار، مع استكشاف ما يحيط به ، يجعلنا نرجّع النتيجة منه ، ونحكم بما يغلب على ظننا لأن الله تعالى وحده هو العليم بإيمان المؤمنين .

فإذا تبقئًا من صدق إيمانهنَ ، فلا يجورَ أن نُرجع المرأة المهاجرة إلى دار الكفر ، خشية الفتنة عليها ، ولأنها لا تحل لزوجها الكافر ، ولا تحل لزوجها الكافر معاشرتها ، حيث إنها مؤمنة وهو كافر ، فلا يجوز أن يطو الرجل الكافر فوق المرأة المؤمنة ، وكان هذا أول قرار في تحريم زواج المؤمنة من كافر .

قال الآلوسي :

والتكرير للتــأكيد والمبالغـة فى الـصـرمـة ، وقطع العلاقة بين المؤمنة والمشرك ، حيث قال تعالى : لاَ هُنَّ جِلِّ لُهُمْ ، هَأَهَاد حرمـة عودة المؤمنة إلى الكافر ، ثم كرر وأكّد فقال : وَلاَ هُمُّ يَنْجِلُّونَ لَهُنَّ ، أى : ولا الأزياج الكفار يحلِّون للمؤمنات طالما بقوا على كفرهم .

ومن عدالة القرآن منا أنه أمر بإعطاء الزوج الكافر ما أنفقه على زوجته من صداق وغيره ، فلا يجمع عليه حسان الزوجة وخسان المال ، ثم آباح للمسلمين زواج المهاجرات بشرط أن يدفعوا لهن الصداق .

قال الخازن:

أباح الله للمسلمين تكاح المهاجرات من دار الحرب إلى دار الإسلام ، وإن كان لهن أزواج كفار ، لأن . الإسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار ، وتقع الفرقة بانقضاء عنتها . لهـ .

وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ...

فمن كانت له زوجة كافرة في مكة ، أو بار الكفر ، فقد انقطعت العلاقة الزوجية بإسلامه وكفرها ، فلا تعتبر زيجة له .

قال القرطبي :

المران بالعصمة هنا : النكاح ، يقول : من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدُ بها فليست امرأته ، فقد لنقطعت عصمتها لاختلاف الدّارين. 1

قال إبراهيم النخعي :

نزل قوله تمالى : وَلاَ تُمْسِكُواْ بِعِمَمِ ٱلْكَوَافِرِ ... في المرأة من المسلمين تلحق بالمشركين ، فلا يمسك زرجها بحصمتها .

وَسْتَلُواْ مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْتَلُواْ مَا أَنفَقُواْ ...

إذا تُمبت امرأة مسلمة إلى الكفار مرتدة ، فمن حق زوجها أن يطلب من الكفّار المنداق ، وهو المهر. الذي دفعه لها ، ويقول لأملها : هاترا مهرها .

وكذلك من حق من جاءت زوجته مسلمة مهاجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ، أن يقول للمسلمين : هاترا مهر زوجتى ، وكان هذا إنصافاً وعدًلا بين الحالتين .

ذَ الِكُمْ خَكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ...

هذه الأحكام هى من تشريع الله الحكم العدل ، الذي يقضى بالحق بينكم وبين أعدائكم ، وتأتى
هذه الأفقرة بمثابة التأكيد والترسيخ لما سبق من أحكام وتشريع ، خاصة أن الآية تشرع لأول مرة تحريم
زواج الكافر من المؤمنة ، وتحريم زواج المؤمن من العشركة ، والمعروف أن القرآن كله تشريع الله
وحكمه ، لكنه كان يعقب على بعض الأحكام بما يؤكد وجوب تنفيذها ، وفي صدر سورة النساء تحدثت
آيات عن توزيع الميران ، ثم عقبت بقوله تعالى : تِلْكُ حُدُودُ ٱللَّه وَمَن يُطِع ٱللَّهُ زَرَسُولُهُ وَلَتُحَلَّمُ خُدُودُ مُلْكًا فَيْهَا
مِن تَحْبَهَ ٱلْأَنْقِلُ خُلْلِينَ فِيهَا وَلَالِكَ أَلْوَلُ ٱللَّهُ وَمَن يُطِع ٱللَّهُ زَرْسُولُهُ وَلَاكُمُ اللهُ فَهَا
وَلَهُ مِنْاتِهُ مُنْ خُلِكِينَ فِيهَا وَلَالِكَ اللهُ وَلَن يقطم ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَيَتَعَدَّ خُدُودُهُ يُدْخِلُهُ لَالًا عَلِيلًا فِيهَا
وَلَهُ مِنْاتِهُ مُنْالِينَ فِيهَا وَلَالِكَ الْفَوْرُهُ الْقَعْلِمُ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَيَتَعَدَّ خُدُودُهُ يُدْخِلُهُ لَالُوا عَلِيلًا فِيهَا
وَلَهُ مِنْالُهُ مُنْ رَالْسَاء : ١٧٠ . (18) .

وفي آخر الآية يقول الله سبحانه وتعالى:

وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

فهو سبحانه وتعالى عليم بمصالح عباده ، حكيم في تشريعاته ، وقد التزم المؤمنون بهذه الأحكام ، فدفعوا ما أمروا به من مهور المهاجرات إلى أزواجهنَّ ، وأبى المشر^أكونَ أن يردَّوا شيئا من مهور الكوافر إلى أزواجهن المؤمنين . ١١ - وَإِنْ فَاتَكُمْ مَـــىٰءَ مِّنْ أَزُوا حِكُمْ إِلَى ٱلْكُفّارِ فَعَاقِتُمْ فَقَاتُواْ ٱللّبِينَ ذَهَبَت أَزُوا جُهُم مِّدْلَ مَا أَنفَقُوا وَالنّقُواْ
 اللّه ٱللّبِينَ أَشِم بِهِ مُؤْمِنُونَ .

إذا لحقت امرأة أحد المسلمين يدار الكفّار ، ثم يسّر الله للمسلمين النصر على الكفار والغلبة عليهم ، والحصول على الغنائم ، فإن المسلم الذي ذهبت زوجته إلى دار الكفّار ، يُعرَّض بما يوازي مهرها من الغنيمة قبل أن تَسُسُم .

ومن معنى الآية : أن تكون هناك مقاصّة ومعاوضة ، فالزيجة المرتدة يُعُوَض زوجها بمهرها من أسرتها ، أو من زوجها المشرك ، كما يعطى لزرج المسلمة المهاجرة مهر زوجته ، حتى لا يجتمع عليه خسران زوجته ، وخسران المال الذي دفعه لها.

روى ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يعطى المهر للذى ذهبت زوجته إلى الكفار من الغنيمة قبل أن تُقسَّم ، ولا ينقُصُ من حقّه شيئا .

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهُ ٱللَّهِيَّ أَنْتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ .

إن من لوازم الإيمان تقوى الرحمن ، فراقبوا الله تعالى الذى آمنتم به ، والتزموا بتنفيذ أحكامه ، واتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، وراقبوه والتزموا بطاعته وتقواه .

والتقوى هي : الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل .

بيعة النساء

المفردات :

يب ايد منك ، يماهدنك بالتزام الطاعة .

ولا يقت المن أولادهان ، ولا يندن البنات .

يسب المسان ، برنور وكذب بالصاق اللقطاء بالأنواج :

يصف تصريب تسبه ، يختلقنه كذبًا .

طيين مير ميروف ، في أمر يرُّ وتقوى .

هبايعهن واستغفر لهن الله ، فالتزم لهن ضمان الثواب إذا وفين بهذه الأشياء .

غضب البلية صليبهم؛ طردهم من رحمته.

من أصحاب الشبور ، من رجوع موتاهم إليهم ، لأنهم لا يعتقدون ببعث ولا نشور.

تمهيد:

تكررت البيعة من رسول الله ﷺ ، ووقعت غير مرة ، ووقعت في مكة بعد الفتح وفي المدينة .

روى البخارى ، عن عربة بن الزبير أن عائشة رضى الله عنها قالت : إن رسول الله ﷺ كان يعتمن من هاجر إليه بهذه الآية : يُنْلَّهُا آلْشِيُّ إِذَا جَاءَكُ ٱلْمُؤْمِنَتُ يُبَايِمُنَكُ ... إلى قوله : غُفُورٌ رُّحِيمٌ . فمن أقرت بهذا الشرط من المؤمنات ، قال لها رسول الله ﷺ : «قد بايعتك» ، كلامًا ، ولا والله ما مسَّت بده يد امرأة في المبايعة قط ، ما بايعهنُ إلا بقوله : «قد بايعتك على ذلك» (٤٠٠) .

التفسيره

١٧ - يَكَأَيُّهَا ٱللَّيْ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَاتُ يُهِالِحَلُكَ عَلَيْ أَن لا يُشْرِكُنْ بَاللَّهِ شَيَّا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَشْرِينَ وَلا يَشْمِنُ وَلا يَشْمِينَ وَلا يَشْمِينَاتُ فِي مَعْرُوفَ، فَالِيْمْهِنَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنْ ٱللَّهُ إِنَّ اللَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ إِنَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ إِنَّ الللَهُ إِنَّ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ إِنْ الللللَّهُ اللَهُ إِنْ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ إِنْ اللَهُ إِنْ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ إِنْ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ إِنْ اللْمُعْمِنِ اللْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ إِنْ اللْمُعْلِقُونَ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَا إِنَّا الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَا الْ الْمُؤْمِنِينَالِمُ اللْمُؤْمِنِينَا اللللللَّهُ الللللَّهُ اللْمُؤْمِنِينَا الللللْمُ الْمُؤْمِنِينَا إِنَّالِهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَا اللللللْمُ اللْمُؤْمِنَالِمُ الْمُؤْمِنِينَا الللللْمُ الْمُؤْمِنِينَا الللْمُؤْمِنِينَا اللللْمُ الْمُؤْمِنِينَ

تشتمل الآية على مكارم الأخلاق التي بايع الرسول ﷺ عليها النساء.

والمعني:

يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات مهايعات لك ، ومعاهدات على هذه الأمور ، وهي :

أَنْ لَّا يُشْرِكُنَّ بِٱللَّهِ شَيُّنا . مِنْ صِنْمِ أُو حِجِر.

وَلا يُسْرِقُنَ . من مال الناس شيئًا .

وَلا يَزْلِينَ . وقد حدر القرآن من الزنا ، وبيَّن أنه فاحشة وساء سبيلاً .

وَلا يَقُتُلُنُ أَوْلُكُمُنُّ . ولا يكدن الهنات ، كما كنَّ يفعلن في الجاهلية ، أو لا يقتلن الأجنة في بطونهن ، فإنَّ ذلك عدوان وقتل للنفس بغير حق .

وَلا يَأْتِينَ بِهُقُلْنِ يَفْتَرِينَهُ, بَيْنَ أَيْدِيهِنْ وَأَرْجُلِهِنَّ ...

ولا يلحقن الأطفال الأجانب بأزواجهن كنبًا وزورًا ، أن ولا يأتين بكذب وزور من قبل آنفسهن ، واليد والرجل كناية عن الذات ، لأن معظم الأفعال بهما .

قال المفسرون : كانت المرأة إذا خافت مفارقة زوجها لها لعدم الحمل ، التقطت ولدًا ونسبته له ليبقيها عنده ، فالمراد بالآية اللقيط .

وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ...

ولا يخالفن أمرك فيما أمرتهن به من معروف ، أو نهيتهن عنه من منكر ، بل يسمعن ويطعن .

فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ .

فيايمهن يا رسول الله على ذلك ، واطلب لهنَ من الله الصفح والغفران ، لما سلف منهنَ من الذنوب -إنَّ اثلَّهُ عَقُورٌ رَّحِيرٌ .

أي: وإسم المغفرة عظيم الرحمة .

ملحق بتفسير الآية

١ – قال أبوحيان :

كانت بيعة النساء في ثاني يوم الفتح ، على جبل الصفا ، بعدما فرغ من بيعة الرجال ، وكان رسول الله ﷺ على الصفا ، وعمر أسفل منه ، يبايعهن بأمره ، ويبلغهنَ عنه ، وما مست يده ﷺ يد امرأة أجنبية قط.

٢ - بايم رسول الله ﷺ الرجال أيضًا على بنود بيعة النساء.

روى البخارى ، عن عبادة بن الصامت قال : كنّا عند النبيّ فقال : «أتبايعونى على ألا تشركوا بالله شيئًا ولا ترزنوا ولا تسرقوا» ، قرأ آية النساء (أى : آية بيعة النساء) ، ثم قال : «فمن وفّى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب ، فهو كغارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله ، فهو إلى الله ، إن شاء عنّبه وإن شاء غفر له» (⁴⁴⁾.

بيعتا العقبة

فى مرحلة الإعداد للهجرة ، وتعرُّض النبى ﷺ للوفود ، قابل وفود المدينة المنزَّرة ، وتعت بيعتا العقبة الأولى والثانية ، وكان لهما أبعد الأثر فى تهيئة المدينة المنورة لاستقبال الإسلام ، واحتضان الدعوة الإسلامية ، وكانت المدينة مرتكزًا للإسلام ودعرته ، حتى دخل الناس فى دين الله أفواجًا .

روى محمد بن إسحاق ، وابن أبي حاتم ، عن عبادة بن الصاءت قال : كنت فيمن حضر العقبة الأولى ، وكنًا اثنى عشر رجلاً ، فبايعنا رسول الله ﷺ على بنيعة النساء ، وذلك قبل أن تغرض الحرب ، على ألا نشرك بالله شيئًا ، ولا نسرق ، ولا نزتى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا تأتى ببهتان نفتريه بين أبدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معرف ، وقال : «فإن وفيتم فلكم الجنة» .

بيعة الرضوان

بيعة الرضوان تمت عند الحديبية ، عندما أرسل الذبي ﷺ إلى أهل مكة عثمان بن عفان ، فاحتبسه أهل مكة وأشيع أنه قد قتل ، فقال ﷺ : «لا نبرح حتى نناجز القوم» ، وبايع ﷺ المسلمين على الموت وعلى ألا مكة وأشيع أنه أن الله هذه البيعة وزكّى أهلها في كتابه العزيز ، حيث قال تعالى : لَقَدْ رَضِي اللّهُ عَنِ اللّهُ عَنِ اللّهُ عَنَ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَلَيْهُمْ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَنْ اللّهُ عَنْ إللّهُ عَنْ اللّهُ عَلْمُ عَنْ اللّهُ عَلَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّهُ عَلَيْهُمْ وَاللّهُ عَلَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّهُ عَلْ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلْمُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَلَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّهُ عَلَيْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَّهُ اللّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ اللّهُ عَلَا عَلَّهُ عَلَمْ عَلَّهُ عَلَّ عَلَا عَلَّهُ عَ

ما يستنبط من الآية :

دات الآية على تحريم السُّرك بالله ، والسرقة ، وللزنا ، وقتل الأولاد ، أى وأد البنات الذي كان في الجاهلية ، ويلحق به الإجهاض ، وإسقاط المرأة نفسها بدون عدر شرعى ، كما دلت الآية على تحريم إلحاق الأولاد اللقطاء بغير آبائهم ، وعصيان شرح الله فيما أمر ونهى .

ولم تقتصر المنهيات على هذه الأمور الستة ، فقد ورد في الحديث النهى عن التولّى يوم الرّحف ، وعن قذف المحصنات الغافلات المؤمنات ، وعن عقوق الوالدين ، وعن الزننا والربا والسحر والهمين الغموس ، وغير ذلك . روى أحمد ، والشيخان ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ملجة ، عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : وليس منًا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، وبدعا بدعوى الجاهلية» (**.

ويفيد الحديث الدعوة إلى الصبر والتصبُّر، واحتساب الثواب عند الله ، والنهى عن الهلع والجزع ، وعدم الرضا بالقضاء والقدر .

وسبق أن ذكرتا أن النبي ﷺ بايع الرجال على ما بايع عليه النساء ، فصارت الآية عامة للرجال والنساء .

وقد ذكر الإمام ابن كثير في تفسيره جملة من الأحاديث التي تدل على أن هذه البيعة قد تمّت في أوقات متعددة ، وفي أماكن مختلفة ، وأنّها شملتِ الرجال والنساء .

١٣ - يَنَاكُهَا ٱلَّذِينَ عَانَتُواْ لَا تَقَوَلُواْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَلَدَ يَسُواْ مِنَ ٱلْاَعِرَةِ كَمَا نِيسَ ٱلْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَلْبُ ٱلْقُبُورِ .

هذه الآية ختام سورة الممتحنة ، وقد ذكر في صدرها النهى عن موالاة الكافرين الأعداء ، أو إرشادهم إلى أسرار المسلمين ، ويأتى الختام موّكداً للصدر ، يأتى ختام السورة هُتافًا بالمؤمنين ، ألاً يقدّموا مودتهم لليهود أو المشركين الذين يئسوا من نعيم الآخرة الإقبالهم على الدنيا ، والمتمامهم بها ، والعمل لها ، كأنّه لا أمل في نعيم الآخرة ، كما يئس كفار مكة وأشباههم من لقاء الموتى أصحاب القبور، لأنهم لا يؤمنون بالبعث والحشر والثواب والمقاب .

قال قتادة :

قد يئس الكفَّار أن يرجم إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا .

وقيل في هذه الآية معنى آخر ، قال ابن كثير :

كما ينس الكفار الذين هم في القبور من كل خير ، قال ابن مسعود : قوله تعالى : كَمَا يُوسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَسْرِ ٱلْقُرْرِ ، معناه : كما ينس هذا الكافر إذا مات ، وعاين ثوابه واطلع عليه .

وقال الزمخشرى: روى أن بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون الههود ليصيبوا من ثمارهم، فنذل قوله تمالى - يُلَّلِّهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَكُولُوا أَوْمُا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ... الآية .



أهنداف سنورة الصنف

(سورة الصف مدنية ، وآياتها \$ 1 آية ، نزلت بعد سورة التغابن)

وهي سورة تدعو إلى وحدة الصنف ، وتماسك الأمة ، وتحث على الجهاد ، وتنفّر من الرياء ، وتبين أن الإسلام كلمةً الله الأخيرةً إلى الأرض ، وأن رسالات السماء كانت دعوة هادفة لبناء الإنسان والدعوة إلى الخير والعدل ، وقد أرسل الله موسى بالتوراة ، فلما انحرف الههود عن تعاليم السماء أرسل الله عيسى عليه السلام حجددًا لناموس التوراة ، ومبشرًا برسالة محمد ﷺ

وقد كانت رسالة محمد 囊 بالهدى ودين الحق ، متممة للرسالات السابقة ، مشتملة على مبادئ الحق واليسر والعدل والمساواة ، وقد كره المشركون انتصار النور والخير فحاولوا مقاومة هذه الدعوة وإطفاء نورها ، ولكن اللو أيد الإسلام حتى طوى ممالك الغرس والروم ، وعمُّ المشارق والمغارب .

وقد حاولت الصليبية الصاقدة لجتياح بلاد الإسلام في فترات متعددة ، من بينها الحروب الصليبية التروب الصليبية التي انتهت بهزيمة المعتدين وانتصار المسلمين ، ووجهت الصليبية ضرباتها للمسلمين في الأندلس ، وحاولت تصفية الإسلام أيام الدولة العثمانية ، وأطلقت على تركيا لقب: الرجل العريض ، وعلى البلاد التي تحت يدها: تركة الرجل العريض ، فلما قام كمال أتاتورك بإعلان إلقاء الخلافة الإسلامية كبر له الغرب وهلل ، وتراجعت جيوشه من أمام تركيا ، وجعلوا من أتاتورك بطلاً عملاقاً لقضائه على الخلافة الإسلامية .

وفي هذه الأيام تقوى الحركة الإسلامية في تركيا ، وتمثلم المساجد والمدارس الإسلامية بالباحثين وتشتد سواعد المحزب الإسلامي هناك ، ويأبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون .

سبب نزول السورة

جمهور المفسرين على أن صدر هذه السورة نزل حين اشتاق المسلمون إلى معرفة أحب الأعمال إلى الله ، فأنزل الله تعالى : إِنَّ اللَّهُ يُحِبُّ اللِينَ يُقَلِّمُونَ فِي سَبِلِهِ صَفًّا كَأَلَّهُم بُنْيَانً مُّرْصُوصٌ . (السف : ٤). فلما أخبرهم الله بأن أفضل الأعمال بعد الإيمان هو الجهاد في سبيل الله ، كره قومٌ الجهاد ، وشق عليهم أمره ؛ فقال الله سبحانه وتعالى : يُنَاِّيُّهَا ٱلَّذِينَ وَامْتُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفَعُلُونَ و كُبرَ مَقْنَا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لاَ تَفَعُلُونَ و كُبرَ مَقْنَا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لاَ تَقْعُلُونَ . (١/ ١/).

هدفا السورة

لسورة الصف هدفان رئيسيان:

الهدف الأول : الدعوة إلى الجهاد والحث عليه ، والتحذير من كراهيته والقرار منه ، ويبان ثوابه وفضله ، وأنه تجارة رابحة . وتبع ذلك ترسيخ العقيدة ، ووجوب اتفاق الظاهر مع الباطن ، ووجوب الطاعة للقائد ، وتماسك الأمة ، وترابط بنيانها حتى تصبح صفًا واحدًا ، محكم الأساس ، قوى الوشيجة والرباط ، كأنه بنيان مرصوص .

فالآيات الأربع الأولى دعوة إلى الجهاد ، وتحذير من الخوف والجبن ، وبيان أن العقيدة السليمة تستتبع التضحية والفداء ، حتى يصبح جيش الإسلام قوى البناء متلاحم الصفوف .

والأيات (١٠ – ١٧) صورة رائعة لفضل الجهاد وثوابه فهر أربح تجارة ، وأفضل سبيل المغفرة ودخول الجنة ، وهو باب النصر والفتح ، والبشرى للمؤمنين بالسيادة والعزة .

والهدف الثانى: بيان وحدة الرسالات ، فالرسالات الإلهية كلها دعوة إلى التوحيد ، وقورة علي الباءلل ، والمدال المتحدد ، وقورة علي الباءلل ، وإصلاح المتحديد ، وإرساء لمعالم الفضيلة ، ومحاربة للرذيلة .

وقد دعا الرسل جميعًا إلى توحيد الله ، وتكفل كل رسول بإرشاد قومه وهدايتهم ونصحهم إلى ما فيه الخير ، وتحديرهم من الانحراف والشر.

وفى سورة الصف نجد الآية الخامسة تبين رسالة موسى لقومه ، وتذكر عنت اليهود ، وإيذاءهم لموسى وتجريحهم له ، واقصرافهم عن روجانية الدعوة إلى مادية المال .

وفى الآية السادسة نجد عيسى عليه السلام يجدد أمر الناموس ، ويصيع بالههود صيحات ضارعة ، ويعظهم ويدعوهم للإيمان ، ويحثهم على الصدقة ، والغناية بالروح ، وتقديم الخير لوجه الله .

والمسيح يبشر برسالة أحمد خاتم المرسلين ، فالرسالات كلها حلقات متتابعة في تاريخ الهداية والمسلح ، والإسلاح ، والإسلام كان ختام هذه الرسالات وأخرها ، والمهيمن عليها ، فقد حفظ تاريخها في القرآن ، ودعا إلى الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل

قال تعالى : عَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أَنوِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلُّ عَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلْسَيْحَيْهِ وَرُسُلِيهِ لَا نُفَرِقُ أَبَنَ أحَد مِن رُسُلِهِ وَقَالُواْ سَوِقَا وَأَطْفَنَا عُفْوَاللَّكَ أَلْمُوسِينُ . (العِقرة: ٢٨٥) . وروى البخارى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : «إنما مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارًا فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة ، فجعل الناس يقولون : لو وُضعت هذه اللبنة ، فأنا هذه اللبنة وأنا خاتم الرسليم (۲۰۰).

وقال تعالى : قُولُوْا ءَامَنًا بِٱللَّهِ وَمَا أَنْوِلَ إِلَيَّا وَمَا أَنْوِلَ إِلَىٰ إِلَىٰ إِلَىٰ اللهِ وَمَا أُولِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُولِيَ ٱلثَّيْوُنَ مِن رُقُهِمُ لَا لَقُرَقَا يَمَنُ أَحَدِمُ مَنْهُمُ وَنَعْنَ قَدْمُ مُسْلِمُونَ . (الدور: ٣٠١) .

وفي آخر آية في السورة دعوة للمسلمين أن ينصروا دين الله ، كما نصر الحواريون دين عيسى ، أيام كان دينه ترحيدًا خالصًا ، والعاقبة دائمًا المتقين .

والعبرة المستفادة من مده الدعوة هي استفهاض همة المؤمنين بالدين الأخير ، الأمناء على منهج الله في الأرض ، ورثة العقيدة والرسالة الإلهية ، المختارين لهنه المهمة الكبري .

استنهاض همتهم لنصرة الله ، ونصرة دينه ورسالته وشريعته : يُنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُولُواْ أَلصَارُ ٱللَّه ... (اصفْ: ١٤).

المقصد الإجمالي للسورة

قال الفيروزبادي :

معظم مقصود سورة الصف هو : عتاب الذين يقولون أقوالاً لا يعملون بمقتضاها ، وتشريف صفوف الغزاة والمصلين ، والتنبيه على جفاء بنى إسرائيل ، وإظهار دين المصطفى ﷺ على سائر الأديان ، وييان التجارة الرابحة مع الرحدن الرحيم ، والبشارة بنصر أهل الإيمان على الكفر والخذلان .

وحدة الصف



﴿ سَتَحَ يَلَوَمَافِ السَّمَوَتِ وَمَافِي الْأَرْضِّ وَهُوَ الْمَرْفِلُ الْحَكِيمُ ۞ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْمَلُونَ ۞ إِنَّا اللَّهَ يُعِبُ الَّذِينَ يُقَنِتِلُونَ فِ سَبِيلِهِ عَهِفًا كَأَنَّهُ مِ بُنْيَنَ مُّرَصُوصٌ ۞﴾

المفردات،

سيب ج السلم، نزهه عما لا يليق ومجَّده، ودلَّ عليه.

. - - - - - - - - - أخى شىء تقولون : قد فعلنا كنا وكنا ، وأنتم لم تفعلوا ، والعراد بذلك : التأنيب والتوبيخ ، لمن صدر منهم الكتب .

المسين علم .

المسمم أن أشد البغض وأعظمه ، ورجل مقيت وممقوت ، إذا كان يبغضه كل أحد .

مسيخين أنفسهم ، أو مصفوفين . •

بستسيان مسروسوس: بنيان متلاصق محكم لا فرجة فيه ، قال المبرد: تقول : رصصت البناء ، إذا لاممت بين أجزائه وقاربت حتى بصير تُقطعة واحدة .

سبب النزول:

تلتقى كتب الحديث والتفسير على أن سبب نزول الآيات الأولى من سورة الصف ، أنه كان ناس من المؤمنين يقولون : لوردنا أن الله دأنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به ، فلما نزل الجهاد كرهوم ، فأنزل الله الآيات تحقهم على الوفاء بالعهد ، وتناسق الأقوال مم الأفعال .

التفسيره

١ - سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَلُوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ .

جميع ما فى السماوات ، من ملائكة وأجرام وكواكب ، وشعوس وأقمار ، وجميع ما فى الأرض من . الحيوانات والنباتات وغيرهما ، يسبّع لله بلسان الحال ، فوجود هذا النظام البديع ، من سماء مرفوعة ، وأرض ميسوطة ، وجبال راسية ، ويحار جارية ، وهواء وفضاء ونبات ، وليل ونهار ، وشمس وقمر ، وظلام . وقور ، كل ذلك يدل على وجود قدرة عالية تمسك بنظام هذا الكون وتحفظ توازنه .

وقد يكرن التسبيح بلسان المقال ، بمعنى أن يخلق الله في هذه الكاننات وسائل للتسبيح والتعظيم لله ، كما قال تعالى : وَإِنْ مَنْ شَيْءٍ إِلَّا يُمَسِّمُ بِحَمْدِو وَلَكِنِ لَا تُفَقِّهُونُ تَسْبِحَهُمْ ... (الإسراء: ٤٤) .

إِنَّا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ وَامْنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا كَفْعَلُونَ .

يا أيها الذين صدقوا وآمنوا بالله ربًّا ، لم تقولون قولاً ولا تلزمون أنفسكم بالوفاء بهذا القول ، وتخرجونه من حيز القول إلى حيز العمل ؟ .

حيث قال بعضهم: لوردنا معرفة أهب الأعمال إلى الله حتى نفعلها ، فلما بيَّن الله أن أهب الأعمال إلهه هو الجهاد في سبيله ، كرهوا ذلك ، أو تخاذلوا في غزوة أحد ، والآية وسيلة ريانية للسموّ ، والالتزام بتنفيذ الأقوال والأعمال .

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «آية المذافق ثلاث: إذا حدَّث كنب، وإذا وعد أخلف، وإذا ارتحن خان » (٢٠)

وفي رواية: «وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر».

وقد ذهب الجمهور إلى أن الآية نزلت حين تمنوا فَرْض الجهاد عليهم ، فلما فَرِض عليهم نكل عنه بعضهم ، كقوله تعالى: أَنْمَ نَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواً أَنْبِكُمْ وَأَلِيمُوا الْسَلَوْةُ وَمُأْكِ أَالْوَكُواْ مَالِيهِمْ الْفِئالُ إِذَا فَرِيعًا مُنْهُمْ يَخْشُونَ النَّاسَ تُحْشَيْتِ اللَّهِ أَوْ أَشَا عَشِيةً وَقَالُواْ رَبَّنَا فِمْ تَشْتَ عَلَيْنَ الْفِئالُ لَوْلَا أَعْرَفَا إِلَى أَجْلِ فَرِيعًا قُلْ مَنْكُمْ اللَّذِينَ قَلِلَ وَالْاَعِرَةُ خَيْرٌ قَمْنِ أَنْفَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَجِيلًا ﴿ أَلْيَمَا تَكُولُواْ مُنْفِرَهُمْ الْمُؤْوِثُ وَلَا كُمُنْمَ فِي مُؤْوجٍ مُشْتِدُ فِينَ (النساء: ۷۷ ، ۷۷) .

قَالَ ابن كثير: وهذه الآية إنكار على من يعد وعداً أو يقول قولا ثم لا يفي به.

٣ - كُبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَقْعَلُونَ.

عَظُم جرما عند الله أن تقولوا قولا ولا تعملون به ، مثل أن تأمروا الناس بالمعروف ولا تفعلونه ، أو تقهوا الناس عن للمنكر وتفعلونه .

قال تعالى : أَتَأْمُرُونَ آلنَّاسَ بِٱلْبِرُّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ... (البقرة : ٤٤) .

ويمكن أن تنطبق الآية على خلف الوعد ، فإن خلف الوعد مذمة ومفسدة ، وفيه إخلال بالثقة بين الأفراد والجماعات ، وما أسوأ خلف الوعد ، وأقبح بصاحبه ، لذا كان مبغوضا عند الله أشد البغض ، ومعاقبا عليه ، كما هو مبغوض مستنكر عند الناس جميها .

وهي مقابل ذلك مدح الله صدق الوعد ، فقال تعالى : وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَلْبِ إِسْمَاهِيلَ إِنَّهُ, كَانَ صَادِقَ ٱلْوَضْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبَّهِ . (مريم: ٤٤) .

٤ - إِنَّ اللَّهُ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَلِّعِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنَيْلُنَّ مُرْصُوصٌ.

إن الله تعالى يحب المقاتلين في سبيله أفراداً وجماعات في حالة ائتلاف واتحاد وتوافق ، متراصّين متحدين ، هدف واحد ، وصف واحد ، كأنهم بناء واحد أحكم وضع حلقاته ، حتى كأن البناء قطعة واحدة مترابطة ، وهذه الوحدة تبعث للهمة في النفوس ، والشجاعة في الأفراد والجماعة .

ونلمح عناية الإسلام بتكوين الأفراد ليكرنوا لبنة صالحة في مجتمع صالح ، وتكويم القرآن الكريم للجهاد والشهادة والتضحية في سبيل الله ، وكذلك السنّة المطهرة ، مع الحث على لزوم الجماعة ورحدة الصف .

روى الإسام أحمد ، من أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة يضحك الله إليهم : رجل يقوم من الليل ، والقوم إذا صُغُوا للصالاة ، والقوم إذا صُغُوا للقتال » . ^{[73}

والبنيان المرصوص: هو البنيان المحكم المتماسك.

قال الفرّاء: المعقود بالرصاص.

وقال الهبرة : رصصت البناء : لاءمت بين أجزائه وقاريته حتى يصير كقطعة واحدة ، ومنه : الرصيص، وهو انضمام الأسنان .

وحدة الرسالات

المفردات ،

أزاغ السلسة قسلسويسهم ، صرفها عن قبول الهداية .

المصدق ، المصرّين على الخارجين عن الطاعة ومنهاج الصدق ، المصرّين على الغواية .

مصدقًا ثما بين يدي من التوراة : مصدقًا لما تقدمني وجاء قبلي من التوراة .

ومسسن أظهار الما أحد أشد ظلما .

المست ت ري؛ اختلق بادُعاء الشركاء له .

تـــــور الـــــــــــه؛ الحق الذي جاء به الرسول ، من مثل قولهم: هذا سحر مفتري .

مستسخ المسوره ومتم الحق ومبلغه غابته .

المسيمسط المسرده والبعلية ويرفعه ا

مطبئ الصفيات كطبه : على سائر الأدبان .

سبب نزول الآية (٨) ،

جاء في تفسير القوطمي: حكى الماوردي ، عن عطاء ، عن ابن عباس أن النبي ﷺ أبطأ عليه الوحي أربعين يوما ، فقال كعب بن الأشرف : يا معش اليهود أبشروا ، فقد أطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه ، وما كان ليتم أمره ، فحزن رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، واتصل الوحي بعدها .

التفسيره

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومٍ لِمَ تُولُدُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنَّى رَسُولُ ٱللهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَا رَاغُوا أَرَاعَ ٱللهُ قُلُومَهُمْ
 وَأَلْلُهُ لاَ يَهْدِى ٱللَّهُ وَمُ الصَّحْسَقِينَ .

تسجل الآية جهاد موسى كليم الله مع قومه ، فقد صبر وصابر ، واحتمل أذاهم ، فقد اتهموه بأنه آدر كبير الخصية ، فَبَرُأُهُ ٱللهُ مِمَّا أَلُوا وَكَانَ عِندُ ٱللهِ وَجِيهًا . (الأحزاب: ١٦) . وأَغُروا امرأة زانية أن تتهم موسى بأنه والد ططابيا ، فأنطق الله الصبيّ ببراءة موسى.

ونجى الله موسى وقومه من فرعون ، وعبر بهم موسى البحر ، فَٱلزَّا عَلَىٰ قَوْمٍ يَتَحَقُّونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَهُمْ إِفَّاوُا يُلِمُوسَى آجَمَل لِنَّا إِلَيْهَا كَمَا لَهُمْ عَالِهَةٌ قَالَ إِلَّكُمْ قَوْمٌ تَجَهُّلُونَ ، وإِنَّ شَلَوْلَامٍ مُثَبَّرٌ مَّا فِي وَيَنظِلُ مَا كَانُواْ يَقْمُلُونَ . (الأعراف : ١٣٩٠، ١٣٩)

وما كاد موسى يذهب لميقات ريّه على الجبل ليتلقى الألواح ، حتى أَصَبُّهم السامريّ : فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ، خُوارٌ فَقَالُواْ مُلذًا إِلَيْهُكُمْ وَإِلَيْهُ مُوسَىٰ فَسَىنَ . (مله : ٨٨) .

وطلبوا من موسى أن يحكم بينهم في قتيل وجد بين قريتين ، وكل قرية تنهم الأخرى ، فطلب موسى من قومه أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ، فأخذوا يتشددون على أنفسهم ، ويسألون عن صفة البقرة ، ثم عن لون البقرة ، ثم عن عمر البقرة ، ويعد لأى نبحوها ، وَمَا كَانُواْ يُقْشُونَ . (البقرة : ٧) .

وطلبوا يوم عطلة يكون مقدسًا ، فلما كُتب عليهم السبت اعتدوا فيه ، ووقفوا أمام الأرض المقدسة متخاذلين ، بقولهن : يُلمُو سَمَّ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَارِينَ رَائًا لَنَّ لَدُخُلَهَا حَيْنَ يَخْرُجُواً مِنْهَا ... (الماندة ٢٣). فلما كرر عليهم التحضيض والتشجيع ، تبجُّعوا وكفروا وقالوا:

يَنْمُو مَيْ إِنَّا لَن نَّدْخُلُهَا أَبُدًا مَّا قَامُواْ فِيهَا فَآذَهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَلْتِأَةٌ إِنَّا هَلْهُنَا قَلْحِدُونَ . (المائدة : ٢٤) .

لهذا وغيره توجه إليهم موسى معاتبا في مودة ، يقول :

أَيْا قَوْم لِمَ تُواْذُونَنِي وَقَاد تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ...

فلما أعرضوا عن هدى التوراة ، وروح الدين ، واستجابة المؤمنين ، طَمَس الله على قلوبهم .

فَلَمَّا زَاعُواْ أَزَاعُ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقُوْمَ ٱلْفُسْقِينَ .

إن من خرج على دين الله ، وتكبّر وتجبّر على هدى السماء ، يسلب الله عنه الهدى والتوفيق ، لأنهم لا يصلحون لخلافة السماء وهم على هذا الزيغ والفسوق والخروج عن أمر الله .

٣ – وَإِذْ قَالَ عِبْسَى آاَنُ مُزْيَمَ يَشْنِيَ إِسْرَّ بِهِلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدَّقًا لَمَا يَيْنَ يَدَى بِنَ ٱلقُوْرَتْ وَمُسَلَّمً" بِرَسُول يَأْتِي مِنْ أَعْدِى ٱسْمُهُ وَ أَحَدُ فَلَمَّا جَآءَمُم بِٱلْشِيْسَةِ قَالُواْ خَلْدًا سِحْرٌ فَيْنِ

واذكر حين قال عيسى ابن مريم لبنى إسرائيل : إنى رسول الله إليكم ، فهذه سلسلة الرسالات ، كلُّها من عند الله ، وعيسى يزيد الشرع والناموس الذي سبقه ، ويبشر بأحمد الذي يأتي بعده .

وقد بشرت التوراة بمحمد ﷺ ، وكذلك الإنجيل.

قال تعالى : ٱللَّذِينَ يَتَّجِمُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيُّ ٱلْأُمَّى ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِندَهُمْ فِي الثَّوْرَ لَهِ وَٱلْإِنجِيلِ ...

(الأعراف: ١٥٧).

وأقرّ بعض المخلصين من علمائهم الذين أسلموا بهذه الحقيقة ، وأن اليهود كانوا يتواصون بكتمها .

وأناجيل النصارى تذكر هذه البشارة ، وكذلك التوراة ، حيث جاء فى الفصل العشرين من السُّفر الخامس من التوراة:

(أقبل الله من سيناء ، وتجلَّى من ساعير ، وظهر من جبال فاران ، معه الربوات الأطهار عن يمينه) .

وسيناه مهبط الوحى على موسى ، وساعير مهبط الوحى على عيسى ، وفاران جبال مكة ، مهبط الوحى على محمد ﷺ. وجاء في إنجيل يوحنا ، في الفصل الخامس عشر:

(قال بسوع المسيح: إنَّ الفارقليط روح الحق ، الذي يرسله أبي ، يعلمكم كل شيء) .

والفارقليط: لفظ يدل على الحمد ، وهو إشارة إلى أحمد ومحمد ، اسمى النبي ﷺ .

وفى المنحيحين ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : «إن لى أسماء : أتا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا العاهى الذي يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذي يُحشُرُ الناس على قدمى – أي بعدى – وأنا العاقب» . ^^ ، أى : الأخر الأتي بعد الأنبهاء .

وفى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : وأنا محمد ، وأنا أحمد ، والحاشر ، والمقفّى ، ونبى الرحمة والتوبة والملحمة» . (^11)

تلك بشارات الرسل بمحمد ﷺ ، لكن حين ظهر أنكره المنكرون ، وادعوا أن رسالته سحر وكذب .

فَلَمَّا جَاءَهُم بِٱلْبَيِّئَاتِ قَالُواْ هَالَمَا سِحْرٌ مُّبِينٌ .

فلما جاء محمد ﷺ بالمعجزات الواضحات وبالقرآن المبين ، قال اليهود قوم موسى ، والنصاري قوم عيسى : هذا سحر واضح لا شك فهه .

وقيل : معنى الآية : نلما جاء عيسى قومه بالبينات والمعجزات قال المكنبون له : هذا الذي جاءنا به سجر واضح ظاهر.

بشارة الرسل بمحمد ﷺ

كانت دعوة إبراهيم عليه السلام أن يرسل في العرب رسولا منهم ، يقرأ عليهم آيات الله ، ويطهّرهم ويعلمهم القرآن والسنة المطهرة ، وعلى لسان إبراهيم الخليل يأتي هذا الدعاء : رُكّا وَآبَكَ بِهِم رَسُولاً سُّهُم يَتُوا عَلَهِم عَايِشِكُ وَيُعْلَمُهُمُ آلْكِنِتُ وَٱلْجِكُمَةُ وَيُرْكِيهِمْ إِنْكَ أَسْ آلْفِرِيرْ ٱلْحَكِيمُ

من تفسير ابن كثير

وقال محمد بن إسحاق ، عن خالد بن معدان ، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك ، قال : «دعوة أبى إبراهيم ، وينظرى عيسى ، ورأت أمى حين حملت بى كأنه خرج منها نور أضاء له قصور بصرى من أرض الشام» (^{٨٠}). وقال رسول الله ﷺ: وإنى عند الله له لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأنبنكم بأول ذلك ، دعوة أبى إبراميم ، ويشارة عيسى بى ، ورؤيا أمُى التي رأت وكذلك أُمُهات النبيين يرين، ٣٠٩.

وررى أحمد ، عن أبى أمامة قال : قلت : يا رسول الله ، ما كان بدء أمرك؟ قال: «دعوة أبى إبراهيم ، ويشرى عيسى ، ورأت أمى أنه يشرح منها نور أهماءت له قصور الشام» (١٠٠) .

وقال عبد الله بن مسعود : بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً ، منهم :

عبد الله بن مسعود وجعقو وعبد الله بن رواحة وعثمان بن مظعون وأبر موسى ، فأتوا النجاشي ، ويعثت
قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية ، فلما دخلا على النجاشي سجدا له ، ثم ابتدراه عن يمينه
وعن شماله ، ثم قالا له : إن نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا ومن ملتنا ، قال : فأين هم ؟ قالا :

هم قي أرضك ، فابعث إليهم ، فبعث إليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم ، فاتبعوه ، فسلّم ولم يسجد ،

فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟ قال : إنا لا نسجد إلا الله عزّ وجل ، قال : وما ذاك ؟ قال : إن الله بعث إليهنا
رسوله ، فأمرنا الا نسجد لأحد إلا للله عزّ وجل ، وأمرنا بالصلاة والزكاة . قال عمرو بن العاص : فإنهم
رسوله ، فأمرنا الا نسجد لأحد إلا للله عزّ وجل ، وأمرنا بالصلاة والزكاة . قال عمرو بن العاص : فإنهم
يضافونك في عيسي ابن مريم ، قال : ما تقولون في عيسي ابن مريم وأمّه قال : نقول كما قال الله عزّ
وجل : هر كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسها بشر، ولم يعترضها ولد ، قال : فوفع
عوداً من الأرض ، ثم قال : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما
يساوي هذا ، مرحباً بكم ويمن جئتم من عنده ، أشهد أنه رسول الله ، وأنه الذي نجده في الإنجيل ، وأنه الذي بعسى ابن مريم ، انزلوا حيث شئتم ، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نطيه ، وأرضه ، وأمر بهيه الأخرين فربُت إليهما (٩٠).

والمقصد أن الأنبياء عليهم السلام لم تزل تنعته وتحكيه في كتبها عن أممها، وتأمرهم باتباعه ونصره ومؤازرته إذا بُعث ، وكان أول ما اشتهر الأمر في الأرض على لسان إبراهيم الطيل والد الأنبياء بعده ، حين دعا لأهل مكّة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم ، وكذا على لسان عيسى ابن مريم ،ولهذا قال : «دعوة أبي إبراهيم ، ويشارة عيسى ابن مريم ، ورؤيا أمى التي رأت» . أى ظهر فى أهل مكة أثر ذلك ، والإرهاص ، فذكره صلوات الله عليه .

وقوله تعالى: فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيْنَاتِ فَالُواْ هَلَاَ سِحْرٌ مُّبِينٌ .

قال ابن جريع: قَلْمًا جَآءَهُم. أحمد، أي : المبشر به في الأعصار المتقادمة، المنوه بذكره في القرون السالفة، الما ظهر أمره وجاء بالبينات: قال الكفرة والمخالفون . هَلَمًا سِحَقٌ مُّسِنَّ ٢٠٠). ٧ - وَمَنْ أَظْلُمُ مِمَّن ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَالِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى ٱلْإِسْلَـٰم وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّلِلِمِينَ.

الإسلام دين الله إلى البشرية كلها ، فالإسلام بمعنى الانتياد لحكم الله تعالى ، يطلق على ملة إيراهيم ، وديانة موسى ، ورسالة عيسى ، ورسالة محمد ﷺ .

فمن يكنّب برسالة عيسى فقد أعظم على الله الغرية ، حين يدعوه رسولٌ إلى الإيمان بالله تعالى ، ويقدّم له معجزات بينات ، فيدّعى أن هذا سحر ظاهر بيّن .

هذا هو الرأى الأول في تفسير الآية ، وخلاصته ؛ لا أحد أشد ظلما للحقيقة ، من هذا الذي يفتري الكذب على الله ، فيكذّب عيسى في رسالته ، ويتهمه بأنه ساحر ظاهر السحر .

أمًا الرأى الثاني فتقريره كالآتى:

إن رسالة محمد ﷺ دعوة إبراهيم ، و بشارة موسل الله برسالة محمد ﷺ دعوة إبراهيم ، و بشارة موسى وعيسى ، فلما ظهر محمد ﷺ كان يدعوهم إلى الإسلام : الدين الحق ، والرسالة الأخيرة إلى البشرية ، فكذب بنو إسرائيل برسالة محمد ﷺ رغم أنهم ، يَعْرِفُونَهُ رُكُمًا للدين الحق ، والرسالة الأخيرة إلى البشرية ، فكذب بنو إسرائيل برسالة محمد ﷺ رغم أنهم ، يَعْرِفُونَهُ رُكُمًا يَعْرُفُونَهُ رُكُمًا

من تفسير الطبرى

يقول تعالى ذكره:

ومن أشد ظلما وعدواناً ممن لمثلق على الله الكذب ، وهو قول قائلهم عن النهى ﷺ: هو ساحر ، وما جاء به سحر ، فكذلك افتراؤه على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام ، يقول : إذا دُعى إلى الدخول في الإسلام، قال على الله الكذب ، وافترى عليه الباطل (°° .

وقال المفسرون:

بشر كل نبى قومه بنبينا محمد ﷺ ، وإنما أفرد تعالى نكر عيسى بالبشارة فى هذا الموضع لأنه آهر نبى قبل نبينا محمد ﷺ ، فبين تعالى أن البشارة به عمّت جميع الأنبياء ، واحدا بعد واحد ، حتى انتهت إلى عيسى عليه السلام ، آهر أنبياء بنى إسرائيل .

فلا يكون أحدً أظلم ممن يدعوه ربّه للإسلام على لسان نبيه ، فيجعل مكان إجابته افتراء الكنب على الله ، بتسمية نبيّه ساحرًا ، وتسمية آيات لله المنزلة سحراً . (٣٠) . ٨ - يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْكَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ .

يريد المشركين بمكة واليهود بالمدينة أن يطفئوا نور دين الله ، وهو الإسلام ، وأن يوقفوا دعوة محمد يُنه وأنَّى لهم ذلك ، فهم كمن يحاول أن يطفئ نور الشمس بنفخة من فمه ، أو من يريد أن يضرم النار في الرماد ، أو كمن يريد أن يصطاد للعنقاء، وهو مثل يضرب لمن يريد عمل المستحيل .

قال الشاعر:

أرى الحنقاء بكبّر أن تُصادا فعاند من بطيق له عنادا

وَٱللَّهُ مُشِمُّ نُورِهِ وَلَوْكَرِهَ ٱلْكَـٰلِفِرُونَ .

تكفّل الله تعالى بنصرة هذا الدين ، وحفظ القرآن الكريم ، ما دام أهله قائمين بأمر الله ، واتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، وقد انتصر الإسلام في مكة والمدينة والجزيرة العربية، وامتد إلى بلاد الفرس والروم ، ومصر وشمال أفريقيا وآسيا ، ودانت له معظم الرقعة المعمررة في الأرض في مدى قرن من الزمان.

« ثم زحف زحفا سلميا بعد ذلك إلى قلب آسيا وأفريقيا ، حتى دخل فيه بالدعوة المجردة خمسة أضعاف من دخلوا في إبان الحركات الجهادية الأولى، ""،

لقد أكمل الله للمسلمين دينهم ، وأتمُّ عليهم نعمته ، ورَخبيَ لهم الإسلام دينا ، يحبونه ريجاهدون في سبيله ، لقد جرى قدر الله أن يظهر هذا الدين ، فنشره الله في الآفاق ، وأعلام على الأديان .

روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله زوى لى الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاريها ، وإنّ ملك أمتى سببلغ ما زُوى لى منها، ص

ومعنى : «زرى لى الأرض» ، أى : جمعها حتى رآها النبى ﷺ ، والمعنى : أن هذا الدين سينتشر فى مشارق الأرض ومغاربها .

وقد كان سبب نزول الآية أن الوحى تأخر على رسول الله ﷺ أربعين يوما ، ففرح كعب بن الأشرف ، ويشُر اليهود بانتهاء أمر محمد ، فأنزل الله هذه الآية ، واتصل الوحى بعدها ، وانتصر الإسلام على اليهودية الحاقدة في غزوات بنى قينقاع ويني قريظة وينى النضير ، ثم فتحت خيبر .

وحاولت اليهودية الحاقدة بأصابحها وكيدها النيل من دولة الخلافة ، ورزقُت بطلا هو كمال أتاتورك ، وتحاول الآن ابتلاع أجزاء كبيرة من فلسطين ، لكن انتفاضة الشعب الفلسطيني مستمرة ، وأكتب الآن هذه السطور في شوال ۱۶۲۱هـ – يناير ۲۰۰۱ والانتفاضة الفلسطينية مستمرة ، تقدم الشهداء كل يوم أمام عنت الصمهيونية وتجبّرها، واستخدامها الأسلحة المحرمة درليا .

والأمل في الله أن يجمع شمل العرب والمسلمين ، وأن يُثبّت أقدامهم ، وأن ينزل عليهم نصره وفضله ومعونته ، إنّه سبحانه : فِعْم ٱلْمَوْلُينَ وَنِعُم ٱلْمَعِيرُ ، (الأنفال: ٤٠٠) .

٩ - هُوَ ٱلَّذِي َ أَرْسَلَ رَسُولُهُ, بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ, عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرةَ ٱلمُشرِكُونَ .

فائله هو الذي أرسل رسوله محمدا ﷺ ، حاملا دين الهداية ، ودين الحق والعدل ، ليكون هذا الدِّين الإسلامي كلمة الله الأخيرة إلى خلقه .

فقد أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب والصحف ، وأنزل الثوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، وجعل الإسلام هو الرسالة الكاملة الأخيرة التي تتوافق مع العقل والنقل، وتناسب كل زمان ومكان، لاتفاق الإسلام مع الفطرة .

قال أبو السعود: لقد أنجز الله وعده بإعزاز دين الإسلام ، حيث جعله بحيث لم يبق دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام ، وقد ذكر القرطبي ذلك في تفسيره ، وأفاض (في ظلال القرآن) في شرح الأيات .

* * *

التجارة الرابحة

﴿ يَتَا يُّهَا اَلَذِينَ اَمْنُواهَلَ اَدُلُكُو عَلَيْضِكُمْ فَيْصِكُمْ تِنْعَلَابٍ أَلِي ۞ فُوْمِنُونَ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَيَجْهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُولَكُونَ اللّهُ وَلَيْحَالُهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ ا

المفردات :

أدليكم، أرشدكم.

تسمجمسارة ، التجارة هذا : العمل الصالح ، وهي في الأصل : تداول البيع والشراء لأجل الكسب .

طبيبية : طاهرة مستلذة .

وفستسج قسريب، وفتح عاجل ، وهو فتح مكة .

أنصسار السلسة؛ الناصرون لدينه.

الصحصوار يصون د أصفياء عيسى وخواصه .

أأسطاب المسادقوينا وساعدنا

على عدوهم والكفار

ظ المريان ، غالين .

تمهيده

لوُن القرآن الكريم في أساليب دعوته ، ونوّع فيها ، وصرّف في ألوان القول ، وعداً بالجنة أو تخويطا من النار.

وهنا يعرض سلعة رابحة ، هي الجنة ، في أسلوب من التشويق ، فيبين أن مدّة الدنها محدودة ، ومن يبع ماله للهُ ، ويقدّم نفسه للجهاد في سبيل الله ، فإنه يقدّم رأس المال لصفقة متميزة .

يدفع العَبْدُ ماله ويقدم نفسه للجهاد في سبيل الله ، ويشترى مغفرة من الله ، وجنة متميزة بكلّ المتع وفوق ذلك يجد نصرًا من الله وفتمًا قريبًا ، ويشارة بالعزة والسيادة .

التفسيره

· ١ - يَنْأَيُهَا ٱلَّذِينَ ءَامَتُواْ هَلْ أَذْلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَلَرَةٍ تُتجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أليم .

نزلت هذه السورة تَشُوِّق المسلمين إلى الجهاد ، ونزلت هذه الآيات أيضا على أسلوب التشويق ، فهى تُشُوق المسلمين إلى تجارة رابحة ، وتقول: يا أيها الذين آمنوا بالله ربًّا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا ، هل أخبركم وأرشدكم إلى تجارة رابحة ، تنقذكم من عذاب جهنم ، وتقريكم إلى الجنة .

١١ - تُقْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَلِهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَ الِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُسُمْ تَعَلَّمُونَ .

وكأنَّ سائلا سأل فقال: وماهى تلك التجارة ؟ فكان الجوابِ هو: الإيمان بالله ورسوله ، أى شدة المغين والتصديق، وتأكيد الإيمان وتعميقه ، كما قال تعالى : يُنَلِّيُهُا اللَّبِينَ مَامَنُواْ مَامِرُواْ ... (النساء: ١٣٦١). ثم قال تعالى: وَتُحَلِّهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَا لِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ...

وقدّم الجهاد بالمال هنا على الجهاد بالنفس ، لأن الموضوع موضوع تجارة رابحة ، فقدم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس ، فالمال عصب الجهاد ، ويه تشترى الأسلحة والأطعمة للمجاهدين ، وينفق به عليهم ، وعلى الاستخبارات عن العدنّ ، وعلى الاستحكامات الحريبة .

ويعد الجهاد بالمال يأتى الجهاد بالنفس ، ويشمل ذلك القتال والتطوع للفداء ، وتفجير المجاهد نفسه في ممتلكات العدري وأفراده ، وسائر أدوات نصر المسلمين ، والنيل من أعدائهم .

ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ .

أى: هذا الأمر — وهو الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس — خير لكم على الإطلاق من أموالكم وأنفسكم.

وفي معنى الآية قوله تعالى: إِنَّ ٱللَّهُ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجُنَّةَ... (التوبة:١١١).

لكنه قدّم النفس على المال في سورة التربة ، حيث للموضوع موضوع شراء فقدم النفس على المال ، أما هذا في سورة الصف فقد كان الموضوع موضوع تجارة ، والتجارة بقدم فيها المال على النفس هكذا يقول بعض المفسرين ، ويمكن أن نضيف إلى ذلك أن الموضوع موضوع تنويع وتشويق من القرآن الكريم ، وأن القرآن لون في أسالهب المبيان ، فأحيانا يقدم النفس على المال ، وأحيانا يقدّم المال على النفس ، من باب التنويع والتغيير ، والله أعلم .

١٧ - يَفَوْرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْحِلْكُمْ جَسَّلَتِ فَحْرِى مِن مَحْهَا ٱلْأَنْهَارُ وَمَسَلَكِنَ طَلِيَةً فِي جَسَّلَتِ عَدْنٍ قَالِكَ ٱلْفَوْرُ الْعَظِيمُ.

تأتى هذه الآية في موقع الجزاء لما سبقها ، أي : إن تؤمنوا وتجاهدوا كان جزاركم عند الله تعالى أن : يُغْفِرُ لَكُمُ ذُنوبَكُمُ . أي: يمحر عنكم سيئاتكم ، ويسترها عليكم ، ولا يحاسبكم عليها .

وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ...

والفعل : يُدْخِلُكُمْ . مجزوم لأنه واقع في جزاء الشرط ، أي : إن تؤمنوا وتجاهدوا : يَغَفِرُ لَكُمْ دُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنْسَةِ تَعِرُى مِن تَحْجَهَا ٱلْأَنْهُمُ ... فنعم الجزاء مففرة الذنوب ، وستر العيوب ، ومحو السيئات ، ودخول جنات ويساتين مخضرة مثمرة ناضرة ، تجرى المياه من تحتها ، ثم يصف سبحانه مساكن المؤمنين المجاهدين والمؤمنات المجاهدات حيث يقول : وَمَسْكِنَ فَيْهَةً فِي جُنْسَتِ عَمْدَهُ ذَالِكَ ٱلْقَوْرُ ٱلْعَنِيْمُ .

وهنا نجد الجزاء رابحا مفيدا مضاعفا ، فنحم الجزاء الجنة ، ونعم الجزاء مساكن المجاهدين الذين ضحُّرا بمساكنهم فى الدنيا ابتفاء أن يعوضهم الله فى الآغرة مساكن طيبة الريح ، عظيمة النفع ، فى جنات عَمُنْ ِ. أَى: إِقَامَة حَالِدَة لا يحْرجون منها ، ذلك هو الفوز العظيم ، والربحُ الباهر ، فقد باعوا دنياهم واشتروا آخرتهم ، باعراء أنفسهم لله فى الدنيا واشتروا خلوداً أبديا سرمديا .

١٣ - وَأَخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَقَصْحٌ قَرِيبٌ وَيَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ .

ونعمة أخرى ، وفائدة أخرى تحبُّونها وتشتاقون إليها ، لأنها عاجلة في الدنيا .

نَمْسٌ مِّنَ ٱللَّهِ . نصر للإسلام وأهله على أعدائه .

وَفَتْحٌ قَرِيبٌ .

أى: فقح مكة ، والأولى أن يقال : العبرة بعموم اللفظ لا يخصوص السبب ، فالآية عامة ، خالدة باقية إلى يوم القيامة .

فكلما تعمّق إيمان المرّمنين ، وأخلصوا في الجهاد لله بالمال والنفس ، كان جزاؤهم مغفرة الذنوب ، وبخول الجنة والمساكن الطيبة ، وكانت لهم فائدة أخرى في الدنيا ، هي معونة الله لهم بالنصر منه سبحانه ، وفتح البلاد والفلبة على العباد ، أي كلما وفّي المؤمنون بوعدهم وأخلصوا ، وفّي الله لهم بوعده في المثرية في الآهرة ، والنصر في الدنيا .

وَبَشْرِ ٱلْمُوامِنِينَ .

أى: ريشر أيها الرسول المؤمنين بالنصر فى الدنيا ، وعجل لهم البشرى بالنصر والفتح ، وقد وفّى المؤمنون لريهم ، وصدقوا فى جهادهم بالمال والنفس ، فأنجز الله لهم ما وعدهم ، وأمر رسوله ﷺ أنّ يبشرهم بما وعدهم تعجيلاً للمسرة . ندامُ إلهى علويُّ للمؤمنين المجاهدين ، بأن يكونوا أنصاراً لدين الله ، وضَرب لهم مثلاً بعيسى ابن مريم ، مم أتباعه المخلصين ، حين قال عيسى : مُنَّ أنصَاريَ إلَى اللَّهِ ...

وهو استفهام يراد به الحتُّ والحضُّ على الانضمام إلى قافلة التبشير بالدين ، والجهاد في سبيل نشر هذا الدين .

قال المفسرون:

الحواريون هم أتباح عيسى وأصفيارُه ، وأول من آمن به ، وكانوا اثنى عشر رجلا ، فرُقهم في البلاد ، ويعثهم دعاة إلى الناس في البقاع المختلفة ، واشتقاق الحواريين من الحَوِّر وهو البياض ، لأنه كان مليسهم (٣٠ . وقيل : لنقاء ظاهرهم وياطنهم ، وقيل : الحواريون مم المجاهدون .

قَالَ ٱلْحَوَارِيُونَ لَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ...

أَى: قال الرجال المخلصون من أتباع عيسى له: نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ...

انتدبنا أنفسنا لتلبية الدعوة ، والجهاد في سبيل توصيلها وتبليغها .

قال فخر الدين الرازي في التفسير الكبير:

والتشبيه في الآية محمول على المعنى ، أي : كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار الله . اهـ .

فَعَامَنَت طَّالِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرٌ عِيلَ وَكَفَرَت طَّالِفَةٌ...

أى: فانقسم بنو إسرائيل إلى جماعتين:

جماعة آمنت بعيسى ومدّقت بأنه عبد الله ورسوله ، وجماعة كفرتُ وكذبتُ برسالة عيسى ، وقالت على مريم بهتانا عظيما .

فَأَيَّدُنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ ...

أى: قُويناهم وأمددناهم بالهدى والتوفيق، والدليل والبرهان والحجة الظاهرة.

فَأَصْبَحُواْ ظَلْهِرِينَ . فأصبحوا عالين غالبين على أعدائهم ، كما قال تعالى : إِنَّا لَتَنصُرُ رُسُلُنَا وَٱللَّذِينَ ءَامُنُواْ في آلْحَيَاة الدُّنْهَ إِنَّا هَ يَقُومُ ٱلْأَفْهَالُهُ . (غافد : ١٥).

قال ابن كثير:

لما بلّغ عيسي ابن مريم عليه الصلاة والسلام رسالة ربّه إلى قومه ، وآزره من آزره من الحواريين ، امتدت طائفة من بنى إسرائيل بما جاءهم به ، وضلّت طائفة فخرجت عما جاءهم به ، وجحدُوا نبرّته ، ورموه وأمه بالعظائم ، وهم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة ، وغلّت فيه طائفة ممن اتبعه ، حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة ، وافترقوا فرقا وشيعا ، فمن قائل منهم : إنه ابن الله ، وقائل : إنه ثالث ثلاثة (الأب والابن وروح القدس) ، ومن قائل : إنه الله . تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا .

فَأَيُّدُنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَلْهِرِينَ .

فنصر الله المؤمنين على من عاداهم من فرق النصارى ، وقد أيد الله المؤمنين برسالة محمد ﷺ. جاء في ظلال القرآن ما يأتي :

وتأويل هذا النصُّ يمكن أن ينصرف إلى أحد معنيين:

إما أن الذين آمنوا برسالة عيسى عليه السلام هم المسيحيون إطلاقا ، من استقام ، ومن دخلت في عقيدته الانحرافات ، وقد أيدهم الله على اليهود الذين لم يرُمنوا به أصلا كما حدث في التاريخ .

واما أن الذين آمنوا هم الذين أمبرًوا على الترحيد في وجه المؤلَّهين لعيسى، والمثلثين ، وسائر النحل التي انحرفت عن الترحيد ، ومعني أنهم أصبحوا ظاهرين أي بالحجة والبرهان .

أو أن التوهيد الذي هم عليه هو الذي أظهره بهذا الذين الأخير ، وجعل له الجولة الأخيرة في الأرض كما وقم في التاريخ ، وهذا المعنى الأخير هو الأقرب والأرجع في السياق .

والعبرة المستفادة من هذه الإشارة ومن هذا النداء ، هى استنهاض همة المؤمنين بالدين الأخير ، الأمناء على منهج الله فى الأرض ، ورثة العقيدة والرسالة الإلهية ، المختارين لهذه المهمة الكبرى ... استنهاض همتهم لنصرة الله ونصرة دينه : كُمّا قَالَ عِسَى آيَنُ مُرْتُمَ لِلْحُوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِى إِلَى آللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَعْنُ أَنصَارُ آللهِ ...

والنَّصر في النهاية لأنصار الله المؤمنين. (١٠٠٠).

أهم الموضوعات التي اشتملت عليها سورة الصف

١ -- اللوم والتعنيف على مخالفة القول للعمل.

٢ – البشارة بمحمد ﷺ على لسان عيسى .

٣ - محمد ﷺ أرسل بالهدى والدين الحق.

3 - التجارة الرابعة عند الله هي الإيمان والجهاد في سبيله.

ه – الأمر ينصرة الدّين كما نصر الحواريون ديتهم .

* * *

تم بحمد الله تعالى تفسير سورة (العبف) عشية يوم الأحد، ٢٦ من شوال ١٤٢١ هـ، الموافق ٢١ من يناير ٢٠٠١ م .

والصد لله الذي يتعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحيه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

* * *

الجزء الثامن والعشرون



أهبداف سبورة الجمعية

(سورة الجمعة مدنية ، وآياتها ١ ٩ آية ، نزلت بعد سورة يوسف)

وقد عُنيت السررة بتربية المسلمين وجمعهم على الحق والإيمان ، ودعوتهم إلى المحافظة على صلاة الجمعة ، والامتناع عن الانشغال بغيرها من اللهو أو البيع ، وقد مهدت لذلك ببيان أن كل شيء يسبح بحمد الله . وقد من الله على العرب بإرسال نبى الهدى والرحمة ليرشدهم إلى الخير ، ويأخذ بأيديهم إلى الطهارة والفضيلة ، وقارنت السورة بين المسلمين واليهود ، وعيزت اليهود بإهمائهم تعاليم التوراة وإعراضهم عنها ، وشبههم القرآن بالحمار يحمل كتب العلم ولا يستفيد بها ، وهو تشبيه رائع يغيد أن التوراة بشرت . بنبى الله محمد ﷺ ، ودعت أهلها إلى الإيمان به ، لكنهم لم يستفيدوا بهداية التوراة ، فحرموا أنفسهم من الانتفاع مئهم .

تسلسل أهكار السورة

بدأت السورة بمطلع رائع ، يقرر حقيقة التسبيح المستمر من كل ما في الوجود . (الآية :١) .

وجاء في تفسير النسفى: التسبيح إما أن يكون تسبيح خلقة ، يعنى إذا نظرت إلى كل شىء دلتك خلقته على وحدانية الله وتنزيهه عن الأشباء ، أو تسبيح معرفة بأن يجمل الله بلطفه في كل شىء ما يعرف به الله تعالى وينزهه ، ألا ترى إلى قوله تعالى : وَإِنْ مُنْ شَيْءٍ إِلَّا يُمَسِّحُ بِمَعْدِهِ وَلَدْكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِحَهُمْ . . . (الاساء: ٤٤)

أو تسبيح ضرورة بأن يجرى الله التسبيح على كل جوهر من غير معرفته بذلك . (١٠٠٠) .

ويبنت السورة أن الله قد احتار العرب ليرسل فيهم نبئ آخر الزمان ، ليطهرهم ويعلمهم القرآن والأحكام الشرعية ، وحسن تقدير الأمور بعد أن كانوا في الجاهلية في ضلال وكفر وإنصلال . (آية : Y) .

وقد وصف جعفر بن أبى طالب [™] ضلال الجاهلية النجاشى ملك الحيشة ، فقال : أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونُسىء الجوار ، ويأكل القويُّ منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فيعاننا إلى الله لنوحده ولنعيده ، وينظع ما كُننا نعيد نحن وإبيارتنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأناء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهاننا عن القواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعيد الله ولا نشوك به شيئا، وأمرنا بالمصلاة والزكاة والمبياء.

لقد اختار الله الجزيرة الحربية لتحمل رسالة الإصلاح ، وليمند هذا النور الهادى إلى ممالك الفرس والروم ، حيث كانت هذه الهلاد العربية قد انغمست في الترف والانصلال ..

وبين مظاهر الفساد الشامل وُلد الرجل الذي بحدُّ العالم جميعه ⁶⁰⁰. وقد كان اليهود يزعمون أنهم شعب الله المختار ، وأنهم هم أولياؤه من دون الناس ، فبينت الآيات أنهم لم يعودوا صالحين لحمل رسالة السماء ، فقد أعلاواً إلى الدنيا ، وكرهوا الموت لأنهم لم يقدّموا عملاً صالحا ، بل قدّموا الدس والخداع والوقيعة : وَٱللَّهُ عَلِيمٌ اللَّفِلَيمِنَ ، (الجمعة :٧) . مطّلع عليهم وسيجزيهم على عملهم ، (الآيات : ٥ – ٨).

والمقطع الأخير من السورة يتحدث عن صلاة الجمعة ، وهي فريضة أسبرعية يتلاقي المسلمون فيها لتعلم أمور دينهم ، وتنظيم حياتهم ، وتغفّد طلونهم ، وهي وسيلة للعبادة والطاعة ، وصفاء النفس ، وطهارة الروح .

والإسلام دين ودنيا ، وعقيدة وسلوك ، وشرائع وآداب، وعلم وعمل ، وعبادة وسيادة .

فإذا انتهت صلاة الجمعة خرج المسلم باحثا عن رزقه ، نشيطا في عمله ، فعبادة الله تكون في المسجد بالمملاة ، وتكون خارج المسجد بالتجارة والزراعة وطلب القوت من حلال .

وفى الحديث الاصحيح: «إن لريك عليك حقا، وإن لبدنك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه » (١٠٠٠).

وكان عِرالله بن مالك إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد ، فقال : اللهم إنى أجبت دعوتك ، وصليت فريضتك ، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين . (١٠٠) .

النبى الأمن بنــــــــالَّةُ زَالَ حَبَدِ

﴿ يُسْتِحُ بِنَهِ مَا فِي السَّمَوَةِ وَمَا فِي الْآرْضِ الْلِكِ الْفَدُّوسِ الْهَ بِرَ الْحَكِيدِ ﴿ هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِي الْأَمْيِةِ مَا فَي الْمُحْمَدُ الْمَالِكِ الْفَدُّوسِ الْهَ بِنَا الْمَحْمَدُ الْمَاكِنَةُ وَالْمَالِكُ مِنْ الْمَالِمُ مُنْ اللَّهُ الْمَالِمُ مُنْ اللَّهُ الْمَاكِنَةُ وَلَيْكُ مَنْ اللَّهُ وَالْمَالِمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللْمُنْ اللْمُنْ الْمُنْ الْم

المفردات:

يسم يستح المسلم، ينزُّهم ويمجُّدُه ويدلُ عليه .

ر بالك الأشياء كلها .

المستقس البليغ في النزامة عن النقائص ، البالغ غاية الطُّهر.

السيعين والقادر ، الغالب ، القاهر .

الأنبي يرب ألعرب المعاصرين له ﷺ ، أو الذين لا يقرأون ولا يكتبون

رسيولا مستسهم رسولا أميا مثلهم .

ي زا ي الجاهلية .

المرآن .

البيح يك مسية ؛ السنّة ، وتطلق الحكمة أيضا على حسن التصرف في الأمور.

المن في الله مع من المن عن الحق والحكمة ، لجاهليتهم التي كانوا عليها .

وتغرين منهم تمايلحقوابهم ، وآخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد ، وهم كل من دخل فى الإسلام إلى يوم القيامة ، وإذا أسلموا مساروا منهم (من العرب) مهما لختلفت أجناسهم ، فالمسلمون كلهم أمة واحدة ، وركل من تكلم العربية فهو عربى » .

فضيل الساسه الحسانة وعطاؤه .

لمعدده

كان العرب في جاهلية جهلاء ، يندون البنات ، وينتهكون الحرمات ، ويسجدون للأصنام ، وينُعون أنّهم على دين إبراهيم ، والواقع أنهم بنّاوه ، وغيّره ، واستبدلوا باليقين شكًا ، ويالتوحيد شركًا .

فأرسل الله إليهم رسولا منهم ، يعلمهم القرآن الكريم والسنّة المطهرة ، ويزكيهم بآداب الإسلام وقواعده ونظمه ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ، لقد كان الإسلام نوراً وحياة وطهارة ، أحيا أُمَّ ، وكُون دولة ، وعلم الناس دينا ، وقواعد وآدابا ، وشريعة سمحة ، وقوانين عالية ، وهداية وعلما ومجناً ، وكُلما التصبق المسلمون بدينهم وعادوا إلى نظامه ، نصرهم الله وأيدهم : إِنْ تَعَمَّرُواْ ٱللَّهُ يَنصُرُكُمْ وَيَثَنَ ٱلْمَامَكُمْ .

التفسده

١ - يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ.

تأتى مادة التسبيح بالفعل الماضى ، كما سبق قريبا في سورة الحديد ، وتأتى بالفعل المضارع للدُّلالة على الحدوث والتجدد ، والاستمرار في التسبيح في الحال والاستقبال .

وتأتى بصيغة الأمر ، مثل قوله تعالى : سَبِّع ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى . (الأعلى: ١) .

ً وفي ذلك دلالة على أنَّ هذا الكون العظيم ناطق بالتسبيح والتنزيه والحمد لله ، سواء أكان ذلك بلسان الحال أم بلسان المقال .

قال تعالى : وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَلْكِن لَّا لَفُقَهُونَ تَسْبِيحُهُمْ ... (الإسراء: ٤٤).

أى: يسبح وينزه الله ويقدّسه ما في السمارات: من الملائكة والنجرم والأفلام ، والشموس والأقمار، وما في الأرض : من نبات وحيوان ، وإنسان وجماد ، ويحار وأنهار ، وطيور ووحوش وحشرات ، وليل ونهار ، وغير ذلك .

وهو سيحانه:

ألْمَلِكِ: مالك الأشياء كلها.

ٱلْعَزِيزِ : القادر الغالب القاهر .

آلحكيم: المتقن الأمور ، بديع السماوات والأرض ، في غاية الإتقان والحكمة ، والتقدير الحسن لجميع ما خلق ، وخلق كل شرء فقدره تقديراً .

٧ - هَوَ ٱللَّذِى يَمَتُ فِي ٱلْأَنْسَنَ رَسُولًا مُنْهُمْ يَتُلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايْشِهِ وَابْرَكِيهِمْ وَيَعْلَمُهُمْ ٱلْكِحْسَبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ
 مِن قَبْلُ أَنْهِى صَمْلُلُ شِين .

إنها لمنَّة عظيمة أن يختار الله الزمان ، والمكان ، والأمَّة ، والرسول :

فالزمان: القرن السادس الميلادي .

والمكان : بالأد العرب .

والأمة : أمة أمية لا تعرف الحساب ، أناجيلهم في صدورهم ، ومع ذلك فهم أهل بلاغة وفصاحة . ولُسَرْ بِالفَطَرة ، نبخ فيهم الشعراء والبلغاء والخطباء مع أمَّيتهم .

والرسول: هو محمد ﷺ ، حيث أرسل الله فههم رسولا منهم ، أُمَيًّا مثلهم ، وأنزل عليه كتابا سماويا خالدا معجزا .

فكان الرسول الأمَّىُ يقرأ عليهم القرآن من الذاكرة ، ويعلَّمهم ٱلْكِتَسْبَ : وهو القرآن ، وأحكامه وآدابه . وَٱلْحِكُمَةُ : وهي السنة المطهرة ، وفيها هدى السماء وتوجيه النبوَّة .

وَإِنْ كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي صَلَالٍ مُّسِينٍ .

كانوا في يُغذ ظاهر عن الحق ، حيث عبدُوا الأوثان والأصنام ، وقتلوا البنات صغيرات ، أو أمسكوهنَ على الذلّ كبيرات ، وكانوا في عدوان دائم على بعضهم البعض ، وفي حروب مستمرَّة ، فحسبك بهذا النبي الأمّى الذي أخرجهم من الظلمات إلى النور ، وعلمهم آيات القرآن وآندابه وأحكامه وحكمه ، فصاروا بالإسلام خير أمة أخرجت للناس ، والحكمة من ذلك ظاهرة ، هي ألا يظنُ أحدٌ أن محمداً تعلّم القرآن من دراسة كتب السابقين .

قال تعالى: وَمَا كُنتَ تَظُواْ مِن قَبِلِهِ مِن كِتَسْبِ وَلَا تَعُطَّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَآزَنَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ، يَلْ هُوَ عَايَدَتُ بَيَسَتُ وَلَا يَعُونُهُ عِنْهِ مِنْ وَلِلَهُ مَالَمُونَ ، (العنجيوت: ٤٥ . ٤٥) .

ومن الحكمة أيضا: أن يكون في الأمة الأمية رسول أنّي مثلهم ، هو أعلم بحالهم ، وأخبر بما يناسبهم ، فكان صبوراً عليهم ، يبطئ في إلقاء الكلام حتى يستطيع السامع أن يُعَدّه عدًّا ، وريما كرر الجملة ثلاثا حتى تُفَهّم عنه. فكان الإعجاز والإيهار ظاهراً ، أن تجد كتابا معجزا مشتملا على أخبار السابقين ، وعلوم اللاحقين ، وأمكام الشريعة والدين ، وقوانين علمية لم يدرك الكون إعجازها إلا في القرون المتأخّرة ، مما يدل على أن محمداً النبي الأمر لم يكن يدرك بشخصه هذه المعلومات ، وإنما هي تنزيل رب العالمين .

ومن هذا الإعجاز الإخبار عن أمم بائدة ، كعاد وثمود ، وعن أمور مستقبلة في عالم الغيب ، كهزيمة الرم أمام الغرب ، ثم الانتصار عليهم في بضع سنين ، ومثل تكرين الجنين في بطن أمّه ، نطفة ثم علقة ثم مشغة ثم هيكلاً عظميًّا ، ثم كسو العظام لحما ، ولم يدرك العلم ذلك إلاّ من عشرات السنين ، فأنًى لمحمد ولا الذي ولد في القرن السادس من ميلاد المسيح ، النبي الأمي ، أنّى له - لو كان بشرا عاديا - أن يتكلم عن خلق الكرن ، وخلق السماء والأرض ، وقصة آدم وقصص الرسل ، وأن يصرّب أخطاء وقعت في الثوراة والإنجيل ، وأنى له - لو كان بشرا عاديا - أن يتكلم عن موضوعات علمية دقيقة متعددة في القرآن الكريم .

مثل حركة الأرض حول نفسها ، وحركتها آمام الشمس ، وحركة الشمس ، وحركة القمر ، والفضاء والهواء ، وأغبار عن الماء والمحيطات ، والأنهار والنبات ، ويدء الخليقة ، ونهاية الكون وما يحدث فيه ، بأسلوب علمى رائع ، وكلما تقدم العلم فإنه يؤيد ما فى هذا الكتاب .

وصدق الله العظيم إذ يقول:

سَنُرِيهِمْ عَانِيْتِنا لِمِي ٱلْآلَاقَاقِ وَلِينَ أَنْفُسِهِمْ سَتَّىٰ يَتَبَيْنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْعَنَّ أَوَلَمْ يَكُفُو بِرَبَّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلُ طَيْءٍ هُوجِةً . (نمسك: ٥٧).

ويقول البوصيرى:

كفاك بالعلم في الأميّ معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتم

لقد شاء الله أن يكون يتيما أميًّا لتشهر المعجزة ، وليدرك الناس أن الذي علَّم الأمى مَلَكُ هو جبريل علمه السلام.

قال ثمالى: عَلَّمَهُ, شَالِيدُ ٱلْقُوَىٰ . (النجم: ٥) .

وقال سبحانه وتعالى : وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ هِ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا خَوَىٰ ه وَمَا يَعِقِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ه إِنَّا هُوَ إِلَّا وَحَى يُوحَىٰ (النجم: ١-٤) .

ولقد رُخَّى القرآن الأمة العربية وطهِّرها ، وأمدُها بمقومات القوة والطهارة ، فحملت دين الله من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ، وبخل الناس في دين الله أفواجا ، وامتدت الفتوحات الإسلامية إلى بلاد الغرس والروم ، وأفريقها وآسيا وسائر المعمورة ، وكل نلك يفضل الله سبحانه وتعالى ثم بجهد هذا النبيًّ الأمى ، الذى أرسله الله إلى العرب وجعله رحمة للعالمين ، فنخل فى هذا الدين العجم ، وهم كل من آمن بالرسول من غير العرب ، وكان الإسلام رسالة عالمية ، يحمل الفكرة إلى كل أمة ، ويتقبّل من أهلها من يصبحون قدوة وأعلاما ، فرأينا فى عصر الرسول ﷺ بالأ الحبشى ، وسلمان الفارسى ، وصهيبًا الرومى .

واتسع صدر الإسلام لكلٌ ثقافة أصيلة ، في الفقه والحديث والتشريع واللغة والأدب ، وكان علماء فارس والروم يقدمون خبرتهم ، ويذالون كل تكريم من الشعوب التي تحيط بهم ، ومن الأمراء والخلفاء .

وفى الحديث الشريف : «ليست العربية لأحدكم بأب ولا أم ، ولكن العربية اللسان ، من تكلُّم العربية فُهو عربي» .

وقال تعالى: هُوَ ٱلَّذِي ٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ, بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُطْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ ... (التوبة:٣٣).

وقال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَكُ إِلَّا كَأَفَّةً لَّلَنَّاسِ بَشِيرًا وَنَلِيرًا ... (سبا: ٢٨).

وقال ﷺ: «أعطيت خمسا لم يعطهن نبى قبلى: نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأحلت لى الغنائم ، وجُملت لى الأرض مسجدا وطهورا ، وأعطيت الشفاعة ، وأرسل كل نبى إلى قومه خاصة ويعثت إلى الناس عامة » (^())

٣ - وَءَا خَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ .

وأرسله الله إلى آخرين من غير العرب ، لمّا يلحقوا بهم في حياته ، وإن لحقوا بهم بعد ذلك ، كالفرس والروم ، وكل من دخل في الإسلام إلى يوم القيامة .

وذلك بفضل الله ، ٱلْعَزِيزُ . الغالب ، ٱلْحَكِيمُ . وهو أعلم حيث يجعل رسالته .

فهذا النبي الأُميُّ أرسله الله إلى العرب ، لينطلق بهذا الدين إلى العالم من حوله .

قال تعالى : وَكَلَّا لِكَ أُوْحَيَّنَا إِلَيْكَ قُرْعَانًا عَرِيًّا تُشْلِيرَ أُمُّ ٱلْقَرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُعلِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لِلاَرْبُ فِيهِ ... (الشودى : ٧)

وقال تعالى : وَإِنَّهُ, لَلْهِ كُرِّ لُّكَ وَلِتَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْتَلُونَ . (الزعرف: ٤٤).

قال تعالى : هُوَ ٱللَّذِي أَرْسُلَ رَسُولُهُ, بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ, عَلَى ٱللَّين كُلّهِ وَلَوْ كَرَهُ ٱلْمُشْرِكُونَ .(الصف : ٩) .

وروى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كنا جلوسًا عند الذبي ﷺ إذْ نزلت سورة الجمعة ، فلما قرأ : وَءَاحَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ... قال رجل : مَنْ هزلاء يا رسول الله؟ فلم يراجعه النبى ﷺ حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثا ، قال : وفينا سلمان الفارسي ، قال : فوضع النبي ﷺ يده على سلمان ، ثم قال : ولو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء» (4%).

وتعتبر الآية والحديث من المبشرات بالنصر ، ودخول الأعاجم في دين الإسلام ، وقد انتفع تدوين العلوم والفنون بعلماء الفرس وغيرهم .

﴿ إِلَّا فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْمِهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَصْل ٱلْعَظِيم .

ذلك الفضل العظيم بأن جعل الإسلام آخر الرسالات، وأنزل الوحى على نبيّ أنّى، ولأمة أميّة ، وجعل الوحى شرفا للنبي وأمنّه ، وامتداد نور الوحى إلى فارس والروم ومصر وسائر المعمورة إلى يوم الدين .

فضل من الله ، وميناً ميناً على عباده ، ليطينهم ويزكيهم بهذا الرحى ، ويكون هذا الشرف منسوبا لهذه الأمة العربية ، ولهذا النبى الأمّى الذى بشرت به التوراة والإنجيل ، وعرفه اليهود ثم حقدوا عليه وحسدوه أن يكون من ولد إسماعيل ، ولم يكن من نسل إسحاق ، فردّ عليهم القرآن الكريم بأن الرسالة والنبرّة فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته ، فهو الذى المتار الزمان والمكان ، والرسول والأمة التى سيُرسل إليها ، وامتن على هذا الرسول بأن جعل رسالته عامة خالدة باقية، والله ذو

تحدى القرآن لليهود

﴿مَثَلُ الذِينَ حُمِلُوا التَّوَرِينَهُ ثُمَّ لَمْ يَعْمِلُوهَا كَمْثَلِ الْحِمَارِ يَعْمِلُ السَّفَارَا فِيسَمَثُلُ الْقَرِّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللْلَالِمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّه

المفردات ،

مثل الذين حملوا التوراة ، صفة اليهود الذين كلُّفوا العمل بالتوراة .

شم النم ينجنم شوهناه ثم لم يعملوا بها .

يصحصم أسفسارا ، كتبًا عظامًا ، ولا ينتفع بها .

السكيسن هسادواه الذين تدينوا باليهودية .

مسلاقسيكسم؛ موافيكم ومقابل لكم حيثما كنتم.

تمهيده

فى هذه الآيات مناقشة لليهود الذين زعموا أن الرسالات والنبوات وقف عليهم ، فهى لمن كان من نسل إسحاق ، ولا يجوز أن تكون لمن كان من نسل إسماعيل ، وقد امتنعوا عن الإيمان برسول الله محمد للله محمد الله واللهود عنه أن التورأة بشرت به ، فهم كالحمار يحمل كتب العلم النافعة ولا يستفيد بها ، والههود يحملون التورأة ولا يعملون بأحكامها ، ووجه الشبه : حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل المشاق في

وقد ادعى الههود أنهم أبناء الله وأحبارهُ ، فتحدًاهم القرآن أن يتمنوا الموت ، لينتقلوا من دار الدنها إلى دار الآخرة ، حيث يزعمون أن الجنة لهم ، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا ، فقال القرآن : إن كنتم أبناء الله وأحباءه فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ثم أرضح أنهم لن يتمنوا الموت أبدًا ، بسبب ما قدموا من تكنيب رسول الله ﷺ ، ومن تحريفهم الثوراة ، والموت آخر لا مقر منه ، وعند الله وحده الجزاء ، وسوف يخبركم بأعمالكم ، ويجازيكم عليها جزاءً عادلاً .

التفسيره

مَثَلُ ٱللَّذِينَ حُمُلُوا ٱلتَّرِرَئةَ ثُمَّ لَمْ يَعْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْعِمَارِ يَعْمِلُ أَشْفَارًا بِثَسَ مَثَلُ ٱلْفَرْمِ ٱللَّذِينَ كَذَّبُوا بِثَالِتِينَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى ٱللَّهُ وَاللَّهُ لا يَهْدِى ٱللَّهُ وَاللَّهُ لللَّهِ عَلَيْهُ وَاللَّهُ لا يَهْدِى ٱللَّهُ وَاللَّهُ لا يَهْدِى ٱللَّهُ وَاللَّهُ لا يَهْدِى ٱللَّهُ وَاللَّهُ لا يَهْدِى ٱللَّهُ لا يَهْدِى اللَّهُ وَاللَّهُ لا يَعْدِى اللَّهُ وَاللَّهُ لا يَعْدِى اللَّهُ وَاللَّهُ لا يَهْدِى اللَّهُ وَاللَّهُ لا يَعْدِى اللَّهُ وَاللَّهُ لَا يَعْدِى اللَّهُ وَاللَّهُ لَا يَعْدِى اللَّهُ وَاللَّهُ لِللَّهُ وَاللَّهُ لَا يَعْدِى اللَّهُ وَاللَّهُ لَا يَعْدِى اللَّهُ وَاللَّهُ لا يَعْدِى اللَّهُ وَاللَّهُ لا يَعْدِى اللَّهُ وَاللَّهُ لا يَعْدِى اللَّهُ وَاللَّهُ لللَّهُ لا يَعْدِى اللَّهُ وَاللَّهُ لَا عَلَيْهِ اللَّهُ لَا يَعْدِى اللَّهُ وَاللَّهُ لا يَعْدِى اللَّهُ وَاللَّهُ لا يَعْدِى اللَّهُ وَاللَّهُ لا يَعْدِى اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ لَا يَعْدِى اللَّهُ وَاللَّهُ لَلَّهُ اللَّهُ لَا يَعْدِى اللَّهُ وَاللَّهُ لَا يَعْدِى اللَّهُ وَاللَّهُ لَا يَعْدِى اللَّهُ وَاللَّهُ لَا يَعْدِى اللَّهُ وَاللَّهُ لَا يَعْلَى اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ لَا يَعْلَى اللَّهُ وَاللَّهُ لَاللَّهُ لَا يَعْلَى اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ لَلَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ لَلَّهُ اللَّهُ لَا عَلَيْمِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ل اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الل

إن شبه اليهور الذين تركوا العمل بالتوراة بعد أن أنزلها الله عليهم ، وأمرهم بالعمل بها وتنفيذ أحكامها ، كشبه الحمار الذي يحمل الكتب الكبيرة المشتملة على صنوف العلوم والمعارف ، ولا يفهم شيئًا منها ، ولا تفرقة عنده بين حمل كتب العلم أو حمل الأحجار .

ورجه الشبه هو حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع قريه من الإنسان ، فما أقبح العالم الذي يحوى العلوم ولا يحاول تطبيقها وتنفيذها .

بِعْسَ مَعَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِتَايَنْتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلطَّنلِمِينَ

بشرت القوراة بأحمد ، ونكرت أنه نبى أمّى يُبعث في أمّة أمية ، وأمرت بالإيمان به وتصنيقه ، فلما أرسله الله ، وكان اليهود يستفتحون بهذا النبى ، كغزوا به وقالوا : إنه مرسل إلى العرب خاصة ، وكذُبوا بأيات الله التى دعتهم إلى الإيمان به ، وادعوا أن محمدًا ليس هو النبى الذي بشرت به التوراة ، وإنما هو رسول سيأتى بعدً ، وكما كذّبوا بعيسى كذّبوا بمحمد ﷺ ، فينس عملهم ، وما أقبح ما يمثلُ به للمكذبين ، وما أشم عملهم وسلوكهم .

وَ ٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّلَامِينَ .

الذين ظلموا الحق والعدل ، وحملهم الحقد والحسد على إنكار نبوة أحمد ، الله تعالى لا يهديهم إلى الإيمان ، ولا يفتح صدورهم لهداية الرحمن .

قال تمالى : اللَّهِنَ يَتَّهُونَ الرُّسُولَ النَّيِّ الْأَنِّيُ اللَّهِ يَجِدُونَهُ, مَكُوبًا عِنفُمْ فِي الثُورَ لِهُ وَالْإِنجِلِ يَأْمُوهُم بالْمَعْرُو فِ وَيَهْهُمُ عَنِ الْمُمْكُرِ ... (الأمواف: ١٥٧) . ٣ - قُلْ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا إِن زَعَمُتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَتُواْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَلْدِقِينَ .

قل يا محمد لهولاء اليهود: إن كنتم تزعمون أنكم على هدّى ، وأن محمدًا وأصحابه على ضلالة ، فادعوا بالموت على الضال من الفئتين ، إن كنتم صادقين فى هذا الزعم ، وأنكم أولياء الله وأحبابه حقًا، فاطلبوا لأنفسكم الموت ، لتتعموا بالجزاء فى الجنة ، قإن من علم أنه من أهل الجنة أحبُّ الخلوص من هذه الدار.

٧ - وَلَا يَتَمَتُوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بْٱلطَّلْمِينَ .

إن اليهود لا يتمثّون الموت أيدًا ، يسبب ما اكتسبت أيديهم من المعاصى والتحريف والتبديل ، والله تعالى عليم بأفعالهم ، رقيب على ما ارتكبوه ، وسيجازيهم عليه بما يستحقون .

٨ - قُلُ إِنَّ ٱلْمُوتَ ٱللِّي تَفِرُونَ مِنْهُ قَإِنَّهُۥ مُلْنِقِيكُمْ مُمَّ تَرُدُونَ إِلَىٰ عَنِلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَا لَمَةِ فَيُسَبِّئُكُم بِمَا كُسُمْ.
 ٨ - قُلُ إِنَّ ٱلْمُوتَ ٱللِّي تَفِيرُونَ مِنْهُ قَإِنَّهُۥ مُلْنِقِيكُمْ مُمَّ تَرُدُونَ إِلَىٰ عَنِلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَا لَمَةِ فَيُسَبِّئُكُم بِمَا كُسُمْ.
 تَعْمَلُونَ .

قل لهم يا محمد : إن الدوت الذي تغرين منه ، وتخافون من مجرّد تعلّيه حتى بلسانكم ، أتبكم لا محالة ، ولا ينطعكم للفرار منه ، ولن تغلقوا من قبضته .

وهذا كقوله تعالى : أَلِيْمُا تَكُونُواْ يُلْرِكُكُمُ ٱلْمُوْتُ وَلَوْ كُتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيِّلَةٍ ... (النساء: ٧٨) . فهو قدر معتوم ، ولا يغني هذر عن قدر .

ثُمُّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ ...

ثم ترجعون إلى الله تعالى ، العالم بالظاهر والباطن ، المطَّنع على النوايا والشفايا ، وعلى ما غاب عن الحسّ وما شهده الحس .

فَيُنَبِّنُكُمُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .

فيخبركم بأعمالكم ، ويجازيكم عليها .

وهي هذا المعنى يقول الله تعالى في سورة البقرة : قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُّ ٱلذَّارُ ٱلْأَحْرَةُ عِندَ ٱللَّهِ حَالِمَةٌ مِّن ذُونِ آلنّاسِ فَتَمَثُّواْ ٱلْمَوْتَ إِن كُتُمُّ مَسْلِيقِنَ ، وَلَن يَمَعُّوهُ أَبَدًا إِمَا قَلَمَتْ ٱلْفِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ۖ إِلَّهُ الْمِينِ . (البقرة : ١٥٠، ١٥). وهذا من إعجاز القرآن والسنة النبرية ، فإنهم كانوا يستطيعون أن يقولوا تحديًا للقرآن : نتمنى الموت ، ولو تمثّره لماتوا ، كما ثبت في السنة المسعيحة ، ولو ثبت المطالبون بالمباهلة من النصاري – أي الدعاء بغزول لعنة الله على الكانب من الفريقين – لنزل الهلاك بهم .

وقد جاء في سورة ال عمران: فَمَنْ حَاجَلك فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاعَكُ مِنَ الْمِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَلِنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَلِسَاءَنَا وَلِسَاءَكُمُ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ وُمُّ يُنْتِهِلْ فَاجْلُلْ لِقَنْتَ اللَّهِ عَلَى الْكَلْفِينَ . (ال عمران: ١٦) .

أخرج الإمام أحمد، والبخاري، والترمذي، والنسائي، من ابن عباس قال: قال أبو جهل لعنه الله: إن رأيتُ محمداً عند الكمبة لأتينُه حتى أطأ على عنقه، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لو فعل لأخذته الملائكة عيانًا، ولو أن اليهود تمثّوا الموت لماثوا ورأوا مقاعدهم من الذّار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لد حموا لا بدحون أهلا ولا مالاي أساً.



صلاة الجمعة

﴿ يَثَاثَهُمَا الَّذِينَ عَامَثُواْ إِذَا نُودِ فَكِ الصَّلَوْقِ مِن قِورِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ السَّوَوَ وَوَا الْمَهُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ السَّورَةُ وَاللَّهِ الْمَشْدُوا فِي الْمَشْدُوا فِي اللَّهُ مَعْلَمُونَ ﴾ فإذا قُضِيَتِ الصَّلَوَةُ فَانتَشِدُوا فِي اللَّرْضِ وَالْبَعْوُنَ فَلْمُونَ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِيرًا لَعَلَكُو نُقْلِحُونَ ۞ وَإِذَا رَأَوَا يَحْرَةً أَوْلَمَتُوا انفَقَتُوا اِنتَهَا وَتَرَكُّوكَ فَآهِماً قُلْ مَاعِنَا اللَّهِ خَرُّرُونَ اللَّهُ وَمِنَ النِّحَرَةً وَاللَّهُ خَرِّرُونَ اللَّهُ وَمِنَ النِّحَرَةً وَاللَّهُ خَرُا الزَوْقِينَ ۞ ﴾ خَرُا الزَوْقِينَ ۞ ﴾

المفردات :

نــــودي، دُعي للصلاة بالأذان يوم الجمعة لصلاة الجمعة.

فاسعوا إلى ذكر الله ، فأمضوا إلى صالاة الجمعة ، التي يذكر فيها اسم الله .

فروا السم سيسع ، اتركوه وتفرغوا لذكر الله .

فسانستشسروا: تفرُّقوا للتصرف في حواثجكم.

وابست فوا: واطلبوا.

اسْقصوا إلىها، تفرقوا عنك قاصدين إليها.

تمهيده

تحثُ الآيات المسلمين على العناية بصلاة الجمعة والاستعداد لها ، وترك البيع والشراء عند صلاة الجمعة ، والمراد ترك الانشغال بسائر الأعمال الدنيوية ، والتفرغ لأداء فرض صلاة الجمعة ، فإذا انتهت الصلاة أبياح الله لكم التفرق في الأرض للبيع والتجارة ، وطلب الرزق وسائر الأعمال ، والمراد : تفرّغوا لمسلاة الجمعة ، وأمامكم متسع بعدها لشئون دنياكم .

التفسيره

يا معشر المؤمنين الصادقين ، إذا سمعتم الأذان لصلاة الجمعة ، فتوجهوا بقلوبكم وأجسامكم إلى الصلاة ، ومعلوم أنَّ الطهارة والوضوء والاستعداد للجمعة ، والتبكير إليها من الآداب المطلوبة ، وكذلك قراءة سورة الكهف وما تيسًّر من القرآن ، وإخراج صدقة ، والدعاء رجاء موافقة ساعة الإجابة .

فَآسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْنَيْعَ ...

والسمى هذا مقصود منه الدمشى ، والتوجه فى هدوه وسمت صالح ، والجلوس فى المسجد ، واستماع الخطبة ، ومحاولة النظر إلى الخطيب ، من غير أن يتخطّى الرقاب أو يؤذى المصلّين .

ويعد استماع المُطبة يرُدُى صلاة الجمعة ، وهى ركعتان ، ويُسنُّ أن يقرأ فى الركعة الأولى الفاتحة وسيرة الأعلى ، وأن يقرآ فى الركعة الثانية الفاتحة وسورة الفاشية .

والمراد بذكر الله في الآية سماع الخطبة ، وأداء صلاة الجمعة .

وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ .

اتركها البيع والشراء وكل مشاغل الحياة ، وتفرغوا لعبادة الله وأداء الغريضة، وفي ذلك تدريب عمليًّ على الانقطاع عن شئون الدنيا ، والترجَّه بالقلب والغكر والبدن إلى عبادة الله ، واستماع الموعظة وأداء الصلاة.

ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ .

أى: هذا الامتثال لأمر الله ، والاستعداد لمسلاة الجمعة بالطهارة وليس تياب نظيفة حسنة ، والبكور إلى الجمعة ، وأداء الصلاة على النحو المعالوب ، أفضل وأحسن وأطمع في الحصول على الثواب ، وعلى مرضاة الله ، إن كنتم من أهل العلم السليم والفهم القويم .

• ١ - فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوْةُ فَالنَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَآيَتُمُواْ مِن فَصْل ٱللَّهِ وَآذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَقَلَّكُمْ تُقْلِحُونَ .

إذا أدَّيتم صلاة الجمعة ، وقمتم بأداء هذه الغريضة الأسيوعية ، من سعاع الضفية وصلاة الجمعة ، فأماءكم منسم من الوقت للسعي في الأرض بالتجارة أو الزراعة ، أو تلقى العلم ، أو سائر صنوف المعاش ، وخلال عملكم بعد صلاة الجمعة انكروا الله ذكرا عنوا ، فنص وخلال عملكم بعد صلاة الجمعة انكروا الله ذكرا كثيرا ، فإن نلك سبيل الفلاح والسعادة في الدارين ، ونص هنا على ذكر الله فتكرا كثيرا ، حتى لا تستولى الدنيا بمشاغلها على القلب ، فعلى العبد أن يتعمد ذكر الله وهو في قلب عمله ، راغباً في طاعة الله تعالى وذكره وشكره .

قال تعالى : يَنْأَيُّهَا ٱلَّذِينَ عَامَلُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّه ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبَّحُوهُ بُكْرَةً وَأُصِيلًا . (الأحزاب: ١١ - ٤١) .

وجاء في تفسير القرطبي ، وتفسير ابن كثير وغيرهما ، أنَّ عراك بن مالك كان إذا ملَّى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد ، فقال ؛ اللهمُ إنَّى قد أُجبت دعوتك ، وصليت فريضتك ، وانتشرت كما أمرتنى، فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين .

١١ – وَإِذَا زَأَوْا بِحَمْرَةَ أَوْلَهُوْ ٱتَفَطَّعًا إِنَّهَا وَتَرْكُوكَ قَاتِمَا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ عَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَمِنَ ٱلْحَجْرَةِ وَٱللَّهُ عَيْرُ الزَّرْفِينَ .

سبب التزول :

جاء في صحيح مسلم , عن جابور بن هبد الله أن الذبي ﷺ كان يخطب قائما يوم الجمعة ، قجاءت عير من الشام ، فانفقل الناس إليها ، حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلا ، فأنزلت هذه الآية . ⁽¹⁴⁾.

معنى الآية:

الآية تعيب على من هرج وتراك المسجد، عندما سمع الطّبل أن اللهر والغناء ، وتُبيّنُ أنَّ ما عند الله من فضل ورزق، ورخما وقواب، حمير من اللهو الدنيويّ والتجارة الدنيويّة ، والرزق بيد الله ، فمن أدَّى فريضة الجمعة ، وخرج ساعيا على معاشه ، فإن الله يرزقه ، وهو خير الرازقين .

وقد ورد في تفسير ابن كثير:

وفي سنن أبى داود أن صلاة الجمعة كانت قبل خطبة الجمعة ، مثل صلاة العيدين ، فلما أدوا صلاة الجمعة ، وجلسوا لاستماع الفطبة إذ يهم يسمعون صوت الطبل واللهو الذي يُضرب عند قدوم التجارة ، ليخبر الناس يقدومها فيذهبوا إليها ، وكان قد أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر ، وكانت عادتهم أن تدخل العير المدينة بالطبل والصياح ، سروراً بها ، فلما بخلت العير كذلك ، انفض أهل المسجد إليها ، وتركها رسول الله ﷺ قاتمًا على المنبر ، ولم يبق مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلا ، فنزات الآية .

والآية تعيب على الناس ترك المسجد ، والإسراع إلى صوت اللهر والتجارة ، وترك النبي ﷺ فائما يخطب وليس أمامه إلا النا عشر رجلا .

متفرقات:

١ - اختلف الفقهاء في العدد الذي تنعقد به الجمعة على أقوال كثيرة ، بلغت ثلاثة عشر قولا:

فقال المنفية: ثلاثة رجال سوى الإمام.

واشترط المالكية حضور اثنى عشر رجلا للصلاة والخطبة.

وقال الشافعية والحنابلة: تقام الجمعة بحضور أربعين فأكثر بالإمام.

٢ - يباح عقب الفراغ من صلاة الجمعة الانتشار في الأرض للسعى على الرزق ، وسائر الأعمال
 الدنيوية والدينية .

٣ - اللقيام في الخطبة شرط لا تصبح إلا به عند الشافعية والحنابلة اتباعا للسنة ، فالنبي 議 ما
 خطب الا قائما .

والقيام واجب غير شرط عند المالكية ، فإن جلس أتم خطبته وصحت .

والقيام في الخطبة سُنَّة عند الجنفية ، فلق خطب الإمام قاعداً جاز لحصول المقصود ، إلا أنه يكره لمخالفته الموروث .

3 - الفطية شرط في انعقاد الجمعة ، لا تصح إلا بها عند جمهور العلماء ، وقال سعيد بن جبير: الخطبة بمنزلة ركعتين من صلاة الظهر ، وصلاة الجمعة ركعتان .

الطهارة من الحدثين شرح في صححة الخطبة عند الشافعي في الجديد، وليست شرطا عند
 الجمهور.

ملحق بتفسير الآيات

من كتاب (فقه العبادات) للدكتور عبد الله شحاتة

صلاة الحمعة

صلاة الجمعة فريضة محكمة ، ثبتت فرضيتها بالكتاب والسنة وإجماع الأمة .

قال تعالى: يَنْأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَاسْتُواْ إِذَا تُودِيَ لِلصَّلُواةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْتُواْ إِنِّي ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلنَّبِعَ ... (الجمعة: ٩).

وقال رسول الله ﷺ: «من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه ». (رواه الخمسة).

وفي الحديث: «إن أهل الكتابين أُعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصُرفوا عنه ، وهدانا الله تعالى له ، وأخّره لهذه الأمة رجعله عيدا لهم ، فهم أولى الناس به سبقا ، وأهل الكتابين لهم تهم» . (متفق عليه) (١٠٠٠)

وقد أجمع المسلمون كافة على وجوب صلاة الجمعة (١٨٠).

آداب الجمعة:

من آداب الجمعة ما يأتي:

١ - الاستعداد لها من يوم الخميس بالذكر والاستغفار والدعاء والصلاة على النبي ﷺ.

٢ - الاغتسال والنظافة والزينة والسواك ، حتى يظهر المسلم بالمظهر الجميل اللائق بالمجتمعات ،
 وحتى تسود المودة والمحبة بين الناس .

٣ - الابتعاد عن أكل الثوم والبصل ، وكل ما يسبب الروائح الكريهة المؤذية التي تنفر الناس .

النبوكير إلى صلاة الجمعة ، والجلوس في الصف الأول ، وعدم مزاحمة الناس ، وعدم تشطى
 الرقاب ، والاشتغال بقراءة القرآن وصلاة التطوع .

٥ - قراءة سورة الكهف ، وسور الدهر والملك والسجدة ، أو ما تيسر للإنسان من القرآن .

 ٦- الاشتغال بأحدال الخبد من صدقة التطوع ، وصلاة النافلة ، وذكر الله ودعاته ، فإن في يوم الحمدة ساعة الحادة من المادات الدحاء . ٧ - قص الأظافر والشعر ، والتطيب ، والسعى إلى المسجد في سكينة ووقار ، قال 震؛ «من غسل واغتسل ، ويكن وابتكر ، وبنا من الإمام واستمع ، غفر الله له إلى الجمعة الأخرى» . (١٠٠).

وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: « لا يفتسل رجل يورم الجمعة ويتطهر بما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ثم يروح إلى المسجد لا يفرق بين الثنين، ثم يصلى ما كتب له ، ثم ينمت للإمام إذا تكلم إلا غفر له من الجمعة إلى الجمعة الأشرى». (^^. (رواه أحمد والبخارى).

خطية الجمعة :

من مظاهر الوحدة الإسلامية توافد المسلمين أفرادا وجماعات إلى المسجد يوم الجمعة ، وعلى وجرههم الخضوع والإنابة ، وفي قلويهم تقوى الله والإيمان يه ، والاستجابة لنداء الله القائل :

يَا أَيُهَا ٱلَّذِينَ وَامْتُواْ إِذَا لُوهِيَ لِلصَّلَاقِ مِن يَوْم ٱلْحُمُّعَةِ فَاسْعُواْ إِلَىٰ ذِكْر ٱللهِ وَذُرُواْ ٱلْيَعْ ... (الجمعة: ٩).

وذكر الأستاذ عباس العقاد ^(٨٥) : أن مجاررة اليهود للمسلمين عادت باليهود إلى إحياء السنن التي تركوبها ، كشعائر الوضوء والقسل ، ونظام الصلاة الجامعة ، ورعاية آداب المسجد ، والصمت والأدب في صلاة الحمعة .

ثم نقل اعترافنا لرجل منهم دخل فى الإسلام ، قال فيه : إن سبب إسلامه هر رؤية المصلين يوم الجمعة خاشدين خاضعين ، حيث صعد الخطيب المذير فى جية سوداء ، وألقى عظة مناسبة تأثر بها من فى المسجد ، وكان هذا من أسباب هدايته إلى الإسلام .

آداب الخطبة:

إن خطبة الجدمة هي الغذاء الروحي لجماهير المصلين ، وهي النبأ الأسيزعي والرياط الروحي والمنبر التعليمي للتوجيه الديني ، وينبغي أن تكون خطبة المسلمين في أخص أحوال المسلمين .

ومما يساعد على نجاح الخطبة مراعاة الأمور الآتية :

١ – وحدة الموضوع ، فإن التنقل في الخطية الواحدة بين موضوعات شتى يقلل من روعتها ،
 ويضعف من قوة وقمها في النفوس وأثرها في القلوب .

٢ - تجنب التكرار، فإن التكرار يبعث على الضجر والسامة والملل.

جدية الموضوع ، وعرض أسرار الشريحة الإسلامية ومواطن القوة والحياة في القرآن والإسلام ،
 ربط ذلك بالحياة المعاصرة لإحياء الشعور الربحاني في ضمير الرجل العصري .

ع - تنسيق الخطبة بأن يفتتح الموضوع بمقدمة قصيرة ملائمة له ، ثم يعرض الموضوع مرتبا
 ترتيبا منطقيا متدرجا تدرجا يصل منه إلى الغاية في يسر ووضوح وملاءمة لعقول السامعين .

٥ – يُسنَّ للخطيب أن يُسلم على المصلين عند ارتقائه المنبر، وأن يتحاشى الإطالة حتى لا يمل الناس فتضيع بذلك ثمرة الوعظ، وأن يرفع صوبته حتى يُسمع الحاضرين بقدر الإمكان، وأن يتفاعل مع ما يقول بحيث يظهر عليه البشر في مواطن التبشير والترغيب، والغضب في مواطن الإنذار والترهيب.

٢ - هناك فرق بين الخطبة والدرس والمحاضرة ، فتتميز الخطبة بإثارة الانفحال ، وقصر العبارة ، ومخاطبة العاطفة ، وتحريك نوازع الخير ، وتسلسل الموضوع ، وتنويع الصوت بتنوع الأسلوب ، فيكون خفضته ورفعه بحسب ما يقتضيه المقام من تمجب ، واستفهام ، ويماء ، ورجاء .

٧ - على الخطيب أن يبدأ الخطبة بحمد الله والثناء عليه ، والصلاة على النبي ﷺ ، وأن يورد آية من القرآن أو سورة خطيفة ، وأن يزين خطبته بالحديث النبوى والنصوص الدينية ، ثم يجلس فى نهاية الفطبة الأولى جلسة خطيفة يتمكن المصلون خلالها من الدعاء ، ثم يبدأ الخطبة الثانية بالحمد والثناء ، ويجعل الخطبة الثانية مختصرة مركزة ، وريما أورد فيها خاتمة للخطبة الأولى تكن صدى لموضوعه وتتمة لعرضه ، ومن الجائز أن تكن مستقلة عن الخطبة الأولى أو مشتملة على توجيه جديد ، ثم يعقبها بالدعاء للمسلمين والمسلمات .

٨ -- يستحب أن يكون الخطيب بليغا ، مواظبا على الصداة ، ملتزما بما يقوله ، فإن القدوة العملية
 لها أكبر الأثر في تقبل الموعظة ، وخطيب المسجد رائد دينى وموجه للحى ، فلو نهض إمام المسجد بواجبه
 لكان لذلك أثره في الذهوض الدينى والاجتماعي والرقى الفكرى والإنساني .

الخطبة ثم الصلاة:

بعد استماع الخطبة في إنصات وأدب ، وصمت وخشوح ، ينزل الخطيب من على المنبر فيضلي بالناس صلاة الجمعة ، وهي ركعتان ، يقرأ في كل ركعة الفاتحة وسورة .

روى سمرة بن جندب: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة: سَبِّع آسُمُ زَبُكُ ٱلْأَعْلَى . و: هَلُّ آتَـكُ حَدِيثَ ٱلْفَشِيَةِ . ٩٠٠ (روبة أبو داود والنسائي) .

من تجب عليه الجمعة :

تجب الجمعة على : المسلم ، الحر ، العاقل ، البالغ ، المقيم ، القادر على السعى إليها ، الخالى من الأعذار المبيحة للتخلف عنها .

من لا تجب عليه الجمعة:

لا تجب الجمعة على الأصناف الآتية:

- ١ المرأة .
- ٧ -- الصبي .
- ٣ المريض.
- 3 **المساق**ر.
- ه المختفى من الحاكم الظالم.
- ٦ كل معذور مرخص له في ترك الجماعة ، كعذر المطر والوجل والبرد ونحو ذلك .

وكل مؤلاء لا جمعة عليهم ، وإنما يجب عليهم أن يصلوا الظهر ، ومن صلى منهم الجمعة صحت منه ، وسقطت عنه ، وسقطت عنه فريضة الظهر ، وكانت النساء يحضرن إلى المسجد على عهد رسول الله ﷺ ويصلون معه الجمعة .

وقت الجمعة:

ذهب الجمهور من الصماية والتابعين إلى أن وقت الجمعة هو وقت الظهر ، وذهب الحنابلة إلى أن وقت الجمعة من أول وقت صلاة العيد (١٠٠ إلى آخر وقت الظهر .

العدد الذي تنعقد به الجمعة:

لا خلاف بين العلماء في أن الجماعة شرط من شروط صحة الجمعة ، للحديث الشريف : «الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة» ٢٠٠٠ .

واختلفوا في العدد الذي تنعقد به الجمعة ، فقال الحنفية : أقله خمسة ، وقال المالكية : أقله اثنا عشر ، وقال الشافعية والحنابلة : أقله أربعون .

وجاء في فقه السنة: والرأى الراجح أنها تصبع باثنين فأكثر ، للحديث الشريف: «الاثنان فعا فوقهما جماعة» (١١).

مكان الجمعة:

الجمعة يصح أدارُها في المصر والقرية والمسجد وأبنية البلد والفضاء التابع لها ، كما يصبح أدارُها في العزب والكفور ، ويصبح أن تتعدد الجمعة بعدد المساجد . وقال الحنفية : لا تقام الجمعة إلا في المصر الجامع ، ولابد فيها من السلطان أو نائبه .

ورأى الجمهور أقوى وأولى من رأى الحنفية.

قال صاحب الروضة الثانية : هي كسائر الصلوات لا تخالفها ، لكونه لم يأت ما يدل على أنها تخالفها ، وفي هذا الكلام إشارة إلى ردّ ما قبل من أنه يشترط في وجوبها الإمام الأعظم والمصر الجامع والعدد المنصوص ، فإن هذه الشروط لم يدل عليها دليل يفيد استحبابها فضلا عن وجوبها ٩٠٥.

حكمة الجمعة:

الجمعة لقاء أسبوعى منظم ، يلتقى فيه المسلمون لتدارس شئونهم وتدبر أمورهم ، والتفقه في شئون دينهم . ولقد كان الأسبوع من قديم الزمان وحدة زمنية معترفًا بها بين الدرب والعجم جميما ، وكان لأهل كل دين فيه يوم منشل ، فكان لليهود يوم السبت ، وكان للنصارى يوم الأحد ، ثم كان للمسلمين يوم الجمعة ، وقد ميزه الله باستجابة الدعاء ، ومضاعفة الثواب ، وجعله موسما لقراءة القرآن وإكثار المسدقة وشهود الجماعة والجمعة.

قال ﷺ: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء الله له من النور ما بين الجمعتين» . (٩٠٠ .

خطيب الجمعة:

خطيب الجمعة هو لسان المسلمين وداعيتهم إلى الله ، ومن الواجب أن يكون الداعية إلى الله محيطا بالقرآن ، عارضا بالشُّنَة ، دارسا لمجموعة من العلوم والمعارف ، خبيرا بحاجة المجتمع ، بصيرا بمواطن الداء وتحديد الدواء .

لقد مرّت على الناس أزمان كان الخطيب يكرر على المصلين خطبا مسموعة معدة من ديوان أو كتاب ، لا روح فيها ولا حياة ، والآن تتطور المجتمعات وتتفتح الأذهان ، ويتنبه الناس إلى أن الدين الحق هو روح المجتمع وسعادته ، وقد سعد المسلمون الأولون بقريهم من الإسلام وجبهم للقرآن ، فالتزموا أوامر الله وأخلصوا لدينه فنصرهم الله على العباد وفتح لهم البلاد ، وحين ابتعد المسلمون عن الإسلام أصابهم التأخر والجمود .

والعلماء والخطباء هم دعاة الحق ومصابح الهدى، فعليهم أن يعملوا على النهوض برسالتهم، وأن يعدوا خطبهم ، وأن يوسعوا دائرة ثقافتهم ، وأن يتعرفوا على خصائص الجمهور الذي يتحدثون إليه ، فالفلاح والعامل والصانم والتاجر وغيرهم ، لكل فئة من هذه الفئات حديث يؤثر فيها ويثير اهتمامها ، ويحرك بواعث الخير ، ودوافع الإيمان في قلوبهم ، وقد أُمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم ، وأن نحدثهم بنفس حديثهم . قال تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولِ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُسِّنَ لَهُمْ ... (إبراهيم : ٤) .

وحماسة الخطيب لموضوعه واقتناعه به له أكبر الأثر في قبول الخطبة وعظم تأثيرها.

روى مسلم ، وابن ماجة ، عن جابر رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا هطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش ، يقول صبحكم ومساكم. ٣٠٠).

اقتصاد الخطيب في التحويف والتحذير:

درج بعض الغطباء على تحذير الناس من الشر وتذكيرهم بالموت ، وتكرير نغمة رتيبة عن فساد المجتمع ، وما أصاب النساء من الغلاعة ، وما منى به الشباب من الاستهتار ، وهذا كلام للاستهلاك المحلى، لا يفيد إلا اليأس والأسف ، ولا نمانع من التعرض له تعرضا يسيرا بقصد التوجيه والإفادة ، ولكنا نمانع تكرير الخطب في أمور سلبية ، كالأسف على فساد الزمان ، أو التخويف من الموت والبلى ، وفذاء الدنيا وهجوم الموت على الإنسان ، نريد أن تكون الخطبة أسلوبا للبناء وطريقا لإحياء العادات السليمة ، والمنهج القرآنى الحكيم لذي أعد الرجال ومنحهم العزيمة والثقة والإيمان والثبات ، ورسم الطريق للأسرة المؤمنة واتكامل المهمنة ، وتواصى الناس بالخير والصبر ، ودفع المؤمنين إلى الجهاد والنضال وبناء صرح الإسلام عاليا حتى يكون المسلمون خير أمة أهرجت للناس .

قال النووى :

يستحب كون الخطبة فصيحة بليغة ، مرتبة مبينة من غير تمطيط ولا تقعير ، ولا تكون ألفاظا مبتذلة ملفقة لأنها لا تقع في النفوس موقعا كاملا ، ولا تكون وحشية لأنها لا يحصل مقصودها ، بل يختار ألفاظا جزلة مفهمة .

وقال ابن القيم :

وكذلك كانت خطبه ﷺ إنما هي تقرير لأصول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه ، وذكر الجنال كانت خطبه ﷺ إنما هي تقرير لأصول الإيمان بالله وأهل معصيته ، فيملاً القلوب من خطبه إيمانا وترحيدا ومعرفة بالله وأيامه ، لا كخطب غيره التي تفيد أمررا مشتركة بين الخلائق وهي النوح على المحياة والتخويف بالموت ، فإن هذا أمر لا يحصل في القلب إيمانا بالله ولا توحيدا له ، ولا معرفة خاصة ولا تذكيرا بأيامه ، ولا بعثا للنقوس على محبته والشوق إلى لقائه ، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير أنهم يموتون وتقسم أموالهم ويبلى التراب أجسامهم ، فياليت شعرى أي إيمان حصل بهذا ؟ وأي توحيد وعلم نافع يحصل به ؟ ومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد ونكر صدات الرب جل جلاله ، وأصول الإيمان الكلية ، والدعوة إلى الله وذكر آلائه تعالى التي تحببه ا

خلقه ، وأيامه التى تخوفهم من بأسه ، والأمر بذكره وشكره الذي يحببهم إليه فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسماته ما يحببهم إليه فينصرف وصفاته وأسماته ما يحببهم إليه فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم ، ثم طال العهد وغفى نور النبوة وصارت الشرائع والأوامر رسوما تقوم من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها فأعطوها صورها وزينوها بما زينوها به ، فجعلوا الرسوم والأوضاع سننا لا ينبغى الإخلال بها ، فرصعوا الخطب بالتسجيع وعلم البديغ ، فنقص – بل عدم – حظ القلوب منها ، وفات المقصود بها .

حرمة الكلام أثناء الخطبة:

ذهب الجمهور إلى وجوب الإنصات وحرمة الكلام أثناء الخطهة ، ولو كان أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر ، سواء أكان يسمم الخطبة أم لا .

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كالحمار يحمل أسقارا ، والذي يقول له : أنصت ، لا جمعة له و٣٠ .

حكم المسبوق في صلاة الجمعة:

من أدرك ركعة من الجمعة مع الإمام فقد أدرك الجمعة ، وعليه أن يضيف إليها أخرى .

قال ﷺ : «من أدرك من الصلاة ركعة فقد أدرك الصلاة كلها» . (رواء الجماعة) .

وأما من أدرك أقل من ركعة فإنه لا يكون مدركا للجمعة ويصلى ظهرا أربعا ٢٨٩.

قال ابن مسعود: من أدرك من الجمعة ركعة طليضف إليها أخرى ، ومن فائته الركعتان فليصل أربعاً . (رواه الطبراني يسند حسن) .

الصلاة في الزحام:

يجوز في الزحام أن يسجد المصلى على ظهر الذي أمامه أو على رجله.

روى أحمد ، والهيهقى ، عن سيار ، قال : سمعت عمر وهو يخطب يقول : إن رسول الله ﷺ بنى هذا المسجد ونحن معه – المهاجرون والأنصار – فإذا اشتد الزحام فليسجد الرجل على ظهر أخيه . ورأى قوما يصلون فى الطريق فقال : صلوا فى المسجد . ٧٠ .

+ + +

تم بصمد الله تعالى تفسير سورة (الجمعة) عصريوم الخميس ٣٠ من شوال ١٤٢٨ م، الموافق ٢٥ من يناير ٢٠٠١ . والحمد لله رب العالمين ، والمسلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحيه أجمعين ، وسلّم تسليما كثير ا



أهداف سورة المنافقون

(سورة المنافقون مدنية ، وآياتها ١٩ آية ، نزلت بعد سورة الحج)

والنفاق هو إظهار الإسلام أمام المسلمين ، وإضمارُ غير الإسلام ، والنفق بفتحتين سرب في الأرض يكون له مخرج من موضع لفر ، ونافق اليريوع إذا أتى النافقاء، أى دخل من مكان وخرج من مكان ، ومنه قيل : نافق الرجل ، إذا دخل في الإسلام أمام المسلمين ، ودخل في عداوة الإسلام أمام غير المسلمين .

والنفاق قسمان:

القسم الأول : نفاق العقيدة ، وهو إظهار الإيمان وإخفاء الكفر .

والقسم الثاني : نفاق العمل ، وهو الرياء والسمعة والتظاهر ، وإبراز الأمور على غير حقيقتها .

النفاق في المدينة

لم يظهر النفاق بمكة لأن المسلمين كانوا مستضعفين ، وكان أهل مكة يعلنون لهم العداء ، ويجانبون لهم العداء ، ويجابهونهم بالإيذاء ، ثم هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ، والتف حوله الأنصار والمهاجرون ، وقويت شوكته بوحدة المسلمين وتماسكهم ، وظل الإسلام يتفرق يوما بعد يوم ، ويدخل فيه وجوه أهل المدينة من رجال الأوس والخزرج ، وأهل العصبية فيهم ، عندنذ رأى بعض المنافقين أن يدخلوا في الإسلام مجاملة لأهله ، وأن يبيتوا الكيد والخداع للمسلمين .

وقد قبل النبي ﷺ من الناس ظواهرهم ، وترك بواطنهم إلى الله ، ولكنُ الأحداث كانت تُعرُف المسلمين بهؤلاء المنافقين ، فإذا وقع المسلمين في شدة أو انهزموا في معركة تجرأ هؤلاء المنافقين على تجريحهم والتشهير بهم جهارا نهارا . وإذا أنحم الله على المؤمنين بالنصر اعتباً المنافقين في جحورهم ، وغيروا طريقتهم ، وانتقلوا من باب المواجهة إلى الكيد والدُّس في الخفاء .

وكان اليهود في العدينة يُكُونون جبهة قوية ، وقد ساندوا المنافقين وشجعوهم ، وكون الطرفان جبهة متعدة لمناوأة الإسلام والمسلمين وكان عبد الله بن أبى بن سلول رَعيمَ المنافقين بالمدينة ، وكان من وجهاء الأنصار ، وكان قومه ينظمون له الخرز ليتوجوه ملكا عليهم ، فلما جاء الإسلام للمدينة ، وتعاظمت قوة المسلمين يوما بعد آخر ، وأصبح النبى الأمين صاحبَ الكلمةِ النافذة ، والأمرِ المطاع ، اشتد حقد عبد الله بن أبى لضواع الملك من بين يديه ، وكوّن جبهة للنفاق تُطيع السوء والفتنة ، وتُعبر الكيد والأذى للمسلمين .

وشاء الله أن يمتحن المسلمين بوجود اليهود في المدينة ، ويوجود المنافقين فترة طويلة مساحيت نشوء الدعوة بالمدينة ، ولم يشأ الله أن يُعرف النبي ﷺ بأسمائهم إلا في آخر حياته ، وقد أهفى النبي أسماءهم عن الناس ، وأعلم واحدا فقط من الصحابة بهم هو النعمان بن مقرن ليظل أمرهم مستوراً .

وكان بعضهم ينكشف أمره من سلوكه وفعله وقوله وقسمات وجهه وتعبيراته.

قال تعالى : وَلَوْنَشَآءُ لَأَرَيْكُهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَنْهُمْ وَتَعْرِفَتْهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلْكُمْ . (محمد: ٣٠).

قصة نزول السورة

فى كثير من كتب التفسير (السيرة الساء أن هذه السورة نزلت فى أعقاب غزية بنى المصطلق ، وقد انتصر فيها المسلمون ، وغنموا غنائم كثيرة ، وقد وقعت فى شعبان من السنة الخامسة للهجرة (ديسمبر ١٩٦٦ م) . ويعد المعركة ازدحم على الماء رجلان ، أحدهما أجير لعمر بن الخطاب وهو جهجاه بن سعيد ، والثاني حليف بنى عون بن الخزرج وهو اسنان الجهنى ، وتضاريا فقال جهجاه : يا المهاجرين ، وقال سنان : يا للأنصار ، فاجتمع عليهما المتسرعون من المهاجرين والأنصار حتى كادوا يقتلون ، وأوشكت أن تقوم الفتنة بين المهاجرين والأنصار ، فلما سمع رسول الله ﷺ الصراح خرج مسرعا يقول : هما بال دعوى الجاهلية ، ؟ فأخبروه الخبر ، فصاح غاضبا : «دعرا هذه الكامة فإنها منتنة ، (أصرك الفريقين فهذا من ثورتهما ، وكلم المضروب حتى أسقط حقه ، ويذلك سكنت الفتنة وتصافى الفريقان .

ولكن عبد الله بن أبي عزّ عليه أن تنطقيّ هذه الشرارة قبل أن تحدث حريقا بين المسلمين ، وأن نموت هذه الفتنة قبل أن تذهب بما في صفوف المسلمين من وحدة والثلاف ، فأخذ يُهيج من معه من الأنصار ويثير ضغينتهم ضد المهاجرين ، وجعل يقول في أصحابه :

(والله ما رأيت كاليوم مذلة ، لقد نافرونا وكاثرونا في بلدنا ، وأنكروا مِثّننا ، والله ما عدنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل : سمّن كلبك يأكلك .. لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) . يقصد بالأعز نفسه ، ويالأذل رسول الله ﷺ . ثم أقبل ابن أبى على من حضره من قومه يلومهم ويعنفهم فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أطلتموهم بلادكم ، وأنزلتموهم منازلكم ، وأسيتموهم في أموالكم حتى استغنوا .. أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم .. ثم لم ترضوا ما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضا للمنايا ، فقتلتم دونهم ، فأيتمتم أولادكم ، وقللتم وكثروا .. فلا تنفقوا على من حوله حتى ينفضوا .

وكان في القوم زيد بن أرقم - وهو يومئذ غلام لم يبلغ الحلم ، أو قد بلغ حديثا - فنقل كلام ابن أبي الرسول ﷺ، فتغير وجه رسول الله ﷺ، وتأثر من معه من المهاجرين والأنصار ، وشاع في الجيش ما الله الله عن المناس وشاع في الجيش ما قاله ابن أبي حتى ما كان للناس حديث غيره ، وقال عمر النبي : يا رسول الله ، منّ بلالا فليقتله ، وهنا ظهر النبي كتأبه بعظهر القائد المحنك والحكيم البعيد النظر ، إذ التفت إلى عمر وقال : «فكيف إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ؟ ولكنه قدر في نفس الوقت أنه إذا لم يتخذ خطوة حازمة فقد يستفحل الأمر. لذلك أمر أن يؤذن في الناس بالرحيل ، في ساعة لم يكن يرتحل فيها المسلمون

وترامى إلى ابن أبى ما بلغ النبى عنه ، فأسرع إلى حضرته ينفى ما نُسبِ إليه ويحلف بالله ما قاله ولا تكلم به ، ولم يغير ذلك من قرار النبي ﷺ بالرحيل .

قال ابن إسحاق : فلما استقل رسول الله ﷺ وسار ، لقيه آسيد بن حضير المنام فحياء بتحية النبوة وسلم عليه ، ثم أحسال : يا نبى الله ، والله لقد رحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فى مثلها . فقال رسول الله ﷺ : «أو ما بلغك ما قال صاحبكم» ؟ قال : وأى صاحب يا رسول الله ؟ قال : «عبد الله بن أبى» . قال : وما قال ؟ قال : «عبد الله بن أبى» . قال : وما قال أو الله ين أبى الله قال : وما أنه إن رجع المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» . قال أسيد : فأنت يا رسول الله — والله — الذليل وأنت العزيز ، فى عز من الرحمن ومنمة للمسلمين . ثم قال أسيد : يا رسول الله ، اوفق به فوالله فقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا .

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أمسيح ، وصدر يومهم ذاك حتى أنتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما .. وإنما فعل رسول الله ﷺ ذلك ليشغل الناس عن كلام عبد الله بن أبي .

ونزلت سورة المنافقون في ابن أبي ومن كان على مثل أمره ، ولما نزلت السورة قال رسول الله ﷺ: « يا غلام ، إن الله قد صدقك وكذب المنافقين » .

ولما ظهر كذب عبد الله بن أبى قيل له : قد نزلت فيك أي شداد ، فاذهب إلى رسول الله يستغفر لك ، فلوى رأسه وقال : أمرتموني أن أؤمن فآمنت ، وأمرتموني أن أزكى مالى فزكيت ، وما بقي إلا أن أسجد ويلغ عبد الله بن عبد الله بن أبى الذى كان من أمر أبيه فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ،

إنه قد بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه ، فإن كنت لابد فاعلا فمرنى به فأنا أحمل إليك

رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده منى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ،

فلا تدعنى نفسى أن أنظر إلى قاتل أبى يمشى فى الناس فأقتله ، فأقتل رجلا مؤمنا بكافر ، فأدخل النار ،

فقال رسول الله ﷺ: «بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معناه .

مع السورة

وصفت الآيات الأربع الأولى من السورة رياء المنافقين ، وكشفت خداعهم ، إنهم يُظهرون الإيمان ويبطئون الكفر ، ويسارعون بالشهادة لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة ، وهم كاذبون في هذه الشهادة ، لأنها لا تطابق عقيدتهم ، ولا توافق ما يضمرونه في ظويهم . (بة : ١) .

وكانوا يطفون بالله كذبا ، ويتحصنون بهذه الأيمان ، وينست أنعال الرجال ، الكنب والأيمان الماجرة . (آية :۲) .

لقد تكرر نفاقهم ، وطبع الله على قلوبهم ، فلا ينفذ إليهم الهدى والإيمان . (أية :٣) .

وكان فيهم أقوام صباح الوجوه ، أشداء البنية ، فصحاء الألسنة ، فإذا تكلموا أعجبوا السامع بكلامهم المعسول ، ولكن واقعهم لا يوافق ظاهرهم ، وإن عداوتهم ضارية ، فاحذرهم ، واتق جانبهم في حياتك ، فإنهم سيلقون مصيرهم المحتوم بالهلاك والنكال . (أية : ٤٤) .

وتشير الآيات (٤٪ – ٨) إلى ما حدث من عبد الله بن أبي بن سلول في أعقاب غزية بني المصحلاق، وقد مرت قصتها .

ولما انكشف أمره ، دعاه الناس ليستفقر له الرسول الأمين ، فأعرض ولوى وجهه ، هوفا من مواجهة الرسول بالحقيقة . (أية : ٥) ,

وكان ابن أبى قد طلب من بعض الأنصار أن يُسكوا نفقتهم ومساعدتهم عن المهاجرين ، حتى ينغضوا عن النبي الكريم ﷺ ، فذكن القرآن أن خزائن الله عامرة ، وخيره لا ينفد ، وهو الرزاق ذو القوة المتين. (أية : ٧) . كان ابن أبي بيبت كيدا مع أتباعه ويتوعد بأن يضرج النبى من المدينة ذليلا ، فبين الله أن العزة لله وإرسوك والمؤمنين ، بالإيمان ويمساعدة الرحمن ويعون الله القوى المتين ، ولكن المنافقين لا يفقهون هذه المعاني الكريمة . (آية : ٨).

أما المقطع الأخير في السورة ويشمل الآيات (٩ - ١٩) فإنه يترجه إلى المؤمنين بالنداء ألا تشغلهم أموالهم ولا أولادهم عن تذكر ربهم ، والقيام بحقه ومرضاته ، وتأمرهم بالصدقة والزكاة وعمل الخير ، فالله مصدر الرزق ، وله المعد في الأولى والآخرة . فأنقق وأنت صحيح شحيح ، ولا تمهل حتى إذا بالمت الروح الحقوم تعنيت العودة للدنيا لإخراج الصدقة وعمل الصالحات ، ولكن الأجل إذا جاء لا يتأخر لحظة ، بل يساق الإنسان إلى الخبير العليم فيلقى جزاء ما قدم .

وهكذا تشتم السورة بهذه الدعوة إلى الإخلاص للَّه ، وامتثال أوامره ، فهر مُطَّلع وشاهد ، وهو المكيم العادل .

المعنى الإجمالي للسورة

قال الفيروزبادى:

معظم مقصود السورة : تقريع المنافقين وتبكيتهم ، وبيان ذلهم وكذبهم ، وذكر تشريف المؤمنين وتبجيلهم ، وبيان عزهم وشرفهم ، والنهى عن نسيان ذكر الحق تعالى ، والفقلة عنه ، والإخبار عن ندامة الكفار بعد الموت ، وبيان أنه لا تأخير ولا إمهال بعد حلول الأجل ، في قوله تعالى : وَلَن يُؤخَّرُ ٱللَّهُ نَفُسًا إِذَا جَاءً أَجْلُهَا وَٱللَّهُ عُصْرٌ مُمَا تَعْمُلُونَ . (المنافقين : ١١) .

صفات المنافقين

﴿ إِذَا بِهَا آهَ أَنَّ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ

إِنَّا الْمُنْفِقِينَ لَكَلْاِ بُوْرِنَ ۞ اعْمُدُوا أَنْسَهُمْ جُنَّةُ فَصَدُّ وَاعْنَسِلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاتَهُ
مَاكُافُوا يَسْمَلُونَ ۞ ذَلِكَ بِأَنْهُمْ مَامُوا أُمْمَ كَثَرُوا فَطَيْعَ عَلَى قُلُو بِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۞
وَإِذَا رَأَيْسَهُمْ تُعْجِبُكَ أَحْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا نَسْمَةً لِفَوْلِمَ كَانَهُمُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّلُولُ اللَّهُ الْمُعَلِّمُ الْمُعْمِلُولُولُولُ اللَّهُ اللَّ

المقردات :

المعان ويُخفون الكفر . الذين كانوا يُظهرون الإيمان ويُخفون الكفر .

خُ ثُ يَ عَمَانِهُ وَسَتَراً لِدَمَانُهُمْ وَأُمُوالُهُمْ .

آم______ أسنتهم.

د م ک د د رواه أي : يقلوبهم .

فطبع على قلوبهم ، غتم عليها بالكفر.

الا يصف ق م ون ، لا يدركون حقيقة الإيمان ، ولا يعرفون صحته .

تمجيك أجسامهم السلامتها وصباحتها وتناسق أعضائها .

تسلمنع لتقلولهم ؛ لفصاحتهم وحسن حديثهم .

يحسبون كل ضيحة عليهم؛ يظنون أن كلُّ صوت واقع بهم ، لجبنهم وهلعهم .

أسانسا عسم السام: لعنهم وطردهم من رحمته وأهلكهم.

المسى يسمؤ فسكم عن البرهان عن الحق والإيمان بعد قيام البرهان.

تمهيده

يتستر المنافقون في الظلام ، لكنَّ القرآن يكشفهم ويحدد معالمهم فيما يأتي :

١ -- فَهُمْ كَذَابِونِ يقولونِ غيرِ ما يعتقدون .

٢ - إنهم لايبالون بالطف بالله كذباً ، سترا لنفاقهم .

٣ – إنهم جبناء ، فهم على ضخامة أجسامهم فى غاية الهلع ، يظنون أن كل مناد ينادى إنما
 يقصدهم للإيقاع بهم .

التفسده

١ - إذا جاءَك المُنتفِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنْك تَرسُولُ اللَّهِ وَاللَّه يَعْلَمُ إِنْكَ لَرسُولُهُ, وَاللّه يَشْهَدُ إِنَّ الْمُعَلْفِينَ لَكَالِيُونَ.

كان المنافقون يطفون كنها لرسول الله ﷺ ، ويشهدون مؤكدين شهادتهم ، بأن محمداً رسول الله .

والله تعالى يعلم أن محمداً رسول الله حقا وصدقا ، والله تعالى يشهد إنَّ المنافقين لكانبون في دعواهم الإيمان ، وإنما هم منافقون ، يُظهرون هذه الشهادة نفاقا ورياء، ويبطنون الكفر والكيد للإسلام ولرسوله .

جاء في التسهيل:

وقوله : وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ... فيس من كلام المنافقين ، وإنما هو من كلام الله تعالى ، وبو لم يذكره لكان يوهم أن قوله : وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْطِقِينَ لَكُنلبُولَ. إيطال للرسالة ، فوسَّطه بين حكاية المنافقين ، وبين تكنيهم ، ليزيل هذا الرهم وليحقق الرسالة .

٧ - ٱتَّحَلُوٓا أَيْمَنْتُهُمْ جُنَّةٌ فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ .

لقد أعدوا أيمانهم الكاذبة وقاية لهم من القتل ، وحفظا لأموالهم وأولادهم .

فهم شوكة في جنب المسلمين ، لأنهم يتظاهرون بالإيمان والإسلام ، ويبطنون الكيد والدس للإسلام وللمسلمين ، وقد اغتر بهم من لا يعرف حقيقة أمرهم ، فامتنع عن الإسلام ، أو امتنع عن الفداء والتضحية للإسلام بسيب وساوسهم ، وتثبيطهم للتاس عن الدخول في الإسلام ، أو عن الإخلاص للله ورسوله ، فما أتبع عملهم ، وما أسواً فعلهم ، إنهم تُعامًا كُونُه أَهْمَلُونَ .

وسيلقون جزاءهم في الدئيا والآخرة:

أما في الدنيا فسيفضحهم الله على رؤوس الأشهاد.

قال تعالى : وَلَا تَصَلَّ عَلَىٰٓ أَحَدِ مَتَهُم مَاتَ أَبَدًا وَلاَ تُقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفُرُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَلَيقُونَ . (التربة ٨٤٠) .

وأما في الآخرة فإنهم في أسوأ درجات النار.

قال تعالى : إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ فِي ٱلدُّوكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَحِدَ لَهُمْ نَصِيرًا . (النساء : ١٤٥) .

٣ - ذَالِكَ بِأَنْهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطْبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَيَفْقَهُونَ .

لقد آمنوا بألسنتهم ، وكفروا بقلويهم ، واستحبوا العمى على الهدى ، واستعنبوا الخيانة والقدر، ورستعنبوا الخيانة والقدر، وتبييت الكيد والدسُّ المسلمين ، فختم الله على قلويهم ، فلا يدخلها إيمان ولا ينفذ إليها نور أو هداية ، فأصبحوا لا يفهمون ما فيه رشدهم وصلاحهم ، ولا يهتدون إلى الأدلة العلموسة الواضحة ، الدالة على صدق الرسول ﷺ وصدق الرسالة .

٤ - وَإِذَا رَأَيْتِهُم تُعْدِيْكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَالَهُمْ خَشْبٌ مُسْتَدَةٌ يَحْسُبُونَ كُلُّ صَيْحَةِ عَلَيْهِمْ
 هُمُ ٱلتَّدُرُ مُنْ اَصْدُرُ هُمْ وَنَسْتُهُمْ اللهُ آلَى يُوفَكُونَ .

كان عبد الله بن أبي زعيم المنافقين جسيما وسيما ضخما ، زلق اللسان ، حسن المدوت ، وكانت معه مجموعة على شكله ، يجلسون فيحسبهم الناظر إليهم أنهم شيء جميل ، والواقع أن داخلهم معطوب بالنفاق .

والمعتى :

إذا رأيت شكلهم أعجبك ظاهرهم ، وإذا تكلموا أعجبك حديثهم ، وتصرّفهم في القول وحسن صوتهم ، لكن باخلهم سيئ ، وباطنهم نفاق وحقد وحسد وضعينة ، كأنهم خُشب مأخرد قلبها ، فهى حسنة في الظاهر رديئة في الباطن ، ومع ضخامة أجسادهم فإنهم في غاية الهلع والخرف ، إذا سمعوا صوتا عاليا ، أو أنشدت دابة ، أو صاح صائح بصوت مرتفع ، تملكهم الهلع والخوف ، خشية أن يفتضع أمرهم ، وأن يكشف سترهم ، وأن يظهر للناس نفاقهم .

ولقد قالوا : (يكاد المريب يقول خفوني) ، ويكاد السارق يقول — إذا رأى القيد — ضعوه في يدى، من الرهبة والخوف من سوم أعمالهم . ونحوالآية قوله تعالى: أهِرِحَّهُ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ الْخَوْفُ رَأَيْتُهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيَنُهُمْ كَالَّذِي يُعْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمُوْتِ فَإِذَا فَصَبَّ الْخَوْفُ سَلْقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَوْرِ أُولَسِّكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطُ اللَّهُ أَعْمَدُلُهُمْ وَكَانَ ذَالِكَ عَلَى اللَّهِ يُسِرًا . (الاحزاب: ١٩).

وقد نظر المتنبي إلى الآية في قوله :

وضالت الأرض حتى ظن هاريهم إذا رأى غيرشيء ظنه رجلا

هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَآخِذُرْهُمْ ...

هم العدرُ الحقيقى لك . فَأَخَلُرُهُمْ . ولا تكشف لهم أسرارك، لأنهم عيون لأعدائك من الكفار ، واحدر مؤامراتهم ودسائسهم .

فَلْتَلَهُمُ ٱللَّهُ ٱنَّىٰ يُؤْفِكُونَ .

لعنهم الله وطريدُهم من رجمته وأهلكهم ، كيف يصرفون عن الحقّ والنور والهدى والرسالة ، ويميلون إلى الباطل والكفر ، والدسّ والخداع ، وصدّ الناس عن سبيل الله ، مع وجود النبي الخاتم والوجئ المسادق ، ونور الإسلام ويرهانه ، ومع هذا المقتاروا الضلالة وتركوا الهدى .

ولله در أبي نواس:

لا تخديمَثك اللحى ولا الصُّور تسعةُ أعشار من سرى بقر سراهم كالمراب منتشراً وليس فيه لطالب قطر في شجر السَّرومنهمُ مثلُ له، رُواهُ وساله مَستَسرُ

صفات أخرى للمنافقين

﴿ وَإِذَاقِ لَ لَمُنْمَ تَمَا لَوَا يَسْتَغَفِّر لَكُمْ رَسُولُ اللّهِ لَوَوْارُهُ وَسَمْ وَوَاَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُسْتَكَبِرُونَ ۞ سَوَآءٌ عَلَيْهِ مِ السَّتَغَفَّرَتَ لَهُمْ أَمَّلَهُ تَسْتَغْفِر لَكُمْ لَن يَغْفِر اللّهُ لَمُمْ إِنَّ اللّهَ لاَيْهِ مِنَ الْفَوْمَ الْفَسِقِينَ ۞ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاَنُنِفِقُواعَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللّهِ حَتَّى يَنفَضُّواً وَيلّهِ حَزَآنِ السَّمَونِ وَالْاَرْضِ وَلَئِكَنَّ الْمُنفِقِينَ لاَيفقَهُونَ ۞ يَقُولُونَ لَهِن زَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْدِجَكَ الْأَعَرُ يَتِهَا الْأَذَلَّ وَيلّهَ الْمُونِدَ وَاللّهَ مُونَى لَهِن وَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْدِجَكَ الْأَعَرُ يَتِهَا الْأَذَلُ

المفردات ،

لسووا رؤوسسهسم، حرَّاوها استهزاء .

يصب عن القائل .

السفساسسة سيسن الخارجين عن طاعة الله وطاعة الرسول المنهمكين في أنواع الشرور والآثام.

حستسى يستسفضسوا ، حتى يتفرقوا . خَرَاشُ السماوات والأرض ، خرَاشُ الأرداق فيهما .

لا يصف قد هدون ، لا يعلمون علماً صادراً عن إدراك حلال الله وقدرته .

الأمين في زعمهم.

الأذل : في زعمهم : رسول الله ﷺ .

لايسمسلسم وقرورهم.

سبب النزول ،

آخرج البخاري ، ومسلم ، والترمذي بمعناه في بيان سبب نزول هذه الآيات : أن النبي ﷺ غزا بني المصطلق على ماء يقال له : (الْمُرَيْسِيم) من ناحية (فُنيد) إلى الساحل ، فازدحم أجير لعمر يقال له : جَهُجاه مع حكيف لعبد الله بن أبي يقال له : سِنان على ماء (بالْمُثَلَّل) قصرح جِهجاه بالمهاجرين ، وصرح سِنان بالأنصار، فلَطَم جهجاه سناناً، فقال عبد الله بن أبى: أن قد فعلوها ، والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال الأول: سمّن كلبك بأكلك ، أما والله لتن رجعنا إلى الدينة ليدوجن الأعز منها الأذل – يعنى محمداً ﷺ – ثم قال لقومه : كُفُوا طعامكم عن هذا الرجل ، ولا تنفقوا على من عنده حتى ينفضُوا ويتركوه ، فقال زيد بن ثم هو من وهو من رمعط عبد الله – : أنت والله التليل المُنتُنكمن في قومك ، ومحمد ﷺ في عز من الرحمن وموية من المسلمين ، والله لا أحبك بعد كلامك هذا أبداً ، فقال عبد الله : اسكت إنما كنت ألعب . فأخير زيد المنبي ﷺ قال زيد : فوجدت في نفسي ولامكي الناس ، فنزات سورة المنافقون في تصديق زيد وتكذيب عبد الله ، فقيل لعبد الله : قد نزات فيك آبات شديدة . فاديم إلى رسول الله ﷺ المناس ، والله عن المناس ، فنزات الآيات .

نزول الأية (١) ،

أحرج ابن جريد ، عن عروة قال : لما نزلت: آسَتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللهِ عَلَيْهِمُ أَسْتَغْفُرْتُ يَغْفِرُ اللّهُ لَهُمْ اللهِ عَلَيْهِمُ أَسْتَغْفُرْتُ لَهُمْ اللهِ عَلَيْهِمُ أَسْتَغْفُرْتُ لَهُمْ اللهُ عَمْ اللهِ عَلَيْهِمُ أَسْتَغْفُرْتُ لَهُمْ أَمْ لَكُمْ فِي اللّهِ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفُرْتُ لَعَمْ اللهِ عَلَيْهِمْ اللّهُ لَعَمْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهِمْ اللّهُ لَعَمْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ

نزول الأيتين (٨،٧)؛

أهرج البخارى كما تقدم ، ولمعد وغيرهما ، عن زيد بن أرقم قال : سمعت عبد الله بن أبي يقول لأصحابه : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، قلتن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأدل ، فذكرت ذلك لعمّى ، فذكر ذلك عمى للنبي ﷺ ، فنعاني النبي ﷺ ، فحدثته ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن وأصحابه ، فحلفوا ما قالوا ، فكدّبني وصدقه ، فأصابني شيء لم يصبني مثله ، فجلست في البيت ، فقال عمى : ما أردت إلى أن كنبك رسول الله ﷺ ومقتك ، فأذل الله : إِذَا جَآمَاتُ ٱلْمُنْلِفُقُونَ ... في البيت إلى رسول الله ﷺ ومقتك ، فأذل الله : إِذَا جَآمَاتُ ٱلْمُنْلِفُقُونَ ... فيهدي إلى رسول الله ﷺ ومقتك ، أدت الله : إِذَا جَآمَاتُ الْمُنْلِفُونَ ...

ودوى القرمذى أيضًا عن زيد بن أرقم : أن أعرابيًّا نازع أنصاريًّا فى بعض الغزوات على ماء ، فضرب الأعرابى رأسه بخشبة فشجّه ، فشكا إلى ابن أُبِيّ ، فقال : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، وإذا رجعنا إلى العدينة فليخرج الأعز الأذل . عنى بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ﷺ.

التفسير،

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالُواْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوْواْ رُغُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصْدُونَ وَهُم مُسْتَكَبُّرُونَ

كان عبد الله بن أبى بن سلول كبيراً للمناققين ، حريمنا على الإساءة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، ولما تكلم عن رسول الله ﷺ كلامًا سينًا، ووصى ابن ساول أتباعه ألا ينفقوا على فقراء المهاجرين ، حتى ينصرفوا عن محمد ﷺ ، بلغ هذا الكلام رسول الله ﷺ ، فاستدعى عبد الله بن أبى ، فأقسم كنبا أنه ما قال ذلك .

ثم فضح الله المنافقين بنزول وحى السماء ، فى صدر سورة المنافقين ، وكان للمنافقين أقاربُ وأهل من المؤمنين ، فقالوا لهم : لقد فضحكم الوحى ، فاذهبوا إلى رسول الله ﷺ يستغفر لكم ، وتوبوا إلى الله ، وعودرا إلى صفوف الإيمان ، فتكبر المنافقون ، وأمالوا رؤوسهم كبرا واستنكافا أن يذهبوا إلى رسول الله ﷺ ، وأعرضوا عن الهداية استكبارًا وانصرافًا عن الهذى .

رُوى أَن الأنصار قالوا لعبد الله بن أَبى بن سلول : لقد نزلت فيك آى شداد ، فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستففر لك ، فلوى رأسه ، ثم قال : أمرتمونى أن أَرْمَن فأمنت، وأمرتمونى أن أَزْكَىُ فزكيت ، فما بقى إلاَّ أَنْ أسجد لمحمد ، فنزلت : وَإِذَا لِيِّلَ يُهُمْ تَعَالُواْ أَيَسْتُغْفِرُ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ ...

معنى الآية :

وإذا قيل للمنافقين مثل عبد الله بن أبى ، والجدّ بن قيس ، ومعتب بن قشير: تعالوا إلى رسول الله ويقد الله بن أبى ، والجدّ بن قيس ، ومعتب بن قشير: تعالوا إلى رسول الله هي يطلب من الله المغفرة لكم ، والتربية عليكم ، وهدايتكم إلى نور الإيمان والإخلاص له ، أمالوا رؤوسهم كبرًا وتبهّا، وشاهدتهم يعرضون عن السير إلى رسول الله هي ، حال كونهم مستكبرين عن الاستهداء يهدى الإسلام .

٣ - سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغَفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِر ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهُ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَسِقِينَ .

كان النبى 素 حريما على الاستفقار لهم ، حتى أعلمه الله تعالى أنه سبحانه قد غضب على المنافقين وختم على المنافقين وختم على المنافقين وختم على المنافقين وختم على قلويهم ، فهو لن يوفقهم ، ولن يعنصهم الهدى ، ليسيروا في طريق الإيمان ، لقد عصوا الله ونافقوا ، واستكبروا عن الذهاب إلى رسول الله 蘇 ليستغفر لهم .

وهـداية السـمـاء غــالبة ، والله تعالى يقول : فَأَمَّا مَنْ أَعْظَىٰ وَأَتَّحَىٰ ﴿ وَصَدَّقَ بِالْمُحْسَنَىٰ ﴿ فَسَنَيْسُرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿ وَأَمَّا مُراَيَحِلْ وَٱسْتَعَنَىٰ ﴾ وَكَذِّبَ بِٱلْحُسْنَى فَسَنَيْسُرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿ (الليل: ٥ – ١٠) .

وقال سبحانه وتعالى: إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيُّنَا وَلَلْكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ . (يونس: ٤٤).

فهولاء المنافقون أعرضوا عن دين الله ، وأمَامَهم النبى الخاتم ، والرسول الهادى ، اكتُهم ناوأوه وآنوه وتكلموا عليه كلاما قبيحا ، فغضب الله عليهم ، وقال لنبيه ﷺ :الاستغفار لهم وعدمه سواء بالنسبة لهم ، فمهما استغفرت لهم فإن الله تمالى لن يغفر لهم ، لأنهم فسقوا وخرجوا عن أمر الله ، ومحدُّوا عن سبيله ، وشككرا ضعاف الإيمان في إيمانهم بالله .

إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَلْسِقِينَ .

لقد أغلقت قلوبهم على النفاق والبحد عن الهداية ، وعميت بصائرهم عن نور الإيمان ، فسلب الله هدايته عنهم الفسقهم وضلالهم .

> - هُمُ ٱللَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُتَفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَىٰ يَنفَشُواْ وَلِلَّهِ حَزَائِنَ ٱلسَّمَدُواتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَلْكِنْ
 آلمُننفقينَ لا يَفقَهُونَ .

كان عبد الله بن أبي قد جلس مع قومه بعد نزاع على الماء بين رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار ، حيث قال المهاجريّ : يا للمهاجرين ، وقال الأنصاري : يا للأنصار ، واجتمع الناس .

ویلغ ذلك النبی ﷺ فخرج جزعا یجرّ ردامه، وقال: «ذروها فإنها منتنة ، لیس منا من دعا إلی عصبیة».

فكفّ الناس عن الشجار ، وعادوا نادمين ، لكن عبد الله بن سلول ، قال : أوقد فعلوها ، ما مثلنا ومثل أصحاب محمد إلا كما قال القائل : سمّن كلبك يأكلك ، لا تنفقوا على فقراء المهاجرين حتى ينفضوا عن محمد ويتركوه . فأنزل الله تعالى هذه الآية توضع ما فعله عبد الله بن أبى وأمثاله .

والمعنى:

يقول هرّلاء المنافقون: لا تنفقوا على هؤلاء المهاجرين الذين جلّبوا من مكة البيناء حتى يتفرقوا عن محمد، وتوامنزاً بتضييق الأرزاق وهُرهن للعمل، وإغلاق أبواب الكسب في وجوههم.

لكن الله تعالى رد عليهم قائلا : وَلِلَّهِ حَزَّاتِنُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَلْكِنَّ ٱلْمُنَفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ .

إن الأرزاق بيد الله ، وييده العزّ والذل ، وهو سبحانه بيده مفاتيح خزائن السماوات والأرض ، ويبيده أرزاق العباد .

قال تعالى : وَفِي ٱلسَّمَاءِ رِزَقُكُمْ وَمَا تُوعَنُونَ ء فَوَرَبُ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ, لَحَقَّ مُثَلَ مَا ٱلْكُمْ تَعَفِّقُونَ. (الذاريات: ٢٣٠/٢)

فالله تمالى هو المسبب للأرزاق ، والعبيد سبب ظاهرى .

وفى الحديث النبوى الشريف: «واعلم أن الأمة او اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضرُّوك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، جِنَّت الأقلام وطويت الصحف» ⁶⁻⁹.

وَلَلْكِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ .

لا يدركون أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، وهو الرازق لهؤلاء المهاجرين ، فقد أكرمهم الله وسجَل جهودهم.

قال تعالى: لِلْفَقَرَاءِ اللَّهُ عَلِينِ ٱللِّينَ أَخْرِجُواْ مِن دِيَنْدِهِمْ وَأَمْوَ الِهِمْ يَتَكُونَ لَضَلاً مَنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَعَمُّرُونَ آللَّهُ وَرُسُولَهُمْ أَوْلَائِكَ هُمُ ٱلصَّلَوْلُونَ . (السعد: ٨) .

٨ - يَقُولُونَ فِين رَجْعَتَا إِنِّى ٱلْمُدِينَةِ لَيَحْرِجَنَّ ٱلْأَعْزُ مِنْهَا ٱلْأَذَلُ وَبِلَّهِ ٱلْجَوْةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُولِينِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُتَنْفِقِينَ
 ٨ - يَقُولُونَ فِينَ رَجْعَتَا إِنِّى ٱلْمُدَينَةِ لَيْحْرِجَنَّ ٱلْأَعْزُ مِنْهَا ٱلْأَذَلُ وَبِلَّهِ ٱلْجَوْةُ وَلِرْسُولِهِ وَلِلْمُولِينِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُتَنْفِقِينَ
 ٨ - يَقُولُونَ فِينَ رَجْعَتَا إِنِّى ٱلْمُدينَةِ لَيْحْرِجَنَّ ٱلْأَعْزُ مِنْهَا ٱلْأَذَلُ وَبِلَّهِ ٱللِّهِ اللَّهُ وَلِينَ وَلَمْكِنَ ٱلْمُتَنْفِقِينَ
 ٨ - يَقُولُونَ أَوْنَ لِللَّهُ وَلِينَ وَلِمُعْلِينَ وَلَمْكِنَ ٱلْمُتَنْفِقِينَ

يقول عبد الله بن أبى بن سلول رئيس المنافقين لمن حوله من المنافقين : إذا رجعنا إلى المدينة فنحن الأعزاء ومعنا المال والأرض ، وهؤلاء المهاجرون مجلوبون عليها ، فقراء أذلاء ، فيجب أن يُخرج الأعزُّ الأذانُ . يقصد بالأعرُّ نفسه ، وبالأدل رسول الله ﷺ ومن معه .

ولكن الله تعالى ردّ على المنافقين فقال:

وَلِلَّهِ ٱلْهِزَّةُ وَلِرُسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِينَ وَلَلْكِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ .

لله تعالى وحده العزة.

قال تعالى : قُلِ ٱللَّهُمُّ مُثِلِكَ ٱلْمُلْكِ قُلِّي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَوْرِعُ الْمُلْكَ مِمْن تَشَاءُ وَتَعْلِنُ مَن تَشَاءُ بِسَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِلْكَ عَلَىٰ كُلُ شَيْءَ قَدِيرٌ ، قُولِجُ ٱلْكِلْ فِي الْقَالِ وَتَعْرِجُ ٱلْخَيْ ٱلْمُسِّتُ مِنْ ٱلْخَيِّ وَمَزْدُقَ مَن نَشَاءً بِهَيْرَ حِسَابٍ . (ال عدان ٢٠ ، ٢٧) .

والله يمنع عزته لرسوله صلى والمؤمنين المخلصين ، وما أجمل وما أجل أن نجد في سطر واحد ومخمون واحد عزة الله يمنحها لرسوله وللمؤمنين ، فيفيض عليهم من عزّته وقدرته ، وجلاله وفضله . وَلِلّهِ السَّرَةُ وَلَرْسُولِهِ وَلْمُؤْمِنِينَ ...

وقد أعزُ الله المؤمنين بعد ذلك فعلا ، فنصرهم على العباد وفقح لهم البلاد ، ودانت لهم الدنيا ، وجاء نصر الله والمقتح ، ودخل الناس في دين الله أفواجا .

قال تعالى: كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِيٓ ... (المجادلة: ٢١).

وَلَلْكِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ .

وذلك لخلو قلويهم من الإيمان بالله ، واليقين به .

قال الفخر الرازى :

هْ الآية السابقة قال : وَلَلْكِنَّ ٱلْمُتَلْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ . لقلة كياستهم وفهمهم .

وفى الآية التالية قال: وَلَنْكِنُ ٱلْمُنَافِقِينَ لَا يُعْلَمُونَ . لكثرة حماقتهم وجهلهم .

رُوى أن عبد الله بن عبد الله بن أبى - وكان مؤمنا مخلصا - سلّ سيفه على أبيه عندما أشرف على . المدينة ، وقال : لله على ألا أغمده حتى تقول : محمد الأعزّ وأنا الأذل ، فلما رأى الأب الجدّ فى وجه ابنه ، قال ذلك .

تعليق على الآيات

نلمح ما فعله الإسلام بالمهاجرين والأنصار، لقد منحهم الهدى والإيمان، والعزة والتماسك والقوة، محتى رأينا ابناً مؤمناً يتألّم لغفاق أبيه، ويقبل له: أنت الذليل، ورسول الله ﷺ في عزَّ من الرحمن، ومنعة من المسلمين، ويقف الابن على باب المدينة لا يسمح لأبيه بدخولها حتى يأذن له رسول الله ﷺ، فيذهب عبد الله بن أبي بن سلول كبير المنافقين إلى رسول الله ﷺ شاكيا ابنه، فيأذن الرسول ﷺ لكبير المنافقين بدخول المدينة، ويقول الرسول ﷺ لابنه: «جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا».

الإنابة إلى الله

﴿ يَنَا أَيُّا الَّذِينَ اَمَنُوا لَا نَلْهِ كُوْ أَمُولُكُمُّمُ وَلَا آوْكَ لُكُمُّ مَن ذِحْمِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلَ ذَلِكَ فَأُولَكُمُ مِن قَبْلِ أَن يَأْفِ مَن الْمَعْ فَا مِنَّا لَرَفْنَكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْفِ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخْرَفِي إِنَا أَمْلِكُونِ فَلَ مَن الصَّلِحِينَ اللَّهِ عَلَى مَن الصَّلِحِينَ اللَّهُ الْمَعْتُ مَنْ الْمَعْلَاحِينَ اللَّهُ الْمَعْتُ الْمَعْلَاحِينَ اللَّهُ الْمُعْلَاحِينَ اللَّهُ الْعُلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّذِلِيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ الْمُنَالِمُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُؤْلِلْمُ اللَّهُ اللْمُنْ اللْمُنْ اللَّهُ

المفردات :

لا شلهكم ، لا يشغلكم الاهتمام بها ، والانصراف إليها .

هن ذكر الله : عن عبادته وطاعته ومراقبته

السبيسولاء هادًّه والمراد هذا : التمتّى ،

الخبرتيني، أمهاتني وأخرت أجلي.

تمهيد :

في أخر سورة المنافقين يحدِّر الله المؤمنين من التخلق بأخلاق المنافقين:

- (أ) فناداهم ونهاهم عن الانشغال بالمال والولد عن ذكر الله وطاعته ، وأداء الصلاة وإعراج الزكاة والتصدق على المحتاجين .
- (ب) حثهم على فعل الطاعات، وأداء الواجبات، في حال الحياة والصحة والغني، من قبل أن يقترب الموت، أو يمرض السليم، أو يفتقر الغنى، أو تقترب الوفاة، فيقول الإنسان: يارب، مقلاً أمهلت وفاتى بعض الوقت، حتى أخرج الزكاة والصدقة، وأقيم الصلاة، وأفعل أفضال الصالحين.
- (ج.) والحال والشأن أن الموت إذا حضر لا يتأخّر من حضر أجله لحظة ، ولا يتقدم لحظة ، بل ينتقل إلى عالم الموت ، والله تعالى مطلع على جميع الأعمال ، ومحاسب على القليل والكثير .

قال تعالى : فَمَن يَعْمَلْ مِعْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ , * وَمَن يَعْمَلُ مِعْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ . (الزلزلة : ٧ ، ٨) .

التفسيره

٩ - يَنَائِهَا ٱللهِينَ ءَاشُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلَئَدُكُمْ عَن دِخْرِ ٱللهِ وَمَن يَهُمُل ذَالِكَ فَأُولَئِيكَ هُمُ
 التخدسُون .

المال نعمة ، والواد نعمة ، والإسلام يرغب في إنسان متوازن ، يستفيد بالمال في وجوه الحياة ، وما بعد الممات ، ويستفيد بالولد ، وينعم به في توازن واعتدال ، وقد أُمرِّنا بالتوسط في حياتنا ، والتوازن والعمل للدنيا والآخرة .

قال تعالى : وَآيَتِع فِيمَا عَاسَكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ وَلَا قَسَ لَمِيسَكَ مِنَ ٱلدُّيَّا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِنَّكَ وَلَا تَتِع ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهُ لَا يُعِبُّ ٱلْفُصِيدِينَ . (القصمين ٧٠٠) .

ومعنى الآية التاسعة من سورة المنافقون ما يأثى:

يا أيها الذين آمنوا بالله ربًّا، ويالإسلام دينًا، ويمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً، لا تشغلكم الأموال أو الأولاد أو غيرهما من عرض الدنيا عن ذكر اللّه وطاعته ، وامتذال أمره بإقام المصلاة وإيتاء الزكاة ، وفعل المأمورات وترك المنهيات.

ومن تشقله نعم الله عن ماعة الله ، والمبادرة إلى طاعته فقد خسر آخرته ، وياع چنة عرضها السماوات والأرض بعرض قليل .

قال تعالى : قُلْ مَعَلَعُ ٱلدُّنْيَا قِلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّمَنِ ٱللَّهَىٰ وَ لَا تُظْلَمُونَ فَبِيلاً . (النساء: ٧٧) .

١٠ - وَأَشِفُواْ مِن لَا رَقَطَنُكُم مِّن قَبَلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَّكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لُوْلَاۤ ٱخْرَاتِيٓ إِلَىٓ أَجَلِ قَوِيبٍ فَأَصَّدُقَ وَأَكُن هَنَ ٱلصَّلِيْسِينَ .

أنفقوا وأغرجوا زكاة أموالكم وصدقاتكم ، وتصنفوا من سائر ما رزقكم الله ، من المال والجاء والعلم ، وسائر أنواع المعروف ، حتى قالوا : (حاجة الناس إليكم ، من نعم الله عليكم).

وفى الحديث الشريف: «ماً من يوم إلا وينزل ملكان ، يقول الأول : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الثاني: اللهم أعط ممسكا تلفاء .

والخلاصة:

أعطوا الزكاة والمسدقات ، وأنفقوا مما أعطاكم الله ورزقكم ، من قبل أن ينزل الموت بساحتكم ، ويرى الواحدُ منكم المرت رأى العين ، فيتمنى لو تأجَل موته حتى يأخذ فرصة أخرى فى دار الدنيا ، ليتصدق من المال ، ويتعبد بالصلاة والصيام ، ويفعل الأفعال المسالحة ، ويتزرُّد من سائر ضروب الخير والطاعة .

قال ابن عباس: تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت ، فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل.

١١ - وَلَن يُؤخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ حَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ .

لقد جعل الله الدنيا دار اختبار وابتلاء وامتحان ، والأخرة دار جزاء على الأعمال ، وقضى سبحانه وتعالى ألاً يؤخر أجل إنسان إذا حضر ، فلا يتقدم الأجل عن أوانه ولا يتأخّر .

وفي السنّة المطهرة : «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمّه أربعين يرما نطقة ، ثم أربعين يوما علقة ، ثم أربعين يرما مضفة ، ثم ينفغ فيه الروح ، ثم يكتب أجله ورزقه ، وشقى أن سعيد » ^{(١٠٠}).

وقال تعالى : إِنَّمَا القَّوْلَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّوْةَ بِحَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَوِيبٍ فَأَوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا هَ وَلَيْسَتِ القَوْلَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيَّاتِ حَتَى إِذَا حَصَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُنْتُ الْقَاسَ وَكَا الَّذِينَ يَمُونُونُ وَهُمْ كُفَارًا وُلْقِئِكَ أَعْمَلُونَا لَهُمْ عَذَابُا أَلِيمًا . (النساء: ١٨ . ١٨)

وقال تعالى: وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ ... (الأنعام: ٢٨).

وقال عز شانه : حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمُوْتُ قَالَ رَبُّ ٱرْجِعُونِ ، لَعَلَىٰ أَعْمَلُ صَالِمُنَا فِيمَا تَرَكُتُ كُلَّا إِلَهَا كَلِمُهُ هُوَ قَالِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بُرُوحٌ إِلَىٰ يَعْمُ لِيُسُونُ . (المؤمنين: ۱۰۰،۹۹۰) .

وقال سبحانه وتعالى : فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ . (الأعراف : ٣٤) .

و خلاصة المعنى :

لن يمهل الله نفس إنسان إذا هان أجلها وحضر وقت موتها ، وهو سبحانه وتعالى : خُبِيرٌ بِمَا تُعُمُّرُنَ . أي : مظلم وشاهد على أعمالكم ، وسيجازيكم عليها بالإحسان إحسانا ، وبالسوه سوءا .

ونلمح أن الآية الأولى:

يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَتُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلَنْدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ...

تنبيه على الذكر قبل الموت ، وتحذير من الغفلة والغرور بالدنيا .

أما الآية الثانية:

وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقُنكُم ...

فهى تنبيه على الشكر العملى ، بالإنفاق من المال والجاه والحلم ، وسائر ما رزق الرزّاق سبحانه وتمالى .

: 34141 4 71 ,

تأكيد حقيقة هي: أن الدنيا عمل ولا حساب، والآخرة حساب ولا عمل.

وَٱللَّهُ خَبِيرٌ مِمَا تَعْمَلُونَ .

أى : لو رُدُّ إلى الدنيا ما زَكَى ولا حجَّ ، ويكون ذلك كلوله تعالى : وَلُوْ رُدُّواْ لَمَادُواْ لِمَا نَهُواْ عَنَهُ ... (الأنمام: ۲۸).

* * 1

تضمنت سورة المنافقون شيئين

- (١) وصف المنافقين وبيان سيِّئ خصالهم ، من الكذب والأيمان الفاجرة والجبن .
 - (٢) حدث المؤمنين على الطاعة ، وإنفاق المال قبل انقضاء الأجل .



أهمداف سمورة التغابس

(سورة التفاين مدنية ، وآياتها ١٨ آية ، نزلت بعد سورة التحريم)

والتغابن بمعنى الغبن ، لأن أهل الجنة يغبنون أهل النار ، ويأخذون أماكنهم هي الجنة (١٠٠٠ . أي ينتصر أهل الجنة في ذلك اليوم ، لأنهم أخذوا حقهم مضاعفا .

وقال جار الله: التغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة ، وهو أن يغبن بعضهم بعضا ، لنزول السعداء منازل الأشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ، ونزول الأشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء ، كما ورد في الحديد: ١٠٩٠.

وما من عبد يدخل الجنة إلا يرى مقعده من النار لو أساه ليزداد شكرا، وما من عبد يدخل النار إلا يرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة» . (۱۰۰۹)

قال النيسابورى: يجوز أن يُفسر التغابن بأخذ المظلوم حسنات الظالم ، وحمل الظالم غطايا المظلوم، وإن صنع مجىء التغاين بمعنى الغبن فذلك واضنع فى حق كل مقصر صرف شهنا من استعداده الفطرى فى غير ما أعطى لأجله .

وقال الشيخ مخلوف : يوم التفاين يظهر فيه غين الكافر بتركه الإيمان ، وغين المؤمن بتقصيره في الاحسان . ⁶¹⁹

مع السورة

في الآيات (١-٤) نجد آيات تذكر جلال الخالق المبدع، وتصور قدرة الله القدير:

١ – فهو سبحانه مالك الملك وصاحب الفضل والنعم، وهو القادر القاهر المتصف بصفات الجلال والكمال، وقدرة الله لا حدود لها فهى محيطة بكل شيء، مهيمنة على كل شيء، مدبرة لكل شيء، حافظة لكل شيء، لا يفتر عنها شيء، سواء في ذلك الكبير والصفير، والجليل والحقير. والمؤمن يدرك آثار هذه القدرة ويشعو بجلال الله وعظمته ، وعلمه ووقايته ، وقهره وجبروته ، ورحمته وفضله ، وقريه منه في كل حال .

٧ - وقد خاق الله الإنسان ومنحه الإرادة والاختيار، وميزره يذلك على جميع الموجويات، وأرسل إليه الرسل،
 وأنزل إليه الكتب ليساعده على الإيمان، ومن الناس من يهديه الله للإيمان، ومنهم من يختار الكفر والجمود.

٣ - وقد أبدع الله خلق السماء فرفعها ، ورينها بالنجوم ، وخلق الأرضى وأودع فيها الأقوات ، والجمال إلى والبحال والمجال بين شكل وشكل ، ولكن الله مثع الجميع بكل ما يحتاجون إليه من الآلات الجسدية ، ومن الموافع المعفوية ، ومن الخصائص التي يتفوق بها الإنسان على سائر الأحياء .

3 - وقد أحاط علم الله بالسماء والأرض، والسر والمئن، والمؤمن يحس بإحاطة علم الله به ، ويشعر أنه مكشوف كله لعين الله ، فليس له سر يخفى عليه ، وليست له نية غائرة في الضمير لا يراما وهو الطيم بذات الصدور.

وبهذه المعاني يستقر الإيمان في القلب، ويستقر تعظيم الله والشعور بجلاله ورقابته.

أما الآيتان (٥ ، ٦) فتُذكّران بما أصاب المكتبين للرسل من الهلاك والدمار ، لقد جاءتهم الرسل بالآيات الواضحة ، فاستكثروا أن يكون النبي إنسانا من البشر ، وأعرضوا عن الهدى فأعرض الله عنهم ، وهو سبحانه غنى عن عباده ، محمود على نعمائه .

والآيات (٧ -١٣) تستمرض شبهة الكافرين في البعث وإنكارهم له ، وترد عليهم بأن البعث حقيقة مؤكدة ، ويتبع البعث الحساب والجزاء ، والإيمان بالله ورسوله هو سبيل النجاة والهداية ، فسيجمع الله المؤمنين والكفار في يوم التفاين .

والتفاين مفاعلة من الغين ، وهو تصوير لما يقع من فوز المؤمنين بالنعيم ، وحرمان الكافرين من كل شىء منه ، ثم صيرورتهم إلى الجحيم ، فهما نصيبان متباعدان ، وكأنما كان هناك سباق للفوز بكل شىء ، وليغين كل فريق مسابقه ففاز فيه المؤمنون وكُنم فيه الكافرين .

إن من آمن وعمل صالحا له جزاؤه في جنة الخلد والفوز العظيم، ومن كفر بالله وكذّب بآياته له عقابه وخلوده في النار وينس المصير.

وإن من أصول الإيمان أن تؤمن بالقضاء والقدر ، وأن تزرى الله مصدر كل شيء ، وأن تقوض إليه الأمر ، وأن تحني رأسك إجلالا لعظمته وتسليما لقضائه وقدره . وطاعة الله وطاعة الرسول طريق الفلاح ، والإعراض عن طاعقهما نذير بالعقاب ، وليس هناك في الكون إلا إله ولحد ، يتوكل عليه المؤمن ويتيقن بوجوده ، ويوحده ويعظمه ، وذلك أساس العقيدة الإسلامية ,

قال تعالى : آللُّهُ لَآ إِلَّاهُ إِلَّاهُو وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتُوكُّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ . (التغابن: ١٣) .

روابط الأسرة

تتجه الآبات الأخيرة من السورة لبناء المجتمع ، وتهذيب العاطفة ، وتوجيه العلاقات الأسرية الوجهة السليمة ، لذلك يقول الغيروزيادى : سورة التفاين مكية إلاّ آخرها : إِنَّ مِنْ أَزُولَّ حِكُمْ وَأَوْلَـّادِكُمْ ... إلى آخر السورة (۱٬۰۰۰).

فالآيات الأولى من السورة شبيهة بالآيات المكية في بناء العقيدة ، وتأكيد معنى الألوهية ، وبيان صفات الله وكمالاته ، أما الآيات الأخيرة من السورة فتتجه لبناء مجتمع سليم .

وفي تفسير مقاتل وابن جرير الطبرى أن الآية نزلت في قوم كانوا أرائوا الإسلام والهجرة ، ففيطهم عن ذلك أزواجهم وأولادهم .

وردى ابن جرير عن عكرمة أن رجلا سأل ابن عباس عن قوله تمالى : يُلْأَيُّهَا ٱلَّلِينَ وَاسْقًا إِنَّ مِنْ أَوْوَحِكُمْ وَأَوْلَئَادِكُمْ عَلُوا لَكُمْ فَآخَذَرُوهُمْ ... (التنابن:١٤) . قال : هوّلاء رجال أسلموا ، فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ بالمدينة ، فلما أتوا رسول الله ﷺ ورأوا الناس قد فقهوا في الدين ، هموا أن يعاقبوهم ""، فأنذ أن تُعقّوزُ وَتَفَهُرُوا إَنْ ٱللهُ فَهُورٌ وُحِيمٌ .

فينبقى ألا تشغل المكلف زوجته ولا أولاده عن طاعة الله ، وأن تكون أسرته وسيلة لمرضاة ربه ، ومعينة له على الصلاح والإصلاح ، إن الله يمتحن الإنسان بالمال والولد ، فالمؤمن يتخذ ماله وسيلة لمرضاة ربه ، ويجعل من ولده أثرا صالحا ، وعند الله الأجر الأكبر لمن أحسن استخدام ماله وولده في طريق الخير والإحسان .

روى الإمام أحمد: أن رسول الله ﷺ كان يخطب، فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحطهما ، ووضعهما بين يديه ، ثم قال : «صدق الله ورسوله : إِنَّمَا أُمْرِّالُكُمُّ وَالْوَلْدُكُمُّ فِتَمَّد نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران حتى قطعت حديثي ورفعتهما». (١٩٠٥) وفي الأفر : الولد مجينة مبخلة ، أي : يجعل والده جبانا ويخيلا ، رغبة من الأب في توفير الحماية والمال لولده .

والإسلام يهذب الغرائز ، وينمى الفطرة ويوجُهها إلى الوجهة السليمة ، فيأمر بالاعتدال في حب المال والولد ، ويحدَّر من الافتتان بهما ، وإذا طلبت الزوجة أو الأولاد ما يغضب الله فحذار من طاعتهما ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

وكل ما قد ترى تفنى بشاشته يبقى الإله ويفنى الأهل والولد

وفى آخر السورة دعوة إلى تقوى الله قدر الطاقة والاستطاعة ، وحث على الصدقة والإحسان ، وتحذير من البخل والشج : إِنْ تُقْرِضُواْ ٱللّهَ قُرْضًا حَسَنًا ... (النغابن : ١٧) . وتقدموا صدقة للفقراء ، وعملا صالحا فى مرضاة الله ، فإن الله يضاعف الثواب لكم إلى سبعمائة ضعف ، ويصفح عن عقويتكم ، ويشكر لكم أعمالكم، وهو سبحانه شكرر حليم ، فالله صاحب الفضل والنعم ، يطلب من عبده فضل ما أعطاء ، ثم يشكر لعبده ويعامله بالحلم والعفو عن التقصير ، فما أجمل الله وما أعظم حلمه ، وما أوسع رحمته وفضله .

وفي الآية الأخيرة تظهر صفات الجلال والكمال ، فهو سبحانه ، عَلْمُ ٱلْفَيْبِ . أي : ما لا يراه العباد ويغيب عن أبصارهم ، وَٱلنَّهُنَادُوْ . أي : ما يشاهدونه فيرونه بأبصارهم (۱٬۱۱ ، فكل شيء مكشوف لعلمه خاضع لسلطانه ، مدير بحكمته ، وهو العزيز الغالب ، الحكيم في تدبير خلقه وصرفه إياهم فيما يصلحهم .

المعنى الإجمالي للسورة

قال الفيروزبادى :

معظم مقصود سورة التغابن: بيان تسبيح المخلوقات، والحكمة في تخليق الخلق، والشكلية من القرن الماضية ، وإنكار الكفار البعث والقيامة ، وبيان الثواب والعقاب، والإخبار عن عداوة الأهل والأولاد، والأمر بالتقوى حسب الاستطاعة، وتضعيف ثواب المتقين، والخبر عن الحلاع الحق على عام الفيد في المنافذة ، خلائم المنافذة المناف

مظاهر قدرة الله

﴿ يُسَيَّحُ بِلَهِ مَا فِي السَّمَوَتِ وَمَا فِي الْأَرْضُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمَّةُ وَهُوعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرُ ﴿ هُوَ اللَّهِ عَالَمَهُ مُواللَّهُ مِمَا فَمَمَلُونَ بَصِيرُ ﴿ اللَّهِ مَا لَمْمَلُونَ بَصِيرُ ﴿ ۞ خَلَقَ السَّمَوَتِ وَاللَّهُ وَمِا لَمْ مُؤْمِنًا فَاللَّهُ مَا اللَّهُ مَا لَيْهِ الْمَصِيرُ ۞ يَعْلَمُ مَا فِي اللَّهُ مَا لَيْهُ مَا فَيْمُ مَا فَيْمُ مَا فَيْمُ مَا فَيْمُ مَا فَيْمُ وَوَاللَّهُ عَلِيمٌ إِذَا اللَّهُ مُورِ ۞ ﴾ السَّمَوَتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ إِذَا اللَّهُ مُورِ ۞ ﴾

المفردات:

ي منزّه ويقدس ويمجّد.

ما هي السماوات وما هي الأرض و جميع المخلوقات في السماوات والأرض ، بدلائتها على كماله واستغنائه .

همنكم كاهر ومنكم مؤمن ، قال الشوكاني : خلق الكافر وكفره فعل له وكسب ، وخلق المؤمن وإيمانه فعل له وكسب . والكافر يكفر ويختار الكفر ، والمؤمن يؤمن ويختار الإيمان ، والكل بإذن الله ، وما تشامون إلا أن يشاء الله .

ه احسسن مستورك م : أتقنها وأحكمها ، وجعلكم أنموذج جميع المخلوقات ، كمال قال تعالى : في أُحْسَنِ . تُقُومِ . (التين : ٤) .

المسمعسسييسود المرجع والمآل.

والله عليم بثات المسدور : عليم بحديث النفس ، وخطرات القلب والسرّ ، فلا يخفى عليه شىء كليًّا أو جزئيًّا. وعلمه بجميع الأشياء على سواء .

تمهيده

تدل الآيات الأولى من سورة التغابن على كمال قدرة الله ، وواسع علمه ، واطّلاعه على كل شيء ، فجميع المخلوقات تسبّع بحمده ، إمّا بلسان الحال ، بمعنى أن الكون البديع المنظّم المتكامل يدلّ على كمال القدرة لخالقه سبحانه وتمالى .

وإما بلسان المقال ، كما قال سبحانه وتعالى : رَإِنْ مِّن خَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَلْكِن لَا فَقَفَهُونَ تُمْبِيحُهُمْ.. (الإسراء: ٤٤) .

وهو سبحانه صاحب الملك وحده ، والمستحق للحمد دون سواه ، وإذا شكرنا العباد فلأنهم سبب شاهر ، والمسيب الحقيقيّ من الله تمالي .

وهو سبحانه القادر على كل شيء قدرة مطلقة ، فلا يعجزه شيء وهو سبحانه فعال لما يريد.

وهو سبحانه خلق الخلق ، ومنحهم الإرادة والاختيار ، والكسب والقدرة على التُصرُّف ، فمنهم من اختار الكفر ، ومنهم من اختار الإيمان ، والله تعالى مطّلع على كلّ شيء ، وسيجازي كل إنسان حسب عمله .

الله خالق السماوات والأرض بالحق والعدل ، فرضع الأرض للأنام ، وجعل فيها معايش للإنسان ، وسخّر للإنسان السماء وسائر ما في الكون ، كما خلقه في أحسن تقويم وأفضل صورة ، وإليهُ سبحاته وتمالي المرجع والمصير .

والله تعالى عالم بكل مخلوقاته في السماوات والأرض، وعليم بكل السرّ والعلن، وهو سبحانه عليم بالخفايا والنوايا، وعلمه شامل للظاهر والباطن، وخلجات النفس، وخفايا الصدور، وتنكشف أمامه جميع الموجودات انكشافًا تامًّا دون سبق خفاء.

التفسيره

١ - يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلَّ ضَيْءٍ قَدِيرٌ .

كل شيء في الكون خاضع لقدرة الله ، مؤمن برجود الله ، مسبّع ومعظّم ومنزّه للّه عن كل نقص ، ومعترف له يكل كمّال ، فالملك لله وحده ، والحمد لله وحده ، وملك الناس أمر عارض ومنقل ، وشكرنا للناس هو شكر لمن أجرى الله النعمة على يديه ، فالمخلوق سبب ظاهر ، والمسبب الحقيقي هو الله تعالى .

وَهُوَ عَلَىٰ كُلُّ شَيْءٍ قَلْمِيرٌ .

والقدرة صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى ، فهو خالق الأكران ، ورازق الأكوان ، ومدبّر الملك والخلق ، وهو فكال لما يريد ، لا حدود لقدرته ، ولا رادٌ لأمره .

قال تعالى : إِنَّمَا أَمْرُهُ ۚ إِذَا أَرَادَ شَيًّا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ . (يس : ٨٧) .

فإذا أراد إيجاد شيء امتال ووجد في سرعة قول القائل كُن ، وامتثال الشيء ووجوده في الحال ، فكل شيء في الكون خالهم لقدرته ومشيئته وإرادته .

إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَلِيلٌ . (البقرة : ٢٠) .

٢ - هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّوامِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ .

الله تعالى خالق كلّ شيء ، وقد خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وسخَر له كلّ شيء في الكون ، وكرّم الله الإنسان شفلقه بيده ، ونفع فيه من روحه ، وأسجد له الملائكة ، ومنحه العقل والإرادة والاختيار وجعل الإنسان مكونا من جسم رورح ، جامعا بين القوى البدنية والقوى الطوية .

قمن الناس من المقتار الكفر والضلال والإلحاد بكسبه وإرادته ، ومن الناس من المقتار الإيمان والطاعة والهداية ، والسير على المعراط المستقيم ، فسار مع الفطرة الإلهية ، واتسق مع الكون ، لأن الكون كله خاضع لأمر الله ، مسبّع جحده ، والإنسان مؤمن بالقطرة .

قال رسل الله ﷺ: «كل مولود يولد على القطرة ، كما تولد الههيمة هل تحسُّون فيها من جدعاء ؟ فأبواء يهرّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه» . (۱۰۰ (رواه البخاري) .

وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَعِيرٌ .

هو تعالى مطلع على أعمالكم ، وسيجازيكم عليها بالعدل ، وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا . (الكهف: ٤٩) .

قال الطيرى:

فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّوْمِنٌ ...

أى: منكم كافر بخالقه ، وأنه هو الذي خلقه ، ومنكم مصدّق به مؤمن أنَّه خالقه ويارته .

٣ - خَلَقَ ٱلسَّمَلُواتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ.

خلق السماوات والأرض بالحكمة البالغة ، وجعل الأرض مستقرا للإنسان ، وألهمه أداء مهمته ، ولم يخلق السماوات والأرض عبثا بدون هدف ، بل خلقهما بالحق والعدل ، ومن الحقّ أن يكافئ الطائع ، وأن يماسب ويعاقب العاصي .

وَصَوْرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ...

خلق الإنسان في أبدع صورة ، وأكمل هيئة ، ومنحه العقل والقوى الظاهرة والباطنة ، وأعطاه العقل والقدرة على الإبداع ، واستنباط المجهول من المعلوم ، وخلقه قائما منتصبا في أجمل شكل ، وشق له في وجهه للنظر عينين ، وللسمع أذنين ، ولسانا وشفتين ، وهداه النجدين ، وبين له الطريقين ، والجمال متفاوت ، والحسن متفاوت ، وكل إنسان قد أوتى نصيبا من الجمال ، بيد أن هناك الحَسَنَ والأحسن ، كما أن هناك العالم والأعلم : وكُلُّ وَلَا يُحَامِّ عَلِيمٌ ، (يوسف: ٢٧).

جاء في تفسير الآلوسي:

قالت الحكماء : شيئان لا غاية لهما : الجمال والبيان ،

وقال القرطبي :

فإن قيل: كيف أحسن معورهم؟

قبل له : جملهم أحسن الحيوان كلُّه ، وأبهاه صورة ، بدليل أن الإنسان لا يتمنَّى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر المئير ، ومن حسن صورته أنّه خُلق منتصبا غير منكبُّ ، اهـ .

إنّ روح الإنسان مؤهلة للسمو الروحى ، والقالق في عالم الروحانيات ، بمحبة الله وعبادته وتسبيحه وتقديسه ، وتكبيره والالتجاء إليه ، والثفكّر في خلقه ، والثملّي بجمال مظوقاته .

ويدن الإنسان من عالم الأشباح ، وهذا التركيب من خصائص الإنسان ، فقيه جزء طيني أرضى هو الجسم ، وفيه فيض نفضة روح الله تعالى .

قال تعالى : إِنِّى خَلِقِقْ بْشُرًا مِّن طِينِ هِ فَإِذَا سَوْيَقُهُ وَلَفَحْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَمُر سَلْحِلِينَ . (ص : ٧٢٠٧١)

وقال الشاعر:

وترعم أنك جرره صغيسر وفيك انطوى العالم الأكبر

وَإِنَّهِ ٱلْمُصِيرُ . المرجع والمآل ، والحساب والجزاء .

٤ - يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَنوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُودِ .

هو العليم بكل شيء .

قال تعالى : وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعَلَمُهَا وَلَا حَبِّةٍ فِي ظُلَمَنتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبَو وَلَا يَابِسِ إِلَّا فِي يَجْسُب شَينِ. (الانعام: 40).

هو العليم الخبير بسائر الموجودات في السماوات والأرض.

إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . (المجادلة : ٧) .

وهن العليم بالغيب والشهادة ، أي بما غاب عن الحسُّ وما ظهر أمام الحسَّ ، وهو مطلع على السرّ والعلن ، فلا تخفي عليه خافية .

قال تعالى: مَا يَكُونُ مِن نُعَوَى اَلَكَةٍ إِلَّاهُوَ رَابِعُهُمْ وَ لَا خَمْسَةٍ إِلَّاهُوَ صَادِسُهُمْ وَلَآ أَمْنَى مِن ذَالِكَ وَلَآ أَكُمْنَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا فُوْ يُسْتُهُم بِمَا عَبِلُواْ يُوْمَ ٱلْقِينَامَةٍ إِنَّ اللّهَ يَكُل شَيْءَ عَلِيمٍ . (السياملة : ٧) .

وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِلَمَاتِ ٱلصُّدُورِ .

هو عليم بما تكنُّه الصدور وما تخفيه ، فهو مطلع على الأسرار وخفايا الضمائر .

يا عالم الأسرار حسبي محنة عليمي بأنك عالم الأسرار

قال تعالى : وَلْقَدْ خَلْقُنَا ٱلْإِنسَلْنَ وَلَعْلَمُ مَا تُوَسُوِسُ بِهِ لَفْسُهُ, وَلَحْنُ ٱلْقَرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيلاِ . (ق: ١٦).

تأنيب المكذبين للرسل

﴿ أَلَرُ يَأْتِكُونَبُوُ اللَّذِينَ كَفُرُوا مِن قَبْلُ فَذَا قُوا وَبَالَ أَمْرِهِ وَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّهُ. كَانَتَ تَأْنِهِمْ رُسُلُهُمْ بِٱلْبِيَنَتِ فَقَالُواْ أَبَشَرٌ يَهَدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَقَوْلُواْ وَاَسْتَغْنَ اللَّهُ وَاللَّهُ عَنِيُّ حَيدُ ۖ ۞ ﴾

المفردات :

وبال أمرهم ، سوء عاقبة كفرهم في الدنيا .

- وإ _ وا ، أعرضوا عن الإيمان بالرُّسل .

تمهيده

حقل القرآن الكريم بكثير من قصمى السَّابقين المكتبين للرسل ، الذين أهلكهم الله ، كقوم نوح ، وعاد وثمود ، وفرعون وملته ، وقوم لوط ، وهذه القصمى كانت متداولة بين المشركين ، فقد وردت فى التوراة والإنجيل ، وإذا ترجح لدينا أن سورة التغاين مدنية ، يكون القرآن المكيِّ قد حفل بقصص المكتبين للرسل ، وانتقام الله منهم .

وهنا يذكر المنثركين ، ويقول لهم : ألم يصل إلى أسماعكم أشهار المكذّبين للزُّسل من الأمم السابقة ، الذين استمقوا الهلاك ، وذاقوا عاقبة كغرهم فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب أليم ، وهذا الهلاك بسبب أن رسلهم جاءت إليهم بالبينات والمعجزات ، وأساليب للهداية والإيمان ، فكابروا وقالوا : أنوّمن لبشر مثلنا لا يتميز علينا بشىء ، وأعرضوا عن الإيمان ، واستفنى الله عن إيمانهم ، فأهلكهم الله ، والله غنى عن عباده ، ممورد على حسن فعاله .

التفسيره

آلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَوُّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ ٱلِيمْ .

ألم يصل إلى أسماعكم -- لتعتبروا وتتعظو -- خير الذين كفروا بالله وكذبوا رسل الله إليهم ، كقوم فوح وعاد وثمود ، وقوم لوط ، لقد أغرقهم الله أن أملكهم بأنواع مهلكة مدمرة ، كالصاعقة والخسف والمطر بحجارة مهلكة ، فنالوا عاقبة كفرهم ، وذاقوا عاقبة عصيانهم في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب أليم في نار جهنم ، ٧ - ذَٰ لِكَ بِأَنْهُ, كَامَت تَأْتِهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيَّنْتِ فَقَالُواْ أَيْشَرْ يَهَدُونَا فَكَفَرُواْ وَيَوَلُّواْ وَآسَتَغَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيَّ صَمِدٌ.

ذلك الذي أصابهم من عذاب الدنيا وسعير جهنم في الآخرة بسبب أن الرسل جاءت إليهم بالآيات البينات وألوان الهداية والمعجزات، فقالوا: لا نتبع بشرًا مثلنا.

والله تعالى حكيم عليم - حيث أرسل الرسل إلى البشر من جنسهم ، ليكون الرسول قدوة عملية ، ونمونجا عمليا ، ولو كانت أقوام الرسل ملائكة تمشى مطمئنة في الأرض لأنزل الله عليهم ملكا رسولا ، لكنّ حكمته قد اقتضت أن يكون الرسول من جنس المرسل إليهم ، يتكلم بلغتهم ، ويحسّ بإحساسهم ، ويتحاور معهم باللغة التي يفهمونها .

قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رُّسُولِ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ... (إبراهيم: ٤) .

ومن فضل الله أن يمنَ على بعض البشر بالرسالة ، فيصطفيهم ويختارهم : ٱللهُ أَعْلَمُ حَبُّ يُجْعَلُ رسَاكَهُر... (الأنماء: ١٢٤). ثم يُرسل أمين الوحى إليهم بالرسالة والنّبوة ، ويذلك يتم فضل الله .

قال تمالى : وُسُلاً مُبْشِرِينَ وَمُدْدِرِينَ فِلاَ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُبِثَةً بَعُدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَجَيمًا . (النساء : 100)

والخلاصة:

إن عذاب المكذبين وهلاكهم بسبب أنهم قابلوا رسلهم بالتكذيب والإعراض ، والله غنى عنهم لا ينفعه إيمانهم ، ولا يضره كفرهم ، وهو سيحانه غنى عن خَلَقه ، محمود على حسن فعله .

قال تعالى: يَنْأَيُّهَا آثَاسُ أَشُمُ ٱلْفَقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ مُو الْفَيُّ الْحَمِيدُ ، إِن يَشَأ يُذْهِبُكُمْ وَيَأْت بِمُلْقِ جَدِيدٍ ، وَمَا ذَالِكَ عَلَى اللهِ بِعَرِيزِ . (داهار: ١٥ – ١٧) .

يوم التفابن

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَ لَنَيْمَ قُواْ قُلْ فَلَ وَدَوِ الْتُعَثَّنَّ ثُمَّ لَلْنَقِوْنَ بِمَا عَمِلْتُ وَوَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرُّ ۞ فَامِنُوا بِاللّهِ وَرَيْسُ مِلْ اللّهِ مِلْكَ مَنْ اللّهِ مِلْكَ مَنْ اللّهِ عَلَى اللّهِ مِلْكَ مَنْ اللّهِ مَنْ اللّهِ مَنْ اللّهِ مَنْ اللّهِ مَنْ اللّهُ مِلْكَ اللّهَ مِنْ اللّهَ عَلَى مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ

المفردات،

رْصم النائيسُ كشروا ، الزُّعم : ادعاء العلم ، أي : ادعوا كذبا أنَّهم لن يُبعثوا أحياء من قبورهم .

قل بدى وريس ثتبعثن ، قل لهم يا رسولنا : بلى لتبعثن ، ثم لتنبؤن بما عملتم .

· يسوم الستسفسايس ، هو يوم القيامة ، وسمّى يوم التغابن لأن الكافر غبن نفسه وظلمها بترك الإيمان ، أما المؤمن فيفين نفسه لتقصيره في الطاعات والإيمان .

تمهيده

يستعرض القرآن شبه الكافرين ، حيث أنكروا البعث والحش والحساب ، فأقسم الحق أن البعث حق ، ويتبعه الجزاء العادل ، وأن البعث هبّن يسير على الله ، فمن خلق الخلق في الابتداء قادر على إعادتهم يوم القيامة .

ثم دعاهم اللَّه إلى الإيمان باللُّه ربًّا ، ويمحمد رسولاً ، ويالقرآن الكريم نوراً وهداية ، والله لحبير ومطّلع على الظاهر والمباطن .

سيجمع الله الخاق في يوم الجمع ، حيث يجتمع فيه الأولون والآخرون ، وهو يوم التغابن ، فقد غُبِنَ الكفار الكفار الكفار وين المؤمنون ، فالمؤمنون ، فالمؤمنون باغوا ديناهم واشتروا جنة عرضها السماوات والأرض ، أما الكفار فقد باعوا نصيبهم في الجنة بعرض قليل من الدنيا وزهرتها ، ثم بين الله أن للمؤمن بالله – الذي عمل صالحا – جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ونعم المصير مصير المنقين ، أما الكافر فمآله جهنم ويئس المصير .

التفسيره

٧ - زَعَمُ ٱللَّذِينَ كَفَرُواْ أَن لَّن يُنْعَوُّواْ قُلْ بَلَيْ وَرَبِّي كَتْعَفُّنْ ثُمَّ لَتَنبُّونَ بمَا عَمِلْتُمْ وَذَالِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ .

ادعى الكفار كذبا أنه لا بعث ولا حشر ولا جزاء ، ولا ثواب ولا عقاب .

قُلْ بَلَيْ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ...

قل لهم يا محمد : أقسم بالله غير حانث أن البحث حق وأن القيامة حق . كَتُخُنُّ . بالتأكيد ، ثم ستخبرون بأعمالكم ، وتحاسبون عليها ، وهذا البحث هين يسير على الله ، كما بدأ الخلق أوّل مرة ، يعيدهم مرة أخرى .

قال تعالى : كَمَا بَدَأَنَا أَوَّلَ خَلْقِ لُعِيدُهُ وَعُدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَلْعِلِينَ . (الأنبياء : ١٠٤) .

وهذه الآية ورد فيها القسم بذات الله تمالى .

قال ابن كثير:

وهذه الآية هي الثالثة التي أمر الله رسوله أن يقسم بربه عز وجل على وقوع الميعاد ووجوده.

فالأولى في يونس: وَيَسْتَنْبُونَكَ أَحَقُّ هُو قُلْ إِي وَرَبِّي إِلَّهُ لَحَقٍّ ... (يونس: ٥٣).

والثانية في سباً: وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفُرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِينَّكُمْ ... (سبا: ٣).

والثالثة : هذه الآية (١٠١١).

٨ = فَتَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِينَ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ .

في الآية السابقة تأكيد لشأن البعث والحشر والحساب، وهذه الآية كالنتيجة لما سبقها.

أى: إذا كان البعث حقيقة ، والحساب والجزاء مؤكّدا ، فآمنوا بالله ريا ، ويمحمد ﷺ نبيا ورسولا ، وبالقرآن كتابا سماويا ، وهو نور أنزله من السماء يضى اللناس حياتهم ، ويرشدهم إلى الإيمان ، ويوضّع لهم أسلوب التعامل ، وبيان الحلال والحرام .

ويرشدهم إلى أخبار السابقين ، وآناب للتعامل في الحياة ، ومشاهد القيامة وأهيارها وأحوالها ، فالقرآن نور منزًّل من عند الله نور السماوات والأرض ، والقرآن هداية من عند الله تعالى .

وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ .

هو مطلع وشاهد، ورقيب وحسيب، وسيحاسبكم يوم القيامة، ويجازيكم على أعمالكم.

وفى معنى هذه الآية قوله تعالى : وَكَذَلِكَ أَوْخَيْنا إِلَيْكَ رُوحًا مُنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكَبْسُهُ وَلَا الْإِيمَدُنُ وَلَلَكِن جَعَلَتُكُ نُورًا لَهُلِيم بِهِ مَن نَشَاءً مِنْ عِبَادِنَا وَإِلَّكَ لَتَهُومَ إِلَيْ فِي السَّمَـٰذُوات وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللّهِ لَصِيرً الْأَمُورُ . (الشغورى: ٥٠ , ٥٠) .

٩ - يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمَ ٱلْجَمْعِ ذَالِكَ يَوْمُ ٱلْتَعَانُن وَمَن يُونِينَ إِلَّالِهِ وَيَفَمَلُ صَالِحًا لِيَكُفْر عَنْهُ صَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلُهُ
 جَنْنت تُحْجِي مِن تُحْبَهِا الْأَنْهَارُ خَلِلِدِينَ فِيهَا آئِمَا ذَالِكَ ٱلْقَاوْرُ ٱلْعَظِيمُ

فى يوم القيامة يجمع الله الأولين والآغرين ، ولذلك سمّى يوم الجمع ، حيث يُحشر الناس من عهد أدم إلى قيام الساعة ، فى وقت واحد ، ومكان واحد ، يراهم المبصر ، ويسمعهم السامع ، وهذا اليوم له أسماء متعددة : فهر يوم القيامة ، والحاقلة ، والزازلة ، والساعة ، والقارعة ، والجائية ، وكلُّها أسماء تدل على الهول الكبير الذى يصيب الناس .

ومن أسماء يوم القيامة : ٱلتَّغُابُنِ - وأساس الغين النقص فى التجارة ، والمغبون من باع صفقته بأقل من ثمنها .

وكأنما كانت الدنيا سباقاً بين المؤمنين والكافرين ، فاز في هذا السباق المؤمنون ، وكان جزارُهم النار ، فالكافر مغيون لأنه باع نصيبه في الجنّة الجنة ، وخسر في هذا السباق الكافرون ، وكان جزارُهم النار ، فالكافر مفارغ من أعراض الدنيا ، والمؤمن غين الكافر ، وأخذ مكانه في الجنة ، فهو غين معنوى ، ففي الحديث الصحيح يقول النبي رضي المنار عبد يدخل الجنة إلا أوى مُعدم من النار لو أساء ليزداد شكرا ، وما من عبد يدخل النار لا أرى مقعده من الجنة إلا أوى أمن

قال القرطبي :

يُوَمُ آلْغَائِسُ . أَى: يرم القيامة ، ... وسمى يوم القيامة بيوم التغاين لأنّه غبن فيه أهل الجنة أهل النار، أَى أَن أَهل الجِنة أخذوا الجِنة ، وأهل النار أخذوا النار ، على طريق المجادلة ، فوقع الغبن على الكافرين ، لأجل مجادلتهم الشر بالخير ، والعذاب بالنعيم .

ثم فسّر القرآن التغابن ببيان الجزاء العظيم ، والنعيم المقيم لأهل الجنة، والغذاب الأليم لأهل النار.

وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَلِيحًا يُكَفَّرُ عَنْهُ سَيَّاتِهِ وَيُدْحِلُهُ جَنْاتِ تَحْوِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ حَلِلِينَ فِيهَا أَبَدُا وَالِكَ آلْهَاذُ ٱلْعَطِيهُ .

فهذا هو الغريق الغائز في سباق التغابن ، فريق من آمن بالله ربًّا ، وعمل عملاً مسالحا ، فجزاؤه محو السيئات ، ومغفرة الذنوب ، ويخول جنات تجرى الأنهار من تحتها ، والخلود الأبدى السرمدي في الْجِنة .

ذَا لِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ .

. هؤلاء السابقون المتفوقون ، الفاتزون بذلك الفوز العظيم ، والجائزة الكبرى ، والتعمة العظمى ، ورَضوان الله وكرامته ، وجائزته في القيامة .

١٠ - وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بَنَّا يَائِمَنَّا أُوْلَنِّكَ أَصْحَلْبُ ٱلنَّارِ خَلِدِينَ فِيهَا وَبْفُسَ ٱلْمُصِيرُ.

وهذا هو نصيب الذين كفرو! بالله ، وجحدوا وجوده ، وكذّبوا بالكتب وبالآيات البيتات والمعجزات الواضحات ، فاستحقق النَّار ماكثين فيها ، كأنهم أصحابها الملازمون لها ، وساءت مصيرا ، ويتس المأل فهاية أهل النار ، فهم في عذاب مقيم ، وهسران مبين .

تلك نهاية السباق ، وخاتمةُ التغابن ، حيث فاز المؤمنون بالجنة ونعيمها ، ونال الكافرون النار وعذابها ، فنم جزاء المتقين الجنة ، ويش عاقبة الكافرين النار ويتس المصير .

اللهم إنا نسألك الجنة ، ونعوذ بك من النار ، ومن عذاب النار ، إنك أنت العزيز الغفّار ، اللهم آمين .

* * *

الإيمان بالقضاء هداية

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَا بِإِذْنِ اللَّهُ وَمَن يُؤْمِنُ إِلَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىّ عِطِيبَّرُ ۞ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولُ فَإِن مَوَلَيْتُمْ وَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَ الْبَلَكُ ٱلْمُدِينُ ۞ اللَّهُ لَآ إِلَهُ إِلَّا هُوَّ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَ لِ الْمُؤْمِنُونَ ۞﴾

المقردات ،

ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ، ما أصابت أحدًا من الناس مصيبة إلا بقضاء الله تعالى وتقديره ذلك عليه.

ومن يؤمن بالله يهد قلبه ، ومن يصدّق بالله فيعلم أنه لا أحد تصبيه مصببة إلا وإننه تعالى ، يهد قلبه اللتسليم ، والرضاء بقضائه ، فيسترجم ويصبر.

تمهيده

هذه آيات تغرس اليقين في القلب ، وترّدي بالمؤمن إلى اليقين الجازم بالقضاء والقدر ، خيره وشرّه ، حلوه ومره ، وقد يتعرض المؤمن للأذي أو الفقر ، أو المرض أو الآلام أو المصابّب ، والمؤمن يلقي ذلك بالصبر واليقين بأن بيد الله كل شيء ، فيصبر على الباساء ، ويشكر على النعماء ، ويرضى بأسباب القضاء .

وفي الآيات دعوة إلى طاعة الله ، وطاعة الرسول ﷺ ، فإن أعرضتم عن الإيمان أبها المشركون ، فضرر ذلك واقع عليكم وحدكم ، وليس على رسولنا محمد ﷺ إلا البلاغ إليكم ، وليس من واجباته هدايتكم .

والله وحده هو الإله المعبود بحق ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، فهم يؤدُّون ما يجب عليهم ، ثم يعتمدون على الله وحده في نجاح سعيهم ، والتوكل غير التواكل .

سبب التزول ،

قيل : سبب نزولها أن الكفار قالوا : لو كان ما عليه المسلمون حقًّا لصانهم الله عن المصائب في الدنيا ، فبيُّن الله تعالى أن ما أصاب من مصيبة في نفس أو مال ، أو قول أن فعل، يقتضى همًّا أن يوجب عقابا عاجلاً أن آجلاً ، فبعلم الله وقضائه . ٢٠٠٩ .

التفسير،

١١ - مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ, وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .

من شأن المؤمن أن يؤمن بالقضاء والقدر ، خيره وبشره ، حلوه ومرّه ، فإذا نزلت بساحته المصائب صبر وتصبرُ وتماسك ، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون .

وقال أيضًا: اللهم اوْجِرتي في مصيبتي وعوضتي خيرًا منها.

أي: ارزقني ثواب ذلك المصاب، وعوضتي خيرًا منه بفضلك.

أخرج البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : «عجبًا للمؤمن ، لا يقضى الله له قضاء إلاّ كان خيرًا له ، إن أمسابته ضـرًاء صبير فكان خيرًا له ، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ». ١٧٩) وقال ابن عباس : بإذْنِ ٱللَّهِ . يعنى عن قدره ومشيئته . اهـ .

وهذا الرضا بالقضاء والقدر يجعل المؤمن راضيًا محتسبًا ، ثابت الجنان ، هادئ النفس.

وَمَن يُوامِنُ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ, ...

إن الإيمان بالله تمالى ، والرفرق بأنه الإله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الفعّال أما يريد ، يجعل القلّ في هداية وصبر ، واحتمال وتماسك .

وقرأ السلمي وقتادة: يُهْدُ قَلْبُه . بضمُّ الياء وفتح الدال ، ورفع الباء على البناء للمجهول .

وقرأ عكرمة : يَهْدَأُ قَلْبُه . بهمزة ساكنة ، ورفع الباء ، أي : يسكن ويطمئن .

وقد وردت عدَّة قراءات في تفسير القرطبي ، وتلتقى جميعها على أنَّ هداية القلب أو هدوء القلب منحة إلهية ، أن هية ربَّانية وعطاء من الله المؤمن الذي المأنَّ إلى قضاء الله وقدره ، فرضى واحتسب وصير ، وتيقن أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطله ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

قَالَ عَلَقْمَةً : وَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ...

هو الرجل تمنيه المصيبة ، فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلُّم .

وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .

أى: هو سبحانه مطلع على خفايا النفوس ، عليم بمن صبر ويمن جزع ، وهو سبحانه يعلم السرّ وأخفى ، فليتق المؤمن ربه ، وليصبر على البأساء ، وليشكر على النعماء ، وليكن راضيا بالقضاء والقدر ، خيره وشره ، حلوه ومرّه .

وضى معنى هدنه الآية قوله تصالى : مَا أَصَابَ مِن مُعِينَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيَ أَشُرِكُمْ إِلَا فِي كِتُلبِ مَن قَبْلِ أَن يُرَافَمَا إِنْ ذَلِكَ عَلَى ٱللهِ يَسِيرَ و لَكَيْلاً تَأْسُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَقْرَضُواْ بِمَا ءَاتَنكُمْ وَٱللّهُ لاَ يُعِبُّ كُلُّ مُخَتَالِ فَصُور . (الحديد: ۲۲،۲۷) .

١٧ - وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرُّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَاحُ ٱلْمُبِينُ.

التزموا طاعة الله فيما أمر به ، وطاعة الرسول فيما يبلغكم به من أوامر وأحكام ، فإن طاعة الرسول طاعة لله . قال تعالى : مِّن يُطِع آلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ آللَّهُ ... (النساء: ٨٠).

فإن أعرضتم أيها المشركون عن الإيمان بالله ورسوله ، وعن طاعة الله وطاعة رسوله ، فإنما إلم ذلك واقع عليكم وحدكم ، وليس على الرسول إلا البلاغ ، أمَّا أمر الهدلية والتوفيق للإيمان فبيد الله وحده ، ومسئولية الإعراض تقع على عاتقكم وحدكم .

قال تعالى : مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ، إِلَّا ٱلْبَلَاحُ ... (المائدة : ٩٩) .

وقال سبحانه : إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَنْغُ ... (الشورى: ٤٨) .

وقال عز شأنه : إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَخْبَبْتَ ... (القصص: ٥٦).

وقال تعالى : لَّيْسَ عَلَيْكَ مُدَرِنْهُمْ وَلَنكِنْ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآهُ ... (البقرة : ٢٧٢) .

١٣ – ٱللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ .

الله عز وجل هو خالق الأكوان ، وهو الإله الدق ، لا معبود بحق سواه ، ولا إله إلا الله ، وكل ما هلاه باطل ، فالأصنام والأوثان ، وعزير والمسيح والملاتكة ، والبقر والشجر ، والشمس والقمر والنجوم ، كلها مخلوقات لله ، مربوبة له ، فهر الإله الواحد ، وكل ما سواه مخلوق مربوب عَبْدٌ لله .

قال تعالى: أَلَا لَهُ ٱلْحَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَلْمِينَ . (الأعراف: ٥٥) .

وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكُّلِ ٱلْمُوْمِنُونَ .

التركّل هو الاعتماد على الله والالتجاه إليه ، والثقة بقدرته ، والركون والاعتماد عليه ، بعد الأخذ بالأسباب .

والتوكل غير التواكل ، فالمتوكِّل هو من يبدر البدرة ، ويعتمد على الله في إنضاج الثمرة .

فالمؤمن مطالب بالأهذ بالأسباب ، وفي نفس الوقت مطالب باليقين الكامل بأن مسبب الأسباب هو الله تعالى ، ويذلك يكون التركّل على الله طاقة إيجابية تحتاج أمرين رئيسيين في وقت واحد :

الأول : العمل اللازم مع إنقائه والرقى به .

قال تعالى: إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَخْسَنَ عَمَلاً. (الكهف: ٣٠) .

الثاني: التوكل على الله ، والثقة به ، واليقين بنصره ، والتضرع إليه والاعتماد عليه .

وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكُّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ .

وقريب من هذه الآية قوله تعالى في سورة إبراهيم:

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَسَوْكُولَ الْفُهُمُونَ ، وَمَا ثَنَا أَلَا نَسَوَّكُلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَمَتَا سُبُلَنَا وَلَعَمْسِونَ عَلَى مَا عَادَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيْسَرُّ كُلُّ الْمُعْتِرُكُونَ . (إمراهيم: ١٢٠١١) .

* * 1

التحذير من فتنة الأزواج والأولاد

﴿ يَمَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَ مِنْ أَزْوَجِكُمْ وَأَوْلَدِ حَمْ عَدُوًا لَكُمْ فَأَخْدُرُوهُمْ وَأَوْلَدِ حَمْ عَدُوًا لَكُمْ فَأَخْدُرُوهُمْ وَأَوْلَدِ حَمْ عَدُوًا لَكَ عَنُورُرُوجِهُمْ اللّهَ عَنُورُرُوجِهُمْ اللّهَ عَنُورُرُوجِهُمْ اللّهَ مَا اسْتَطَعْمُ أَمُولُكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عِنْدُم اللّهُ عَلَيْهُ وَمَن يُوفَ شُحَ نَفْسِهِ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَمْ اللّهُ عَلَيْهُ وَمَن يُوفَ شُحَ نَفْسِهِ عَلَيْ اللّهُ هُمُ المُفْلِحُونَ اللهُ إِن ثَقْرِضُوا اللّهَ فَرَضًا حَسَنَا يُصَافِقُهُ لَكُمْ وَيَعْفِرُ لَكُمْ وَلِللّهُ هُمُ المُفْلِحُونَ اللّهُ عَلِمُ الْفَيْدِ وَالشّهُ لَا اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّ

المفردات

فساحستروهم، فكونوا منهم على حذر ، ولا تطيعوهم .

تسمسفسوا، تتركوا العقوية.

وتصــــــــــــوا، تُعرضوا عن التُّغيير والتأنيب.

تمقيض رواء تستروا ذنويهم وإساءاتهم

فستسنسة: ابتلاء واختبار وامتحان.

ومسن يسوق، ومن يحفظ نفسه.

القرض الحسن : التصدق من الحلال بإخلامي وطيب نفس.

هـ كـ ورء عظيم الفضل والإحسان ، بإعطاء الجزيل على القليل.

عالم القيب؛ ما غاب عن الأنظار ، ويشمل السرّ.

والشبهادة ؛ ما يشاهد بالحسُّ ، ويشمل للعلانية ، فلا بخفي عليه شرع

المعسريسر، القوي في ملكه .

النحكيم؛ المتقنّ في صُنعه وتدبيره.

تمهيده

هذه آیات تربیة وتعلیم من الله تعالی لعباده ، تحذّرهم من أن یکون حبّهم لأزهاچهم وأولادهم حاملاً لهم علی ارتکاب الحرام م کالزوج الذی تحمله زوجته علی هجر ضرتها ، وکالولد الذی یفری آباه بالسرقة أو المذلة .

سأل رجل عبد الله بن عباس عن قوله تعالى : يُنْكَيُهَا ٱلْلِينَ ءَامَثُواْ إِنَّ مِنْ أَزُوَّ حِكُمُ وَٱوْلَـ لُوكُمُ عَلُوّا لُكُمُّ أَنْحَلَّدُوهُمْ ... فقال : هؤلاء رجال أسلموا من مكة ، فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ بالمدينة ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم ، فلما أثوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا في الدين ، فهمّوا أن يعاقبوهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وفيها : وَإِنْ تَنْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْهُواْ أَوْلُواْ اللّهَ عَلُورٌ رَحِيمٌ . ٢٠٥٠.

والمال نعمة ، والولد نعمة ، وقد أمرنا الله أن نشكره سيحانه على النعمة ، بإخراج زكاة المال ، وإخراج الصدقات والكفّارات وصلة الرحم ، والمساهمة في الخيرات والواجبات ، كما أمرنا الإسلام بتربية الأولاد والبنات ، وتعليمهم مكارم الأخلاق وآداب الإسلام والمحافظة على الصلاة ، والتوازن في التربية ، فلا تكن رطبا فتعصر ، ولا صلبا فتكسر ، بل ينبغي أن تكون متوسطا متوازنًا ، تأمر وتنصح ، وتكافئ وتعاقب .

وتأمر الآيات بتقوى الله في رفق وتوسط واعتدال ، ويإنفاق المال واتقاء الشخ والبخل والحرص والجشع ، ثم تحثنا على الصدقة ومساعدة المحتاجين ، فذلك قرض لله ، والله تعالى يضاعف للمؤمن الثواب والجزاء .

التفسب ،

١٤ - يَتَأَيُّهَا ٱللَّذِينَ عَامَتُواْ إِنَّ مِنْ أَزْوَا حِكُمْ وَأَوْلَا يُكُمْ عَنْوا لَكُمْ فَآخَذُو هُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنْ اللَّهُ عَفُورٌ وَجِيمٌ.

نداء إلهى علوى إلى جميع المؤمنين ، محذرا ومبينا أن بعض الأزواج ويعض الأولاد يحملون أزواجهم وأباءهم على بعع ثوابهم وأخرتهم ، وجنات ريهم ، وشراء عرض الحياة الدنيا .

فقد تُزيِّنَ الزُوجِة لِزَوجِها ترك الجهاد ، أن ترك الزكاة أن الصدقة ، أو المساهمة في عمل خير ، أن ترك حقوق ضرتها ، وعدم إعطائها حقها ، فيطبع الزرج زوجته ، والطاعة لا تكون إلا في المعروف ، وقد يطلب الابن طلبا غير متيسر لأبيه من طرق الحلال، فريما ارتكب السرقة أن الرشوة ، أن أخذ المال الحرام أن الشبهات في سبيل مرضاة الابن .

لذلك حذرنا القرآن من طاعة الزوجة التي تأمر بالمنكر ، ومن طاعة الولد الذي يُحرض أباه على الحرام ، قال تعالى : فَآخَلْرُوهُم. أي : كونوا على حذر من طلبات لا تتفق مع مرضاة الله ، وأوامر رسوله وتشريع دينه .

وَإِنْ تَفُولُ أَ عَن دَنويهِم ، وتتجاوزوا عن سيئاتهم التي تقبل العفو ، أن الأخطاء التي أعقبتها توية من الزوجة أو الأولاد .

وَتُصْفُحُواً ، تعرضوا عن التعيير والتأنيب واللوم ،

وَتُقْوُرُواْ . تسامحوهم ، وتأخذوا بأيديهم وتساعدوهم على معذرتهم وتويتهم ، واستقامتهم وسلوكهم المستقيم .

فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رُّحِيمٌ .

فإن من صفات الله المغفرة ، وستر الذنوب ، وقبول التوية ، ومحو السيئات ، فتخلقوا بأخلاق الإسلام ، وسامحوا أزولجكم وأولادكم ، حتى يسامحكم الله ويغفر لكم .

إِنَّمَاۤ أَمُوْ الْكُمْ وَأَوْلَـٰلَدُكُمْ لِنِتَهُ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ أَجْرٌ عَظِيمٌ .

المال والولد فتنة ، بمعنى اهتبار وابتلاء ، لينظر الله إلى سلوك العبد تجاه هذه النعمة ، هل يؤدُّى ذكاة المال ؟ هل يتصدق على المحتاجين ؟ هل يساعد الضعفاء والمساكين ؟ وهل يتقى الله فى الأرلاد ، فيحسن تربيتهم وتطيمهم وتهذيبهم ؟ وهل يتماسك أمام الزوجة. والأولاد ، فلا ينشغل بهم عن حقوق الله عليه ؟

كما قال سبحانه وتعالى : يَنَأَلُهُا الَّذِينَ عَامُواْ الْاَلْهِكُمْ أَنْوَ الْكُمْ زَلَآ أَوْلَئَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفُعَلَ لَالِكَ فَأَوْ لَنَتَكَ هُمُ الْتَحْلِيسُرُونَ . (استناهن: ٩٠).

والمراد بذكر الله : تذكَّره وطاعته ، والتزام أوامره ، واجتناب نواهيه .

وَٱللَّهُ عِندَهُۥ أَجْرٌ عَظِيمٌ .

وعند الله ثواب عظيم ، وجزاء كريم في الدنيا والأخرة ، لمن أثر الحلال من الأموال ، وابتد عن الحرام والشبهات ، وآثر الالتزام بأوامر الله في تربية أولاده وبناته ، فصانهم عن الحرام ، وحثهم على أماء الفرائض ، واجتناب المحرمات ، فهذا أهل للجزاء العظيم عند الله ، حيث يجعله من أهل القربي والزلفي والرضوان والنعيم المقيم .

أخرج البخارى ومسلم ، عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: وإن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نُرْضَى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ؟ فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ قالوا : يارب ، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول : أُملَ عليكم رضواني ، فلا أسخط عليكم أبداً» .(٣٠).

١٩ – فَاتَقُواْ اللَّهُ مَا اَسْتَطَعُتُمْ وَالسَّمُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَفِقُواْ خَيْرًا كَانْفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ لَحَعُ نَفْسِهِ فَأَوْلَئِكَ لَهُمُ الْمُفْلِمُونَ .

ذكر ابن كثير أن هذه الآية ناسخة للتي في آل عمران ، وهي قوله تعالى : يُثَايِّهَا ٱلَّبِينَ وَامْتُوا ٱلْقُوا ٱللَّهُ وَرُعُتُهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهُ ا

أخِرج ابن أبى حاتم ، عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت : أَقُواً اللَّهُ حَقَّ ثَقَايِدِ اشتد على القوم العمل ، فقاموا حتى ررمت عراقيبهم ، وتقرّحت جباههم ، فأنزل الله تخفيفا على المسلمين : فَأَقُواْ ٱللَّهُ مَا آسَّعَفُخُم فنسخت الآية الأولى .

قال المفسرون:

في المأمورات وفضائل الأعمال يأتى الإنسان منها بقدر طاقته ، لتفاوت الهمم والرغبة في الثواب ، فيأتي كل إنسان منها حسب استطاعته ، وأما في المحظورات فلابد من لجتنابها بالكلية، وبدل على ذلك ما رواه الشيفان أن النبي صلى قال : وإذا أمرتكم بأمر فأنثوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوء » """،

وَٱسْمَعُواْ . ما ترُمرون به . وَأَطِيعُواْ . أوامر الله تعالى ورسوله . وَأَلْفِقُواْ خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ . أي : أنفقوا فنى سبيل الله ، وفي مصالح الأمة ، فإن هذه النفقة يكون ثوابها خيرا لأنفسكم مما تكنزونه لورثتكم .

وفي الحديث الشريف: «إن مالك ما قدمت، ومال وارثك ما أخرت».

وَمَن يُوقَ شُحُّ نَفْسِهِ فَأَوْلَلْتِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ .

ومن وقاه الله من داء الشع والهفل ، والجشع والعلمع ، فقد فاز بالفلاح في الدنيا والأخرة ، حيث يحبه أهله وجيرانه وأقاربه وأهل وطنه في الدنيا ، ويتمتع بجنة واسعة ورضوان من الله أكبر في الأخرة.

قال تعالى : مُثَلُ ٱللِّينَ يُفِقُونَ أَنْوَالْهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةِ أَلَيْتَ سَعْ سَتَابِلَ فِي كُلَّ سَنْبُلَةِ مَاقَةً حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُعَدَّمُونُ لَهُنَ يَشَاءُ وَٱللَّهُ وَسِمْ عَلِيمٌ . (البعرة : ٢٦١) .

١٧ - إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَلَعِفْهُ لَكُمْ وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ خَلِيمٌ .

إن تنفقوا أموالكم في مرضاة الله ، والعطف على الفقراء والمساكين ، يضاعف الله لكم الثواب ، ويستر بنويكم ويسامحكم ، ويتفضل عليكم بالمغفرة والجزاء المضاعف في الدنيا والآخرة ، فهو شاكر للمحسن إحسانه ، خَلِحَمُّ ، بالعباد حيث لا يعاجلهم بالعقوية ، ويقبل توية التاليين ، ويضاعف الثواب للمحسنين .

١٨ - غَلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ.

هو سيحانه وتعالى عالم بما غاب ويما حضر ، مطلع على ما غاب وأخفته القلوب في أثنائها ، كعلمه بما هو حاضر وظاهر للعيان .

وهو ، ٱلْتَوْيِلُ . الغالب الذي لا يُغلب ولا يُعَهر ، وهو القاهر فوق عباده . ٱلْحُكِيمُ ، الذي يجري كل أمر على مقتضى حكمته وتدبيره وإرادته سيحانه وتعالى .

خلاصة ما اشتملت عليه سورة التفاين

١ – صفات الله المستى .

٢ -- إنذار المشركين بذكر ما حلَّ بمن قبلهم من الأمم ، مع بيان السبب فيما تالهم من ذلك .

٣ -- إنكار المشركين للبعث ، والردّ عليهم .

٤ -- بيان أن ما يحدث في الكون هو بأمر الله وتقديره.

ه – تسلية الرسول ﷺ بأنه لا يضيره إمىرارهم على الكثر .

٦ - إن من الأزواج والأولاد أعداء للمره .

٧ - الأموال والأولاد فتنة وابتلاء .

٨ - المثُّ على التقوى والإنفاق في سبيل الله.

* * *

تم يحمد الله تعالى تفسير سورة (الطابن) مساه الثلاثاء ٥ من ذي القعدة ١٤٢٧ هـ، العوافق ٣٠ من يناير ٢٠٠١ م ، والحمد لله الذي يتعمته تتم الصالحات ، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصميه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .



أهبداف سيورة الطبلاق

(سورة الطلاق مدنية ، وآياتها ٢ ٩ آية ، نزلت بعد سورة الإنسان)

المثاية بالأسرة،

عنى الإسلام بنظام الأسرة ، ودعا إلى تدعيم روابط السحبة والعودة بين الزوجين ، وجعل الألفة بينهما آيةً من آيات الله .

هَال تعالى : وَمِنْ مَايَاهِهِ أَنْ حَلَقَ لَكُمْ مَنْ أَلْفُسِكُمْ أَزُواجًا لَّشَكَنُواۚ إِلَيْهَا وَجَعَلَ يَتَكُم مُوَدَّةً وَرَحْمَةً ...

(الروم : ۲۱) .

وقد حفل القرآن الكريم بشأن الملاقات الزوجية والمائلية، فحرص على سلامة الأسرة وتأكيد مودة الأبناء الأباء ، ورعاية الأباء الأبناء ، ثم حث الزوج على إحسان معاملة زوجته ، والتسامح معها والمسقح عن بعض هفواتها ، وعدم التسرع في طلاقها ، فلمل البغيض يصبح حبيبا ، ولعل الله أن يرزق الزوجين ثمرة تقوى الزوايط المشتركة بينهما .

هال تمالى : وَمَاجِرُوهُنَّ بِالْمُعُرُوهُ لِ لَإِنْ كَوِهُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَنْ تَكُرُهُواْ خَبِّكُ وَيُعِتَقُلُ ٱللَّهُ فِيهِ عَبْرًا كَثِيرًا. (النساء ١٩٠٠)

«إن الإسلام لا يحارب دوافع الفطرة ولا يستقدرها ، إنما ينظمها ويطهرها ، ويرفعها عن المستوى الحيواني ، ويرفعها عن المستوى الحيواني ، ويرفعها حتى المحور الذي يدور عليه الكثير من الآداب النفسية والاجتماعية ، ويقيم الملاقات الجنسية على أساس من المشاعر الإنسانية الراقية ، التي تجعل من التقاء جسدين التقاء نفسين وقلبهن وروحين ، ويتعبير شامل التقاء إنسانين تربط بينهما حياة مشتركة ، وآمال مشتركة ، وآلام مشتركة ، ومستقبل مشترك ، ينتقى في الذرية المرتقبة ، ويتقابل في الجيل الجديد الذي ينشأ في العش المشترك ، الذي ينشأ في العش المشترك ، الدي يقوم عليه الوالدان حارسين لا يفترقان» . """ .

وقد حظيت تشريعات الأسرة بعناية القرآن والسنة ، والفقه الإسلامي والدراسات الإسلامية .

وندرك من روح الدين الإسلامي ومن تشريعاته رغبته في استقرار الأسرة ، واستمرار الرابطة الزوجية .

«وقد أحاط الإسلام رابطة الزوجية بكل الضمانات التي تكفل استقرارها واستمرارها ، وفي سبيل هذه الغاية يرفعها إلى مرتبة الطاعات ، ويعين على قيامها بمال الدولة للفقراء والفقيرات ، ويفرض الآداب التي تمنع التبرج والفتنة كي تستقر العواطف ، ولا تلتفت القلوب إلى هتاف المتبرجة ، ويفرضُ حدُّ الزنا وحدُّ القذف ، ويجمل للبيوت حرمتها بالاستئذان عليها ، والاستئذان بين أهلها في داخلها، (٣٠)

وفي كتب السنة الصحاح حشد رائع من الأحاديث النبوية الشريفة تتضمن التوصية بالنساء ، وإحسان معاملتين ، وتحليب هواطرهن ، وتجعل طاعة المرأة لزوجها فريضة ، ومحافظتها على بيته وسره وأصلاده حقًّا ولجبًا ، ورعايتها لما تحت يدها أمانة ، وتحت الزوجين علي تقوية الروابط بينهما ، والتماون من أجل وحدة الهدف واستبقاء الحياة الزوجية ، وتربية الأبناء والذرية ... فيقول النبي ﷺ : «استوصوا بالنساء غيرا» (**) . ويقول ﷺ : «كلكم مائع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، الرجل راع وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راع وهي مسئولة عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راع وهي مسئولة عن رعيته ،

الطلاق

نزل القرآن الكريم من عند العليم الخبير ، اليمبير بالنفوس وطبائمها ، والعواطف وجموهها ، والغرائز وتكوينها ، فقد تصاب سفينة الصياة الزوجية بيمض الصدمات والاضطرابات ، وعندئذ يومس القرآن الرجل بالتريث والترقب ، وعدم اتباع الهوى ونزوات الفضس .

فإذا اشتد الفلاف بين الزوجين ، وكثر النزاع بينهما ، فلا مانع من التفاهم بالمعروف على نقاط الغلافي ، ودراسة أسباب النزاع ، ليتمرف كل طرف على ما يؤلمه من الطرف الأخر، وهذه المعرفة يمكن أن تكون وسيلة عملية إلى أن يتجنب كل طرف ما يؤلم شريك حياته ، أن يخفف من هذه الآلام ، وهذا نرح من استدامة العشرة أن تحمل المسيرة .

فإذا لم يُجِّر التفامم الشقمسي بين الزرجين ، وتفاقمت الأمور وتحولت إلى النفور والنشوز ، والنفوذ ، والرغية في الإعراض والفرار ، فليس الطلاق أول خاطر بهدى إليه الإسلام ، بل لابد من محاولة يقوم بها الأخرين ، وتوفيق بحاوله أهل الخبرة والتجرية ، أن أهلُ العلم والمعرفة بشئون الحهاة الزرجية ، أن بعض الأقارب المحلكين .

، قال تعالى: وَإِنْ خِلْتُمْ شِقَاقَ يَنْهِهِمَا فَآيَتُمُواْ حَكُمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكُمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُوبِعَنَا إِصْلَحَا يُوقِي اللَّهُ يَنْهُمَا إِنَّ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا خَسِوًا . (النساء: ٣٠) .

وقال تعالى: وَإِنِ آمَرُأَةُ حَالَتْ مِنْ يَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِغْرَاصًا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا يَنْتَهُمَا صُلْحًا وَالصُلْحُ خَشْ ... (النساء: ١٧٤) . وفي نصوص القرآن والسنة والآثار ما يحضُ على استبقاء الحياة الزوجية ، والقناعة والرضا ، وعدم التطلع إلى الآخرين .

قال تعالى: لا تَمُدُنَّ عَيْنَكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْرَا جًا مِّنْهُمْ ... (الحجر: ٨٨).

ويقول النبي ﷺ : «إن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات ، فإذا تزوجتم فلا تطلقوا» .

وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يريد أن يطلق زرجته ، فسأله عمر عن السبب ، فقال الرجل : إنى لا أعبها ، فقال له عمر : أو كل البيوت تبنى على الحب ؟ فأين التذمم وأين الوفاء ؟

وقد سمى الله الزواج ميثاقا غليظا ، ثم حثُ على حسن العشرة ، أو على الغراق بالمعروف ، والإحسان إلى الزوجة ومكارمتها ، وترك يعض الأموال والمهر تطييبًا لخاطرها ، وتعويضًا لها عما أصابها من أشرار .

قال تعالى : وَإِنْ أَزَوْتُمُ آشَيِّقَالَ وَوْجِ مُكَانَ زَوْجِ وَوَالَيْمُ إِخْدَنَهُمْ تِعْدَنُهُ لِقَازًا فَلَا تَأْخُلُواْ مِنْهُ شَيِّغًا أَتَأْخُلُونَهُ, يُهُتُنَا وَإِنَّمًا شُيِّئًا وَكُنِفَ تَأْخُلُونُهُ رَقَدُ أَلْفَنَى يَعْطُكُمْ إِلَىٰ يَعْضَ وَأَحْذَنَ مِنكُم مَّيِثُنَا فَلِيظًا . (النساء : ۲۰ . ۲۷) .

مع السورة

مما شرعه الله للحد من الطلاق أنه لم يبح الطلاق في كل وقت ، بل أمر بالممبر والتريث والانتظار ، فقد يكرن الرجل واقعا تمت تأثير جامح أن نزوة عارضة .

كما أن المرأة إنسان مرهف الإحساس في حاجة إلى التلطف وحسن المعاملة ، ويتمثل ذلك فيما يأتي :

١ - ينبغى أن يكون الطلاق في طهر لم تجامع فيه المرأة ، حتى تستقبل عدتها بدون تطويل
 عليها ١١١١

 ٢ - ينبغي أن تقيم المرأة في بيت الزوجية ، فهو بيتها ما دامت على ذمة الزوج ، ولا يجوز خروجها
 منه إلا في حالة الضرورة ، بأن يترتب على بقائها في البيت نزاع لا يطاق ، أو إساءة لأهل الزوج ، أو ارتكاب لننوب كبيرة . ٣ – أباح الله للزرج مراجعة زوجته في فترة العدة، ولعل في بقائها في بيت زوجها ما يجعله يعدل
 عن الطلاق، ثم إن القلوب بيد الله وهو سبحانه مقلب القلوب.

قال تعالى : لاَ تَدُرى لَعَلَّ ٱللَّهُ يُحْدِثُ يَعْدَ ذَا لِكَ أَمْرًا . (الطلاق: ١) .

٤ – إذا أتمت العرأة عدتها فيجب أن يمسكها الزوج بالمعروف أو يفارقها بالمعروف ، ولابد من
 الإشهاد على الطلاق أو الرجعة ، حتى تكون الحياة بين الزوجين ناصعة نزيهة .

٥ حـ حـث القرآن على التقوى ومراقبة الله ، وإدراك أن الرزق بيد الله ، والحال رزق ، والترفيق رزق ، والترفيق رزق ، وينبغى أن يكون المؤمن متوكلا على الله فى كل حال ، فهو مقدر الأمور : قَذْ جَعَلَ اللهُ لِكُلُّ شَيْءٍ فَيْ أَلهُ لِكُلُّ اللهِ فَي كل حال ، فهو مقدر الأمور : قَذْ جَعَلَ اللهُ لِكُلُّ شَيْءٍ فَيْنَ الله بِهِ مَا اللهِ عَلَى أَمْ قدر ، وكل شيء مقدر بمقداره ، ويزمانه ويمكانه ويملابساته ، وينشائجه وأسبابه ، وليس شيء مصادفة ، وليس شيء جزافا في هذا الكون كله ، وفي نفس الإنسان وحياته.

 ٦ - لقد بين القرآن في سورة الهقرة عدة المطلقة بأنها ثلاث حيضات ، فإذا حاضت المرأة ثلاث مرات تأكدت من خلو رحمها من الحمل ، ويباح لها الزواج بعد مدة العدة .

قال تعالى : وَٱلْمُطَلَّقَاتُ يَعَرَبُّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ لَلْكَةَ قُرْوَةٍ ... (البقرة : ٢٢٨) .

وفي الآية الرابعة من سورة الطلاق بيان عدة العرأة التي لا تحيض ، إما لصغر سنها أن لكبر سنها . فالمرأة قبل البلوغ لا تحيض ، ويعد سن ٥٠ سنة لا ينزل عليها الحيض . ٢٠٠٩ .

ومثل هذه المرأة عدتها ثلاثة أشهر ، أما المرأة الحامل فعدتها وضع الحمل .

وتتخلل آيات الطلاق دعوة إلى تقوى الله ، ويبان أن هذه الأحكام من عند الله ، ومن يثق الله ويطع أوامره ويمسن معاملة الطرف الأخر، فله أجر عظيم ، وثواب كبير .

٧ - وتفيد الآيتان (٢ ، ٧) أن الزوجة في فترة العدة لا تزال على ذمة الزرج ، ولذلك يجب أن تسكن في سكن مناسب لحالة الزوج ، ولا يصبع أن يحتال الزوج لينزل ضررًا بزوجته ، ومهما طالت فترة الحمل فيجب على الزوج أن يسامم في نفقة الحامل حتى تضع حطلها ، وفي فترة الرضاعة يجب على الزوج أن يساهم في زفقة الرضاعة ، ودفع أجرتها للأم ، وهذه الثفقة تقدر بحال الزوج ويساره أو إعساره .

ويذلك وضم القرآن أصولا يلتزمها كل إنسان ، فالفقير ينفق حسب حالته ، والفنى ينفق مما أعطاه الله ، والأرزاق بيد الله ، فهو سبحانه الميسر ، وهو الرزاق نر القوة المتين .

قال تحالى: لِيَغِينَ فُو سَمَةٍ مِّن سَعَيِهِ وَمَن قَايِرَ عَلَيْهِ رِزْفَةً، فَلَيْغِينَ مِمَّا عَاصَلَهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ فَفُسَا إِلَّا مَا عَاسَمُهَا سَيَجِعَلُ اللَّهُ يَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا. (العلاق: ٧).

٨ - وقد عالجت السورة كل أنواع الكيد والحيل في إمسابة الشريك بالآذي عند إنهاء الحياة الزوجية ، فتقول : وَلاَ تُعَدَّرُوهُنْ . وهي تشمل كل أنواع العنت التي لا يحمدرها نص قانوني مهما اتسع ، وفي الحديث الشريف : دلا ضرر ولا ضراره ، وهي أصل عام يَلْهي المؤمن عن ضرر الناس ، فضلا عن إضراره بعن كانت زوجة له .

وتفيد السورة أن الرزق بهد الله ، وأن الأمل في وجه الله ، ويذلك تنتهى الحياة الزوجية بالأدب الجميل الرفيع ، وبالأمل في استئناف حياة أفضل وأيسر: سَيَجَعَلُ ٱللَّهُ يَعْدُ مُسْرٍ أَسْرًا . (الطلاق: ٧) .

٩ - وفي ختام سورة الطلاق تعرض السورة عدداً من المؤثرات الماطفية ، تظهر فيها قدرة الله
 وجلاله ، فإن تغلب شريك ملى شريكه الأخر ، أن استطاع أن يظلمه ، فليتذكر قدرة الله وعقابه للظالمين :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدر أ الظلم شيعته يفضى إلى الندم تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

فالآيات (٨ - ١٧) وإن كانت في غير موضرع الطلاق، إلا أنها تعرف على نفعة مؤثرة، وتهتف بالقلوب حتى ترقّ، وبالأفندة حتى ترعى جلال الله، فالله تعالى أخذ القرى واحدة بعد أخرى، عندما كذبت برسلها، وقد ساق القرآن هذه العبرة في مصير الذين عنوا عن أمر ربهم ورسله فلم يسمعوا ولم يستجيبوا، وعلق على هذه العبرة على الرؤوس، لتذكر الذاس بالمصير البائس الذي ينتظر من لا يتقى ولا يطبع، كما تذكرهم بنعمة الله على الذاس في إرسال الرسل، وإنزال التشريع لهداية البشر، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

١٠ - والأية الأخيرة فى السورة تشير إلى قدرة الله للمالية الذى خلق السماوات السبع والأرضين السبع ، وهو العليم بما يناسب كل المخلوقات والموجودات فى السماء والأرض ، ثم إن هذه الأحكام موكولة إلى الضمائر ، واليقين الجازم بسعة علم الله واطلاعه على جميم أفعال العباد .

وهكذا تمتتم السورة بما يدعو القلوب إلى الإهبات والإنابة ، فسيحان الحكيم العليم ، الذي أحسن كل شيء خلقه ، وهن الخبير، بما يناسب عباده ، والمطلع على خفايا القلوب ، وهن عليم بذات الصدور .

المعنى الإجمالي للسورة

قال الفيروزبادي :

معظم مقصود سورة الطلاق هو: بيان طلاق السُّنة ، وأحكام العدة ، والتركل على الله في الأمور كلها ، وبيان نفقة النساء حال الحمل والرضاعة ، وبيان عقوبة المعتدين وعذابهم ، وأن التكليف على قدر الطاقة ، وليان الحاصة ، وبيان إحاطة العلم والقدرة في قوله تعالى : ٱللَّهُ ٱللَّذِي عَلَقَ سَبِّعَ سَمُّنَوْتُ وَمِنَ الْرُحْنِ مِفْلُهُ إِيَّانًا العلم والقدرة في قوله تعالى : ٱللَّهُ ٱلذِي عَلَقَ سَبِّعَ سَمُّنَوْتُ وَمِنَ الْمُعْلَى عَلَى اللهِ العلم (القدرة في قوله تعالى : ٱللَّهُ ٱلذِي عَلَقَ سَبِّعَ السَلاق : ١٢٠).

أحكام الطلاق والعدة ، وثمرة التقوى والتوكُّل

بنسي الله الزَّمْ زَارَهِ عِد

﴿ يَتَايُّهُ النَّيْ إِذَا طَلَقَتُمُ النِسَاءَ فَطَلِقُوهُنَ لِعِنَّتِهِ ﴿ وَلَحْمُوا الْعِدَّةُ وَالَّقُوا اللَّهَ وَيَكُمُ مُ الْمَعْرَجُوهُ ﴿ لَا لَكُونُ اللَّهُ وَلَا يَعْرَجُوهُ ﴿ لَا لَا يَأْتِينَ بِفَنحِ شَوْ أَبَيْنِ فُورَاللَّهُ مُدُودُ اللَّهُ وَمَدُودُ اللَّهُ وَمَدُودُ اللَّهُ وَمَدَ ذَلِكَ أَمْرًا اللَّهُ وَمَن يَعَمَّرُونِ الْفَلَ اللَّهُ وَمَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللْحَامِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُعُلِمُ الللْمُ اللَّهُ

المفردات ،

طلقتم النساء؛ أردتم طلاقهن.

المسمنة مستقبلات عدتهن ، بأن تطلقوهن في طهر لاجماع فيه .

وأحصسوا السعسدة ؛ الضبطوها وأكملوها ثلاثة قروء كوامل.

الفاحشة المبيئة؛ هي ارتكاب ما يوجب الحدّ، أو البّذاء على الأحماء أو على الزوج.

حسناوه السلسة : شرائعة التي أمريها ونهي عن تركها .

ظلم تنسبه الضريها .

بالفن أجاهن ، قاربن انتهاء العدة .

ه امسکوهان و فراجعوهان .

ي مسمسروف، مع حسن عشرة ،

وارقوهن بمعروف مم إعطاء الحق ، واتقاء المضارّة.

....السبغ أمسره : منفذ حكمه وقضائه في خلقه ، يفعل ما يشاء .

قيان الماء تقديرًا وتوقيتًا .

تمهيك د

أمر الله المؤمنين أن يُطلَقوا نساءهم في الطهر الذي يحسب لهن من عدتهن ، ويجب إحصاء العدّة وضبطها ، وهي ثلاثة قروء ، ويجب أن تقهم المعتدة في بيت الزرج ، خصوصا إذا لم يكن لها بيت أن أسرة تقهم معها ، ولا تخرج إلا إذا كانت مرتكبة للمنكرات ، أو بذيئة اللسان على الأحماء ، هذه أحكام الله وتشريعاته ، ومن يتعد أحكام الله فقد ظلم نفسه وعرضها للمهالك في الدنيا والآخرة ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة – والحكمة في بقاء الزرجة في بيت الزرج سهولة مراجعتها .

ثم خيرً القرآن الرجل عند نهاية العدّة بين أمرين ، هما :

١ - الإمساك بمعروف.

٢ - الطلاق بإحسان ، وإعطاء الزوجة كامل حقوقها ، ويجب الإشهاد على الطلاق وعلى الرجعة .

وهذه الأحكام إنما شرعت لمصلحة الطرفين ، وعلى الجميع التمسك بتقوى الله والتوكل عليه ، وأمور الحياة كلها بتقدير الله وقضائه وقدره .

التفسيره

1 - يَتَأَيُّهَا اللَّهِيُّ إِذَا طَلَقَتُمُ الشَمَّاءُ فَطَلَقُوهُنَّ لِمِلْتِهِنَّ وَأَخْصُواْ اللِّمَةَ وَالْقُواْ اللَّهَ وَبَكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ يُعْرِفِنَ وَلا يَحْرُجُنَ إِلاَّ أَن يُأْمِنَ بِفَلَحِلْةٍ مُبَيَّتِهِ وَبِلْكَ خَلُودُ اللَّهِ وَمَن يَنْعَدُّ خَلُودُ اللَّهِ يَعْدَبُ بَعْدُ ذَالِكَ أَمْرًا .

يا أيها النبيّ ، قل لأمتك : إذا أريتم تطليق النساء فالزموا طريق السُّنَّة في تطليقهن .

وطلاق السنة : أن تطلق الزوجة في طهر لم تجامع فيه .

وطلاق البدعة : أن تطلق في الحيض ، أو في طهر جامعها زوجها فيه ، إذ ريما يظهر أنُّها حامل فيندم زوجها على الطلاق .

عودُ إلى تفسير الآية

إذا عزمتم على طلاق الزرجة ، فأحسنوا هذا الطلاق ، ولا تطيلوا عليها العدة ، فلا يجوز أن تطلّق في ما على طلاق الزرجة ، فأحسنوا هذه ، ويذلك تطلّق المرأة في قُبل عدّتها ، فتستقبل عدّتها بثلاثة أطهار بعد ثلاث حيضات ، ويجب إحصاء العدّة وضبطها ، ومعوفة بدايتها ونهايتها ، لما يترتب عليها من النفقة والإمساك بالمعروف أن التغريق بإحسان ، ومراعاة الله وتقوله بعدم الضرار بالزرجة ، فالطلاق ضرورة نلجاً إليها عند الأضطرار ، وينبغي أن يكون الطلاق مع المكارمة والإحسان ، والإنفاق على الزوجة ، في فترة العدة ، وعدم إخراجها من المسكن الذي كانت تسكن فيه ، ولا تضرح منه إلا إذا ارتكبت فاحدة يجب فيها الحدّ ، أو كانت سليخة اللسان على زرجها أن أحمائها ، وهذه أوامر الله وتشريعاته ، ومن يخالف أمر الله فيطلّق في الحيض ، أو ينزع إلى إيذاء المطلّقة وضررها فقد ظلم نفسه ، حيث خالف أمر الله ، وبدُّ شرف المستولية يوم القيامة .

والحكمة في إقامة الزوجة في منزل الزوجية أن الزوج ربما ندم على الطلاق ، ورغب في استدامة العشرة ، وإعادة زوجته إلى عصمته في فترة العدة ، أو ريما ندمت الزوجة وتحرُّك قلبهما إلى الصلح واستعادة الحياة معا .

لَا تُلْدِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَالِكَ أَمْرًا .

بأن يقذف المحبة في القلوب ، فترغب في الرجعة واستدامة الحياة الزوجية .

والمرأة إذا كانت فى مدة العدّة ، وهى ثلاثة أشهر أو ثلاث حيضات ، فزوجها يملك مراجعتها بدون إذنها ، أما إذا تمت العدّة ومكلت بعد الطلاق ثلاثة أشهر ، يتأخول الطلاق من طلاق رجمى إلى طلاق بالثن ، فلا يستطيع الزرج إرجاعها إلا بعقد جديد ومهر جديد ، وموافقتها على الرجعة ، إذ يصبح من حقها أن تعود لزوجها أو ترفض العودة ، وتختار لنفسها الموافقة على زوج آخر ، أو المكت بدون زوج ، أو ما تختاره لنفسها .

﴿ فَإِذَا بَالْمَنَ أَجَلَهُنَ فَأَصْبِكُوهُنْ بِمَعْرُوهُ وَأَوْ فَاوِقُوهُنْ بِمَعْرُوهُ وَأَشْهِهُ وَأَخْهِهُواْ ذَوَى عَدَارِمُنْكُمْ وَأَلِيمُواْ ٱلشَّهَادَةَ لِلَّهِ وَاللَّهُ إِلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَيْهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُمْ فَعَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ فَعَلَيْهُ مِنْ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عِلَيْهُ عِلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عِلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَالْعِلَمُ وَالْعَلَامُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُوا عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْهُ عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَالِلْعُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا

إذا قاريت الزوجة إتمام العدَّة ، فإن لزوجها اختيار واحد من الثنين :

(أ) أن يراجعها ويعاشرها بالمعروف.

(ب) أن يفارقها بالمعروف فيعطيها مرُهر الصَّداق ، ويعطيها المتعة والنفقة والمكارمة والإحسان ، لأنها كانت تعلَّق آمالها على الحياة مع زوجها ، فينبغى أن يترفق بها ، وييسُّر لها الإقامة والنفقة ، حسب بساره واعسارُه .

والرجعة أن الطلاق أن الزواج كلها تعتاج إلى شهود ، وأقل الشهود رجلان مشهود لهما بالعدالة ، وينبغى أن نقيم الشهادة لوجه الله ومرضاته ، فلا نزدًى الشهادة لمصلحة الزوج ، ولا لمصلحة الزوجة ، بل نزدى الشهادة بالحق والعدل .

وهذه الأوامر كلُّها من أول السورة إلى هذا ، كالطلاق في طهر لم يجامعها فيه ، وإحصاء العدة ، وعدم إغراج المطلقة من بيتها ، والإمساك بالمعروف أو الفراق بالمعروف ، والإشهاد في النكاح والطلاق والرجمة ، والإقساط في الشهادة ، كل ذلك يوصى به الله ، ويأمر به المؤمن ، ويعظنا به فينبغي أن ينفذه المؤمن

وَمَن يَثْنَى ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُ, مَحْرَجًا .

من يراقب أوامر الله ، وينقدُ ما شرعه الله وأمر به ، ويتجنب ما نهى عنه الله ، يجعل الله له مغرجا من كل ضيق ، و يجعل له بعد العسر يسرا ، وبعد الشدّة فرجا ، ويغرّج عنه الغمّ والهمّ الذي يصبيبه ، بسبب الحزن على فراق الزوج أو الزوجة .

٣ -- وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسَبِ وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فَهَوَ حَسَّبُهُۥ إِنَّ اللَّهَ بَسْلِغُ أَشْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ هَيْءٍ قَدْرًا .

والتوكُّل هو الاعتماد على الله تعالى بعد الأخذ بالأسباب.

والمعنى:

ومن يثق بالله تعالى ويعتمد عليه ، كفاه الله ما أهمَّه ، وكان الله له معينا وكافيا في الدنيا والأخرة.

روى الحاكم ، عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مضرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب ».

إِنَّ ٱللَّهَ بَلِلغُ أَمْرِهِ ...

منفذ قضاياه وأحكامه في خلقه ، بما يريده ويشاؤه ، وهو سبحانه فعَّال لما يريد.

فَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا .

أى: جعل الله لكل أمر من الأمور مقدارًا معلوما ، ووقتا محدودًا ، حسب الحكمة الأزلية .

قال تعالى : وَكُلُّ طُيْءٍ عِندُهُ وِهِقَدَارٍ . (الرعد: ٨) . جلّت حكمته تعالى ، وتعاظم تدبيره ، فينبغي للمؤمن أن يثق في حكمته وقدرته ، وأن يتوكل عليه .

قال القرطبي : أي جعل لكل شيء من الشدة والرخاء أجلا ينتهي إليه .

وقد أورد الصافظ لبن كثير في تفسيره طائفة من الآيات والأصاديث والأثار المفيدة ، ننقل منها ما يأتي :

روى أحمد ، والنسائى ، وابن ماجة أن رسول الله ﷺ قال : «إن العبد ليُحرم الرزق بالذنب يصبيه ، ولا يردّ القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البرّة . (٣٠)

وروى ابن أبى حاتم ، عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال : «من انقطع إلى الله كفاه الله كلّ مؤنة ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع إلى الدنيا وكله إليها» .

وروى أحمد، والترمذى، عن ابن عباس أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يوما، فقال له رسول الله ﷺ وما، فقال له رسول الله ﷺ:

«يا غلام، إنى معلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، لحفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله، وإذا
استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، ولو
اجتمعوا على أن يضرّوك لم يضرّوك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفّت الصحف» (١٣٠)
(قال الترمذي: حسن صحيح).

وقد أورد الشيخ الفاضل لهن عاشور في تفسير التحرير والتنوير حكمة وضع جملة: قَلْ جَعُل آللُهُ لِكُلُّ شَيْء قَلْرًا . بعد بيان أحكام الطلاق والرجعة والإشهاد ، وعدة دوات الأقراء وغيرها ، وكيفية العدة ، فهذه الجملة بمثابة التعليل لمدة العدّة ، وللأمر بالتقوى والتوكل ، فإذا تسامل إنسان : وأين منّى هذا الفرج ؟

جاء الجواب: قَدَ جَعْلَ ٱللَّهُ لِكُلُ شَيْءٍ قَدْرًا . ولهذه الجملة موقع التذبيل لما سبقها من الأحكام أيضاء ، بأنّ كل شيء عنده بمقدار ونظام وإبداع .

عدة اليائسة والصفيرة

﴿ وَالَّتِي بَهِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِسَايِكُوْ إِنِ اَرْبَنْتُدُ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشَّهُ وِ وَالَّتِي لَرْيَحِضْنَّ وَأُوْلَاثُ ٱلْأَخْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمَّلُهُنَّ وَمَن يَنِّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَهُ مِنْ أَشِيهِ يُشْرُانُ وَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ وَإِلَيْكُوْ وَمَن يَنْقِ اللّهَ يُكَفِّرَ عَنْهُ مُنِيَّاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ وَأَجْرًا ۞﴾

المقردات:

والسلائي ينسن ، أي : انقطع عنهن الحيض لكبر سنهن ، وقُدر بستين أو خمس وخمسين سنة .

إن الرقب تم الن شككتم كيف تكون عدة اليائسة .

يكفر عنه سيئاته ، يغفرها له .

و يعظم ثه أجرا: بالمضاعفة.

تمهید ،

في أول سورة الطلاق أمر الله بتطليق النساء لعدَّتهن ، وبيِّن أمر الطلاق والرجعة ...

ثم بيِّن هذا مقدار العدّة للآيسة والصغيرة ، وأنها ثلاثة أشهر ، وعدة الحامل وكرنها بوضع الحمل تتمهما لما ذكره الله في سورة البقرة من عدة ذوات الأقراء ، والمتوفى عنها زوجها .

سبب الثرول ،

أخسرج مقساتل في تفسيره ، أنه لمسا ذكر قسوله تعالى : وَٱلْمُطَلَقَتُ يَتَوَبُّهُمْنُ بِأَلْفَهِ هِنَّ ثَلَنَّهُ قُرْوَةٍ ... (البقرة : ٢٢٨) . قال خلاد بن النعمان : يا رسول الله ، فما عدة التي لم تحض ، وعدة التي انقطع حملها ، وعدة الحبلى ؟ فنزلت : وَٱلنِّنِي يُوسُنَ مِنَ ٱلْمُحِيضِ مِن مُسَائِكُمْ ...

التفسير ،

5 - وَٱلْكَنِي بَيْسَنَ مِنَ ٱلْمُعْرِيضِ مِن نُسْمَاتِكُمْ إِن آرَتَتُمْ فَعِلْمُهُنَّ فَلَكَةُ أَشْهُرٍ وَٱلْكَنِي لَمْ يُعِطَنَ وَأُولَلتَ ٱلْأَحْمَالِرِ
 أَجَلُهُن أَن يَعَدَى حَمْلُهُن وَمَن يَثْق ٱللهُ يَجْعَل لَهُ. مِنْ أَمْرُ هِيْسُرًا .

نجد عناية القرآن بالبيان الكامل لحالات العدّة، فقد سبق في سورة البقرة عدّة المطلقة ذات الأقراء، وهي التي ينزل عليها العيض، فتعتد بنزول ثلاث حيضات عليها ، أن ثلاثة أطهار ، حسب آراء الفقهاء . لقوله تعالى : وَٱلْمُطَلَّقَتْتُ يَتَرَبَّهُنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَافَةَ أُرُوَّةٍ ... (البقرة : ٢٢٨) . .

وقد بين الله عدة المتوفّى عنها زوجها في سورة البقرة ، حيث قال تعالى : وَٱلَّذِينَ يُتَوَفِّرُنَ مِنكُمْ وَيَشُرُونَ أَزْوَا مَا يَتَرْهُمُنَ بِأَنْهُسِينَ أَرْبَعَةَ أَمْهُر وَعُشُرًا ... (ابترة : ٧٣٤).

وقد بين هنا عدة المرأة التي ينست من نزول الدُّم علوبا لبلوغها سنّ الخامسة والخمسين أو الستين ، أو انتقاع الدم عنها لأى سبب قبل ذلك أو بعده ، فعدتها ثلاثة أشهر ، وعدة الصغيرة التي لم ينزل عليها دم الحيض ثلاثة أشهر ، إذا طلق الرجل امرأة ممغيرة قبل أن ينزل عليها دم الحيض ، وكذلك كل امرأة لم ينزل عليها دم الحيض لائى سبب فعدتها ثلاثة أشهر ، وأما المرأة الحامل المطلّقة فإن عدتها وضع الحمل ، سواء كانت العدّة من الطلاق أو من وفاة الزوج ، لأن المقصود من العدّة معرفة براءة الرحم من الحمل ، ووضع الحمل أكبر دليل على تعرُّف ذلك .

معنى الآية:

والنساء الكبيرات في السنّ اللاقي بلغن سنّ اليأس من المحيض، إذا شككتم وتساءلتم كيف تعتد في حالة انقطاع دم الحيض، فالجواب أن عدتهن ثلاثة أشهر، وكذلك النساء الصفيرات إذا طُلَّقَن قبل نزول الحيض عليهن فعدتهن ثلاثة أشهر، أما النساء الحوامل فعدّة الحامل هي وضع الحمل، سواء أكانت العدة من الطلاق أم من الوفاة، وهذا رأى الجمهور.

ورأى الإسام على أن الآية في المطلقات ، أمّا المتوفى عنها زوجها فعدتها آخر الأجلين : الأشهر ، أو وضع الحمل ، وهو مذهب الإسامية .

وَمَن يَتْقِي ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُ, مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا .

و من براقب الله تمالي في تنفيذ أحكام الطلاق ، بيسر الله تمالي له أموره ، ويموّضه ويجعل له من كل هم فرجيا ، ومن كل شيق مخرجيا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب .

٥ - ذَالِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلُهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّق ٱللَّهُ يُكَفَّرْ عَنْهُ سَيَّنَاتِهِ وَيُعْظِمُ لَهُرَ أَجْرًا.

هذه أوامر الله وتشريعاته ، أنزلها إليكم في حكم المطلقات والمعتدات ، فراقبوا الله مراقبة عامة ، وراقبوه في تنفيذ أحكام المطلقات مراقبة خاصة ، ومن يتق الله ويراقبه ، ويتمصن بتقوى الله وخشيته ، يغفر له نذويه ، ويضاعف له الثواب والأجر . , وقد أورد في ظلال القرآن كلامًا طويلاً جميلاً ، خلاصته عناية الإسلام بالأسرة وياانواج ، وبتزويج النقراء والتعاون معهم ، واعتبار الزواج ميثاقا غليظا ، وحتُه على المحافظة على الزواج ، وعدم التُسرع في فصم العلاقة الزوجية ، حيث قال تعالى : وَعَاهِرُوهُنُّ بِٱلْمُعُرُوفِرُ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنْ فَعَسَى ٓ أَنْ تَكُرُهُوا مُبْتًا وَيَجْعَلُ فَصَالِعَا لَا يَعْجَعَلُ أَنْ تَكُرُهُوا مُبْتًا وَيَجْعَلُ أَنْ النصاء ، 14).

ثم أمرنا عند النشوز أن الإعراض من أحد الزرجين بدراسة الحالة ، واستماع وجهة النظر الأحرى ، ومحاولة المسلح بالجهود الذاتية ، فإذا تعسُّر ذلك على الزوجين ، وخيف اتُساع النزاع ، وجب أن نختار . حكمين من أهل الدقل والحكمة الدراسة الحالة ومحاولة المسلح .

فإذا تعسَّرت كل الطرق لم يبق أمامنا إلا الطلاق بشروطه وآدابه المذكورة في صدر سورة الطلاق، والعلاق، وكلها شروط تقصد إلى هدوء النفس، والتريث والانتظار رجاء الرجوع والعدول عن الطلاق، والعودة إلى نظام الأسرة وتعاون الزوجين.

وذلاحظ أنْ سورة الطلاق حافلة بمؤثرات متعددة تحت على تقوى الله والتوكل عليه ، وتحذر من الظلم والعدوان ، ذلك لأن المطلَّق والمطلَّلة ويما حملهما الطلاق على كيد أحدهما للرَّحر أو ظلمه ، فحذَّر الله من الظلم والعدوان ، وحث على التقوى ومراقبة الله ، والعشرة بالمعروف أو الفرقة بالمعروف .

وهي آداب سامية تعتز بها أمة الإسلام ، ويعتز بها المسلم الذي يجد في كتاب ربَّه أبواب السعادة والتوفيق في الدنيا والأمرة .

قال الضحاك : من يتق الله في طلاق السنّة ، يجعل له من أمره يسرًا في الرجعة .

السكنى والنفقة للمعتدة ، وأجر الرضاع

﴿ أَسَكِنُوهُنَ مِن حَيثُ سَكَنَتُ مِن وُجَدِكُمُ وَلاَنْصَارُّوهُنَ لِنَصْيِقُواْ عَلَيْمِنَّ وَإِن كُنَّ أَوْلَتِ حَلِ فَالْفِقُواْ عَلَيْنِ فَحَقَى يَضَعَنَ حَلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعَنَ لَكُوفَنَا تُوهُنَّ أَجُورُهُنَّ وَأَتِمُوا بَيْنَكُمْ مِعْوُوْنِ وَإِن تَعَاسَرُتُمْ فَسَنَّرْضِعُ لَهُ وَأَخْرَىٰ ۞ لِبُنْفِقْ ذُوسَعَةِ مِن سَعَيِقٍ. وَمَن فُدرَعَلَيْدِ رِزْقُهُ. فَلْيُنْفِقْ مِثَا ءَالنَهُ اللَّهُ لاَيُكِلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءَاتَنَهَا شَيَجْعَلُ اللَّهُ بَقَدَ عُشْرِيشً رَا ﴿ ﴾

المضردات :

مسمن وُجسمه على على وسعكم ، وقال الفراء : على قدر طاقتكم .

ولا تضـــازوهـــن ؛ في النققة والسكني .

لتضيعة وا عليهن التلجئوهن إلى الخروج بشغل المكان ، أو بإسكان من لا يردن السكني معه .

المتمروا بينكم بمعروف تشاوروا ، وأن يأمر بعضكم بعضا باليسر والتسامح في الأجرة والإرضناع ، قلا يكن من الأب مماسكة ، ولا من الأب معاسكة .

وإن تسمساسس وتسم، بأن كان من الأب مضايقة ، أو من الأمّ ممانعة .

قىدىلىلەرزقلە؛ غُيْنَ.

آتـــاه الــــلـــه : أعطاه .

إلا مسالتسماه الا بقدر ما أعطاها من الأرزاق ، قلُ أو كثر.

تمهيده

بعد بيان عدة الآيسة والصغيرة والحامل ، ذكر الله تعالى ما يجب للمعتدة من نفقة وسكنى ، بقدر الطاقة ، سواء أكانت مطلقة أم حاملا ، فإذا ولدت الحامل ، فلها الأجر على إرضاع المولود ، فإن لم يتفقا كان على الأب أن يأتى بمرضع أخرى ، يدفع الأبُ نفقتها ، والأم أحق بالإرضاع ، إذا همى رضيت بمثل أجرتها ، والنفقة لكل من الموسر والمعسر على قدر ما يستطيع ، فالله لا يكلّف الإنسان إلا بما يطيق .

التفسيد

٩ - أَسْكِنُوهُنَّ مِن حَيْثُ سَكَتْم مَن وُجْدِكُم وَلا تُصَارُوهُمْ إِسْمَتِقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَلتِ حَمْلٍ فَانهُوا عَلَيْهِنَ
 خَتَى يَمَدَعُن حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَعَاتُوهُنَ أَجُورُهُنَ وَأَصُورُوا يَسْتَكُم مِعَمُووْف وَإِن تَعَاسَرُهُ فَسَتُوْمِعُ لَهَ آهُرَهُ !

أسكنوا هؤلاء المطلقات في بعض مساكنكم التي تسكنونها ، على قدر طاقتكم ومقدرتكم ، فإن كان موسرًا وسّع عليها في المسكن والنفقة ، وإن كان فقيرا فعلى قدر طاقته.

قال قتادة: ولتسكن إذا لم يكن إلا بيت واحد، في بعض تواحيه.

وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ ...

ولا تستعملوا معهن الضرار في السكني بشغل المكان ، أن بإسكان غيرهن معهن ممن لا يُحبِبْنَ الشُكني معه، للتجنوهن إلى الخروج من مساكنهن .

وَإِن كُنَّ أُوْلَئتِ حَمْلِ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَعَمَّعْنَ حَمْلَهُنَّ ...

إذا كانت المطلقة حاملا ، فيجب الإنفاق عليها وعلى حملها حتى تضع الحمل .

وهذا حكم المطلقة طلقة بائنة ، أما المطلقة طلقة رجعية ، فتستحق النفقة وإن لم تكن حاملا .

وقال أبو حنيفة: تجب النفقة والسكنى لكلّ مطلقة ، وإن لم تكن ذات حمل ، لما روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول فى المبتوتة: «لها النفقة والسكنى» ، لأن ذلك جزاء الاحتباس ، وهو مشترك بين الحامل وغيرها ،

وأرى أن ذلك من محاسن الدين الإسلامى ، ومن التكافل الاجتماعى ، ومن رعاية المطلقة والإنفاق عليها فى فترة العدّة ترضية لها ، وقياما بحقها ، فقد قدّمت لزوجها ما قدمت فى فترة الزواج ، فيجب أن يرعاها ويتكفل بها بعد الطلاق فى فترة العدّة ، لأنها محبوسة وممنوعة من الزياج بسبب أن كل زياج تعقبه عدة لتعرّف براءة الرحم ، فنفقة العدّة تكون على الزوج ، لأن من حقوق الزوجة على زوجها النفقة .

فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَئَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ...

إذا طُلقت المرأة وقامت بإرضاع الولد ، فإن نفقة الرضاع على الزوج ، فلها أجر المثل .

وفى هذا إشارة إلى أن حق الرضاع والنفقة للأولاد على الأزواج ، وحق الإمساك والحضانة على الزوجات.

وَأَتَمِرُواْ يَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ...

أي: تشاوروا وتعاونوا ، وتدارسوا موقف الأبناء بعد الطلاق ، لعمل اللازم لهم ، ولا تجعلوا المال عائقا عن مواصلة الرعاية النفسية والاجتماعية والنفقة على الأولاد ، فالوالد مطالب بالسخاء على أولاده ، والأم مطالبة بالحضانة والكفالة ، ولها أجر المثل .

وهذه الفقرة فيها مناشدة للأزواج والزرجات المطلقات تنارس الموقف ، واللجوء إلى المعروف ، والتفاهم والتيسير بشأن الذرية ورعايتها بعد انفصال الزرجين ، وما أحرى المسلمين في هذه الأيام بالتفلّق بأخلاق القرآن ، وترك الكيد من أحد الزرجين للأهر بعد الطلاق .

فنجد رجلا ترك أولاده لزوجته ، تقوم هي بتعليمهم والإنفاق عليهم ، وقد أخلٌ هو يما يجب عليه ، ونقول له : أين قوله تعالى : وَأَتَمِرُوا بَيْتَكُم بِمُعْرُوفٍ ...

وَإِن تَعَاصَرْتُمْ فَسَتُوْضِعُ لَهُۥ أَخْرَىٰ .

إذا شحُ الأب بالمال ، أن تسسَّفت الأم في طلب أجرة أكثر من أجرة المثل ، فليحضر الأب مرضما أخرى ترضع الرضيع بالأجر ، فإذا قبلت الأمّ يأجر المثل فهي أحق بابنها ، لما تشتمل عليه الأم من المنان والحبّ .

فإذا لم يقبل الرضيع ثدى مرضع أخرى غير أمَّه ، وجب على أمَّه الرضاع ولها أجر المثل.

ويرى بعض المفسرين أن هذه الفقرة فيها لوم للأمّ ومعاتبة لها ، كقولك لمن تستقضيه حاجة فيتوانى عن قضائها: سيقضيها غيرك ، بمعنى ستقضى وأنت ملوم .

فالأم أكثر حنوًا وشفقة ، وينهغي تعاون الطرفين ، الأب والأم ، من أجل مصلحة الصغير .

لا - يشيفن أو سَمَةٍ من سَمَتِهِ وَمَن قُدرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ, فَلَيْمِينَ مِمَّا عَاشَهُ اللَّهُ لَا يُتَكَلَّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّامًا عَاسَمَهَا مَسْيَجْعَلُ
 اللهُ يَعْدَ عُسْر يُسْرًا.

لينفق الغنى من ماله ، فإذا كان موسرًا يسّر على المطلقة وعلى أولادها ، ووسّع عليهم مما أعطاه الله له ، فالجود من الموجود ، وأولى الناس بالمشاركة في المال والتوسعة في العطاء زوجته السابقة وأولاده منها ، أما إذا كان الزوج فقيرا ، فلينفق مما آتاه الله من الأرزاق ، قلّت أو كثرت ، فلا يكلف الفقير نفقة عثل نفقة الفنيّ .

لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَـلْهَا ...

أي: بقدر ما أعطاها من الطاقة والقوّة.

وقريب منه قوله تعالى : لاَ يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ... (البقرة : ٢٨٦) .

أى: إلا ما في إمكانياتها وسعتها .

وقد فاوت الله بين الناس في العطاء ، وجعلهم درجات ، وطلب الله من كل إنسان أن ينفق على أسرته حسب حالته ، وحسب يساره أو إعساره ، فإذا كان الزوج فقيرا ثم وسّع الله عليه ، وجب أن يزيد في نفقة أسرته ، وإذا كان غنيا ثم افتقر ، خفّض ميزانية النفقة ، وعلى الأسرة أن تصبر وتتحمل وتتعاون ، وتتقبّل ما ينفقه الزوج حسب حالته ، فلا ينبغى لزوجة الفقير أن تتطلع إلى نفقة واسعة مثل زوجة الغنى ، بل تصبر حليه عليها .

سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا .

سيجعل الله بعد الشدة فرجا ، ويعد الضيق سعة ، وفيه وعد من الله تعالى بمساعدة الفقرام إذا قنعوا رضوا .

قال تعالى : فَإِنَّ مَعَ ٱلْقُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ ٱلْقُسْرِ يُسْرًا . (الشرح : ٥، ١) .

وما أجمل هذا التشريع الإلهى الذي يربط النفقة بحالة الزوج.

جاء في تنسير الآلوسي أن النبي ﷺ قال : وإن المؤمن أخذ عن الله أدبا حسنا ، إذا هو سيحانه وسُع عليه وسُم ، وإذا هو عزَّ وجل قَتُر عليه قتَر».

وعيد المخالفين ووعد الطائفين

﴿ وَكَأَيْنِ مِن قَرْمِةِ عَنَتَ عَنَ أَمْرِرَةٍ اوَرُسُلِهِ وَهَ اسْبَنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْهَا عَدَابَا ثُكُرًا فَ فَذَافَتْ وَبَال أَمْرِهِ الْوَالَمْ مِهَا وَكَانَ عَلَقِهُ أَمْرِهِ الْحَمْرُ اللهِ اللهُ عُلَمْ عَذَابَا شَدِيدًا فَاتَعُوا الله يَتَأْوَلِهِ اللهُ اللهُ عَلَيْكُو وَكُلُ اللهُ وَيَعْمَلُ مَلِيكًا لِيَعْمَ اللهُ يَعْمَلُونَا اللهُ اللهُ عَلَيْكُو وَكُلُ اللهُ وَيَعْمَلُ مَلِيكًا اللهُ عَلَى اللهُ الل

المقددات :

وكسأيسن مسن قسريسة ، كثير من أهل القرى .

مسيسيسيت التحيرت وتكبرت وأعرضت وعصت

السبك أ منكرًا عظيما .

هــذاقت وبــال أمـرهـا ؛ فتجرّعت عاقبة عتوها وكفرها .

خسب والمائلاً.

أعداثله لهم عدايا شنيدا: تكرار الوعيد للتوكيد.

ذك المرأنا

رسمدا الله محمدًا في أرسل محمدًا

من الظلمات إلى النور : من الكفر والضلالة إلى الإيمان .

قد أحسن الله له رزقا : هو رزق الجنة التي لا ينقطع نعيمها ، وفيه تعجيب وتعظيم لما رزقوا من الثواب.

ومن الأرض مثلة عني وخلق مثلهن في العدد من الأرض ، يعني سبع أرضين .

يستسرُّل الأمر فيستهن ، يجرى أمر الله وقضاؤه بينهن ، وينفذ حكمه فيهن .

تمصده

بعد أن بين أحكام الطلاق والعدة والرجعة ، وما يجب للمعتدة من نفقة وسكنى ، ترعُد كلَّ من يخالف أمر الله في العدة والنفقة والسكنى ، ومسئوليات الطلاق وتبعاته ، بأن ينزل به ما أنزله بالأمم المكذبة ، من العذاب الشديد في الدنيا ، وما ينتظرها من عذاب لاحق بالآخرة ، ثم أردف ذلك بالتذكير بعظيم قدرته، وإحاطة علمه ، للحث على التزام الأوامر ، والعمل بالشريعة والأحكام ، فكانت بمثابة التحذير بعقوبة الظالمين ، من كل زوج أو زوجة لا ينفذون أحكام الله في الطلاق وما يتصل به .

التفسيره

٨ - وَكَأَيْن مِّن قَرْيَةٍ عَنَتْ عَنْ أَمْرٍ رَبَّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنالهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَلَّبُنالهَا عَذَابًا أَكْرًا .

كثير من أهل قرية من القرى السابقة ، عتت وتمردت على أمر الله ورسله ، فكذّبت المرسلين ، وكغرت بالوحى ، واستمرت فى عبادة الأوثان والأصنام ، فحاسبها الله حسابا شديدا ، وأحصى عليها أعمالها وتكذيبها وتحدّياتها للمرسلين ، ثم أنزل بها عذابا منكرا جزاء وفاقا لكفرها .

كما حدث لقوم نوح ، وقوم همالح ، وقوم هود ، وما حدث لقرعون وقومه ، وما حدث لقوم لوط وغيرهم من المكذبين .

قال تعالى : أَنَّمْ تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُكَ بِعَادٍ و إِرَمَ ذَاتِ آلِمِمَادِ ه ٱلَّتِي لَمْ يُعْلَقُ مِثْلُهَا فِي ٱلْمِلَدِهِ وَقُعُودُ ٱلَّذِينَ جَابُواْ آلصَّحْرَ بِالْوَادِ ه وَفِرْعُونَ فِي ٱلْأُوْتَادِ ه الَّذِينَ طَعُواْ فِي ٱلْمِلَدُو ه فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ه فَصَبَّ عَلَيهِم رَبُّكَ سُوطً عَلَابِ هِ إِنَّ زَبُّكَ كَبِالْمُوصَادِ . (القصر : ٢ - ١٤) .

٩ -- فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَـٰلِقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا.

فذاقت عاقبة عتوُها وتجبُّرها ، وتعرُّدها على أوامر الله ، وكانت نتيجة ذلك خسارا شديدا لا خسار وراءه ، فقد أهلكها الله في الدنيا ، وأعدُّ لها عذاب الثار في الأخرة .

١ - أَعَدُ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَآتُهُواْ ٱللَّهَ يَتَأُولِي ٱلْأَلْبَـٰبِ ٱللِّينَ عَامَتُواْ قَدْ أَفِرَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا

تكرير للوعيد ليضعه أمام الأنفس ، تحذيراً لمن يرتكب الظلم والعناد ، والانتقام الآشر ، في أمور الطلاق والعدة والنفقة والسكني ، وما يتصل بذلك من أمور. فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ يَتَأْوُلِي ٱلْأَلْسِكِ ٱللَّذِينَ ءَامَنُواْ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا

سارعوا أيها المؤمنون أصحاب العقول والألباب إلى تقوى الله ، والتزام أوامره ، ولجتناب نواهيه ، و وتنفيذ ما شرعه الله لكم في أحكام الطلاق مهما كانت رغيتكم في الانتقام من خصمكم ، فأطفئوا هذا الغيظ بتقوى الله ، يا أيها المؤمنون قد أنزل الله إليكم كتاباً مشتملا على الذكر والتذكير ، وتبصير المسلمين بأحكام الله ووجوب طاعتها ، وقد كان النبي ﷺ قرأنا متحركا ، سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ ورئال الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ ورئال الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ ورئال الله عنها عن خلق الله وربوب طاعتها عن خلق الفرآن . ""ا،

1 - رُسُولًا يَقُلُوا عَلَيْكُمْ وَالِمُتِ اللَّهِ مِّيَّنَاتِ لِمُشْرِجَ الَّذِينَ وَامْثُواْ وَعَبِلُواْ ٱلصَّلِلَحَاتِ مِنَ الطَّلَمَلَتِ إِلَى الْشُورِ وَمَن يُولِينَ إِلَّالِكُ وَيَعْمَلُ صَالِحًا يُلْجَلُهُ جَنَّلَتِ تَعْرِى مِن صَحْيَةًا الْأَلْهُمُ تَطِلِعِن فِيهَا آبَادُ اللَّهُ الْمُورِولُةِ .

هذا الذكر هو القرآن العظيم ، ومعه رسول من الله يتلو صحفًا مطهرة ، فهو المبيِّن القرآن الكريم ، والموضع لأحكامه ، والقارئ لنصوصه من أجل هداية المؤمنين ، وإخراجهم من ظلمات الجهالة والكفر إلى فور الهداية والإيمان .

وَمَن يُؤمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَلِحًا يُدْخِلْهُ جَسَّلْتِ تَحْرِي مِن تَحْقِهَا ٱلْأَنْهَارُ حَلِلِدِينَ فِيهَا آبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُ. رزقًا.

ومن يؤمن بالله ربا ، ويعمل أعمالا صالحة ، يدخله الله جنات ويساتين ناضرة ، تجرى الأنهار من تحتها ، وفيها ألوان متعددة من البهجة والنعيم ، مع خلود أبدى سرمدى ، فما أعجب هذا الرزق وما أحسنه ، إنّه الجنة ورضوان من الله أكبر .

وفيه تعجيبٌ من هذا الرزق العظيم ، والتوفيق الكريم .

فَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُ, وزُّقًا . .

لقد أكرمه ونجاه من النار ، وأوجب له الجنة ، وأعطاه من الغير والنعيم ما يشرح صدره ، ويدخل السرور على نفسه ويُصلح باله .

١٧ – اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ صَبَعَ سَمَازَاتِ وَمِنَ الْأَرْضِ مِلْهُنَّ يَنَتَوْلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَفْكُونَ أَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ كُلُّ شَيْءٍ قَامِيرً وَأَنَّ اللّٰهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَناً.

ما أعظم الشالق ، وما أبدع الصانع ، وما أقوى القدير ، وما أعظم علمه وإحاطته بكل شيء في هذا الكون .

ومعنى الآية :

الله تعالى هو الذي خلق سبع سماوات طباقا.

قال تعالى : أَلَمْ تَرَوْاْ تَكِفَ حَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَنَوْت عِبَاقًا هِ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنِ ثُووَا وَجَعَلَ ٱلطَّيْسَ سِرَاجًا . (ندح: ١٥٠١٥)

وخلق سبحانه سبح أرضين ، يتنزل وحى الله وأمره ، وقضاؤه وقدره ، وحكمه ومشيئته ، بين السماوات السبح والأرضين السبع .

فهو سبحانه حافظ الكون ومديره ، وممسك بزمامه ، وهو كامل القدرة والعلم ، فاعلموا ذلك وراقبوه في سائر أموركم ، وفي شئون الطلاق ، وما يتصل به من العدة والسكني والنفقة والإمساك بالمعروف أو المفارقة بالمعروف .

ملاحظة

ذُكر لفظ السمارات في القرآن جُنُمًا ، ولفظ الأرض مفردًا في سائر القرآن الكريم ، وهذه هي الآية الوحيدة التي تشعر أن الأرض ربما تكون سبع أرضين .

ومن العلماء من ذهب إلى أن السماء سبع سماوات ، واستدل على ذلك بما ورد في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة من أن النبي ﷺ صعد إلى السماء ليلة الإسراء والمعراج ، حيث رأى:

في السماء الأولى : آدم

وفي السماء الثانية: يحيى وعيسى ، وهما ابنا الخالة .

وفي السماء الثالثة: يوسف ، وقد أُعطى شطر الحسن .

وفي السماء الرابعة : إدريس ، وقد رفعه الله مكانًا عليًّا .

وفي السمام الخامسة : هارون ،

وفي السماء السادسة : موسى .

وفي السماء السابعة : إبراهيم ، عليهم جميعًا السلام .

وأما الأرض فهى أرض مفردة ، وأما قوله تعالى : وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلُهُنَّ... أي في الإحكام والإبداع وحسن التقديد . واللفظ صالح لأن يراد به سبع سماوات وسبع أرضين ، وهو الأرجح والأقوى ، وصالح لأن يراد به سبع سماوات ، ومن الأرض الواحدة مثلون في الإبداع والتكامل ، وعناية الله بالخلق ورعايته .

قسال تعالى : إِنَّ ٱللَّهُ يُفْسِكُ ٱلسَّمَا وَالْأَرْضُ أَنْ تَزُولاً وَلَيْنِ زَالْقَا إِنْ أَمْسَكُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْهَاهِ... قسال تعالى : إِنَّ ٱللَّهُ يُفْسِكُ ٱلسَّمَا وَ" وَٱلْأَرْضُ أَنْ تَزُولاً وَلَيْنِ زَالْقا إِنْ أَمْسَكُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَخَدٍ مِنْ

وأنا أرى أنه لابد أن تكون هناك حكمة إلهية لا نعرفها نحن الآن ، وقد نعرفها في المستقبل ، من ذكر السماوات جمعًا وسبعا في القرآن ، وذكر لفظة الأرض مفردة في جميع القرآن ، ما عدا هذه الآية الأخيرة في سبوة الطلاق .

ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَمْعُ سَمَا وَسِ وَمِنَ الْأَرْضِ مِعْلَهُنَّ يَسَوُّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ فِعَلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ عَلَىٰ كُلِّ عَلَىٰ عَلَىٰ كُلِّ عَلَىٰ وَأَنَّ ٱللَّهُ لَذَا خَاطَ بَكُلِّ هَيْءٍ عِلْمًا .

وقد ذهب الإمام ابن كثير إلى أن الأرض سبم ، حيث قال :

وَثِنَ الْأَرْضِ مِثْلُهُنَّ أَى: سبعا أيضاء كما ثبت في الصحيحين: «من ظلم قيد شبر من الأرض طرِّقه من سبع أرضين يوم القهامة » ^{١٩٠٥}.

وفي منحيح البشاري: وخُسف به إلى سبع أرضين».

خلاصة ما اشتملت عليه سورة الطلاق

للطلاق آداب ينبغي أن تراعى ، ومن ذلك ما يأتي :

- ١ ينبغي أن يكون في طهر لم تجامع فيه الزوجة .
- ٢ ينبغي إحصاء ومعرفة مُنَّة العدة ، ويدايتها وثهايتها .
 - ٣ ينبغى أن تسكن الزوجة في بيت الزوج فترة العدّة.
- الإمساك بالمعروف ، أو الطلاق مع الإحسان ، وهو إعطاء المطلقة مردر الصداق والسكني
 والنفقة .
 - ه وجوب الإشهاد على الزواج والطلاق والرجعة .
 - " تقوى الله والتوكل عليه والالتزام بأحكامه ، طريق للسعادة في الدارين .
 - ٧ للمطلقة السكني والنفقة حسب يسار الزوج وإعساره.
- ٨ أهلك الله كثيرا من قرى الظالمين جزاء عنادهم وعترهم وكبرهم عن الخضوع الحكام الله ،
 السامتُوا عذاب الدنيا ، ولهم في الأخرة عذاب عظيم .
 - ٩ ليتق الله كلُّ مؤمن ومؤمنة في مراعاة أحكام الله.

ضميمة في أنواع العدة

- (أ) عدة ذوات الأقراء : ٣ قروم .
- (ب) عدة الحامل : وضع الحمل .
- (ج) عدة المتونى عنها زوجها: ٤ أشهر وعشرة أيام.
- (د) عدة الآيسة من الحيض ، وعمرها عادة خمس وخمسون سنة : ٣ أشهر.
 - (هـ) وكذلك السفيرة التي لم ينزل عليها دم الحيض عدتها : ٣ أشهر.
 - (و) المطلقة قبل الدخول : لها نصف المهر ولا عبَّة عليها .
- (ز) هناك طلاق رجمى يستطيع الزيرج مراجمة زيجته قيه ما دامت في العدة ، فإذا أتمت العدة فهو طلاق باثن بينونة سفرى ، فإذا كان الطلاق مكملًا للثلاث بانت المبطلة بينونة كبرى.

* * *



أهيداف سيورة التحيريم

(سورة التحريم مدنية ، وآياتها ٢ ٢ آية ، نزلت بعد سورة الحجرات)

شاء الله أن يكون الرسول بشرا ، فيه قوة الإنسان ، وتجارب الإنسان ، ومحاولات الإنسان ، وضعف الإنسان ، لتكون سيرة هذا الرسول الإنسان نمونجا عمليا للمحاولة الناجحة ، يراها ويتأثر بها من يريد القدوة الميسرة العملية الواقعية ، التى لا تعيش في هالات ولا في هيالات .

وهذه السورة فيها عتاب للرسول الأمين ﷺ على تحريمه ما أحل الله له ، ولو كتم النبي من أمر القرآن شيئا لكتم هذا العتاب .

إن هذا القرآن كتاب الحياة بكل ما فيها ، وقد شاء إلله أن يواكب الوحى حياة الرسول الأمين ﷺ ، فيبارك الخطوات الناجحة ، ويكرَّم ما يحتاج إلى تقويم ، ويذلك تكون القدوة في متناول الناس .

قال تعالى : قَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولَ ٱللَّهِ أَشَوَةً حَسَنَةً لَمُن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهُ وَٱلْوَمُ ٱلأَخِرَ وَذَكَرُ ٱللَّهُ كَيْرًا . (الأحزاب: ٢١) .

لقد عاتب القرآن رسول الله 蘇 فى قبوله الغداء من أسرى بدر ، وفى إذنه للمخلفين بالقعود عن الجهاد ، وفى إعراضه عن الأعمى الذى ألحً فى السؤال ، وفى تحريمه ما أحل الله له.

كما عرض القرآن جوانب القوة والجهاد والتربية والسلوك للنبي الأمين ، وجعل حياته الخاصة والعمامة على المستفدية ومن والعمامة عنه المامة على المستفدية والمن المستفدية والمن المستفدية والمن المستفدية المستفدية المستفدية والمستفدية المستفدية المستفدية

إن حياة الرسول ملك للدعوة ، وهي الصورة المنظورة الممكنة التطبيق من العقيدة ، وقد جاء ليعرضها للناس في شخصه وفي حياته ، كما يعرضها بقوله وفعله ، ولهذا خُلِق ، ولهذا جاء ، لتكون السنة هي ما أثر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ، وليكون هو النموذج العملي الملموس في دنيا الناس ، يتمرض للأحزان ، ويموت ابنه ، ويصاب في غزوة أحد ، وتنتشر الشائعات عن زرجته عائشة ، ويعيب المنافقون عليه بعض الأمور ، لتكون الصورةُ كاملة للإنسان بكل ما فيه ، وليكون الوحى بعد ذلك فيصلا، ودليلا هاديا فيما ينبغي سلوكه في هذه الحياة .

قصة التحريم

تزوج النبى ﷺ تسع نساء لحكم إلهية ، ولتكون هذه الزوجات مبلغات لشئون الوحى فيما يخمى النساء، وقد قضى النبى ﷺ صدر حياته مع خديجة وكان عمره همسًا وعشرين سنة وعمرها أربعين ، وقد ماتت قبل الهجرة بثلاث سنوات ، ولم يتزوج عليها فى حياتها ، وكان وفيا لذكراها ، وقد ماتت خديجة وعمره خمسون عاما .

ثم تزوج عائشة بنت أبى بكر الصديق ، وحفصة بنت عمر ، وأم سلمة ، وقد مات زوجها شهيدا فضم النبى ﷺ إليه عبّالها من أبى سلمة وتزوجها ، وزينب بنت جحش زوج مولاه ومتبناه زيد ، ليكون ذلك تشريما للناس في إباحة زواج الإنسان من زوجة ابنه المقيني .

قال تعالى: فَلَمَّا فَضَىٰ زَيْلَهُ مُنْهَا وَطُرَّا زَرَّجَناكُهَا لِكَى لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِينِ حَرَجُ فِيَ أَزُوا جِ أَدْعِبَالِهِمْ إِذَّا فَصَوْا مَنْهُنَّ وَطَرَّا وَكَانَ أَمَّرُ آللَّهُ مَلْهُولًا . (الأحزاب: ٣٧) .

وتزرج النبى ﷺ جريرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق ، فلما تزوجها النبى ﷺ أعتق الصحابة أقاربها وأسلم أهلها ، وكانت أيمن أمرأة على قومها . ثم تزوج أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وكانت مهاجرة إلى الحبشة ، ثم ارتد زوجها وتنصر فخطبها النبى ﷺ ، وجاءت من الحبشة إلى المدينة ، ثم تزوج إثر فتح خيبر صفية بنت حيى بن أخطب زعيم بنى النضير ، وكانت آخر زوجاته ميمونة بنت الحارث بن حزن ، وهى خالة خالد بن الوليد وعبد الله بن عباس .

وكانت لكل زوجة من أزواجه ﷺ قصة وسبب في زواجه منها ، ولم يكن معظمهن شواب ، ولا ممن يرغب فيهن الرجال لجمال ، وكل نسائه قد سبق لهن الزواج ما عدا عائشة ، فقد كانت البكر الوحيدة بين نسائه .

وقد أنجب النبي ﷺ جميع أبنائه من خديجة ، فقد رزق منها ولدين وأربع بنات ، وقد مات الولدان في صدر حياته ﷺ ويقيت البنات إلى ما بعد الرسالة ، ثم ماتت ثلاث من بناته ومن : رقية ، وزيف ، وأم كلثوم ، وعاشت فاطمة رضى الله عنها ستة أشهر بعد وفاة أبيها ، ولم ينجب ﷺ من زوجة أخرى غير خديجة. وكان الدقوقس ملك مصر قد أهدى إليه جاريتين هما مارية وسيرين، فتسرى بمارية ، وأهدى سيرين إلى حسان بن ثابت ، ولما كانت مارية جارية لم يكن لها بيت بجوار المسجد ، فكان بيتها في عوالى المدينة، في المحل الذي يقال له الأن : (مشرية أم إبراميم) ، وقد رُزق النبى منها بمواود ذكر سماه إبراهيم تيمنا بإبراهيم الخليل .

وقد ماتت خديجة والنبى ﷺ فى الخمسين ، ولم يرزق بمولود من نسائه جميعا طوال عشر سنوات ، ثم رزق إبراهيم وقد تخطى الستين ، فقاضت نفسه بالمسرة ، وامتلاً قلبه الإنسانى الكبير أنسا وغبطة ، وارتفعت مارية بهذا الميلاد فى عينيه إلى مكانة سمت بها عن مقام مواليه إلى مقام أزواجه ، وزادت عنده خطرة وقريا .

كان طبيعيا أن يدس ذلك في نفوس سائر زوجاته غيرة ، تزايدت أضعافا بأنها أم إبراهيم ، ويأنهن جميعا لا ولد لهن ، وكان النبي 義義 بتردد كل يوم على إبراهيم ويحمله بين يديه ، ويفرح لابتسامته البريئة ، ويُسر بنموه وجماله .

وكانت المرأة في الجاهلية تُسام الخسف صفيرة ، وتُسك على الذل كبيرة ، فلما جاء الإسلام حرّم وأد البنات ، وسما بالمرأة إلى منزلة سامية ، وصبى النبي بالنساء خيرا ، وعامل نساءه معاملة حسنة ، وجعل لنسائه من المكانة ما لم يكن مدورة با قد ، 10 العرب .

قالت عائشة رضى الله عنها : كان النبي ﷺ إذا خلا بنسائه ألين الناس ، وأكرم الناس ، ضحاكًا بساماً .

تحريم مارية:

حدث أن جاءت ماريا القبطية من عوالي المدينة إلى رسول الله ، وكانت حفصة في زيارة لبيت أبيها ، فنخلت مارية في حجرة حفصة ، وأقاءت بها وقتا مع النبي في وعادت حفصة فوجدت مارية في بيتها ، فبحلت تنتظر خروجها وهي أشد ما تكون غيرة ، وجعلت كلما طال بها الانتظار تزداد الغيرة بها شدة ، فلما خرجت مارية و دخلت حفصة قالت : يانبي الله ، لقد جلت إلى شيئا ما جلت إلى أحد من أزواجك بمثله ، فلي مدودي وعلى فراشي . قال في : «ألا ترضين أن أحرمها فلا أقريها» ، قالت : بلي ، فحرمها ، وقال : «ألا ترضين أن أحرمها فلا أقريها» ، قالت : بلي ، فدحرمها ، وقالت : بلي ، فحرمها ، فانزل : يَاناًهُمْ الشيئة ، فأظهره الله عز وجار عليه ، فانزل : يَاناًهُمْ الشيئة ، فأظهره الله عز وجار عليه ، فأنزل : يَاناًهُمْ الشيئة ، فأناهم نقل الله من يعينه وأصاب جاريته (٢٠٠)

تحريم العسل:

روى البخارى ، عن عائشة قالت : كان النبى ﷺ يشرب عسلا عند زينب بنت جحش ، ويمكت عندها ، فتراطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له : أكلت مغافير (٢٥٠) ، إنى أجد منك ريح مغافير ، قال : «لا ، ولكنى كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت ، لا تغيرى بذلك أحدًا» . (٢٠٠) . فهذا هو ما حرمه على نفسه وهر حلال له ، وقد نزل بشأنه : لِمُ تَحَرُّمُ مَّا أَحُلُّ اللَّهُ لَكَ ...

ويبدو أن التي حدثها رسول الله ﷺ هذا الحديث وأمرها بستره قالته لزميلتها المتآمرة معها ، ثم أطلع الله رسوله على حديثهما .

قال ابن جرير الطبوى:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: كان الذي حرمه النبي ﷺ على نفسه شيئا كان الله قد أحله له ، وجائز أن يكون ذلك كان جاريته ، وجائز أن يكون كان شرابا من الأشرية ، وجائز أن يكون كان غير ذلك ، غير أنه أي ذلك كان فإنه كان تحريم شيء كان له حلالا ، فعاتبه الله على تحريمه على نفسه . ١٣٦٠

النبي يهجر نساءه :

كان من جراء هذا الحادث ، وهو تحريم مارية أو تحريم العسل ، وما كشف عنه من تأمر ومكايدات في بيت الرسول ﷺ ، أن غضب النبي فألى من نسائه لا يقريهن شهرا ، وهمّ بتطليقهن ، ثم نزلت هذه السورة وقد هذا غضبه ﷺ فعاد إلى نسائه .

روى الإمام أحمد في مسنده ، والبخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، أن ابن عباس سأل عمر عن المرأتين اللتين قال الله تعالى لهما : إن تُوباً إِلَى الله فقد صَمْتَ قُلُوبُكُما ... (التحريم : ٤) . فقال عمر : هما عائشة وحقصة ، ثم قال عمر : كنا معشر قريش قوماً نظب النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تظبهم عائشة وحقصة ، ثم قال عمر : كنا المعمر الله قيم أمر أتمره إذ قالت لي امرأتي : لو صنعت كذا وكذا ، فقلت لها : ومالك أنت ولما هامنا ، وما تكلفك في أمر أريده ؟ فقالت لي : عجبا لك يا ابن المخطاب ، ما تريد أن تراجع أنت ، وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان ، وإن أزواج رسول الله ﷺ ليراطعنه ، وقهجره إحداهن اليوم إلى الليل ، قال : فانطلقت فدخلت على حفصة ، فقلت : تعلمين أنى أتراجعين رسول الله ﷺ على على حفصة ، فقلت : تعلمين أنى أخراك عقوية الله وغضب رسول ، يا بنية لا يغرنك هذه التي قد أعجبها حصنها وحب رسول الله ﷺ إياها.

واعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهرا، منقطعا عنهن في مشرية منعزلة ، واستأذن عمر على رسول الله
إلان مرات حتى أذن له ، قال عمر: فدخلت فسلمت على رسول الله ﴿ فإذا هو متكيّ على رمل حصير
قد أثر في جنبه ، فقلت : أطلّقت يارسول الله نساءك ؟ فرفع رأسه إليّ وقال : «لا» ، فقلت : الله أكبر ، واو
رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش قوما نقلب النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغليهم نساؤهم ،
فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم ، فغضبت على امرأتي يوما ، فإذا هي تراجعني ، فأنكرت أن تراجعني
قلقات : ما تنكر أن أراجعك ؟ فوالله أن أزراج النبي ﷺ ليراجعنه ، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل ، فقلت:
قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر ، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ، فإذا هي قد هلكت ؟
أرسم أو أحب إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، قد بدلت على حفصة فقلت : لا يغرنك أن كانت جارتك هي
فرفعن وأسي في البيت فوالله ما رأيت في البيت شيئا يرد البصر إلا هيبة مقامه ، فقلت : ادع الله يا رسول
الله أن يوسع على أمنك ، فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله ، فاستوى جالسا ، وقال : «أفي
شك أنت يا ابن المطاب ؟ أولئك قرم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا » . فقلت : استغفر لي يا رسول الله
شك أنت يا ابن المطاب ؟ أولئك قرم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا » . فقلت : استغفر لي يا رسول الله
شك أنت يا ابن المطاب ؟ أولئك قرم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا » . فقلت : استغفر لي يا رسول الله
وكان أقسم ألا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله عز وجل (١٠٠٠)

اصطفاء الرسول:

يقول الله تعالى : ٱللَّهُ يَصْعَلِنِي مِنَ ٱلْمَلَكِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بُصِيرٌ . (الحج : ٥٠).

لقد اصطفى الله محمدا ليهلغ الرسالة الأخيرة للناس ، واختاره إنسانًا تتمثل فيه العقيدة الإسلامية بكل خصائصها ، وتتجسم فيه بكل حقيقتها «ويكون هو بذاته وبحياته الترجمة المحيحة الكاملة لطبيعتها ولتجاهها ، إنسانا قد اكتمات طاقاته الإنسانية كلها ، ضليع التكوين الجسدى ، قوى البنية ، سليم العبيمتها ولتجاهها ، إنسانا قد اكتمات طاقاته الإنسانية كلها ، ضليع التكوين الجسدى ، قوى البنية ، سليم البناء ، مصحيح الحواس ، يقظ الحس ، يتذوق المحسوسات تنوقا كاملا سليما ، وهو في ذلت الوقت ضغم العاطفة ، حي الطبع ، سليم الحساسية ، يتذوق الجمال ، متفتح للثلق والاستجابة ، وهو في الوقت ذاته كبير العقل ، واسع الفكر ، فسيح الأفق ، قوى الإرادة ، يملك نفسه ولا تملكه ، ثم هو بعد ذلك كله النبي الذي تشرق ربعه بالغير الكلي ، والذي يوى نور ربعه ، والذي ينادي من ألسماء ، والذي يرى نور ربعه ، والذي تتمل حقيقة كل شيء في الوجود من وراء الأشكال والظواهر ، فيسلم عليه الحصى والحجر ، ويحن له الجذع ، ويرتجف به جبل أحد ، ثم تتوازن في شخصيته هذه الطاقات كلها فإذا هي التوازن المقابل لنوازن العقيدة التي اختير لها » . [170]

مع السورة

١ حرّم النبي ﷺ مارية القبطية على نفسه ، أن حرم العسل على نفسه ، مرضاة لزوجاته ، وتنزل
 وحى السماء يفيد أن ما أحله الله لا يتبغى أن يحرمه الإنسان .

 ٢ - أباح الله للإنسان إذا حرّم حلالا أو أقسم على يمين ورأى غيرها خيرا منها أن يأتى الذي هو خير ثم يكفّر عن يمينه .

٣ - أخبر الذبي ﷺ حفصة بتحريم مارية ، وأن أبا بكر وعمر يليان أمر هذه الأمة من بعده ، وأمرها أن تكتم ذلك ، ولكنها لم تكتمه ، وأخبرت به عائشة ، وعلم النبي ﷺ بذلك فَلَامٌ حفصة على إفشاء سره ، وأخبرها أنه لم يعلم هذا للسر من عائشة ولكن من العليم الخبير .

3 - أذبت السورة عائشة وحفصة ، وبينت أن التآمر وإفشاء السر مؤلم للنبي ، ومقلق لهذا القلب الكبير
 وهذا أمر يستحق التربة والإنابة ، ثم بينت أن إيلام النبي هي أمر كريه وسيرتد الكيد على صاحبه ، لأن
 النبي هيه معه قوة غالبة ، يكفى أن معه الله والملائكة وصالح المؤمنين .

٥ - هدد الله نساء النبى بالطلاق ، وبأن يعوضه الله منهن بنساء هن المثل العليا في القنوت والعيادة والتوبة والجمال ، وقد أثمر هذا التهديد ثمرته ، فعادت نساؤه إلى الطاعة والخضوع ، واستأنف النبي على الميادة منافعة عند من الميادة ، وتبليغ دعوته ومرضاة ربه ، قرير العين في ببته ومع أسرته .

والآيات ترسم صورة من الحياة البيئية لهذا الرجل الذي كان ينهض بإنشاء أمه ، وإقامة دولة ، على غير مثال معروف ، وعلى غير نسق مسبوق ، أمة تنهض بحمل أمانة المقيدة الإلهية في صورتها الأخيرة ، وتنشئ في الأرض مجتمعا ريانيا في صورة واقعية يتأسى بها الناس .

وفى ظلال هذا الصادث تهيب الآيات (٦ –٩) بالذين آمنوا ليؤدوا واجبهم فى بيوتهم ، من التربية والتوجيه والتذكير ، فيقوا أنفسهم وأهليهم النار ، وترسم لهم مشهدا من مشاهدها رحال الكفار عندها .

ثم تجدد الدعوة إلى التوبة النصوح ، وتصور لهم الجنة التي تتنظر التائبين ، ثم تدعو النبي ﷺ إلى جهاد الكفار والمنافقين وحماية المجتمع الإسلامي من الداخل والشارج .

فالآيات الأولى (١--٥) دعوة لتوبة نساء النبي وحماية بيته ونفسه.

والآيات التالية (٦-٩) دعوة لتوية المؤمنين ومحافظتهم على تربية أولادهم وبناتهم لأن الأسرة هي قرام المجتمع . ثم تجىء الجولة الثالثة والأخيرة ، وكأنها التكملة المباشرة لتهديد عائشة وحفصة ، فقد تحدثت الآيات (١٠ – ١٧) عن امرأة نرح وامرأة لوط ، كمثل للكفر في بيت مؤمن ، وهو تهديد مستقر لكل زوجة تخون زوجها وتخون رسالته ودعوته ، فلن ينجيها من العذاب أن أقرب الناس إليها نبى رسول أو داعية كريم .

ولا يضر المرأة المؤمنة أن يكون أقرب الناس إليها طاغية جبارًا أو ملكًا متسلطًا معتديًا ، وقد ذُكرت امرأة فرعون كمثل للإيمان في بيت كافر ، وجعلت السورة في ختامها نموذجا رفيعا للمرأة المؤمنة يتمثل في آسية امرأة فرعون التي استعلت على المال والملك والجاه والسلطان ورغيت فيما عند الله.

ويتمثل في مريم ابنة عمران ، المتطهرة المؤمنة القانتة المصدقة بكلمات ربها وكتبه .

ويذلك نجد المرأة تسير في ركب الإيمان ، ويتحدث القرآن عنها كنموذج للغير يتمثل في أم موسى ، وفي أم عيسى ، وفي بلقيس التي أسلمت لله رب العالمين ، وفي امرأة فرعين التي زهدت في ملك فرعين ورغبت في ثواب الله رب العالمين .

المعثى الإجمالي للسورة

قال الفيروزبادي :

معظم مقصود سورة التحريم ما يأتى: عتاب الرسول ﷺ فى التحريم والتحليل قبل ورود وهى سمامى ، والأمر بالتحرز والتجنب من جهنم ، والأمر سماوى ، وتعيير الأزياج الطاهرات على إيذاته وإظهار سره ، والأمر بالتحرز والتجنب من جهنم ، والأمر بالتوبة النصوح ، والرعد بإتمام النور فى القيامة ، والأمر بجهاد الكفار بطريق السياسة ، ومع المنافقين بالبرهان والحجة ، وبيان أن القرابة غير نافعة بدون الإيمان والمعرفة ، وأن قرب المفسدين لا يضر مع وجود المحدق والإخلاص ، والخبر عن صدق إيمان أمرأة فرعون ، وتصديق مريم بقوله : وَمَرْيَمُ إَنْسَتَ عَمْرَنَ الْقَيْسِينَ . (التحديم : ١٢).

بعض أحوال نساء النبي ﷺ

المفردات :

ما أحبل الله لك : العسل : أو مارية القبطية .

تبتفی، تطلب.

المسيرة شرع ويين .

تحلة أيمانكم ، تطيلها بالكفارة ، أو بالاستثناء متصلا حتى لا يحنث .

م ولاكسم ، وليكم وناصركم .

بعض أزواجه : هي حقصة على المشهور.

ئسيسات يسه ، أخبرت به عائشة .

أظ عمره: أطلعه وأعلمه قول حفصة لعائشة .

وأعرض عن يعض: لم يخبرها به .

إن تستسويسا ، حفصة وعائشة .

صفت قطويكما: مالت قلوبكما عن الحق، وعدلت عما يجب للرسول ﷺ من تعظيم وإجلال.

وإن تظاهرا عليه ، تتظاهرا وتتعاونا على إيذاء الرسول ﷺ

مسسسولاه؛ وليه وناصره.

ظ به سيده فهرام معاونون ، وأنصار مساعدون .

سلمات خاضعات له بالطاعة .

مسؤمستسات : مصدقات بتوحيد الله مخلصات .

قصافت تصاته مواظبات على الطاعة .

تحاضيات، مقلعات عن الذنوب.

هـــابـــانات، متعبدات متذلّلات لأمر الرسول ﷺ.

سمائم حساته عائمات ، سمى الصائم سائحا : لأنه يسيح في النهار بلا زاد ، أو مهاجرات .

شيبات وأبكانا : مشتملات على الصنفين ، فالثيب من تزوجت سابقا ، والبكر من لم يسبق لها الزواج .

ملاحظة

يلاحظ في وصف النساء اللائي سيعرضُ الرسول ﷺ بهنّ إذا طلّق نساءه ، أنه بدأ في وصفهنُ بالإسلام وهو الانتقياد ، ثم بالتوبة وهي الإقلاع بالإسلام وهو الانتقياد ، ثم بالتوبة وهي الإقلاع عن الذنب ، ثم بالعبادة وهي التلذذ بالمناجاة الله ، ثم بالسياحة وهي كناية عن الصوم أن الهجرة ، وأمّا الثيرية والبكارة فلا يجتمعان في امرأة واحدة ، لذا عطف أحدهما على الأخر، ولو لم يأت بالواو لاختل المعنى ، وذكر الجنسين لأن في أزواجه ﷺ من تزوجها بكراً كعائشة ، وفيهن الثياب وهن بقية نسائه ﷺ.

تمهید،

كان ﷺ إذا انصرف من صلاة العصر دخل على نساته ، يمكن عند زينب بنت جحش ، فيشرب عندها عسلا ، فتواطأت عائشة وحفصة ، إذا دخلُ ﷺ على إحداهما أن تقول له : أشم منك راتحة المغافير ، فهل أكلت مغافير ؟ (وهو نبت صمغ حلو ، له راتحة كريهة من شجر التُرفُط في الحجاز). نقال ﷺ: «لا ، بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ، ولن أعود إليه ، وقد حلفتُ».

وقال لحقصة: «لا تخبري بذلك أحدا»، فأخبرت به عائشة رضى الله عنهما، وقد روى ذلك البخاري يمسلم،

وقيل . حرَّم النبي ﷺ مارية القبطية على نفسه ، وهذا القول ، وإن قرب من حيث المعنى ، إلا أنه لم يدرّن في صحيح ولا نقله عدل ، كما ورد ذلك في أحكام القرآن .

وقد ذكر البخارى ، عن عمر أنه وعظ نساء النبى ﷺ واحدة ، ينهاهن عن إيذاء الرسول ﷺ ، ويهددهن أن يبدله الله خيرا منهن ً ، فقالت له زينب: يا ابن الخطاب ، أما في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت ، فأمسك عمر ، فأنزل الله : عَسَىٰ رُبُّة إِنْ طُلْقَكُنُّ أَنْ يُبْدِلُهُ أَزْرٌ جًا خَيْرًا سُكُنْ … (التحريم : ه). التصميع : ه

١ - يَنَأَيُّهَا ٱلنَّيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلُ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتِعِي مَرْضَاتَ أَزْوَا جِكَ وَٱللَّهُ خَفُورٌ رَّحِيمٌ .

هناك روايتان في سبب نزول هذه الآية :

الرواية الأولى :

أن النبي ﷺ قال لحفصة بنت عمر: لقد حرَّمت مارية على نفسى . استرضاء لها ، لأن حفصة كانت في زيارة أبيها ، وجاءت مارية القبطية من عوالى المدينة ، فدخلت في بيت حفصة ، فلما جاءت حفصة أخبروها بأن مارية في حجرتها ، فتفيّظت من ذلك ، وقالت النبي ﷺ: ما أراك إلا أعرست بها على سريرى، وما كنت تفعلها لولا هواني عليك ، فقال ﷺ لحفصة : «إنى حرّمت مارية على نفسى فاكتمى عليُّ» . لكنُّ حفصة أخبرت عائشة بذلك ، وكانتا متصادقتين ، فعاتبهما الله تعالى .

الرواية الثانية :

أن النبى ﷺ دخل على زينب فشرب عندها عسلا ، فاتفقت عائشة وحفصة إذا دخل على واحدة منهما أن تقـول لـه : نشمٌ منك رائصـة مغافير - وهـو طعام حلو كريه الريح - فلما قالتا له ذلك ، قال ﷺ : «شربت عسلا عند زينب ، ولن أعرد إليه» ، وحلف فنزلت : يَثَالَهُمَّ الشَّيِّ لِمُ تُحَرَّهُمَّ مَا أَكُلُّ ٱللَّهُ لَكَ ...

وذكر العلماء؛ أن النبي ﷺ ربما وقع منه الأمران: تحريم مارية ، ويعد فترة قريبة حرّم العسل على نفسه ، فنزلت الآية عقب الأمرين جميعا . والإمام الطبرى يذكر أن المستفاد من الآية أن النبي ﷺ قد حرّم على نفسه شيئًا ما قد أحله الله له , فحرّمه على نفسه تطييبا لخاطر نسائه ، لكن الله تعالى لامه على ذلك ، وأحلُ له العدول عن اليمين , والاستمتاع بهذا الحلال .

وقد يكون ما حرَّمه على نفسه هو مارية القبطية ، وقد يكون العسل ، وقد يكون غير ذلك . أ.هـ .

فعاتبه الله تعالى على ما بدر منه ، رفقا به ، وتنويها بقدره ، وإجلًا لا لمنصبه 義 ، أن يراعى مرضاة أزواجه بما يشقّ عليه ، مع أنّه ألِف لطف الله به .

ومعنى الآية :

يا أيها النبئُ الموحى إليه ، الذي فضله الله ، وختم به الرسل ، لِمَ تحرَّم على نفسك ما أحلُّه الله لك ، مثل العسل ، أو مارية القبطية ، تبتقى بذلك مرضاة عائشة وحفصة ، والله غفور رهيم ، يغفر لك ويرحمك برحمته الواسعة .

وخلاحظ أن النبى ﷺ لم يكن حرَّم العسل أو مارية ، بمعنى التحريم الشرعى ، وإنما كان قد قرر حرمان نفسه من العسل أو من مارية ، فجاء هذا العتاب بأنَّ ما جعله الله حلالا ، لا يجوز حرمان النفس منه عمدًا وقصدًا ، إرضاءً لأحد .

٧ - قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَـٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ .

قد شرع الله لكم يا معشر المؤمنين ما تتحلُّون به من أيمانكم وذلك بالكفَّارة .

وفى الحديث الشريف: «من حلف على يمين ورأى غيرها شيرًا منها فليأت الذى هو خير ، وليكفّرُ عن يمينه، ۱۹۰۱.

وقال تعالى ﴿ لا يُؤَتِلُكُمُ ٱللّهُ بِاللّغَوْ فِي ٓ أَيْمَنِيكُمْ وَلَنكِن يُؤَاجِلُكُم مِمَا عَقْدَتُمْ ٱلْأَيْمَــُن فَكَفَّـرُونَهُ إِنْ مَعْمَدُ وَلَمْكِنُ مَنْ اللّهِ مَعِنَّا مُذَالِكُمْ ٱلْوَجْدُونُهُمْ أَوْ تَحْرِيدُ رَقْبَةٍ فَمَن لَمْ يَجِدُ فَعِيمَا مُلَكِمْ ٱللّهُ وَاللّهُ كَمْ مَنْكُمْ مُنْكُورُونَ ﴿ السّائِدَةَ : ٨٨) . إِذَا سَقَفْتُمْ وَاسْتَعْلَمُوا أَيْمَنْكُمْ كَذَلِكُ يُبِينُ ٱللّهُ لَكُمْ يَائِمِهِ لَعَلْكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ (السّائِدةَ : ٨٨) .

وَٱللَّهُ مَوْلَكُمْ ... فهو سيحانه وليكم وناصركم .

وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ .

يشرع لكم عن علم رعن حكمة ، ويأمركم بما يناسب طاقتكم ، وما يصلح لكم ، فلا تحرّموا إلاً ما حرّم ، ولا تحلّوا غير ما أخلّ . ٣ - وَإِذْ أَنَدُّ النِّمَى ۚ إِنَّى بَعْضِ أَزُوْ احِدِ حَدِينًا فَلَمَّا نَبَات بِدِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرْفَ بَعْضَهُ. وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضَ فَلَمْ نَبَاعَى الْعَبْرِ أَنْ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرْفَ بَعْضَ أَنْ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ الْعَبِيرُ .

كانت حقصة رضى الله عنها فى زيارة أبيها ، ولما جاءت مارية القبطية من عوالى المدينة ، خلا بها النبى ﷺ فى غرفة حفصة ، وانتظرت حقصة حتى خرجت مارية ، وتألمت من دخول مارية غرفتها ، فحرّم النبى ﷺ مارية على نفسه ، وأخبر حقصة بذلك ، فلما خرج النبى ﷺ من عندها ، أخبرت عائشة ، بنلك ، ولم تستطع من شدة سرورها بتحريم مارية أن تكتم الخبر فأخبرت به عائشة ، وطلبت منها أن تكتم الأمر ، أو كان الأمر هر تحريم العسل .

ومعنى الآية :

وإذ قال النبى ﷺ لحفصة : إنى حرَّمت العسل على نفسى ، أو حرمت مارية على نفسى، واكتمى هذا الخبر ، لكن حفصة أخبرت به عائشة ، وأعلم الله رسوله ﷺ بما حدّث .

فلما عاتب النبي ﷺ حفصة ، وأخبرها بما فعلت ، قالت له : من أين علمت بذلك ؟ فأفادها أن الذي أخبره بذلك هو، ألّقلِيمُ. بسائر أحوال الناس ، الْخَيِرُ . بكلّ شيء في الوجود .

وفي ذلك دعوة للناس جميعا إلى مراقبة الله تعالى ، ودعوة لزوجات الرسول ﷺ إلى ترك التأمر والمكايدات المحبوكة وراء الأستار ، والتفرُّع بالقلوب إلى مراقبة الله تعالى ، وذكره وشكره والالتجام إليه .

إن تَقُوبًا إِلَى اللّهِ لَقَدْ صَمَّتَ قُلُونُكُمًا وَإِن تَطْهَرًا عَلَيْهِ فَإِنْ اللّهُ هُوْ مَوْلَــُهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلَّحُ الْمُؤْمِنِينَ
 إلْهَمَاتَكَةُ بَعْدُ ذَالكَ فَهِيرٌ.

تأتى هذه الآية لتوجيه عائشة وحقصة رضى الله عنهما ، إلى التوية النصوح والتفوغ لذكر الله وطاعته .

وقد جرت العادة بأنُّ الشنون المنزلية تشغل بال الرجال وتضيع زمنًا من تفكيرهم فيها.

وتبين الآية أن قلبى عائشة وحفصة قد انشغال بتدبير مؤامرة ، يترتب عليها أن يزهد النبي ﷺ في بعض نسائه ، والنبى الكريم يربّى أمّة ، ويرجّه دعوة ، وينزل عليه الوحى ، ويبلّغ الوحى للناس ، ويقود الجيوش ، ويرسل السرايا ، وينظم شئون الأمة الإسلامية صباح مساء ، فينبغى أن يتوفّر له القدر الكافى من الهدوء النفسي والمعنوى .

لذلك حمل القرآن حملة قوية على عاشة وحضمة ، وذكّرهما أن قلوبهما قد مالت عن الانشغال بطاعة الله إلى عمل مؤامرة لتزهيد الذبي صلى النبي الله في بعض نسائه .

ومعنى الآية :

إن تتويا إلى الله تعالى مما بدر منكما ، فذلك حق واجب ، وخير كبير ، لأن قلويكما قد انصرفت عن الإخلاص والحب لرسول الله ﷺ ، وحب ما يحبّه ، وكراهة ما يكرهه ، إلى تدبير مؤامرة منكما ليكره بعض نسائه .

وإن تتعاونا على النبي ﷺ بما يسوءه ، من الوقيعة بينه وبين بعض نساته ، فإن تعاوتكما وتظاهركما عليه فاشل ضائع ، لأن هناك قوةً عليا، وجيوطًا متعاونة ، تزازر رسول الله ﷺ ، وتشد أزره .

أَإِنُّ ٱللَّهُ. مولاه وتاصره ، وكفي به وليا وتصيرا.

وَجِبْرِيلُ. كذلك وليه ونامسه.

وَصَلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينِ ، وأبو بكر وعمر ، والصالحون من المؤمنين تصراء له .

وَ ٱلْمَاتَتِكَةُ يَعْدُ ذَالِكَ ظُهِرٌ . والملائكة وهم أعظم المخلوقات ، بمثابة جيش جرار ، يملا القفار ، نصرة للنبى المختار ، فمن ذا الذي يستطيع أن يناوئ النبي ﷺ بعد ذلك ، والآية مسوقة لتعظيم قدر النبي ﷺ ، وبيان منزلته العالية ، وأن الدنيا كلّها تسانده ، وأيضا للتأثير العاطفي على نسائه ، حتى يكنّفُنْ عن التآمر عليه ، وحتى يتفرخ كليًا لأمر دعوة الإسلام .

وقد كان يكفى أن يقال · فَإِنَّ ٱللَّهُ هُو مَوْلُكُ . ومن وجد الله وجد كلَّ شيء ، ومن فقد الله فقد كل شيء ، لكن الحق سبحانه وتعالى أراد أن ببين أن الكون كله معه، فخالق الكون معه ، والكون كلُّه معه .

وقد ثبت في الصحيح ما يفيد أن هذا الأمر شغل رسول الله ﷺ، واعتزل نساءه شهراً ، وأنَّ ذلك شق على المسلمين ، وحزنوا لفضب النبي ﷺ من نسائه .

ودخل عمر على رسول الله ﷺ، وقال: يا رسول الله ، ما يشقُّ عليك من شأن النساء؟ فإن كنت طلُّقتهنُّ فإن اللَّه معك وملائكته وجبريل ، وأبو بكر وعمر معك ، فنزلت هذه الآية موافقة لقول عمر رضى الله عنه .

والخلاصة : إذا تظاهرُتما عليه فلن يضرُّه ذلك ، لأن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهير . عَمَىٰ رَبُهُۥ إِن طَلْقَكُن أَن يُلدِلُهُۥ أَزْوَجًا خَيْرًا شَكُنْ مُسْلِمَنْتِ مُولِئِنْتِ قَلْبِشْتِ تَلَجِنْتِ عَلْبِهَاتِ سَتِيحَنْتِ وَلَيْشَتِ وَلَيْتَنْتِ عَلْبِهَاتِ اللّهِ عَلَيْهَاتِ اللّهُ عَلَيْهَا اللّهِ عَلَيْهَا اللّهُ عَلَيْهَا اللّهُ عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهَا اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهَا اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ اللّهِ عَلَيْهَا اللّهِ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهَا اللّهُ عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ عَلَيْهَا اللّهُ عَلَيْهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ

أى : إن تحقق طلاق الرسول ﷺ لَكُنَّ ، فإن الله سيبدله أزواجًا خيرا منكنَّ ، يتمتعن بأخلاق فأضلة ، . هي قدوة لَكنَّ وللجميع .

مُسْلِمُكْتٍ . خاصْعات مستسلمات لأمر الله ورسوله .

مُّوْمِنَكِيٍّ ، مصدِّقات مخلصات ،

قَانِعَاتٍ . متعمقات في العبادة والقنوت ، والتبتل والإخلاص ، مواظهات على الطاعة .

للبُّكِتِ . نادمات على وقوع المعصية ، متجهات إلى الطاعة.

عَلَيدًا تٍ . متذلَّلات في طاعة الله ومحبته والإخلاص له .

سَتَحَسْتِ . متأملات بعيونهن وقلويهن في ملكوت السماوات والأرض ، صائمات عن كل سوء ، مهاجرات عن السوء مجتنبات له .

لَيُسْتُو . جمع ثيب وهي التي زالت عذرتها ، وسميت بذلك لأنها ترجع إلى الزرج بعد زوال عذرتها . وأَيْكَارًا . همم دكر ، وهي التي تفتض بكارتها .

وذكر الجنسين لأن في أزواجه ﷺ من تزوجها ثيبا ، وفيهن من تزوجها بكرًا ، وجَاء أنه لم يتزوج بكرا إلاً السيدة عائشة رشمي الله عنها .

وقد رضيت نفس النبي ﷺ بعد نزول هذه الآيات، وخطاب ربه له ولأهل بيته، واطمأن هذا البيت الكريم بعد هذه الزلزلة، وعاد إليه هدوءه بتوجيه الله سبحانه وتعالى.

توجيهات للمؤمنين

﴿ يَثَاثِهُا الَّذِينَ عَامَنُوا فَقَ الْنَفْسَكُو وَأَهْلِيكُو نَارَا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَيْكُةً غِلَاظُ شِدَادٌ لَا يَسْتَعْبُونَ اللَّهُ مَا أَمُوهُمْ وَيَفْعِلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۞ يَتَأَيُّهَا اللَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَشْنَدُرُوا اللَّهِ مِّأَيْنَ اللَّهُ وَلَدُ عَلَى اللَّهُ اللَّيْنَ كَفَرُوا لَا يَعْفَرُوا اللَّهُ وَيَعْبُونَ عَلَيْهُمْ وَيُدِ خِلَكُمْ جَنَنْتِ جَعْرِي مِن تَعْتِهَا لَنَهُ وَيَدِيلُ اللَّهُ النَّيْقَ وَاللَّذِينَ عَامَنُوا مَعَةُ، فُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيمِ مَنْ اللَّهُ النَّيْقَ وَاللَّذِينَ عَامَنُوا مَعَةُ، فُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيمِمْ وَيُقُولُونَ وَيَعْلَمُ النَّيْقَ وَاللَّذِينَ عَامَنُوا مَعَةً، فُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيمِمْ وَيَأْمُونُونَ وَيَعْلَمُ اللَّهُ النَّيْقَ وَاللَّذِينَ عَلَمْ اللَّهُ النَّيْقَ وَاللَّهُ اللَّهُ النَّيْقَ جَهِدِ اللَّهُ النَّيْقَ وَاللَّهُ عَلَيْهُمْ وَمُأُونَهُمْ وَيَعْلَى مِنْ اللَّهُ النَّيْقُ جَهِدَ اللَّهُ النَّيْقَ عَلَيْهُمْ وَيَعْلَمُ عَلَيْهُمْ وَمُأُونَهُمْ وَيَعْلَى اللَّهُ النَّيْقُ جَهِدِ اللَّهُ اللَّهُ النَّيْقُ جَهِدِ اللَّهُ وَالْمُنْفِقِينَ وَاغْلُطْ عَلَيْهُمْ وَمُأُونَهُمْ وَمُؤْونَهُمْ جَهَنَامُ وَيُشْرَالُونَ وَيَعْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْفَيْفُونُ وَالْمُنْفِقِينَ وَاغْلُطْ عَلَيْهُمْ وَمُأُونَهُمْ وَمُنُونَ وَمُؤْونَهُمْ عَلَيْمُ وَالْمُنْفِقِينَ وَاغْلُطْ عَلَيْمِمْ وَمُأُونَا وَالْمُنْفِقِينَ وَاغْلُطْ عَلَيْهِمْ وَمُأُونِهُمْ جَهَنَامُ وَيَعْمُ اللَّهُ عَلَيْهُمْ وَالْمُنْفِقِينَ وَاغْلُطُ عَلَيْهِمْ وَمُأُونِهُمْ وَالْمُنْفِقِينَ وَاغْلُطْ عَلَيْهُمْ وَمُأُونِهُمْ اللَّهُ الْمُعْمِينَا وَالْمُنْفُونِ وَالْمُنْفُولُونُ وَالْمُنْفُولُونَ وَالْمُنْفُولُونَ وَالْمُنْفُولُونَ وَلُولُونُ وَلَالْمُنْفُولُونُ وَالْمُنْفُولُونُ وَلَالْمُنْفُولُونُ وَلَالْمُنْفُولُونُ وَالْمُلْعُلُولُونُ وَلَالْمُنْفُولُونُ وَالْمُؤْمُولُونُ وَلَالْمُلْعُلُولُونُ وَالْمُؤْمُولُونُ وَلَالَمُنْفُولُونُ وَلَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُونُ وَالْمُؤْمِلُونُ وَالْمُؤْمُولُونُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُولُونُ وَالْمُؤْمُ و

معصير الرا

المفردات:

قسوا ألسفسسكسم؛ اجعلوا لها وقاية من النار بترك المعاصى .

وأهما المساعدة والتأديب.

الـــوقــود: (بفتح الواو) ما توقد به النار.

السمحسمجسسادة الأصمام التي تعبده قال تعالى : إِنْكُمْ وَمَا تَعْبُلُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَمَّهَ عُجَهُمْ... (الأنساء ١٩٥٠).

مسلائسكسة: هم خزنة جهنم التسعة عشر.

غسسسسلاظ، غلاظ القلوب ، لا يرحمون إذا استُرحموا.

تسويسة نصسوحسا، بالغة الغاية في النصح ، وقوامها ثلاثة أمور: الندم على ما غات ، والإقلاع في الحال ، والعزم على عدم العودة إلى المخاصى أبدًا ، كما لا يعود اللبن إلى الضُرح،

يوم لا يخزى الله النبي: لا يصيبهم بالخزى أو الانكسار أو الفضيحة .

بسيس أيداد مهم ، أمامهم ، يسعى نور الإيمان بهم على الصراط .

جساهك الكسار ، بمختلف أنواع الأسلحة .

والمحشاف قيدن باللسان والحجق

واغطظ عطيهم اشتد عليهم بالانتهار والمقت والقتل بحق.

تمهيك:

في الآيات السابقة توجيه وتحذير لأمهات المؤمنين ، بأن النبي إذا غضب عليهن وطلقهن، فسيحرمن من هذا الفضل ، وسيعرُضه الله نساء أخريات ، متُصفات بصفات سامية ، هي المثل الأعلى .

وهنا يرجُّه النصح للمؤمنين بوقاية أنفسهم وأهليهم من النار بترك المعاصى وفعل الطاعات، وأخير عن الكفار أنهم يلقون جزاءهم فى الفار ، وأمر المسلمين بالتوية النصوح ، والندم على ما فات ، والعزم على الاستقامة فيما هو آت ، فإن ذلك وسيلة إلى مغفرة الذنوب ، ودخول الجنات فى يوم القيامة ، حيث لا يهين الله النَّبى ولا يخذله ، بل يكرمه ويكرم المؤمنين ، حيث نرى نور أعمالهم يسعى أمامهم وعن يمينهم .

ثم ترّج ذلك كلّه بالأمر بجهاد الكافرين المعتدين ، والمنافقين المتستّرين ، والمجاهدة قد تكون بالقتال ، وقد تكون بالحجة والبرهان .

التفسير،

٣ - يَناتَّتُهَا ٱللَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْا أَنْفَسَكُمْ وَأَفْلِكُمْ نَاوًا وَقُوفُهَا آثَاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَتِيكُمْ عِلَاظَ هِمَاةً لا يَعْمُونَ آللهِ مَنا أَمْرَهُمْ وَيَفْعُلُونَ مَا يُؤْمُرُونَ .

بعد أن حدَّرت الآيات السابقة زوجات الرسول ﷺ من إيذاته ، توجهت هذه الآيات إلى نصم المؤمنين بالتوية والاستقامة والعمل الصالح ، وأن يجعلوا بين أنفسهم وبين الذار وقاية وحماية ، وذلك بعمل المأمورات ، وترك المنهيات ، واجتذاب الشبهات .

أما وقايتهم الأمليهم من النار ، فذلك بحملهم على الطَّاعات ، وأمرهم بالصلوات ، وإلزامهم بآداب الإسلام ، ورعايتهم وتأديبهم .

قال تعالى ﴿ وَأَمُرْ أَهْلَكَ بَالصَّلَوْةِ وَآصْطَيرْ عَلَيْهَا لَا نَسْعَلُكَ رِزَّقَا نَّحْنُ نُوزُقُكَ وَآلْعَاقِبَةُ لِلتَّقْرَى ١٠٢١ . (طه: ١٣٢).

قال قتادة: تأمر أهلك بطاعة الله، وتنهاهم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به، وتساعدهم عليه، فإذا رأيت معصية قدعتهم عنها، ورجرتهم عنها، اله.

وروى أحمد ، وأبو داوه ، والحاكم ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبى ﷺ قال : «مروا أبناءكم بالمسلاة سبع ، واضروهم عليها لعشر ، وفرّقوا بيتهم في المضاجم» . (۱۰۱) .

وروى الترمذي ، والحاكم أن رسول الله ﷺ قال : «ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن» (111).

صفة النار أعاذنا الله منها

وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ...

إن أمر هذه النار يدعو إلى العجب ، لأن نار الدنيا تقد بالحطب ، أما نار الآخرة فإنها تقد بأجسام م الكفار والمشركين ، ويالأصنام التي عُبدت من دون الله ، وقد ورد في وصف جهنم وأهوالها وعذابها آيات وأحاديث كثيرة ، لتحذير الناس منها ، وكثيرا ما قارن القرآن بين نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار .

قال تعالى: كَمَنْ هُوَ خَلِلاً فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْقَاءَهُمْ. (محمد: ١٥).

عَلَيْهَا مَلَكِكُةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ...

يحيط بالنار زبانية.

قال تعالى: لُوَّاحَةً لَلْشَوْرِ ، عَلَيْهَا بِشَعَةَ عَشَرَ ، وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَلُ الثَّالِ إِلَّا مَلَتِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِلْمَهُمْ إِلَّا لِشَةً لَلْلِينَ كَفُرُواْ لِيسْتَقِينَ اللِّينَ أُولُواْ الْكِيْنَاتِ وَيُؤْدَادَ اللَّيْنَ مَاشَوْاً إِيضَانًا ... (المدند. ٢٩ – ٣١) .

لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهُ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ .

فمن هصائمتهم طاعة الله فيما يأمرهم ، ومن خصائمتهم كذلك القدرة على النهوض يما يأمرهم ، وهم بقلظتهم هذه وشدتهم مُوكّاون بهذه النار الشديدة الفليظة .

وعلى المؤمن أن يقى نفسه ، وأن يقى أهله هذه النار ، قبل أن تضيع الفرصة ولا ينفع الاعتذال.

٧ - يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .

لا تعتذروا اليوم ، لأن اليوم عمل ولا حساب ، والآخرة حساب ولا عمل .

والجزاء هذا على قدر العمل ، ومن أجل كفركم وعتوّكم وظلمكم تدخلون النار جزاء عملكم : وَلاَ يَطْلِمُ زُمُّكَ أَحَدًا . (الكيف: ٤٤) . وفى ذلك المعنى يقول الله تعالى : ٱلْيُومُ تُعِزَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَيَتْ لَا ظُلُمْ ٱلْيُومُ إِنَّ ٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ . (غافر : ١٧)

٨ - يَتَأَيُّهَا ٱللَّهِينَ ءَاسْتُو تُويَوْآ إِلَى ٱللَّهِ تُويَّةُ لَسُوحًا عَسِينَ رَبُّكُم أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَكِّابِكُمْ وَيَلْمَسْتِهِمْ يَصْوَى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهُ رُيْوَ وَاللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِي وَٱللَّهِينَ عَامَتُواْ مَعْهُ. نُورُهُمْ يَسْعَىٰ يَيْنَ ٱلِينِهِمْ وَبِأَيْمَسْتِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا ٱلْحِيمُ لَنا لَوْرَهُمْ يَسْعَىٰ يَيْنَ ٱلِينِهِمْ وَبِأَيْمَسْتِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا ٱلْحِيمُ لَنا لِهُونَ لَنَا إِلَىٰ عَلَىٰ كُلُ هَىٰ وَقيدٍ .

دعوة من الله تعالى للذين آمنوا أن يتويوا إليه سبحانه وتعالى توية بالغة الغاية فى النصح ، كأنها تنصح صاحبها وتدعوه إلى ثلاثة أشياء :

١ – الندم الشديد على المعصية .

٢ - الإقلاع في الحال عن كل معصية.

٣ – العزم الأكيد على الطاعة والبعد عن كل معصية في المستقبل ، والتصميم على ألاً يعود إلى
 المعاصى أبدا ، كما لايعود اللّبن إلى الضرح .

من فعل ذلك وتاب إلى الله توبة صادفة ، كان جديرا بوعد الله له بأن يغفر له ننويه ، وأن يدخله جنات ويساتين تجرى الأنهار من تحتها ، مع الكرامة والرعاية ، والبعد عن المهانة والزراية ، والعذاب الأليم الذي يلقاء المستركون ، ومن تكريم المؤمنين أن يضمهم الله إلى الذبي الكريم في قوله سبحانه : يُومْ لِأَيْضُرِي ٱللهُ آلْشِيُّ وَٱلْلِينَ ءَاسُوا المُعَمِّرِ... وفيه تعريض بخرى الكافرين ومهانتهم في النار.

نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَا يِهِمْ ...

وهذه جملة مستأنفة لبيان حال المؤمنين عند مرورهم على الصراط ، حيث يجدون نور إيمانهم يسعى أمامهم وعن يمينهم .

كما جاء في سورة الحديد : وَ يَجْعَلُ لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ... (الحديد : ٢٨) .

يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتَّهِمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

يقول المؤمنون راغبين راجين بعد أن يله بهم الله الدعاء:

رينا أتمم لنا نورنا حتى نسير فيه إلى الجنة ، واغفر لنا وسامحنا ، وامح عنا ننوينا ، إنَ كل شئ بينك ، وأنت على كل شيء قدير ، من المغفرة والتوبة والرضوان .

قال ابن عباس :

هذا دعاء المؤمنين حين أطفأ الله نور المنافقين ، في ذلك اليوم يُشاهُد المؤمنون غرَّا محجَّلين من آثار الوضوء ، تسطح جباههم وأيديهم بالنُّور من آثار الطُّهور ، فيعرفهم رسول الله ﷺ يوم القيامة .

٩ - يَكَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَاهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَافِقِينَ وَٱغْلُطْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَ الْهُمْ جَهَنَّمُ وَإِنْسَ ٱلْمَعِيرُ.

يا أيها النبي جامد الكفار بالسيف والقوة ، وَالْمُعَنِّشِيَّ ، بالحجة والبرهان ، وفَضَع سلوكهم وكُشف نفاقهم ، واغلظ عليهم في الجهاد ، والجدال بالحجة والبرهان ، ومصير الكافرين والمنافقين جهنم ، ويئس هذا المصير مصيرا ، إنه مصير إلى النار وعذابها ، ويئس ما يلقونه فيها .

اللهم عافنًا من النار، وأدخلنا الجنة مع الأبرار بفضلك وكرمك يا عزيز يا غفار.

* * *

أمثلة من النساء الكافرات والمؤمنات

المقردات ا

ضرب السلمة مستسلا ، ضرب المثل : ذكر حال غريبة ، لتُعرف منها حال أخرى تشاكلها في الغرابة .

تسحت مسيسدين، في عصمتهما.

ه مخالف المسماء أى: نافقتا فأحفتا الكفر وأظهرتا الإيمان ، وكانت لمرأة نوح تقول لقومه : إنه مجنون ، وإمرأة لوط تعل قومه على نزول أضيافه عليه ، وقد حفظ الله زوجات الأنبياء من الزنا .

فلم يشتيا هشهما ، فلم يغيداهما ، ولم يجزيا عنهما شيئا من عناب الله .

امسرأة فسيرهسون ، هي آسية بنت مزاحم .

نجتى من فرعون وعمله ، خلَّصنى منه ، فإنى أبرأ إليك منه ومن عمله .

المقوم المطالح مين ، هم الوثنيون أقباط مصر – في ذلك الوقت – وحاشية فرعون .

أحصينت فيرجيها وحفظته وصانته.

السسسم سسسرج ، طق جيب الدرع (القميمن) إذ الفرج لفة : كل فُرجة بين الشيئين ، ويراد بذلك عفتها . كان مسان روسها ، طرافعه وكتبه التي أنزلها على رسله .

المقال المتمثلين أو المائعين المخبتين إلى الله ، المتمثلين أو إمره .

تمهيد ،

نجد في هنام السورة مثلاً لزوجتينُ كافرتينُ في بهتى نبيّين كريمين ، ومع شدة القرب بين الزوجة وزوجها ، فإن هذا القرب لم يغن عنهما من عذاب الله شيئا .

قموازين الله عادلة ، ولكل عامل جزاء عمله ، ولن ينقع المسيء قرب أفضل الرسل منه ، ولن يضرّ الصالح قرب أظلم الناس منه .

لذلك ضرب الله مقلا للذين آمنوا بزرجة فرعون ، فهذا المرّك كان يملك الملك والجاه والسلطان والقصر ، وزرجته في الذروة العليا من مظاهر الدنيا ، لكنّها تعالت على كلّ ذلك ، وطلبت النجاة من فرعون وعمله ، ومن الظالمين من حاشيته وملته ، ورغبت في جنة الله ، وفي بيت من بيوت هذه الجنة ، إنها نموذج حيّ لمائشة وحفصة ولسائر المؤمنات ، وفي الآية الأخيرة نموذج ثان لامرأة مؤمنة ، آمنت بالله وتحصيت بالعفة ، فنفخ جبريل بأمر الله في جيب قميصها ، فوصلت النفخة . إلى فرجها ، فحملت بعيسى وصدقت بكتب الله وكلماته ، وكانت من القانتين العابدين ، فجعلها الله نموذجا يحتذي لأهل الإيمان ، وجعلها ضمن أربح كاملات فضلهات سيدات نساء أهل الجنة :

- ١ آسية امرأة فرعون ،
- ٢ مريم ابنة عمران ،
 - ٣ خديجة الكبرى .
- ٤ -- فاطمة بنت محمد ﷺ.

التفسيره

١٠ - ضَرَبَ ٱلله مَثَلاً لللّهِينَ تَشَوُّوا ٱمْزَاتَ لُوحِ وَٱمْزَاتَ لُوطِ كَانَتَا تَحْتَ عَبْـتَهْينَ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَشْنِ
 فَخَالَتَاهُمَا لَمَا لَهُ فَيْنِا عَنْهُمَا مِنَ ٱللّهِ هَيْنًا وَقِبلَ ٱدْخُواْ ٱلنَّارُ مَعْ ٱللَّا عِيلِينَ

ضرب الله الأمثال في القرآن ، والمثل قصة عجيبة فيها تشبيه أمر معنري بأمر حسّى ، تجسيمًا للمعنى ، وإبرازًا للمعقول في مسررة المحسوس ، فهذا نموذج للكفر والعصيان والطرد من رحمة الله ، يتمثل في زوجة نوح وزوجة لوط ، كل واحدة منهما كانت زوجة لنبي كريم ، وعبد صالح من عباد الله المسالحين ، والعبودية لله منزلة عليا يتفاضل بها الناس ، وفي صدر سورة الإسراء : سُبْحُنُ ٱلَّذِي السُّرَا بَعْبُوهِ ... (الاسراء: ١)

ومع قرب الزرجة من زرجها ومعايشته في النهار والليل ، ورويتها لسلوكه ، وفضل الله عليه ، فأن الإيمان لم يضالط بشاشة قلبها ، فكانت زوجة نوح تسخر منه مع الساخرين ، أو تتهمه بالجنون مع قومها ، أو ترشد قومها إلى كلّ أمر جديد ، أو دعوة جديدة عند نوح ، لقد كانت خيانتها لنوح خيانة للدعوة التي يحملها ، ولم تكن خيانتها ارتكاب فاحشة الزنا ، لأن الله حفظ نساء الأنبياء من ارتكاب فاحشة الزنا .

وكانت امرأة لوط ترشد قومه إلى الأضياف الذين ينزلون عنده ، فغضب الله عليهما ، ولم يفن نوح أو لوط عنهما من عذاب الله شيئًا ، وقيل لهما : الدخلا للنار مع اللالمطين من أمة نوح ولوط .

وهو تهديد لعائشة وحفصة ، وزوجات الرسول عامة ، ولكل إنسان ، مؤدّاه : إن الله أعدّ الجنة لمن أطاعه وإن كان عبدًا حبشيا ، وأعد النار لمن عصاه وإن كان حرًّا قرشيا ، أو منسبا أو قريبًا للنبيّ ﷺ ، أو زرجة من زوجاته ، فالخلق جميعا عباد الله تعالى ، يتفاضلون عنده بالتقوى ، ويدركون ثوابه بالعمل الصالح .

قال تعالى : يَنَالَهُمَا النَّاسُ إِنَّا خَلَفَنْكُم مَن ذَكِرٍ وَأَنْفِى وَجَعَلْنَنْكُمْ لْمُعُوبًا وَقَبَالِلَ لِتَعَارُقُواْ إِنْ أَكَرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَنْفَلَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ جَبِيرٌ . (المحمان: ١٣).

١١ – وَ صَرَبَ اللَّهُ مَنَالاً لِلَّذِينَ مَامَنُواْ آمَرَاَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبَّ آبَنِ لِى عِندَك يَتَنَا فِي آلْحِنَّةِ وَلَحِّنى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَلَحَبِّنِي مِنْ ٱلْفَوْمُ ٱلطَّلِمِينَ .

ونموذج آخر حى للإيمان والمثل الأعلى المسالح ، امرأة فرعون ، كانت تحت أعظم ملك ، ومعها القصور والجاه ، لكنها لما آمنت بموسى زهدت فى كلّ شىء ، وحذّبها فرعون بأريمة أوتاد ، من يديها ورجليها ، لكنها رفضت كل إغراء ، وطلبت النجاة من فرعون وعمله ، والنجاة من حاشيته وأتباعه ، وأن يكون بيتها عند الله في الجنة ، في معية الله ورحمته ، وفضله ورعايته .

قال بعض العلماء :

صا أحسن هذا الكلام ، فقد اختارت الجار قبل الدار حيث قالت: آنر لِي عِندُكُ بَيَّا فِي ٱلْجَنَّةِ . فهي تطمع في جوار الله قبل طمعها في القصور ، وفي الآية دليل على إيضائها بالهمت والدار الأخرة .

قال قتادة :

كان فرعرن أعتى آهل الأرض وأكفرهم ، فوالله ما شرّ امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربّها ، ليعلموا أن الله تعالى حكم عدل ، لا يؤلفذ أحدًا إلا يذّبُه .

١٧ - وَمُرْيَمُ أَنْبَتَ عِمْرَانَ أَلْيَى أَحْمَنَتَ فَرْجَهَا فَنَفْخَنا فِيهِ مِن رُّوحِنا وَصَلَقَتْ بِكَلِمَنْت رَبَّهَا وَكُلْبِهِ وَكَالَتَ
 ١٧ - وَمُرْيَمُ أَنْبَتَ عِمْرَانَ أَلْيِي أَحْمَنَتَ فَرْجَهَا فَنَفْخَنا فِيهِ مِن رُّوحِنا وَصَلَقَتْ بِكَلِمَنْت رَبَّهَا وَكُلْبِهِ وَكَالَتَ
 ١٧ أَلْفَلْدِينَ .

ونموذج آخر للمثل الأعلى للعراة المؤمنة ، هو مريم ابنة عمران البتول الطاهرة المتعبدة المسالمة الّي ٓ أَحْمَنَتْ قُرْجَهَا . أي: حفظته من كل فاحشة ، كالحصن الذي يتحصن به الجنود فلا يصل إليهم الأعداء ، والمرأة المحصنة هي الفاضلة المستقيمة البعيدة عن الريبة ، فقد وصفها الله بالطهارة والاستقامة ، ويُعدما عن الفاحشة ، حيث أحصنت فرجها وحفظته عن الحرام .

وحينما ظهر لها جبريل في صورة بش ، هالت : إِنِّيَّ أَخُودُ بِالرَّحْمَسُ مِيكَ إِن كُستَ تَقِيَّاه قَالَ إِنْمَا أَنَّا رُسُولُ رَبُّكِ لِأَهْبَ لَلكِ هُلَدَمُ أَرَكِيًّا ، قَالَتَ أَثْمَا يَكُونُ لِي غُلَمْ وَلَمْ يَمْسَمْنِي بَشْرٌ وَلَمْ أَلاْ يَهِنَا ه قَالَ كَذَ لِلهِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هُنِّ وَلِيَحْمَلُهُ وَيَانِهُ لَكُنْ وَرَحْمَةً مَثَّا وَكَانَ أَمْرًا مُفْعِيًّا ه لَعَمَلَتُكُ قَاتِبَلُتْ إِن مِكَانًا قَعِيلًا . ومديد ١٨ - ٢٧) .

هذه المرأة رفعها إيمانها الكامل ، وطاعتها لربها ، وعفتها وإحصانها لفرجها ، ويُعدها عن الزنا والفاحثة، فنفخ جبريل فى جيب تعيصها ، فوصلت النفضة إلى فرجها ، فحملت بعيسى عليه السلام ، كما هو مفصّل فى سورة مريم وغيرها من السُّور .

وَصَدُقَتْ بِكُلِمَاتِ رَبَّهَا وَتُكْبِهِ وَكَالَتْ مِنَ ٱلْقَلِيمِينَ .

وآمنت بشرائع الله وكتبه وصحفه ، كصحف إدريس وصحف إبراهيم وموسى، وصدقت ببشارة الله لها ، أنها ستحمل ولذًا بدون أب ، ليكون آية بينة للبشرية كلّها على قدرة الله الخارقة ، وأنّه سيحانه هو المسبب للأسباب ، وأن أمره بين الكاف والذون . قال تمالى : إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَزَادَ شَيًّا أَن يَقُولَ لَهُر كُن فَيَكُونُ . (يس : ٨٢) .

وقال تعالى: إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلٍ ءَادَمَ خَلْقَةُر مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُركُن فَيَكُونُ . (ال عمران : ٥٩) .

وثبت في المصحيحين ، عن أبي موسى الأشعري ، عن النبي ﷺ قال : «كُنُل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا أربع : آسية امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ﷺ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» . (١٩٠٠).

. . .

خلاصة ما تضمنته سورة التحريم

اشتملت سورة التحريم على ثلاثة أمور :

ا خيار نساء النبي 業 ، وحلفه ألا يشرب العسل إرضاء لبعضهن ، أو حلفه ألا يقرب مارية
 القبطية، وأمره حقصة أن تكتم الموضوع فأفشته ، وأعلمه الله بذلك ، ثم أدّب القرآن زوجات الرسول 機 أدبا مناسبا .

٢ - غيرب الله مثلا للذين كفروا بامرأة نوح وامرأة لوط.

٣ - ضرب المثل للذين آمنوا بآسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران.

* * *

تم بحمد الله تعالى تفسير سورة (التحريم) ، ويه تمّ تفسير الجزء (الخاص والعشرين) ، والحمد لله الذي بنعبته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بلحسان إلى يوم الدين .

وكان الفراغ منه عصر يوم السبت ١٦ من ذي القعدة ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١/٢/١٠ م ، ونسأله تمالي المعونة والتوفيق والسداد، إنه نعم المولى ونعم التمين .



- (١) في ظلال القرآن ، بقلم سيد قطب ٨/٢٨.
- (٢) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/٩٥١.
 - (٣) أخرجه أحمد وأبو داود .
- (غ) رواه این جرور ، قال این کثیر : وإلی ما ذکرناه ذهب این عباس والاکارون . وانظر مختصر تفسیر این کثیر تحقیق محمد علی الصابونی المجلد اثالث ص ، 4 ه 4 :
 - (٥) حكاه الآلوسي .
 - (٢) حكاه القرطين
 - (٧) انظر تفسيري المراغي والآلوسي، والتفسير الوسيط بإشراف مجمع البحوث الإسلامية .
 - (A) الحمد لله الذي وفق:

رواه أبو باود في الأقضية ((۲۰۹۳) والترمذي في الأحكام ((۲۰۷۳) والدارعي في المقدمة ((۲۰۸) وأحمد في مستره ما أبو بالرواعي والمواحدة في مستره مستره أبو بالرواعية بن جبل أن رحول الله 養 الما أران يبعث ماذا إلى اليمن قال: «كون تقضي إذا عرض لك قضاء» قال: أقضي بكتاب الله» قال: «قازن لم تجد في كتاب الله» قال: «قازن لم تجد في كتاب الله» ولا في سنة رسول الله» قال: أوتهيد رأيي ولا أثل ، فضرب بعل الله» وقال: واتجد رأيي ولا أثل ، فضرب بحل الله عند وقال: «قال أبو عيسى: هذا حديث لا يمن في نصب الرابة: وأهرجاء أيضاً عن أناس من نحرف إلا من هذا الربح، وأيض السناده منتصل ، أصحاب مماذ أن رسول الله ... مرسلاً ، قال الترمذي : هذا حديث لا تعرف في نصب الرابة: وأهرجاء أيضاً عن أناس من أسحاب مماذ أن رسول الله ... مرسلاً ، قال الترمذي : هذا حديث لا تعرف المعادن عن شعبة الثقفي عن أصحاب معاذ عن معاذ، ربوي عنه أبر عين ، ولا يصب ، ولا يعرف إلا يعرف إلا يعرف إلا يعرف إلا يعرف إلا يعرف الإسلام عن شريع أن كتاب الله غزان لم معاذ يري عنه أبر عين ، ولا يصب ، ولا يعرف إلا يعرف إلى موسراً الله ، فاقض بما قضى به المسالحين فإن أم يكن في كتاب الله في نشر والله ، فاقض بما قضى به المسالحين فإن الم يكن في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ، فإن لم يكن في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ، فاقش به الكون.

(٩) مهلايا عائشة إن الله يحب الرفق:

رواء البخارى فى الأدب (٢٠٢٤) ومسلم فى السلام (٢٦٦٥) من حديث عروة بن الزبير أن عائشة رضى الله عنها زوج النبي 養قالت: دهل رهط من اليهود على رسول الل 養 فقالوا: السام عليكم ، قالت عائشة: ففهمتها فقالت: وعليكم السام واللحنة ، قالت: فقال رسول الله 養: مقد قلت: وعليكم ». أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول الله ﷺ: وقد قلت: وعليكم ».

(١٠) نقلا عن تفسير القرطبي ، وصفوة المفاسير للصابوني ٣٣٩/٣.

(١١) إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان:

رراه البخارى فى الاستئذان (١٢٧٠) ومسلم فى السلام (٢١٨٤) من حديث عبد الله رضمى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: وإذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الأخر حتى تمثلموا بالناس من أجل أن يحزنه» .

(٢) انظر مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق الصابوني ٤٦٣/٣ . و

(١٣) والله في عون العبد ما كان العبد في عون أحيه:

رواه مسلم في الذكر (٢٦٩٩) من حديث أبي هريوة قال: قال رسول الله 響؛ ومن نفس عن مؤمن كرية من كرب الدنيا، نفس الله عنه كرية من كرب يوم القيامة، ومن يصر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والأهرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والأخرة ، والله في عرن العبد ما كان العبد في عرن أهيه ، ومن الله لله طريقا يلتص فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة و يشتهم الرحمة وحقفهم الملاككة وذكرهم الله فيمن منده ، ومن بناً به عمله لم يسرح به نسيه .

(\$ 1) ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا يعفو :

رواه مسلم في الدر والصلة (۸۸۵)، والقرمذي في الدر والمسلة (۲۰۲۹)، وأحمد (۵۲۱۹ ، ۸۷۸۲)، والدارمي في الزكاة (۱۹۷۹) من حديث أبي هرورة ، وقال القرمذي : حديث حسن صحيح .

(١٥) لا يقيم الرجلُ الرجلُ من مجلسه ثم يجلس فيه :

رواه البخارى فى الاستذان (٦٣٦٩) ومسلم فى السلام (٣٩٧٧) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ، عن النبى ﷺ قال : «لا يقيم الرجلُ الرجلُ من مجلسه ثم يجلس فيه» .

(١٦) من أحب أن يمثل له الرجال قياما :

رواه آبو داره فى الأدب (٣٢٩) والترمذى فى الأدب (٣٥٥) من حديث أبى مجلز قال : هرج معاوية على ابن الزبير. وابن عامر فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير ، فقال معاوية لابن عامر : لجلس فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من أُهب أن يمثل له الرجال قياما فليتبرأ مقعده من النار» .

وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن .

(١٧) قوموا إلى سيدكم :

رواه البخارى فى الجهاد (٣٠٤٣) ومسلم فى الجهاد (١٩٧٨) من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد – من ابن معاذ – بعث إليه رسول الله ﷺ وكان قريبا منه فجاء على حمار ظلما دنا قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيدكم» . فجاء فجاس إلى رسول الله ﷺ فقال له: وإن هؤلاء نزلوا على حكمك» ، قال: فإنى أحكم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى الذرية ، قال: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك» .

(١٨) ليليني منكم أوثو الأحلام واثنهي :

رواه الترمذي في الصلاة (٢٢٨) وأحمد في مسنده (٤٣٦٠) من حديث عبد الله عن الغبي ﷺ قال: «ليليني منكم أوّلق الأحلام والنهي، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ولا تختلفوا فتختلف قلويكم ، وإياكم وهيشات الأسواق».

وقال الترمذي : حسن صحيح غريب.

والنصاش فى الإمامة (٨٠٧) وابن ملجّة فى إقامة الصلاة (٣٧٦) من حديث أبى مسعود قال : كان رسول الله ﷺ يمسع مذاكبنا فى المسلاة ويقول : «لا تختلفوا فتختلف قلويكم ليلينى منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال أبو مسعود : ذأتتم اليوم أشد المقالاةًا .

(١٩) والله في عون العبد :

تقدم تشريجه ، انظر هامش (١٣) .

(ء ٢) إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما :

رواه مسلم في مسلاة المسافرين (A۱۷) وابن ماجة في الشقدمة (۲۱۸) وأحمد في مسنده (۲۳۳) من حديث عامر بن وائلة أن نافع بن عبد الخارث لقى عمر بعسفان وكان عمر يستصله على حكة فقال : من استصلات على أهل الوادى ؟ فقال : ابن أبزى، قال : ومن ابن أبزى ؟ قال : مولى من موالينا ، قال : فاستخلفت عليهم مولى ، قال : إنه قارئ لكتاب الله عن وجل وإنه عالم بالفرائض ، قال عمر : أما إن نبيكم ﷺ قد قال : وإن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به كفرين،

(٢١) ماحصر تفسير ابن كثير، المجلد الثالث ص ٤٦٥ .

(۲۲) ما تری دینارا :

رواه الترمذي في تفسير القرآن (٣٠٠) من حديث على بن أبي طالب قال: لما نزلت فو يا أبها اللين آمدوا إذا ناجيم الرسول ظلموا بين بدى نمواكم صفقة في قال لي النبي ﷺ: هما ترى ، دينارا» ؟ فلت: لا يطيقونه ، قال: هننصف دينان» ؟ قلت: لا يطيقونه ، قال : هنكم » ؟ قلت : شعيرة ، قال : وإنك لزهيده ، قال ، فنزلت فو الشفاتم أن تقلموا بين يدى نجواكم صفقات ... في الآية . قال : فيي جنف الله عن هذه الأمة .

وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣٣) التقسير المنير ، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنات، الجزء ٢٨ ص ٤٨ .

(45) صفوة التفاسير .

(٢٥) أخرجه في : ٧٥ - كتاب المرضى ، ١٩ - باب عيادة المشرك ، حديث رقم ١٩١٤ ، عن ألس .

(٢٦) تفسير القاسمي، المجلد السابع، دار إحياء التراث العربي . بيروت لبنان ص ٩٩ ، ٩٠ .

(٢٧) انظر تفسير النسفى: 3 - ١٧٩ ، وكتب التفسير والسيرة.

(٢٨) تور اليقين في سيرة سبد المرصلين ص ١٢٧ .

(۲۹) الوجيف: سرعة السير . والركاب: ما يركب من الإبل.

(٣٠) حمل بعشهم عليه الآية (٢١) من سورة الحشر ، حيث استفرجه الشيطان إلى المهمية ثم إلى الشرك ثم تعلى عنه ، وذلك أن الشيطان ذهب إلى بنت فخفها حتى مرضت، ثم أفهم أهلها أن شفاءها عند ذلك العابد ، فتركها أهلها عنده في صومعت ليرقيها ، فلما شابت وسوس له الشيطان حتى ارتكب معها الفحشاء ، فلما انكشف أمره أحد ليُصلب فطلب منه الشيطان أن يسجد له حتى يتجو من العساب، فسجد للشيطان ثم مات كافراً .

(٣١) الأتواء : الأمطار ، والتوء: المطر .

(۳۲) البدي : النادي .

(٣٣) سمحة : الملة الميسرة . قال ﷺ : «بعثت بالحنيفية السمحة» .

(34) الغلو .

(۳۵) متأثیا .

(٣٦) طفر : وثب .

(٣٧) أخرجه في: ٦٥ كتاب التفسير ، ٥٩ سورة الحشر ، ١ - ياب الجلاء من أرض إلى أرض، حليث رقم ١٨٦٩ .

(۳۸) تفسیر القاسمی ۱۹ – ۷۲۳ ه .

(٣٩) تفسير سورة الحشر ، المجلس الأعلى للشتون الإسلامية . -

(٠٤) تفسير القرآن الكريم، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٤١) إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها :

رواه البخاري في الشروط (۲۷۳۱) وفي الترحيد (۷۲۹۷) ومسلم في الذكر (۲۸۷۷) والترمذي في الدعوات (۲۰۵۰ م ۱۵۰۸) وابن ماجة في الدعوات (۲۰۵۰) من حديث أبي هرورة رضي الله عنه أن رسول الله هجة قال : وإن الله تسمة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل اللجنة». وبرواه الترمذي في الدعوات (۲۰۵۷) من حديث أبي هرورة قال الدهقة - وإن لله تعالى تسمة وتسمين اسماً مائة عبر واحد من أحصاها دخل الجنة ، هم الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الله هجة - وأن لله تعالى تسمة وتسمين اسماً مائة عبر واحد من أحصاها دخل الجنة ، هم الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الموجه الملك القدرس السلام المؤمن المهجمة العبر واحد عن معنوان بن صالح ، وهم ولا تعديث غريب حدثنا به غير واحد عن معنوان بن صالح ، وهم ولاقة عند أهل الحديث ، وقد روي هذا به نظر واحد عن مغنوان بن صالح ، وهم ولاقة عند أهل الحديث ، وقد روي هذا لله المحديث ، وقد روي هذا المحديث من الريابات له إسناد صحيح ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث ، وقد روي دي الأسماء ولا من ولدي أدم بن أبي إياس هذا الحديث ، في إسناد خير هذا عن أبي هرورة عن الذبي م ولا وكدي أنه عندا المديث ، وقد روي أدم بن أبي إياس هذا الحديث ، في هذا عن أبي هرورة عن الذبي م ولا كديات ولدي أدم بن أبي إياس هذا الحديث ، وليس لا أمن من الريابات له إسناد صحيح .

(٢٤) التليد : القديم العهد .

(٤٣) غدروا بنا و نحن عاكفون على صلاتنا بالليل.

(\$\$) نصرا عزيزا .

(63) المصانعة : المجاملة و السبق بالمعروف .

(٤٦) لعل الله اطلع إلى أهل بدر:

رواه البخاري في الدخاري (٣٩٨٣) من حديث على رضى الله عند قال: بعثني رسول الله ﷺ وأبا مراد الغنوي والزيير ابن العرام وكذا غارس ، قال : داننظاري على يعير لها حديث قال سول ﷺ فقانا: الكتاب ، فقالت : ما معنا كتاب من حامله بن أمي باشته إلى المشركين ، فأدركناها تسير على يعير لها حديث قال سول ﷺ فقانا: الكتاب ، فقالت : ما معنا كتاب المأتفات المعنا كتاب أو ليتردك. وقد أمل أن البد أمرت إلى حجزتها وهي محتوزة بكساء فأغرجته ، فأنطلتنا بها إلى رسول الله ﷺ فقال عدر يا رسول الله ، قد هان الله ورساله والدن منين فعد ، فقال النبي ﷺ : وما حملك على ما مستحته ؟ قال حاطب : والله ما بي أن الله كا بي أن الله على أن الله ما بي أن الكون من نا بالله ورسوله في أن الله ما بي أن الله ما بي أن الله ما بي أن الله ما بي أن المسابك المناف من مضورته من بدخ الله به عن أمله وماله ، فقال عمرت ، ولا تقولوا له إلا غيراه ، فقال عمرت . إنه قال عالم إلى أن الكون من منافي المناف من عضورته من والمؤمنان فدعني فلأصرت عنقه ، فقال والي ابدى ؟ فقال : والمؤمنين فدعني فلأصرب عنقه ، فقال والي وسريه والمؤمنين فدعني فلأصرب عنقه ، فقال وأن ، فعدت عينا مو مالك الله الطع إلى أمله .

(٤٧) في ظلال القرآن ٨١/٨٥.

(44) في ظلال القرآن ٢٨/٢٨ .

(٤٩) انظر تفسيري الطيري وابن كثير.

(• 0) د. محمد سيد طنطاري، التقسير الوسيط، الجزء ٢٨ ص ٢٦٨ .

(0) تفسير العمرير والتدوير، جـ 78 ص 179 الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، قال : واللام في للذين كفروا للمبلك ، ويمجوز أن يكون المعنى: لا تجعلنا فاتتين للذين كفروا بعضفنا وتفرقنا .

(٥٧) تعم ميلي أمك :

رواه الهخارى في الهبة (١٩٦٠) وفي الجزية (٢١٨٣) ومعلم في الزكاة (٢٠٠٣) وأبو. داور (١٩٦٨) وأحمد في مسنده (٢٩٣٧) من حديث أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قال : قدمت على أمى وهي مطركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت : وهي راغية أفأسل أمي ؟ قال : هنعم صبلي أمك» .

(٥٣) تفسير الطبري مجلد ١٢ ص ٢٩، سورة الممتحنة الآيتان (٩ ، • ١) دار الغد العربي، العباسية، القاهرة .

(44) التفسير الكبير للزمام فخر الدين الرازي .

(88) والله ما مست ينه يد امرأة قط في المبايعة :

رواه الدخارى في تفسير القرآن (٤٨٩٦) من حديث عروة أن عائشة رضى الله عنها زيج النبي 難 أميرته أن رسول الله 難 كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الأية بقول الله : ﴿ يَا أَيُهَا النِّي إِنَّا جَاءُكُ المُومَنات بيابعثك ﴾ إلى قوله : ﴿ فقور وحيم﴾ قال عروة : قالت عائشة : فمن أقر بهذا الشرط من العرّهنات قال لها رسول للك 難 : «قد بايعتك» كلاماً . ولا والله ما مست يده يد امرأة قط في العبايمة ما يبايعهن إلا بقوله : «قد بايعتك على ذلك» .

(١١٥) إنى لا أصافح النساء :

رواه النسائى فى البيمة (٤٩٨١) وابن ماجة فى الجهاد (٢٨٧٤) وأحمد فى مسنده (٢٦٤٦) من حديث أميمة بنت وليقية أنها قالت: أنين اللبني ﷺ فى نسرة من الأنصار نبايمه فللنا: يا رسول الله ، نبايمه على ألا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيبينا وأرجلنا ولا نحسوك فى معروف، دال : «فيما استطعتن وأطقتن». قالت: قلنا: الله ورسوله أرحم بنا ، هلم نبايعك يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : «إنى لا أصافح النساء إنما قولي لمائة أمرأة كفرلى لامرأة واحدة أن مثل فولى لامراة واحدة ».

(٥٧) صفوة التفاسير للأستاذ محمد على الصابوتي ، ناقلا عن تفسير البحر المحيط ١٥٨/٨ والتفسير الكبير للرازي ٣٠٧/٢٩ .

(A a) أتبايعوني على ألا تشركوا بالله شيئا:

رواه البخارى في تفسير القرآن (£6.4) ومسلم (19*4) من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : كنا عند النبى ﷺ فقال : «أتباءوبنى على ألا تشركوا بالله شيئا ولا ترنوا ولا تسرقوا» ، وقرأ آية للنساء وأكثر لفظ سفيان قرأ الأية . وفعن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو كفارة له ومن أصاب شيئا من ذلك فستره الله فهو إلى الله إن شاء عذبه إن شاء غفو له» . تابعه عبد الرزاق عن معمر في الأية .

(99) ليس منا من لطم الخدود :

رواه البخارى فى الجنائز (٢٩٤) وأحمد فى مسنده (٢٠٠) من حديث عبد الله رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : «ليس منا من لطح الخدرد وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية» .

(٩ ٪) إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتا:

رواه البضارى فى المناقب (٣٥٣٦، ٣٥٣٥) ومسلم فى الفضائل (٢٢٨٦) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : وإن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بينًا فأحسنه راجمله إلا موضع لبنة من زارية شجعل الذاس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضحت هذه اللبنة ، قال : فأنا اللبنة رأنا حاتم النبيين».

(٦١) آية المنافق ثلاث:

رواه الهخاري في الإيمان (٣٣) ، وفي الشهادات (٢٣٦٩) ، وفي الوصايا (٧٤٩) ، وفي الأدب (٩٠٩٠) ، ومسلم في الإيمان (٥٩ ، ٧٤) ، والترمذي في الإيمان (٢٦٣٩) . وقال : حسن صحيح .

(٢٢) ثلاثة يضحك الله إليهم:

رواه أحمد في مسئده (١٩٣٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة يضحك الله إليهم : الرجل يقوم من الليل ، والقوم إذا صفوا للصلاة ، والقوم إذا صفوا الفتال» .

(٦٣) إنّ لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد :

رواه البخاري في تفسير القرآن (٤٨٦٦) ومسلم في الفضائل (٣٣٥٤) والترمذي في الأدب (١٨٥٠) وأحمد في مستده (١٣٦٩٢) من حديث جبير بن مطعم رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : وإن لي أسماء ، أذا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحر الله بي الكذر وأنا الحاش الذي يحشر الناس على قدمي وأنا الماقب» .

(١٤) أنا محمد وأحمد والمقفى والحاشر وني التوبة وني الرحمة :

رواه مسلم في الفضائل (٢٣٥٥) من حديث أبي موسى الأشعرى قال: كان رسول الله ﷺ يسمى لنا نفسه أسماء فقال: «أنا محمد وأحدد والمقفى والحاشر ونبي للتوية ونبي الرحمة».

(٦٥) رواه ابن إسحاق ، قال ابن كثير : إسناده جيد وله شواهد من وجوه أخر .

(٦٦) أعرجه الإمام أحمد عن العرباض بن سارية مرفوعًا .

(٦٧) أخرجه الإمام أحمد.

(38) رواه أحمد وأصحاب السّير .

(٩٩) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد على الصابوني، المجلد الثالث ص ٩٩٣ .

(٧٠) تفسير الطبرى، المجلد ٢١، سورة الصف الآيتان (١٠، ٢١) دار الفد العربي، العباسية، القاهرة.

(٧١) صفوة التفاسير، محمد على الصابوني، المجلد الثالث ص ٣٧٢.

(٧٢) في ظلال القرآن، الجزء ٢٨ ص ٨٦، الطبعة السادسة مزيدة ومنقحة ومفهرسة (دون ذكر المطبعة) .

(٧٣) إن الله زوى ثي الأرض:

رواه مسلم في الفتن (۲۸۸۹) ، والترمذي في الفتن (۲۱۷7) ، وأبو داود في الفتن (۲۱۷7) ، وأبن ماجة في الفتن (۲۹۵۲) وأحمد (۲۷/۵ ، ۲۷۶) ، من حديث ثويان . وقال الذرمذي : حمن صمعيح .

(٧٤) انظر تفسير البيضاوي .

(٧٥) في ظلال القرآن، الجزء ٢٨ ص ٨٩ (بدون ذكر اسم المطبعة) الطبعة السادسة.

(٧٦) تقسير النسفي ١٩١/٤ .

(٧٧) هاجر جعفر مع السابقين الأولين، فأرسلت قريش وراء المهاجرين عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة إلى النجاشي لبرد هزاك المهاجرين إلى قريش لأنهم سفهاء قد فارقوا دينهم، فأصر النجاشي على أن يستمع إلى وجهة نظر المسلمين المهاجرين

(٧٨) للكاتب ج. ه. دنيسون في كتاب: العواطف كأساس للحضارة.

(٧٩) إن لربك عليك حقا :

رواه البخارى في الصوم (۱۹۲۸) وفي الأدب (۱۹۲۹) والترمذي في الذمه (۲۶۱۳) من حديث أبي جحيفة قال: أخمي النبي ﷺ بين سلمان وأبي النردة وأبي الدرنة فرأي أم الدراء متبلذة فقال انها: ما شأك ؟ قالت : أخول الدراء متبلذة فقال انها: ما شأك ؟ قالت : أو النبية إلى الدراء ومنسخ له خطاءا فقال : كُلّ ، قال : فران مسائم ، قال : ما أنا بأكل الجرائر والم المان : فاكن أمن المنازل والمان اللين فعال أخراء أمان المنازل اللين قال سلمان : قم الأن ، فعالم الكن حقل الدراء يقوم قال . نم ، هنام ، ثم نفع يقوم فقال : نم ، فلما كان من المنازل اللين قال المنازل المنازل : إن أدريك عليك حقا ولأمك عليك حقا ولأهك عليك حقا ، فأعط كل ين من وحدة ، فأتبر النبي إلى وصدق سلمان، عن النبية كل النبية كل عليه المنازل ، النبية المنازل ، وسدق سلمان، النبية إلى النبية الله النبية الله النبية المنازل المنازل ، وسدق سلمان، النبية المنازل المنازل المنازل المنازل المنازل المنازل النبية الله النبية المنازل المناز

ورواه البخاري فى المسوم (۱۹۷۶) وأحد فى مسئده (۱۹۷۸) وفى الأدب (۱۹۲۶) ومسلم فى المسيام (۱۹۲۹) والنسسانى فى المسيام (۱۳۹۹) وأحدد فى مسئده (۱۹۲۸) من حديث عبد الله بن عمرو بن العامى قال: دخل على رسول اللهﷺ فذكر الحديث ، يعنى: «إن تزورك عليك حقّا وإن تزويجك عليك حقّاء ، فقلت: وما مسوم داود؟ قال: «نصاب الدهر» .

ورواه أبو داود في الصلاة (١٣٦٩) وأحمد في مسنده (٢٥٧٧) من حديث عائشة أن النبي ﷺ بعث إلى عثمان بن مظعون فجاءه فقال: ويا عثمان أرغبت عن سنتيء ؟ قال: لا والله يا رسول الله، ولكن سنتك أطلب، قال: «فإنى أنام وأصلى، وأصرم وأفطر، وأنكح النساء فاتق الله يا عثمان فإن لأهلك عليك حقا وإن لضيفك عليك حقا وإن لنفسك عليك حقاً، فصم وأفطر وصل ونم».

(۸ م) رواه این أبی حاتم.

(٨١) أعطت خمسًا لم يعظهن ني:

رواه البشارى في الليم (۱۳۷) وفي المبلاة (۱۳۸) ومسلم في المساجد (۲۷) و ۱۳۸) والنسائي في الغسل (۲۷۷) وفي المسلجد (۲۷۳) والنسائي في الغسل (۲۷۳) والدارمي في المسلج د (۲۷۳) والدارمي في المسلج د (۲۷۳) والدرمي في المسلج د (۲۵۳) والدرمي في المسلح (۲۵۳) والدرمي في المسلح د (۲۵۳) والدارمي في المسلح (۲۷۳) والدارمي في المسلح (۲۷۳) وأحدد (۲۷۳) من حديث أبي ند . ورواه أحدد (۲۷۳) من حديث عدرو بن شعيب عن أبيه عن جده و ورواه أحدد (۲۷۳) من حديث عدرو بن شعيب عن أبيه عن جده و ورواه أحدد (۲۷۳) من حديث عدرو بن شعيب عن أبيه عن جده و ورواه أحدد (۲۷۳) من حديث عدرو بن شعيب عن أبيه عن جده و ورواه أحدد (۲۷۳)

(٨٢) لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال:

رواه البخارى فى تفسير القرآن (٤٨٨٩) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: كنا جلوسا عند النبي ﷺ فأنزات عليه عليه مسارة المنافقة عليه المنافقة المنافقة على المنافق

(٨٣) أو فعل لأخذته الملالكة عيانا :

رواه أحمد في مستده (۲۷۲۷) من حديث ابن عباس قال : قال أبو جهل : للثن رأيت محمداً يصلى عند الكعبة لأتينه حتى أبنأ على عنقه قال : فقال : هلو فعل لأعذته الملائكة عيانا ، ولو أنّ اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم في النار ، ولو خرج الذين يباملون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجنون مالا ولا أملاء .

(٨٤) كان يخطب قائما يوم الجمعة فجاءت عير من الشام :

رياه مسلم في الجمعة (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ كان يخطب قائما يوم الجمعة فجاءت عير من الشام فانفقل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلا ، فأنزات هذه الآية التي في الجمعة ﴿ وَإِنَّا رَأُوا تَجارة أَوْ لِهُوا الفحرة إليها وتركوك قائما ﴾ .

(٨٥) إحياء علوم الدين ١/٠١ وبه فصول عدة عن فضل الجمعة وآدابها وشروطها، فمن أراد التوسع فليرجع إليه .

(٨٦) محمد جو اد معنيه : الققه على المذاهب المحمسة ، ص 9 \$ 1 .

(٨٧) من اغتسل يوم الجمعة وغسل وبكر وابتكر ودنا :

رواه الترمذي في الجمعة (٤٩٦) والنسائي في الجمعة (١٣٨١) وأحمد في مسنده (١٩٦٩) من حديث أوس بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: دمن اغتسل يوم الجمعة وغسل ويكر وابتكر ودنا واستمع وأنصت كان له بكل خطوة يخطوها أجر سنة صيامها وقيامهاه.

قال أبو عيسي : حديث أوس بن أوس حديث حسن .

(٨٨) لا يفتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع :

رواه البخارى فى الجمعة (٨٨٣) من حديث سلمان الفارسى قال: قال النبى ﷺ: ١٥ يفتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بهته ثم يخرج فلا يفوق بين النين ثم يصلى ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه ويبن الجمعة الأخرى».

(٨٩) انظر كتاب: ما يقال عن الإسلام، ص ١٤٥ تمت عنوان: أثر الإسلام في العيادة اليهودية .

(٩٠) كان يقرأ في صلاة الجمعة يسبح اسم ربك الأعلى:

رواه أبر داود في الصلاة (١٩٢٥) والنسائي في الجمعة (١٤٢٧) من حديث سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى ، وهل أتاك حديث القاشية .

(٩٩) وقت صلاة العيد بعد ارتفاع الشمس قدر رمح أو ومحين ، أو بعد طلوعها بثلث ساحة ، فوقت الجمعة عند الحابلة معند من التنحي إلى أذان العصر .

(٩٧) انظر فقه السنة ٧/٠٧٠.

(٩٣) المرجع السابق.

- (9.5) نقلا عن فقه السنة ٢٩٢/٢.
- (٩٥) من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة :
- رواه الدارمى فى فضائل القرآن (٧ ٣٤٠) من حديث أبى سعيد الخدرى قال : من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أشماه له من النور فيما بينه وبين البيت العتبق .
 - (٩٦) صبحكم ومساكم: أي أتاكم العدو وقت الصباح أو وقت المساء .
- (٩٧) رواه أحمد وابن أبي شبية والنزار والطيراني ، قال الحافظ في يارغ المرام : إسناده لا ياس به ، ومعنى لا جمعة له : أي لا جمعة كاملة .
- (۹۸) ينوى الجمعة ريتمها ظهرا ، ويعتدر الفقهاء عنه بقولهم : رجل صلى ولا نوى ، ونوى ولا صلى ، أي: صلى الظهر ولم ينوه ، ونوى الجمعة ولم يصلها .
 - (٩٩) فقه العبادات د. عبد الله شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
 - (۱ ، ۱) انظر تفاسير الطبرى واليسابوري والكشاف والنسقي وغيرها .
- (١٠١) انظر سيرة ابن هشام، وابن إسحاق، وصور من حياة الرسول لأمين دويفار، مطابع دار المعارف بمصر، سنة ١٩٦٨، ص ٥٠٥.

(١ ، ٢) ما بال دعوى الجاهلية :

رواه البخارى في التفسير (ه- 69) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كنا في غزاة - قال سفيان مرة : يا للأنصار ، وقال المهاجرى : يا من جيش - فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال المهاجرين . يا الأنصار ، وقال المهاجرين المهاجرين المهاجرين ، فسع الحال المهاجرين ، فسع المهاجرين المهاجرين المهاجرين الأنصار فقال : «دعرها فأزنها منتئة ، فسع بذلك عبد الله بن أبي فقال : فعل أما أما وللله لذن رجعنا إلى المدينة ليفرجن الأعز منها الأثل ، فبلغ النبي الله لقال : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبي رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبي الله عن قدما المدينة في النبي كلاء بعد الناس أن محمدا يقتل أصحابه، وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدما المدينة في النبياعيين كانها بعد .

- (۱۰۴) كان سيدا من سادات قومه ، وعندما أسلم دخل قومه في الإسلام تبعا له ، إذ قال لقومه : إن كلام رجالكم ونسائكم هليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوفه فامنوا جميها .
- (۱۰ و) وأخرجه الترمذي أيضا وقال : هذا حديث حسن صحيح ، نقلاعن التفسير المثير للذكتور وهية الرحيلي ، دار الفكر المعاصر ، يبروت ثبتان، الجزء ۲۸ ص ۲۷۳ .
 - (٥ . ٩) واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء :

رواه الترمذي في صطة الاقيامة (٢٥١٦) وأحدد في مسنده (٢٦٦٤) من حديث ابن عباس قال: كنت خلف وسول الله ﷺ يومًا فقال: وبا غلام ، إنن أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله , وإذا استمنت فاستمن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو استمعوا على أن ينفعوك بلا بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو المتمعوا على أن يضويك بشيء لم يضاوي الاستمواء وكذا القضاعي عن المتمعوا على أن يضويك بشيء لم الله عن كال القجرية في الكبير عن لهن عباس بلفظ: كنت رديف رسول الله ي الله المتفتئ المتعدن الله عنه ورواه الطوائق في الكبير عن لهن عباس بلفظ: كنت رديف رسول الله ي المتعدن المتعدن الله ي الله بالله على الله بالله ي الله المتعدن الله يضاويك الله عليه لم يقدده الله عليك لم يقدروا الميان المتعدن الله على المتعدن الله على الله على المتعدن المتعدن الله عن المتعدن الله الله على المتعدن الله الله في المتعدن والمتعدن المتعدن الله في المتعدن والمتعدن المتعدن الله في المتعدنة . وذكره متولا عليه تن تضريح الأربعين .

(١٠٢) إن أحدكم يجمع علقه:

رواه البخاري في بدء الخلق (۲۰۰۸) من حديث عبد الله قال :حدثنا رسول الله ﷺ وهو المسادق المصدوق قال : وإن أحدكم يجمع خلقه في بعلن أمه أربعين يوما تم يكون علقة عثل ذلك ثم يكون مضفة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كامات ويقال ك : اكتب عمك مرزقه وإجله وطشى أن سعيد ، ثم ينتف فيه الارح ، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين التار إلا يكون بينه وبين التار إلا مراح فيسوق علي التار إلا منات إلا فيسوق عليه الكون بينه وبين التار إلا ذراع فيسوق بعمل أمل النار ، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين التار إلا أراح فيسوق عليه وبين التار إلا أراح فيسوق عليه المنات إلا أراح فيسوق عليه الكتاب فيعمل بعمل أمل البينة .

(۲۰۷) تفسير الطيرى ۲۸/۲۸ .

(١٠ ٨) انظر تفسير النيسابوري ٨٠/٧٨، والمعنى أن السعداء أخذوا أماكن الأشقياء في الجنة، والأشقياء أخذوا أماكن السعداء في النار .

(٩٠٩) لا يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من النار:

رواه البخاري في الرفاق (٢٥٦٩) من حديث أبي هرورة قال: قال النبي ﷺ ولا يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من الذار لو أساء لهزراد شكرا ، ولا يدخل الذار أحد إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة» .

(١٩٠) كلمات القرآن تفسير وبيان، للأستاذ حسنين محمد مخلوف، مطابع دار المعارف ١٩٧٦ م .

(١٩١١) انظو ذلك في تفسير الطبري أيضا ، حيث نقل أن صدر سورة التغاين مكي وآخرها مدني .

(۱۹۲) رواه الترمدي بإسناد آخر، وقال: حسن صحيح .

(22 4) انظر تفسير الطبري ١٩٤/٧٨ ، والنيسابوري بهامش تفسير الطبري ١٨٩/٧٨ .

(۱۱٤) تقسير الطيري ۸٣/٢٨.

(١١٥) كل مولود يولد على القطرة :

روله البضارى في الجنائز (۱۳۵۸ ، ۱۳۵۹ ، ۱۳۵۵) وفي للتفسير (۲۷۷۵) وفي القدر (۱۳۵۹) ومسلم في القدر (۲۲۵۸) مهالك في الموطأ كتاب الجنائز (۲۵۱) وأبو داود في السنة (٤٧٤) والترمذي في القدر (۲۲۸۸) وأحمد في مسئده (۱۶۵۷) من حديث أبي هويرة وشي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «كل مواود بولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو بذمرانه أو بمجسانه ، كمثل البههمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء» .

(۱۹۲) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد على الصابوني (هامش) ، دار الصابوني ۲۵ شارع عباس يوسف، مدينة نصو القاهرة ت : ۱۸۲۴۰ .

(١٩٧) لا يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من النار :

تقدم تخريجه ، انظر هامش (۱۰۹) .

(١١٨) تفسير القرطبي ، مطبعة دار الفد العربي، ص ٢ - ٢٨٠ الطبعة التالية - ١٩٩٦ م .

(١٩٩) عجبًا لأمر المؤمن:

أخرجه مسلم (۲۹۹۹) واللفظ له ، وأحدد (۱۸۵۰ ، ۱۸۵۰ ، ۲۳۲۱۷ ، والدارس (۷۷۷۷) ، والدارس (۷۷۷۷) ، من حديث صمهيب بن ستان قال قال رسول الله ﷺ: «مهبا لأمر الدؤمن إن سره كله غير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سرام شكر ذكان غيرا له ، وإن أصابته شراء صبر ذكان غيرا له» .

(۱۷) متعصر تفسير ابن كثير ، تحقيق محمد على الصابوني ، وفي هامشه : أعرجه ابن أبي حاتم، ورواه الدرملك وقال : حسن صحيح .

(٢ ٢) إن الله عز وجل يقول الأهل الجنة : يا أهل الجنة ، هل رضيتم :

ووله البضاري في الرقاق باب: صفة الجنة والنار (٦١٨٣) وفي القرحيد باب: كلام الرب مع أهل الجنة (٨٠٠) ومسلم في الجنة ، ومسلم في الجنة ، ومن الجنة : والله الجنة : والله والله من حرار يقيل الأمل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون: يبلد وبنا وسعيل والخير في يديد، فيقول : هل وسيم ؟ فيقولون : وما لنا لا ترضى با ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من ملك ، فيقول : أفل عليه من من الله عن وبالله الإسلام الله والكبر وبنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من منافقة كان المنافقة على المنافقة كان وأن أن المنافقة كان المنافقة كان المنافقة كان المنافقة كان المنافقة كان على عليكم رضوائي المنافقة كان المنافقة كان المنافقة كان على منافقة كان المنافقة كان المنافقة كان عديث صديع .

(١٢٢) ما نهيتكم عنه فاجتبوه ، وما أمرتكم به فالتوا منه ما استطحم :

رواه للبخارى فى كتاب الاعتصام (٧٢٧٨) ، ومسلم فى كتاب الفضائل (١٣٣٧) ، والترمذى فى العلم (٣٦٧٩) والنسائى فى المناسك (٢٦١٩) وابن ماجة فى المقدمة (٢) وأحمد (٧٢٢٠) من حديث أبى هويدة .

(١٢٣) في ظلال القرآن ١٨٠/١٨.

(٤٢٤) في طلال القرآن ٢٨/١٣٨ .

(١٢٥) استوصوا بالنساء عيرا :

رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (۱۳۳۷) ، وفي النكاح (٥١٨٦) ، ومسلم في الرضاح (١٤٦٨) ، وأحمد (١٠٠٧١) ، والدارص في النكاح (٢٢٢١) من حديث أبي هريرة .

(١٧٦) كلكم راع وكلكم مستول عن رعيته:

رواه البشارى فى الجمعة (۸۹۳) وفى الاستقراض (۲۵۰۹) وفى المثق (۲۵۰۹، ۲۵۵۸) وفى الومسايا (۲۷۵۹) وفى النكاح (۲۰۸۸، ۲۰۰۰) وفى الأحكام (۲۷۲۸) ومسلم فى الإسارة (۲۸۲۹) وأبو داود فى الخراج (۲۹۲۸) والترمذى فى الجهاد (۲۷۰) وأحد فى مساده (۲۸۱، ۲۵، ۲۵، ۴۵، ۳۸۲۷، ۴۵۰) من حديث عبد الله بن عمر.

(۱۷۷) ووى البخارى فى صحيحه أن عبد الله بن عمر طأل امراة له وهى حالتين فلدكر عمر ذلك ثرسول الله عليه ، فعيقد رسول الله ثم قال : «شراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ، ثم تحيض فعلهر ، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسها ، فتلك العدة التي أمر بها الله عز وجل» .

رورواه مسلم بللغة: « . فلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها الساءه . أي: ذلك معنى قراد تعالى : ﴿فلطالموهن لمدتون﴾ (الطلاق: ﴿)، - أي: طاقوهن مستقبلات لمدتهن ، ولا يكون ذلك إلا يعد أن تحيض العرأة ثم تطهر ، وهي حالة أرغب ما يكون فيها الرجل ، فإذا طلقها في هذه الحالة دل على عدم رغيت فيها .

(١٢٨) تعبف النساء يكون يأسهن من الحمل بين ١٥ – ٥٠ سنة .

ربع النساء يكون يأسهن بين ٥٠ -20 صنة.

لمن النساء يكون يأسهن بين ٣٥ -- ٥٠ صنة .

ثمن التساء يكون يأسهن بين ٥٠ –٥٥ مئة .

(۱۲۹) انظر السيوطى فى الدر العثور ، والتفسير العتير للدكتور وهية الزحيلى ، دار الفكر المعاصر بيروت ثبنان، جزء ۲۸ ص ۲۹۲، والقسير الوسيط بإشراف الأزهر بمصر ، ومتحصر تفسير ابن كثير بتحقيق الصابونى ۱۹۴۳ ، والحديث أخرجه الحاكم عن جابر ، وأخرجه ابن مردويه والعطيب عن ابن عباس .

(١٣٠) إن العبد ليحرم الرزق باللنب:

رواه ابن ماجة في الفتن (٤٠٢٢) وأحمد في مستده (٥/ ٢٨٠، ٢٨٢).

(١٣١) احفظ الله يحفظك:

تقدم تخریجه ، انظر هامش (۱۰۵) .

(١٣٢) كان خلقه القرآن:

رواه مسلم في أثناء حديث طويل من كتاب مسلاة المسافرين ، باب جامع صلاة الليل ، ومن نام عنه أو مرض (٧٤٦) عن زرارة أن سعد بن مشام بن عامر أراد أن يغزو في سبيل الله ، فقدم المدينة ، فأراد أن يبيع عقارا له بها ، فيجمله في السلاح والكراع ، ويجاهد الروم حتى يدوت ، فلما قدم المدينة ، لتي أناسا من أهل المدينة ، فنهوه عن ذلك ، وأخيروه أن رهطا ستة أراضوا ذلك في حياة نبى الله ﷺ فنهاهم نبى الله ﷺ وقال: «أليس لكم في آسوة» ؟ فلما حدثوه بذلك راجع امراته . وقد كان طلقها . وأشهد على رجمتها . فأتى ابن عباس نسأله عن وتر رسول ﷺ ؟ فقال ابن عباس : ألا أبلك على أعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ . قال : من 7 قال : عائشة . فأتها فاسألها ، ثم المتنى فأحيرني بردها عليه . فانطلت إليها . فأت يقاربها لأني نهيتها أن تقول في عليه . فقال : ما أنا يقاربها لأني نهيتها أن تقول في مقانين الشيعتين طياب . فقال : الله القاربها لأني نهيتها أن تقول في مقانين الشيعتين طبقة . فأسأت الله عاشة ، فاسأتذنا عليها فأذنت لنا ، فلما الله فقال : أحكم ؟ (قدرفته) فقال : نعم . فقالت : من معك ؟ قال : سعد بن هشام ، قالت : من هشام ؟ قال : ابن عامر . فقرصمت عليه . وقالت حيل . (قال قتادة : وكان أصيب يوم أحد) فقلت : يا أم المؤمنين ، أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن ، قال : فهممت أن

ورواه أحمد مختصرا (٢٤٦٠ ، ٢٢٤٦ ، ٢٢٤٦).

(١٣٣) من اقتطع شبرا من الأرض طلما طوقه الله إياه :

رواه مسلم في المساقاة (١٦٦٠) من مديث سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع شيرا من الأرشن الملما طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضمين ».

(١٣٤) تفسير الطبري ٢/٢٨ ، وقد ورد ذلك في سنن النسائي من حديث أنس.

(٣٥) المفافير: صمغ حلو الطعم كريه الرائحة.

(۱۳۲) لا ولكني كنت أشرب هسلا:

رواه البخارى في تفسير القرآن (۱۹۹۷) من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يشرب عسلا عند زينب بنت جمش ويمكث عندها ، فواطيت أنا رصفصة على أيتنا دخل عليها طبقال له : أكلت مغافير ، إنى أجد منه ربح مغافير ، قال : «لا ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جمش ، فلن أعود له ، وقد حافت ، لا تفهري بذلك أحداء .

(۱۳۷) تفسیر الطبری ۱۰۲/۲۸ .

(۱۳۸) رواه البخاري ومسلم والترملي والتسالي .

(١٣٩) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ١٩٩/٢٨ .

(ه ۱ و) من حلف على يمين :

رواه مسلم فى الأيمان (١٣/١٦٠) ، والترمذي فى النذور والأيمان (١٥٧٠) وقال : حديث أبيى مريرة حديث حسن صحيح ، والنسائى فى الكبرى فى الأيمان والكارات (٢/٤٧٢٧) ، كلهم عن أبي هريرة رضى الله عنه ، وأبر داود فى الأيمان والنذور (٣٢٧٧) ، والنسائى فى الكبرى فى الأيمان والنذور (٤٧٧٤) ، كلاهما عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه .

(١٤١) مروا أولادكم بالصلاة لسبع:

رواه أبر داره في المسلاة (٤٩٥) وأحمد في مسنده (١٩٥٠) من حديث عمرو بن شعيب عن أبهه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: معروا أولادكم بالمسلاة وهم أبناء سبع سنين ، واشريوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجم» .

(٢ \$ ٢) ما تحل والدولدا من تحل أفضل من أدب حسن :

رواه الترصدي فى الهر (۱۹۵۷) وأحمد فى مستده (۱۹۲۹) من حديث أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : «ما نمل والد ولانًا من نصل أفضل من أنب حسن» .

قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عامر بن أبى عامر الخزاز ، وهو عامر بن مدالج بن رستم الغزاز ، وأيرب بن موسى هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص ، وهذا عندى حديث مرسل .

(٩ ٤٣) كمل من الرجال كثير :

رواه البخارى في أحاديث الأنبياء (٢٤١١) ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٢١) والترمذي في الأطعمة (١٨٣٤) من حديث أبي موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومرم أبنة عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وإن فضل عائشة على النساء كنشل الثويد على سائر الطعام » .

قال أبر عيسى : هذا حديث عسن صحيح . -

* * *

تم بحمد الله تغريج أحاديث وهوامش الجزء (الثامن والعشرين)

محتويات الكتاب

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
٥٧١٧	تفسير سورة المجادلة .	-
۵۷۱۸	أهداف سورة المجادلة .	-
٥٧٢٣	﴿قد سمع الله قول النَّني تَجَادِكَ فِي رُوجِها﴾	\ \
٥٧٢٣	﴿الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهائهم﴾	۲
٥٧٧٣	﴿ والذين ينظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قافوا	. 4
٥٧٢٣	﴿ فَمَنَ لَمْ يَجِدُ فَصِيامٌ شَهْرِينَ مَتَتَابِعِينَ مِنْ قَبِلُ أَنْ يَتَمَاسًا﴾	٤
۰۷۲۰	﴿إِنَ الذينَ يَحَادُونَ الله ورسوله كَبِتُوا كِمَا كَبِتَ الذِينَ مِنْ قَبِلُهِم﴾	
٥٧٣٠	﴿يرم يبعثهم الله جميعًا فينبئهم بما عملوا﴾	٦
٥٧٣٠	﴿ أَلَم تَر أَنْ اللَّه يَعْلَمُ مَا فَي السَّمَاوَاتِ وَمَا فَيَ الأَرْضُ﴾	٧
٤٣٧٥	﴿ أَلَم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه	٨
3770	﴿ إِنَّا أَيِّهَا الَّذِينَ آمنِوا إِذَا تَنَاجِيتُم فَلَا تَتَّنَاجِوا بِالرَّبْمِ﴾	1
3770	﴿إِنْمِنَا النَّجِوى مِنْ الشَّيْطَانُ لَيْحَزِنُ الَّذِينَ آمِنُوا﴾	١٠.
۸۳۲۸	﴿ يَا أَيْهَا الَّذِينَ آمِنُوا إِذَا قَيْلَ لَكُمْ تَفْسَمُوا فَيَ الْمَجَالُسُ فَافْسَحُوا﴾	11
OYEN	﴿ يِما أَيِهَا الَّذِينَ آمِنُوا إِذَا نَاجِيتُم الرسول فَقَدَمُوا﴾	14
0751	﴿ أَأَشْفَقْتُم أَنْ تَقْدَمُوا بِينَ يِدِي نَجِواكُم صَدَقَات ﴾	18
0340	﴿ أَلَم تَر إِلَى الذِّينَ تَولُوا تَومًا غَضَبِ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾	١٤
OYEO	﴿ أُعدُّ اللَّهُ لَهُمْ عَدَابًا شَدِيدًا إِنْهُمْ سَاءُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . ﴾	10
0450	﴿اسْخَدُوا أَيْمِانَهُمْ جِنَّةَ فَصِدُوا عَنْ سَبِيلَ اللَّهُ﴾	17
0Y£0.	﴿ لِن تَعْنَى عَنْهِم أَمْوَالَهُمْ وَلَا أُولَانِهُمْ مِنَ اللَّهُ شَيْئًا﴾	17
oveo	﴿ يُومِ يَبِعَثُهُم الله جَمِيتًا فَيَطَفُونَ لَه كَمَا يَطَفُونَ لَكُم	14
0450	﴿استنصورْ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله﴾	14
0489	﴿إِنْ الدَّيْسُ يَبْصَادُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أُولَـدُكُ فَنِي الأَدْلَيْنَ . ﴾	٧٠
0YE9	﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله شوى عزيز.﴾	71
OVES	﴿لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يواسن من حاد الله	77
٥٧٥٥	تفسير سورة الحشر .	_
10Vo	أهداف سورة الحشر .	_
۳۲۷٥	﴿سبح الله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم .﴾	\
L		

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
٥٧٦٣	وهو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم	۲
٥٧٦٣	﴿ ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ﴾	٣
۳۲۷٥	ونك بانسهم شباقوا السلبه ورسسواسه)	٤
٥٧٦٥	﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها	۵
٥٧٧٥	﴿ وَمِا أَهَاءِ الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل	١ ،
٥٧٧٥	﴿مَا أَقَاءَ الله على رسوله من أهل القرى قلله والرسول﴾	V
٥٧٦٧	﴿المَقْرَاء المهاجِرِينَ الدِّينَ أَهْرِجُوا مِنْ دِيارِهُم وأَمُوالَهُمْ﴾	_ ^
٧٢٧٥	﴿والذين تهوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم	١ ،
٥٧٦٧	والذين جاءوا من بعدهم يقولون رينا اغفر لنا	١.,
٥٧٧٠	﴿ أَلُم تَرَ إِلَى الدِّينَ تَافَقُوا يَقُولُونَ لِإَحْوَانِهِمَ الدِّينَ كَفُرُوا	11
٥٧٧٠	ولنن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا يتصرونهم	14
٥٧٧٠	﴿لأنتم أشد رهبة فني مسدورهم من البله﴾	17
٥٧٧٠	﴿لا يقاتلونكم جميعًا إلا في قرى محصنة أو من وراه جدر﴾	18
٥٧٧٠	﴿كَمَثُلُ الذِّينَ مِنْ قَبِلُهِم قَرِيبًا ذَاقُوا وَبِالَ أَمَرَهُم﴾	10
۵۷۷۰	وكمث الشيطان إذ قال الإنسان اكفس)	17
۹۷۷۰	وفكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فهها	1 1
4770	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمِنُوا النَّهِ اللَّهِ وَلَتَنظَر نَفْسَ مَا قَدِمَتَ لَفْد	14 .
٥٧٧٥	ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم	19
۵۷۷۵	﴿لا يستدى أصحاب النار وأصحاب البجنة	٧.
٥٧٧٧	﴿ وَ أَنزَلنَا هَذَا القَرآنَ عَلَى جَبِلَ لَرأَيتِه هَاشَعًا مَتَصَدِعًا	71
٥٧٧٧	﴿ هـ و الله الذي لا إله إلا هـ وعالم الـ فيب والشهادة ﴾	77
٥٧٧٧	ومن الله الذي لا إله إلا هن الملك القدوس السلام	74
٥٧٧٧	ومو الله الشالق البارئ المصور له الأسماء الحستي	37
٥٧٨١	أهم ما ترشد إليه سورة الحشر .	
٥٧٨٥	طئ أعقاب سورة الحشر .	_
OVAY	تفسير سورة الممتحثة .	-
٥٧٨٨	أهداف سورة الممتحثة .	-
0798	﴿يا أيها الذين آمنوا لاتشفنوا عدوى وعدوكم أولياء	\

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
0798	﴿إِنْ يَتَقَفِّوكُم يَكُونُوا لَكُم أَعَدَاهُ وَيَبْسَطُوا إِلْيَكُم أَيْدِيهِم	۲
0444	﴿ أَمِن تَسْفَعِكُم أَرِهِ امكم ولا أُولانكم يوم القيامة	۳)
0447	﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه	£
0797	﴿ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا	0
0747	﴿ لَقَد كَانَ لَكُم فَيْهُم أُسَوَّةُ حَسَنَةً لَمَنْ كَانْ يَرْجُو اللَّهُ	٦
٥٨٠٠	﴿عسى الله أنْ يجعل بينكم وبينْ الذينَ عانيتم منهم مودة﴾	٧
۵۸۰۰	﴿ لا يضهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ﴾	٨
٥٨٠٠	﴿ إنما يشهاكم الله عن الذين أماتلوكم في الدين	٩ .
3+40	﴿ يَا أَيُهَا الَّذِينَ آمِنُوا إِنَا جِاءَكُمُ الْمَوْمِنَاتِ مِهَاجِراتِ فَامْتَحِنْرِهِنْ﴾	1.
٤٠٨٥	﴿ وَإِن فَاتُكُم شَيَّ مِنْ أَزُولِمِكُم إِلَى الْكَفَارِ فَعَاقِيتُم ﴾	11
0.4.4	﴿ بِا أَيْهَا النَّبِي إِنَا جَاءَكَ المؤمنات يَبَايِعِنْكَ عَلَى أَلَا يَشْرَكُنْ بِاللَّهِ﴾	14
٥٨٠٩	﴿ مِا أَيْهِا الذِّينَ آمنوا لا تتولوا قومًا غضب الله عليهم	14
٥٨١٥	تفسير سورة الصف .	-
2110	أهداف سورة الصف .	-
0319	﴿سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم .	١,
0419	﴿ بِمَا أَيْمِمَا الَّذِينُ آمِنُوا لِمَ تَقُولُونَ مِا لَا تَفْعِلُونَ . ﴾	۲
0414	♦ كبير مقتاعند الله أن تقولوا ما لا تقملون. ♦	4
0419	﴿إِن اللَّهُ يَحْبُ النَّذِينَ يَقَاتِلُونَ فَي سَبِيلَهُ صَفًّا﴾	٤
٥٨٢٢	﴿وَإِذْ قَبَالُ مِنْ وَمِنِي لِنَقْتُومِهُ بِنَا قَبُومٍ لَمْ تُنْوَدُونَيْتِي﴾	
۲۲۸۰	﴿وَإِذْ قَالَ عَيْسَى لَهُنْ مَرِيمٍ بِأَ بَنِّي إسرائيل إِنِّي رسول الله اِلْمِكُم﴾	٦
0444	ومن أطلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام)	V
. 0177	﴿يريدون ليطفئوا دور الله بأفراههم والله متم دوره)	٨
۲۲۸۵	﴿ هـ الدِّي أرسل رسواله بالمهدي ودين النجق ﴾	1
0 ۸۲۹	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا هَلَ أَنْلَكُمْ عَلَى تَجَارَةَ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَنَابِ أَلْيُمٍ. ﴾	١٠.
0879	﴿ تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولُهُ وَتَجِاهِدُونَ فَي سَبِيلَ اللَّهِ ﴾	111
0.474	﴿يففر لكم ننويكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار	17
OAYS	﴿وَأَعْرِي تَحِيونَهَا نَصِر مِنْ الله وفتح قريب ويشر المؤمنين .﴾	14.
PYAO	﴿ يِمَا أَيْسِهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونَوا أَنْصِارِ اللَّهِ ﴾	18

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
٥٨٣٥	أهم الموضوعات التي اشتملت عليها سورة الصف .	-
۷۳۷	تفسير سورة الجمعة .	-
۸۳۸۰	أهداف سورة الجمعة .	-
٥٨٤٠	﴿ يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم . ﴾	١ ١
٥٨٤٠	﴿ هِو الذي يعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته	٧ .
٥٨٤٠	﴿وَأَخْرِينَ مِنْهُمُ لِمَا يُلْحِقُوا بِهُمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمِ .﴾	٣
0110	﴿ذَلَكَ فَصَلَ اللَّهِ يَوْتِهِهُ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهِ ذَوَ الْفَصَلُ الْعَظْهِمِ ﴾	٤
73A0	﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل العمار يحمل أسفار)﴾	٥
PAER	﴿قُلْ يَا أَيْهَا الذِينَ هَانُوا إِنْ رَعَمَتُمَ أَنْكُمُ أُولِيَاءَ لَلَّهُ﴾	٦
0 A E \	﴿ ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين .	٧
0 ለ ٤ ٦	﴿ قَلَ إِنْ الموت الذي تَشْرِونَ منه قَالِنه ملاقيكم ﴾	٨
0154	﴿ يِمَا أَيْهِمَا الذِّينَ آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا	4
0.889	﴿ فَإِذَا قَشِيتِ الصَالَةَ فَانْتَشُرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضَلَ اللَّهِ ﴾	١٠.
0 8 8 9	﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائمًا ﴾	11
70.40	ملحق بتفسير الأيات .	-
17.40	تفسير سورة المثافقون .	-
777.0	أهداف سورة المتاطنون .	-
V/7.4	﴿إِنَا جِنَامُكَ الْمَصْنَافَةُ وَنْ قَالُوا نَشْهِدُ إِنَّكُ لُرْسُولُ اللَّهُ﴾	١ ،
V/140	﴿ السَّدَدُوا أَسِمَانَهُم جِنَّةَ فَمَدُوا عَنْ سَبِيلَ اللَّهُ ﴾	٧
٧٦٨٥	﴿ذِلك بِسأنهم آمنوا ثم كفروا قطيع على قلويهم﴾	٣
٧٣٨٥	﴿ وَإِذَا رَأَيْتُهُم تَعْمِيكُ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقْوَلُوا تُسْمَعُ لِقُولُهُمْ	٤
٥٨٧١	﴿وإذا ثيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم﴾	٥
٥٨٧١	﴿سراء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم	٦
٥٨٧١	﴿ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله ﴾	٧
٥٨٧١	﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل	٨
۵۸۷۷	﴿ يَا أَيُّهَا الذِّينَ آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولا مكم عن ذكر الله ﴾	٩
٥٨٧٧	﴿وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت	٧٠.
0.444	﴿ وَان يَرْخُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أُجِلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٍ بِمَا تَعْمَلُونَ . ﴾	** .

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
٥٨٨١	تفسير سورة التغابث .	-
٠٨٨٢	أهداف سورة التغاين .	
7AA0	﴿ يسبيح للله ما في السماوات ومنا في الأرض ﴾	١
rako	﴿ هِ وَ الذِّي مُثَلِقَتُكُم قَمَلُكُم كَافِرُ وَمِنْكُم مَوَّمِنْ ﴾	۲
rako	﴿ خِــلَــق الســمــاوات والأرض بــالــحــق	٣
FAA*	﴿ يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون ﴾	٤
٥٨٩١	﴿ أَلَم يَأْتُكُم نَهَا الذين كَفَرُوا مِن قَبَلَ فَذَاقُوا وَيَالَ أَمْرُهُم﴾	۰
٥٨٩١	﴿ذلك بِيأنِه كِيانِت تَأْتِيهِم رسلهم بِالبِينَات فَقَالُوا﴾	٦
٥٨٩٣	﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل يلى وربى لتبعثن﴾	٧
٥٨٩٣	﴿ فَالْمُدُوا بِاللَّهِ وَرَسُولَهُ وَالنَّوْرُ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾	٨
٥٨٩٣	﴿يـوم يـجمعكم لـهـوم الـجمع ذلك يـوم الـتـــــابــن﴾	4 .
٥٨٩٣	﴿ وَالَّذِينَ كُفْرُوا وَكَذَبُوا بِأَيَّاتُنَا أُولِنُكُ أَصَحَابِ النَّارِ ﴾	١.
PA\$7	﴿ مَا أَمَسَانِ مَسْنُ مَمْسِيسِيةَ إِلَّا يَسَاذِنَ السَّلََّهِ ﴾	111
720	﴿وأطبيب مسوا الباب وأطبيب مسوا السرسسول﴾	17
۵۸۹٦	﴿اللَّهُ لا إِلَهُ إِلا هِوَ وَعَلَى اللَّهُ فَلَيْتُوكُلُ الْمَزَّعِنُونَ .﴾	14
٥٩٠٠	﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم	١٤
04	﴿إِنْمَا أَمُوالَكُمْ وَأُولَانِكُمْ فَتَنَّةٌ وَاللَّهُ عَنْدَهُ أَجِرَ عَظَيمٌ ﴾	10
٥٩٠٠	﴿ فَالنَّاوَ اللَّهُ مَا استَظَمَتُم واسمِعِوا وأَطْهِمُوا ﴾	17
٥٩٠٠	﴿إِنْ تَقْرَضُوا الله قَرَضًا حَسَنًا يَضَاعَفُه لَكُم ويَغَفَر لَكُم﴾	14
09	﴿عمالهم السفيب والشهادة المعزيس الممكنيسم.﴾	1.4
09.0	خلاصة ما اشتملت عليه سورة التغابن .	_
09.4	تفسير سورة الطلاق .	-
٥٩٠٨	أهداف سورة الطلاق .	-
3180	﴿ يِمَا أَيُّهَا النَّبِي إِذَا طَلَقَتُم النَّسَاءِ مُطَلِّقُوهِنَ لَعَيْتُهِنْ ﴾	\
0912	﴿ فَإِذَا بِلَقِنَ أَجِلِهِنَ فَأَمسكوهِنَ بِمعروفَ أَو قَارِقُوهِنْ بِمعروفَ﴾	٧
310	ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه	٧ .
0919	﴿واللائم يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم ﴾	٤
0919	وذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه	٥

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
0977	﴿اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولاتضاروهن	٦.,
0977	﴿لينفق نوسعة من سعت ومن قدر عليه رزقه	٧
0977	﴿وَكَأَيْنَ مِنْ قَرِيةَ عَنْتِ عِنْ أَمِر رِبِهَا وَرَسُلُهُ فَحَاسَبِنَاهِا﴾	٨
0977	﴿ فَذَاقَتَ وَيِسَالُ أَصِيهِمَا وَكَنَانَ عَنَاقِبِيَّةً أَصِرِهَا خَسِرًا . ﴾	٩
0977	﴿أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولى الألباب﴾	١٠.
۲۲۹٥	﴿رسولاً يستسلوعسيكم آيسات السلبه مهيشات﴾	- 11 .
٥٩٢٦	﴿اللَّهُ الَّذِي هَلَقَ سِيعَ سَمَاوَاتَ وَمِنْ الأَرْضَ مَثَلَهُنْ﴾	14
0971	خُلاصة ما اشتملت عليه سورة الطلاق .	-
٥٩٣٢	ضميمة هي أنواع العدة .	-
٥٩٣٣	تفسير سورة التحريم .	-
٥٩٣٤	أهداف سورة التحريم .	-
0981	﴿يِنَا أَيْنِهِنَا النَّفِينِي لَمْ تَنْصِرِمْ مِنَا أَصِلُ النَّانَةِ لَكَ﴾	\ \
1300	﴿قَدَ فَرَضَ اللَّهَ لَكُمْ تُنْصَلَةً أَيْمِنَاتُكُمْ وَاللَّهُ مُولَاكُمْ﴾	۲
0981	﴿ وَإِذْ أُسْرِ السَّبْسِي إلَــى بِسَعَضَ أَرُواجِــه حَسْدِيسَكُــا﴾	۳
0981	﴿إِنْ تُسْتِورِنَا إِلَى اللَّهُ فَشَدِ مَنِيْتَ قَلْوِيكِمِناً﴾	٤
0981	﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن﴾	
0984	﴿يا أيها الذين أصنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا﴾	٦
4380	﴿يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا الهوم إنما تجزون ﴾	\ \ \ \
0984	﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحًا﴾	\
09£A	﴿يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾	1
7000	﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة ثوط ﴾	1.
7090	﴿وضرب الله مشالاً للذين أمنوا امرأة فرعون	11
7000	﴿ وصريم ابسنة عمران الستى أحصنت فرجها	14
. 4907	خلاصة ما تضمئته سورة التحريم	-
0909	تخريج أحاديث وهوامش	-
0970	هرس الكتاب	_

تم بحمد الله الجزء (الثامن والعشرون) ويليه الجزء (التاسع والعشرون) بإذن الله تعالى

